

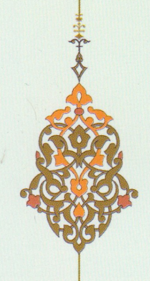
نُصُوصٌ في علومِ القرآنِ

تأليف

السَّيد علي الموسوي الدارابي

المجلّدُ السادِس

القُرآن، أسماؤُه، سُورُه، آياتُه، كلماتُه وأجزاؤُه

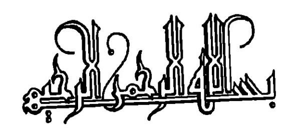




بإشرافِ

مُديرِ قِسمِ القُرآنِ

الأُستاذِ العلّامةِ محمّد واعظ زاده الخراساني


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

نصوص في علوم القرآن

تأليف

السيد علي الموسوي الدارابي

المجلد السادس

القرآن، أسماؤه، سوره، آياته، كلماته وأجزاؤه

بإشراف

مدير قسم القرآن

الأستاذ العلامة محمد واعظ زاده الخراساني

موسوي دارابي، علي، ١٣٣٤ -
نصوص في علوم القرآن / تأليف علي الموسوي الدارابي: بإشراف محمد واعظزاده الخراساني. - مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّة، ١٤٢٩ق. = ١٣٨٦ش.
ج.
ISBN set 978-964-444-380-0
ISBN 978-964-971-295-6 (ج٦)
فهرست‌نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عربي
كتابنامه
١.قرآن - - علوم قرآني. ٢. قرآن - - وحي. الف. واعظزاده خراساني، ١٣٠٤ - ،. ب. بنياد پژوهشهاي اسلامي. ج. عنوان.
BP ٦٩ / ٥ / م ٨ ن ٦ ٢٩٧/١٥
كتابخانهٔ ملى ايران ٢٤١٢٩-٧٩م



نصوص في علوم القرآن

المجلّد السادس

(القرآن ، اسماؤه ، سوره ، آياته ، كلماته و اجزاؤه)

السيّد علي الموسوي الدارابي
بإشراف الأستاذ محمّد واعظزاده الخراساني

الطبعة الثانية ١٤٣٢ق / ١٣٩٠ش
١٠٠٠ نسخة / الثمن: ١٣٤٠٠٠ ريال
الطباعة: دقت

مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب ٣٦٦-٩١٧٣٥
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ٢٢٣٠٨٠٣
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلاميّة، (مشهد) ٢٢٣٣٩٢٣، (قم)٧٧٣٣٠٢٩
www.islamic-rf.ir: E-mail: info @islamic-rf.ir

الفهرس العامّ

الباب الثّامن: أسامي السُّوَر و معنى السّورة و عددها و أقسامها، و فيه فصول:

الباب التّاسع: معنى الآية و الحرف و الكلمة و عددها في القرآن، و فيه فصول:

الباب العاشر: تناسب الآيات و السُّوَر، و فيه فصول:

الباب الحادي عشر: أجزاء القرآن و أحزابه، و فيه فصول:

تصدير

بسم الله الرّحمن الرّحيم

نحمد الله ربّ العالمين، و نصلّي و نسلّم على رسوله الأمين، و على آله الطّاهرين و صحبه الميامين، و من والاهم إلى يوم الدّين.

و بعد، فقد وفّقنا الله تعالى لتقديم المجلّد السّادس من موسوعة «نصوص في علوم القرآن» في قسم آخر من علومه إلى المهتمّين بعلوم القرآن. كما تفضّل علينا بتقديم خمس مجلّدات قبله في نزول القرآن و جمعه و صيانته عن التّحريف، و في مصاحف الصّحابة و رسم القرآن و نَقْطه و شَكْله إلى العُشّاق الدّارسين حول هذا الكتاب العظيم.

و هذه النّصوص المقدّسة حول القرآن بأقلام أعاظم علماء الأُمّة من جميع طوائفها و مذاهبها و من كلّ قطر من أقطارها في كلّ عصرٍ و قرنٍ ابتداءً من صدر الإسلام إلى يومنا هذا ـ وسيدوم هذا الجهد الكبير إن شاء الله تعالى ـ ممّا دلّ على اهتمام المسلمين جميعًا بكتاب ربّهم و أثقل ميراث رسولهم اهتمامًا بالغًا ليس له نظير بين غيره من الكُتُب المنزلة من عند الله، و لا المؤلّفة عند النّاس.

و دلّ أيضًا على اتّفاق الأُمّة بجميع مذاهبها و أقوامها على صيانة هذا الكتاب عن أيّ تحريف و زيادة و نقصان، و بذلك فقد ضمن القرآن وحدة الأُمّة رغم اختلافها في بعض الفروع الكلاميّة و الفقهيّة، و في حقل الحكومة و السّياسة، سواء ما كان منها عن اجتهاد و استنباط من الكتاب و السُّنّة من دون عمدٍ سوى تفاوت النّفوس فهمًا و دراسةً و سعيًا

و حفاظةً، أو ما صدر أحيانًا من جانب ذوي الأهواء أو الأُمراء، فانتهى إلى الجدال و القتال، أو العداء و الخصام، أو سوء الظّنّ بالإخوة الكرام.

فرغم كلّ هذه الدّواعي و الأسباب بقي القرآن في طليعة ما اهتمّت به الأُمّة تحصينًا نصّها وفاءً بما ضمن الله تعالى مؤكّدًا حفظه بقوله: ﴿اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَاِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، و اهتمامًا بحفظها عن ظهر القلب، ففي كلّ مصرٍ و عصرٍ يوجد ملايين حَفَظَةٍ للقرآن الكريم، و ملايين أضعافهم قُرّاءً له مُجيّدون.

كما اهتمّوا به فهمًا و تفسيرًا و كتابةً و تدبّرًا و تفقّهًا و استخراجًا علومه كما شهدت به مجلّدات هذه الموسوعة المباركة.

و سيجد القارئ في هذا المجلّد أكثر ما دوّنه العلماء من جميع الطّوائف في صعيد أسامي القرآن و السُّوَر و المناسبات بين الآيات و بين السُّوَر و بين مباديها و خواتمها، و عدد آياتها و كلماتها و حروفها و ما إلى ذلك.

و الفضل في ذلك للعالم المتتبّع السّيّد عليّ الموسويّ الدّارابيّ ـ حفظه الله تعالى ـ و لقسم القرآن في مجمع البحوث الإسلاميّة، والآستانة الرّضويّة المقدّسة، على مشرّفها ألف سلام و تحيّة. و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين و سلام على المرسلين.

٨ محرّم الحرام عام ١٤٣٠هـ

محمّد واعظ زاده الخراسانيّ

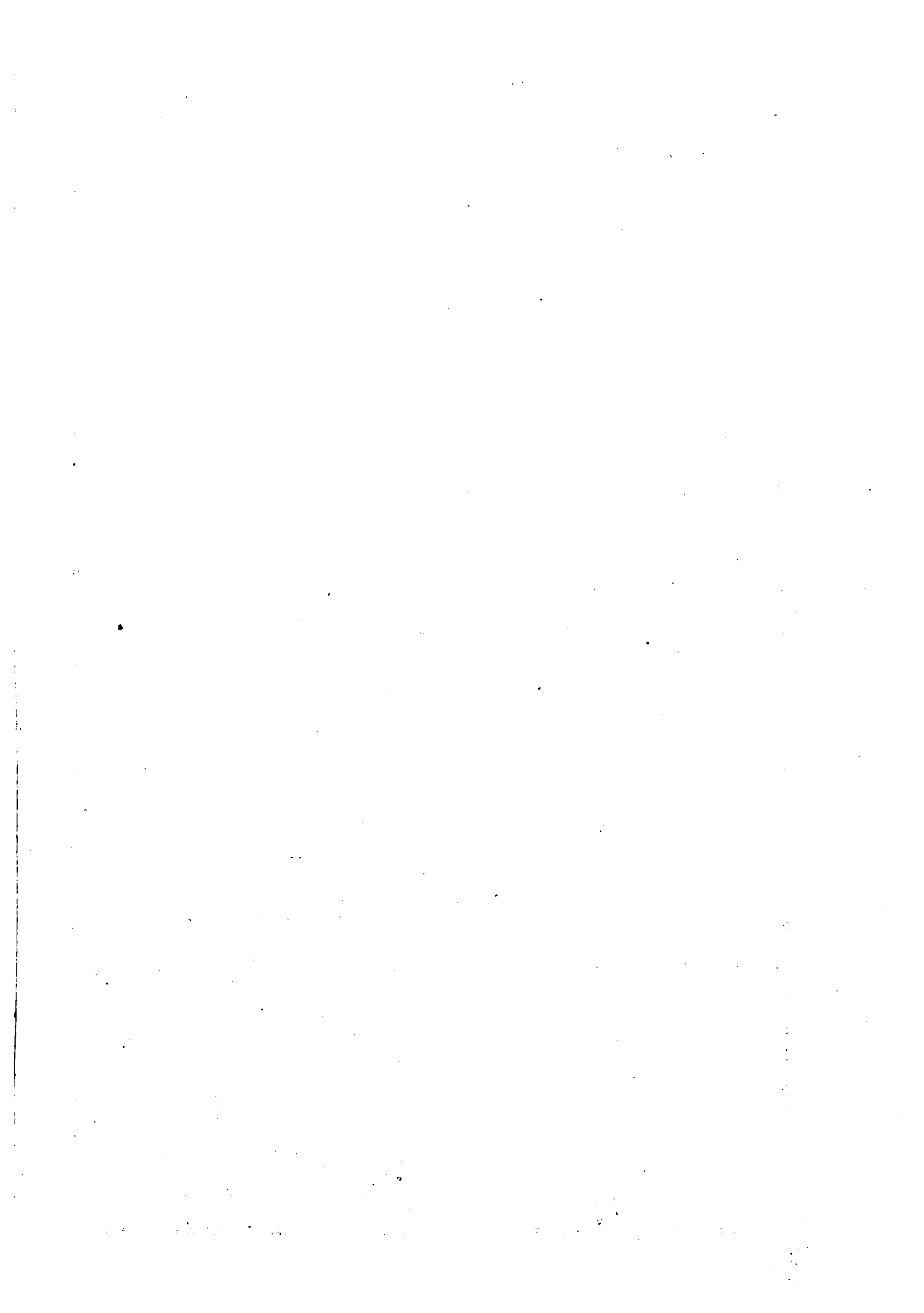
مدير قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلاميّة

١ـ الحِجر/ ٩.

الباب السّابع

أسماء القرآن وصفاته ومعانيه

وفيه فصول:



الفصل الأوّل

نصّ أبي عُبَيدة (م: ٢١٠) في «مجاز القرآن»

[معنى القرآن]

حدّثنا أبو الحسين محمّد بن هارون الزّنجانيّ الثَّقفيّ، قال: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز، قال: حدّثنا عليّ بن المُغيرة الأثْرَم، عن أبي عُبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى التَّيْميّ، قال: القرآن: اسم كتاب الله خاصّة، ولا يُسمّى به شيء من سائر الكتب غيره، وإنّما سُمّي قرآنًا لأنّه يجمع السُّوَر فيضمّها، وتفسير ذلك في آية من القرآن؛ قال الله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾. مجازه: تأليف بعضه إلى بعض؛ ثمّ قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، مجازه: فإذا ألَّفنا منه شيئًا، فضممناه إليك فخُذْ به، واعْمل به وضمّه إليك؛ وقال عمرو بن كُلْثُوم في هذا المعنى:

ذِراعَيْ حُرَّةٍ أدماءَ بَكْرٍ ... هِجانِ اللَّوْن لم تَقرأ جَنينَا

أي لم تضمّ في رحمها ولدًا قطّ، ويقال للّتي لم تحمل قطّ: ما قرأت سَلًى قطّ. وفي آية أُخرى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾، مجازه: إذا تلوت بعضه في إثر بعض، حتّى يجتمع وينضمّ إلى بعض؛ ومعناه يصير إلى معنى التّأليف والجمع. وإنّما سُمّي القرآن فُرقانًا لأنّه يفرق بين الحقّ والباطل، وبين المسلم والكافر، وخرج تقديره على تقدير: رجل قُنْعان، والمعنى أنّه يَرضى الخصمان والمختلفان في الأمر بحكمه بينهما ويقنعان به. (١: ١-٣)

الفصل الثّاني

نصّ الطّبريّ (م: ٣١٠) في «جامع البيان ...» [١]

القول في تأويل أسماء القرآن وسُوَره وآيه

قال أبو جعفر: إنّ الله تعالى ذِكْرُهُ سمّى تنـزيله الّذي أنـزله على نبيّه محمّد ﷺ أسماء أربعة :

منهنّ: القرآن، فقال في تسميته إيّاه بذلك في تنـزيله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ اَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْاٰنَ وَاِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [٢]، وقال: ﴿اِنَّ هٰذَا الْقُرْاٰنَ يَقُصُّ عَلٰى بَنِي اِسْرَائِيلَ اَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [٣].

ومنهنّ: الفرقان، قال جلّ ثناؤه في وحيه إلى نبيّه ﷺ يسمّيه بذلك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلٰى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [٤].

ومنهنّ: الكتاب، قال تبارك اسمه في تسميته إيّاه به: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا﴾ [٥].

ومنهنّ: الذّكر، قال تعالى ذكره في تسميته إيّاه به: ﴿اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَاِنَّا لَهُ

١ـ ذكر مثله تلخيصًا الماوَرديّ في تفسيره «النُّكَت والعُيون» ١: ٢٣ـ ٢٥. (م)

٢ـ يوسف / ٣.

٣ـ النّمل / ٧٦.

٤ـ الفرقان / ١.

٥ـ الكهف / ١.

لَحَافِظُونَ﴾ [١].

ولكلّ اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب، معنًى ووجهٌ غير معنى الآخر ووجهه.

فأمّا القرآن، فإنّ المفسّرين اختلفوا في تأويله. والواجب أن يكون تأويله على قول ابن عبّاس: من التّلاوة والقراءة، وأن يكون مصدرًا من قول القائل: قرأت، كقولك «الخُسران» من «خَسِرت»، و«الغُفران» من «غفر الله لك»، و«الكُفران» من «كفرتُك»، و«الفرقان» من «فَرَق الله بين الحقّ والباطل».

١ـ وذلك أنّ يحيى بن عُثمان بن صالح السّهميّ حدّثني، قال: حدّثنا عبد الله بن صالح، قال: حدّثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عبّاس في قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يقول: بيّنّاه، ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، يقول: اعْمل به.

ومعنى قول ابن عبّاس هذا: فإذا بيّنّاه بالقراءة، فاعْمل بما بيّنّاه لك بالقراءة. وممّا يوضح صحّة ما قلنا في تأويل حديث ابن عبّاس هذا، ما:

٢ـ حدّثني به محمّد بن سعد، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني عمّي، قال: حدّثني أبي، عن أبيه، عن عبد الله بن عبّاس: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾، قال: أن نُقرئك فلا تنسى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ عَلَيْكَ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ يقول: إذا تُلي عليك فاتّبعْ ما فيه.

قال أبو جعفر: فقد صرّح هذا الخبر عن ابن عبّاس: أنّ معنى القرآن عنده القراءة، فإنّه مصدر من قول القائل: «قَرأتُ» على ما بيّنّاه. وأمّا على قول قَتادة، فإنّ الواجب أن يكون مصدرًا، من قول القائل: «قرأتُ الشّيء»، إذا جمعتَهُ وضممت بعضه إلى بعض، كقولك: «ما قرأت هذه النّاقةُ سَلاً قطُّ» تريد بذلك أنّها لم تضمُمْ رحمًا على ولد، كما قال عَمرو بن كلثوم التّغلبيّ:

تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلاءٍ ... وَقَدْ أَمِنَتْ عُيُونَ الكَاشِحِينا

١ـ الحِجر/ ٩.

ذِراعَــيْ عَيْطَــلٍ أدْمــاءَ بِكْــرٍ هِجَـانِ اللَّـوْن لَـمْ تَقْـرَأ جَنِينـَا

يعني بقوله: «لم تقرأ جنينًا»، لم تضمُمْ رحمًا على ولد.

٣ـ وذلك أنّ بِشْربن مُعاذ العَقَديّ حدّثنا قال: حدّثنا يزيد بن زُرَيْع، قال: حدّثنا سعيد ابن أبي عَرُوبة، عن قَتادة في قوله تعالى: ﴿إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ﴾، يقول: حفظه وتأليفه، ﴿فَإذَا قَرَأنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ يقول: اتّبع حلاله، واجتنب حرامه.

٤ـ حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى الصَّنعانيّ، قال: حدّثنا محمّد بن ثَوْر، قال: حدّثنا مَعْمَر، عن قَتادة بمثله. فرأى قَتادة أنّ تأويلَ القرآن: التّأليف.

قال أبو جعفر: ولكلا القولين ـ أعني قول ابن عبّاس وقول قَتادة ـ اللّذَيْن حكيناهما، وجه صحيح في كلام العرب.

غير أنّ أولى قولَيْهما بتأويل قول الله تعالى: ﴿إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ * فَإذَا قَرَأنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قول ابن عبّاس. لأنّ الله جلّ ثناؤه أمر نبيّه في غير آية من تنزيله باتّباع ما أُوحي إليه، ولم يرخّص له في ترك اتّباع شيء من أمره إلى وقت تأليفه القرآن. فكذلك قوله: ﴿فَإذَا قَرَأنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، نظير سائر ما في آي القرآن الّتي أمره الله فيها باتّباع ما أُوحي إليه في تنزيله.

ولو وَجب أن يكون معنى قوله: ﴿فَإذَا قَرَأنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، فإذا ألّفناه فاتبع ما ألّفنا لك فيه لوجب أن لا يكون كان لزمه فرض ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ ولا فرضُ ﴿يَاءَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[1] قبل أن يؤلّف إلى ذلك غيره من القرآن. وذلك إنْ قاله قائل، خروج من قول أهل الملّة.

وإذ صحّ أنّ حكم كلّ آية من آي القرآن كان لازمًا النّبيّ ﷺ اتّباعه والعمل به، مؤلّفة كانت إلى غيرها أو غير مؤلّفة ـ صحّ ما قال ابن عبّاس في تأويل قوله: ﴿فَإذَا قَرَأنَاهُ فَاتَّبِعْ

١ـ المدّثّر/ ١ـ ٢.

قُرْآنَهُ﴾، أنّه يعني به: فإذا بيّنّاه لك بقراءتنا، فاتّبع ما بيّنّاه لك بقراءتنا دون قول من قال: معناه، فإذا ألّفناه فاتّبع ما ألّفناه. وقد قيل إنّ قول الشّاعر:

ضَحَّوْا بِأشْمَطَ عُنْوانُ السُّجُود.. يُقَطِّع اللّيلَ تَسْبِيحًا وقُرْآنا

يعني به قائله: تسبيحًا وقراءة.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يسمّى قرآنًا بمعنى القراءة، وإنّما هو مقروء؟

قيل: كما جاز أن يسمّى المكتوب كتابًا، بمعنى: كتاب الكاتب، كما قال الشّاعر في صفة كتاب طلاقٍ كتبه لامرأته:

تُؤَمِّل رَجْعَةً مِنّي، وفيها كِتابٌ مثلُ ما لَصِقَ الغِراءُ

يريد: طلاقًا مكتوبًا، فجعل المكتوب كتابًا.

وأمّا تأويل اسمه الّذي هو فُرْقان، فإنّ تفسير أهل التّفسير جاء في ذلك بألفاظ مختلفة، هي في المعاني مؤتلفة.

٥ـ فقال عِكْرمة، فيما حدّثنا به ابن حُمَيد، قال: حدّثنا حَكّام بن سَلْم، عن عَنْبسة، عن جابر، عن عِكْرمة: أنّه كان يقول: هو النَّجاة. وكذلك كان السُّدّيّ يتأوّله.

٦ـ حدّثنا بذلك محمّد بن الحسين، قال: حدّثنا أحمد بن المُفَضَّل، قال: حدّثنا أسباط، عن السُّدّيّ وهو قول جماعة غيرهما. وكان ابن عبّاس يقول: الفرقان: المخرَج.

٧ـ حدّثني بذلك يحيى بن عُثمان بن صالح، قال: حدّثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عبّاس. وكذلك كان مجاهد يقول في تأويله بذلك.

٨ـ حدّثنا بذلك ابن حُمَيد، قال: حدّثنا حَكّام، عن عَنبسة، عن جابر، عن مجاهد. وكان مجاهد يقول في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾[١]، يوم فَرَقَ الله فيه بين الحقّ والباطل.

٩ـ حدّثني بذلك محمّد بن عمرو الباهليّ، قال: حدّثني أبو عاصم، عن عيسى بن ميمون،

١ـ الأنفال / ٤١.

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

وكلّ هذه التّأويلات في معنى الفرقان على اختلاف ألفاظها متقاربات المعاني. وذلك أنّ من جُعِل له مخرجٌ من أمر كان فيه، فقد جُعل له ذلك المخرج منه نجاةً. وكذلك إذا نُجّي منه، قد نُصِر على من بَغَاه فيه سُوءاً، وفُرِق بينه وبين باغيه السُّوء. فجميع ما روينا عمّن روينا عنه في معنى الفرقان، قول صحيح المعنى، لاتّفاق معاني ألفاظهم في ذلك.

وأصل الفُرقان عندنا: الفرق بين الشّيئين والفصل بينهما. وقد يكون ذلك بقضاء، واستنقاذ، وإظهار حُجَّة، ونَصْرٍ، وغير ذلك من المعاني المفرّقة بين المحقّ و المبطِل. فقد تبيّن بذلك أنّ القرآن سُمّي فرقانًا، لفَصْله بحُجَجه وأدلّته وحدود فرائضه وسائر معاني حُكمه بين المحقّ والمبطل. وفرقانُه بينهما: بنصره المحقّ، وتخذيله المبطل، حُكمًا وقضاءً.

وأمّا تأويل اسمه الّذي هو كتاب: فهو مصدر من قولك «كتبت كتابًا» كما تقول: قُمْت قيامًا، وحسبت الشّيء حسابًا. والكتاب: هو خطّ الكاتب حروف المعجم مجموعةً ومفترقةً. وسُمّي كتابًا، وإنّما هو مكتوب، كما قال الشّاعر في البيت الّذي استشهدنا به: وفيها كِتابٌ مثلَ ما لَصِقَ الغِراءُ. يعني به مكتوبًا.

أمّا تأويل اسمه الّذي هو ذِكْر: فإنّه محتمل معنيين:

أحدهما ـ أنّه ذكرٌ من الله جَلّ ذِكره، ذكَّر به عباده، فعرَّفهم فيه حدوده وفرائضه، وسائر ما أودعه من حُكمه.

والآخر ـ أنّه ذِكرٌ وشرَف وفَخرٌ لمن آمن به وصدَّق بما فيه، كما قال جَلّ ثناؤه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[1]، يعني به أنّه شرفٌ له ولقومه. (١: ٤١ ـ ٤٤)

---

١ ـ الزّخرف / ٤٤.

الفصل الثّالث

نصّ الأزهريّ (م: ٣٧٠) في «تهذيب اللّغة»

[معنى القرآن]

قال أبو إسحاق الزَّجّاج: يسمّى كلام الله الّذي أنزله على نبيّه ﷺ كتابًا، وقرآنًا، وفُرقانًا، وذِكْرًا. قال: ومعنى قرآن معنى الجمع. يقال: ما قرأتْ هذه النّاقة سَلًى قطّ، إذا لم يضطمّ رَحِمها على الولد. وأنشد: هِجانِ اللَّوْنِ لم تقرأ جَنينًا

قال: وقال أكثر النّاس: لم تجمع جنينًا، أي لم تضطمّ رَحِمها على الجنين. قال: وقال قُطْرب في القرآن قولين:

أحدهما ـ هذا وهو المعروف، والّذي عليه أكثر النّاس.

والقول الآخر ـ ليس بخارج من الصّحّة وهو حسن. قال: لم تقرأ جنينًا: لم تُلقِه. قال: ويجوز أن يكون معنى قرأت القرآن لفظت به مجموعًا أي ألقيته.

وأخبرني محمّد بن يعقوب الأصمّ، عن محمّد بن عبد الله بن عبد الحكم: أنّ الشّافعيّ أخبره أنّه قرأ القرآن على إسماعيل بن قُسْطَنطين. وكان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت. ولكنّه اسم لكتاب الله، مثل التّوراة والإنجيل. قال: ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن، كما تقول إذا قرأت القران.

وقال إسماعيل: قرأت على شِبل، وقرأ شِبل على عبد الله بن كثير، وأخبر عبد الله بن كثير أنّه قرأ على مجاهد، وأخبر مجاهد أنّه قرأ على ابن عبّاس، وأخبر ابن عبّاس أنّه قرأ على

أُبيّ، وقرأ أُبيّ على النّبيّ ﷺ.

وقال أبو بكر بن مجاهد المـُقرئ: كان أبو عمرو بن العَلاء لا يهمز القرآن، وكان يقرأه كما رُوي عن ابن كثير.

أبو عُبَيد: الأقراء: الحيض، والأقراء: الأطهار، وقد أقرأت المرأة في الأمرين جميعًا، وأصله من دُنوّ وقت الشّيء.

قلت: ونحو ذلك أخبرنا عبد الملك عن الرّبيع عن الشّافعيّ، أنّ القُرْء اسم للوقت، فلمّا كان الحيض يجيء لوقت والطُّهْر يجيء لوقت، جاز أن يكون الأقراء حيضًا وأطهارًا.

قال: ودلّت سُنّة رسول الله ﷺ على أنّ الله أراد بقوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[1]، الأطهار، وذلك أنّ ابن عمر لمـّا طلّق امرأته وهي حائض فاستفتى عُمَر النّبيّ ﷺ فيما فعل. قال: «مُرْهُ فليُراجعها، فإذا طَهُرَت فليُطلِّقْها، فتلك العدّة الّتي أمر الله أن يطلّق لها النّساء».

ذكر أبو حاتم عن الأصمعيّ أنّه قال في قول الله جَلَّ وعَزَّ: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ جاء هذا على غير قياس، والقياس ثلاثة أقْرُؤ، قال: ولا يجوز أن تقول: ثلاثة فلوس، إنّما يقال: ثلاثة أفْلُس، فإذا كَثُرت فهي الفُلوس. قال: ولا يقال: ثلاثة رجال، إنّما هي ثلاثة رَجْلَة، ولا يقال: ثلاثة كِلاب، إنّما هي ثلاثة أكْلُب.

قال أبو حاتم: والنّحويّون قالوا في قول الله جَلَّ وعَزَّ: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ أراد ثلاثة من القروء.

وقال أبو إسحاق الزَّجّاج: أخبرني مَن أثق به يرفعه إلى يونس أنّ الأقراء عنده تصلح للحيض والأطهار. قال: وذكر أبو عمرو بن العَلاء: أنّ القُرْء، الوقت، وهو يصلح للحيض ويصلح للطُّهْر. ويقال: هذا قارئ الرّياح لوقت هبوبها. وأنشد:

شَنِئتُ العَقْرَ عَقْرَ بني شُلَيلٍ إذا هَبّتْ لقارئها الرّياح

١ـ البقرة / ٢٢٨.

أي لوقت هبوبها وشدّة بردها .

قال أبو إسحاق: والّذي عندي في حقيقة هذا أنّ القُرْء في اللّغة الجمع ؛ وأنّ قولهم : قَرَيْتُ الماء في الحوض وإن كان قد أُلزم الياء فهو جَمَعتُ، وقرأتُ القرآن : لفظت به مجموعًا ، والقِرْد يقري ، أي يجمع ما يأكل في فيه ، فإنّما القَرْء اجتماع الدّم في الرَّحِم ، وذلك إنّما يكون في الطُّهْر .

قلت: وقد روينا عن الشّافعيّ بالإسناد المتقدّم في هذا الباب نحوًا ممّا قاله أبو إسحاق. وصحّ عن عائشة وابن عمر أنّهما قالا : الأقراء والقروء : الأطهار . وحقّق ما قالاه من كلام العرب . قول الأعشى :

مُوَرِّثةٍ عِزًّا و في الحيّ رِفْعَةً لِمَا ضاعَ فيها مِن قُرُوء نسائكا

لأنّ القُروء في هذا البيت الأطهار لا غير، لأنّ النّساء إنّما يؤتَيْن في أطهارهنّ لا في حيضهنّ،فإنّما ضاع بغيبته عنهنّ أطهارهنّ .

وقال أبو عُبَيد:القُرْء يصلح للحيض والطُّهْر.قال:وأظنّه من أقرأتِ النّجوم ، إذا غابت.

وأخبرني الإياديّ عن أبي الهيثم أنّه قال : يقال : ما قرأتِ النّاقة سَلًى قَطّ ، وما قرأتْ ملقوحًا قطّ . فقال بعضهم : أي لم تَحْمِل في رَحِمها ولدًا قطّ .

وقال بعضهم: ما أسقطَتْ ولدًا قطّ ، أي لم تَحْمِل . قال : ويقال : قرأت المرأة إذا طَهُرت ، وقرأتْ إذا حاضتْ . وقال حُمَيد :

أراها غُلاماها الخَلاَ فتشذَّرتْ مِراحًا ولم تَقْرأ جَنينًا ولا دَمًا

يقال: معناه لم تَحْمِل عَلَقَةً ، أي دمًا ولا جنينًا .

قلت : وأهل العراق يقولون: القُرْء : الحيض . وحجّتهم حديث رُوي عن النّبيّ ﷺ، أنّه قال لامرأة : « دَعِي الصّلاة أيّام أقرائك » ، أي أيّام حيضك .

وقال الكسائيّ والفَرّاء معًا : اقرأتِ المرأة إذا حاضت ، فهي مُقْرِئ .

وقال الفَرّاء : أقرأتِ الحاجة إذا تأخّرت . وقال الأخفش أيضًا : أقرأتِ المرأة ، إذا

حاضت. وما قرأت حيضة، أي ما ضمّت رَحِمها على حَيْضة.

وقال ابن شُمَيْل: يقال: ضَرَبَ الفَحْلُ النّاقةَ على غير قُرْء. وقُرْء النّاقة: ضَبَعَتُها.

وقال أبو عُبَيدة: ما دامت الوديق في وداقها فهي في قَرْئها وإقرائها.

أبوعُبَيد عن الأصمعيّ: إذا قَدِمْتَ بلادًا، فمكثت بها خمس عشرة ليلةً، فقد ذهبتْ عنك قِرْأة البلاد. وأهل الحجاز يقولون: قِرَة البلاد بغير همز. ومعناه أنّك إن مَرِضْتَ بعد ذلك فليس من وباء البلاد. قال: وقال أبو عمرو بن العَلاء: دفع فلان جاريته إلى فلانة تقرئها، أي تمسكها عندها حتّى تحيض للاستبراء.

أبو الحسن اللّحيانيّ يقول: قرأتُ القرآن وأنا أقرؤه وقراءة وقرآنًا، وهو الاسم، وأنا قارئ من قوم قُرّاء وقرأة وقارئين، وأقرأتُ غيري أقرئه إقراءً، ومنه قيل: فلان المقرئ.

ويقال: اقرأتُ من سفري، أي انصرفت؛ واقرأت من أهلي، أي دنوتُ، وأقرأت حاجتك وأقرأ أمرُك، قال بعضهم: دنا، وقال بعضهم: استأخر. ويقال: أعْتَم فلان قِراهُ وأقراه، أي حبسه. ويقال قرأت أي صرت قارئًا ناسكًا، وتقرّأت تَقَرّؤًا بهذا المعنى. وقال بعضهم: تَقَرّأتُ: تَفقّهتُ. ويقال: أقرأت في الشّعر. وهذا الشّعر على قَرْء هذا الشّعر، أي على طريقته مثاله. وقال ابن بُزرج: هذا الشّعر على قَرِيّ هذا الشّعر وغراره. وقال اللّحيانيّ: يقال: قارأتُ فلانًا مقارأة، أي دراسته. واستَقْرَأتُ فلانًا.

ويقال للنّاقة: ما قرأت سَلًى قطّ، أي ما طَرَحَتْ، تأويله: ما حَمَلَتْ. وهذه ناقة قارئ، وهذه نُوقٌ قوارئ يا هذا. وهو من إقراء المرأة، إلّا أنّه يقال في المرأة بالألف، وفي النّاقة بغير ألف. ويقال للنّاسك: أنّه لقُرّاء مثل حُسّان وجُمّال.

وقال ابن السّكّيت: قال الفَرّاء: رجل قُرّاءٌ وامرأة قُرّاءة. أبوحكم عن الأصمعيّ. يقال: اِقرأ عليه السّلام ولايقال: أقْرِئه السّلام، لأنّه خطأ. وسمعتُ أعرابيًّا أملَى عليّ كتابًا: وقال في آخره: اقترئ منّي السّلام. (٩: ٢٧١ ـ ٢٧٥)

الفصل الرّابع

نصّ ابن فارِس (م: ٣٩٥) في «معجم مقاييس اللّغة»

[المفهوم اللّغويّ للقرآن]

[قال بعد ذكر معنى مادّتي «قري» و «قرو» :] وإذا هُمِز هذا الباب كان هو والأوّل سواءً يقولون: ما قرأتْ هذه النّاقة سَلًى، كأنّه يُراد أنّها ما حَملَتْ قطّ. قال:

ذِراعَيْ حُرَّةٍ أدماءَ بَكْرٍ هِجانِ اللَّوْنِ لم تَقرأْ جَنينَا

قالوا: ومنه القرآن، كأنّه سُمّي بذلك لجَمعِه ما فيه من الأحكام والقِصَص وغير ذلك. فأمّا أقْرأتِ المرأة فيقال: أنّها من هذا أيضًا. وذكروا أنّها تكون كذا في حال طُهرها، كأنّها قد جَمَعَتْ دمها في جوفها فلم تُرْخِه. وناسٌ يقولون: إنّما إقراؤها: خروجُها من طُهرٍ إلى حيض، أو حيضٍ إلى طُهْر.

قالوا: والقُرْء: وقتٌ، يكون للطُّهر مرّة وللحيض مرّة. ويقولون: هبّت الرِّياح لقارئها: لوقتها. وينشدون:

شَنِئتُ العَقْرَ عَقْرَ بني شُلَيْلٍ إذا هَبّتْ لقارئها الرِّياح

وجملة هذه الكلمة أنّها مشكلة. وزعم ناس من الفقهاء أنّها لا تكون إلّا في الطُّهر...

(٥ : ٤٨)

الفصل الخامس

نصّ الدّامغانيّ (م: ٤٨٧) في «الوجوه والنّظائر في القرآن»

[في ذكر بعض أسماء القرآن وصفاته]

الفرقان

الفرقان على ثلاثة أوجه: النّصر، المخرج من الضّلال، القرآن.

فوجه منها ـ الفرقان يعني النّصر، قوله تعالى: ﴿وَاِذْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ [1]، يعني النّصر، فرق بين الحقّ والباطل فنصر الله بنبيّه وهزم عدوّه.

الوجه الثّاني ـ الفرقان يعني المخرج، قوله: ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدٰى وَالْفُرْقَانِ﴾ [2]، يعني المخرج في الدّين من الشّبهة والضّلالة، كقوله: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [3]، يعني مخرجًا في الدّين من الشّبهة والضّلالة.

الوجه الثّالث ـ الفرقان يعني القرآن، قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلٰى عَبْدِهِ﴾ [4]. يعني القرآن، فيه المخرج من الشّبهة والضّلالة، كقوله: ﴿وَاَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [5]، يعني القرآن، فيه

---

١ ـ البقرة / ٥٣.

٢ ـ البقرة / ١٨٥.

٣ ـ الأنفال / ٢٩.

٤ ـ الفرقان / ١.

٥ ـ آل عمران / ٤.

المخرج من الشّبهة والضّلال. (٦١٠-٦١١)

الذّكر

الذّكر على ثمانية عشر وجهًا: العمل الصّالح، الذّكر باللّسان، الذّكر بالقلب، ذكر الأمر، الحفظ، العظة، الشّرف، الخبر، الوحي، القرآن، التّوراة، اللّوح المحفوظ، البيان، التّفكّر، الصّلوات الخمس، صلوة واحدة، التّوحيد، الرّسول.

فوجه منها ـ الذّكر: العمل الصّالح، قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [١]، يعني أذكروني بالطّاعة أذكركم بخير يعني أطيعون.

والوجه الثّاني ـ الذّكر باللّسان: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ [٢] يعني باللّسان ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾، نظيرها في آل عمران / ١٠٣ وكقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [٣] يعني الذّكر باللّسان، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤] يعني باللّسان.

والوجه الثّالث ـ الذّكر يعني بالقلب: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ﴾ [٥] يعني ذكروا بالقلب في أنفسهم.

والوجه الرّابع ـ الذّكر يعني اذكر أمري عند فلان، قوله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [٦]، يقول: اذكر أمري عند ربّك، أي عند الملك، قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾، ﴿وَاذْكُرْ

---

١ ـ البقرة / ١٥٢.

٢ ـ النّساء / ١٠٣.

٣ ـ البقرة / ٢٠٠.

٤ ـ الأحزاب / ٤١.

٥ ـ آل عمران / ١٣٥.

٦ ـ يوسف / ٤٢.

فِي الْكِتَابِ اِبْرَاهِيمَ﴾ [1]. يقول: يا محمّد اذكُر لأهل مكّة، أمر إبراهيم و كذلك أمر موسى وإسماعيل و إدريس.

والوجه الخامس ـ الذّكر يعني الحفظ قوله تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [2] يعني واحفظوا ما فيه، نظيرها في سورة البقرة/ ٢٣١ و نحوه كثير.

والوجه السّادس ـ الذّكر يعني العظة، قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [3] أي ما وعظوا به، نظيرها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [4]، كقوله: ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ [5] أي وعّظتم، وكقوله: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [6] يعني وعظ بالقرآن، كقوله: ﴿فَذَكِّرْ اِنَّمَا اَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [7] يعني عِظ إنّما أنت واعظ و نحوه كثير.

والوجه السّابع ـ الذّكر يعني الشّرف، قوله: ﴿وَاِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ﴾ أي لشرف لك ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾، كقوله: ﴿بَلْ آتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ [8] يعني بشرفهم، كقوله: ﴿لَقَدْ اَنْزَلْنَا اِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [9] يعني شرفكم.

والوجه الثّامن ـ الذّكر يعني الخبر، قوله تعالى: ﴿هٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ [10]

١ـ مريم / ٤١.

٢ـ البقرة / ٦٣.

٣ـ الأنعام / ٤٤.

٤ـ الأعراف / ١٦٥.

٥ـ يس / ١٩.

٦ـ ق / ٤٥.

٧ـ الغاشية / ٢١.

٨ـ المؤمنون / ٧١.

٩ـ الأنبياء / ١٠.

١٠ـ الأنبياء / ٢٤.

يعني هذا خبر من معي وخبر من قبلي، كقوله: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [١] أي خبرًا من الأوّلين، كقوله: ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ [٢] يعني خبرًا.

والوجه التّاسع ـ الذّكر يعني الوحي، قوله: ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾ [٣] يعني الوحي، كقوله: ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [٤] يعني الوحي، قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ [٥] يعني الوحي، كقوله: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [٦] يعني وحيًا.

والوجه العاشر ـ الذّكر يعني القرآن، قوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ [٧] يعني القرآن، كقوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [٨] يعني القرآن ونحوه كثير.

والوجه الحادي عشر ـ الذّكر يعني التّوراة، قوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [٩] يعني أهل التّوراة، عبدالله بن سلّام وأصحابه.

والوجه الثّاني عشر ـ الذّكر يعني اللّوح المحفوظ، قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ يعني اللّوح المحفوظ.

والوجه الثّالث عشر ـ الذّكر يعني البيان، كقوله: ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [١٠] يعني ذي

---

١ ـ الصّافّات / ١٦٨.

٢ ـ الكهف / ٨٣.

٣ ـ القمر / ٢٥.

٤ ـ الصّافّات / ٣.

٥ ـ الحجر / ٦.

٦ ـ المرسلات / ٥.

٧ ـ الأنبياء / ٥.

٨ ـ الزّخرف / ٥.

٩ ـ الأنبياء / ٧.

١٠ ـ ص / ١.

البيان، كقوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[1] يعني البيان، وكقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[2] يعني بيانًا.

والوجه الرّابع عشر ـ الذّكر يعني التّفكّر، قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني تفكّرًا، نظيرها في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[3] يعني تفكّرًا، مثلها في يس / ٦٩.

والوجه الخامس عشر ـ الذّكر يعني الصّلوات الخمس، قوله: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾[4] يعني صلّوا الله الصّلوات الخمس ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، كقوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[5] يعني عن الصّلوات الخمس، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[6] عن الصّلوات الخمس.

والوجه السّادس عشر ـ الذّكر يعني الصّلوة الواحدة، قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[7] يعني صلاة الجمعة، كقوله: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾[8] يعني عن صلاة العصر وحدّها.

والوجه السّابع عشر ـ الذّكر يعني التّوحيد، قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾[9] يعني عن توحيدي، نظيره: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾[10] يعني عن توحيد الرّحمٰن.

---

١ ـ الأعراف / ٦٢.

٢ ـ ص / ٨٧.

٣ ـ التّكوير / ٢٧.

٤ ـ البقرة / ٢٣٩.

٥ ـ النّور / ٣٧.

٦ ـ المنافقون / ٩.

٧ ـ جمعة / ٩.

٨ ـ ص / ٣٢.

٩ ـ طه / ١٢٤.

١٠ ـ الزّخرف / ٣٦.

والوجه الثّامن عشر ـ الذّكر يعني به الرّسول، قوله: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۞ رَسُولًا﴾ [١] وكقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [٢] يعني من رسول. (٣٣٣ـ٣٣٩)

الكتاب

الكتاب على عشرة أوجه: الكتابة، الحساب، اللّوح المحفوظ، العدّة، أعمال بني آدم، الرّزق و الأجل، القرآن، التّوراة، الإنجيل، الفرض.

فوجه منها ـ الكتاب يعني الكتابة، قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [٣]، الكتاب: الكتابة، والحكمة: الحرام و الحلال، مثلها في المائدة / ١١٣.

والوجه الثّاني ـ الكتاب يعني الحساب، قوله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ [٤] يعني إلى حسابها.

والوجه الثّالث ـ الكتاب يعني اللّوح المحفوظ، قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [٥] وقوله: ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [٦] يعني اللّوح المحفوظ ونحوه كثير.

والوجه الرّابع ـ الكتاب يعني العدّة، قوله: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [٧] يعني عدّة المرأة.

والوجه الخامس ـ الكتاب يعني أعمال بني آدم، قوله: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [٨] يعني أعمال الأبرار، مثلها: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [٩]، ونحوه كثير.

١ـ الطّلاق / ١٠.

٢ـ الأنبياء / ٢.

٣ـ آل عمران / ٤٨.

٤ـ الجاثية / ٢٨.

٥ـ الحديد / ٢٢.

٦ـ ق / ٤.

٧ـ البقرة / ٢٣٥.

٨ـ المطفّفين / ١٨.

٩ـ المطفّفين / ٧.

والوجه السّادس ـ الكتاب يعني الرّزق والأجل، قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾[1] يعني أجلًا و رزقًا معلومًا، كقوله: ﴿كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾[2] يعني وقتًا موقّتًا.

والوجه السّابع ـ الكتاب يعني القرآن، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾[3] يعني القرآن، ونحوه كثير.

والوجه الثّامن ـ الكتاب يعني التّوراة، قوله: ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾[4] يعني التّوراة ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني التّوراة.

والوجه التّاسع ـ الكتاب: الإنجيل، قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾[5] يعني يا أهل الإنجيل، ونحوه كثير.

والوجه العاشر ـ الكتاب يعني الفرض، قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[6] يعني فرض الله لكم تحليل الأربعة. (٧٠٠ـ٧٠٣)

التّنزيل

التّنزيل على تسعة أوجه: القول، الخلق، إنزال المطر، البيان، الهبوط، الثّواب، الإرسال، البسط في الرّزق، الأعلام.

فوجه منها ـ التّنزيل يعني القول، قوله: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾[7] يعني سأقول مثل ما قال الله عزّ وجلّ، مثلها: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ و نحوه.

١ـ الحجر / ٤.

٢ـ آل عمران / ١٤٥.

٣ـ فُصّلت / ٤١.

٤ـ آل عمران / ٧٨.

٥ـ آل عمران / ٦٤.

٦ـ النّساء / ٢٤.

٧ـ الأنعام / ٩٣.

والوجه الثّاني ـ أنزلنا: خلقنا، قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾[1] يعني خلقنا الحديد.

والوجه الثّالث ـ إنزال المطر من السّماء، قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾[2]، ونحوه كثير.

والوجه الرّابع ـ التّنزيل: البيان، قوله: ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[3] يعني وبيّنّاه تبيانًا.

والوجه الخامس ـ التّنزيل يعني الهبوط، قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[4] أي أهبطني مهبطًا مباركًا، يعني من السّفينة إلى الأرض.

والوجه السّادس ـ النّزل، الثّواب، قوله: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا﴾[5] يعني ثوابًا، كقوله: ﴿وَنُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[6] يعني ثوابًا.

والوجه السّابع ـ التّنزيل: الإرسال، فذلك قوله: ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾[7] أي لأرسل رسُلًا من الملائكة، كقوله: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾[8].

والوجه الثّامن ـ الإنزال أي البسط، قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾[9] أي يبسط و يرزق.

والوجه التّاسع ـ التّنزيل: التّعليم، قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ أي علّم جبريل النّبيّ ﷺ كقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي علّمناه. (١٧٧ ـ ١٨٠)

---

١ ـ الحديد / ٢٥.

٢ ـ ق / ٩.

٣ ـ الإسراء / ١٠٦.

٤ ـ المؤمنون / ٢٩.

٥ ـ الصّافّات / ٦٢.

٦ ـ فصّلت / ٣٢.

٧ ـ فصّلت / ١٤.

٨ ـ المؤمنون / ٢٤.

٩ ـ الشّورى / ٢٧.

الهــُدٰى

الهدٰى على سبعة عشر وجهًا:

فوجه منها ـ الهدٰى يعني البيان، قوله: ﴿أُولـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾[1] يعني على بيان، كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾[2] يعني بيّنّا لهم، كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾[3]. وقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[4] يعني بيّنّا له الطّريقين، كقوله: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾[5] و﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾[6] ونحوه كثير.

والوجه الثّاني ـ الهُدى يعني دين الإسلام، قوله: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾[7] يعني على دين الإسلام، كقوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدٰى﴾[8] يعني دين الإسلام مثلها في آل عمران/ ٧٣.

والوجه الثّالث ـ الهُدى يعني الإيمان، قوله: ﴿وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾[9]، كقوله: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ يعني إيمانًا، نظيرها: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدٰى﴾[10] يعني عن الإيمان، ونحوه كثير.

---

١ ـ البقرة/ ٥.

٢ ـ فصّلت/ ١٧.

٣ ـ الإنسان/ ٤.

٤ ـ البلد/ ١٠.

٥ ـ طه/ ١٢٨. والسّجدة/ ٢٦.

٦ ـ الأعراف/ ١٠٠.

٧ ـ الحجّ/ ٦٧.

٨ ـ البقرة/ ١٢٠.

٩ ـ مريم/ ٧٦.

١٠ ـ سبأ/ ٣٢.

والوجه الرّابع ـ الهُدى يعني الدّعاء، قوله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [١] يعني داعٍ، كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِى﴾ [٢] أي لتدعوا، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ [٣] يعني يدعون، وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [٤] يعني يدعون بالحقّ، مثلها: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [٥]، مثلها: ﴿يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ﴾ [٦] يعني يدعوا إلى الحقّ، كقوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [٧]، وقوله: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [٨] يعني ادعوهم إلى وسط الجحيم.

والوجه الخامس ـ الهُدى يعني المعرفة، قوله: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [٩] يعني يعرفون السُّبُل، مثلها: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٠] يعني تعرفون الطُّرُق، كقوله: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [١١] يعني عرف أنّ الهُدى الّذي ذكر ثوابًا، ومثلها: ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِى﴾ [١٢] أتعرف السّرير، ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ونحوه كثير.

١ـ الرّعد / ٧.

٢ـ الشّورى / ٥٢.

٣ـ الأنبياء / ٧٣.

٤ـ الأعراف / ١٥٩.

٥ـ الأعراف / ١٨١.

٦ـ الأحقاف / ٣٠.

٧ـ الجنّ / ١ـ٢.

٨ـ الصّافّات / ٢٣.

٩ـ النّحل / ١٦.

١٠ـ الزُّخرف / ١٠.

١١ـ طه / ٨٢.

١٢ـ النّمل / ٤١.

والوجه السّادس ـ الهـُدى يعني الرُّسُل و الكُتُب، قولـه تعـالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ [١] يعني الرُّسُل و الكتب، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ يعني رسولي و كتابي، مثلها: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ [٢] يعني رُسُلي و كُتُبي.

والوجه السّابع ـ الهـُدى: الرّشد، قوله: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [٣] يعني أن يرشدني، كقوله: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [٤] يعني من يرشدني إلى الطّريق، مثلـها كقولـه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يعني أرشدنا.

والوجه الثّامن ـ الهدى يعني أمر محمّد ﷺ قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ [٥] يعني أمر محمّد ﷺ كقوله: ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ [٦].

والوجه التّاسع ـ الهـُدى يعني القرآن، قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [٧] يعني القرآن، مثلها: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ [٨] يعني القرآن، مثلـها في بني إسرائيل/٩٤.

والوجه العاشر ـ الهـُدى يعني التّوراة، قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ [٩] يعني التّوراة، مثلها: في تنزيل السّجدة/٢٣، كقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [١٠] يعني التّوراة.

١ـ البقرة/٣٨.

٢ـ طه/١٢٣.

٣ـ القصص/٢٢.

٤ـ طه/١٠.

٥ـ البقرة/١٥٩.

٦ـ محمّد/٣٢.

٧ـ النّجم/٢٣.

٨ـ الكهف/٥٥.

٩ـ المؤمن/٥٣.

١٠ـ الإسراء/٢.

والوجه الحادي عشر ـ الهُدى يعني الاسترجاع عند المصيبة، قوله في: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [1] يعني الاسترجاع، مثلها: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [2] عند المصيبة الاسترجاع.

والوجه الثّاني عشر ـ لايهدي إلى الحجّة، قوله: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [3] يعني لايهدي إلى الحجّة، مثلها: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [4] ونحوه كثير.

والوجه الثّالث عشر ـ الهُدى يعني التّوحيد، قوله: ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ [5] يعني التّوحيد معك، كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾ [6] يعني بالتّوحيد.

والوجه الرّابع عشر ـ الهُدى يعني السُّنّة، قوله: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [7] يقول: مقتدون مستنّون بسُنّتهم، كقوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [8] يقول: بسُنّتهم استَنّ.

والوجه الخامس عشر ـ لايهدي أي لايصلح، قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [9] يعني لايصلح عمل الزّناة.

والوجه السّادس عشر ـ الهُدى يعني الإلهام، قوله: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ

---

١ ـ البقرة / ١٥٧.

٢ ـ التّغابن / ١١.

٣ ـ البقرة / ٢٥٨.

٤ ـ التّوبة / ١٩.

٥ ـ القصص / ٥٧.

٦ ـ التّوبة / ٣٣، الفتح / ٢٨، الصّفّ / ٩.

٧ ـ الزُّخرف / ٢٢.

٨ ـ الأنعام / ٩٠.

٩ ـ يوسف / ٥٢.

ثُمَّ هَدٰى ﴾[١] يعني ألهمه كيف يأتي معيشته ومرعاه، كقوله في سورة الأعلى/٣: ﴿وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدٰى﴾ يعني خلق الذّكر والأُنثى، ثمّ ألهم كيف يأتيها و تأتيه.

والوجه السّابع عشر ـ هُدْنا يعني تُبْنا، قوله: ﴿اِنَّا هُدْنَا اِلَيْكَ﴾ يعني تُبنا إليك.

النـّور

النّور على عشرة أوجه:

فوجه منها ـ النّور يعني دين الإسلام، قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ اَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِاَفْوَاهِهِمْ﴾[٢] يعني دين الله، نظيرها في الصّفّ/٨: ﴿يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ...﴾ يعني لدينه الإسلام.

والوجه الثّاني ـ النّور يعني الإيمان، قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾[٣] يعني به إيمانًا ﴿يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ﴾ يعني إيمانًا يهدي به، كقوله: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾[٤] يعني إيمانًا تهتدون به، وقوله: ﴿اَللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ اٰمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ﴾ يعني من الكفر إلى الإيمان.

والوجه الثّالث ـ النّور يعني الهُدى، قوله تعالى: ﴿اَللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾[٥] يعني هادي السّماوات و الأرض.

والوجه الرّابع ـ النّور يعني النّبيّ ﷺ قوله: ﴿نُورٌ عَلٰى نُورٍ﴾[٦] يعني نبيّ بعد نبيٍّ.

والوجه الخامس ـ نور يعني ضوء النّهار، قوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ

١ـ طه/ ٥٠.

٢ـ التّوبة/ ٣٢.

٣ـ الأنعام/ ١٢٢.

٤ـ الحديد/ ٢٨.

٥ـ النّور/ ٣٥.

٦ـ النّور/ ٣٥.

وَالنُّورَ﴾ [1] يعني ضوء النّهار.

والوجه السّادس ـ نور يعني ضوء القمر، فذلك قوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [2] يعني جعل القمر مع السّماوات نورًا ضياءً يستضيء به أهل الأرض، كقوله: ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [3] يعني مُضيئًا لأهل الأرض.

والوجه السّابع ـ النّور: ضوء يعطى الله عَزَّوجَلَّ المؤمن على الصّراط، فذلك قوله عن المنافقين: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [4] يعني من ضوؤكم، وقوله: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [5] يعني ضوء الّذي يعطى الله المؤمنين على الصّراط.

والوجه الثّامن ـ النّور يعني بيان الحلال و الحرام و الأحكام و المواعظ الّتي في التّوراة، فهو بمنزلة الضّوء في الظّلمة، كقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرٰيةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [6]. وقوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسٰى نُورًا﴾ [7] يعني ما فيه من بيان الحلال و الحرام و الأمر و النّهي.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسٰى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ [8] يعني ما في التّوراة من البيان.

والوجه التّاسع ـ النّور يعني بيان الحلال و الحرام الّذي في الفرقان، فذلك قوله: ﴿فَآمِنُوا

١ـ الأنعام / ١.

٢ـ نوح / ١٦.

٣ـ الفرقان / ٦١.

٤ـ الحديد / ١٣.

٥ـ التّحريم / ٨.

٦ـ المائدة / ٤٤.

٧ـ الأنعام / ٩١.

٨ـ الأنبياء / ٤٨.

بالله وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِى اَنْزَلْنَا﴾ [١] يعني القرآن فيه بيان الحلال و الحرام، وقوله: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾ [٢] يعني القرآن، وقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى اُنْزِلَ مَعَهُ اُولئكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٣] يعني القرآن.

والوجه العاشر ـ النّور: العدل، قوله: ﴿وَاَشْرَقَتِ الْاَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [٤] يعني بعدل ربّها.

(٧٩٨ـ٨٠١)

الشّفاء

الشّفاء على أربعة أوجه: الفرج، العافية، البيان، الطّرف.

فوجه منها ـ الشّفاء يعني الفَرَج، قوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [٥] يعني يفرّج قلوبهم.

والوجه الثّاني ـ الشّفاء: العافية، قوله: ﴿وَاِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ كقوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْاٰنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

والوجه الثّالث ـ الشّفاء: البيان، قوله: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِى الصُّدُورِ﴾ [٦] يعني بيانًا، كقوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ اٰمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [٧] يعني بيانًا ... (ص: ٤٦٧)

الحكمة

الحكمة على خمسة أوجه: العظة، الفهم، النّبوّة، القرآن، تفسير القرآن.

١ـ التّغابن / ٨.

٢ـ الشّورى / ٥٢.

٣ـ الأعراف / ١٥٧.

٤ـ الزّمر / ٦٩.

٥ـ التّوبة / ١٤.

٦ـ يونس / ٥٧.

٧ـ فصّلت / ٤٤.

فوجه منها ـ الحكمة يعني العظة من مواعظ الّتي في القرآن و الأمر و النّهي، قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾[1] يعني المواعظ الّتي في القرآن، كقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[2] يعني المواعظ الّتي في القرآن من الحلال و الحرام.

والوجه الثّاني ـ الحكمة يعني الفهم و العلم، قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾[3] يعني الفهم و العلم، و كذلك: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[4] يعني الفهم و العلم.

والوجه الثّالث ـ الحكمة يعني النّبوّة، قوله: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[5] يعني النّبوّة، قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾[6] يعني النّبوّة مع الكتاب، وقال لداود: ﴿وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾[7] يعني النّبوّة مع الزّبور.

والوجه الرّابع ـ الحكمة يعني تفسير القرآن، قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾[8] يعني تفسير القرآن، مثلها: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ يعني تفسير القرآن. ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

و الوجه الخامس ـ الحكمة يعني القرآن، قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[9] يعني بالقرآن. (٢٥٠ـ٢٥٢)

١ـ البقرة / ٢٣١.

٢ـ آل عمران / ١٦٤.

٣ـ لقمان / ١٢.

٤ـ مريم / ١١.

٥ـ النّساء / ٥٤.

٦ـ ص / ٢٠.

٧ـ البقرة / ٢٥١.

٨ـ البقرة / ٢٦٩.

٩ـ النّحل / ١٢٥.

الفصل السّادس

نصّ الطّوسيّ (م: ٤٦٠) في «التّبيان في تفسير القرآن»

فصل في ذكر أسامي القرآن

القرآن

سمّى الله تعالى القرآن بأربعة أسماء... [وذكر كما تقدّم نحوه عن الطّبريّ، ثمّ قال:].

وتسميته بالقرآن تحتمل أمرين:

أحدهما ـ ما رُوي عن ابن عبّاس، أنّه قال: هو مصدر قرأت قرآنًا أي تلوتُه، مثل: غفرتُ غُفرانًا، وكفرتُ كُفرانًا.

والثّاني ـ ما حُكي عن قَتادة، أنّه قال: هو مصدر قرأتُ الشّيء إذا جمعتُ بعضه إلى بعض... [وذكر شعر ابن كلثوم كما تقدّم سابقًا، فقال:]

وقال قُطْرُب: في معناه قولان: أحدهما: هذا وعليه أكثر المفسّرين، وقال قولًا آخر معناه لفظت به مجموعًا وقال: معنى البيت أيضًا أي لم تلقه مجموعًا وتفسير ابن عبّاس أولى، لأنّ قوله تعالى: ﴿اِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْاٰنَهُ * فَاِذَا قَرَاْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْاٰنَهُ﴾.

والوجه المختار أن يكون المراد وإذ تلوناه عليك، وبيّنّاه لك، فاتّبع تلاوته، ولو حملناه على الجمع ـ على ما قال قَتادة ـ لكان يجب ألّا يلزم إتباع آيةً آيةً من القرآن النّازلة في كلّ وقت، وكان يقف وجوب الإتباع على حين الجمع، لأنّه علّقه بذلك على هذا القول، لأنّه قال: ﴿فَاِذَا قَرَاْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْاٰنَهُ﴾، يعني: جمعناه على ما قالوه فاتّبع قرآنه، وكان يقف وجوب

الإتباع على تكامل الجميع، وذلك خلاف الإجماع فالأوّل أولى.

فإن قيل: كيف يسمّي القراءة قرآنًا، وإنّما هو مقروء؟...[و ذكر كما تقدّم نحوه عن الطّبريّ، ثمّ قال:]

الفرقان

و تسميته بأنّه فُرقان، لأنّه يفرق بين الحقّ والباطل. والفُرقان هو الفرق بين الشّيئين. وإنّما يقع الفرق بين الحقّ والباطل بأدلّته الدّاالّة على صحّة الحقّ، وبطلان الباطل.

الكتاب

و تسميته بالكتاب، لأنّه مصدر من قولك، كتبتُ كتابًا، كما تقول: قمتُ قيامًا. وسُمّي كتابًا و إنّما هو مكتوب، كما قال الشّاعر في البيت المتقدّم. والكتابة مأخوذة من الجمع في قولهم: كتبتُ السّقاء إذا جمعته بالخَرَز، قال الشّاعر:

لا تأمننّ فزاريًا خلوتَ به   على قلوصك فاكتبها بأسيار

والكَتَبة، الخَرْزَة. وكلّما ضممت بعضه إلى بعض على وجه التّقارب فقد كتبته والكُتَيّب من الجيش، من هذا لانضمام بعضها إلى بعض.

الذّكر

و تسميته بالذّكر، ويحتمل أمرين:

أحدهما ـ أنّه ذِكْرٌ من الله تعالى ذكّر به عباده، فعرّفهم فيه فرائضه، وحدوده.

والآخر ـ أنّه ذِكْرٌ وشرَفٌ لمن آمن به وصدّق بما فيه. كقوله: ﴿وَاِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[1].

(١: ١٧ ـ ١٩)

---

١ ـ الزّخرف / ٤٤.

[أسماء القرآن انتقاءً من تفسيره]

بيان

مثل قوله تعالى : ﴿هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، قال الحسن وقَتادة : قوله : « هذا » إشارة إلى القرآن ، ووصفه بأنّه بيان ، لأنّه دلالة للنّاس ، وحجّة لهم ، والبيان هو الدّلالة . وقال ابن إسحاق : هو إشارة إلى ما تقدّم ذكره في قوله : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ...﴾ الآية ، أي هذا الّذي عرّفتكم بيان للنّاس ، وهو اختيار البلخيّ ، والطّبريّ .

والفرق بين البيان ، والهُدَى ـ على ما قاله الرُّمّانيّ ـ أنّ البيان إظهار المعنى للنّفس كائنًا ما كان . والهدى : بيان لطريق الرُّشد ، ليسلك دون طريق الغيّ . والموعظة ما يلين القلب ويدعو إلى التّمسّك ، بما فيه من الزّجر عن القبيح ، والدّعاء إلى الجميل . (٢ : ٥٩٩)

بلاغ

كقوله تعالى : ﴿هٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ...﴾[2]، قال ابن زيد وغيره من المفسّرين : هو إشارة إلى القرآن ، ففيه بلاغ للنّاس ، لأنّ فيه البيان عن الإنذار والتّخويف ، وفيه البيان عمّا يوجب الإخلاص بما ذكر من الإنعام الّذي لا يقدر عليه إلّا الله . (٦ : ٣١١)

تبيان

مثل قوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3] ... ثمّ قال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن تبيانًا لكلّ شيء أي بيانًا لكلّ أمر مشكل. والتّبيان والبيان واحد. ومعنى العموم في قوله: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ المراد به من أمور الدّين: إمّا بالنّصّ عليه أو الإحالة على ما يوجب العلم من بيان النّبيّ ﷺ والحُجَج القائمين

---

١ ـ آل عمران / ١٣٨.

٢ ـ إبراهيم / ٥٢.

٣ ـ النّحل / ٨٩.

مقامه، أو إجماع الأُمّة أو الاستدلال، لأنّ هذه الوجوه أُصول الدّين وطريق موصلة إلى معرفته ... وقوله: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرٰى﴾ يعني: القرآن دلالة ورحمة وبشارة للمسلمين بالجنّة.
(٦: ٤١٨)

الذّكر

كقوله تعالى: ﴿وَالْقُرْاٰنِ ذِى الذِّكْرِ﴾ [1]، قال ابن عبّاس: ذي الشّرف، وقال الضّحّاك وقَتادة: ذي التّذكّر. وقيل: معناه ذي الذّكر للبيان والبرهان، المؤدّي إلى الحقّ، الهادي إلى الرّشد، الرّادع عن الغيّ، وفيه ذكر الأدلّة الّتي من تمسّك بها سعد. ومن عدل عنها شقي. ومن عمل بها نجا. ومن ترك العمل بها هلك.. (٨: ٥٤١)

المجيد

في قوله تعالى: ﴿قٓ وَالْقُرْاٰنِ الْمَجِيدِ﴾ [2]، والمجيد العظيم الكرم. و وصف القرآن وبعثه بأنّه مجيد معناه أنّه عظيم القدر عالي الذّكر. (٩: ٣٥٧)

وقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْاٰنٌ مَجِيدٌ﴾ [3] أي كريم، فالمجيد الكريم العظيم، الكريم بما يعطي من الخير، فلمّا كان القرآن يعطي المعاني الجليلة والدّلائل النّفيسة، كان كريمًا مجيدًا بما يعطي من ذلك، لأنّ جميعه حكم. وقيل: الحكم على ثلاثة أوجه لا رابع لها: معنى يعمل عليه فيما يخشى ويتّقي، وموعظة تلين القلب للعمل بالحقّ، وحجّة تؤدّي إلى تمييز الحقّ من الباطل في علم دين أو دنيا، وعلم الدّين أشرفهما وجميع ذلك موجود في القرآن. (١٠: ٣٢١-٣٢٢)

١- صٓ/ ١.

٢- قٓ/ ١.

٣- البروج/ ٢١.

الفصل السّابع

نصّ الرّاغب الأصفهانيّ (م: ٥٠٢) في «المفردات ...»

[في ذكر أسماء ثلاثة للقرآن و معناها]

١ـ القرآن

قرأت المرأة: رأت الدّم، واقرأت: صارت ذات قُرء، وقرأت الجارية: استبرأتها بالقُرْء. والقُرْء في الحقيقة: اسم للدّخول في الحيض عن طُهْر. ولمّا كان اسمًا جامعًا للأمرين الطُّهر والحيض المتعقّب له أطلق على كلّ واحد منهما؛ لأنّ كلّ اسم موضوع لمعنيين معًا يطلق على كلّ واحد منهما إذا انفرد، كالمائدة: للخوان وللطّعام، ثمّ قد يسمّى كلّ واحد منهما بانفراده به. وليس القرء اسمًا للطُّهْر مجرّدًا، ولا للحيض مجرّدًا بدلالة أنّ الطّاهر الّتي لم تر أثر الدّم لايقال لها: ذات قُرْء. وكذا الحائض الّتي استمرّ بها الدّم والنّفساء لايقال لها ذلك.

وقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[1]، أي: ثلاثة دخول من الطُّهر في الحيض. وقوله عليه الصّلاة والسّلام: «اقعُدي عن الصّلاة أيّام أقرائك»، عن عُدَيّ بن ثابت أنّ النّبيّ ﷺ قال لإمرأة: «دَعي الصّلاة أيّام أقرائك» أي أيّام حيضك، فإنّما هو كقول القائل: أفعل كذا أيّام ورود فلان، ووروده إنّما يكون في ساعة وإن كان ينسب إلى الأيّام.

وقول أهل اللّغة: إنّ القُرء من قرأ، أي: جَمَع، فأنّهم اعتبروا الجمع بين زمن الطُّهر وزمن الحيض حسبما ذكرت لاجتماع الدّم في الرَّحِم.

١ـ البقرة/ ٢٢٨.

والقراءة: ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في التّرتيل، وليس يقال ذلك لكلّ جمع، لايقال: قرأت القوم، إذا جمعتهم، ويدلّ على ذلك أنّه لايقال للحرف الواحد إذا تُفُوّه به قراءة، والقرآن في الأصل مصدر، نحو: كُفران ورُجْحان.

قال تعالى: ﴿إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه﴾[١]، قال ابن عبّاس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعْمل به، وقد خصّ بالكتاب المُنزَل على محمّد ﷺ، فصار له كالعلم كما أنّ التّوراة لمـّا أُنزل على موسى، والإنجيل على عيسى صلى الله عليهما وسلّم.

قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآنًا من بين كُتُب الله لكونه جامعًا لثمرة كُتُبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٢]، وقوله: ﴿تبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[٣]، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[٤]، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ﴾[٥]، ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾[٦]، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أي: قراءته، ﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾، وأقرأت فلانًا كذا. قال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾[٧]، وتقرّأت: تفهّمت، وقارأته: دارسته. (٤٠١ـ٤٠٢)

٢ـ الفرقان

وقوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾، أي: بيّنّا فيه الأحكام وفصّلناه. وقيل: «فرّقناه» أي: أنزلناه مفرّقًا، والتّفريق أصله للتّكثير، ويقال ذلك في تشتيت الشّمل والكلمة.

نحو: ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾[٨]، ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي

١ـ القيامة/ ١٧ـ١٨.

٢ـ يوسف/ ١١١.

٣ـ النّحل/ ٨٩.

٤ـ الزُّمر/ ٢٨.

٥ـ الإسراء/ ١٠٦.

٦ـ الرّوم/ ٥٨.

٧ـ الأعلى/ ٦.

٨ـ البقرة/ ١٠٢.

إِسْرَائِيلَ﴾ [١]، وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [٢]، وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، إنّما جاز أن يجعل التّفريق منسوبًا إلى «أحدٍ» من حيث إنّ لفظ «أحد» يفيد في النّفي، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ [٣]، وقُرئ: «فارقوا» والفِراق والمفارقة تكون بالأبدان أكثر.

قال: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [٤]، وقوله: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ [٥]، أي: غلب على قلبه أنّه حين مفارقته الدّنيا بالموت، وقوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ﴾ [٦]، أي: يظهرون الإيمان بالله ويكفرون بالرّسل خلاف ما أمرهم الله به.

وقوله: ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ [٧]، أي: آمنوا برُسُل الله جميعًا، والفرقان أبلغ من الفَرْق، لأنّه يستعمل في الفرق بين الحقّ والباطل، وتقديره كتقدير: رجل قُنْعان: يقنع به في الحكم، وهو اسم لا مصدر فيما قيل، والفرق يستعمل في ذلك وفي غيره، وقوله: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [٨]، أي: اليوم الّذي يُفرَق فيه بين الحقّ والباطل، والحجّة والشّبهة، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [٩]، أي: نورًا وتوفيقًا على قلوبكم يُفرق به بين الحقّ والباطل، فكان الفرقان ههنا كالسّكينة والرّوح في غيره، وقوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [١٠]، قيل: أُريد به يوم بدر؛ فإنّه أوّل يوم فرّق فيه بين الحقّ والباطل.

١ـ طه / ٩٤.

٢ـ البقرة / ٢٨٥.

٣ـ الأنعام / ١٥٩.

٤ـ الكهف / ٧٨.

٥ـ القيامة / ٢٨.

٦ـ النّساء / ١٥٠.

٧ـ النّساء / ١٥٢.

٨ـ الأنفال / ٤١.

٩ـ الأنفال / ٢٩.

١٠ـ الأنفال / ٤١.

والفرقان: كلام الله تعالى؛ لفرقه بين الحقّ والباطل في الاعتقاد، والصّدق والكذب في المقال، والصّالح والطّالح في الأعمال، وذلك في القرآن والتّوراة والإنجيل، قال: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾[1]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾[2]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾[3]، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[4]. (ص: ٣٧٨)

٣ـ الذّكر

الذّكر: تارةً يقال ويراد به هيئة للنّفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلّا أنّ الحفظ يقال اعتبارًا بإحرازه، والذّكر يقال اعتبارًا باستحضاره، وتارةً يقال: لحضور الشّيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذّكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللّسان. وكلّ واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ.

وكلّ قول يقال له ذكر، فمن الذّكر باللّسان قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾[6]، وقوله: ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾[7]، وقوله: ﴿أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾[8]، أي القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[9]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، أي شرف

١ـ البقرة / ٥٣.

٢ـ الأنبياء / ٤٨.

٣ـ الفرقان / ١.

٤ـ البقرة / ١٨٥.

٥ـ الأنبياء / ١٠.

٦ـ الأنبياء / ٥٠.

٧ـ الأنبياء / ٢٤.

٨ـ ص / ٨.

٩ـ ص / ١.

لك ولقومك. وقوله: ﴿فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾، أي: الكُتُب المتقدّمة.

وقوله: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا﴾[1]، فقد قيل: الذّكر هاهنا وصف للنّبيّ ﷺ، كما أنّ الكلمة وصف لعيسى عليه السلام من حيث إنّه بشّر به في الكُتُب المتقدّمة، فيكون قوله: «رسولًا» بدلًا منه. (ص: ١٧٩)

٤ـ الرّوح

الرّوح والرّوح في الأصل واحد، وجعل الرّوح اسمًا للنّفس، وذلك لكون النّفس بعض الرّوح كتسمية النّوع باسم الجنس، نحو تسمية الإنسان بالحيوان.

وسمّي القرآن روحًا في قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[2]، وذلك لكون القرآن سببًا للحياة الأُخرويّة الموصوفة في قوله: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[3]، والرّوح التّنفّس، وقد أراح الإنسان إذا تنفّس. (٢٠٥ـ٢٠٦)

٥ـ المُصْحَف

الصّحيفة: المبسوط من الشّيء، كصحيفة الوجه، والصّحيفة: الّتي يكتب بها، وجمعها: صحائف وصُحُف. قال تعالى: ﴿صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[4]، ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[5]، قيل: أُريد بها القرآن، وجعله صُحُفًا فيها كُتُب من أجل تضمّنه لزيادة ما في كُتُب الله المتقدّمة. والمُصْحَف: ما جعل جامعًا للصُّحُف المكتوبة، وجمعه: مصاحف، والتّصحيف: قراءة المُصْحَف وروايته على غير ما هو لاشتباه حروفه، والصّحفة مثل قصعة عريضة. (ص: ٢٧٥)

١ـ الطّلاق / ١٠ـ١١.

٢ـ الشّورى / ٥٢.

٣ـ العنكبوت / ٦٤.

٤ـ الأعلى / ١٩.

٥ـ البيّنة / ٢ـ٣.

الفصل الثّامن

نصّ أبي الفتوح الرّازيّ (م: ٥٣٥) في «رَوض الجَنان ...» [1]

في أسماء القرآن ومعانيه

اعلم! أنّ الله تعالى سمّى هذا الكتاب في القرآن بأسماء... [ثمّ ذكر أسماء القرآن، فحذفناها للاختصار، وإليك تفسير ما ذكره تفصيلاً].

١ـ القرآن: أمّا القرآن في قوله تعالى: ﴿إنّ هٰذا القُرْآن يَقُصُّ عَلىٰ بَنِي إسْرائِيل﴾ [2] وفي قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ...﴾ [3]. فقد اختلف المفسّرون في معناه:

قال عبدالله بن عبّاس: «قرأ يقرأ» كالرُّجحان والنُّقصان والخُسران، وكأنّ معناه الاتّباع، ومعنى التّلاوة كذلك، لأنّ القارئ يتتبّع الحروف.

وقال قَتادة: «من قرئت الشّيء، إذا جمَعتَهُ وضَمَمتَ بعضَه إلى بعضٍ» وكأنّ أصله من الجمع كما قال عمرو بن كُلثوم... [وذكر كما تقدّم سابقًا].

وقال بعضهم: كأنّ اشتقاقه من قريت الماء في الحوض.

والقول الأوّل أصحّ، والمعنى في كلا القولين راجع إلى معنى الجمع.

قال سُفيان بن عُيَينة: سُمّي القرآن قرآنًا لأنّ فيه معنى الجمع، ألا ترى أنّ الحروف قد

---

١ ـ قد ترجمنا هذا النّصّ من الفارسيّة. (م)

٢ ـ النّمل / ٧٦.

٣ ـ البقرة / ١٨٥.

جُمعت فصارت كلمات، و الكلمات جُمعت فصارت آيـات، والآيـات جُمعـت فـصارت سُوَرًا، و السُّوَر جُمعت فصارت قرآنًا، ثمّ جُمِع فيـه علـوم الأوّلـين والآخـرين، فالجملـة وأبعاضها لاتخلو من الجمع كما ترى. قرأ قريش وأهل مكّة: بتخفيف همزة، وهذه قراءة ابـن كثير. وقرأ سائر العرب المهموز طبق الأصل.

٢ـ الفرقان: أمّا الفرقان في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَـزَّلَ الفُـرْقَـانَ عَلـىٰ عَبْـدِهِ..﴾[١].
اختلفوا في معناه، قال البَهْريّ: سُمّي الفُرقان فُرقانًا لأنّه نزل متفرّقًـا، كمـا قـال الله تعـالى: ﴿وقُرْانًا فَرَقْـنَاهُ عَلَى النَّاسِ عَلٰى مُكْث ...﴾[٢]. قيل: لأنّه فارق بين الحقّ والباطل والحـلال والحرام والوعد والمؤمن والكافر وغيره.

وقال عِكرِمة والسُّدّيّ: الفرقان هوالنّجاة، كما في قوله تعالى: ﴿إنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُـمْ فُرقَانًا﴾[٣]. أي نجاةً ومخرجًا. وهذا اللّفظ مصدر كالسُّبحان والقُربان والفُضلان، وجاء كـثيرًا في مصدر «فعّل» بتشديد العين.

٣ ـ الكتاب: في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ * ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فيهِ﴾، وكأنّه هذا أيـضًا مـصدر كالقيام والصّيام. وقالوا: وزنه «فِعال» بمعنى المفعول، كالحساب بمعنى المحسوب، و اللّبـاس بمعنى الملبوس. و جاء هذا اللّفظ في القرآن و كلام العرب على وجوه:

أحدها ـ الفرض، كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[٤] أي فُرِض عليكم.

وثانيها ـ الحجّة والبرهان، كما في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾[٥]. أي بحجّتكـم.

وثالثها ـ الأجـل، كمـا في قولـه تعـالى: ﴿وَمَـا اَهْلَكْنَـا مِـنْ قَرْيَـةٍ اِلَّا وَلَهَـا

١ـ الفرقان/ ١.

٢ـ الإسراء/ ١٠٦.

٣ـ الأنفال/ ٢٩.

٤ـ البقرة/ ١٨٣.

٥ـ الصّافّات/ ١٥٧.

كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾[١].

ورابعها ـ الحكم، كما جاء في قول النّبيّ صلى الله عليه وآله: «سأقضي بينكم بكتاب الله» أي بحكم الله؛ كما قال الشّاعر:

ومال الوِلاءُ بالبلاء فمِلتُم   وما ذاك قال الله إذ هو يكتب

أي يقضي ويحكم.

وخامسها ـ مكاتبة السّيّد عَبْدَه؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ﴾[٢]. وكأنّ هذا مصدر فاعلٍ كالمفاعلة، كالجِدال والخِصام والقِتال بمعنى المجادلة والمخاصمة والمقاتلة. وكأنّ أصله معنى الجمع، كما في قولهم: كتبتُ البَغْلة إذا جَمَعْتَ بين شَفرَتيها بحَلْقةٍ، ولذا قالوا للعَسكر: «الكَتيبة» لأنّها مجتمعهم.

٤ ـ الذّكر: في قوله تعالى: ﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾[٣]، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ...﴾[٤]. وكأنّ له معنيين:

أحدهما ـ بمعنى ذَكّر، يعني أنّ الله تعالى ذَكّر وعَلّم عباده بالقرآن في كلّ ما هو خير وصلاح لهم.

ثانيهما ـ بمعنى الشّرف، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[٥]، أي شرف لك.

٥ ـ التّنزيل: في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وكأنّه مصدر نزّل.

٦ ـ الحديث: في قوله تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾[٦] والحديث: ضدّ القديم، من قولهم:

١ ـ الحِجر / ٤.
٢ ـ النّور / ٣٣.
٣ ـ الأنبياء / ٥٠.
٤ ـ الحِجْر / ٩.
٥ ـ الزّخرف / ٤٤.
٦ ـ الزّمر / ٢٣.

كان ذلك دأبي قديمًا وحديثًا.

٧ ـ الموعظة: في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾[١]، وهو مصدر «وَعَظَ».

٨ ـ التّذكرة: في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، وكأنّ هذا مصدر ذكّر.

٩ ـ الذِّكرى: في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣]، وكأنّ هذا أيضًا مصدر «ذَكَّرَ».

١٠ ـ الحُكْم: في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾[٤].

١١ ـ الحكمة: في قوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ...﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ﴾[٦].

١٢ ـ الحكيم: في قوله تعالى: ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾.

١٣ ـ المُهيمن: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ..﴾[٧] أي حفيظًا، وقيل: أمينًا.

١٤ ـ الشّفاء: في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٨].

وفي قوله عزّوجلّ: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ...﴾[٩]. وله معنيان:

---

١ ـ يونس / ٥٧.

٢ ـ الحاقّة / ٤٨.

٣ ـ الذّاريات / ٥٥.

٤ ـ الرّعد / ٣٧.

٥ ـ القمر / ٥.

٦ ـ الأحزاب / ٣٤.

٧ ـ المائدة / ٤٨.

٨ ـ الإسراء / ٨٢.

٩ ـ يونس / ٥٧.

أحدهما ـ أنّ ببركته يشفون المرضى.

وثانيهما ـ أن يشفي قلوب المرضى من الشّكّ والنّفاق... ألم ترأنّ الله تعالى في القرآن شبّه الشّكّ في قلوب المنافقين بالمرض، كما يقول هناك: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾[١]، وسمّي ما يزيل الشّكّ شفاءً.

١٥ـ الهُدى: في قوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، أي بيانٌ و لطفٌ.

١٦ـ الهادي: في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾[٣].

١٧ـ الصّراط المستقيم: في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[٤] مراده القرآن، قاله ابن مسعود رضي الله عنه.

١٨ ـ النّور: في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ...﴾[٥]، سمّى القرآن نورًا لأنّه نورٌ في طريق ظُلمات الشّكّ و الشّرك، كما يكون النّور هاديًا في ظُلمات اللّيل.

١٩ـ الحَبل: في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا﴾[٦]، سمّى القرآن حبلًا لأنّ كلّ من تمسّك به نَجا من الغرق.

٢٠ـ الرّحمة: في قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٧]، يعني رحمةٌ من الله تعالى.

٢١ ـ الرّوح: في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا...﴾، سمّى القرآن روحًا لأنّ قِوام الإسلام به، كما أنّ قِوام الجسم بقوام الرّوح.

١ـ البقرة / ١٠.

٢ـ البقرة / ٢.

٣ـ الجنّ / ٢.

٤ـ الفاتحة / ٦.

٥ـ الأعراف / ١٥٧.

٦ـ آل عمران / ١٠٣.

٧ـ يونس / ٥٧.

٢٢ـ القصّة: في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [١]، وأصل القصّة من قَصّ أثره، إذا اتّبعه.

٢٣ ـ الحقّ: في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [٢]، سمّي القرآن حقًّا لأنّه كان صحيحًا وحقًّا، من قولهم: حقّ الأمر، أي صحّ وثبت. والقول الآخر: إنّ الحقّ ضدّ الباطل، ولأجل ذلك كان مُحيلًا ومُزيلًا للباطل، كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ...﴾ [٣]، أي ذاهبٌ زائلٌ.

٢٤ـ البيان: في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ [٤].

٢٥ـ التّبيان: في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [٥]، وهو مصدر «بيّن».

٢٦ ـ البصائر: في قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ [٦]، وهو جمع «بصيرة» إذ به يكون العبد مستبصرًا.

٢٧ـ الفَصْل: في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [٧]، أي فاصل بين الحقّ والباطل.

٢٨ـ المبارك: في قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [٨].

٢٩ ـ النّجوم: في قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ [٩]، سمّي القرآن نجومًا لأنّه نزل

---

١ ـ يوسف / ٣.

٢ ـ الحاقّة / ٥١.

٣ ـ الأنبياء / ١٨.

٤ ـ آل عمران / ١٣٨.

٥ ـ النّحل / ٨٩.

٦ ـ الأعراف / ٢٠٣.

٧ ـ الطّارق / ١٣.

٨ ـ الأنبياء / ٥٠.

٩ ـ الواقعة / ٧٥.

نجمًا نجمًا و آيةً بعد آيةٍ و سورةً بعد سورة.

٣٠ـ المجيد: في قوله تعالى: ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾[١]، أي الشّريف.

٣١ـ العزيز: في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾[٢]، و له معانٍ ثلاثة:

أحدها ـ الشّرف. ثانيها ـ الغالب، من قولهم: «مَنْ عَزَّ بَزَّ»، أي غلب سَلَب، يعني كان صعبًا و ممتنعًا على الّذين أرادوا أن يعارضوه. ثالثها ـ بمعنى أنّه لن يجدوا مثله.

٣٢ـ الكريم: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾[٣].

٣٣ـ العظيم: في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾[٤].

٣٤ـ البشير و النّذير: في قوله تعالى: ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ﴾[٥].

٣٥ـ القيّم: في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا ﴾[٦].

٣٦ـ النّعمة: في قوله جلّ و عزّ: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[٧].

٣٧ـ المبين: في قوله جلّ و عزّ: ﴿ الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾[٨].

٣٨ـ العليّ: في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾. فقد سمّى الله جلّ جلاله القرآن بأسماء شريفة متعدّدة و كثرة منافع الخلق به، و لتنبيه الخلق هذا القرآن و منزلته و جلالة قدره. (١: ٨ـ١٤)

١ـ ق/ ١.

٢ـ فصّلت/ ٤١.

٣ـ الواقعة/ ٧٧.

٤ـ الحجر/ ٨٧.

٥ـ فصّلت/ ٤.

٦ـ الكهف/ ١ـ٢.

٧ـ الضّحى/ ١١.

٨ـ يوسف/ ١.

الفصل التّاسع

نصّ الطّبرسيّ (م: ٥٤٨) في «مجمع البيان...»

في ذكر أسامي القرآن ومعانيها

القرآن: معناه القراءة في الأصل، وهو مصدر قرأت أي: تلوت، وهو المرويّ عن ابن عبّاس. وقيل: هو مصدر قرأت الشّيء أي: جمعت بعضه إلى بعض، وقال عمرو بن كُلْثوم...

[وذكر كما تقدّم عن الطّبريّ، ثمّ ذكر أيضًا رواية واثلة بن الأسقع وعلّق عليه، كما تقدّم عن الطّوسيّ].

[أسماء القرآن انتقاءً من تفسيره]

١ـ البصائر: ﴿هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، هذا القرآن دلائل ظاهرة، وحُجَج واضحة، وبراهين ساطعة من ربّكم، يبصر الإنسان بها أُمور دينه، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: ودلالة تهدي إلى الرّشد، ونعمة في الدّين والدّنيا، ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، خصّ المؤمنين بالذّكر لأنّهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكُفّار. (٤: ٤١٨)

٢ـ الموعظة والشّفاء والهداية: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني القرآن، والموعظة: بيان ما يجب أن

١ـ الأعراف/ ٢٠٣.

٢ـ يونس/ ٥٧.

يحذر عنه ، ويرغب فيه . وقيل : هي ما يدعو إلى الصّلاح ، ويزجر عن الفساد ، ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ الشّفاء : معنى كالدّواء لإزالة الدّاء ، فداء الجهل أضرّ من داء البدن ، وعلاجه أعسر ، وأطبّاؤه أقلّ ، والشّفاء منه أجلّ . والصّدر : موضع القلب ، وهو أجلّ موضع في البدن ، لشرف القلب . ﴿وَهُدًى﴾ أي : ودلالة تؤدّي إلى معرفة الحقّ ، ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ونعمة لمن تمسّك به ، وعمل بما فيه ، وخصّ المؤمنين بالذّكر ـ و إن كان القرآن موعظة ورحمة لجميع الخلق ـ لأنّهم الّذين انتفعوا به . وصف الله سبحانه القرآن في هذه الآية بأربع صفات : بالموعظة ، والشّفاء لما في الصّدور ، وبالهدى ، والرّحمة . (٥: ٢١٩ـ٢٢٠)

٣ـ الذّكر : ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [١]

﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي : ذي الشّرف عن ابن عبّاس يوضّحه قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.

وقيل: معناه ذي البيان الّذي يؤدّي إلى الحقّ ، ويهدي إلى الرّشد ، لأنّ فيه ذكر الأدلّة الّتي إذا تفكّر فيها العاقل عرف الحقّ عقلًا وشرعًا .

وقيل: ذي التّذكّر لكم ، عن قتادة .

وقيل: فيه ذكر الله ، وتوحيده ، وأسماؤه الحسنى ، وصفاته العُلى ، وذكر الأنبياء ، وأخبار الأمم ، وذكر البعث والنّشور ، وذكر الأحكام ، وما يحتاج إليه المكلّف من الأحكام ، عن الجُبّائيّ. (٨: ٣٧٩)

٤ـ أحسن الحديث : ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ [٢]

﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ، سمّاه الله حديثًا ، لأنّه كلام الله . والكلام سمّي حديثًا ، كما يسمّى كلام النّبيّ ﷺ حديثًا . ولأنّه حديث التّنزيل ، بعدما تقدّمه من الكتب

---

١ ـ ص /١.

٢ ـ الزّمر / ٢٣.

المُنزَلة على الأنبياء، وهو أحسن الحديث لفرط فصاحته، ولإعجازه، واشتماله على جميع ما يحتاج المكلّف إليه من التّنبيه على أدلّة التّوحيد والعدل وبيان أحكام الشّرع، وغير ذلك من المواعظ، وقصص الأنبياء، والتّرغيب والتّرهيب. ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ يشبه بعضه بعضًا، ويصدّق بعضه بعضًا، ليس فيه اختلاف، ولا تناقض. وقيل: معناه أنّه يشبه كُتُب الله المتقدّمة، وإن كان أعمّ وأجمع وأنفع. وقيل: متشابهًا في حُسن النّظم، وجزالة اللّفظ، وجودة المعاني، ﴿مَثَانِيَ﴾ سُمّي بذلك لأنّه يثني فيه بعض القصص والأخبار والأحكام والمواعظ، بتصريفها في ضروب البيان، ويثني أيضًا في التّلاوة، فلا يملّ لحُسْن مسموعه... (٨: ٤٣٦)

الفصل العاشر

نصّ الفخر الرّازيّ (م: ٦٠٦) في «التّفسير الكبير»

[أسماء القرآن و معانيها]

المسألة الثّالثة: اعلم! أنّ أسماء القرآن كثيرة:

أحدها ـ الكتاب، وهو مصدر كالقيام والصّيام وقيل: فِعال بمعنى مفعول كاللّباس ...

[وذكر كما تقدّم عن أبي الفتوح الرّازيّ، ثمّ قال:]

واشتقاق الكتاب من كتبتُ الشّيء إذا جمعتُه، وسُمّيت الكتيبة لاجتماعها، فسمّي الكتاب كتابًا لأنّه كالكتيبة على عساكر الشّبهات، أو لأنّه اجتمع فيه جميع العلوم، أو لأنّ الله تعالى ألزم فيه التّكاليف على الخلق.

وثانيها ـ القرآن: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰى اَنْ يَاْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ﴾[1]، ﴿اِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا﴾[2]، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى اُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْاٰنُ﴾[3]، ﴿اِنَّ هٰذَا الْقُرْاٰنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ اَقْوَمُ﴾[4]، وللمفسّرين فيه قولان:

أحدها ـ قول ابن عبّاس أنّ القرآن والقراءة واحد، كالخسران والخسارة واحد، والدّليل

---

١ ـ الإسراء / ٨٨.

٢ ـ الزّخرف / ٣.

٣ ـ البقرة / ١٨٥.

٤ ـ الإسراء / ٩.

عليه قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[١]، أي تلاوته، أي إذا تلوناه عليك فاتّبع تلاوته.

الثّاني - وهو قول قَتادة أنّه مصدر، من قول القائل: قرأتُ الماء في الحوض إذا جمعتُه...

[ثمّ ذكر قول سُفيان بن عُيَيْنة، كما تقدّم عن أبي الفتوح الرّازيّ، فقال:].

فالحاصل، أنّ اشتقاق لفظ القرآن إمّا من التّلاوة أو من الجمعيّة.

وثالثها - الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾[٢]، ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[٣]، واختلفوا في تفسيره:

فقيل: سُمّي بذلك لأنّ نزوله كان متفرّقًا أنزله في نيّف وعشرين سنة، ودليله قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[٤]، ونزلت سائر الكُتب جملة واحدة، ووجه الحكمة فيه ذكرناه في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[٥].

وقيل: سُمّي بذلك لأنّه يفرق بين الحقّ والباطل، والحلال والحرام، والمجمل والمبيّن، والمحكم والمؤوّل. وقيل: الفرقان هو النّجاة، وهو قول عِكرمة والسُّدّيّ، وذلك لأنّ الخلق في ظلمات الضّلالات فبالقرآن وجدوا النّجاة، وعليه حمل المفسّرون قوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٦].

ورابعها - الذِّكر، والتّذكرة، والذِّكرى: أمّا الذِّكر فقوله: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾[٧]،

١- القيامة/ ١٨.

٢- الفرقان/ ١.

٣- البقرة/ ١٨٥.

٤- الإسراء/ ١٠٦.

٥- الفرقان/ ٣٢.

٦- البقرة/ ٥٣.

٧- الأنبياء/ ٥٠.

﴿إنّا نحن نزّلنا الذّكر﴾ [١]. ﴿وإنّه لذكر لك ولقومك﴾ [٢] وفيه وجهان:

أحدهما ـ أنّه ذكر من الله تعالى ذكّر به عباده فعرّفهم تكاليفه وأوامره.

والثّاني ـ أنّه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به، وأنّه شرف لمحمّد ﷺ وأمّته، وأمّا التّذكرة فقوله: ﴿وإنّه لتذكرة للمتّقين﴾ [٣]، وأمّا الذّكرى فقوله تعالى: ﴿وذكّر فإنّ الذّكرى تنفع المؤمنين﴾ [٤].

وخامسها ـ التّنزيل: ﴿وإنّه لتنزيل ربّ العالمين * نزل به الرّوح الأمين﴾ [٥].

وسادسها ـ الحديث: ﴿الله نزّل أحسن الحديث كتابًا﴾ [٦]، سمّاه حديثًا؛ لأنّ وصوله إليك حديث، ولأنّه تعالى شبّهه بما يتحدّث به، فإنّ الله خاطب به المكلّفين.

وسابعها ـ الموعظة: ﴿يا أيّها النّاس قد جاءتكم موعظة من ربّكم﴾ [٧]، وهو في الحقيقة موعظة لأنّ القائل هو الله تعالى، والآخذ جبريل، والمستملي محمّد ﷺ، فكيف لا تقع به الموعظة.

وثامنها ـ الحكم، والحكمة، والحكيم، والمحكم:

أمّا الحكم، فقوله: ﴿وكذلك أنزلناه حكمًا عربيًّا﴾ [٨].

وأمّا الحكمة، فقوله: ﴿حكمة بالغة﴾ [٩]، ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكنّ من آيات الله

١ ـ الحجر / ٩.
٢ ـ الزّخرف / ٤٤.
٣ ـ الحاقّة / ٤٨.
٤ ـ الذّاريات / ٥٥.
٥ ـ الشّعراء / ١٩٢ ـ ١٩٣.
٦ ـ الزّمر / ٢٣.
٧ ـ يونس / ٥٧.
٨ ـ الرّعد / ٣٧.
٩ ـ القمر / ٥.

وَالْحِكْمَةِ﴾ [١].

وأمّا الحكيم، فقوله: ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [٢]. وأمّا المحكم، فقوله: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [٣]. واختلفوا في معنى الحكمة، فقال الخليل: هو مأخوذ من الأحكام والإلزام، وقال المؤرّخ: هو مأخوذ من حكمة اللّجام؛ لأنّها تضبط الدّابّة، والحكمة تمنع من السّفه.

وتاسعها ـ الشّفاء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٤]، وقوله: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ وفيه وجهان:

أحدهما ـ أنّه شفاء من الأمراض.

والثّاني ـ أنّه شفاء من مرض الكفر، لأنّه تعالى وصف الكفر والشّكّ بالمرض، فقال: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [٥]، وبالقرآن يزول كلّ شكّ عن القلب، فصحّ وصفه بأنّه شفاء.

وعاشرها ـ الهدى، والهادي: أمّا الهدى فلقوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٦]. ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [٧]، ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٨]. وأمّا الهادي: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [٩]، وقالت الجنّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [١٠].

الحادي عشر ـ الصّراط المستقيم: قال ابن عبّاس في تفسيره: أنّه القرآن، وقال:

---

١ ـ الأحزاب / ٣٤.

٢ ـ يس / ١.

٣ ـ هود / ١.

٤ ـ الإسراء / ٨٢.

٥ ـ البقرة / ١٠.

٦ ـ البقرة / ٢.

٧ ـ آل عمران / ٤، الأنعام / ٩١.

٨ ـ يونس / ٥٧.

٩ ـ الإسراء / ٩.

١٠ ـ الجنّ / ٢.

﴿وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[1].

والثّاني عشر ـ الحبل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا﴾[2] في التّفسير: أنّه القرآن، وإنّما سمّي به لأنّ المعتصم به في أُمور دينه يتخلّص به من عقوبة الآخرة ونكال الدّنيا، كما أنّ المتمسّك بالحبل ينجو من الغرق والمهالك، ومن ذلك سمّاه النّبيّ ﷺ عصمة فقال: «إنّ هذا القرآن عصمة لمن اعتصم به»، لأنّه يعصم النّاس من المعاصي.

الثّالث عشر ـ الرّحمة: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، وأيّ رحمة فوق التّخليص من الجهالات والضّلالات.

الرّابع عشر ـ الرّوح: ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾[4]، ﴿يُنَزِّلُ الْمَلٰئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾[5]، وإنّما سمّي به لأنّه سبب لحياة الأرواح، وسمّي جبريل بالرّوح: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾[6] وعيسى بالرّوح: ﴿أَلْقَاهَا إِلٰى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[7].

الخامس عشر ـ القصص: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[8]، سمّي به لأنّه يجب اتّباعه، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾[9]، أي اتّبعي أثره؛ أو لأنّ القرآن يتتبّع قصص المتقدّمين، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾[10].

---

١ ـ الأنعام / ١٥٣.

٢ ـ آل عمران / ١٠٣.

٣ ـ الإسراء / ٨٢.

٤ ـ الشّورى / ٥٢.

٥ ـ النّحل / ٢.

٦ ـ مريم / ١٧.

٧ ـ النّساء / ١٧١.

٨ ـ يوسف / ٣.

٩ ـ القصص / ١١.

١٠ ـ آل عمران / ٦٢.

السّادس عشر ـ البيان والتّبيان والمبين:

أمّا البيان، فقوله: ﴿هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [١].

و [أمّا] التبيان فهو قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [٢].

وأمّا المبين فقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

السّابع عشر ـ البصائر: ﴿هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [٣]، أي هي أدلّة يبصر بها الحقّ تشبيهًا بالبصر الّذي يرى طريق الخلاص.

الثّامن عشر ـ الفصل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [٤]، واختلفوا فيه:

فقيل: معناه القضاء، لأنّ الله تعالى يقضي به بين النّاس بالحقّ.

قيل: لأنّه يفصل بين النّاس يوم القيامة فيهدي قومًا إلى الجنّة ويسوق آخرين إلى النّار، فمن جعله أمامه في الدّنيا قاده إلى الجنّة، ومن جعله وراءه ساقه إلى النّار.

التّاسع عشر ـ النّجوم: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [٥] ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾، لأنّه نزّل نَجْمًا نَجْمًا.

العشرون ـ المثاني: ﴿مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [٦]، قيل: لأنّه ثنى فيه القصص والأخبار.

الحادي والعشرون ـ النّعمة: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [٧]، قال ابن عبّاس يعني

---

١ ـ آل عمران / ١٣٨.

٢ ـ النّحل / ٨٩.

٣ ـ الأعراف / ٢٠٣.

٤ ـ الطّارق / ١٣ ـ ١٤.

٥ ـ الواقعة / ٧٥.

٦ ـ الزّمر / ٢٣.

٧ ـ الضّحى / ١١.

به القرآن.

الثّاني والعشرون ـ البرهان: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[١]، وكيف لا يكون برهانًا وقد عجزت الفُصَحاء عن أن يأتوا بمثله.

الثّالث والعشرون ـ البشير والنّذير، وبهذا الاسم وقعت المشاركة بينه وبين الأنبياء، قال تعالى في صفة الرُّسل: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[٢]، وقال في صفة محمّد ﷺ: ﴿اِنَّا اَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٣]، وقال في صفة القرآن في حمٓ السّجدة: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَاَعْرَضَ اَكْثَرُهُمْ﴾[٤]، يعني مبشّرًا بالجنّة لمن أطاع و بالنّار منذرًا لمن عصى، ومن هاهنا نذكر الأسماء المشتركة بين الله تعالى وبين القرآن.

الرّابع والعشرون ـ القيّم: ﴿قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَاْسًا شَدِيدًا﴾[٥]، والدّين أيضًا قيّم: ﴿ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[٦]، والله سبحانه هو القيّوم: ﴿اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[٧]، وإنّما سمّي قيّمًا لأنّه قائم بذاته في البيان والإفادة.

الخامس والعشرون ـ المهيمن: ﴿وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٨]، وهو مأخوذ من الأمين، وإنّما وصف به لأنّه مَن تمسّك بالقرآن أمن الضّرر في الدّنيا والآخرة، والرّبّ المهيمن أنزل الكتاب المهيمن على النّبيّ الأمين لأجل قوم هم أُمناء الله تعالى على خلقه كما قال: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ اُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

---

١ ـ النّساء / ١٧٤.

٢ ـ النّساء / ١٦٥، الأنعام / ٤٨.

٣ ـ الفتح / ٨.

٤ ـ فصّلت / ٤.

٥ ـ الكهف / ٢.

٦ ـ التّوبة / ٣٦، الرّوم / ٣٠.

٧ ـ البقرة / ٢٥٥، آل عمران / ٢.

٨ ـ المائدة / ٤٨.

عَلَى النَّاسِ﴾[١].

السّادس والعشرون ـ الهادي: ﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْاٰنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِيَ اَقْوَمُ﴾، وقال: ﴿يَهْدِى اِلَى الرُّشْدِ﴾، والله تعالى هو الهادي لأنّه جاء في الخبر «النّور الهادي».

السّابع والعشرون ـ النّور: ﴿اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ﴾[٢].

وسمّى الله القرآن نورًا: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى اُنْزِلَ مَعَهُ﴾[٣]، يعني القرآن.

وسمّى الرّسول نورًا: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللّٰهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[٤]، يعني محمّد.

وسمّى دينه نورًا: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللّٰهِ بِاَفْوَاهِهِمْ﴾[٥].

وسمّى بيانه نورًا: ﴿اَفَمَنْ شَرَحَ اللّٰهُ صَدْرَهُ لِلْاِسْلَامِ فَهُوَ عَلٰى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾[٦].

وسمّى التّوراة نورًا: ﴿اِنَّا اَنْزَلْنَا التَّوْرٰيةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[٧].

وسمّى الإنجيل نورًا: ﴿وَاٰتَيْنَاهُ الْاِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾[٨].

وسمّى الإيمان نورًا: ﴿يَسْعٰى نُورُهُمْ بَيْنَ اَيْدِيهِمْ﴾[٩].

الثّامن والعشرون ـ الحقّ: ورد في الأسماء «الباعث الشّهيد الحقّ» والقرآن حقّ ...

[و ذكر كما تقدّم عن أبي الفتوح الرّازيّ].

التّاسع والعشرون ـ العزيز: ﴿وَاِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

---

١ ـ البقرة / ١٤٣.

٢ ـ النّور / ٣٤.

٣ ـ الأعراف / ١٥٧.

٤ ـ المائدة / ١٥.

٥ ـ الصّفّ / ٨.

٦ ـ الزّمر / ٢٢.

٧ ـ المائدة / ٤٤.

٨ ـ المائدة / ٤٦.

٩ ـ الحديد / ١٢.

وفي صفة القرآن: ﴿وَانَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾.

والنّبيّ عزيز: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ [١].

والأُمّة عزيزة: ﴿وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢].

فربُّ عزيز أنزل كتابًا عزيزًا على نبيّ عزيز لأُمّة عزيزة، وللعزيز معنيان:

أحدهما ـ القاهر، والقرآن كذلك؛ لأنّه هو الّذي قهر الأعداء وامتنع على من أراد معارضته. والثّاني ـ أن لا يوجد مثله.

الثّلاثون ـ الكريم: ﴿اِنَّهُ لَقُرْاٰنٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [٣]، واعلم! أنّه تعالى سمّى سبعة أشياء بالكريم: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [٤]، إذ لا جواد أجود منه، والقرآن بالكريم، لأنّه لا يستفاد من كتاب من الحِكَم والعلوم ما يستفاد منه.

وسمّى موسى كريمًا: ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [٥].

وسمّى ثواب الأعمال كريمًا: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَاَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [٦].

وسمّى عرشه كريمًا: ﴿اَللهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [٧]، لأنّه مُنزل الرّحمة.

وسمّى جبريل كريمًا: ﴿اِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [٨]، ومعناه أنّه عزيز.

وسمّى كتاب سليمان كريمًا: ﴿اِنِّى اُلْقِىَ اِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [٩].

١ـ التوبة / ١٢٨.

٢ـ المنافقون / ٨.

٣ـ الواقعة / ٧٧ـ٧٨.

٤ـ الانفطار / ٦.

٥ـ الدّخان / ١٧.

٦ـ يس / ١١.

٧ـ النّمل / ٢٦.

٨ـ التكوير / ١٩.

٩ـ النّمل / ٢٩.

فهو كتاب كريم من ربّ كريم نزل به مَلَك كريم على نبيّ كريم لأجل أُمّة كريمة، فإذا تمسّكوا به نالوا ثوابًا كريمًا.

الحادي والثّلاثون ـ العظيم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[1].

اعلم! أنّه تعالى سمّى نفسه عظيمًا فقال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[2].

وعرشه عظيمًا: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[3].

و كتابه عظيمًا: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[4].

ويوم القيامة عظيمًا: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[5].

والزّلزلة عظيمة: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[6].

وخُلُق الرّسول عظيمًا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[7].

والعلم عظيمًا: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[8].

و كيد النّساء عظيمًا: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[9].

وسحر سَحَرة فرعون عظيمًا: ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[10].

وسمّى نفس الثّواب عظيمًا: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً

---

١ ـ الحجر / ٨٧.

٢ ـ البقرة / ٢٥٥.

٣ ـ التوبة / ١٢٩.

٤ ـ الحجر / ٨٧.

٥ ـ المطفّفين / ٥ ـ ٦.

٦ ـ الحجّ / ١.

٧ ـ القلم / ٤.

٨ ـ النّساء / ١١٣.

٩ ـ يوسف / ٢٨.

١٠ ـ الأعراف / ١١٦.

وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[١].

وسمّى عقاب المنافقين عظيمًا: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

الثّاني والثّلاثون ـ المبارك: ﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾[٣]، وسمّى الله تعالى به أشياء: ... [وذكر كما تقدّم عن الفخر الرّازيّ]. (٢: ١٤-١٧)

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ البقرة/ ١٨٥

المسألة الثّانية ـ القرآن اسم لما بين الدّفّتين من كلام الله، واختلفوا في اشتقاقه، فروى الواحديّ في «البسيط» عن محمّد بن عبد الله بن الحَكَم أنّ الشّافعيّ رضي الله عنه كان يقول ... [وذكر كما تقدّم نحوه عن الأزهريّ].

قال الواحديّ: وقول الشّافعيّ أنّه اسم لكتاب الله يشبه أنّه ذهب إلى أنّه غير مشتقّ، وذهب آخرون إلى أنّه مشتقّ.

واعلم! أنّ القائلين بهذا القول منهم من لا يهمزه، ومنهم من يهمزه، أمّا الأوّلون فلهم فيه اشتقاقان:

أحدهما ـ أنّه مأخوذ من قرنتُ الشّيء بالشّيء، إذا ضممتُ أحدهما إلى الآخر، فهو مشتقّ من «قرن» والاسم «قران» غير مهموز، فسمّي القرآن قرآنًا إمّا لأنّ ما فيه من السُّوَر والآيات والحروف يقترن بعضها ببعض، أو لأنّ ما فيه من الحِكَم والشّرائع مقترن بعضها ببعض، أو لأنّ ما فيه من الدّلائل الدّالّة على كونه من عند الله مقترن بعضها ببعض، أعني اشتماله على جهات الفصاحة وعلى الأُسلوب الغريب، وعلى الأخبار عن المغيبات، وعلى العلوم الكثيرة، فعلى هذا التّقدير هو مشتقّ من «قرن» والاسم قران غير مهموز.

---

١ ـ الفتح/ ٢٩.

٢ ـ البقرة/ ٧.

٣ ـ الأنبياء/ ٥٠.

وثانيهما ـ قال الفَرّاء: أظنّ أنّ القرآن سمّي من القرائن، وذلك لأنّ الآيات يصدّق بعضها بعضًا على ما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [1]، فهي قرائن، وأمّا الّذين همزوا فلهم وجوه:

أحدها ـ أنّه مصدر القراءة يقال: قرأت القرآن فأنا أقرؤه قرأ وقراءةً وقرآنًا، فهو مصدر، ومثل القرآن من المصادر: الرّجحان والنّقصان والخسران والغفران، قال الشّاعر:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوانُ السُّجُود.. يُقَطِّعُ اللَّيلَ تَسْبِيحًا وقُرْآنًا

أي قراءة، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [2]، هذا هو الأصل، ثمّ إنّ المقروء يسمّى قرآنًا، لأنّ المفعول يسمّى بالمصدر كما قالوا للمشروب: شراب وللمكتوب كتاب، واشتهر هذا الاسم في العُرْف حتّى جعلوه اسمًا لكلام الله تعالى.

وثانيها ـ قال الزّجّاج وأبو عُبَيدة: إنّه مأخوذ من القُرْء وهو الجمع، قال عمرو: هِجانُ اللَّوْن لم تقرأ جَنينًا، أي لم تجمع في رحمها ولدًا، ومن هذا الأصل: قرء المرأة وهو أيّام اجتماع الدّم في رَحِمها، فسمّي القرآن قرآنًا، لأنّه يجمع السُّوَر ويضمّها.

وثالثها ـ قول قُطْرُب وهو أنّه سمّي قرآنًا، لأنّ القارئ يكتبه، وعند القراءة كأنّه يلقيه من فيه، أخذًا من قول العرب: ما قرأت النّاقة سلّى قطّ، أي ما رمت بولد، ما أسقطت ولدًا قطّ وما طرحت، وسمّي الحيض قرأ لهذا التّأويل، فالقرآن يلفظه القارئ من فيه ويلقيه فسمّي قرآنًا. (٥: ٩٤ـ٩٥)

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ البقرة / ٢٧٧

الحجّة الثّالثة ـ «القُرْء» عبارة عن الجمع، يقال: ما قرأت النّاقة نسلاً قطّ، أي ما جمعت في رَحِمها ولدًا قطّ، ومنه قول عمرو بن كُلْثوم: هِجانُ اللَّوْن لم تقرأ جَنينًا.

---

١ ـ النّساء / ٨٢.

٢ ـ الإسراء / ٧٨.

وقال الأخفش: يقال: ما قرأت حيضة، أي ما ضمّت رَحِمها على حيضة، وسمّي الحوض مِقرأة لأنّه يجتمع فيه الماء، واقرأت النّجوم إذا اجتمعت للغروب، وسمّي القرآن قرآنًا لاجتماع حروفه وكلماته، ولاجتماع العلوم الكثيرة فيه، وقرأ القارئ أي جمع الحروف بعضها إلى بعض. (٦: ٩٥)

﴿اِنَّهُ لَقُرْاٰنٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ الواقعة/٧٧ـ ٨٠

وفيه مسائل:

المسألة الأولى ـ الضّمير في قوله تعالى: ﴿اِنَّهُ﴾ عائد إلى ماذا؟ فنقول: فيه وجهان:

أحدهما ـ إلى معلوم وهو الكلام الّذي أُنزل على محمّد ﷺ، وكان معروفًا عند الكلّ، وكان الكفّار يقولون: أنّه شعر وأنّه سحر، فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿اِنَّهُ لَقُرْاٰنٌ﴾ عائد إلى مذكور وهو جميع ما سبق في سورة الواقعة من التّوحيد، والحشر، والدّلائل المذكورة عليهما، والقسم الّذي قال فيه: ﴿وَاِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾ وذلك لأنّهم قالوا: هذا كلّه كلام محمّد ومخترع من عنده، فقال: ﴿اِنَّهُ لَقُرْاٰنٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾.

المسألة الثّانية ـ القرآن مصدر أو اسم غير مصدر؟ فنقول: فيه وجهان:

أحدهما ـ مصدر أُريد به المفعول وهو المقروء ومثله في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ اَنَّ قُرْاٰنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾[1]، وهذا كما يقال في الجسم العظيم انظر إلى قدرة الله تعالى أي مقدوره وهو كما في قوله تعالى: ﴿هٰذَا خَلْقُ اللهِ فَاَرُونِى﴾[2].

ثانيهما ـ اسم لما يقرأ كالقربان لما يتقرّب به، والحُلْوان لما يحلّى به فم المكاريّ أو الكاهن، وعلى هذا سنبيّن فساد قول من ردّ على الفقهاء قولهم في باب الزّكاة: يعطي شيئًا أعلى ممّا وجب ويأخذ الجبران أو يعطي شيئًا دونه، ويعطي الجبران أيضًا، حيث قال: الجبران مصدر

١ـ الرّعد/ ٣١.

٢ـ لقمان/ ١١.

لا يؤخذ ولا يعطى، فيقال له: هو كالقرآن بمعنى المقروء، ويجوز أن يقال: لما أخذ جابر أو مجبور أو يقال: هو اسم لما يجبر به كالقربان.

المسألة الثّالثة - إذا كان هذا الكلام للرّدّ على المشركين فهم ما كانوا ينكرون كونه مقروءاً، فما الفائدة في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾؟ نقول فيه وجهان:

أحدهما - أنّه إخبار عن الكلّ وهو قوله: ﴿قُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ فهم كانوا ينكرون كونه قرآناً كريمًا وهم ما كانوا يقرّون به.

وثانيهما - وهو أحسن من الأوّل، أنّهم قالوا: هو مخترع من عنده وكان النّبيّ ﷺ يقول: إنّه مسموع سمعته وتلوته عليكم، فما كان القرآن عندهم مقروءاً، وما كانوا يقولون: إنّ النّبيّ ﷺ يقرأ القرآن وفرّق بين القراءة والإنشاء، فلمّا قال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾ أثبت كونه مقروءاً على النّبيّ ﷺ ليقرأ ويتلى، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾، سمّاه قرآنًا لكثرة ما قرئ، ويقرأ إلى الأبد بعضه في الدّنيا وبعضه في الآخرة. (٢٩: ١٩٠-١٩١)

الفصل الحادي عشر

نصّ السَّخاويّ (م: ٦٢٣) في «جمال القُرّاء و كمال الإقراء»

أسماء القرآن

القرآن

اسم من أسماء هذا الكتاب العزيز، وهومنقول من المصدر، ودخول اللّام فيه كدخولها في «الفضل» ودخولها في «الفضل» كدخولها في «العبّاس». و إنّما تدخل في «العبّاس» ونحوه لأنّهابمنزلة الصّفات الغالبة، نحو: «الصّعق». كذا قال سيبويه والخليل [١]، وكأنّه أراد: الّذي يعبس، فلهذا المعنى دخلت اللّام، ومن لم يرد هذا المعنى، قال: عبّاس وحارث. ويدلّ على صحّة مذهبهما أنّه لم يدخلوا اللّام في «ثَور» و«حَجَر» ونحوذلك ممّانقل إلى العَلَميّة وليس بصفةٍ ولا مصدرٍ، وإنّما دخلت اللّام فيما نقل عن المصدر يوصف به فهو كالحارث، وأيضًا فأنّهم إذا قالوا: «الفضل» لحظوا فيها معنى الزّيادة، كما لحظوا المعنى المقدّم ذكره في الصّفة. والقرآن معناه: الجمع، من قولهم: قرأتُ الشّيء أي جمعتُه [٢]، يدلّ على ذلك قوله عَزَّوجَلَّ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [٣]، أي فإذا جمعناه فاتّبِع جمعه [٤].

١ـ انظر: الكتاب ٢: ١٠٠.

٢ـ انظر: نُكَت الانتصار لنقل القرآن (للباقلانيّ): ٥٦.

٣ـ القيامة / ١٨.

٤ـ انظر: تفسير الطّبريّ ١: ٤٢، ومجاز القرآن (أبي عُبَيدة) ١: ٣. وغرائب القرآن ١: ٢٨.

فإن قيل: فكيف يصحّ على ما ذكرت من أنّ معناه الجمع أن يقال: إنّ علينا جمعه وجمعه، وقد قال الله عزَّوجلَّ: ﴿إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ﴾ [١].

قلت: قال أبوعليّ: الجمع أعمّ، والقرآن أخصّ، فحَسُن التَّكرير لذلك كما يجوز: أعلمتُ زيدًا وأنذرتُه؛ لأنّ الإنذار أخصّ. لأنّ كلّ مُنْذِرٍ مُعلِّم وليس كلّ مُعلِّم مُنذرًا، وكذلك «قرأتُ» و«جمعتُ»، قرأتُ أخصّ من جمعتُ. وإذا جاز الاستعمال المعنى الواحد بلفظين مختلفين نحو: «أقوى» [٢] و«أقفر» فإنّ الجواز فيما تختصّ فيه إحدى الكلمتين بمعنى ليس للأخرى أولى.

وعن ابن عبّاس: كان النّبيّ ﷺ إذا ألقى إليه جبرئيل عليه السلام القرآن يعجل لحِرْصه، وخوفه أن ينساه، فيساوقه في قراءته ويحرّك شَفَتَيْه ـ وحرّك ابن عبّاس شَفَتَيْه ـ فقيل له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * انَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [٣]. و وزن قرآن «فُعْلان» وحقّه أن لاينصرف للعَلَميّة والزّيادة، فأمّا قوله عزَّوجلَّ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [٤].

وقال أبوعليّ: و«قرآنًا» حال من «القرآن» في أوّل الآية. قال: «ولا يمتنع أن يتنكّر ما جرى في كلامهم معرفةً من نحو هذا، قال: فمن ثَمّ أجاز الخليل في قولهم: يا هِنْدُ هِنْدٌ بين خِلْبٍ وكَبِدْ [٥]، أن يكون المعنى: ياهند أنت هند بين خِلْبٍ و كَبِد، فجعله نكرة لوصفه له بالظّرف» [٦] ...

---

١ ـ القيامة / ١٧.

٢ ـ اللّسان (قوا؛ ١٥: ٢١٠): «وأقوى الرّجل، إذا نزل بالقفر».

٣ ـ تفسير الطّبريّ ٢٩: ١٨٧.

٤ ـ الزّمر / ٢٧ ـ ٢٨.

٥ ـ بيت من الرّجز المشطور، و هو في سيبويه ٢: ٢٣٩، واللّسان (خلب ١: ٣٦٤)، والخِلْب: لحيمة رقيقة تصل بين الأضلاع، أو حجاب ما بين القلب و الكبد.

٦ ـ في سيبويه: «أنّه أراد: أنت بين خِلْبٍ و كبدٍ» والدّليل على أنّ (هندًا) نكرة، هو وصفها بالظّرف، أي أنت هند مستقرّة بين خِلْب و كَبِد، كما تقول: أنت زيد من الزّيدين، فتجعل زيدًا نكرة.

وأمّا قوله عزّ وجلّ: ﴿ وقُرْآنًا فرقْنَاهُ ﴾[١]. فقال أبو عليّ: يجوز أن يكون مفعولًا، والتّقدير: وبالحقّ أنزلناه وبالحقّ نزل، وأنزلناه قرآنًا.

قال [أيضًا]: ولا يجوز أن ينتصب على الحال من أجْل حرف العطف، قال: ألا ترى أنك لاتقول: جاءني زيد وراكبًا؟. قال: ويجوز أن يعطف على ما يتّصل به على حذف المضاف: أي وما أرسلناك إلّا مبشّرًا ونذيرًا وذا قرآنٍ.

وكان ابن كثير[٢] لايهمز القرآن، ويقول: القرآن إنّما هو اسم مثل التّوراة والإنجيل. وجوّز أن يكون من: قرنت الشّيء بالشّيء.

قال أبو عليّ: وهذا سهو ممّن ظنّه، لأنّ لام الفعل من «قَرَأْتُ» همزة، ومن «قَرَنْتُ» نون، والنّون في «قرآن» زائدة، وفي «قرنت» أصليّة، وهي لام الفعل. ونرى أنّ الإشكال وقع له من أجْل تخفيف الهمزة من «قرآن» لمّا حذفت وألقيت حركتها، فصار لفظه كلفظة «فُعال» من «قُرآن» وليس مثله. ولو سمّيت رجلًا بـ(قُرَان) مخفّف الهمزة لم تصرفه في المعرفة، كما لاتصرف (عُثمان) اسم رجل، ولو سمّيته بـ(قُرَان) من (قرنت) لانصرف.

وهذا سهو من أبي عليّ، وما كان مثل هذا يذهب على ابن كثير، وإنّما ذهب ابن كثير إلى أنّه اسم من أسمائه الكتاب العزيز، فيكون على قوله له اسمان: قرآن من قرأتُ، وقران من قرنتُ. وهذا واضح لا إشكال فيه.

الفرقان

ومن أسمائه الفرقان؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ... ﴾[٣] وهومنقول من المصدر وهو من المصادر الّتي جاءت على «فُعْلان» نحو: الغُفران والكُفران.[٤]

١ـ الإسراء / ١٠٦.

٢ـ عبدالله بن كثير بن المطّلب (م: ١٢٠ هـ). غاية النّهاية ١: ٤٤٥.

٣ـ الفرقان / ١.

٤ـ اللّسان: (فرق ١٠: ٣٠٢ وقرأ ١: ١٢٩).

وقال أبو عُبَيدة: تقديره تقدير قولهم: رجل قُنْعان، أي يرضى بـه الخـصمان ويَقْنَعـان[1].
فهو على هذا منقول من الصّفة. وإلى هذا القول، ذهب أبو عليّ.

وإنّما ذهـب أبـو عليّ في «القـرآن» إلى أنّـه مـصدر في الأصـل: وفي «الفرقـان» إلى مـا ذكرناه، قال: لأنّ الدّلالة قد قامت على أنّ (القرآن) لا يجوز أن يكون صـفة، كما قامت علـى جواز كون (الفرقان) صفةً. قال: وذلك أنّ الله عزّ وجـلّ قـال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَـا جَمْعَـهُ وَقُـرْآنَـهُ﴾، فلو كان صفة، لم تجز هذه الإضافة لأنّ الصّفة لا تضاف إلى الفاعل؛ لأنّ اسم الفاعل هو الفاعل في المعنى، والشّيء لا يضاف إلى نفسه.

قال: فلو كان «القرآن» صفة كما أنّ «الفرقان» صفة في قول أبي عُبَيدة، لم تجز فيـه هـذه الإضافة، فدلّ جوازها على أنّه مصدر في الأصل. ولا يمتنع أن يضاف المصدر إلى الفاعل، كما لا تمتنع إضافته إلى المفعول، لأنّه غير الفاعل، كما أنّه غير المفعول.

وأجاب عن أنّه لو كان صفةً لجري على موصوف كما قيل: رجل قُنْعان، وأُجـري صـفة على موصوف، فقال: لا يمتنع أن يكون صـفة وإن لم يَجْرِ علـى الموصـوف؛ لأنّ كـثيرًا مـن الصّفات استعمل استعمال الأسماء، مـن ذلـك: هـذا عبـدٌ، ورأيتُ عبـدًا، وهـو في الأصـل صفة، ولا يكادون يقولون: رجل عبد. وكذلك «صـاحب» ولـذلك لم تعمـل إعمـال أسمـاء الفاعلين نحو: ضارب وآكل...

وقال أبو عُبَيدة: في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَـى وَهَـارُونَ الْفُرْقَـانَ﴾.[2] وفي قولـه تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَـانَ﴾[3]، الفُرقان: ما فرّق بين الحـقّ والباطـل؛ لأنّ المسلمين عَلَت كلمتُهم يوم بدر بالقهر والغلبة، كما نصروا في الفرقان بالحجّة[4]...

١ـ مجاز القرآن (لأبي عُبَيدة) ١: ٣.

٢ـ الأنبياء / ٤٨.

٣ـ البقرة / ٥٣.

٤ـ انظر: غرائب القرآن (للنّيسابوريّ) ١: ٣١٥.

و قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ يبطل هذا التّأويل، ولكن يجوز في الآيتين جميعًا أن يريد بـ «الفرقان»: البرهان الّذي فرّق بين الحقّ و الباطل، نحو انقلاب العصا، و خروج اليد بيضاءً من غير سوءٍ، و غير ذلك من الآيات، أو الشّرع الفارق بين الحلال و الحرام [١].

و قيل: الفرقان: انفراج البحر [٢]. و ردّ أبو عليّ على هذا القول؛ لأنّ الفرقان قد استعمل في هذه الآيات في معانٍ لا في أعيانٍ؛ و لأنّ مصدر «فرقت» قد جاء في القرآن «فَرْقًا» [٣]، و لم يجيء «فُرْقانًا». قال: و إن كان بعض أمثلة المصادر قد جاء على مثال «فعلان» ... [وذكر قول أبي عُبَيدة، كما تقدّم عنه، فقال:]

و قال أبو عُبيد: الفُرقان عند النّحويّين مصدر فرقت بين الشّيء والشّيء أفرق فرقًا و فُرقانًا [٤]. و عن ابن عبّاس: الفرقان: المَخرَج [٥]، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [٦]، أي بيانًا ومَخرَجًا من الشّبهة والضّلال، وأنشدوا المُزَرِّد:

بادَ اللّيلَ أنْ يَبيتَ فلمّا أظلَمَ اللّيلُ لَم يَجِدْ فُرقانًا

الكتاب

ومن أسمائه الكتاب؛ سُمّي بذلك لأنّ الكتاب: الجمع؛ يقال: كَتَب، إذا جمع الحروف بعض إلى بعض، وتَكَتَّب بنو فلان، أي اجتمعوا [٧]. فسمّي بذلك لما اجتمع فيه من المعاني

١ـ نفس المصدر.

٢ـ نفس المصدر.

٣ـ يعني قوله تعالى في (المرسلات/ ٣ـ٤): ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾.

٤ـ انظر: تفسير الطّبريّ ١: ٤٤.

٥ـ نفس المصدر ١: ٤٣ـ٤٤.

٦ـ الأنفال/ ٢٩.

٧ـ انظر: اللّسان ١: ٤٤.

كالأمر و النّهي، والمحكم والمتشابه، والنّاسخ والمنسوخ، و الحلال والحرام، و نبأ ما كان و ما يكون، و ما يُحتاج إليه من أمر الدّين و تفصيل ما اختُلف فيه من الأحكام؛ قال الله عَزَّوجَلَّ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [١]. وقال عَزَّوجَلَّ: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرٰى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [٢]، ولذلك سُمّي قرآنًا لأنّه قد جُمع فيه كلّ شيء.

وقال أبو عُبَيد: سُمّي قرآنًا لأنّه جمع السُّوَر و ضمّها [٣]. وذلك تسميته بـ«الكتاب» أيضًا.

وقال أبو عليّ: الكتاب مصدر كتب؛ قال: ودليل ذلك انتصابه عمّا قبله في قوله عَزَّوجَلَّ: ﴿كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ [٤]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [٥].

قال: فمذهب سيبويه في هذا النّحو أنّه لمّا قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [٦]، دلّ هذا الكلام على «كُتب عليكم». وكذلك قوله عَزَّوجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ﴾ دلّ على «كتب الله موته و مدّة حياته»، فانتصب بـ«كتب» الّذي دلّ عليه الفعل المظهر.

قال: و مذهب غيره من أصحابه أنّه انتصب بالفعل الظّاهر [٧]. وكيف كان الأمر، فقد ثبت من ذلك أنّ الكتاب مصدر، كالوعد و الصّنع، من قوله عَزَّوجَلَّ: ﴿وَعْدَ اللهِ﴾ [٨] و ﴿صُنْعَ اللهِ﴾ [٩] في انتصابهما بما ذكر قبلهما من قوله عَزَّوجَلَّ: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾، و قوله

١ـ الأنعام / ٣٨.

٢ـ يوسف / ١١١.

٣ـ مجاز القرآن ١: ١.

٤ـ النّساء / ٢٤.

٥ـ آل عمران / ١٤٥.

٦ـ النّساء / ٢٣.

٧ـ و هو مذهب المبرّد، انظر: المقتضب ٣: ٢٠٣ـ ٢٠٤.

٨ـ الرّوم / ٦.

٩ـ النّمل / ٨٨.

عزَّوجلَّ: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾، ثمّ قال بعد ذلك: ﴿وَعْدَ اللهِ﴾ .

قال: و سُمّي به التّنزيل بدلالة قوله عزَّوجلَّ: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾[1]. ثمّ قال: و المراد بالمصدر الّذي هو الكتاب: المكتوب، كما يقال: الخلق ويراد به المخلوق لا الحَدَث؛ تقول: جاءني الخلق، و كلّمت الخلق، والدّرهم ضرب الأمير، والثّوب نَسْجُ اليمن، أو مضروبه، ومنسوج اليمن. وقول النّبيّ ﷺ: «الرّاجع في هِبته»، أي موهوبه.

قال: فما تأوّلناه في قولنا في «الكتاب» المسمّى به التّنزيل،أنّه يُراد به المكتوب، أرجح عندي من قول من قال: أنّه سُمّي بذلك لما فرض فيه وأوجب العمل به.

قال: ألاترى أنّ جميع التّنزيل مكتوب وليس كلّه مفروضًا؟ قال: وإذا كان كذلك كان العامل الشّامل لجميع المسمّى أولى ممّا كان بخلاف هذا الوصف. وهذا الّذي رجّحه أبوعليّ ليس براجح، لأنّ قولهم: هذا الدّرهم ضرب الأمير، قدعلم المراد منه، وأنّ الضّرب الّذي هوالعرض[2] الّذي قد انقضى وذهب لايصحّ أن يكون موجودًا ومشارًا إليه: فتعيّن أنّ المراد بالضّرب المضروب.

وليس كذلك «الكتاب» لأنّه اسم منقول[3] من المصدر، كفضل. وإنّما سُمّي القرآن به لأنّ معنى «كتب» الشّيء جمعه و ضمّ بعضه إلى بعض، و كذلك القرآن.

و قول من قال: إنّما سُمّي كتابًا لأنّه يقال: كتب الله كذا بمعنى أوجبه و فرضه، كقوله عزَّوجلَّ: ﴿وَلَوْ اَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ اَنِ اقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ﴾[4]، فسُمّي القرآن كتابًا لما فيه من الواجبات الّتي كتبها أرجحُ من قول أبي عليّ؛ لأنّ الشّيء يُسمَّى ببعض ما فيه. ثمّ إنّ قول أبي عليّ يوهم أن ليس إلّا هذا القول و قوله. و أوضح من القولين وأصحّ قول من قال: هو

١ـ الكهف / ١.

٢ـ في «ظ»: «الغرض».

٣ـ في «ظ»: المفعول و هو تحريف.

٤ـ النّساء / ٦٦.

منقول من المصدر الّذي هو بمعنى الجمع و الضمّ.

الذّكر

و من أسمائه الذكر؛ قال الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [1]. وهو منقول من المصدر، والذكر: الموعظة، والذّكر: الشّرف. [2]

الوحي

ومن أسمائه الوحي؛ قال المؤ منون كلّهم: القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ [3]، وهو من قولهم: وحَى يحِي وَحْيًا. قال الشّاعر: وَحَى لها القَرار فاستقرّت. ويقال: أوحَى يُوحي إيحاءً، و معناه الإفهام بإيماء وإشارة [4].

وقال بعض العلماء: الوحي قَذفٌ في القلوب، فكأنّه سُمّي وحيًا لأنّ المَلَك كان يفهمه النّبيّ ﷺ ولا يفهم عنه سواء، كما سمّوا ضرب الأمثال وحيًا من جهة اللّفظ، وذلك أن يضرب الرّجل لصاحبه مثلًا، فيعرف به أمرًا بينهما و لايفهمه سواء، و كلّ من أشار إلى معنى من غير إفصاح فبلغ بذلك المراد فقد أوحى.

التّنزيل

و من أسمائه التّنزيل؛ يقال: جاء في التّنزيل كذا، كما يقال: جاء في القرآن، وهومنقول من المصدر؛ يقال: نزّل تنزيلًا، قال الله عزّوجلّ: ﴿اَللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾.

القَصص

ومن أسمائه القَصص؛قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [5] ،والقصص في

١ـالحجر / ٩.

٢ـأنظر: اللّسان ٤: ٣١٠.

٣ـالأنبياء / ٤٥.

٤ـانظر: اللّسان ١٥: ٣٨٠.

٥ـآل عمران / ٦٢.

العربيّة: اتّباع الأثر [١]؛ قال الله عزّوجلّ: ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [٢].

قال الله عزّوجلّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [٣]، وأثر القرآن قصصه الّذي قصّه، أي اتّبعه وألقاه إلى غيره، كما قفّاه واتّبع فيه أثر الملك.

الرّوح

ومن أسمائه الرّوح؛ قال الله عزّوجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [٤]. سُمّي روحًا لأنّه يحيي به القلوب و الدّين؛ وقال الله عزّوجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [٥].

المثاني

و من أسمائه المثاني؛ وقال الله عزّوجلّ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ [٦]. سُمّي مثاني لأنّ القصص و الأنباء ثنّيت فيه، أي كرّرت؛ يقال: ثنّيت الشّيء، إذا كرّرته [٧].

وسمّاه الله عزّوجلّ «الهُدى»، و «البيان»، و «التّبيان»، و «الموعظة»، و «الرّحمة»، و «البشير»، و «النّذير»، و «العزيز»، الّذي لا يرام فلا يؤتى بمثله، و لا يستطاع إبطاله.

و «الحكيم»، وهو إمّا بمعنى المحكم ـ بفتح الكاف ـ أو المحكِم ـ بكسرها ـ من قولهم:

١ـ قال في اللّسان (قصص ٧: ٧٤): «قصصتُ الشّيء، إذا تتبّعت أثره شيئًا فشيئًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ أي اتّبعي أثره».

٢ـ الكهف / ٦٤.

٣ـ الأعراف / ٢٠٣.

٤ـ الشّورى / ٥٢.

٥ـ الأنفال / ٢٤.

٦ـ الزّمر / ٢٣.

٧ـ انظر: اللّسان (ثنى ١٤: ١١٩).

حكمة الدّابّة [١]؛ لأنّها تردّها عن الجور، لأنّه يرد العباد إلى القصد.

و «المهيمن» وهو الشّاهد، و «البلاغ»، قيل: لأنّه يكفي من غيره.

و «الشّفاء»، و «المجيد»، لشرفه على كلّ كلام، و «النّور»؛ قال الله عزّ و جلّ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [٢]. (١: ١٦١ـ١٧٥)

---

١ ـ انظر: اللّسان (حكم ١٢: ١٤٣).

٢ ـ المائدة / ١٥.

الفصل الثّاني عشر

نصّ ابن منظور (م: ٧١١) في «لسان العرب»

[معنى القرآن]

القرآن: التّنزيل العزيز، وإنّما قُدِّم على ما هو أبسط منه لشَرَفه. قَرَأه يَقرأه ويَقرؤه، الأخيرة عن الزَّجاج، قَرْءًا وقِراءةً وقُرآنًا، الأُولى عن اللِّحيانيّ، فهو مقْروء.

أبو إسحاق النّحويّ: يُسمّى كلام الله تعالى الّذي أنزله على نبيّه ﷺ كتابًا وقرآنًا وفُرقانًا، ومعنى القرآن معنى الجمع، وسُمّي قرآنًا لأنّه يجمع السُّوَر، فيضمُّها. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ﴾، أي جمعه وقراءته، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ﴾، أي قراءته. قال ابن عبّاس رضي الله عنه: فإذا بيّنّاه لك بالقراءة، فاعْمَل بما بيّنّاه لك، فأمّا قوله:

هُنَّ الحَرائرُ، لا ربّاتُ أَحْمِرةٍ   سُودُ المَحاجِرِ، لا يَقْرَأْنَ بالسُّوَرِ

فإنّه أراد لا يَقْرَأْن السُّوَر، فزاد الباء كقراءة من قرأ: تُنْبِت بالدُّهْن، وقراءة من قرأ: يكاد سَنَى بَرْقه يُذْهِب بالأبصار، أي تُنْبِت الدُّهن ويُذْهب الأبصار. وقَرَأْتُ الشّيء قرآنًا: جمعتُه وضممتُ بعضه إلى بعض.

ومنه قولهم: ما قرأتْ هذه النّاقة سَلًى قطّ، وما قرأتْ جَنينًا قطّ، أي لم يضطمّ رَحِمها على ولد، وأنشد: هِجانُ اللَّوْنِ لم تَقْرَأْ جَنِينا

وقال: قال أكثر النّاس معناه لم تجمع جنينًا أي لم يضطمّ رَحِمُها على الجنين. قال، وفيه قول آخر: لم تقرأ جنينًا أي لم تُلْقه.

ومعنى قرأتُ القرآن: لفظتُ به مجموعًا أي ألقيته... [ثمّ ذكر قول الشّافعيّ و إسماعيل بن قُسطنطين و ابن مجاهد، كما تقدّم عن الأزهريّ]

وفي الحديث: أقرؤُكم أُبَيٌّ.

قال ابن الأثير: قيل: أراد من جماعة مخصوصين، أو في وقت من الأوقات، فإنّ غيره كان أقرأ منه. قال: ويجوز أن يريد به أكثرهم قراءةً، ويجوز أن يكون عامًّا وأنّه أقرأ الصّحابة أي أتقنُ للقرآن وأحفظ. ورجل قارئ من قوم قُرّاءٍ وقَرَأَةٍ وقارئين. وأقرأ غيره يُقرئه إقراءً. ومنه قيل: فلان المُقْرئ.

قال سيبويه: قرأ واقترأ بمعنًى، بمنزلة علا قِرنَه واستعلاه. وصحيفةٌ مقروءة، لا يُجيز الكسائيّ والفَرّاء غير ذلك، وهو القياس. وحكى أبو زيد: صحيفة مَقْرِيَّةٌ، وهو نادر إلّا في لغة من قال: قَرَيْتُ. وقَرأْتُ الكتاب قراءةً وقرآنًا، ومنه سُمّي القرآن. وأقرأه القرآن، فهو مُقْرِئٌ.

وقال ابن الأثير: تكرّر في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارئ والقرآن، والأصل في هذه اللّفظة الجمع، وكلّ شيء جمعتَه فقد قرأتَه.

وسُمّي القرآن لأنّه جمع القصص والأمر والنّهي والوعد والوعيد والآيات والسُّوَر بعضها إلى بعضٍ، وهو مصدر كالغُفْران والكُفْران. قال: وقد يطلق على الصّلاة لأنّ فيها قراءة، تسميةً للشّيء ببعضه، وعلى القراءة نفسها، يقال: قَرَأَ يَقْرَأُ قِراءةً وقُرآنًا.

والاقتراء: افتعال من القراءة. قال: وقد تُحذف الهمزة منه تخفيفًا، فيقال: قُرانٌ، وقريْتُ، وقارٍ، ونحو ذلك من التّصريف. وفي الحديث: «أكثر منافقي أُمّتي قُرّاؤها»، أي أنّهم يحفظون القرآن نفيًا للتُّهمة عن أنفسهم، وهم معتقدون تضييعه. وكان المنافقون في عصر النّبيّ ﷺ، بهذه الصّفة.

وقارَأَهُ مُقارَأَةً وقِراءً، بغير هاء: دارَسَه.

واستقرأه: طلب إليه أن يقرأ. ورُوي عن ابن مسعود: تسمّعتُ للقَرَأَة فإذا هم متقارئون،

حكاه اللِّحيانيّ ولم يفسّره.

قال ابن سِيده: وعندي أنّ الجنّ كانوا يَرُومون القراءة.

وفي حديث أُبَيّ في ذكر سورة الأحزاب: إن كانت لتقارئ سورة البقرة، أو هـي أطـول، أي تجاريها مَدى طولها في القراءة، أو إنّ قارئها ليساوي قارئ البقرة في زمـن قراءتهـا، وهي مفاعلة من القراءة. قال الخَطّابيّ: هكذا رواه ابن هاشم، وأكثر الرّوايات: إن كانت لَتُوازي.

ورجل قَرّاء: حَسَن القراءة من قوم قَرّائين، ولا يُكسَّر. وفي حديث ابن عبّاس رضي الله عنه: أنّه كان لا يقرأ في الظّهر والعصر، ثمّ قال في آخره: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [1]، معنـاه: أنّـه كـان لا يجهر بالقراءة فيهما، أو لا يسمع نفسه قراءته، كأنّه رأى قومًا يقرأون فيُسمّعون نفوسَهم ومن قَرُب منهم. ومعنى قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، يريد أنّ القراءة الّتي تجهر بهـا، أو تـسمعها نفسك، يكتبها المَلَكـان، وإذا قرأتهـا في نفـسك لم يكتباهـا، والله يحفظهـا لـك ولا ينـساها ليُجازيك عليها.

والقارئ والمُتقرّئ والقُرّاء كلّه: النّاسك، مثل حُسّان وجُمّال...

وجمع القُرّاء: قُرّاؤون وقُرّائئ، جاؤوا بالهمز في الجمع لما كانت غير مُنْقلبةٍ بل موجودة في قَرَأْتُ.

القُرّاء، يقال: رجل قُرّاء وامرأة قُرّاءة. وتقرّأ: تَفقّه. وتَقَرّأ: تَنَسّك. ويقال: قَـرَأْتُ أي صِرْتُ قارئًا ناسكًا... [وذكر كما تقدّم عن الأزهريّ].

وقرأ عليه السلام يقرؤه عليه وأقرأه إيّاه: أبلغه. وفي الحديث: إنّ الرّبّ عَزَّوجَلَّ يُقْرئك الـسّلام. يقال: أقرئ فلانًا السّلام واقرأ عليه السلام، كأنّه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يَقْرأ السّلام ويردّه. وإذا قرأ الرّجل القرآن والحديث على الشّيخ يقول: أقرأني فلان أي حملني على أن أقرأ عليه.

والقَرْء: الوقت. قال الشّاعر:

---

[1] ـ مريم / ٦٤.

إذا ما السّماء لم تَغِمْ، ثمّ أخلَفَت قُروء الثُّريّا أن يكون لها قَطْر

يريد وقت نوئها الّذي يمطر فيه النّاس.ويقال للحُمّى : قَرْء ، وللغائب : قَرْء ، وللبعيد : قَرْء . والقَرْء والقُرْء : الحيض ، والطُّهر ضدّ . وذلك أنّ القَرْء الوقت ، فقد يكون للحيض والطُّهر .

قال أبو عُبَيد : القَرْء يصلح للحيض والطُّهر . قال : وأظنّه من أقرأت النّجوم إذا غابت . والجمع : أقْراء .

وفي الحديث : دَعي الصّلاة أيّام أقْرائك . وقُروء ، على فُعول ، وأقْرُؤ ، الأخيرة عن اللِّحيانيّ في أدنى العدد ، ولم يعرف سيبويه أقراءً ولا أقْرُوءًا . قال : استغنوا عنه بفُعُول . وفي التّنزيل : ﴿ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[1] ، أراد ثلاثة أقراء من قُرُوء ، كما قالوا خمسة كلاب ، يراد بها خمسة من الكلاب . وكقوله : « خمسِ بَنانٍ قانئِ الأظفار » ، أراد خمسًا من البنان . وقال الأعشى :

مُورِّثةً مالاً ، وفي الحَيّ رِفعةً لِمَا ضاع فيها من قُرُوء نسائكا

وقال الأصمعيّ في قوله تعالى:﴿ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾...[و ذكر كما تقدّم عن الأزهريّ، ثمّ ذكر قول أبي عُبَيد و الشّافعيّ و أبي إسحاق و الكسائيّ و الفَرّاء و الأخفش كما تقدّم عنه أيضًا، ثمّ ذكر أقوالًا كثيرة في معنى القُرء و القروء و الطُّهر و نحوها، وإن شئت فراجع].

(١ : ١٢٨–١٣٣)

١ـ البقرة / ٢٢٨.

الفصل الثّالث عشر

نصّ حيدر الآمُليّ (م: ٧٩٤) في «تفسير المحيط الأعظم...»

في معنى القرآن والفرقان

﴿إِن تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ الأنفال / ٢٩

والفرقان هو القرآن عند بعض، والقرآن مقام الجمعيّة الإلهيّة المشار إلى التّوحيد الجمعيّ المحمّديّ.

الفرقان عند بعض: علم فارق بين الكثرة والوحدة، والإجمال والتّفصيل، والجمع والتّفرقة، وهو مقام التّوحيد التّفصيليّ الأسمائيّ الهادي إلى مشاهدة الحقّ في مظاهر صفاته وكمالاته.

ومعناه أنّه يقول لعبيده: إن اتّقيتم واحترزتم في طريق معرفتي وتوحيدي ومقام شهودي وعياني عن مشاهدة الغير مطلقًا، وهديتكم إلى علم الفرقان بعد القرآن ومطالعة الكتاب الآفاقيّ بعد الكتاب القرآنيّ، ووهبتكم علمًا كاشفًا بين الحقّ والباطل، ونظرًا جامعًا بين الكثرة والوحدة، وفهمًا فارقًا بين الحقّ والخلق بمقتضى قوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [1].

وحصل لكم الإخراج من ظلمات الشّكوك والشّبهات، والخلاص من ورطات الجهل والغفلات، بمصداق قولي أيضًا: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ

١ـ النّساء / ١١٣.

لَا يَحْتَسِبُ﴾[١].

وذلك لأنّ من حصل له مطالعة القرآن على ما هو عليه في نفس الأمر، حصل له مطالعة الفرقان على ما هو عليه في نفس الأمر، أعني من حصل له مطالعة الأنفسيّ الّذي هو القرآن حقيقةً، لقولهم أنا القرآن النّاطق، ولقولهم:

أنا القرآن والسّبع المثاني ... وروح الرّوح لاروح الأواني

حصل له مطالعة الكتاب الآفاقيّ الّذي هو الفرقان حقيقةً، لقوله: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾.

ومن حصل له هذا صعد من درجة الإجمال إلى التّفصيل، ومن درجة الذّات إلى الأسماء والصّفات، ومن درجة الجمعيّة إلى التّفرقة، وجمع بين كلّ مرتبتين، منهما: بحيث لايحتجب بأحدهما عن الآخر، ولايخالف الأوّل الآخر، ولاالظّاهر الباطن، ولا الكثرة الوحدة، ولا الجمع التّفرقة، وصار به كاملاً، مكمّلاً، عارفًا، موحّدًا، محقّقًا، واصلاً مقام الاستقامة والتّمكّن، متخلّقًا بأخلاق الحقّ وأرباب اليقين، وحصل له من أهل الله وأرباب التّوحيد الدرجة العليا والغاية القصوى، المعبّر عنها بأحديّة الفرق بعد الجمع المشار إليها: ليس وراء عبّادان قرية.

وإليها أشار الشّيخ الأعظم ﷺ في قوله: «إيّاكم والجمع والتّفرقة»، فإنّ الأوّل يورث الزّندقة والإلحاد، والثّاني تعطيل الفاعل المطلق، وعليكم بهما، فإنّ جامعهما موحّد حقيقيّ، وهو المسمّى بجمع الجمع، وجامع الجمع، وله مرتبة العُليا والغاية القُصْوى. (٢٩٠ـ٢٩٢)

---

١ ـ الطّلاق / ٢ ـ ٣.

الفصل الرّابع عشر

نصّ الزّركشيّ (م: ٧٩٤) في «البرهان في علوم القرآن»

معرفة أسمائه واشتقاقاته

وقد صنّف في ذلك الحَراليّ جزءاً وأنهى أساميه إلى نيّف وتسعين، وقال القاضي أبو المعالي عُزَيزيّ بن عبد الملك رحمه الله: اعلم! أنّ الله تعالى سمّى القرآن بخمسة وخمسين اسمًا ... [ثمّ ذكرها كما سيأتي تفصيلًا عن الفيروزاباديّ إلّا أنّه أضاف إليها أسامي أُخرى، وهي:]

١ـ وسمّاه إيمانًا فقال: ﴿سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾[1].

٢ـ وسمّاه أمرًا فقال: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ﴾[2].

٣ـ وسمّاه زبورًا فقال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾[3].

٤ـ وسمّاه علمًا فقال: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾[4].

٥ـ وسمّاه الهادي فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾[5].

٦ـ وسمّاه ذكرًا فقال: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾[6].

١ـ آل عمران / ١٩٣.

٢ـ الطّلاق / ٥.

٣ـ الأنبياء / ١٠٥.

٤ـ الرّعد / ٣٧.

٥ـ الإسراء / ٩.

٦ـ الأنبياء / ٥٠.

وسمّاه أربعة أسامي في آية واحدة فقال: ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴾[١].

تفسير هذه الأسامي

فأمّا الكتاب؛ فهو مصدر كتب يكتب كتابةً، وأصلها الجمع، وسُمّيت الكتابة لجمعها الحروف، فاشتقّ الكتاب لذلك لأنّه يجمع أنواعًا من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة ويسمّى المكتوب كتابًا مَجازًا، قال الله تعالى: ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾[٢]، أي اللّوح المحفوظ. والكتابة حركات تقوم بمحلّ قدرة الكاتب، خطوط موضوعة مجتمعة تدلّ على المعنى المقصود، وقد يغلط الكاتب فلا تدلّ على شيء.

وأمّا القرآن: فقد اختلفوا فيه، فقيل: هو اسم غير مشتقّ من شيء بل هو اسم خاصّ بكلام الله وقيل: مشتقّ من القَرْي وهو الجمع ومنه «قريتُ الماء في الحوض» أي: جمعته. قاله الجوهريّ وغيره... [ثمّ ذكر قول الرّاغب وأبي عُبَيدة، كما تقدّم عنهما، فقال:]

وقال الهرَويّ: كلّ شيء جمعته فقد قرأته. وقيل: لأنّه جمع أنواع العلوم كلّها بمعانٍ كما قال تعالى: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾[٣].

وقال بعض المتأخّرين: لايكون القرآن و «قرأ» مادّته بمعنى جمع، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾[٤]، فغاير بينهما وإنّما مادّته «قرأ» بمعنى أظهر وبيّن، والقارئ يظهر القرآن ويخرجه، والقُرْء: الدّم لظهوره وخروجه، والقَرْء: الوقت فإنّ التّوقيت لايكون إلّابما يظهر.

وقيل: سُمّي قرآنًا لأنّ القراءة عنه والتّلاوة منه وقد قُرِئت بعضها عن بعض.

وفي «تاريخ بغداد» للخطيب في ترجمة الشّافعيّ قال: وقرأت القرآن على إسماعيل بن

١ـ عبس / ١٣ـ١٤.

٢ـ الواقعة / ٧٨.

٣ـ الأنعام / ٣٨.

٤ـ القيامة / ١٧.

قُسْطَنطين... [و ذكر كما تقدّم عن الأزهريّ، ثمّ قال:]

وقال الواحديّ: كان ابن كثير يقرأ بغير همز، وهي قراءة الشّافعيّ أيضًا. قال البيهقيّ: كان الشّافعيّ يهمز قرأت ولا يهمز القران ويقول هو اسم لكتاب الله غير مهموز.

قال الواحديّ: قول الشّافعيّ هو اسم لكتاب الله يعني أنّه اسم عَلَم غير مشتقّ كما قاله جماعة من الأئمّة. وقال وذهب آخرون إلى أنّه مشتقّ من قرنت الشّيء بالشّيء إذا ضممته إليه فسُمّي بذلك لقران السُّوَر والآيات والحروف فيه، ومنه قيل للجمع بين الحجّ والعُمْرة: قران؛ قال: وإلى هذا المعنى ذهب الأشعريّ.

وقال القُرْطبيّ: القران بغير همز مأخوذ من القرائن لأنّ الآيات منه يصدّق بعضها بعضًا ويشابه بعضها بعضًا فهي حينئذٍ قرائن.

قال الزّجّاج: وهذا القول سهو، والصّحيح أنّ ترك الهمز فيه من باب التّخفيف، ونقل حركة الهمزة إلى السّاكن قبلها وهذا ما أشار إليه الفارسيّ في «الحَلَبيّات» وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ﴾، أي جمعه في قلبك حفظًا وعلى لسانك تلاوةً وفي سمعك فهمًا وعلمًا، ولهذا قال بعض أصحابنا: إنّ عند قراءة القارئ تسمع قراءته المخلوقة ويفهم منها كلام الله القديم و هذا معنى قوله: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْءَانِ﴾[1]، أي لا تفهموا ولا تعقلوا لأنّ السّمع الطّبيعيّ يحصل للسّامع شاء أو أبى.

وأمّا الكلام: فمشتقّ من التّأثير؛ يقال: كلمة، إذا أثّر فيه بالجرح، فسُمّي الكلام كلامًا لأنّه يؤثّر في ذهن السّامع فائدة لم تكن عنده.

وأمّا النّور: فلأنّه يدرك به غوامض الحلال والحرام.

وأمّا تسميته «هُدًى»: فلأنّ فيه دلالة بيّنة إلى الحقّ وتفريقًا بينه وبين الباطل.

وأمّا تسميته «ذكرًا»: فلِمَا فيه من المواعظ والتّحذير وأخبار الأُمم الماضية؛ وهو

١ـ فُصّلت / ٢٦.

مصدر ذَكَرْتُ ذِكْرًا والذّكر: الشّرف، قال تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾[1] أي شرفكم.

وأمّا تسميته «تبيانًا»: فلأنّه بيّن فيه أنواع الحقّ وكشف أدلّته.

أمّا تسميته «بلاغًا»: فلأنّه لم يصل إليهم حال أخبار النّبيّ ﷺ وإبلاغه إليهم إلّا به.

وأمّا تسميته «مُبينًا»: فلأنّه أبان وفرّق بين الحقّ والباطل.

وأمّا تسميته «بشيرًا ونذيرًا»: فلأنّه بشّر بالجنّة وأنذر من النّار.

وأمّا تسميته «عزيزًا» أي يعجز ويعزّ على من يروم أن يأتيَ بمثله، فيتعذّر ذلك عليه لقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ﴾[2]، والقديم لا يكون له مثل، إنّما المراد أن يأتوا بمثل هذا الإخبار والقراءة بالوضع البديع، وقيل: المراد بالعزيز؛ نفي المهانة عن قارئه إذا عمل به.

وأمّا تسميته «فرقانًا»: فلأنّه فرّق بين الحقّ والباطل والمسلم والكافر والمؤمن والمنافق...

وأمّا تسميته «مثاني»: فلأنّ فيه بيان قصص الكُتُب الماضية، فيكون البيان ثانيًا للأوّل الّذي تقدّمه فيبيّن الأوّل الثّاني. وقيل: سمّي «مثاني» لتكرار الحِكَم والقصص والمواعظ فيه، وقيل: أنّه اسم الفاتحة وحدها.

وأمّا تسميته «وحيًا»: ومعناه تعريف الشّيء خُفيةً، سواءً كان بالكلام كالأنبياء والملائكة، أو بإلهام كالنّحل وإشارة النّمل، فهو مشتقّ من الوحي والعجلة، لأنّ فيه إلهامًا بسُرعةٍ وخُفيةٍ.

وأمّا تسميته «حكيمًا» فلأنّ آياته أُحكمت بذكر الحلال والحرام، فأُحكمت عن الإتيان بمثلها، ومن حكمته: أنّ علامتَه مَن علمه وعمل به ارتدع عن الفواحش.

وأمّا تسميته «مُصدّقًا»: فأنّه صدّق الأنبياء الماضين، أو كُتُبهم قبل أن تغيّر وتبدّل.

١ــ الأنبياء / ١٠.

٢ــ الإسراء / ٨٨.

وأمّا تسميته «مُهَيْمنًا»: فلأنّه الشّاهد للكُتُب المتقدّمة بأنّها من عند الله.

وأمّا تسميته «بلاغًا» فلأنّه كان في الإعلام والإبلاغ وأداء الرّسالة.

وأمّا تسميته «شفاء»: فلأنّه من آمن به كان له شفاء من سُقْم الكفر، ومن عَلِمه وعَمِل به كان له شفاء من سُقْم الجهل.

وأمّا تسميته «رحمةً»: فإنّ مَن فَهِمه وعَقِله كان رحمة له.

وأمّا تسميته «قصصًا»: فلأن فيه قصص الأُمَم الماضين وأخبارهم.

وأمّا تسميته «مجيدًا»: والمجيد: الشّريف، فمن شرفه أنّه حفظ عن التّغيير والتّبديل والزّيادة والنّقصان وجعله معجزًا في نفسه عن أن يؤتى بمثله.

وأمّا تسميته «تنزيلًا»: فلأنّه مصدر نزلته؛ لأنّه مُنْزَل من عند الله على لسان جبريل، لأنّ الله تعالى أسمع جبريل كلامه وفهّمه إيّاه كما شاء من غير وصف ولا كيفيّة نزل به على نبيّه، فأدّاه هو كما فهمه وعلمه.

وأمّا تسميته «بصائر»: فلأنّه مشتقّ من البصر والبصيرة، وهو جامع لمعاني أغراض المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ [1].

وأمّا تسميته «ذكرى» فلأنّه ذكرٌ للمؤمنين ما فطرهم الله عليه من التّوحيد. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، [2] فالمراد بالزّبور هنا جميع الكُتُب المُنزَلة من السّماء لا يختصّ بزبور داود، والذّكر أُمّ الكتاب الّذي من عند الله تعالى. وذكر الشّيخ شهاب الدّين أبو شامة في «المرشد الوجيز» في قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [3]، قال: يعني القرآن، وقال السّخاويّ: يعني ما رزقك الله من القرآن خير ممّا رزقهم من الدّنيا.

١ـ الأنعام / ٥٩.

٢ـ الأنبياء / ١٠٥.

٣ـ طه / ١٣١.

فائدة

ذكر المظفّريّ في «تاريخه»: لمّا جمع أبو بكر القرآن قال: سمّوه، فقال بعضهم: سمّوه إنجيلًا، فكرهوه، وقال بعضهم: سمّوه السِّفْر، فكرهوه من يهود، فقال ابن مسعود: رأيت للحبشة كتابًا يدعونه المُصْحَف، فسمّوه به.

فائدة

قال الحافظ أبو طاهر السّلفيّ[1]: سمعت أبا الكرم النّحويّ ببغداد، وسُئل كلّ كتاب له ترجمة، فما ترجمة كتاب الله؟ فقال: ﴿هٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾[2]. (١: ٢٧٣ـ٢٨٢)

---

١ ـ هو أبو طاهر أحمد بن محمّد بن أحمد السّلفيّ الحافظ، توفّي سنة ٥٧٦. (ابن خلّكان ١: ٣١)

٢ ـ إبراهيم / ٥٢.

الفصل الخامس عشر

نصّ الفيروزاباديّ (م: ٨١٧) في «بصائر ذوي التّمييز» في ذكر أسماء القرآن

اعلم! أنّ كثرة الأسماء تدلّ على شرف المسمّى، أو كماله في أمر من الأُمور. أما ترى أنّ كثرة أسماء (الأسد دلّت على كمال قوّته، وكثرة أسماء القيامة دلّت على كمال شدّته وصعوبته، وكثرة أسماء) الدّاهية دلّت على شدّة نكايتها. وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلّت على كمال جلال عظمته؛ وكثرة أسماء النّبيّ ﷺ دلّت على علوّ رتبته، وسموّ درجته. وكذلك كثرة أسماء القرآن دلّت على شرفه، وفضيلته.

وقد ذكر الله تعالى للقرآن مائة اسم نسوقها على نَسَقٍ واحد. ويأتى تفسيرها في مواضعها من البصائر... [ثمّ ذكر تسعة وثمانين اسمًا من أسماء القرآن، فحذفنا ما تكرّر منها، فبقي سبعة وأربعون اسمًا كما يلي:]

الأوّل ـ الحقّ ﴿وَقَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ﴾.

الثّاني ـ الحكيم ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾.

الثّالث ـ المنير ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾.

الرّابع ـ المبشّر ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الخامس ـ المفصّل ﴿الْكِتَابُ مُفَصَّلًا﴾.

السّادس ـ الصّدق ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾.

السّابع ـ ذكرى ﴿وَذِكْرٰى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾.

الثّامن ـ محكمة ﴿سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾.

التّاسع ـ الإنزال ﴿وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكُمْ﴾.

العاشر ـ المنزّل ﴿مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ﴾.

الحادي عشر ـ البيّنة ﴿بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ﴾.

الثّاني عشر ـ الوحي ﴿اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْيٌ يُوحٰى﴾.

الثّالث عشر ـ الرّسالة ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

الرّابع عشر ـ قيّمة ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾.

الخامس عشر ـ الكلام ﴿حَتّٰى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾.

السّادس عشر ـ الكلمات ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾.

السّابع عشر ـ الكلمة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾.

الثّامن عشر ـ الآيات ﴿تِلْكَ اٰيَاتُ اللهِ﴾.

التّاسع عشر ـ البيّنات ﴿بَلْ هُوَ اٰيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾.

العشرون ـ الفضل ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ﴾.

الحادي والعشرون ـ القول ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾.

الثّاني والعشرون ـ القيل ﴿وَمَنْ اَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا﴾.

الثّالث والعشرون ـ الحديث ﴿فَبِاَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

الرّابع والعشرون ـ العربيّ ﴿قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا﴾.

الخامس والعشرون ـ الخير ﴿مَاذَا اَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾.

السّادس والعشرون ـ البالغة ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾.

السّابع والعشرون ـ الحقّ ﴿وَاِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾.

الثّامن والعشرون ـ المتشابه والمثاني ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾.

التّاسع والعشرون ـ الغيب ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

الثّلاثون ـ الصّراط المستقيم ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

الحادي والثّلاثون ـ المبين ﴿قُرْآنٌ مُبِينٌ﴾.

الثّاني والثّلاثون ـ الحجّة ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾.

الثّالث والثّلاثون ـ المَثَل ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا﴾.

الرّابع والثّلاثون ـ العَجَب ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾.

الخامس والثّلاثون ـ الأثارة ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي ما يُؤثَر عن الأوّلين، أي يُرْوى عنهم.

السّادس والثّلاثون ـ القسط ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾.

السّابع والثّلاثون ـ الإمام ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.

الثّامن والثّلاثون ـ الكوثر ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.

التّاسع والثّلاثون ـ الماء ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾.

الأربعون ـ المتلوّ ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾.

الحادي والأربعون ـ المقروء ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾.

الثّاني والأربعون ـ العدل ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾.

الثّالث والأربعون ـ المسطور ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾.

الرّابع والأربعون ـ الثّقيل ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

الخامس والأربعون ـ المرتّل ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾.

السّادس والأربعون ـ التّفسير ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

السّابع والأربعون ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.

ومنها الصُحُف، والمكرَّم: والمرفوع، والمطهّر ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾.

ومن أسماء القرآن الواردة في الحديث النّبويّ: القرآن، حَبْل الله المتين، وشفاؤه النّافع، بحرٌ لاينقضي عجائبه، والمرشد: مَن عمِل به رَشَد، المعدِّل: مَن حَكَم به عَدَل. المعتَصم الهادي: مـن

اعتصم به هُدِي إلى صراط مستقيم. العِصْمة: عِصْمة لمن تمسّك به. قاصم الظَّهر: من بدّله من جبّار قصمه الله: مأدُبة الله في أرضه. النّجاة. ونجاة لمن اتّبعه النّبأ، والخبر: «فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم». الدّافع: يدفع عن تالي القرآن بَلْوَى الآخرة. صاحب المؤمن يقول القرآن للمؤمن يوم القيامة: أنا صاحبك كلام الرّحمن. الحَرَس من الشّيطان. الرُّجحان في الميزان.

فهذا الكتاب الّذي أبى الله أن يُؤتى بمثله ولو كان النّاس بعضهم لبعضٍ ظهيرًا. وذلك لأنّه كتاب جاء من غيب الغيب، بعالَم من العِلْم، وصل إلى القول، ومن (القول إلى القلم، ومن القلم إلى صفحة اللّوح، إلى حدّ الوحي ومن) الوحي إلى سفارة الرّوح الأمين، ومن سفارته إلى حضرة النّبوّة العُظْمى. واتّصل منها إلى أهل الولاية، حتّى أشعلوا سُرُج الهداية، وظفروا منها بكاف الكفاية، فلم يزل متعلّقة بحروفها وكلماته الرّاحة، فالرّحمة، والعزّة، والنّعمة، ففي حال الحياة للمؤمن رقيبٌ، وبعد الوفاة له رفيقٌ، وفي القبر له عديلٌ؛ وفي القيامة له دليلٌ، وميزان طاعته به ثقيلٌ. وفي عَرَصات الحشر له شفيعٌ وكفيلٌ، وعلى الصّراط له سائقٌ ورَسِيلٌ، و في الجنّة أبد الآبدين له أنيسٌ وخليلٌ. جعله الله لنا شفيعًا، ومَنْزِلنا بالعلم والعمل بما فيه رفيعًا. (١: ٨٨-٩٦)

الفصل السّادس عشر

نصّ السّيوطيّ (م: ٩١١) في «الإتقان في علوم القرآن»[1]

في معرفة أسمائه وأسماء سُوَره

قال الجاحظ: سمّى الله كتابه اسمًا مخالفًا لما سمّى العرب كلامهم على الجملة والتّفصيل. سمّى جملته قرآنًا، كما سمّوا ديوانًا، وبعضه سورة كقصيدة وبعضها آيةً كالبيت وآخرها فاصلةً كقافية.

وقال أبو المعاليّ عُزَيزيّ بن عبد الملك المعروف بـ«شَيْذَلة» في كتاب «البرهان»: اعلم! أنّ الله سمّى القرآن بخمسة وخمسين اسمًا ... [وذكر كما تقدّم نحوه عن الزّركشيّ، ثمّ قال:]

فأمّا تسميته كتابًا فلجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه، والكتاب لغةً: الجمع.

وأمّا المبين، لأنّه أبان أي أظهر الحقّ من الباطل.

وأمّا القرآن فاختُلِف فيه ... [وذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ، ثمّ قال:]

واختلف القائلون بأنّه مهموز، فقال قوم منهم اللِّحيانيّ: هو مصدر لقرأت كالرُّجحان والغُفران سُمّي به الكتاب المقروء، من باب تسمية المفعول بالمصدر.

وقال آخرون منهم الزَّجّاج: هو وصف على «فُعْلان» مشتقّ من القَرْء بمعنى الجمع ومنه قرأتُ الماء في الحوض: أي جمعتُه... [ثمّ ذكر قول أبي عُبَيدة والرّاغب كما تقدّم عنهما، فقال:]

وحكى قُطْرُب قولًا: أنّه إنّما سُمّي قرآنًا لأنّ القارئ يظهره ويبيّنه من فيه أخذًا من قول العرب: ما قرأتِ النّاقة سلًا قطّ: أي ما رمت بولدٍ، أي ما أسقطت ولدًا: أي ما حملت قطّ.

١ـ وذكر مثله أيضًا في كتابه الآخر: «معترك الأقران في إعجاز القرآن» ٢: ٣٢٦ـ٣٣٢. (م)

والقرآن يلفظه القارئ من فيه ويلقيه فسُمّي قرآنًا.

قلت: والمختار عندي في هذه المسألة ما نصّ عليه الشّافعيّ.

وأمّا الكلام فمشتقّ من الكَلْم بمعنى التّأثير لأنّه يؤثّر في ذهن السّامع فائدةً لم تكن عنده.

وأمّا النّور فلأنّه يدرك به غوامض الحلال والحرام.

وأمّا الهُدٰى فلأنّ فيه الدّلالة على الحقّ، وهومن باب إطلاق المصدر على الفاعل مبالغةً.

وأمّا الفرقان فلأنّه فرّق بين الحقّ والباطل، وجّهه بذلك مجاهد، كما أخرجه ابن أبي حاتم.

وأمّا الشّفاء فلأنّه يشفي من الأمراض القلبيّة، كالكفر والجهل والغِلّ، والبدنيّة أيضًا.

وأمّا الذّكر فلما فيه من المواعظ وأخبار الأُمَم الماضية، والذّكر أيضًا الشّرف، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[1]، أي شرف، لأنّه بلغتهم.

وأمّا الحكمة فلأنّه نزل على قانون المعتبر من وضع كلّ شيء في محلّه، أو لأنّه مشتمل على الحكمة.

وأمّا الحكيم فلأنّه أُحكِمت آياته بعجيب النّظم وبديع المعاني، وأُحكمت عن تطرّق التّبديل والتّحريف والاختلاف والتّباين.

وأمّا المُهَيْمِن فلأنّه شاهد على جميع الكُتُب والأُمَم السّالفة.

وأمّا الحبل فلأنّه من تمسّك به وصل إلى الجنّة أوالهدى، والحبل: السّبب.

وأمّا الصّراط المستقيم فلأنّه طريق إلى الجنّة، قويم لا عِوَج فيه.

وأمّا المثاني فلأنّ فيه بيان قصص الأُمَم الماضية، فهو ثانٍ لما تقدّمه. و قيل: لتكرّر القصص والمواعظ فيه، وقيل: لأنّه نزل مرّة بالمعنى ومرّة باللّفظ والمعنى، لقوله: ﴿إِنَّ هٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولٰى﴾ حكاه الكِرْمانيّ في «عجائبه».

وأمّا المتشابه فلأنّه يشبه بعضه بعضًا في الحُسْن والصّدق.

١ـ الزّخرف / ٤٤.

وأمّا الرّوح فلأنّه تحيا به القلوب والأنفس.

وأمّا المجيد فلشرفه.

وأمّا العزيز فلأنّه يعزّ على من يروم معارضته.

وأمّا البلاغ فلأنّه أبلغ به النّاس ما أُمِروا به ونُهُوا عنه، أولأنّ فيه بلاغة وكفاية عن غيره.

..[وذكر قول السّلفيّ كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

وذكر أبو شامة وغيره في قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1] أنّه القرآن.

فائدة

[بعد نقل قول المظفّريّ، كما تقدّم عن الزّركشيّ قال]

قلت: أخرج ابن أشتة في كتاب «المصاحف» من طريق موسى بن عُقْبة عن ابن شِهاب قال: لمّا جمعوا القرآن فكتبوه في الورق، قال أبو بكر: التمسوا له اسمًا فقال بعضهم: السِّفْر، وقال بعضهم: المُصْحَف، فإنّ الحبشة يسمّونه المُصْحَف. وكان أبو بكر أوّل من جمع كتاب الله وسمّاه المُصْحَف. ثمّ أورده من طريق آخر عن ابن بُرَيدة.

فائدة ثانية

أخرج ابن الضُّرَيس وغيره عن كعب، قال: في التّوراة: يا محمّد إنّي منزّل عليك توراة حديثة تفتح أعينًا عُمْيًا، وآذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا. وأخرج ابن أبي حاتم عن قَتادة، قال: لمّا أخذ موسى الألواح، قال: يا ربّ إنّي أجد في الألواح أُمّة أناجيلهم في قلوبهم، فاجعلهم أُمّتي، قال: تلك أُمّة أحمد. ففي هذين الأثرين تسمية القرآن توراةً وإنجيلًا، ومع هذا لايجوز الآن أن يطلق عليه ذلك، وهذا كما سمّيت التّوراة فرقانًا في قوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾[2] وسمّى ﷺ قرآنًا في قوله: «خفّف على داود القرآن». (١:١٧٨-١٨٥)

١- طه/ ١٣١.

٢- البقرة/ ٥٣.

الفصل السّابع عشر

نصّ صدر المتألّهين (م: ١٠٥٠) في «تفسير القرآن الكريم»

الوصف العرفانيّ للقرآن الكريم

اعلم أيّها القارئ! أنّ القرآن ... هو نورٌ يهتدي به في ظلمات البرّ والبحر، و دواءٌ من كلّ داءٍ وضُرٍّ، إذا رفع نقاب العزّة عن وجهه، وكشف جلباب العظمة والكبرياء عن لبّه وحقيقته، وانقشع سحاب الاحتجاب، ورفع الاختفاء والتّمنّع عن وجوه شموس آياته ورموزه، وأنوار تجلّيّاته وكنوزه، يشفي كلّ عليلٍ داء الجهل والشّقاوة، ويروي كلّ غليلٍ طلب الحقّ والسّعادة، ويداوي كلّ مريض القلب بعلل الأخلاق الذّميمة المزمنة، وأسقام الجهالات المهلكة، وتنوّر بنور أبصار بصائر القلوب، ويستعدّ للقاء الله علّام السّرائر والغيوب، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

وقد روي عن رسول الله ﷺ: «القرآن هو الدّواء»[2]، ورُوي عنه ﷺ أيضًا: «القرآن غِنًى لا فَقر بَعده»[3].

والقرآن هو حبل الله المتين الّذي نزّل إلى العالم الأسفل، لنجاة المحبوسين في سجن الدّنيا، المقيّدين بسلاسل التّعلّقات وأغلال الأثقال والأوزار، من حُبّ الأهل والولد والمال، وشهوة

١ـ المائدة / ١٥ـ١٦.

٢ـ بحار الأنوار ٩٢: ١٧٨.

٣ـ نفس المصدر ٩٢: ١٩.

البطن والفرج والحرص والآمال وخسران الآخرة والمآل، لوجدان العاجل والحال، وهو مع عظمة قدر حقيقته ومغزاه ورفعة سرّه ومعناه، ممّا تلبّس بلباس الحروف والأصوات، واكتسى بكسوة الألفاظ والعبارات، رحمةً من الله وشفقةً على عباده، وتأنيسًا لهم، وتقريبًا إليهم، وإلى أفهامهم، ومداراة معهم، ومنازلتهم إلى أذواقهم، وإلّا فما للتّراب وربّ الأرباب، ففي كلّ حرف من حروفه ألف غُنْج ودَلال، وغمز وجلب قلوب لأهل الأحوال، فوقع فيه النّداء لتخليص الأُسَراء من قيد هذا المَهْوى وسجن هذا الدّنيا، بقوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فبسطت شبكة الحروف والأصوات مع حبوب المعاني، لاصطياد طيور السّماوات، ولكلّ طير من الطّيور النّفسانيّة رزق خاصّ معلوم، كما لكلّ مَلَك في السّماء والأرض مقام معلوم، يَعرف ذلك مُنشئها ومُبْدِعها، وإنّما الغرض الأصليّ من بسط الشّبكة في الأرض اصطياد نوع خاصّ منها برزق مخصوص معلوم من العلوم، ولُبُّ حَبٌّ خاصّ من لُبوب الحبوب دون غيرهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]، وإلّا فما من رزق إلّا ويوجد في القرآن نوع من لُبّه وقشره و أصله و فرعه و سُنبُله و تِبْنه، متاعًا لكم و لأنعامكم، لقوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3].

فكما يوجد فيه من الحقائق الرّبّانيّة القُدسيّة الّتي كانت معرفتها غذاءً للأرواح العالية العقليّة، ففيه أيضًا يوجد المعارف الجزئيّة، والأحكام السّياسيّة، والقصص والأخبار، والحكايات الّتي ينتفع بها المتوسّطون في درجة النّجاة من عامّة أهل الإسلام، الّذين هم في النّشأة الثّانية ضرب من الحياة، دون المرتبة الّتي للهُداة المقرّبين، الإحياء بالحياة العقليّة بالذّات، ففيه الأغذية الرّوحانيّة و الجسمانيّة الأُخرويّتين، المبقيّة للحياتين العقلانيّة

١ـ الذّاريات / ٥٥.

٢ـ البقرة / ٦.

٣ـ الأنعام / ٥٩.

والنّفسانيّة، لأهل المنزلتين و الجنّتين، و فيه أيضًا ما به صلاح هذه النّشأة الدّنياويّة، كالقصاص و الدّيات و المواريث.

وقد نظّمت أبياتًا فارسيّة في وصف القرآن، وكونه غذاءً سماويًّا يختصّ الاغتذاء به لأرواح أهل المحبّة الإلهيّة من نوع الإنسان، أوردت بعضًا منها هاهنا وهي هذه:

هست قرآن چون طعامي كز سماء — گشته نازل از براى اغتذاء

اغتذاى آدم از لوح و قلم — اغتذاء يابد دوابّ از راه فم

﴿فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُم﴾ گفته خدا — رزق انسان گشته نازل از سَماء

روزى انسان رسد از آسمان — روزى حيوان بود از آش و نان

تو زِ قرآن بنگرى افسانه ها — قشر و كَه بينى نه مغز و دانه ها

هَست بهر آدمى دُهْن و لُبوب — تِبْن و قشراز بهرحيوان ني حبوب

تو زِ قرآن مى نَجُوئى غير حرف — جان دِهى بهر لغت يا نحووصرف

هيهات أنّك لست من أهل القرآن حتّى ينكشف لك أسراره وأغواره، لتعرف أنّه ما من شيء إلّا وفيه بيانه وتبيانه، ولو كان من باطنك طريق إلى عالم النّور والملكوت القرآنيّ لتجلّي لك قوله: ﴿اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَاِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

ولكنت ذاخشية إلهيّة لازمة لإدراك عظمة الله، وذا خشوع قلبيّ لازم لفهم عظمة كتابه القرآنيّ ومعاني آياته، لقوله تعالى: ﴿لَوْ اَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْاٰنَ عَلٰى جَبَلٍ لَرَاَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ﴾[2]. وخطابات القرآن ممّا يختصّ بأحبّاء الله والمتألّهين والمقرّبين، لا المبعدين الباكرين الجاهدين، ممّن ليس لهم نصيب في القرآن ولا لهم اغتذاء بلبوب معانيها وحقائقها المبقيّة للنّفوس الملكوتيّة في دار الحيوان ﴿وَاِنَّ الدَّارَ الْاٰخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[3]..

١ـ الحجر / ٩.

٢ـ الحشر / ٢١.

٣ـ العنكبوت / ٦٤.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1] وهم عن السّمع لمعزولون ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[2] ...

ثمّ لايخفى على أُولى النُّهى أن تولّي مثل أبي لهب وأبي جهل وغيرهما عن القرآن وانعزالهم عن السّمع، ليس من جهة عدم فهمهم ترجمة القرآن، أوعدم اطّلاعهم على ظاهر العربيّة وقواعد النّحو والصّرف وعلم البيان، ولا لأجل الصُّمم في آذانهم الجسمانيّة والعُمي في أعينهم البدنيّة والبُكم في قلوبهم الحيوانيّة، ولكن لأنّهم كانوا من أهل الغفلة والحجاب الكلّيّ، عمى القلوب عن مشاهدة الحقائق، صمّ العقول عن سماع ذكر الحبيب، بُكم الأرواح عن قبول دعوة الإله، واستدعاء طلب التّقرّب إلى الحقّ بالإعراض عمّا سواه، كما أخبرالله عنهم بقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[3].

والقرآن غذاء للقلوب الصّافية، وبلاء للنّفوس المريضة بداء الجهالة، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[4].

وليس المراد بالإيمان في هذا المقام ما هو بحسب الظّاهر، وإلّا لما وقع التّكليف للموصوفين بهذا الظّاهر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾[5].

ولاشبهة في أنّ المشتغلّين بالدّنيا المنهمكين في اللّذّات ليسوا من أهل الاهتداء بنور القرآن، ولايمكنهم الارتقاء إلى نشأة العرفان: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ

---

١ ـ العنكبوت / ٦٣.

٢ ـ الأنفال / ٢٣.

٣ ـ البقرة / ١٧١.

٤ ـ فُصّلت / ٤٤.

٥ ـ النّساء / ١٣٦.

وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [1]. (٦: ٨-١٢)

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ البقرة / ٢

واعلم! أنّ أصل «ذلك» وهذا «ذا» وهي كلمة إشارة زيدت الكاف عليها للخطاب، واللّام للتّوكيد والهاء للتّنبيه، فأصلها واحد، فإذا قرب الشّيء أُشير إليه.

فقيل: «هذا» أي تنبّه أيّها المخاطب، فيشبه أن يكون دلالة «ذلك» على البعيد عرفًا طارئًا على أصل الوضع، للقرينة الّتي ذكرناها.

و«الكتاب» أصله: الكَتْب وهو الجمع، ومنه: «الكتيبة» للجُنْد، لانضمام بعضهم إلى بعض، وهو مصدر بمعنى المكتوب كالحساب، وقيل: سُمّي به المفعول مبالغةً، ثمّ عبّر عن المنظوم لفظًا قبل أن يكتب، لأنّه ممّا يكتب، كما يقال للمكتوب، كلام باعتبار أنّه ما كان قبل الكتابة. وقد مرّ في «المفاتيح» أنّهما واحد بالذّات، مختلف بالإضافة، وهو إسم للقرآن، وله أسماء كثيرة ... [ثمّ ذكر بعض أسماء القرآن، كما تقدّم نحوها عن الزّركشيّ].

(١: ٢٢٦-٢٢٧)

نصّه أيضًا في «أسرار الآيات»

في نعوت القرآن وأساميه

اعلم! أنّ القرآن في اللّغة بمعنى الجمع، كما أنّ الفرقان بمعنى الفرق والتّفصيل؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [2].

والأوّل - إشارة إلى العلم الإجماليّ المعروف عند العلماء بالعقل البسيط، وهو العلم بجميع

١- الرّعد / ١٨-١٩.

٢- القيامة / ١٧-١٩.

الموجودات على وجه بسيط إجماليّ، وذلك العقل هوفعّال تفاصيل العلوم النّفسانيّة.

والثّاني ـ إشارة إلى العلم النّفسانيّ المتكثّر بصُوَر عقليّة حاصلة في النّفوس الفاضلة، وربّما يحصل الثّاني دون الأوّل، لكنّ الأوّل لاينفكّ عن الثّاني، فكلّ قرآن لاينفكّ عن الفرقان دون العكس.

و نفس نبيّنا ﷺ في مقام ـ قاب قوسين أوأدنى ـ عقل بسيط قرآنيّ متّحد مع المعقولات كلّها، وهو قلم الحقّ الأوّل، وكلامه بوجه، وهو كلمة الله التّامّة الّتي فيها جوامع الكَلِم، كما في قوله ﷺ: «أُوتيتُ جوامع الكَلِم».

وفي مقام آخر لوح نفسانيّ فيه تفاصيل العلوم وصُوَر الحقائق المرسومة فيه من قِبَل قلم الحقّ الفعّال لصُوَر العلوم، وتلك الصُّوَر أومحلّها هوالكتاب الفُرقانيّ. فهذا المُصْحَف الّذي بين أظهرنا قرآن بوجه، وفرقان بوجه، وهو كلام الله بوجه، وكتابه بوجه، وسينكشف لك وجوهًا لفرق بين كلام الله وكتابه، وأنّ المُنْزَل على سائر الأنبياء كتابه لا كلامه، وأنّ ذلك فرقان.

إذا علمت هذا فاعلم! أنّ من أسمائه نورٌ، لأنّه نورٌعقليٌّ ينكشف به أحوال المبدأ والمعاد، يتراءى به حقائق الأشياء، ويهتدي به في سلوك يوم القيامة وطريق الجنّة، كما قال تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَاالايمَانُ وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَاِنَّكَ لَتَهْدِى اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1] وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ بِاِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2]، فقوله: ﴿نُورٌ﴾ إشارة إلى مرتبة العقل القرآنيّ البسيط. وقوله: ﴿كِتَابٌ﴾ إشارة إلى مرتبة العلم التّفصيليّ كما قال: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾[3] وقال:

١ـ الشّورى / ٥٢.

٢ـ المائدة / ١٥ـ١٦.

٣ـ فُصّلت / ٣.

﴿الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [١] وقال: ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢].

ومن أسمائه العظام: الحكمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [٣]، فإنّ الموجودات ـ أعني الممكنات ـ متميّزة حال عدمها الكَوْنيّ في علم الله الواحد، ويعلم الله تعالى بعلم واحد بسيط صُوَر جميع الأشياء، ويراها ويأمرها بالتّكوين بأمر واحد هي كلمة «كُنْ» الوجوديّ. فما عندالله، بل الأمر كلّه في نفسه، وفي علم الله مفصّل، وإن كان كلّه معلومًا بعلم واحد، لكنّ معلوماته كثيرة؛ كثرة لاتُحصى، وإنّما وقع الإجمال في حقّنا، فمن كوشف بالتّفصيل في عين الإجمال، علمًا أو عينًا أو حقًّا، فذلك العالم الّذي أعطاه الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب، وليس ذلك إلّا الأنبياء عليهم السلام والوَرَثة هم من العلماء الرّاسخين.

وأمّا الفلاسفة المشهورون فليسوا من هذا المقام في شيء، ولايعلمون التّفصيل في عين الإجمال، كما يراه صاحب هذا المقام الّذي أعطاه الله الحكمة وفصل الخطاب، وهذه الحكمة عناية ربّانيّة وموهبة إلهيّة لا يُؤتى بها إلّا من قبَله تعالى، كما قال: ﴿يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [٤].

فهذه الآية تدلّ على أنّ الحكمة من مواهب الله الّتي لاتحصل بمجرّد السّعي، بل حصولها بالمشيئة الرّبّانيّة لاغير. ولأجل ذلك ذكرأنّه من فضل الله في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [٥]. بعد قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [٦].

---

١ ـ هود / ١.

٢ ـ يونس / ٣٧.

٣ ـ صٓ / ٢٠.

٤ ـ البقرة / ٢٦٩.

٥ ـ الجُمُعة / ٣.

٦ ـ الجُمُعة / ٤.

وفي هذه الآية إشارة إلى أنّ هذه الحكمة المعبّر عنها تارةً بالقرآن، وتارةً بالنّور، وعند الحكماء بالعقل البسيط، هو من فضل الله وكمال ذاته، أتاها الله لمن اختاره واصطفاه من خواصّ عباده ومحبوبيه، كملك من الملوك يعطي خلعته ولباسه المخصوص لمن أحبّه من مقرّبيه، لأنّ الحكمة الحقّة من صفاته الذّاتيّة، ولا ينالها أحد من الخلق إلّا بعد تجرّده عن الدّنيا وعن نفسه بالتّقوى والزّهد الحقيقيّ، والفناء من شوائب الخليقة، والانخراط في سلك المُهَيمنين من ملائكته وعباده المقرّبين حتّى يعلّمه الله من لدنه علمًا، ويؤتيه حكمةً وخيرًا كثيرًا وفضلًا عظيمًا ويحييه حياةً طيّبةً، وجعل له نورًا يمشي به في ظلمات الدّنيا وبرازخ القبور، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾.[1] فقوله: ﴿كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ أي فانيًا عن غير الله باقيًا به. والنّور الّذي يمشي به في النّاس هو نور الله، كما في قوله ﷺ: «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله».

ومن أسمائه: الرّوح، قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾.[2] وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا...﴾.[3]

ومن نعوته: الحقّ، قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[4]، ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾[5] ﴿الْمر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[6] وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا

١ـ الأنعام / ١٢٢.

٢ـ غافر / ١٥.

٣ـ الشّورى / ٥٢.

٤ـ النّحل / ١٠٢.

٥ـ السّجدة / ٣.

٦ـ الرّعد / ١.

أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [١].

ومن ألقابه الشّريفة: الهُدى، لأنّه يهدي إلى الحقّ، بل هو الحقّ، قوله تعالى: ﴿ذٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [٢]، وقوله: ﴿وَهُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [٣].

ومن ألقابه: الذّكر، لأنّه يتذكّر به الأمور الآخرة وأحوال المبدأ والمعاد ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾ [٤].

ومنها: الشّفاء، لأنّ به يقع النّجاة عن الأمراض النّفسانيّة، والأسقام الباطنيّة، والآلام الأخرويّة، من الجهل والحسد والكبر والرّياء والنّفاق والرّعونة والشّهوة والغضب وحبّ الجاه وسائر المهلكات والأمراض الّتي إذا استحكمت أعيت الأطبّاء الرّوحانيّين عن علاجها.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [٥] يعني أنّ القرآن هدًى وشفاءٌ بالقياس إلى قوم، وهم الّذين لم يفسد قرائحهم، ولم يتغيّر فطرتهم الأصليّة الّتي فطرهم الله عليها، وهو بعينه ضلال بالقياس إلى من فسدت قريحته وتغيّرت فطرته، كما أنّ نور الشّمس يقوّي الأبصار وهو عَمًى للخفافيش، كما في قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [٦] وقوله: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [٧].

---

١ ـ الرّعد/١٩.

٢ ـ الزّمر/٢٣.

٣ ـ البقرة/٢ ـ ٣.

٤ ـ الزّخرف/٤٣ ـ ٤٤.

٥ ـ فصّلت/٤٤.

٦ ـ البقرة/١٠.

٧ ـ البقرة/٢٦.

ومنها: الهدى والرّحمة؛ قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]. وصفات القرآن ونعوته كثيرة، يؤدّي ذكرها إلى الإطناب فاكتفينا بما ذُكر، لأنّه كافٍ للمتدبّر المستبصر. (٣٦ـ٤١)

نصّه أيضًا في «مفاتيح الغيب»

[حُجُب القرآن وأسماءه]

أيّها الرّجل! إنّ القرآن أُنزل إلى الخلق مع آلاف الحُجُب، لأجل تفهيم ضعفاء العقول، خفافيش الإبصار، فلو «عرش» باء بسم الله مع عظمته الّتي كانت له نزل إلى الفرش واضمحلّ، وفي قوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[2]، إشارة إلى هذا المعنى، رحم الله عبدًا قال كاشفًا لهذا المعنى: كلّ حرف في اللّوح أعظم من جبل قاف، وهذا اللّوح هو اللّوح المحفوظ في قوله تعالى: ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[3] وهذا القاف هو رمز إلى ما في قوله: ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[4] فإنّ القرآن وإن كان حقيقة واحدة، إلّا أنّ لها مراتب كثيرة في النّزول، وأساميه بحسبها مختلفة، ففي كلّ عالم و نشأة يسمّى باسم مناسب لمقامه الخاصّ، ومنزله المعيّن، كما أنّ الإنسان الكامل حقيقة واحدة، وله أطوار ومقامات ودرجات كثيرة في الصّعود وأسامي مختلفة، وله بحسب كلّ طور ومقام اسم خاصّ.

أمّا القرآن ففي عالم يسمّى بالمجيد: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾[5]، وآخر اسمه عزيز: ﴿إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾[6]، وفي آخر اسمه عليّ حكيم: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ

١ـ النّحل / ٦٤.

٢ـ الحشر / ٢١.

٣ـ البروج / ٢٢.

٤ـ قٓ / ١.

٥ـ البروج / ٢١.

٦ـ فصّلت / ٤١.

حَكِيمٌ﴾[١] و في آخر كريم: ﴿اِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾[٢]...

وله ألف ألف من أسامي لايمكن سماعها بالأسماع الظّاهرة، ولو كنت ذا سمع باطنيّ في عالم العشق الحقيقيّ والمحبّة الإلهيّة، لكنت ممّن تسمع أسماءه وتشاهد أطواره. (٢٢ـ٢٣)

١ـ الزّخرف / ٤.

٢ـ الواقعة / ٧٧ـ٧٨.

الفصل الثّامن عشر

نصّ الطُّرَيحيّ (م: ١٠٨٥) في «مجمع البحرين...»

[أسامي القرآن]

١ـ القرآن، قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [١] أي جمعه في صدرك وإثبات قراءته في لسانك، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ جعل قراءة جبرئيل قراءته، قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي فكن مقفّيًا له فيه، فهو مصدر مضاف إلى المفعول أي قراءتك إيّاه، قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾ [٢] الإقراء: الأخذ على القارئ بالاستماع لتقويم الزّلل، والقارئ: التّالي، وأصله الجمع، لأنّه يجمع الحروف، أي سنأخذ عليك قراءة القرآن فلاتنسى ذلك، ومعناه سيقرأ عليك جبرئيل بأمرنا فتحفظ فلا تنساه، والنّسيان: ذهاب المعنى عن النّفس، ونظيره السّهو، ونقيضه الذّكر، كذا ذكره الشّيخ أبو عليّ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ [٣] هو اسم لكتاب الله تعالى خاصّة لا يسمّى به غيره، وإنّما سمّي قرآنًا لأنّه يجمع السُّوَر ويضمّها، وقيل: لأنّه جمع القصص والأمر والنّهي والوعد والوعيد والآيات والسُّوَر بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران، يقال: «فلان يقرأ قرآنًا حسنًا» أي قراءة حسنة. (١: ٣٣٦ـ٣٣٧)

١ـ القيامة / ١٧.

٢ـ الأعلى / ٦.

٣ـ النّمل / ٩٢.

٢ـ الكتاب ،قوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [١] ، القرآن والحكمة هي الشّريعة وبيان الأحكام.

قوله: ﴿وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ﴾ [٢] ، أراد بالكتاب القرآن، وهو المبين الّذي أُنزِل عليهم بلغتهم، وقيل: الّذي أبان طريق الهُدٰى وما يحتاج إليه الأُمّة من الحلال والحرام وشرائع الإسلام.

قوله: ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ [٣]:

قيل: هو التّوراة.

وقيل: هو صحائف الأعمال.

وقيل:القرآن مكتوب عند الله في اللّوح المحفوظ. (٢: ١٥٣)

٣ ـ الفُرقان،وقوله:﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ [٤] أي بيّنّاه عند مَن خفّف من: فَرَقَ يفرق. ومَن شدّد قال: أنزلناه مفرّقًا في أيّام.

قوله:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسٰى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [٥] ،الفرقان: القرآن وكلّ ما فرّق به بين الحقّ والباطل فهو فرقان، والآية من الثّاني. وفي الحديث: «الفرقان المحكم الواجب العمل به، والقرآن جملة الكتاب».

قوله: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [٦] أي نصرًا، ويقال: أي هداية من قلوبكم، تفرّق بين الحقّ والباطل. (٥: ٢٢٤)

٤ـ الذّكر،﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ قيل: لما فيه من قصص الأوّلين والآخرين.

١ـ البقرة/ ١٥١.

٢ـ الدّخان/ ٢.

٣ـ الطّور/ ٢ـ ٣.

٤ـ الإسراء/ ١٠٦.

٥ـ الأنبياء/ ٤٨.

٦ـ الأنفال/ ٢٩.

قوله: ﴿ءأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾[١]، الذّكر من أسماء القرآن، سمّي به لأنّه لا يذكر ويذكر به المنزل عليه والمؤمن به والعامل والتّالي فيفيده.

و﴿الذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾[٢] أي المحكم الّذي أحكمت آياته أو المتضمّن للحكمة. (٣: ٣١١)

٥ـ النّور، قوله تعالى: ﴿اَللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٣] والنّور: الضّياء، وهو خلاف الظّلمة وسمّي النّبيّ ﷺ نورًا للدّلالات الواضحة الّتي لاحت منه البصائر، وسمّي القرآن نورًا للمعاني الّتي تخرج النّاس من ظلمات الكفر، ويمكن أن يقال: سمّى نفسه تعالى نورًا لما اختصّ به من إشراق الجلال وسبحات العظم الّتي تضمحلّ الأنوار دونها، وعلى هذا لا حاجة إلى التّأويل، وجمع النّور أنوار. (٣: ٥٠٥)

٦ـ المبارك، قوله: ﴿وَهٰذَا كِتَابٌ اَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾[٤]، قال المفسّرون: هذا ـ أعني القرآن ـ أنزلناه من السّماء إلى الأرض مباركًا. وإنّما سمّاه مباركًا لأنّه ممدوح كلّ من تمسّك به نال الفوز، ولأنّ قراءته خير، والعمل به خير، وفيه علم الأوّلين والآخرين، وفيه مغفرة للذّنوب، وفيه الحلال والحرام. وقيل: البركة: الزّيادة، والقرآن مبارك لما فيه من زيادة البيان على الكتب السّماويّة، لأنّه ناسخ لا يرد عليه نسخ، فبقاؤه إلى آخر التّكليف. (٥: ٢٥٨)

٧ـ أحسن الحديث، قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا اَحْسَنَ مَا اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ﴾[٥] يعني القرآن، بدليل قوله: ﴿اَللهُ الَّذِى نَزَّلَ اَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾[٦]، وقيل: هو أن يأتي بالمأمور به ويترك المنهيّ عنه... قوله: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ اَحْسَنُ﴾، قال: القرآن. (٦: ٢٣٢ـ٢٣٣)

١ـ ص/ ٨.

٢ـ آل عمران/ ٥٨.

٣ـ النّور/ ٣٥.

٤ـ الأنعام/ ٩٢.

٥ـ الزّمر/ ٥٥.

٦ـ الزّمر/ ٢٣.

الفصل التّاسع عشر

نصّ البروجرديّ (م: ١٢٧٧) في «تفسير الصّراط المستقيم»

في أسمائه وألقابه

اعلم! أنّ الشّيء كلّما كثُرت شئونه وآثاره، وتجلّت أشعّته وأنواره، تعدّدت أسماءه وألقابه، فهذا النّور اللّامع، والضّياء السّاطع، والكتاب المبين، وحبل الله المتين، والماء المعين، والمنهج القويم، والصّراط المستقيم، لمّا كان مطلع أنواره العناية والهداية، ومنبع أسرار النّبوّة والولاية، أشرقت تجلّيات أنواره على أُفق التّشريع والتّكوين، وظهر من رَشَحات لمعات أشعّته جميع العالمين، ولذا تكثّرت أسماؤه الشّريفة، وتعدّدت ألقابه المنيفة، ونحن نكتفي في الإشارة إليها بالإجمال عن التّفصيل حذرًا من التّطويل.

١ـ القرآن: فمنها القرآن؛ قيل: إنّه غير مشتقّ كالتّوراة والإنجيل، إلّا أنّ الأظهر الأشهر اشتقاقه، فإنّه في الأصل مصدر ثالث لقَرَءَ ـ كمَنَعَ أو نَصَرَ على ماقيل ـ يقرأ قرأ بالفتح، وقراءة بالكسر، وقُرآنًا بالضّمّ، بمعنى الجمع أو التّبليغ أو التّلاوة.

قال في «القاموس»: القرآن: التّنزيل... [١]

و في «المصباح المنير»: قرأتُ أُمّ الكتاب و بأُمّ الكتاب ـ يتعدّي بنفسه وبالباء ـ قراءةً وقرآنًا، استعمل القرآن اسمًا مثل الشّكران والكفران، وإذا أُطلق انصرف شرعًا إلى المعنى القائم بالنّفس، ولغة إلى الحروف المقطّعة، لأنّها هي الّتي تقرأ، نحو كتبت القرآن ومسَستُه،

---

١ ـ انظر: القاموس المحيط ١: ٢٥.

والفاعل قارئ، والجمع قَرَءَة وقُرّاء وقارِئون، مثل كافِر وكَفَرَة وكُفّار وكافرون ...[ثمّ ذكر قول الطُّرَيحي، كما تقدّم عنه، فقال:]

قلت: فقد اتّضح من هذا أنّه في الأصل مصدر، بل قد ورد إطلاقه على المعنى المصدريّ أيضًا، كقوله تعالى: ﴿إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[1] أي جمعه و تلاوته ولو على لسان جبرئيل أوغيره من مبلّغي الوحي، أوبخلق الأصوات والحروف، أوإنّ علينا جمعه في صدرك وإثبات قراءته في لسانك[2]، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يعني بلسان جبرئيل أو بأحد الوجوه المتقدّمة ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي قراءته وتلاوته.

ثمّ إنّه غلب شرعًا أومتشرّعًا أوعرفًا على هذا المعجز الباقي على مرّ الدّهور باعتبار شيء من الوجوه الآتية الّتي منها كونه متلوًّا أومجمعًا للسُّوَر أوالآيات أوالكلمات أوالحروف، ولذا يصدق على كلّ آية وسورة، بل على كلّ كلمة متميّزة لذلك شخصًا أوقصدًا أيضًا، وقد قال رسول الله ﷺ لغيرواحد من الصّحابة: «قد أنزل الله فيك قرآنًا يريد آية أوأكثر أوسورة».

والبحث في أنّ إطلاقه على الآية أوالسّورة حقيقة باعتبار وضعه للكلام المُنْزَل للإعجاز، فيطلق على القليل والكثير المهيّة في ضمن الجميع، بمعنى أنّه أيّ فرد أُخذ منه فهو فرد منها، وإن تحقّقت في ضمن أبعاضه أيضًا، أوأنّه مجاز من باب إطلاق الكلّ على الجزء، لأنّ موضوع لما بين الدّفّتين، أولجميع مانزل للإعجاز على خاتم الأنبياء ﷺ، أوأنّه حقيقة من وجه ومجاز من وجه آخر باعتبار أنّ له وضعين من وجهين، هيّنٌ جدًّا لقلّة الفائدة فيه، إلّا في مثل النّذر وأُختيه والوصيّة ونحوها، ممّا يقلّ تجرّده فيه عن القرائن الدّالّة على إرادة أحد الأمرين ولو باعتبار المقام أوالتّعليق، وعلى فرض التّجرّد فلعلّه محمول على الجميع لظهور

١ـ القيامة / ١٧ـ١٨.

٢ـ مجمع البحرين: ٦٧.

الانسباق وقضيّة الاشتغال، بل التّبادر الّذي لعلّه المستند للأكثر في القول بوضعه للمجموع.

وبالجملة فالخطب في مثله سهلٌ، إنّما الكلام في وجه المناسبة الملحوظة في التّسمية به بعدأخذه من القرآن بالضمّ بمعنى الجمع والضمّ، أوبالفتح بمعنى الوقت، أومن القراءة الّتي هي بمعنى التّلاوة، أوبمعنى القرآن يعني الاقتران، لكنّه يرجع إلى الأوّل، أو من القرينة لأنّه يفسّر بعضه بعضًا، أومن القري بمعنى الضّيافة، حيث إنّه مأدبة الله لعباده.

بالجملة فالمناسبة شيء من وجوه، ككونه مجتمعًا في التّزول أوّل ما أُنزل في علم الأنوار في سيّد الأبرار كما ستسمع الإشارة إليه أوحيثما نزل كلّه جملةً واحدةً في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان إلى البيت المعمور قبل أن ينزّل في هذا العالم منجّمًا مفرّقًا في طول ثلاث وعشرين سنة، فإنّه من هذا الوجه فرقان بخلاف الأوّل، كما قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[1].

وكونه مجمعًا لجميع الحقائق الإمكانيّة أوالكونيّة التّشريعيّة والتّكوينيّة، أولجميع السُّوَروالآيات المنزلة، أولجميع الكُتُب السّماويّة والزّبُرالإلهيّة، كماورد في النّبويّ ﷺ عنهم:«أُعطيتُ السُّوَرالطُّوَل مكان التّوراة،وأُعطيتُ المئين مكان الإنجيل،وأُعطيتُ المثاني مكان الزّبور،وفُضِّلتُ بالمفصّل ثمانٍ وستّون سورة، وهو مُهَيمِنٌ على سائرالكُتُب»[2] الخبر.

وكونه جملة القصص والأحكام والحلال والحرام والمواعظ والأمثال والوعد والوعيد والعُذر والنّذر وغيرها من تصاريف الشّؤون والأحكام المنطبقةعلى كافّة الأنام، أواشتماله على جملة وجوه الكلام من الخاصّ والعامّ والمحكم والمتشابه والمطلق والمقيّد والمجمل والمبيّن والنّاسخ والمنسوخ والأمروالنّهي والظّاهروالمأوّل وغيرها ممّا تأتي إليها الإشارة، ولعلّه إليه

---

١ ـ الإسراء /١٠٦.

٢ ـ الأصول من الكافي (كتاب فضل القرآن).

يومئ مارواه العيّاشيّ والقمّيّ عن مولانا الصّادق عليه السلام قال: «الفرقان هو كلّ أمر محكم، والكتاب هو جملة القرآن».[١]

وفي الكافي عنه عليه السلام: «القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به»[٢].

وكونه مقروءً، أي متلوّا على النّبيّ صلى الله عليه وآله في هذا العالم أوقبله في عوالم السّابقة، ويومئ إلى الأوّل قوله تعالى: ﴿فَاِذَا قَرَاْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْاٰنَهُ﴾[٣]،وإلى الثّاني قوله:﴿وَكَذٰلِكَ اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ رُوحًا مِنْ اَمْرِنَا﴾[٤].

أوأنّه ممّا يجب على النّبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنون قراءته وتلاوته لقوله تعالى:﴿فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْاٰنِ﴾[٥] أوأنّهم يتلونه حقّ تلاوته، أوأنّه ممّا يُتلى على مرّ الأزمان والدّهور إلى يوم ينفخ في الصّور، إلى غيرذلك من الوجوه الّتي لعلّها بتمامها ملحوظة في التّسمية.

٢ـ العظمة ٣ـ الحكمة ٤ـ المجد: ثمّ إنّه سبحانه قد وصفه بالعظمة في قوله: ﴿وَلَقَدْ اٰتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْاٰنَ الْعَظِيمَ﴾[٦] وبالحكمة في قوله: ﴿يٰسٓ وَالْقُرْاٰنِ الْحَكِيمِ﴾[٧]، وبالمجد في قوله: ﴿قٓ وَالْقُرْاٰنِ الْمَجِيدِ﴾[٨]، وبالإبانة في قوله تعالى: ﴿الٓرٰ تِلْكَ اٰيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْاٰنٍ مُبِينٍ﴾[٩].

[وأمّا عظمته] وذلك لما سمعت من أنّه تدوين للمشيّة من حيث اجتماع مراتبها

١ـ تفسير العيّاشيّ ٢: ٩.

٢ـ الكافي ٢: ٤٦١.

٣ـ القيامة / ١٨.

٤ـ الشّورى / ٥٢.

٥ـ المزّمّل / ٢٠.

٦ـ الحِجر / ٨٧.

٧ـ يسٓ / ١ـ٢.

٨ـ ق / ١ـ ٢.

٩ـ الحجر / ١..

الكلّيّة الإجماليّة والتّفصيليّة، فهو مظهر العظمة الكونيّة، إذ لا أعظم منه في التّدوين، كما أنّه ليس شيء أعظم من خاتم النّبيّين في عالم التّكوين، ولذا كان خلقه الله تعالى سبّح الله سبحانه وعظّمه في حجاب العظمة ثمانين ألف سنة، إلى أن وصل إلى حجاب القدرة كما في خبر جابر[١] وغيره، فعظمته ﷺ لعبوديّة المطلقة وخضوعه الدّائم الكلّيّ، ولذا كان أوّل العابدين، وكان من أشرف أسمائه عبدالله حتّى قدّم على أعظم شؤنه الّذي هو الرّسالة.

[وأمّا حكمته]: وأمّا حكمته فلأنّه يترشّح عليه من أشعّة أنوار الحكمة الكلّيّة الأوّليّة ما يُعطي كلّ شيء خلقه، ويسوق إلى كلّ مخلوق رزقه، فيضع كلّ شيء في محلّه، ويؤدّي الأمانة إلى أهله، بل الحكمة بهذا المعنى لمّا كانت من الصّفات الفعليّة الانوجاديّة كانت مخلوقة في حضرة المشيئة الّتي هو نور المحمّديّ، وهو أوّل من قرع باب الوجود قبل كلّ موجود، فهو الشّاهد وهو المشهود، فالقرآن العظيم إذا تحقّق في مقام الحكمة ظهر منه المجد والشّرف والخير والبركة.

[وأمّا مجده] وفي الخبر أنّ «المجد هو حمل المغارم وإيتاء المكارم»[٢] ولا ريب أنّ القرآن يجبر النّقصانات الإمكانيّة ويعطي الفيوض الرّبّانيّة وبه تنال الشّفاعة الكلّيّة كما في الأخبار المتقدّمة، فمن تمسّك بشيء منه في الدّنيا كان له في القيامة شفيعًا مشفّعًا وطريقًا إليه مهيعًا[٣]، إلّا أنّ ظهوره في هذا العالم بالشّرف إنّما هو باشتماله على البيانات الواضحة والأنوار السّاطعة اللّائحة، فإنّه كان في مقامه ودرجته عظيمًا معظّمًا وشريفًا مفخّمًا، لكنّه بعد ما كان في زُبُر الأوّلين قد نزل به الرّوح الأمين على قلب خاتم النّبيّين، ليكون به من المنذرين بلسان عربيّ مبين، فهذه المراتب المفصّلة كالأركان الأربعة لظهوره وتجلّي نوره، ولعلّه أشرف أسمائه، ولذا عبّر عنه فيه به بعدد قوي اسم الله العظيم الأعظم، وهو ستّة وستّون فافهم.

١ـ بحار الأنوار ٧: ١٨٥، ط: القديم.

٢ـ الطّريحيّ في مجمع البحرين في لغة: مجد.

٣ـ المَهْيَع بفتح الميم واليا وسكون الهاء: جمع مهايع، الطّريق الواسع البيّن.

٥ـ الفرقان: ومنها الفرقان بالضمّ، مصدر فرق بمعنى الفاعل. قال في القاموس: فرق بينهما فرقًا وفُرقانًا بالضمّ: فصل، ﴿وَفِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[١] أي يقضي ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾[٢] أي فصّلناه وأحكمناه ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾[٣] فلقناه ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾[٤] الملائكة تنزل بالفرق بين الحقّ والباطل...

والفرقان بالضمّ القرآن، كالفُرق بالضمّ، وكلّما فرّق به بين الحقّ والباطل، والنّصر، والبرهان، والصّبح، والسّحر، والصّبيان، والتّوراة، وانفراق البحر، ومنه: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾[٥] ويوم الفرقان: يوم بدر، انتهى.

فالقرآن: قرآن كما قال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾[٦]، لأنّه فارق بين الحقّ والباطل، فالمصدر بمعنى الفاعل.

أو لأنّ فيه تفصيل كلّ شيء من الحقائق والشّرائع والأحكام والحلال والحرام، فالقرآن في رتبة الإجمال وجمعيّة الحقائق الكلّيّة، والفرقان في مقام التّفصيل وتبيين المقاصد الواقعيّة. أولأنّ نزوله كان منجّمًا مفرّقًا في نيّف وعشرين سنة، كما قال: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾[٧]، ولذا ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[٨] كما نزّل سائر الكتب على الأنبياء من قبله، فأجيبوا بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ

١ـ الدّخان / ٤.

٢ـ الإسراء / ١٠٦.

٣ـ البقرة / ٥٠.

٤ـ المرسلات / ٤.

٥ـ البقرة / ٥٣.

٦ـ الفرقان / ١.

٧ـ الإسراء / ١٠٦.

٨ـ الفرقان / ٣٢.

تَرْتِيلًا﴾[١].

أولأنّه نجاة من الآفات وعصمة من الهلكات، كما هوأحدالوجوه في قوله: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾[٢].

أولأنّه عون ونصرة للأبرار على الفجّار. ولجنود العقل الّذين هم أولياء المؤمنين على جنودالجهل وهم أحزاب الشّياطين.

أولأنّه برهان واضح، ومشفق ناصح، ودليل لائح على حقائق التّوحيد والهداية ومراتب النّبوّة والولاية وغير ذلك من أسرارالبداية والنّهاية. أولأنّه نورالله سبحانه أضاء بنوره ظلمة العدم، وانفلق بأشعّة تجلّياته غواسق الظّلم، إلى غيرذلك من الوجوه المشتركة في إطلاقه على الجميع موافقًا للقرآن في المصداق وإن خالفه في الجملة.

لكن في «المجمع» عن مولانا الصّادق عليه السلام قال: «القرآن جملة الكتاب، الفرقان المحكم الواجب العمل به»[٣].

٦ـ الكتاب: ومنهاالكتاب بالكسر: مصدرثانٍ أوثالث أورابع أومن غيرتقييد من كتب بمعنى جمع، ومنه الكتيبة للجيش، والكتب للخزر المجتمع بعضها على بعض ﴿وَكُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ﴾[٤] أي جمع، سمّي به المفعول فأطلق على ما من شأنه أن يُكتب بعد. وما يقال من أنّه المنظوم عبارة قبل أن يكتب، لأنّه ممّا يكتب، فالمقصودعدم التّقييد لاالتّقييد بالعدم، وبالجملة فهومصدر.

أو«فعال» للمفعول كاللّباس، أُطلق على القرآن معرّفًا ومنكّرًا ومضافًا في قوله تعالى:

١ـ الفرقان / ٣٢.

٢ـ الأنفال / ٢٩.

٣ـ الكافي ٢: ٤٦١.

٤ـ المجادلة / ٢٢.

﴿ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾[١]، ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ﴾[٢]، لأنّه مجمع الحقائق والأحكام.

أو لأنّه المكتوب المؤلّف من الحروف والألفاظ والمعاني. أو لأنّه يجب الأخذ بما فيه من الشّرائع والأحكام، من «كتب» بمعنى «وجب» ومنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[٣]، ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[٤]. أو لأنّه جرى عليه قلم القضاء في عالم التّدوين مطابقًا لما في التّكوين من قوله: ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[٥]، أي قضى الله. أو لأنّه نسخة من كتاب الله الّذي هو اللّوح الكلّيّ المشتمل على المحفوظ والمحو والإثبات والألواح الجزئيّة، كما هو أحد الوجهين أو الوجوه في قوله: ﴿هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[٦]، وقوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ﴾[٧] إلى غير ذلك من الوجوه الّتي لعلّ الأصل في الجميع هو الأوّل، فلا تغفل. ثمّ إنّك قد سمعت أنّ النّسبة بين الألقاب الشّريفة ـ وهي القرآن والفرقان والكتاب ـ إنّما هو ببعض الاعتبارات المتقدّمة، ولبعض الأعلام كلمات في المقام، لا بأس بالتّعرّض لها.

قال الصّدر الأجلّ الشّيرازيّ في عرشيّته: «إنّ كلام الله عبارة عن إنشاء كلمات تامّات، وإنزال آيات محكمات وأُخر متشابهات في كسوة ألفاظ وعبارات، والكلام قرآن وفرقان باعتبارين وهو غير الكتاب، لأنّه من عالم الخلق ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ

١ـ إبراهيم / ١.

٢ـ الكهف / ٢٧.

٣ـ البقرة / ١٨٣.

٤ـ الأنعام / ١٢

٥ـ المجادلة / ٢١.

٦ـ الجاثية / ٢٩.

٧ـ التّوبة / ٣٦.

بِيَمينكَ اذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1]، والكلام من عالم الأمر ومنزلة القلوب والصّدور لقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْاَمينُ * عَلى قَلْبِكَ﴾[2]، وقوله: ﴿بَلْ هُوَ اٰيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فى صُدُورِ الَّذينَ اُوتُوا الْعِلْمَ﴾[3]، بالكتاب يدركه كلّ أحد، ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْاَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصيلًا﴾[4]، والكلام ﴿لَايَمَسُّهُ اِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[5]، من أدناس عالم البشريّة.

والقرآن كان خُلُق النبيّ ﷺ دون الكتاب، والفرق بينهما كالفرق بين آدم وعيسى عليهما السلام: ﴿اِنَّ مَثَلَ عيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ اٰدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[6]، وآدم كتاب الله المكتوب بيدي قدرته، وأنت الكتاب المبين الّذي بأحرفه يظهر المضمر[7] وعيسى قوله الحاصل بأمره: ﴿وَكَلِمَتُهُ اَلْقَاهَا اِلٰى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[8]، والمخلوق باليدين في باب التّشريف ليس كالموجود بحرفين، ومن زعم خلاف ذلك أخطأ.

أقول: ولايخفى ما في كلّ مقاصده وشواهده من الأنظار الواضحة، أمّا الكلام والكتاب

١ـ العنكبوت / ٤٨.

٢ـ الشّعراء / ١٩٣ـ ١٩٤.

٣ـ العنكبوت / ٤٩.

٤ـ الأعراف / ١٤٥.

٥ـ الواقعة / ٧٩.

٦ـ آل عمران / ٥٩.

٧ـ قال الفيض الكاشانيّ في «الصّافي» إطلاق الكتاب على الإنسان الكامل شائع في عرف أهل الله وخواصّ أوليائه، قال أمير المؤمنين عليه السلام فيما نُسب إليه:

دواؤك فيك و ما تَشعُر — و داؤك منك و ما تُبصِرُ

وأنت الكتاب المبين الّذي — بأحرفه يَظهَرُ المُضمَرُ

و تَزعم أنّك جرم صغير — وفيك انطوى العالم الأكبرُ

٨ـ النّساء / ١٧١.

فالفرق بينهما بما ذكره غير واضح بعد ما هو المعلوم من اشتقاق كلّ منهما، والآية الثّانية لادلالة لها على مرامه بعد ظهور عدم سبق ذكر للكلام حتّى يكون الضّمير له، مضافًا إلى أنّ اختصاص الحكم لايدلّ على اختصاص الموضوع، وأمّا الاستشهاد بقوله: ﴿وَكَتَبْنَا فِي الْأَلْوَاحِ﴾ وقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، فهو كما ترى، سيّما مع ظهور كون الضّمير في الثّاني للكتاب أو القرآن، مع أنّ إطلاق المسّ على إدراك الحقائق مجاز، وكون إدراكه مختصًّا بالمطهّرين لايتمّ إلّا باعتبار المجموع، وأغرب من جميع ذلك تسوية الفرق بينهما للفرق بين آدم وعيسى، وكأنّه أراد أنّ آدم مخلوق باليدين، لقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [1]، وأنّ عيسى مخلوق بالكلمتين، كقوله: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [2] وأراد أنّ المخلوق بالكلمتين أشرف من المخلوق باليدين، لأنّ الأوّل روحانيّ من عالم الأمر، والثّاني جسمانيّ من عالم الخلق، وضعفه واضح من وجوه، سيّما مع ابتنائه على كون الضّمير في آية التّكوين لعيسى عليه السلام، وهو كما ترى.

٧ـ النّور: ومن أسماء القرآن النّور، وهو الظّاهر بنفسه المُظهِر لغيره، ولذا ورد في أسمائه سبحانه، بل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [3]، وأُطلق على النّبيّ صلى الله عليه وآله في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [4] على ما قيل، وإن فسّر في أخبارنا بمولانا أمير المؤمنين عليه السلام، كما فسّر به قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ [5].

وإن قيل: إنّ المراد به القرآن، كما قيل: إنّه المراد به أيضًا في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ

١ـ ص / ٧٥.

٢ـ آل عمران / ٥٩.

٣ـ النور / ٣٥.

٤ـ المائدة / ١٥.

٥ـ الأعراف / ١٥٧.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾[١]. فإنّ البرهان رسول الله ﷺ والنّور هو القرآن، ولاينافيه تفسيره بمولانا أميرالمؤمنين عليه السلام. وعلى الدّين الحقّ في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ اَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِاَفْوَاهِهِمْ وَيَاْبَى اللهُ اِلَّا اَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾[٢]، بإعلاء التّوحيد وإظهار النّبوّة والولاية.

وعلى الإيمان الّذي يهتدي به المؤمنون إلى الجنّة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ اَيْدِيهِمْ وَبِاَيْمَانِهِمْ﴾[٣].

وعلى الهداية الحاصلة من شرح الصّدر للإسلام في قوله تعالى: ﴿اَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلاِسْلَامِ فَهُوَ عَلىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾[٤]...

بل يطلق على جميع سُبُل السّلامة ومنهاج الكرامة، كما في قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ بِاِذْنِهِ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿اَللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا اَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ اِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[٦].

بل قد أُطلق على الطّهارة الحاصلة من الوضوء في قوله عليه السلام: «الوضوء على الوضوء نورٌ على نورٍ»[٧]، كماورد أنّه «طُهرٌ على طُهرٍ».[٨]

وبالجملة يظهر من موارد استعماله في الكتاب والسّنّة أنّه يطلق على كلّ حقّ وهداية

١ـ النّساء / ١٧٤.

٢ـ التّوبة / ٣٢.

٣ـ الحديد / ١٢.

٤ـ الزّمر / ٢٢.

٥ـ المائدة / ١٦.

٦ـ البقرة / ٢٥٧.

٧ـ وسائل الشّيعة ١: ٢٦٥.

٨ـ نفس المصدر ١: ٢٦٤.

ورشاد، كما أنّ ضدّه الّذي هو الظّلمة يطلق على كلّ باطل وضلالة وغيّ، وإن كان إطلاق كلّ منهما على ما يطلق عليه على وجه التّشكيك، فأعظم الأنوار نور أشرق من صبح الأزل، فظهر آثاره على هياكل التّوحيد، ومظاهر التّمجيد والتّفريد، وهم الأئمّة الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) في مقام المفعول المطلق، والنّور هو الفعل كما في الرّضويّ المذكور في «العيون» [1].

وصبح الأزل هو اسم الفاعل بالصّفات الفعليّة وشؤون الفاعليّة في أُفق التّجلّي والظّهور، و تدوين أطوار هذا الطّور في كتاب مسطور، في رقّ منشور، يقرأه بقراءة حروف نفسه من في قلبه إشراق من البيت المعمور ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [2].

٨ـ المُصْحَف: ومنها المُصْحَف، قال الرّاغب: المُصْحَف ماجعل جامعًا للصُّحُف المكتوبة، وجمعه مصاحف، وعن الفيّوميّ: ضمّ الميم أشهر من كسرها، ولم يذكر الفتح، لكن في القاموس: المُصْحَف مثلّثة الميم من أصحف بالضّمّ، أي جعلت فيه الصُّحُف، وكأنّه باعتبار الوعاء الظّرفيّ، أو الاحتواء العلميّ، والمراد في المقام الثّاني لاحتواء القرآن على ما في جميع الصُّحُف، وهي الكتب النّقشيّة واللّفظيّة والكونيّة.

وفي «محاضرات الأوائل» نقلًا عن «الإتقان» للسّيوطيّ: أوّل من سمّى المُصْحَف... [وذكر كما تقدّم عنه].

٩ـ الذّكر ١٠ـ التّذكرة ١١ـ الذّكرى: قال سبحانه: ﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [3]. ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [4]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [5]،

١ـ عيون أخبار الرّضا عليه السلام ١: ١٧٣.

٢ـ النّور / ٤٠.

٣ـ الأنبياء / ٥٠.

٤ـ الزّخرف / ٤٤.

٥ـ يس / ٦٩.

﴿ذٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾[١]، ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾[٢]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الّذي أُطلق الذّكر فيها عليه. وإن أُطلق في قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ذِكْرًا رَسُولًا﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ﴾[٥]، على وجهٍ على رسول الله ﷺ، وفي بعض الآيات على مولانا أمير المؤمنين عليه السلام...

وفي خبر سعد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾[٦]، قال: «النّهي كلام، والفحشاء والمنكر رجال، ونحن ذكر الله، ونحن أكبر».[٧]

ويطلق أيضًا على مطلق الوحي والآيات النّازلة، كما في قوله تعالى: ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾[٩]، أي من بعد الكتب كلّها.

ووجه الإطلاق في الجميع:

أنّه مذكور من الله تكوينًا أو تشريعًا.

أو أنّه ذِكر منه، ذَكّر به عباده بالحقائق والشّرائع والأحكام والحلال والحرام.

أو أنّه ذِكر وشَرف وفَخر وكَرامة في نفسه من الله، كأنّه تجوهر الشّرف به، أو لمن آمن به والتزم مشايعته ومتابعته.

أو أنّه تذكرة من الله لعباده، ليَهلك من هلك به عن بيّنةٍ ويحيى من حيّ به عن بيّنة ﴿وَإِنَّهُ

١ـ آل عمران / ٥٨.

٢ـ الحجر / ٦.

٣ـ النّحل / ٤٣.

٤ـ الطّلاق / ١٠ـ١١.

٥ـ العنكبوت / ٤٥.

٦ـ العنكبوت / ٤٥.

٧ـ الأصول من الكافي ـ كتاب فضل القرآن ـ الحديث الأوّل.

٨ـ المرسلات / ٥.

٩ـ الأنبياء / ١٠٥.

لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١]...

١٢ـ الحُكْم ١٣ـ الحِكْمة ١٤ـ الحَكيم ١٥ـ المُحكَم:

فالأوّل ـ ﴿وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾[٢]، وإن أُطلق أيضًا على الكمال في العلم والعمل في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[٣]، ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾[٤]. وعلى الحكم بين النّاس في قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ﴾[٥]، وعلى مايجري به قضاؤه سبحانه في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾[٦]، وعلى الكتاب والحكمة في قوله تعالى في يحيى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[٧].

والثّاني ـ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٨]، على ماروي في «مصباح الشّريعة» من تفسير مولانا الصّادق عليه السلام، وإن كان أحد الوجوه في الآية قال صلى الله عليه وآله: أي لايعلم ما أودعتُ وهيّأتُ في الحكمة إلّا من استخلصته لنفسي وخصصته بها، والحكمة هي الكتاب،[٩] الخبر كما هو أظهر الوجوه أو أحدها في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ﴾[١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ

١ـ الحاقّة / ٤٨.

٢ـ الرّعد / ٣٧.

٣ـ الشّعراء / ٨٣.

٤ـ الشّعراء / ٢١.

٥ـ المائدة / ٥٠.

٦ـ القلم / ٤٨.

٧ـ مريم / ١٢.

٨ـ البقرة / ٢٦٩.

٩ـ تفسير الصّافي عن القمّيّ: ٢٢٨.

١٠ـ الأحزاب / ٣٤.

الْخِطَابِ﴾[١]...

والثّالث ـ ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾،[٢] ﴿وَالْقُرْاٰنِ الْحَكِيمِ﴾[٣].

والرّابع ـ ﴿الٓر كِتَابٌ اُحْكِمَتْ اٰيَاتُهُ﴾ ﴿مِنْهُ اٰيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ اُمُّ الْكِتَابِ﴾[٤].

وهذه المادّة وإن كانت مأخوذة من الإحكام والإتقان، أوحَكَمَة اللّجام بالتّحريك، لما أحاط بحَنكَي الفَرَس من لجامه، إلّا أنّ المقصود منها العلم بوجه الشّيء وحقيقته، ومن هنا يطلق على النّبوّة والعدل والموعظة والكتاب والتّوراة والإنجيل والعلوم الحقّة والآداب الدّينيّة وغيرها ممّا يرجع إلى ماسمعت ولو على بعض الوجوه.

١٦ـ الهُدى: بمعنى العلم والهداية ومايهتدي به على وجه الإراءة أوالإيصال أومعًا، والوجوه مجتمعة في القرآن فإنّه ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرٰى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٦]، ﴿اِنَّ هٰذَا الْقُرْاٰنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ اَقْوَمُ﴾[٧].

ولظهور أنوار الهداية منه ظهورًا تامًّا عامًّا متشعشعًا، قالت الجنّ لمّا سمعته: ﴿اِنَّا سَمِعْنَا قُرْاٰنًا عَجَبًا * يَهْدِى اِلَى الرُّشْدِ فَاٰمَنَّا بِهِ﴾،[٨] وقالوا أيضًا: ﴿اِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا اُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسٰى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِى اِلَى الْحَقِّ وَاِلٰى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٩].

١ـ ص / ٢٠.

٢ـ آل عمران، ٥٨.

٣ـ يسٓ / ٢.

٤ـ آل عمران / ٧.

٥ـ البقرة / ٢.

٦ـ النّحل / ٨٩.

٧ـ الإسراء / ٩.

٨ـ الجنّ / ١ـ٢.

٩ـ الأحقاف / ٣٠.

١٧ـ التّنزيل: [كقوله]: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [١]، ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ [٢]. والتّفعيل للتّكثير، لكثرة مراتب نزوله إلى أن وصل إلى هذا العالم، وذلك لعلوّ رتبته وارتفاع درجته، ولذا عبّر بالمصدر المنبئ عن مقام الفعل لا الاسم.

١٨ـ الرّوح: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلٰئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [٣]، قال مولانا الباقر عليه السلام: «إنّه الكتاب والنّبوّة» [٤].

قلت: وذلك لأنّه يحيي به القلوب الميتة بالجهل وظلمة المعاصي، وهو من عالم الأمر لا الخلق، وإن تنزل إليه ففي تفصيل، لذكر مبدئه ومنتهاه، وستسمع تمام الكلام في حقيقة الرّوح وأقسامه وخصوص روح القُدُس والرّوح من أمر الرّبّ والرّوح الأمين، وأنّ القرآن هو الرّوح من أمر الرّبّ ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [٥]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [٦]، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [٧].

١٩ـ البيان: ومنها غير ذلك من الألقاب الكثيرة الّتي أكثرها على وجه التّوصيف والتّعبير كالبيان: ﴿هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [٨]، على حدّ قولهم: زيد عدل، لظهور هداياته ودلالاته.

٢٠ـ التّبيان: [كقوله:] ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [٩].

---

١ ـ الشّعراء / ١٩٢ـ١٩٣.

٢ ـ فصّلت / ٢ـ٣.

٣ـ النّحل / ٢.

٤ـ الصّافي (مرسلًا): ٨١٦.

٥ـ الشّورى / ٥٢.

٦ـ النّحل / ١٠٢.

٧ـ الشّعراء / ١٩٣.

٨ـ آل عمران / ١٣٨.

٩ـ النّحل / ٨٩.

٢١ـ المبين: [كقوله]: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[1].

٢٢ـ الحبل: [كقوله]: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا﴾، على أحد الوجوه بل كلّها، لاتّحادها في المعنى.

٢٣ـ الشّفاء ٢٤ـ الرّحمة: [كقوله]: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾[3]، لأنّه شفاء من جميع الأمراض الظّاهرة والباطنة الّتي أعظمها الجهل والنّفاق والكفر والفسوق وغيرها من الأمراض النّفسانيّة والأخلاق الرّذيلة والانحرافات القلبيّة والقالبيّة.

وفي «الكافي» عنهم عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾، قال: «من نفث الشّيطان»[4].

وفي «الإهليلجة»[5] عن الصّادق عليه السلام: «أنّه شفاء من أمراض الخواطر ومشتبهات الأمور»[6].

وروى العيّاشيّ عن الصّادق عليه السلام: «أنّه شكى رجل إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وجعًا في صدره، فقال عليه السلام: استشف بالقرآن، إنّ الله يقول: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾»[7].

٢٥ـ البصائر: [كقوله:] ﴿هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[8]، لأنّه يوجب زيادة البصيرة ونقاوة السّريرة، إذ كما أنّ للنّاس أبصارًا يدركون ويشاهدون بها الأجسام المحدودة

١ـ الشّعراء / ٢.

٢ـ الإسراء / ٨٢.

٣ـ يونس / ٥٧.

٤ـ تفسير الصّافي ١: ٧٥٦، ط: الإسلاميّة بطهران.

٥ـ الإهليلجة: حديث مرويّ عن المفضّل بن عمر عن الصّادق عليه السلام في التّوحيد.

٦ـ بحار الأنوار ٣: ١٥٢، ط: الآخونديّ بطهران.

٧ـ الأصول من الكافي ٢: ٤٣٩، ط: الإسلاميّة بطهران.

٨ـ الأعراف / ٢٠٣.

الهيولانيّة، فكذلك لقلوب المؤمنين بصائر يشاهدون بها الأمور المعنويّة والحقائق النّورانيّة، ولذا قالوا: «إنّ لشيعتنا أربعة أعين»، يعني يدركون بها الحقّ والباطل في الظّاهر والباطن.

٢٦ـ العُروة الوُثقى: [كقوله:] ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقىٰ﴾ [١]، وإرادة الولاية لاتنافيه.

٢٧ـ العَليّ الحَكيم: [كقوله:] ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [٢]، على أظهر الوجوه بل أكثرها، وهو دليل على كثير ممّا مرّ فتأمّل.

٢٨ـ العزيز: [كقوله:] ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَايَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [٣]، ولذا وصف بالعزّة فلايوجد مثله، أولأنّه قهر غيره من الكتب بالنّسخ ومن الأعداء بالجزية والمسخ، بل قهر كلّ من لم يؤمن ولم يعمل به بذلّة الكفر والجهالة والجزية والخزي في الدّنيا والآخرة.

٢٩ـ المُهَيمِن: والمُهَيمِن، الّذي هو الرّقيب الحافظ المؤتمن: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [٤]، لأنّه يحكم به على غيره من الكتب بالنّسخ والصّحّة والثّبات وغيرها ولايحكم بها عليه.

٣٠ـ الطَّيِّب: [كقوله:] ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [٥]، لتنزّهه عن جميع النّقصانات والعيوب، وانتشار نفحات قدسيّة وأُنسه في أصقاع القلوب، واستيلاء سلطان حيطته على أسرار الغيوب.

١ـ البقرة/ ٢٥٦.

٢ـ الزُّخرف/ ٤.

٣ـ فصّلت/ ٤١ـ ٤٢.

٤ـ المائدة/ ٤٨.

٥ـ الحجّ/ ٢٤.

٣١ـ القول الفصل: [كقوله:] ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾[١]، لأنّه يفصل بين الحقّ والباطل، أو أنّه يقضي بالحقّ.

٣٢ـ الكريم: [كقوله:] ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[٢]. قيل: إنّه تعالى سمّى سبعة أشياء بالكريم .. .[وذكر كما تقدّم عن الفخر الرّازيّ].

٣٣ـ المبارك: [كقوله:] ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾[٣]، لكثرة بركاته وفيوضه، وتجلّيات أنواره وآثاره. قيل: سمّى الله به أشياء:

فسمّى الموضع الّذي كلّم به موسى مباركًا: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾[٤].

وسمّى شجرة الزّيتون مباركة: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾[٥] لكثرة منافعها.

وسمّى عيسى عليه السلام مباركًا: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾[٦].

وسمّى المطر مباركًا: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾[٧] لما فيه من المنافع.

وسمّى ليلة القدر مباركًا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[٨].

قلت: وسمّى الأئمّة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) قُرى مباركة: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾[٩]، فالقرآن ذكر مبارك، أنزله مَلَك مبارك في ليلة مباركة على نبيّ مبارك في قُرَى مباركة، لأنّ القرآن نزل فيهم وفي شيعتهم.

١ـ الطّارق / ١٣.

٢ـ الواقعة / ٧٧.

٣ـ الأنبياء / ٥٠.

٤ـ القصص / ٣٠.

٥ـ النّور / ٣٥.

٦ـ مريم / ٣١.

٧ـ ق / ٩.

٨ـ الدّخان / ٣.

٩ـ سبأ / ١٨.

٣٤ـ المنادي: بناءً على أحد التّفاسير لقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾[١].

٣٥ـ النّبأ العظيم: [كقوله:] ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[٢]، وإن فسّر في الأخبار بمولانا أمير المؤمنين عليه السلام وبالإمامة، كما فسّر بهما أيضًا: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[٣]، لكنّ التّقريب قريب ممّا مرّ عن قريب.

٣٦ـ الموعظة: [كقوله:] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، والمراد هو القرآن، وإن قال القمّيّ بعد ذكر الآية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والقرآن».

٣٧ـ أحسن الحديث: [كقوله:] ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾[٥]، فإنّه أحسن الحديث، إذ لا أحسن منه في عالم التّدوين، وهو المتشابه، لا لأنّه في مقابل المحكم، وإن كان ذلك أحد إطلاقه، بل لأنّ بعضه يشبه بعضًا في الإعجاز، والمثاني لأنّه تكرّرت فيه الآيات.

٣٨ـ القصص: كما قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[٦]، أو لاشتماله على الثّناء على الله سبحانه وأنبيائه وأوليائه، أو اشتماله على المزدوجات، أو لأنّه ثنّى نزوله مرّة في بيت المعمور نزولاً دفعيًّا جمليًّا، وأخرى في هذا العالم منجّمًا مفرّقًا في نيّف عشرين سنة.

٣٩ـ الصّراط المستقيم: [كقوله:] ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾[٧]، وإن فسّر

١ـ آل عمران/١٩٣.

٢ـ ص/٦٧ـ٦٨.

٣ـ النّبأ/٢.

٤ـ يونس/٥٧.

٥ـ الزّمر/٢٣.

٦ـ الإسراء/٨٩.

٧ـ الأنعام/١٥٣.

بالوليّ وبالولاية.

٤٠ـ أحسن القصص: [كقوله:] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْآنَ﴾[١]، والقصص هو الحقّ: ﴿إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾[٢]، وأصل القصّ والقصّة اتباع الأثر، فالقرآن يتّبع أثر الماضين، بل يتّبع أثر جميع التّكوين، لأنّه مطابق معه في التّدوين، ويتّبع أثره الأوّلون والآخرون، لأنّ كلّ كتاب من الشّرائع السّابقة نسخة من بعضه.

٤١ـ التّبصرة: [كقوله:] ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾[٣]، وقد سَمِعتَ الكلام في البصائر.

٤٢ـ البلاغ: [كقوله:] ﴿هٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾[٤]، فإنّه كافٍ في الإعلام وفي بيان الشّرائع والأحكام، وفي الإيصال إلى خير مقصدٍ ومرامٍ.

٤٣ـ الكوثر: [كقوله:] ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[٥]، وهو المفرط الخير، كثير البركة، وقد فُسِّر: بالذّرّيّة الطّيّبة، ونهر في الجنّة، والنّبوّة، والقرآن، والعلم، والعمل، وغيرها.

٤٤ـ الوحي: كقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾[٦].

٤٥ـ الحجّة البالغة: [كقوله:] ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[٧]، على أحد الوجوه فيها، إلى غير ذلك من الألقاب الشّريفة، والأوصاف الكريمة الّتي ورد جملة منها في الأخبار أيضًا، كالثّقل الأكبر، والحبل المتين، والكهف الحَصين، وجوامع الكلم، والشّافع المشفّع،

١ـ يوسف/ ٣.

٢ـ آل عمران/ ٦٢.

٣ـ قٓ/ ٨.

٤ـ إبراهيم/ ٥٢.

٥ـ الكوثر/ ١.

٦ـ الأنبياء/ ٤٥.

٧ـ الأنعام/ ١٤٩.

والصّادق المصدّق، والذّكر الحكيم، والمنهج القويم.

وفي النّبويّ ﷺ: «إنّه هدًى من الضّلالة، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظّلمة، وضياء من الأجداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتَن، وبلاغ من الدّنيا والآخرة»[١]. وفيه: «إنّ هذا القرآن هو النّور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدّرجة العليا، والشّفاء الأشفى، والفضيلة الكبرى، والسّعادة العظمى»[٢].

(١: ٣٠٥-٣٣٠)

١ـ الأصول من الكافي ٢: ٤٣٩، ط: الإسلاميّة بطهران.

٢ـ تفسير الصّافي ١: ١٠ عن تفسير الإمام عليه السلام، ط: الإسلاميّة بطهران.

الفصل العشرون

نصّ الأصفهانيّ (م: ١٣٠٨) في «مجد البيان في تفسير القرآن»

[أسماء القرآن]

و اعلم! أنّ للقرآن صفات كثيرة وصفه بها سبحانه، يشهد بحقيقتها العارفون، ينتزع منها أسماء كثيرة للقرآن على ما جمعه بعض العلماء و إن كان في بعضها بعض الاحتمال ...

[ثمّ ذكر أسامي القرآن، كما تقدّم عن الرّازيّ، فقال:]

[الأسماء و الصّفات القرآنيّة عند الإمام عليّ عليه السلام]

فانظر بعين التّأمّل إلى صفات القرآن، و اعرف صدق ما رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام من أنّه: «ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبله من غِنًى»[1]، فإنّك محتاج إلى فرقان يفرق بين الحقّ و الباطل في ظلمة هذه الدّار الّتي لابدّ من تحصيل الزّاد أشدّ من جميع ما تحتاج إليه، و هو الفرقان.

و إلى مذكّر لك يذكّرك ربّك و منسيّ نعمته، و ما نسيته من عهدك الأوّل، و يرفع غشاوة الغفلة و النّسيان عليك، و هو الذّكر و التّذكرة.

و إلى ما في العالم الأعلى لترتبط به، و تتخلّص من هذه الدّار، و قد نزّل إليك التّنزيل.

و إلى حديث تستمع له، و هو أحسن الحديث، و إلى موعظة تتّعظ بها، و هو الموعظة.

١ـ نهج البلاغة، خ ١٧٦، و قد مرّ في خطبة الكتاب.

و إلى حكم و حكمة بالغة موصوف بالحكمة، محكم الآيات، و هو الحكم العربيّ و الحكمة البالغة، و القرآن الحكيم المحكم الآيات.

و إلى شفاء تستشفي به من أمراضك الرّوحانيّة من الجهل و الكفر و الأخلاق الرّذيلة و العادات السّيّئة، الّتي تؤدّي بك إلى موت روحانيّ أبديّ، و أمراضك الجسمانيّة، و هو الشّفاء لما في الصّدور، وشفاء بقول مطلق.

و إلى رحمة ترحمه بها؛ لأنّك محتاج بجميع الشّؤون و الجهات، و هو رحمة للمؤمنين بقول مطلق.

و إلى هداية تستهدي بها في ظلمة هذه الدّار لمصالحك، و هو الهدى و الهادي إلى صراط مستقيم، تصل باتّباعه إلى المقصد الأصليّ، و هو الصّراط المستقيم، الّذي من تبعه نجا، و إلى حبل يربطك إلى عالم القدس، لينجذب به روحك إليه، و يبقي معلّقة به، كما ورد في شأن الخواصّ أنّهم: «صحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالملأ الأعلى»[1].

و يعتصم به من رياح الأهواء و أمواج الفتن، و هو حبل الله المتين، و إلى روح تحيي به حياةً باقيةً حقيقةً، فإنّك ميّت معنًى و إن كنت حيًّا صورةً، و «النّاس موتى و أهل العلم أحياء»[2]، وهو روح نزل من عالم الأمر الأعلى.

و إلى قاصّ يقصّ عليك القصص، و هو المشتمل على أحسن القصص.

و إلى بيان و تبيان يتبيّن به ما خفي عليك ممّا لايحصيه إلّا الله سبحانه، و يبيّنه لك، وهو البيان للنّاس، و التّبيان لكلّ شيء، و المبين بكلمة مطلقة.

و إلى بصائر تستبصر بها فيما خفي على بصيرتك و هي البصائر.

---

١ ـ الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام، فراجع نهج البلاغة خ ١٤٧، و تُحف العقول: ١١٤، و فيهما: «المحلّ» مكان «الملأ».

٢ ـ إشارة إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام في الدّيوان المنسوب إليه ذيل قوله عليه السلام: «النّاس من جهة التّمثال أكفاء...».

و إلى قول فصل يفصل لك ما التبس عليك بين الحقّ و الباطل من كلّ شيء، و هو القول الفصل.

و إلى نجوم معنويّة تستضيىء بها في ديجور هذا اللّيل الّذي أنت فيه، و آياته نجم نجوم كذلك.

و إلى تكرير الكلام ليتقرّر و يتثبّت في نفسك، و هو المثاني.

و إلى ما يرعد فرائصك و يقرع سمعك بكلام عظيم، ليوحشك عن هذه النّشأة و يخرجك عنها، و ما يؤنسك إلى ذكر الله، ويلين قلبك القاسية، و هو الّذي يقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم، ثمّ تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله، و إلى نعمة روحانيّة يتنعّم بها روحك، و هو النّعمة من ربّك.

و إلى برهان تبرهن به في المعارف و العلوم لدفع شبهات شياطين الجنّ و الإنس، و تظفر به على من خالف الحقّ، و هو البرهان النّازل من الرّبّ.

و إلى مبشّر يبشّرك با لثّواب على الخيرات، و منذر يخوّفك عن الموبقات، فإنّك كالطّفل في عمل الآخرة، تحتاج دائمًا إلى ترغيب و ترهيب لتجتهد في كسبها، و تتّقي من ضررها، وهو البشير و النّذير.

و إلى كتاب قيّم لا عِوَج فيه، حتّى يقام و يعدل به سائر المطالب الّتي ترد عليك من داخل و خارج، و هو القيّم؛ حتّى ورد في جملة من الأخبار عرض الرّوايات على الكتاب و طرح ما يخالفه و الأخذ بما يوافقه .

و إلى مُهَيْمِن على الكُتُب السّابقة، إمّا بشهادة على صحّتها حتّى تؤمن بما أُنزل من قبلك، أو يؤمنك على عدم بطلان فيه، و إمّا بإحاطته على ما فيها حتّى تكتفي به عنها، و لا تحتاج إليها بعده، و هو المُهَيْمِن للكتاب الّذي بين يديه.

و إلى نور تستنير به في الكلام على ما سبق، و هو النّور.

و إلى عزيز يمنع نادرالوجود لم يوجد مثله، أويمنع الشّكوك و الأباطيل و يـدفعها، أو يمنـع المنقطع إليه المتخلّق من كلّ آفة و سوء، أو ذوعزّة و رفعة شأن حتّى يـسري منـه العـزّة إلى حامله، و هو الكتاب العزيز.

و إلى كريم يكرم عليك ما تحتاج إليه، يدرّ الأرزاق الصّوريّة و المعنويّة، و يعطيك المواهب الجسمانيّة و الرّوحات، و هوالكتاب الكريم.

و إلى عظيم يجبر به هَوْنك و ذلّتك في الدّين و الدّنيا و الآخرة، و هو الكتاب العظيم.

و إلى بركات كثيرة، ظاهريّة و باطنيّة، سماويّة و أرضيّة، يفتح عليك؛ كما في قوله تعـالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[1]، و هو الكتاب المبارك.

ولعلّك تفهم ممّا ذكرناه بعض وجوه تجلّي الحقّ سبحانه في كتابه الوارد في الأحاديـث إن كنت عالمـًا بمعنى التّجلّي، فإنّـه سـبحانه ظهـر في كلامـه باسـم «الفاضـل» و «الفاصـل» و«المذكّر» و «المُنـزِل» و «الحكـيم» و «الـشّافي» و «الـرّحيم» و «الهـادي» و «المحيـي» و«المبين» و «المُنعم» و «القيّوم» و «المُهيَمن» و «النّور» و «العزيز» و «الكريم» و «العظيم».

فإن قلت: إنّا لانجد كثيرًا ممّا ذكرت في وصف القرآن في أوّل المقدّمة إلى هنا، و لم نسمع بمن وجد ذلك، فما وجه صحّة هذه الدّعاوي؟

قلت: ليس معنى وجود الخاصيّة في الشّيء أنّ هذا الشّيء بأيّ وجه أُخذ، و في أيّ حـال، وعلى أيّ صفة، و مقترنًا بأيّ شيء، و مفترقًا عن أيّ شيء، له تلك الخاصيّة، بل معناه في مثل المقام أنّ من كان بصفة كذا إذا أخذ الجزء المعيّن وصنع به كذا، بشرط كذا و ارتفاع مانع كـذا، يحصل منه كذا، فإنّ لكلّ شيء شروطًا و موانع و مكمّـلات و حـدودًا و مـوازين و قواعـد لايطّلع عليه إلّا من كان من أهله، أو أخذه عنه، و لاينتفع به إلّا من كان محلّه قابلًا له إذا أتـى به بشروطه و موازينه بحسب الخصوصيّات المرتبطة بذلك المورد كمالًا و نقصانًا.

---

١ ـ الأعراف/٩٦.

فللشّمس نورٌ ظاهر بنفسه، لكنّ الأعمى لايبصره و لايستنير به، و مستحقّ للأجسام، ومن ابتدأ به نوبة الرّبع غير مستحقّ به مربّي للنّباتات و النّبات الّذي بعد عهده عن الماء يهزل به، و منضج للثّمار، لكنّ الثّمرة الّتي ضرّبها البرد لاتنضج به، و ما كان محتجبًا عن نور الشّمس لاينتفع به. و طريق التّصديق بما ذكر إمّا بملاحظة الآيات و الأخبار الواردة في المقام مع جودة التّفكّر فيها، والاطّلاع على معانيها فيما اشتملت عليه منها بظاهرها، إن كنت مؤمنًا بظاهر الثَّقَلين و باطنهما إجمالًا موقّتًا بأنّ شيئًا منها غير مبنيّ على المجازفات الشّعريّة، و إنّه حقّ اليقين، و إمّا تصديق أهل الخبرة فيها تقليدًا لهم، و إمّا تحصيل أهليّة الاطّلاع على تلك الأوصاف، كلّ على حسب مقامه ليظهر لك كلّ منها بطريق الوجدان. (٢٢-٢٩)

الفصل الحادي و العشرون

نصّ الأنصاريّ(م: ١٣١٠) في«اللّمعة البيضاء في شرح خطبة الزّهراء عليها السلام»

[أسامي القرآن]

قالت فاطمة الزّهرا عليها السلام: «عليكم بكتاب الله النّاطق و القرآن الصّادق...».

والقرآن: هوالتّنزيل العزيز و الكتاب المبين الّذي بأحرفه يظهرالمضمر، نزل به الرّوح الأمين على قلب سيّد المرسلين ليكون من المنذرين.

و هو في الأصل مصدر كالغُفران، سُمّي به كلام الملك المنّان بعد جعله بمعنى المفعول، من: «قرأت الكتاب قراءة» أي تلوته.

أو بمعنى الفاعل من: قرأت شتات الأُمور، أي جمعتها و ضممتها، لأنّ القرآن يُتلى أبدًا بين الأُمّة إلي يوم القيامة في آناء اللّيل وأطراف النّهار، لتحصيل المثوبة و التّدبّر و الاستبصار.

أو لجمعه السُّوَر بعضها مع بعض و ضمّها كذلك.

أو لجمعه القصص و الأمر و النّهي و الوعد و الوعيد و غير ذلك.

أو لجمعه ثمرة جميع العلوم و آثارها.

أو لجمعه نفس جميع العلوم و أحوال كلّ شيء ممّا كان ومايكون، إذ ﴿لَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1]، فيه تبيان كلّ شيء و تفصيله.

١ـ الأنعام/٥٩.

و يجوز في المعنى الثّاني جعله بمعنى المفعول، أي المجموع، لأنّ الله تعالى جمعه، فهو مجموع الله و مجموعة أحكام الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[١]، و يجوز جعل العطف حينئذ للتّفسير، و يجوز المغايرة بجعل القرآن بمعنى التّلاوة، لقوله تعالى في الآية: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، قال ابن عبّاس: أي فإذا بيّنّاه بالقراءة فاعمل بما بيّنّاه لك.

و قيل: معناه أنّ علينا جمعه في صدرك و إثبات قراءته في لسانك، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾، أي إذا قرأه جبرئيل من جانبنا فاتّبع قراءته، فجعل قراءة جبرئيل قراءته. [إلى أن قال:]

قوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾، أي ما يقرأ في صلاة الفجر، و المراد صلاة الفجر، و يقال: أقرء القرآن فهو مقرئ، و منه: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾.[٢] و أصل الإقراء الأخذ على القارئ بالاستماع لتقويم الزّلل، و القارئ هو التّالي، أي سنأخذ عليك قراءة القرآن فلاتنسى ذلك. ومعناه سيقرأ عليك جبرئيل بأمرنا فتحفظ و لاتنساه، والنّسيان هو ذهاب المعنى عن المدركة و الحافظة معًا، فيحتاج إلى تحصيل جديد، والسّهو ذهابه عن المدركة دون الحافظة، فيتفطّن به بالتّذكّر، و الذُّكر (بضمّ الذّال): خلافهما، و هو التّذكّر القلبيّ، بخلاف الذّكر (بكسر الذّال) للذّكر اللّسانيّ... [إلى أن قال:]

وللقرآن أسماء كثيرة، كالكتاب والنّور والضّياء و الإمام و غير ذلك، و من جملتها «الفرقان»، سمّي به لأنّه فارق بين الحقّ و الباطل و الحلال و الحرام، فإنّ كلّ ما فرّق به بين الحقّ و الباطل فهو فُرقان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾[٣].

و قيل: سمّي بالقرآن باعتبار كونه جملةً واحدة مجموعة، و بالفرقان لكونه في نفسه قطعًا متفرّقة بالسُّوَر و الآيات والأمثال والقصص و الحكايات و غير ذلك من صنوف الأُمور المتفرّقات.

---

١ ـ القيامة/ ١٨.

٢ ـ الأعلى/ ٦.

٣ ـ الأنبياء/ ٤٨.

و قيل: يُطلق عليه القرآن لما مرّ، و الفرقان لكونه نازلًا بالنّجوم و الأقساط، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[1]، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[2].

و ورد أنّ القرآن نزّل جملةً واحدةً في ليلة القدر من عندالله سبحانه إلى البيت المعمور في ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾[3]، و لذا سمّي بالقرآن، ثمّ نزّل من البيت المعمور إلى النّبيّ ﷺ بالنّجوم و الأقساط في عرض ثلاث و عشرين سنة، أو في عرض عشرين سنة على اختلاف في الأخبار، و لذا سمّي بالفرقان.

و أوّل بأنّه نزل به الرّوح الأمين إلى قلب الرّسول المتين كما في القرآن المبين، و هو البيت المعمور، ثمّ خرج منه إلى لسانه تدريجًا في عرض مدّة البعثة، ليكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين. و ورد أيضًا: «أنّ القرآن جملة الكتاب، و الفرقان المحكم الواجب العمل به.»

(٥٠٩ـ٥١٤)

---

١ ـ الفرقان/ ٣٢.

٢ ـ الإسراء/ ١٠٥.

٣ ـ البقرة/ ١٥.

الفصل الثّاني والعشرون

نصّ الزُّرقانيّ (م: ١٣٦٨) في «مناهل العرفان...»

[القرآن في اللّغة والاصطلاح]

القرآن في اللّغة

لفظ القرآن: فهو في اللّغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[1]. ثمّ نقل من هذا المعنى المصدريّ وجعل اسمًا للكلام المعجز المُنزَل على النّبيّ ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله. ذلك ما نختاره استنادًا إلى موارد اللّغة وقوانين الاشتقاق وإليه ذهب اللّحيانيّ وجماعة.

أمّا القول بأنّه وصف من القَرْء بمعنى الجمع، أو أنّه مشتقّ من القرائن، أو أنّه مشتقّ من: «قرنت الشّيء بالشّيء» أو أنّه مرتجل، أي موضوع من أوّل الأمر علمًا على الكلام المعجز المنزل، غير مهموز ولا مجرّد من «أل»، فكلّ أولئك لا يظهر له وجه وجيه، ولا يخلو توجيه بعضه من كُلْفة، ولا من بُعْد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللّغة.

وعلى الرّاي المختار فلفظ قرآن مهموز، وإذا حذف همزه فإنّما ذلك للتّخفيف وإذا دخلته «أل» بعد التّسمية فإنّما هي للمح الأصل لا للتّعريف.

ويقال للقرآن: فرقان أيضًا، وأصله مصدر كذلك، ثمّ سمّي به النّظم الكريم تسمية

١ـ القيامة / ١٧ـ١٨.

للمفعول أو الفاعل بالمصدر، باعتبار أنّه كلام فارق بين الحقّ والباطل أو مفروق بعضه عن بعض في النّزول أو في السُّوَر والآيات، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلٰى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[١]، ثمّ إنّ هذين الاسمين هما أشهر أسماء النّظم الكريم، بل جعلهما بعض المفسّرين مرجع جميع أسمائه، كما ترجع صفات الله على كثرتها إلى معنى الجلال والجمال، ويلي هذين الاسمين في الشّهرة هذه الأسماء الثّلاثة: الكتاب والذّكر والتّنزيل.

وقد تجاوز صاحب «البرهان» حدود التّسمية فبلغ بعدّتها خمسة وخمسين، وأسرف غيره في ذلك حتّى بلغ بها نيّفًا وتسعين، كما ذكره صاحب «التّبيان».

واعتمد هذا وذاك على إطلاقات واردة في كثير من الآيات والسُّوَر و فاتهما أن يفرّقا بين ما جاء من تلك الألفاظ على أنّه اسم، وما ورد على أنّه وصف، و يتّضح ذلك لك على سبيل التّمثيل في عدّهما من الأسماء لفظ «قرآن» و لفظ «كريم» أخذًا من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[٢] كما عدّا من الأسماء لفظ «ذكر» و لفظ «مبارك» اعتمادًا على قوله تعالى: ﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾[٣] على حين أنّ لفظ «قرآن وذكر» في الآيتين مقبول كونهما اسمين.

أمّا لفظ كريم ومبارك فلا شكّ أنّهما وصفان كما ترى. والخُطَب في ذلك سهلٌ يسيرٌ بَيْدَ أنّه مُسْهب طويل، حتّى لقد أفرده بعضهم بالتّأليف، وفيما ذكرناه كفاية ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[٤].

القرآن في الاصطلاح

معلوم أنّ القرآن كلام الله، وأنّ كلام الله غير كلام البشر، ما في ذلك ريب. و معلوم أيضًا أنّ الإنسان له كلام، قد يراد به المعنى المصدريّ، أي التّكلّم، وقد يراد به المعنى الحاصل

١ـ الفرقان / ١.

٢ـ الواقعة / ٧٧.

٣ـ الأنبياء / ٥٠.

٤ـ النّحل / ٩.

بالمصدر،أي المتكلّم به، وكلّ من هذين المعنيَيْن: لفظيّ ونفسيّ.

فالكلام البشريّ اللّفظيّ بالمعنى المصدريّ: هو تحريك الإنسان للسانه ومايساعده في إخراج الحروف من المخارج.

والكلام اللّفظيّ بالمعنى الحاصل بالمصدر: هو تلك الكلمات المنطوقة الّتي هي كيفيّة في الصّوت الحسّيّ وكلاهذين ظاهر لايحتاج إلى توضيح.

أمّا الكلام النّفسيّ بالمعنى المصدريّ، فهو تحضير الإنسان في نفسه بقوّته المتكلّمة الباطنة للكلمات الّتي لم تبرز إلى الجوارح، فيتكلّم بكلمات متخيّلة يرتّبها في الذّهن بحيث إذا تلفّظ بها بصوت حسّيّ كانت طبق كلماته اللّفظيّة. والكلام النّفسيّ بالمعنى الحاصل بالمصدر: هو تلك الكلمات النّفسيّة والألفاظ الذّهنيّة المترتّبة ترتّبًا ذهنيًّا منطبقًا عليه التّرتّب الخارجيّ.

ومن الكلام البشريّ النّفسيّ بنوعيه قوله تعالى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾[1]. ومنه الحديث الشّريف الّذي رواه الطّبرانيّ عن أُمّ سَلَمة أنّها سمعت رسول الله ﷺ وقد سأله رجل، فقال: «إنّي لأحدّث نفسي بالشّيء لو تكلّمت به لأحبطت أجري، فقال ﷺ: لايلقى ذلك الكلام إلّا مؤمن». فأنت ترى أنّ النّبيّ ﷺ سمّى ذلك الشّيء الّذي تحدّثت به النّفس كلامًا، مع أنّه كلمات ذهنيّة لم ينطق بها الرّجل مخافةً أن يحبط بها أجره. وهذا الإطلاق من الرّسول يحمل على الحقيقة، لأنّها الأصل ولا صارف عنها.

كذلكم القرآن كلام الله ـ ولله المَثَل الأعلى ـ قد يُطلق ويُراد به الكلام النّفسيّ وقد يُطلق ويُراد به الكلام اللّفظيّ. والّذين يطلقونه إطلاق الكلام النّفسيّ هم المتكلّمون فحسب، لأنّهم المتحدّثون عن صفات الله تعالى النّفسيّة من ناحية، والمقرّرون لحقيقة أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق من ناحية أُخرى.

أمّا الّذين يطلقونه إطلاق الكلام اللّفظيّ فالأُصوليّون والفقهاء وعلماء العربيّة، وإن

---

١ ـ يوسف / ٧٧.

شاركهم فيه المتكلّمون أيضًا، بإطلاق ثالث عندهم كما يتبيّن لك بعد. وإنّما عُنِي الأُصوليّون والفقهاء بإطلاق القرآن على الكلام اللّفظيّ، لأنّ غرضهم الاستدلال على الأحكام وهو لا يكون إلّا بالألفاظ. وكذلك علماء العربيّة يعنيهم أمر الإعجاز فلاجَرَم كانت وجهتهم الألفاظ.

والمتكلّمون يعنون أيضًا بتقرير وجوب الإيمان بكُتُب الله المُنْزَلة ومنها القرآن، وبإثبات نبوّة الرّسول ﷺ بمعجزة القرآن. وبديهيّ أنّ ذلك كلّه مناطه الألفاظ، فلا يدع أن ساهموا في هذا الإطلاق الثّالث.

القرآن عند المتكلّمين

ثمّ إنّ المتكلّمين حين يطلقونه على الكلام النّفسيّ يلاحظون أمرين:

أحدهما ـ أنّ القرآن عَلَم، أي كلام ممتاز عن كلّ ما عداه من الكلام الإلهيّ.

ثانيهما ـ أنّه كلام الله، وكلام الله قديم غير مخلوق، فيجب تنزّهه عن الحوادث وأعراض الحوادث.

وقد علمت أنّ الكلام النّفسيّ البشريّ يطلق بإطلاقين:

أحدهما ـ على المعنى المصدريّ.

وثانيهما ـ على المعنى الحاصل بالمصدر.

فكذلك كلام الله النّفسيّ، يطلق بإطلاقين:

أحدهما ـ على نظير المعنى المصدريّ للبشر.

وثانيهما ـ على نظير المعنى الحاصل بالمصدر للبشر.

وإنّما قلنا: «على نظير» لما هو مقرّر من وجوب تنزّه الكلام الإلهيّ النّفسيّ عن الخلق وأشباه الخلق. فعرّفوه بالمعنى الأوّل التّشبيه بالمعنى المصدريّ البشريّ، وقالوا: «إنّه الصّفة القديمة المتعلّقة بالكلمات الحكميّة، من أوّل الفاتحة إلى آخر سورة النّاس».

وهذه الكلمات أزليّة مجرّدة عن الحروف اللّفظيّة والذّهنيّة والرّوحيّة، وهي مترتّبة غير

متعاقبة، كالصّورة تنطبع في المرآة مترتّبة غير متعاقبة. وقالوا في تعريفهم هذا: إنّها حكميّة، لأنّها ليست ألفاظًا حقيقيّة مصوّرة بصورة الحروف والأصوات. وقالوا: إنّها أزليّة، ليثبتوا لها معنى القِدَم. وقالوا: إنّها مجرّدة عن الحروف اللّفظيّة والذّهنيّة والرّوحيّة، لينفوا عنها أنّها مخلوقة. وكذلك قالوا: إنّها غير متعاقبة، لأنّ التّعاقب يستلزم الزّمان، والزّمان حادث. وأثبتوا لها التّرتّب، ضرورة أنّ القرآن حقيقة مترتّبة، بل ممتازة بكمال ترتّبها وانسجامها.

إذا عرفت هذا الإطلاق الأوّل عند المتكلّمين، سهُل عليك أن تعرف إطلاقهم الثّاني للقرآن الكريم، وهو أنّه تلك الكلمات الحكميّة الأزليّة المترتّبة في غير تعاقب، المجرّدة عن الحروف اللّفظيّة والذّهنيّة والرّوحيّة. وهو تعريف للقرآن كلام الله بما يشبه المعنى الحاصل بالمصدر لكلام البشر النّفسيّ. ذانك إطلاقان اختصّ بهما المتكلّمون كما رأيت.

وهناك إطلاق ثالث للقرآن يقول به المتكلّمون أيضًا، لكن يشاركهم فيه الأُصوليّون والفقهاء وعلماء العربيّة، ذلك أنّه هو: «اللّفظ المُنزَل على النّبيّ ﷺ من أوّل الفاتحة إلى آخر سورة النّاس» الممتاز بخصائصه الّتي سنذكرها بعد قليل. فهو مظاهر و صُوَر لتلك الكلمات الحكميّة الأزليّة الّتي أشرنا إليها آنفًا.

ويطلق القرآن إطلاقًا رابعًا على النّقوش المرقومة بين دفّتي المُصْحَف باعتبار أنّ النّقوش دالّة على الصّفة القديمة، والكلمات الغيبيّة، واللّفظ المُنزَل، وهذا إطلاق شرعيّ عامّ. ولنضرب لك مثلًا يوضّح ذلك المقام الّذي ضلّت فيه الأفهام و زلّت فيه الأقدام.

رجل شاعر، كشرف الدّين البوصيريّ رحمه الله، لاريب أنّه كان يحمل في نفسه قوّةً شاعرةً، يستطيع أن يصوغ بها ما شاء من غُرَر القصائد، وعندما اتّجهت شاعريّته فعلًا، أن يمتدح أفضل الخليقة صلوات الله وسلامه عليه بقصيدته المعروفة بالهمزيّة، لا شكّ أنّه عالج النّظم في نفسه، واستحضر المعاني والألفاظ والأوزان حتّى تمثّل له ذلك القصيد في نفسه وتأثّرت به، على وجه إذا تكلّم به بصوتٍ حسّيّ كان عين نظمه المقفّى الموزون. ثمّ لا شكّ أنّه نطق بقصيده بعد، ثمّ كتبه بعد أن أنشده. فهذا الاسم الشّهير بالهمزيّة في مدح خير البريّة،

يمكن أن نقرّب به الإطلاقات الأربعة الّتي أطلقنا بها القرآن الكريم، يصحّ أن نطلق الهمزيّة على القوّة الشّاعرة لذلك الرّجل باعتبار اتّجاهها إلى هذا النّظم الخاصّ، الّذي تمثّل في نفسه من قبل أن يأخذ صورة اللّفظ والنّقش.

ويصحّ أن نطلقها على هذا النّظم الخاصّ الّذي تمثّل في نفسه من قبل أن يظهر بمظهر الألفاظ والنّقوش كذلك، ويصحّ أن نطلقها على هذا النّظم بعد أن تمثّل أصواتًا ملفوظةً وحروفًا موزونةً، ويصحّ أن نطلقها على هذا النّظم متمثّلًا في صورته المرسومة ونقوشه المكتوبة.

القرآن عند الأُصوليّين والفقهاء وعلماء العربيّة

أظنّني قد أطلت عليك، ولكنّ المقام دقيق وخطير، فلا تضق ذرعًا بهذا التّطويل والتّمثيل، ثمّ استمع لما وعدتك إيّاه من بيان معنى القرآن على أنّه اللّفظ المُنزَل على النّبيّ ﷺ من أوّل الفاتحة إلى آخر سورة النّاس.

هذا الإطلاق كما علمت ينسب إلى علماء الأُصول والفقه واللّغة العربيّة ويوافقهم عليه المتكلّمون أيضًا. غير أنّ هؤلاء الّذين أطلقوه على اللّفظ المُنزَل إلخ، اختلفوا في تعريفه:

فمنهم: من أطال في التّعريف وأطنب، بذكر جميع خصائص القرآن الممتازة.

ومنهم: من اختصر فيه وأوجز.

ومنهم: من اقتصد وتوسّط.

فالّذين أطنبوا عرّفوه «بأنّه الكلام المُعجِز المُنزَل على النّبيّ ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتّواتر، المتعبّد بتلاوته». وأنت ترى أنّ هذا التّعريف جمع بين الإعجاز، والتّنزيل على النّبيّ ﷺ، والكتابة في المصاحف، والنّقل بالتّواتر، والتّعبد بالتّلاوة. وهي الخصائص العظمى الّتي امتاز بها القرآن الكريم، وإن كان قد امتاز بكثير سواها. ولا يخفى عليك أنّ هذا التّعريف كان يكفي فيه ذكر بعض تلك الأوصاف ويكون جامعًا مانعًا، غير أنّ مقام التّعريف مقام إيضاح وبيان، فيناسبه الإطناب لغرض زيادة ذلك والبيان، لذلك استباحوا لأنفسهم

أن يزيدوا فيه ويسهبوا.

والّذين اختصروا وأوجزوا في التّعريف منهم من اقتصر على ذكر وصف واحد هو الإعجاز، ووجهة نظرهم في هذا الاقتصار أنّ الإعجاز هو الوصف الذّاتيّ للقرآن، وأنّه الآية الكبرى على صدق النّبيّ ﷺ، والشّاهد العدل على أنّ القرآن كلام الله.

ومنهم: من اقتصر على وصفين هما: الإنزال والإعجاز، وحجّتهم أنّ ما عدا هذين الوصفين ليس من الصّفات اللّازمة للقرآن، بدليل أنّ القرآن قد تحقّق فعلًا بهما دون سواهما على عهد النّبوّة.

ومنهم: من اقتصر على وصفي النّقل في المصاحف والتّواتر، لأنّهما يكفيان في تحصيل الغرض، وهو بيان القرآن وتمييزه عن جميع ما عداه.

والّذين توسّطوا منهم من عرض لإنزال الألفاظ، وللكتابة في المصاحف وللنّقل بالتّواتر فحسب، موجّهًا رأيه بأنّ المقصود هو تعريف القرآن لمن لم يدركه زمن النّبوّة، وأنّ ما ذكره من الأوصاف هو من اللّوازم البيّنة لأولئك الّذين لم يدركوها، بخلاف الإعجاز، فإنّه غير بيّن بالنّسبة لهم، وليس وصفًا لازمًا لما كان أقلّ من سورة من القرآن.

ومن أولئك الّذين توسّطوا من عرض للإنزال والنّقل بالتّواتر والتّعبّد بالتّلاوة فقط، مستندًا إلى أنّ ذلك هو الّذي يناسب غرض الأصوليّين. وعرّفوه بأنّه: «اللّفظ المُنزَل على النّبيّ ﷺ المنقول عنه بالتّواتر، المتعبّد بتلاوته». فاللّفظ جنس في التّعريف، يشمل المفرد والمركّب. ولا شكّ أنّ الاستدلال على الأحكام كما يكون بالمركّبات يكون بالمفردات كالعامّ والخاصّ، والمطلق والمقيّد. وخرج بالمُنزَل على النّبيّ ﷺ ما لم ينزّل أصلًا مثل كلامنا، ومثل الحديث النّبويّ، وما نزل على غير النّبيّ ﷺ كالتّوراة والإنجيل. وخرج بالمنقول تواترًا جميع ما سوى القرآن من منسوخ التّلاوة والقراءات غير المتواترة، سواء أكانت مشهورةً نحو قراءة

ابن مسعود: «متتابعات» عقيب قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ [1]، أم كانت آحاديّة كقراءة ابن مسعود أيضًا لفظ: «متتابعات» عقيب قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [2]، فإنّ شيئًا من ذلك لا يسمّى قرآنًا، ولا يأخذ حكمه. وخرجت الأحاديث القدسيّة إذا تواترت بقولهم: «المتعبّد بتلاوته».

هل القرآن عَلَمُ شخص؟

أسلفنا أنّ القرآن يطلق على الصّفة القديمة، ويطلق على الكلمات الحكميّة الأزليّة، وهذان الإطلاقان لا تعدّد فيهما ألبتّة لا حقيقةً ولا اعتبارًا، بل هما منزّهان عنه، لأنّ التّعدّد من أمارات الحدوث، كيف وهما قديمان؟!

وإذًا فلفظ القرآن عَلَم شخص بهذين الإطلاقين لا محالة. أمّا إذا أُريد بالقرآن «اللّفظ المُنْزَل» فهنا يكون الخلاف. فالرّاي السّائد أنّه عَلَم شخص مدلوله تلك الآيات المُنْزَلة المتازة بخصائصها العُليا من أوّل الفاتحة إلى آخر سورة النّاس. وهذه الألفاظ المعيّنة لا يقدح في تشخّصها اختلاف المتلفّظين ولا تعدّد القارئين، كما لا يقدح في تشخّص محمود مثلاً أن يكون في مكّة أو في المدينة، ولا أن يتقلّب في أطوار مختلفة من طفولة إلى شيخوخة، ومن صحّة إلى مرض، ومن حياة إلى موت، ونحو ذلك. وبعضهم يجعله عَلَم جنس نظرًا إلى تعدّد هذه الألفاظ المُنْزَلة بتعدّد قارئيها وكاتبيها. وهذا مردود من وجهين:

أحدهما ـ أنّ عَلَم الجنس ضرورة نحويّة اقتضتها أحكام لفظيّة، كامتناع إضافته ودخول «أل» عليه، ولا ضرورة هنا لفظيّة.

ثانيهما ـ أنّ عَلَم الجنس نكرة في المعنى، وأفراده منتشرة متعدّدة حقيقة لا اعتبارًا. والتّعدّد الملحوظ هنا اعتباريّ لا حقيقيّ، للقطع بأنّ ما يقرؤه أو يكتبه كلٌّ منّا فهو القرآن عينه

١ـ البقرة/ ١٩٦.

٢ـ البقرة/ ١٨٥.

لا فرد من أفراده.

هل يُصاغ للأعلام تعاريف؟

بقي علينا أن نتساءل إذا كان القرآن عَلَمًا فكيف ساغ أن يُصاغ له تعريف، بل تعاريف على نحو ما سبق؟ مع أنّ التّعاريف لا تكون إلّا للكلّيّات، والعَلَم جزئيّ مركّب من الماهيّة ومشخّصاتها، والمشخّصات لا يمكن معرفتها إلّا بالاطّلاع عليها بالحواسّ كالإشارة مثلًا، أو بالتّعبير عنها باسم عَلَم؟ ولنا على ذلك أجوبة ثلاثة:

أوّلها ـ أنّا نمنع أنّ التّعاريف لاتكون إلّا للكلّيّات، لِمَ لايجوز أن تعرّف الجزئيّات بأمور كلّيّة لايتحقّق مجموعها في الخارج إلّا في هذا الشّخص بخصوصه؟ وهذا الجواب قريب ممّا ذكره صاحب «التّلويح» إذ قال: «الحقّ أنّ الشّخص يمكن أن يُحَدّ بما يفيد امتيازه عن جميع ما عداه بحسب الوجود لا بما يفيد تعيُّنَه وتشخُّصَه بحيث لا يمكن اشتراكه بين كثيرين بحسب العقل، فإنّ ذلك إنّما يحصل بالإشارة لا غير». انتهى

ثانيها ـ أنّا نسلّم أنّ التّعاريف لاتكون إلّا للكلّيّات، لكن ما ذكروه ليس بتعريف حقيقيّ، إنّما هو ضابط مميّز، وليس بمعرِّف.

ثالثها ـ أنّ هذا تعريف على رأي الأصوليّين الّذين لا يشترطون في التّعاريف أجناسًا ولا فصولًا، بل الحدّ عندهم هو الجامع المانع مطلقًا. وعليه فيصحّ أن يحدّ الشّخص عند الأصوليّين دون المناطقة.

إطلاق القرآن على الكلّ وعلى أبعاضه

لا شكّ أنّ القرآن يُطلق على الكلّ وعلى أبعاضه، فيقال لمن قرأ اللّفظ المُنْزَل كلّه: إنّه قرأ قرآنًا، وكذلك يقال لمن قرأ ولو آية منه: أنّه قرأ قرآنًا، لكنّهم اختلفوا، فقيل: إنّ لفظ قرآن حقيقة في كلّ منهما وإذا يكون مشتركًا لفظيًّا. وقيل: هو موضوع للمقدّر المشترك بينهما، وإذا يكون مشتركًا معنويًّا، ويكون مدلوله حينئذٍ كلّيًّا.

وقد يقال : إنّ إطلاقه على الكلّ حقيقة وعلى البعض مجاز. والتّحقيق أنّه مشترك لفظيّ، بدليل التّبادر عند إطلاق اللّفظ على الكلّ وعلى البعض كليهما ، والتّبادر أمـارة الحقيقـة . والقول بعَلَميّة الشّخص فيه كما حقّقنا آنفًا يمنع أنّه مشترك معنويّ، فتعيّن أن يكون مـشتركًا لفظيًّا ، وهو ما يفهم من كلام الفقهاء إذ قالوا مثلاً : « يحرم قراءة القرآن على الجُنُب» فـإنّهـم يقصدون حرمة قراءته كلّه أو بعضه على السّواء . (١ : ٧ـ١٦)

الفصل الثّالث و العشرون

نصّ ابن عاشور (م: ١٣٩٣) في «التّحرير و التّنوير» في اسم القرآن

١ـ القرآن: اسم للكلام الموحى به إلى النّبيّ ﷺ، و هو جملة المكتوب في المصاحف المشتمل على مائة و أربع عشرة سورة، أُولاها الفاتحة و أُخراها سورة النّاس. صار هذا الاسم عَلَمًا على هذا الوحي. و هو على وزن «فُعْلان»، و هي زِنَةٌ وردت في أسماء المصادر مثل: غُفْران وشُكْران و بُهْتان، و وردت زيادة النّون في أسماء أعلام مثل: عُثمان و حَسان و عَدنان. و اسم قرآن صالح للاعتبارين، لأنّه مشتقّ من القراءة، لأنّ أوّل ما بُدِئ به الرّسول من الوحي: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[2]، فهمزة قرآن أصليّة و وزنه «فعلان»، و لذلك اتّفق أكثر القُرّاء على قراءة لَفظ قرآن مهموزًا حيثما وقع في التّنزيل، و لم يخالفهم إلّا ابن كثير، قرأه بفتح الرّاء بعدها ألف على لغة تخفيف في قراءته.

و قيل: هو قُرَان بوزن «فُعال»، من القَرْن بين الأشياء، أي الجمع بينها، لأنّه قرنت سُوَره بعضها ببعض، وكذلك آياته و حروفه، و سمّي كتاب الله قرآنًا كما سمّي الإنجيل الأنجيل، و ليس مأخوذاً من قرأت، و لهذا يهمز قرأت و لا يهمز القرآن، فتكون قراءة ابن كثير جارية على أنّه اسم آخر لكتاب الله على هذا الوجه.

١ـ العلق/ ١.

٢ـ الإسراء/ ١٠٦.

و من النّاس من زعم أنّ قُران جمع قرينة، أي اسم جمع، إذ لا يجمع مثل قرينة على وزن «فُعال» في التّكثير، فإنّ الجموع الواردة على وزن«فعال» محصورة، ليس هذا منها، و القرينة: العلامة، قالوا: لأنّ آياته يصدّق بعضها بعضًا، فهي قرائن على الصّدق.

فاسم القرآن هو الاسم الّذي جعل عَلَماً على الوحي المنزَل على محمّدﷺ، و لم يُسبق أن أُطلِق على غيره قبله، و هو أشهر أسمائه و أكثرها ورودًا في آياته و أشهرها دَورانًا على ألسنته السّلف. و له أسماء أُخرى هي في الأصل أوصاف أو أجناس أنهاها في «الإتقان» إلى نيّف وعشرين. و الّذي اشتهر إطلاقه عليه منها ستّة: التّنزيل، و الكتاب، و الفُرقان، و الذّكر، والوحي، و كلام الله .

٢ـ الفرقان: فهو في الأصل اسم لما يفرق به بين الحقّ و الباطل و هو مصدر، و قد وصف يوم بدر بيوم الفرقان، و أُطلق على القرآن في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾[١] و قد جعل هذا الاسم عَلَمًا على القرآن بالغلبة، مثل التّوراة على الكتاب الّذي جاء به موسى، و الإنجيل على الوحي الّذي أُنزل على عيسى، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾[٢] إلى قوله: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[٣] ،فوصفه أوّلًا بالكتاب و هم اسم الجنس العامّ، ثمّ عبّر عنه باسم الفرقان عقب ذكر التّوراة و الإنجيل و هما عَلَمان، ليعلم أنّ الفرقان عَلَم على الكتاب الّذي أُنزل على محمّدﷺ .

و وجه تسميته الفرقان أنّه امتاز عن بقيّة الكُتُب السّماويّة بكثرة ما فيه من بيان التّفرقة بين الحقّ و الباطل، فإنّ القرآن يعضد هديه الدّلائل و الأمثال و نحوها، و حسبك ما اشتمل عليه من بيان التّوحيد و صفات الله ممّا لا تجد مثله في التّوراة و الإنجيل كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ

---

١ ـ الفرقان/ ١.

٢ ـ في المطبوعة: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ آل عمران/ ٧، و هو سبق قلم من المصنّف.

٣ ـ آل عمران/ ٣ـ٤.

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١]، وأذكر لك مثالًا يكون تبصرةً لك في معنى كون القرآن فرقانًا، و ذلك أنّه حكى صفة أصحاب محمّد ﷺ الواردة في التّوراة و الإنجيل بقوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[٢]، فلمّا وصفهم القرآن قال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٣]، فجمع في هاته الجملة جميع أوصاف الكمال.

و أمّا إن افتقدت ناحية آيات أحكامه فإنّك تجدها مبرّأةً من اللّبس و بعيدة عن تطرّق الشّبهة، و حسبك قوله: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾[٤]، فإنّك لا تجد في التّوراة جملة تفيد هذا المعنى، بَله ما في الإنجيل. و هذا من مقتضيات كون القرآن مُهَيمنًا على الكتب السّالفة في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[٥].

٣ـ التّنزيل: فهو مصدر نزّل، أُطلق على المنزّل باعتبار أنّ ألفاظ القرآن أُنزلت من السّماء، قال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٦] و قال: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[٧]

٤ـ الكتاب: فأصله اسم جنس مطلق و معهود، و باعتبار عهد أُطلق على القرآن كثيرًا؛ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[٨]، وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾[٩]

١ـ الشّورى/ ١١.

٢ـ الفتح/ ٢٩.

٣ـ آل عمران/ ١١٠.

٤ـ النّساء/ ٣.

٥ـ المائدة/ ٤٨.

٦ـ فصّلت/ ٢ـ٣.

٧ـ السّجدة/ ٢

٨ـ البقرة/ ٢.

٩ـ الكهف/ ١.

، وإنّما سُمّي كتابًا لأنّ الله جعله جامعًا للشّريعة، فأشبه التّوراة، لأنّها كانت مكتوبة في زمن الرّسول المرسل بها، و أشبه الإنجيل الّذي لم يكتب في زمن الرّسول الّذي أُرسِل به، و لكنّه كتبه بعض أصحابه و أصحابهم، و لأنّ الله أمر رسوله أن يكتب كلّ ما أنزل عليه منه، ليكون حجّةً على الّذين يدخلون في الإسلام، و لم يتلقّوه بحفظ قلوبهم.

و في هذه التّسمية معجزة للرّسول ﷺ بأنّ ما أُوحي إليه سيكتب في المصاحف؛ قال تعالى: ﴿وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[1] و قال: ﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾[2]. و غير ذلك، و لذلك اتّخذ النّبيّ ﷺ من أصحابه كُتّابًا يكتبون ما أُنزل إليه و من أوّل ما ابتدئ نزوله، و من أوّلهم عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح، و عبدالله بن عمرو بن العاص، وزيدبن ثابت، و معاوية بن أبي سفيان. و قد وجد جميع ما حفظه المسلمون في قلوبهم على قدر ما وجدوه مكتوبًا يوم أمر أبوبكر بكتابة المُصْحَف.

٥ـ الذّكر: فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3]، أي لتبيّنه للنّاس، و ذلك أنّه تذكير بما يجب على النّاس اعتقاده و العمل به.

٦ـ الوحي: فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾[4] و وجه هذه التّسمية أنّه أُلقي إلى النّبيّ ﷺ بواسطة المَلَك، و ذلك الإلقاء يسمّي وحيًا، لأنّه يترجم عن مراد الله تعالى، فهو كالكلام المترجم عن مراد الإنسان، و لأنّه لم يكن تأليف تراكيبه من فعل البشر.

٧ـ كلام الله: فقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾. (١: ٧٠ـ٧٢)

١ـ الأنعام/ ٩٢.

٢ـ الأنبياء/ ٥٠.

٣ـ النّحل/ ٤٤.

٤ـ الأنبياء/ ٤٥.

الفصل الرّابع و العشرون

نصّ العلاّمة الطّباطبائيّ (م: ١٤٠٢) في «الميزان في تفسير القرآن»

[أسماء القرآن و معانيها]

١ـ القرآن: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة/ ١٨٥)

والقرآن اسم للكتاب المُنزَل على نبيّه محمّد ﷺ باعتبار كونه مقروًّا كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، ويطلق على مجموع الكتاب وعلى أبعاضه. (٢: ١٥)

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (النّمل/ ١)

والقرآن اسم للكتاب باعتبار كونه مقروًّا، والمبين من الإبانة بمعنى الإظهار، وتنكير «قرآن» للتّفخيم أي تلك الآيات الرّفيعة القدر الّتي ننزلها آيات الكتاب وآيات كتاب مقروءٍ عظيم الشّأن، مبين لمقاصده من غير إبهام ولا تعقيد. (١٥: ٣٣٩)

٢ـ الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ...﴾ (الفرقان/ ١)

والفرقان هو الفرق، سمّي به القرآن لنزول آياته متفرّقة، أو لتمييزه الحقّ من الباطل، ويؤيّد هذا المعنى إطلاق الفرقان في كلامه تعالى على التّوراة أيضًا مع نزولها دفعةً، قال الرّاغب في «المفردات»: والفرقان أبلغ من الفرق... [وذكر كما تقدّم عنه]. (١٥: ١٧٣)

٣ـ ذِكْرٌ مبارك: ﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ (الأنبياء/ ٥٠)

١ـ الزّخرف/ ٣.

الإشارة بهذا إلى القرآن، وإنّما سمّي ذِكْرًا مباركًا لأنّه ثابت دائم كثير البركات ينتفع به المؤمن والكافر في المجتمع البشريّ، وتتنعّم به الدّنيا سواء عرفته أوأنكرته، أقرّت بحقّه أو جحدته.

يدلّ على ذلك تحليل ما نشاهد اليوم من آثار الرّشد والصّلاح في المجتمع العامّ البشريّ، والرّجوع بها القهقرىٰ إلى عصر نزول القرآن فما قبله فهو الذّكر المبارك الّذي يسترشد بمعناه، وإن جهل الجاهلون لفظه، وأنكر الجاحدون حقّه وكفروا بعظيم نعمته، وأعانهم على ذلك المسلمون بإهمالهم في أمره، وقال الرّسول يا ربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجورًا.

(١٤: ٢٩٦)

٤ـ النّور: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ...﴾ (الأعراف / ١٥٧)

والمراد بالنّور النّازل معه القرآن الكريم، ذكر بنعت النّوريّة ليدلّ به على أنّه ينير طريق الحياة، ويضيء الصّراط الّذي يسلكه الإنسان إلى موقف السّعادة والكمال، والكلام في هذا الشّأن.
(٨: ٢٨٢)

٥ـ الرّوح: ﴿وَكَذٰلِكَ اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ رُوحًا مِنْ اَمْرِنَا﴾ (الشّورى / ٥٢)

ظاهر السّياق كون «كذلك» إشارة إلى ما ذُكِر في الآية السّابقة من الوحي بأقسامه الثّلاثة، ويؤيّده الرّوايات الكثيرة الدّالّة على أنّه ﷺ كما كان يوحى إليه بتوسّط جبريل وهو القسم الثّالث، كان يوحى إليه في المنام وهو من القسم الثّاني، ويوحى إليه من دون توسّط واسطة وهو القسم الأوّل.

وقيل: الإشارة إلى مطلق الوحي النّازل على الأنبياء، وهذا متعيّن على تقدير كون المراد بالرّوح هو جبريل أو الرّوح الأمريّ كما سيأتي. والمراد بإيحاء الرّوح ـ على ما قيل ـ إيحاء القرآن، وأيّد بقوله: ﴿وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا...﴾، ومن هنا قيل: إنّ المراد بالرّوح القرآن.

لكن يبقى عليه أوّلًا ـ أنّه لاريب أنّ الكلام مسوق لبيان أنّ ما عندك من المعارف والشّرائع الّتي تتلبّس بها وتدعو النّاس إليها، ليس ممّا أدركته بنفسك وأبديته بعلمك، بل أمر

من عندنا مُنْزَل إليك بوحينا، وعلى هذا فلو كان المراد بالرّوح الموحىٰ القرآن، كان من الواجب الاقتصار على الكتاب في قوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾، لأنّ المراد بالكتاب القرآن، فيكون الإيمان زائدًا مستغنًى عنه.

وثانيًا ـ أنّ القرآن وإن أمكن أن يسمّى روحًا باعتبار إحيائه القلوب بهُداه كما قال تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [1]، وقال: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ﴾ [2]، لكن لا وجه لتقيّده حينئذٍ بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾، والظّاهر من كلامه تعالى أنّ الرّوح من أمره خلق من العالَم العِلْويّ يصاحب الملائكة في نزولهم، قال تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَـٰئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [3]، وقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَـٰئِكَةُ صَفًّا﴾ [4]، وقال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [5]، وقال: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [6]، وقد سمّى جبريل الرّوح الأمين وروح القُدُس حيث قال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [7]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ [8].

ويمكن أن يجاب عن الأوّل بأنّ مقتضى المقام وإن كان هو الاقتصار على ذكر الكتاب فقط لكن لمّا كان إيمانه ﷺ بتفاصيل ما في الكتاب من المعارف والشّرائع من لوازم نزول الكتاب غير المنفكّة عنه وآثاره الحسنة صحّ أن يذكر مع الكتاب فالمعنى: وكذلك أوحينا إليك كتابًا ما كنت تدري ما الكتاب، ولا ما تجده في نفسك من أثره الحسن الجميل وهو إيمانك به.

١ـ الأنفال / ٢٤.

٢ـ الأنعام / ١٢٢.

٣ـ القدر / ٤.

٤ـ النبأ / ٣٨.

٥ـ الإسراء / ٨٥.

٦ـ البقرة / ٨٧.

٧ـ الشّعراء / ١٩٣.

٨ـ النّحل / ١٠٢.

وعن الثّاني أنّ المعهود من كلامه في معنى الرّوح وإن كان ذلك، لكن حمل الرّوح في الآية على ذلك المعنى وإرادة الرّوح الأمريّ أوجبريل منه يوجب أخذ ﴿اَوْحَيْنَا﴾ بمعنى أرسلنا، إذ لا يقال: أوحينا الرّوح الأمريّ أو المَلَك، فلا مفرّ من كون الإيحاء بمعنى الإرسال وهو كما ترى، فأخذ الرّوح بمعنى القرآن أهون من أخذ الإيحاء بمعنى الإرسال والجوابان لا يخلوان عن شيء.

وقيل: المراد بالرّوح جبريل، فإنّ الله سمّاه في كتابه روحًا، قال: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْاَمِينُ عَلٰى قَلْبِكَ﴾ [1]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾.

وقيل: المراد بالرّوح الرّوح الأمريّ الّذي ينزل مع ملائكة الوحي على الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلٰئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ اَمْرِهِ عَلٰى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ اَنْ اَنْذِرُوا اَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [2]، فالمراد بإيحائه إليه إنزاله عليه.

ويمكن أن يوجّه التّعبير عن الإنزال بالإيحاء بأنّ أمره تعالى على ما يعرفه في قوله: ﴿اِنَّمَا اَمْرُهُ اِذَا اَرَادَ شَيْئًا اَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [3]، هو كلمته، والرّوح من أمره كما قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ اَمْرِ رَبِّي﴾ [4]، فهو كلمته، وهو يصدق ذلك قوله في عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿اِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ اَلْقَاهَا اِلٰى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [5] وإنزال الكلمة تكليم، فلا ضَيْر في التّعبير عن إنزال الرّوح بإيحائه، والأنبياء مؤيّدون بالرّوح في أعمالهم، كما أنّهم يوحى إليهم الشّرائع به قال تعالى: ﴿وَاَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، وقد تقدّمت الإشارة إليه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاَوْحَيْنَا اِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَاِقَامَ الصَّلٰوةِ وَاِيتَاءَ الزَّكٰوةِ﴾ [6].

١ـ الشّعراء/ ١٩٣.

٢ـ النّحل/ ٢.

٣ـ يس/ ٨٢.

٤ـ الإسراء/ ٨٥.

٥ـ النّساء/ ١٧١.

٦ـ الأنبياء/ ٧٣.

ويمكن رفع إشكال كون الإيحاء بمعنى الإنزال والإرسال بالقول بكون قوله: ﴿رُوحًا﴾ منصوبًا بنَزْع الخافض ورجوع ضمير ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ إلى القرآن المعلوم من السّياق أو الكتاب، والمعنى: وكذلك أوحينا إليك القرآن بروح منّا ما كنتَ تدري ما الكتاب وما الإيمان ولكن جعلنا القرآن أو الكتاب نورًا إلخ، هذا وما أذكر أحدًا من المفسّرين قال به.

(١٨: ٧٥ـ٧٦)

٦ـ الحكيم: ﴿الٓر تِلْكَ اٰيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (يونس/ ١)

والمراد بالكتاب الحكيم هو الكتاب الّذي استقرّت فيه الحكمة، وربّما قيل: إنّ الحكيم من «الفعيل» بمعنى «المفعول» والمراد به المحكم غير القابل للانثلام والفساد، والكتاب الّذي هذا شأنه ـ وقد وصفه تعالى في الآية التّالية بأنّه من الوحي ـ هو القرآن المُنزَل على النّبيّ ﷺ.

وربّما قيل: إنّ «الكتاب الحكيم» هو اللّوح المحفوظ، وكون الآيات آياته هو أنّها نزلت منه وهي محفوظة فيه، وهو وإن لم يخل عن وجه بالنّظر إلى أمثال قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْاٰنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[١]، وقوله: ﴿اِنَّهُ لَقُرْاٰنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾[٢]، لكنّ الأظهر من الآية الّتي نحن فيها وسائر ما في سياقها من آيات أوائل هذه السُّوَر المفتتحة بالحروف «الٓر» وسائر الآيات المشابهة لها، أو النّاظرة إلى وصف القرآن، أنّ المراد بالكتاب وبآياته هو هذا القرآن المتلوّ المقروء وآياته المتلوّة المقروءة بما أنّه من اللّوح المحفوظ من التّغيير والبطلان، كالكتاب المأخوذ بوجه من الكتاب، كما يستفاد من مثل قوله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ اٰيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْاٰنٍ مُبِينٍ﴾[٣]، وقوله: ﴿الٓر كِتَابٌ اُحْكِمَتْ اٰيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٤]، وغير ذلك.

(١٠: ٨)

١ـ البروج/ ٢١ـ٢٢.

٢ـ الواقعة/ ٧٧ـ٧٨.

٣ـ الحجر/ ١.

٤ـ هود/ ١.

﴿الٓمٓ * تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ...﴾ (لقمان/ ١ـ ٤)

وقد وصف الكتاب بالحكيم إشعارًا بأنّه ليس من لهو الحديث من شيء بل كتاب لاانثلام فيه ليداخله لهوالحديث وباطل القول، ووصفه أيضًا بأنّه هدًى ورحمة للمحسنين تتميمًا لصفة حكمته، فهو يهدي إلى الواقع الحقّ ويوصل إليه، لا كاللّهو الشّاغل للإنسان عمّا يهمّه، وهو رحمة لا نقمة صارفة عن النّعمة.

ووصف «المحسنين» بإقامة الصّلاة وإيتاء الزّكاة اللّتين هما العمدتان في الأعمال ،وبالإيقان بالآخرة ويستلزم التّوحيد والرّسالة وعامّة التّقوى، كلّ ذلك مقابلة الكتاب للهو الحديث المصغي إليه لمن يستمع لَهْو الحديث. (١٦: ٢٠٩)

٧ـ تبيان: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾ (النّحل / ٨٩)

ذكروا أنّه استئناف، يصف القرآن بكرائم صفاته، فصفته العامّة أنّه تبيان لكلّ شيء، والتّبيان والبيان واحد ـ كما قيل: ـ وإذ كان كتاب هداية لعامّة النّاس و ذلك شأنه، كان الظّاهر أنّ المراد بكلّ شيء كلّ ما يرجع إلى أمر الهداية ممّا يحتاج إليه النّاس في اهتدائهم من المعارف الحقيقيّة المتعلّقة بالمبدأ والمعاد والأخلاق الفاضلة والشّرائع الإلهيّة والقصص والمواعظ فهو تبيان لذلك كلّه.

و من صفته ـــ الخاصّة أي المتعلّقة بالمسلمين الّذين يسلمون للحقّ ـــ أنّه هُدًى يهتدون به إلى مستقيم الصّراط ورحمة لهم من الله سبحانه، يحوزون بالعمل بما فيه خير الدّنيا والآخرة، وينالون به ثواب الله ورضوانه، و بشرى لهم يبشّرهم بمغفرة من الله و رضوان و جنّات لهم فيها نعيم مقيم.

هذا ما ذكروه وهو مبنيّ على ما هو ظاهر التّبيان من البيان المعهود، من الكلام وهو إظهار المقاصد من طريق الدّلالة اللّفظيّة، فإنّا لانهتدي من دلالة لفظ القرآن الكريم إلاّ على كلّيّات ما تقدّم، لكن في الرّوايات ما يدلّ على أنّ القرآن فيه علم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، و لو صحّت الرّوايات، لكان من اللاّزم أن يكون المراد بالتّبيان الأعمّ ممّا

يكون من طريق الدّلالة اللّفظيّة فلعلّ هناك إشارات من غير طريق الدّلالة اللّفظيّة، تكشف عن أسرار وخبايا لا سبيل للفهم المتعارف إليها. (١٢: ٣٢٤ـ٣٢٥)

٨ـ أحسن الحديث: ﴿اَللّهُ نَزَّلَ اَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ (الزُّمَر / ٢٣)

فقوله: ﴿اَللّهُ نَزَّلَ اَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾، هو القرآن الكريم، والحديث: هو القول كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَاْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾[1]، وقوله: ﴿فَبِاَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[2]، فهو أحسن القول لاشتماله على محض الحقّ الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو كلامه المجيد.

وقوله: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ أي يشبه بعض أجزائه بعضًا وهذا غير التّشابه الّذي في المتشابه المقابل للمحكم، فإنّه صفة بعض آيات الكتاب، وهذا صفة الجميع.

وقوله: ﴿مَثَانِيَ﴾ جمع مثنية بمعنى المعطوف، لانعطاف بعض آياته على بعض، ورجوعه إليه بتبيّن بعضها ببعض، وتفسير بعضها لبعض من غير اختلاف فيها بحيث يدفع بعضه بعضًا ويناقضه، كما قال تعالى: ﴿اَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْاٰنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[3]. (١٧: ٢٥٦)

٩ـ الموعظة: ﴿يَا اَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس / ٥٧)

قال الرّاغب في «المفردات»: الوعظ زجر مقترن بتخويف.

وقال الخليل: هو التّذكير بالخير فيما يرقّ له القلب، والعظة والموعظة: الاسم.

والصّدر معروف، والنّاس لمّا وجدوا القلب في الصّدر وهم يرون أنّ الإنسان إنّما يدرك

١ـ الطّور / ٣٤.

٢ـ المرسلات / ٥٠.

٣ـ النّساء / ٨٢.

ما يدرك بقلبه، وبه يعقل الأمور، ويحبّ ويبغض، ويريد ويكره، ويشتاق ويرجو ويتمنّى، عدوًّا الصّدر خزانة لما في القلب من أسراره والصّفات الرّوحيّة الّتي في باطن الإنسان من فضائل ورذائل، وفي الفضائل صحّة القلب واستقامته، وفي الرّذائل سُقْمه ومرضه، والرّذيلة داء؛ يقال: شفيت صدري بكذا، إذا ذهب به ما في صدره من ضيق وحرج، ويقال: شفيت قلبي، فشفاء الصّدور وشفاء ما في الصّدور كناية عن ذهاب ما فيها من الصّفات الرّوحيّة الخبيثة الّتي تجلب إلى الإنسان الشّقاء، وتنغّص عيشته السّعيدة، وتحرمه خير الدّنيا والآخرة.

والهُدَى هي الدّلالة على المطلوب بلطف على ما ذكره الرّاغب، وقد تقدّم في ذيل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْاِسْلَامِ﴾ في الجزء /٧ بحث فيها.

والرّحمة تأثّر خاصّ في القلب عن مشاهدة ضرٍّ أو نقصٍ في الغير، يبعث الرّاحم إلى جبر كَسْره وإتمام نقصه، وإذا نسبت إليه تعالى، كان بمعنى النّتيجة دون أصل التّأثّر لتنزّهه تعالى عن ذلك فينطبق على مطلق عطيّته تعالى وإفاضته الوجود على خلقه.

وعطيّته إذا نسبت إلى مطلق خلقه كانت هي ما ينسب إليه تعالى من وجودهم وبقائهم ورزقهم الّذي يمدّ به بقاؤهم وسائر ما ينعم به عليهم من نعمه الّتي لاتحصى كثرة وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها، وإذا نسبت إلى المؤمنين خاصّة كانت هي ما يختصّ بهم من سعادة الحياة الإنسانيّة بمظاهرها المختلفة الّتي ينعم الله بها عليهم من المعارف الحقّة الإلهيّة والأخلاق الكريمة والأعمال الصّالحة، والحياة الطّيّبة في الدّنيا والآخرة والجنّة والرّضوان.

ومن ثمّ إذا وصف القرآن بأنّه: ﴿رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كان معناه: أنّه يغشي المؤمنين أنواع الخيرات والبركات الّتي كنزها الله فيه لمن تحقّق بحقائقها وتلبّس بمعانيها، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ اِلَّا خَسَارًا﴾[1].

وإذا أخذت هذه النّعوت الأربعة الّتي عدّها الله سبحانه للقرآن في هذه الآية، أعني أنّه

١ـ الإسراء / ٨٢.

موعظة، وشفاء لما في الصّدور، وهُدًى ورحمة، وقيس بعضها إلى بعض، ثمّ اعتبرت مع القرآن كانت الآية بيانًا جامعًا لعامّة أثره الطّيّب الجميل وعلمه الزّاكي الطّاهر الّذي يرسمه في نفوس المؤمنين منذ أوّل ما يقرع أسماعهم إلى آخر ما يتمكّن من نفوسهم ويستقرّ في قلوبهم.

فإنّه يدركهم أوّل ما يدركهم، وقد غشيهم يمّ الغفلة وأحاطت بهم لجّة الحيرة فأظلمت باطنهم بظلمات الشّكّ والرّيب، وأمرضت قلوبهم بأدواء الرّذائل وكلّ صفة أو حالة رديّة خبيثة، فيعظهم موعظة حسنة ينبّههم بها عن رقدة الغفلة، ويزجرهم عمّا بهم من سوء السّريرة والأعمال السّيّئة، ويبعثهم نحو الخير والسّعادة.

ثمّ يأخذ في تطهير سرّهم عن خبائث الصّفات، ولا يزال يزيل آفات العقول وأمراض القلوب واحدًا بعد آخر حتّى يأتي على آخرها. ثمّ يدلّهم على المعارف الحقّة والأخلاق الكريمة والأعمال الصّالحة دلالة بلطف، برفعهم درجة بعد درجة، وتقريبهم منزلة فمنزلة، حتّى يستقرّوا في مستقرّ المقرّبين، ويفوزوا فوز المخلصين.

ثمّ يلبسهم لباس الرّحمة، وينزّلهم دار الكرامة، ويقرّهم على أريكة السّعادة، حتّى يلحقهم بالنّبيين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقًا، ويدخلهم في زمرة عباده المقرّبين في أعلى علّيّين.

فالقرآن واعظ شافٍ لما في الصّدور، هادٍ إلى مستقيم الصّراط، مفيض للرّحمة بإذن الله سبحانه، وإنّما يعظ بما فيه، ويشفي الصّدور ويهدي، ويبسط الرّحمة بنفسه لا بأمر آخر، فإنّه السّبب الموصول بين الله وبين خلقه، فهو موعظة وشفاء لما في الصّدور وهُدًى ورحمة للمؤمنين، فافهم ذلك. (١٠: ٨٠-٨١)

١٠-شفاء ورحمة: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ...﴾ (الإسراء/٨٢)

... وعدّ القرآن شفاءً، والشّفاء إنّما يكون عن مرض، دليل على أنّ للقلوب أحوالًا نسبة القرآن إليها نسبة الدّواء الشّافي إلى المرض، وهو المستفاد من كلامه سبحانه، حيث ذكر أنّ الدّين الحقّ فطريّ للإنسان، فكما أنّ للبُنية الإنسانيّة الّتي سوّيت على الخلقة الأصليّة قبل

أن يلحق بها أحوال منافية وآثار مغايرة للتّسوية الأوّليّة استقامة طبيعيّة تجري عليها في أطوار الحياة، كذلك لها بحسب الخلقة الأصليّة عقائد حقّة في المبدء والمعاد وما يتفرّع عليهما من أُصول المعارف، وأخلاق فاضلة زاكية تلائمها، ويترتّب عليها من الأحوال والأعمال ما يناسبها.

فللإنسان صحّة واستقامة روحيّة معنويّة، كما أنّ له صحّة واستقامه جسميّة صوريّة، وله أمراض وأدواء روحيّة باختلال أمر الصّحّة الرّوحيّة، كما أنّ له أمراضًا وأدواء جسميّة باختلال أمر الصّحّة الجسميّة، ولكلّ داء دواء ولكلّ مرض شفاء.

وقد ذكر الله سبحانه في أُناس من المؤمنين أنّ في قلوبهم مرضًا وهو غير الكفر والنّفاق الصّريحين، كما يدلّ عليه قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾[1] وقوله: ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾[2].

وليس هذا المسمّى مرضًا إلّا ما يختلّ به ثبات القلب واستقامة النّفس، من أنواع الشّكّ والرّيب الموجبة لاضطراب الباطن، وتزلزل السّرّ، والميل إلى الباطل، واتّباع الهوى، ممّا يجامع إيمان عامّة المؤمنين من أهل أدنى مراتب الإيمان، وممّا هو معدود نقصًا وشركًا بالإضافة إلى مراتب الإيمان العالية، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[3] وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[4].

والقرآن الكريم يزيل بحُجَجه القاطعة وبراهينه السّاطعة أنواع الشّكوك والشّبهات

١ـ الأحزاب / ٦٠.

٢ـ المدّثّر / ٣١.

٣ـ يوسف / ١٠٦.

٤ـ النّساء / ٦٥.

المعترضة في طريق العقائد الحقّة والمعارف الحقيقيّة، ويدفع بمواعظه الشّافيه وما فيه من القصص والعبَر والأمثال والوعد والوعيد والإنذار والتّبشير والأحكام والشّرائع عاهات الأفئدة وآفاتها، فالقرآن شفاء للمؤمنين.

وأمّا كونه رحمةً للمؤمنين ـ والرّحمة إفاضة ما يتمّ به النّقص ويرتفع به الحاجة ـ فلأنّ القرآن ينوّر القلوب بنور العلم واليقين بعد ما يزيل عنها ظلمات الجهل والعمى والشّكّ والرّيب، ويحلّيها بالملَكات الفاضلة والحالات الشّريفة الزّاكية، بعد ما يغسل عنها أوساخ الهيئات الرّديّة والصّفات الخسيسة.

فهو بما أنّه شفاء يزيل عنها أنواع الأمراض والأدواء، وبما أنّه رحمة يعيد إليها ما افتقدته من الصّحّة والاستقامة الأصليّة الفطريّة، فهو بكونه شفاء يطهّر المحلّ من الموانع المضادّة للسّعادة ويهيّئها لقبولها، وبكونه رحمة يلبسه لباس السّعادة وينعم عليه بنعمة الاستقامة.

فالقرآن شفاء ورحمة للقلوب المريضة، كما أنّه هُدًى ورحمة للنّفوس غير الآمنة من الضّلال، وبذلك يظهر النّكتة في ترتّب الرّحمة على الشّفاء في قوله: ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، فهو كقوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾[2].

فمعنى قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وننزّل إليك أمرًا يشفي أمراض القلوب ويزيلها ويعيد إليها حالة الصّحّة والاستقامة، فتتمتّع من نعمة السّعادة والكرامة.

وقوله: ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، السّياق دالّ على أنّ المراد به بيان ما للقرآن من الأثر في غير المؤمنين قبال ما له من الأثر الجميل في المؤمنين، فالمراد بالظّالمين غير المؤمنين، وهم الكفّار دون المشركين خاصّة، كما يظهر من بعض المفسّرين وإنّما علّق الحكم بالوصف

---

١ ـ يوسف / ١١١.

٢ ـ النّساء / ٩٦.

ـ أعني الظّلم ـ ليشعر بالتّعليل، أي أنّ القرآن إنّما يزيدهم خسارًا لمكان ظلمهم الكفر.

وللمفسّرين في معنى صدر الآية وذيلها وجوه أُخَر أغمضنا عنها، من أراد الوقوف عليها فليراجع مسفوراتهم.

وممّا ذكروه فيها أنّ المراد بالشّفاء في الآية أعمّ من شفاء الأمراض الرّوحيّة، من الجهل والشّبهة والرّيب والمَلَكات النّفسانيّة الرّذيلة وشفاء الأمراض الجسميّة بالتّبرّك بآياته الكريمة قراءةً وكتابةً.

ولابأس به، لكن لو صحّ التّعميم، فليصحّ في الصّدر والذّيل جميعًا، فأنّه كما يستعان به على دفع الأمراض والعاهات بقراءة أو كتابة، كذلك يستعان به على دفع الأعداء، ورفع ظلم الظّالمين، وإبطال كيد الكافرين، فيزيد بذلك الظّالمين خسارًا، كما يفيد المؤمنين شفاء هذا، ونسبة زيادة خسارهم إلى القرآن مع أنّها مستندة بالحقيقة إلى سوء اختيارهم وشقاء أنفسهم، إنّما هي بنوع من المجاز. (١٣: ١٨٢ـ١٨٥)

الفصل الخامس و العشرون

نصّ الأُشَيقِر (معاصر) في «لمحات من تاريخ القرآن»

أسماء القرآن و صفاته

اختلف جمهور الفقهاء و المجتهدين بصدد لفظ القرآن و سبب تسميته بهذا الاسم الّذي لم يك متداولًا في الجاهليّة، كما و لم يسبق له وجود قبل نزوله، و هل هو لفظ أصيل أو مشتقّ، و ما إذا كان مهموزًا «أي أنّ الهمزة في أصل اشتقاقه»، أو هو غير مهموز بالمرّة؟

لقد ذهب كلّ هؤلاء الفقهاء و المجتهدين في البداية و دونما أيّ خلاف يذكر ما بينهم، ذهبوا إلى أنّ لفظ القرآن الّذي جاء في نحو من سبعين آية قد وضعه الله سبحانه عَلَمًا على كتابه المنزل مخالفًا بذلك لما يسمّي العرب كلامهم و أحاديثهم، فقد سمّى جملته قرآنًا كما سمّى العرب جملة كلامهم ديوانًا، و سمّى بعضه سورة كقصيدة، و سمّى بعض السّورة آية كالبيت، و سمّى آخر السّورة فاصلة كقافية[1].

بعد هذه البداية المتّفق عليها بين الجميع تفرّق الفقهاء بشأن الإجابة على التّساؤلات الواردة أعلاه، و يمكن حصر أقوالهم بصدد ذلك في رأيين اثنين:

١ـ أنّ الغالبيّة العظمى من هؤلاء الفقهاء ـ ومنهم الزّجّاج ـ ينحون إلى أنّ القرآن المعرّف بـ «أل» ليس هو لفظًا أصيلًا و إنّما هو مشتقّ، و اشتقاقه هذا قد جاء من: قَرَنَ الشّيء، إذا ضمّه إليه، و سُمّي القرآن بذلك لقران السُّوَر و الآيات و الحروف المتفرّقة و ضمّها بعضها إلى

١ـ الإتقان في علوم القرآن.

بعض. و قيل أيضًا: إنّ اشتقاقه هذا جاء من القرائن، لأنّ آياته يصدّق بعضها بعضًا، ويشابه بعضها للبعض الآخر، فكان بعضها قرينةً على بعض.

و قال كثير من هؤلاء الفقهاء أيضاً: بأنّ لفظ القرآن مهموز، و ذلك لأنّه مشتقّ من القُرء و هو الجمع، و إنّما سُمّي الكلام المُنْزَل على النّبيّ قرآنًا لأنّه جمع السُّوَر أو جمع ثمرات الكُتُب المقدّسة السّالفة، أو أنّه مشتقّ من: قَرَأَ، و معناه تلا، مثل الغفران المشتقّ من غَفَرَ.

٢ـ أمّا الأقلّيّة عن هؤلاء الفقهاء ـ و منهم الشّافعيّ ـ فتذهب إلى مخالفة زُمَلائهم و إخوانهم بصدد لفظ القرآن، و ملخّص أقوال هذه الفئة هو أنّ لفظ القرآن غير مشتقّ بالمرّة، كما أنّه في نفس الوقت غير مهموز، و لم يؤخذ من قراءة، بل هو خاصّ بالكلام المنزل على الرّسول ﷺ مثل التّوراة و الإنجيل و الزّبور.

و عندي أنّ القول الأوّل هو المفضّل، لأنّه يلائم المنطق و يتّفق الاستدلال الواقعيّ و اللّغويّ، و لذا أخذت به الغالبيّة العظمى من فقهاء المسلمين قديمًا و حديثًا.

و بعد هذا ننتقل بالقُرّاء الكرام إلى أسماء القرآن الكريم، فأقول بأنّ الله سبحانه قد سمّى القرآن بأسماء كثيرة بلغت في العدّ عند بعض خمسة و خمسين اسمًا و غالبيّتها صفات له، أمّا الأسماء المجرّدة فهي حوالي النّصف، أي (٧٢) اسمًا[1]، منها: القرآن والفرقان والكتاب والكلام والمثاني والبلاغ و الذّكر... الخ.

و سنورد فيما يلي من أسطُر شرحًا خاطفًا لبعض صفات القرآن و أسمائه المشار إليها، وعلل تسميته بهذه الصّفات و هذه الأسماء.

[١] يسمّى القرآن أوّلًا بالمُصْحَف، و سبب ذلك يعود إلى أنّه لمّا جمع أبوبكر القرآن ـ الجمع الثّاني ـ... [و ذكر كما تقدّم نحوه عن السّيوطيّ، ثمّ قال:]

و إنّما لِمَ تسمّى هذه الصّحاف المجموعة بالقرآن لأنّ القرآن هو موجود بين الدّفّتين، أمّا

---

١ ـ الإتقان في علوم القرآن، و البرهان في علوم القرآن.

الصّحاف المجموعة، فإذا ما أُطلق عليها لفظ القرآن كان اللّفظ سيؤدّي شبه المعنى و ليس كلّ المعنى، طالما أنّ كافّة آيات القرآن مجموعة في محلّ واحد، و لكن دون أن تجمعها الدّفّتين، لذا فقد استخرج لها لفظ جديد هو المُصْحَف، ليمكن تمييزها عن القرآن الّذي قد يجمع في يوم ما بين الدّفّتين، و قد جمع بالفعل.

و المراد بالمُصْحَف العُثمانيّ هو مُصْحَف عُثمان بن عفّان الّذي أمر باستنساخه و توزيعه (الجمع الثّالث). و كان ذلك المُصْحَف خاليًا من النُّقَط و الحركات (الشّكل) و أرقام الآيات والأحزاب و الأجزاء، حيث إنّ كلّ هذه قد وضعت فيما بعد و بمرور الزّمن لتكون القرآن الّذي هو الآن في أيدي المسلمين، و كان المُصْحَف العُثمانيّ يسمّى به «المُصْحَف الإمام» أيضًا، لسبب خاصّ سوف نورده في محلّه، كما سنمرّ بعد ذلك على كيفيّة وضع النُّقَط و الحركات في المُصْحَف المذكور.

[٢] و بصدد تسميته بالكتاب، فهذا يعود إلى جمعه و كتابته في مكان واحد، لأنّ الكتابة جمع للحروف و رسم للألفاظ، و لا يطلق الكتاب على المكتوب إذا كان مجزّءًا و غير مجتمع، فضلًا عن حفظه في الصّدور.

[٣] أمّا السّبب الرّئيس في تسميته ـ القرآن ـ بالاسم الأكثر شيوعًا و تداولًا و هو لفظ الكريم، فيعود إلى أنّ القرآن ينظّم فيما ينظّم الحياة الاقتصاديّة و المعاشيّة للنّاس عن طريق بيان مجالات التّكسّب و العمل المباحة و المحظورة، فضلًا عن الالتزامات و التّكاليف الماليّة الّتي تلزم كلّ فئة من النّاس إزاء الأُخرى.

فهذه التّنظيمات و التّشريعات الّتي حفلت بها سُوَر القرآن لو أخذت كلّها و نقلت إلى ميادين التّطبيق و العمل، لنشأ بسببها مجتمع سعيد و صالح يخفق على جنباته لواء العدل و الحقّ و المساواة، و لساد أوساطه الشّعبيّة روح التّعاون و التّضامن، و لابتعد منه كلّ لون من ألوان الاستغلال و الاستعباد. فلو أنّ المرء ـ أيّ مرء ـ تمكّن من عمل هذا الشّيء سمّي كريمًا، فكذلك دعا الله كتابه بالكريم، و هو لفظ طبيعيّ في مثل هذا المكان.

[٤] أمّا سبب تسمية القرآن بالفرقان، فيعود إلى أنّ الكلمة مصدر من فعل فَرَقَ، والفرقان هو ما يفصّل بين الشّيئين، و سمّي القرآن به لأنّه يفصل بين الحقّ و الباطل.

[٥] أمّا علّة تسمية القرآن بالمجيد و العزيز، فهو أنّ هذه الصّفات مشتقّة من المجد والعزّة على التّوالي،وهذاوصف طبيعيّ وخليق بالقرآن أن يوصف به، إذا ماعلمنا بأنّ القرآن كلام الله،جعله أسمى الكُتُب السّماويّة مُنْزَلة وأوفرها علمًا وأعذبها نظمًا و فصاحةً، كما وأودع فيه علم كلّ شيء، و ضمّنه كلّ رطب و يا بس ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[1]، ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[2]، فضلًا عن أنّه الحبل الّذي يربط الأرض بالسّماء، و النّور الّذي يضيء دياجير الخافقين، لذا كان حقًّا أن يكون مجيدًا و عزيزًا، بل فوقهما لو كان هناك فوق.

[٦] أمّا لفظ «المبين» الّذي يلحق بالقرآن مرارًا، فهو مأخوذ من البيّنة أوالبيان، و ذلك لأنّ حجّة القرآن بيّنة و دليله ساطع و جليّ، أو هو يبيّن الحقّ من الباطل و للرّشاد من الغواية و الضّلال.

[٧] أمّا لفظ «الحكيم» فجاء من الحكمة، لأنّ الحكمة و الحكم من مادّة واحدة كما يقول اللّغويّون، و لمّا كان القرآن هو منبع الحكمة و مصدرها، إليه يفزع النّاس للاغتراف و الاستزادة من فيض حكمته و بيانه، و منه تنحدر الوصايا و الأمثال و العظاة و القصص، بات حكيمًا بل و أعلى منه و أسمى. (٢٥-٢٩)

١ـ القمر/ ٥٣.

٢ـ الأنعام/ ٥٩.

الفصل السّادس و العشرون

نصّ العطّار (م: ١٤٠٣) في «موجز علوم القرآن»

القرآن لغةً و اصطلاحًا

١-القرآن لغةً[١]

أ-المقروء المكتوب: يقال: قرأ الرّسالة قراءة و قرآنًا، أي نطق بالمكتوب فيها، و منه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[٢]، و يكون الأقرأ: الأفصح قراءة، كما قد يكون بمعنى إلقاء النّظر على الرّسالة و مطالعتها صمتًا.

ب-الجمع: (ويسمّى قرآنًا لأنّه يجمع السُّوَر فيضمّها)، و قال ابن الأثير: إنّ الأصل في لفظة القرآن هو (الجمع، و كلّ شيء جمعته فقد قرأته، و سُمّي قرآنًا لأنّه جمع القصص، و الأمر و النّهي، و الوعد و الوعيد، و الآيات و السُّوَر بعضها إلى بعض) قال الرّاغب...[و ذكر كما تقدّم عنه].

ج-اسم الكتاب الله تعالى: فقد روي عن الشّافعيّ أنّه قال: «القرآن: اسم و ليس بمهموز لكتاب الله مثل التّوراة و الإنجيل». و قال أبوبكر بن مجاهد المقرئ: « كان أبو عمرو بن العلاء و لا يهمز القرآن. و قال الرّاغب: «والقرآن في الأصل مصدر، نحو كفران و رجحان.»

---

١ ـ انظر تاج العروس، مادّة(قرأ). المفردات: ٤٠٢. مجمع البيان، ١: ١٤. الإتقان، ١: ٥٠. شهاب الدّين القسطلانيّ: لطائف الإشارات، ١: ١٨.

٢ ـ القيامة/ ١٨.

و لعلّ ما ذهب إليه ابن الأثير و غيره من اللّغويّين، من أنّ الأصل في القرآن: الجمع، هو أقرب المعاني انسجامًا و مناسبة مع واقع القرآن الكريم، فيما ضمّ من الأحكام العامّة و جمع[1] من القواعد الكلّيّة، و الأُسُس و الرّئيسة للشّريعة الإسلاميّه الغرّاء.

و إنّما جعل الله تعالى القرآن قانونًا أساسيًّا و كلّيًّا، باعتباره دستور الدّين الكامل، والنّعمة التّامة ﴿اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْاِسْلَامَ دِينًا﴾[2] فلا يوحي الله تعالى بعد القرآن كتاباً، فكان من مقتضى لطفه سبحانه، أن يكون كلّيًّا إجماليًّا، ليسير مع تطوّرات الحياة يحكم أحداثها و وقائها و يشمل مناحيها، و يستجيب لحاجاتها و متطلّباتها في كلّ الميادين، رغم اختلاف الظّروف و البيئة، محافظًا على مقاصد الشّرع الحنيف: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرٰى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

٢ـ القرآن اصطلاحًا

القرآن الكريم أسمي و أشهر من أن يعرّف، و لكن جرت سنّة المعنيين به أن يعرّفوه تعريفًا جامعًا مانعًا، و مع ذلك جاء ت تعاريفهم شتّى صياغة، متقاربة معنى. و قالوا:

أـ القرآن: هو الكلام القائم بذات الله تعالى، و ما نقل إلينا بين دفّتي المُصْحَف نقلاً متواتراً[4].

ب ـ إنّ القرآن الّذي في المصاحف بأيدي المسلمين شرقًا و غربًا فيما بين ذلك، من أوّل أمّ القرآن إلى آخر المعوّذتين، كلام الله عَزَّوجَلَّ و وحيه، أنزله على قلب نبيّه محمّد ﷺ و من

١ـ قال بعض الحكماء تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ و قوله: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾. المفردات: ٤٠٢.

٢ـ المائدة/٣.

٣ـ النّحل/٨٩.

٤ـ الغزاليّ، المستصفى ١: ٦٥.

كفر بحرف منه فهو كافر [١].

ج ـ القرآن: هو الكتاب المـُنْزَل على رسول الله ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلًا متواترًا بلا شبهة [٢].

د ـ القرآن: هو كتاب الله المنزل على رسوله محمّد ﷺ و المدوّن بين دفّتي المـُصْحَف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة النّاس [٣].

هـ ـ اللّفظ العربّي المنزل على محمّد ﷺ، المنقول إلينا بالتّواتر [٤].

و يمكن القول: إنّ القرآن الكريم هو وحي الله المنزل على النّبيّ محمّد ﷺ لفظًا و معنًى وأُسلوبًا، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتّواتر.

و من خواصّ هذا التّعريف أنّه:

١ـ وحي الله: الوحي يشمل كلّ ما أُوحي به الله تعالى إلى رسله و أنبيائه.

٢ـ المنزل على النّبيّ محمّد ﷺ: قيدٌ خرج به جميع الرّسالات و الأديان السّابقة، كالتّوراة والإنجيل و الزّبور، لأنّها نزلت على سائر الأنبياء.

٣ـ لفظًا و معنًى و أُسلوبًا: قيدٌ خرج به ما ثبت من الحديث القُدسيّ، و هو ما نزل على النّبيّ ﷺ، و لم يثبت نظمه في القرآن الكريم، كما خرج بهذا القيد التفسير، و ترجمة القرآن إلى سائر اللّغات، لاختلاف الألفاظ و الأُسلوب و إن اتفّقت المعاني. و بهذا نستغني عن إيراد قيد «العربيّة» الّذي ذكره «الشّيخ شَلتوت» في تعريفه السّابق.

٤ـ المكتوب في المصاحف: قيدٌ خرج به ما أوحى الله تعالى به إلى النّبيّ ﷺ من الأحكام، وأدّاها بأُسلوبه الخاصّ قولًا، مثل: «صلاة الفجر ركعتان»، و «صلّوا كما رأيتموني أُصلّي»

---

١ ـ معجم فقه ابن جزم ٢: ٨٣٣.

٢ ـ أُصول البزدويّ ١: ٢١ـ٢٣.

٣ ـ عبدالقادر عودة، التّشريع الجنائيّ ١: ١٦٥.

٤ ـ محمود شلتوت، الإسلام عقيدة و شريعة: ٣٩٩.

و «خُذوا عنّي مناسككم»[١].

٥ ـ المنقول بالتّواتر: أي أنّ القرآن نقله قوم ـ لا يتوهّم اجتماعهم و تواطؤهم على الكذب لكثرتهم، و تباين أماكنهم ـ عن قوم مثلهم، و هكذا إلى أن يصل النّقل إلى رسول الله ﷺ.

و بهذا القيد خرج المنقول بالشّهرة و القراءات الشّاذّة، مثل ما رُوي عن عبدالله بن مسعود أنّه قرأ قوله تعالى في كفّارة اليمين ﴿.... فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلٰثَةِ أَيَّامٍ ....﴾[٢] بزيادة «متتابعات»، فهذه القراءة محمولة على أنّها تفسير للأيّام الثّلاثة بكونها متتابعات. (١٤–١٨)

أسماء القرآن و مناسباتها

دلالة الأسماء و المصطلحات

إنّ «المصطلحات» الّتي يستعملها الباحثون لها مداليل و مفاهيم يجب البحث عنها ضمن الفكر الّذي يستند إليه الباحث، ويفسّر بموجبه الظّواهر والأحداث ليخلص إلى النّتائج المطلوبة.

و ليس من الصّواب قبول «اصطلاح» ما بغضّ النّظر عن القيّم الفكريّة الّتي يستند إليها. فلفظ «الحُرّيّة» مثلًا أو «العدالة» أو «الحقّ» أو غيرها، يختلف مفهومه في الفكر الإسلاميّ عمّا هو عليه في الأفكار المغايرة.

و ممّا يؤيّد ما ذهبنا إليه ما جاء أنّ الإسلام (لم يتبّن العدالة الاجتماعيّة بمفهومها التّجريديّ العامّ، و لم ينادِ بها بشكل مفتوح لكلّ تفسير، ولا أوكله إلى المجتمعات الإنسانيّة الّتي تختلف في نظرتها إلى العدالة الاجتماعيّه باختلاف أفكارها الحضاريّة و مفاهيمها عن الحياة)[٣]، و على هذا الأساس، فليس من الصّواب ترحيل الاصطلاحات من فكر إلى فكر،

---

١ ـ انظر: محمود أبوريّة، قصّة الحديث النّبويّ: ٥ـ٦.

٢ ـ المائدة /٨٩.

٣ ـ محمّد باقر الصّدر، اقتصادنا ٢: ٢٨١.

يختلف عنه في قاعدته العقيديّة و فلسفته التّشريعيّة. فمن الجهل أن نبحث مفهوم «التّقوى» مثلًا في الفكر الرّأسمالي، أو فكرة «سوق المنافسة الحرّة» في الفكر الاشتراكيّ، أو «الدّيمقراطيّة» في الفكر الإسلاميّ.

و الغريب أنّ البعض يصطلح على «الإسلام» اصطلاحات فكريّة غربية عن أُسُسه الفكريّة! و لعلّ الهدف منها:

١- إمّا ترويج الإسلام إذا افترضنا حُسْن النّيّة، و هذه طريقة باطلة، لأنّ وصف الإسلام أو تسميته بما هو غريب عنه طمس لمعالمه الفكريّة، و تشويه لحقائقه و أبعاده التّشريعيّة، إذا الإسلام بحقيقته المجرّدة ـ و دونما وصف إضافيّ ـ قدير على كسب أفئدة الشّعوب و تنظيم مجتمع الإنسانيّة، إذا ما تجلّت تشريعاته واتّضحت مفاهيمه الكاملة الشّاملة، دونما تعصّب أو هوًى، و لا أدلّ على ذلك من التّجربة العمليّة الّتي مرّ بها طيلة الحكم النّبويّ الشّريف.

٢- و إمّا مطاردة الفكر الإسلاميّ ـ إذا افترضنا سوء النّيّة ـ بإشاعة الأفكار والمصطلحات الأجنبيّة و صبغها بصبغة إسلاميّة، لإغفال الأُمّة عن فكرها الأصيل، و جرّها إلى ما لا تَمُتُّ إليه بصلة بأسلوب خبيث جذّاب، من غير ضجّة ولا إثارة انتباه، فتندفع الأُمّة إلى الإيمان به، باعتبار أنّ هذا الاصطلاح الأجنبيّ «رائج» أوّلًا، و أنّه لا ينافي «لبّ الإسلام» ثانيًا! و كأنّ الإسلام «جوز الهند»، فيه لبّ و فيه قشور يحذر طرحها!

على أنّ الاعتبار في استعمال الاصطلاحات إنّما هو بالأغراض الّتي وقع الاصطلاح لأجلها، و إذا علمنا ذلك اتّضح لنا السّرّ في اختيار الله تعالى لكتابه الكريم اسمًا مخالفًا لما سمّى العرب كلامهم جملةً و تفصيلًا.

فلو سُمّيّ القرآن «ديوانًا»، و السّورة «قصيدة»، و الآية «بَيْتًا»، ونهايات الآيات «قوافي»، لتحقّق إقرار التّعبير الجاهليّ، و لسار القرآن الكريم في خطّ الاستعمالات والأعراف الشّائعة قبله، و لكنّه بالرّغم من نزوله قرآنًا عربيًّا و بلسان عربيّ مبين، نجده ينهج في اصطلاحاته نهجًا

يتفّق مع ما جاء به من فكر وقيم ومفاهيم و أعراف. و يطلق تسمياته حسب أغراض يريدها، تتجاوب مع تصوّراته، و تتّفق مع مداليله و قيمه الخاصّة.

و عليه (فلا يجوز تسمية الفواصل قوافي إجماعًا، لأنّ الله تعالى لمّا سلب عنه اسم الشّعر، وجب سلب القافية عنه أيضًا، لأنّها منه و خاصّة به في الاصطلاح، و كما يمتنع استعمال القافية فيه، يمتنع استعمال الفاصلة في الشّعر، لأنّها صفة لكتاب الله لاتتعدّاه)[1].

و لعلّ السّبب أو الباعث على هذا التّغيير هو:

١ ـ ابتناء التّسميات و المصطلحات الجاهليّة على الفكر و المفاهيم الجاهليّة، و قصورها ـ بالتّالي ـ عن احتمال المعاني الإسلاميّة الجديدة.

٢ـ إرادة طبع الثّقافة الإسلاميّة و من ثمّ الأُمّة الإسلاميّة الّتي تبشّر بها بطابع خاصّ متميّز عن طريق هذه المصطلحات والتّسميات الجديدة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا...﴾[2]. و ما تحويل القبلة، وتعيين أعياد خاصّة للمسلمين، و تسمية الرّسول من لم يتّبع الإسلام «جاهليّ» إلّا مؤيّدات لما ذهبنا إليه، من الحرص على إيجاد أُمّة مستقلّة عن سائر الأُمم الغارقة في الخرافات و الجهالة، مستقلّة عنها في الفكر والسّلوك والعواطف والمشاعر، و هكذا كانت أُمّتنا كما أرادها الله و صنعها رسوله الكريم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[3].

أسماء و أوصاف القرآن و مناسباتها

تناول العلماء أسماء القرآن بالبحث، فقال أبو المعالي عُزيزيّ بن عبد الملك المعروف بـ «شَيذَلة» ـ بضمّ عين عُزَيزي ـ في كتاب «البرهان»: «اعلم! أنّ الله سمّى القرآن بخمسة

١ـ الإتقان ٢: ٩٧.

٢ـ البقرة / ١٠٤.

٣ـ آل عمران / ١١٠.

و خمسين اسمًا»[١]. و هذا وهم منه، إذ إنّه خلط بين الأسماء و الأوصاف، وأكثر ما ذكر من أسماء للقرآن إن هي إلّا أوصاف مناسبة لكتاب الله العزيز.

و المناسبة في اللّغة: المقارنة، وفلان يناسب فلانًا، أي يقرب منه، و سمّي النّسيب نسيبًا لقُربه و اتّصاله. (و منه: المناسبة في العلّة ـ في باب القياس ـ الوصف المقارب للحكم، لأنّه إذا حصلت مقاربته له ظنّ عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، و لهذا قيل: المناسبة أمر معقول، إذا عرض على المعقول تلقّته بالقبول)[٢] عند من يقول بالقياس.

و لكلّ اسم من أسماء القرآن أو وصف من أوصافه مناسبة مضمونيّة، فوصفه بـ(الحكيم) مثلًا لإحكام صياغته، و احتوائه على الحِكَم و العِبَر، إذ الحكيم صفة تناسب مضمون القرآن، و كذا وصفه بـ (النّور) لأنّ الرّؤية لاتتمّ ـ مع وجود البصر ـ إلّا بالنّور، لايدرك كثيرًا من الحقائق و لا يهتدي إليها إلّا بالنّور، و العقل مع قدرته علي الإدراك فإنّه لايدرك كثيرًا من الحقائق ولا يهتدي إليها إلّا بالقرآن و توجيهاته النّيّرة؛ قال تعالى: ﴿... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ...﴾[٣]. و فيمايلي ذكر بعض أسماء و أوصاف القرآن الكريم، مع بيان المناسبات الّتي تربط بينه و بين المعاني الاشتقاقيّة لهذه الأسماء و الأوصاف:

١ـ القرآن: قال تعالى: ﴿وَاَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْاٰنَ عَلٰى جَبَلٍ لَرَاَيْتَهُ خَاشِعًا...﴾[٤].

فإن قلنا: إنّ القرآن مصدر، أو وصف مشتّق، فمعناه «الجمع» من قولهم قرأت الشّيء، أي جمعته[٥]، بدلالة قوله تعالى: ﴿فَاِذَا قَرَاْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْاٰنَهُ﴾.

١ـ الإتقان ١: ٥٠.

٢ـ البرهان ١: ٣٥.

٣ـ المائدة/ ١٥ـ١٦.

٤ـ الحشر/ ٢١.

٥ـ لطائف الإشارات ١: ١٨.

و مناسبته أنّ القرآن الكريم جمع أحكام الأُمم الغابرة و أخبارها، و جمع بين رقّة الشّعر وجزاله النّثر البليغ، و جمع بين أُصول العقيدة و مبادي الأخلاق والأحكام العمليّة، و جمع ـ للمتمسّك به ـ خير الدّنيا و الآخرة، و جمع بين متطلّبات الإنسان الجسديّة و الرّوحيّة وهكذا، و إلى هذا المعنى ذهب جماعة كبيرة من اللّغويّين[1] وأنّه الأصل في اللّغة العربيّة.

وإن قلنا: إنّ القرآن مصدر قرأ و قراءة و قرآنًا، أي نطق بالمكتوب، و منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ فإنّ مناسبته حفظ الكتاب الإلهيّ في الصّدور، لأنّ في القراءة استذكارًا و استظهارًا للشّيء، كما أنّه ممّا يتعبّد الله تعالى بتلاوته. أمّا إذا قلنا: إنّ القرآن يؤخذ من: قَرَأتُ، فيكون اسمًا قد خصّ بالكتاب المنزل على محمّد ﷺ فصار له كالعَلَم، كالتّوراة و الإنجيل.[2]

٢ـ الكتاب: لما كان «الكتاب» بالتّبادر (هو الصّحيفة أو الصّحائف الّتي تضبط فيها طائفة من المعاني عن طريق التّخطيط بقلم أو طابع أو غيرها)[3]، كما أنّ الكتابة ليست إلّا جمعًا للحروف و رسمًا للألفاظ، فتسمية كلام الله تعالى بـ «الكتاب» إشارة إلى جمعه في السّطور.

و قد جرى كلامه تعالى في إطلاق الكتاب على أمور، منها:

١ـ الكتب المنزلة على الأنبياء المشتملة على شرائع الدّين، ككتاب نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿... وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾[4]، و كتاب إبراهيم و موسى عليهما السلام ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[5]، و كتاب محمّد: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾[6]، و كتاب

١ـ انظر: لسان العرب، مادّة (قرأ).

٢ـ انظر: المفردات: ٤٠٢.

٣ـ الميزان ٧: ٢٦٥.

٤ـ البقرة /٢١٣.

٥ـ الأعلى /١٩.

٦ـ البقرة / ١ـ٢.

يحيى عليه السلام: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ...﴾[١].

٢ـ الكتب المخصّصة لضبط الحسنات و السّيئات، فمنها ما هو مخصّص لكلّ إنسان: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۞ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٢]. و منها ما هو عامّ لكلّ أمّة من الأمم: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣].

٣ـ الكتب الّتي تضبط أحداث الوجود و نظامه، و هذه منها الثّابت: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٤]، و منها الكتب الّتي يتطرّق إليها التّغيير كما يشاء الله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٥].

٣ـ الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ...﴾[٦]. و مادّة الفرقان تفيد معنى التّفرقة، و مناسبتها: الإشعار بالدّور الّذي أدّاه كتاب الله تعالى في التّفريق بين الهدى و الضّلال، و الحقّ و الباطل، و طريق الجنّة وطريق النّار، وسبيل الحلال و سبيل الحرام، ومنهج العبوديّة في عبادة المخلوق و منهج التّحرير في عبادة ربّ الأرباب إلخ.

و قيل: سمّي بذلك لأنّه يؤدّي إلى النّجاة و المخرج، نظير قوله تعالى: ﴿...يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[٧].

١ـ مريم /١٢.

٢ـ الإسراء /١٣ـ١٤.

٣ـ الجاثية /٢٨.

٤ـ يونس /٦١.

٥ـ الرّعد/ ٣٩.

٦ـ الفرقان /١.

٧ـ الأنفال/ ٢٩.

٤ـ الكلام: و هو مشتقّ من الكلم بمعنى التّأثير: لأنّه يؤثّر في ذهن السّامع فائدة لم تكن عنده[١]. قال تعالى: ﴿وَ اِنْ اَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكينَ اسْتَجَارَكَ فَاَجِرْهُ حَتّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ اَبْلِغْهُ مَاْمَنَهُ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

و عن الحسين بن خالد قال: قلت للرّضا عليّ بن موسى عليهما السلام: يا بن رسول الله أخبرني عن القرآن، أخالق أم مخلوق؟ فقال: ليس بخالق و لا مخلوق، و لكنّه كلام الله عزّ و جلّ[٣].

و يمكن أن تكون هذه التّسمية مناسبة لما في القرآن الكريم من أحكام أو أخبار، نظير قوله تعالى: ﴿وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ هُوَ السَّميعُ الْعَليمُ﴾، أي لأحكامه.

٥ـ الهدى: و مناسبته كون القرآن الكريم هاديًا إلى الحقّ و الرّشاد، و هو من باب إطلاق المصدر و إرادة الفاعل، نظير قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذى اُنْزِلَ فيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدٰى وَ الْفُرْقَانِ....﴾[٤] بمعنى هاديًا للنّاس ...

٦ ـ ذكر: وهو الشّرف، و مناسبته: أنّ الرّسول صلّى الله عليه و آله نال أقصى مراتب الشّرف بتبليغه القرآن الكريم، و كذلك صارت أُمّة محمّد صلّى الله عليه و آله خير الأُمَم و أشرفها، لأنّها حملت للنّاس نور القرآن وهدايتة؛ قال سبحانه: ﴿وَ اِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾[٥].

كما أنّه ذكر من الله تعالى لعباده بالفرائض والأحكام و لما ضمّ من المواعظ و العِبَر و ذكر الأُمَم الغابرة.

و لقد وردت أوصاف أُخرى للقرآن الكريم:

١ـ الأتقان ١: ٥٠.

٢ـ التوبة /٦.

٣ـ الصّدوق، كتاب التوحيد: ١٥٧.

٤ـ البقرة /١٨٥.

٥ـ الزّخرف /٤٤.

منها: «شفاء» إشارة إلى أثره في معالجة أمراض القلوب، كالكفر و الحقد، والغلّ والحسد، بل هو شفاءٌ للجسم أيضًا لما فيه من قواعد الصّحّة الوقائيّة العامّة، نظير قوله تعالى: ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1].

و منها: «القصص» كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ...﴾[2] لما فيه من قصص الأمَم الغابرة.

ومنها: «الحكيم»، لأنّه أُحكمت آياته بعجيب النّظم، و بديع المعاني، كما أنّها أُحكمت فلايتطرّق إليها التّبديل أو التّحريف.

ومنها: «الحكمة» إشارة إلى أنّ القرآن وضع كلّ شيء في محلّه المناسب، فيما فصّل من حلال و حرام، و ما شرع من أمر و نهي، كما أنّ نزول القرآن تمّ على القانون المعتبر من وضع كلّ شيء في موضعه اللّائق.

ومنها: «الحبل»، لأنّه سبب للوصول إلى الهُدى والجنّة ورضوان الله تعالى.

ومنها: «الصّراط المستقيم»، لأنّه طريق قويم إلى الله، لاعوج فيه ولادوران.

و منها: «العزيز، الموعظة، المجيد، بلاغ، بصائر، بيان، المثاني، التنزيل، الوحي، الرّحمة، النّذير، المهيمن ... الخ» و غيرها من الأوصاف المناسبة للقرآن، لم نتطرّق إلى شرحها خشية الإطالة . (٣٩-٤٦)

---

١ ـ الأعراف /٣١.

٢ ـ آل عمران /٦٢

الفصل السّابع والعشرون

نصّ نَوْفَل (م: ١٤٠٤) في »الإعجاز العددي للقرآن الكريم«

القرآن والنّور والحكمة والتّنزيل

لقد تكرّر ذكر «القرآن» بلفظه ٦٨ مرّة، حيث ورد بلفظ «القرآن» مـرّة في مثـل الـنّصّ الشّريف: ﴿اِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْاٰنَ مِنْ لَدُنْ حَكيمٍ عَليمٍ﴾[1]. و١٠ مرّات بلفظ «قرآنًا» في مثل النّصّ الكريم: ﴿اِنَّا اَنْزَلْنَاهُ قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلوُنَ﴾[2]. وتكرّر ذكر «النّور» بلفظه ٣٣ مرّة حيـث ورد بلفظ «نور» ٢٤ مرّة في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾.[3]

و٩ مرّات بلفظ «نورًا» في متل النّصّ الشّريف: ﴿يَاءَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾.[4] وتكرّر ذكر «الحكمة» بلفظها ٢٠ مرّة في مثل قوله تعـالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا اَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾.[5]

وتكرّر ذكر «التّنزيل» بلفظه ١٥ مرّة، حيث ورد بلفظ «تنزيل» ١١ مرّة في مثل الـنّصّ

---

١ ـ النّمل/ ٦.

٢ ـ يوسف/ ٢.

٣ ـ المائدة/ ١٥.

٤ ـ النّساء/ ١٧٤.

٥ ـ البقرة/ ٢٣١.

الشّريف: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[١] و ٤ مرّات بلفظ «تنزيلًا» في مثل النّصّ الكريم: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمٰوَاتِ الْعُلٰى﴾[٢]. وبذلك يكون قد تساوى عدد مرّات ذكر القرآن بمجموع عدد مرّات ذكر النّور والحكمة والتّنزيل. (٣: ١٥٧ـ١٥٨)

[القرآن و البيّنات و المبيّنات و الموعظة و الشّفاء]

ورد «القرآن» بلفظه في القرآن الكريم ٦٨ مرّة، ووردت «البيّنات» بلفظها ٥٢ مرّة في مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ اٰيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ﴾[٣].

و ٣ مرّات وردت بلفظ «مبيّنات» في مثل النّصّ الشّريف: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ اٰيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾[٤]. ووردت «الموعظة» ٩ مرّات في مثل النّصّ الكريم: ﴿هٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥]. و ورد لفظ «شِفاء» ٤ مرّات في مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ اٰمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[٦].

فيكون مجموع البيّنات و مبيّنات وموعظة و شِفاء ٦٨، أي بقدر ما تكرّر لفظ القرآن. (٣: ١٦١)

القرآن و الملائكة، القرآن و الوحي

لقد تكرّر ذكر «القرآن» في القرآن الكريم ٦٨ مرّة، حيث ورد بلفظ «القرآن» ٥٨ مرّة في مثل النّصّ الشّريف: ﴿اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْاٰنَ تَنْزِيلًا﴾[٧]. و ١٠ مرّات بلفظ «قرآنًا» في

١ـ الواقعة/ ٨٠.

٢ـ طه/ ٤.

٣ـ العنكبوت/ ٩.

٤ـ الطّلاق/ ١١.

٥ـ آل عمران/ ١٣٨.

٦ـ فصّلت/ ٤٤.

٧ـ الإنسان/ ٢٢.

مثل النّصّ الكريم: ﴿اِنّا اَنزَلناهُ قُرآناً عَرَبيًّا لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾[1].

وهذا هو العدد الّذي تكرّر به ذكر «الملائكة» تحديدًا، حيث وردت لهذا اللّفظ ٦٨ مرّة في مثل النّصّ الشّريف: ﴿يُنَزِّلُ المَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِن اَمرِهِ عَلىٰ مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ﴾[2] أي أنّ لفظ القرآن قد تكرّر بقدر ما تكرّر لفظ الملائكة تمامًا.

أمّا لفظ القرآن ومشتقّاته فلم يرد في القرآن الكريم زيادة، عدد ذكر القرآن و هو ٦٨ مرّة سوى مرّتين ذكر القرآن بلفظ قرآنه في ذلك في النّصّين الشّريفين: ﴿اِنَّ عَلَينا جَمعَهُ وَقُرآنَهُ * فَاِذا قَرَاْناهُ فَاتَّبِع قُرآنَهُ﴾[3]. ليكون عدد ما ذكر به القرآن ومشتقّاته هو ٧٠ مرّة و هو نفس العدد الّذي تكرّر به ذكر الوحي إذا تكرّر لفظ «أوحَينا» ٢٤ مرّة وذلك في مثل النّصّ الشّريف: ﴿اِنّا اَوحَينا اِلَيكَ﴾[4].

ولفظ «يوحى» ١٤ مرّة وذلك في النّصّ الكريم: ﴿اِن اَتَّبِعُ اِلّا ما يُوحىٰ اِلَيَّ﴾[5]، كرّر لفظ «أوحِيَ» ١٠ مرّات في مثل النّصّ الشّريف: ﴿وَاُوحِيَ اِلَيَّ هٰذَا القُرآنُ لِاُنذِرَكُم بِهِ﴾[6]. ولم يتضمّن هذا العدد الوحي الكذب الّذي ورد بنفس اللّفظ مرّة واحدةً.

وورد لفظ «نُوحِيَ» ٤ مرّات في مثل النّصّ الكريم: ﴿وَما اَرسَلنا مِن قَبلِكَ مِن رَسُولٍ اِلّا نُوحِيَ اِلَيهِ اَنَّهُ لا اِلٰهَ اِلّا اَنا فَاعبُدُونِ﴾[7]. و تكرّر لفظ «اَوحىٰ» ٤ مرّات في مثل النّصّ الشّريف: ﴿ذٰلِكَ مِمّا اَوحىٰ اِلَيكَ رَبُّكَ مِنَ الحِكمَةِ﴾[8]. ولم يتضمّن هذا العدد آيات الوحي إلى

١ـ يوسف/ ٢.

٢ـ النّحل/ ٢.

٤ـ القيامة/ ١٧ــ١٨.

٤ـ النّساء/ ١٦٣.

٥ـ يونس/ ١٥.

٦ ـ الأنعام/ ١٩.

٧ـ الأنبياء/ ٢٥.

٨ـ الإسراء/ ٢٩.

النّمل أو إلى الأرض أو وحي الرُّسُل للنّاس، وعددها ٤ مرّات. وورد لفظ «يُـوحى» ٣ مـرّات في مثل النّصّ الكريم: ﴿كَذٰلِكَ يُوحِي اِلَيْكَ وَاِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيـزُ الْحَكِـيمُ﴾[1]. ولا يتضمّن هذا العدد وحي الشّياطين،

وقد وردت بهذا اللّفظ مرّةً واحدةً. وتكرّر لفظ «نُوحيه» مرّتين في مثل النّصّ الشّريف: ﴿ذٰلِكَ مِنْ اَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ اِلَيْكَ﴾[2]. وكذلك لفظ «وَحْى» في مثل النّصّ الكريم: ﴿قُلْ اِنَّمَـا اُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾[3]. وأيضًا لفظ «وَحْينا» في مثل النّصّ الشّريف: ﴿وَاصْـنَعِ الْفُلْـكَ بِاَعْيُنِنَـا وَوَحْيِنَا﴾[4].

ووردت مرّةً واحدةً لفظ «اَوْحَيت» في النّصّ الكريم: ﴿وَاِذْ اَوْحَيْتُ اِلَى الْحَـوَارِيِّـينَ اَنْ اٰمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾[5]. ولفظ «نُوحيها» في قولـه تعـالى: ﴿تِلْـكَ مِـنْ اَنْبَـاءِ الْغَيْـبِ نُوحِيهَـا اِلَيْكَ﴾[6]. كذلك بلفظ «فَيُوحِيَ» في النّصّ الشّريف: ﴿اَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِاِذْنِهِ مَا يَشَاءُ اِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[7]. وأيضًا لفظ «وَحيًا» في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ اِلَّا وَحْيًـا اَوْ مِـنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[8]. وكذلك لفظ وحيه في النّصّ الكريم: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْاٰنِ مِنْ قَبْلِ اَنْ يُـقْضٰى اِلَيْكَ وَحْـيُهُ﴾. وهكذا يبلغ عدد مرّات ذكر الوحي ومشتقّاته فيما يخـصّ وحـي الله لعبـاده و رُسُله ٧٠ مرّة، هما عدد ذكر القرآن و مشتقّاته. (١: ١٦١ـ١٦٥)

١ـ الشّورى/ ٣.

٢ـ آل عمران/ ٤٤.

٣ـ الأنبياء/ ٤٥.

٤ـ هود/ ٢٧.

٥ـ المائدة/ ١١١.

٦ـ هود/ ٤٩.

٧ـ الشّورى/ ٥١.

٨ـ الشّورى/ ٥١.

الفصل الثّامن و العشرون

نصّ الخطيب (م:١٤٠٦) في: «من قضايا القرآن»

القرآن لفظه و معناه

«القرآن» ـ هذا اللّفظ الّذي صار «عَلَمًا» على هذا الكتاب الكريم، والّذي حمل شريعة الإسلام ـ ما معناه في لسان العرب؟ و هل هو عربيّ أم معرَّب ؟ وهل هو اسم مشتقّ أو جامد ؟ وإذا كان مشتقًّا فما هو في المشتقّات ؟ لقد وقع خلاف كثير بين العلماء في الإجابه على هذه الأسئلة، و على كثير غيرها ممّا يتّصل بهذا اللّفظ. و نحن نجمل القول فيها فيما يلي :

ما معنى «قرآن» ؟

[بعد ذكر قول قَتادة و الشّافعيّ و الأشعريّ و الفَرّاء في معنى القرآن كما تقدّم عن الزَّركشيّ و السّيوطيّ و غيرهما، فقال:] ، و الّذي نراه أنّ «القرآن» مصدر للفعل قَرَأ قِراءةً و قرآنًا، أي حرّك لسانه بالكلام. و قد كان أوّل ما نزل على الرّسول الكريم من القرآن قوله تعالى: ﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذى خَلَقَ * خَلَقَ الْاِنسَانَ مِنْ عَلَق * اِقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْاَكْرَمُ﴾[1]. وهذه التّمسية أولى، لأنّها أوّل كلمة نزلت من القرآن، فناسب أن تكون عنوانًا له.

هل لفظ قرآن عربيّ أو معرّب؟

من عجب أن يدّعي أصحاب «الشّطحات» من المستشرقين أنّ كلمة «قرآن» ليست عن

---

١ ـ العلق/ ١ـ٣.

أصل عربيّ، و إنّما هي معرّبة عن العبريّة أو الحبشيّة، أو النّبطيّة ... إلى غير ذلك من المغربات الّتي يحاولون أن يظهروا بها في النّاس أنّهم يعلمون دفائن العلم و خباياه، و الحقّ أنّهم إنّما يتخرّصون تخرّصات أشبه بتخرّصات الكهّان! إنّها رميات طائشة، قد تصيب، و قد تخيّب أكثر ممّا تصيب! و أعجب من العجب؛ أن يتلقّي كثير منّا هذه الأقوال، بل و يتلقّفوها في لهفة وحرص، كأنّهم عثروا على ذخيرة من ذخائر العلم، أو مكنون من مكنوناته، ظانّين أنّ كشوف العلم لاتجيء إلّا من بعيد، من أُوربا أوأمريكا، حتّى و لو كان هذا العلم علمَ العرب، و لسان العرب، و دين العرب!! إنّ ذلك هو الخزي و الخسران!

و نسأل: هل ضاقت اللّغة العربيّة كلّها عن أن تجد الكلمة الّتي تجعلها عنوانًا لكتابها المبين؟ و إذ عجزت اللّغة العربيّة عن أن تقدّم كلمة واحدة هي رايتها، و الشّارة الدّالّة عليها، فكيف تستطيع أن تحمل هذه اللّغة معجزة، أساسها الكلمة، و بيّنتها الكلام؟ هل يعقل هذا؟

لقد كانت كلمة «قرأ» و مشتقّاتها من أكثر الكلمات جريانًا على الألسنة في الوقت المعاصر الرّسالة النّبويّة الكريمة، وكانت قريش قد بدأت تُظهر عناية خاصّة بأمر القراءة والكتابة. فلمّا نزل القرآن تلقّاه المسلمون في صدورهم، وجعلوا يتلونه و يقرؤونه ممّا حفظت صدورهم، و كان المسلم حيث كان يردّد ما حفظ من آيات الله، قارئًا لنفسه، أو مقرئًا غيره.

و قد أمر الله النّبيّ ﷺ أن يقرأ على النّاس ما ينزل عليه من كلمات الله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾[1].

أفبعد هذا يستقيم لقائل أن يقول: إنّ لفظة «القرآن» غير عربيّة؟ إنّ ذلك القول بأنّ لفظ القرآن غير عربيّ أشبه بقول من يقول: إنّ لسان العرب غير عربيّ، إذ القرآن هو معجزة هذا اللّسان، و إذا لفظة «القرآن» هي عنوان هذا القرآن! و لانقف عند هذا السّخف أكثر من هذه الوقفة، لندحض تلك الفرية الدّاحضة، و لنفضح هذا البهتان العظيم! (١-٣)

١ـ الإسراء/ ١٠٦.

الفصل التّاسع و العشرون

نصّ صُبحيّ الصّالح (م: ١٤٠٧) في «مباحث في علوم القرآن»

أسماء القرآن و موارد اشتقاقها

لقداختار الله لوحيه أسماء جديدة لما سمّي العرب به كلامهم جملةً وتفصيلًا.[١] وروعيت في تلك الألقاب أسرار التّسمية وموارد الاشتقاق، واشتهر منها لَقَبان: الكتاب والقرآن. و في تسميته بالكتاب إشارة إلى جمعه في السّطور، لأنّ الكتابة جمعٌ للحروف و رسمٌ للألفاظ؛ كما أنّ في تسميته بالقرآن إيماءة إلى حفظه في الصّدور، لأنّ القرآن مصدر القراءة، و في القراءة استذكار. فهذا الوحي العربيّ المبين قد كُتب له من العناية به ما كفل صيانته في حِرزحريز، وما جعله بنجوة من خوض العابثين وتلاعب المحرّفين، إذا لم ينقل كجميع الكتب بالكتابة وحدها ولا بالحفظ وحده، بل وافقت كتابته تواتر إسناده، ووافق إسناده المتواتر نقله الأمين الدّقيق.

و مع أنّ كلتا التّسميتين ترتدّ إلى أصل آراميّ، إذا وردت الكتابة في الآراميّة بمعنى رسم الحروف، و جاءت القراءة فيها بمعنى التّلاوة، بدت تسمية هذا الوحي بالكتاب و بالقرآن طبيعيّة جدًّا، لامتياز الوحي المحمّديّ في مراحله كلّها بهذه العناية المزدوجة في صيانة نصوصه و حفظ تعاليمه منقوشة في السّطور، مجموعة من الصّدور. على أنّ الّذي غلب استعماله من

---

١ ـ هكذا الاحظ الجاحظ، ذكره السيُوطيّ في الإتقان ١: ٨٦.

بين هاتين التّسميتين هو لفظ القرآن بالمدلول المصدريّ،حتّى بات عَلَمًا شخصيًّا لهذا الكتاب الكريم. فكان جديرًا بنا ـ قبل أن نخوض في ظاهرة الوحي و تقصّي هذه المباحث القرآنيّة ـ أن نبادر إلى معرفة الأصل الاشتقاقيّ للفظ القرآن الّذي يحكي ألفاظًا أُخر تماثله في اللّغات السّاميّة، و إلى الوقوف على المدلولات اللّغويّة لأهمّ الأسماء الأُخرى الّتي أُختيرت للقرآن وأُطلقت عليه ، سواء أتشابهت أم لم تتشابه بين السّاميّات والعربيّة . لقد ذهب العلماء في لفظ «القرآن» مذاهب ، فهو عند بعضهم مهموز، و عند بعضهم الآخر غير مهموز، فممّن رأى أنّه بغير همز الشّافعيّ والفَرّاء والأشعريّ... [ثمّ ذكر قول الشّافعيّ و الفَرّاء و الأشعريّ و الزّجّاج و اللّحيانيّ في معنى القرآن واشتقاقه، كما تقدّم نحوه عن الزّركشيّ والسّيوطيّ، فقال:]

و الأخير أقوى الآراء و أرجحها، فالقرآن في اللّغة مصدر مترادف للقراءة، و منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْاٰنَهُ * فَإِذَا قَرَاْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْاٰنَهُ﴾[1].والعرب في الجاهليّة حين عرفوا لفظ «قرأ» استخدموه بمعنى غير معنى التّلاوة،فكانوا يقولون:هذه النّاقة لم تقرأ سلًى قطّ، يقصدون أنّها لم تحمل ملقوحًا و لم تلد ولدًا، و منه قول عمرو بن كلثوم: هِجانُ اللّون لم تقرأ جنينًا[2] .

أمّا قرأ بمعنى «تلا» فقد أخذها العرب من أصل آراميّ وتداولوها، فمن المعروف كما يقول بِرْجِشْتراسِر G. Bergstraesser: إنّ اللّغات الآراميّة والحبشيّة والفارسيّة تركت في العربيّة آثارًا لاتنكر، لأنّها كانت لغات الأقوام المتمدّنة المجاورة للعرب في القرون السّابقة للهجرة. ومالنا نستغرب هذا و لانصدّقه ونحن نعلم أنّ لهجات الآراميّة المختلفة كانت تسود كلّ بلاد فلسطين و سورية و بين النّهرين و بعض العراق؟ و نعلم أيضًا أنّ جوار العرب لليهود الّذين كانت لغتهم الدّينيّة الآراميّة عجّل في انتشار كثير من الألفاظ الدّينيّة الآراميّة؟

---

١ ـ و يرى بعض المفسّرين أنّ منه أيضًا قوله تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْاٰنَ﴾ أي القراءة.

٢ ـ لسان العرب ١: ١٢٦.

وقد أشار إلى هذا المستشرق كرِنكو Krenkow في بحثه عن لفظ «كتاب» في «دائرة المعارف الإسلاميّة»[١]، كما نقل المستشرق بلاشير Blachere طائفة من الكلمات الدّينيّة الآراميّة والسُّريانيّة والعبريّة مؤكّدًا استعمال العرب لها من أثر الجوار مع اليهود وسواهم من أصحاب المِلل.[٢] و نذكر من تلك الألفاظ «قرأ، كتب، كتاب، تفسير، تلميذ، فرقان، قيّوم، زنديق».ومهما يكن من شيء، فإنّ تداول العرب قبل الإسلام للفظ «قرأ» الآراميّ الأصل بمعني «تلا» كان كافيًا لتعريبه و استعمال الإسلام له في تسمية كتابه الكريم.

ومن أسماء القرآن «الفرقان»؛ قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[٣].و لفظ الفرقان في الأصل آراميّ، تفيد مادّته معنى التّفرقة، كأنّ في التّسمية إشعارًا بتفرقة هذا الكتاب بين الحقّ و الباطل. و منها الذّكر ﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ اَنْزَلْنَاهُ﴾[٤]، وهو عربيّ خالص، ومعناه الشّرف، و منه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ اَنْزَلْنَا اِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾[٥].

و منها: التّنزيل ﴿وَاِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦]، وهوعربيّ خالص كذلك يشعر بأنّه وحي يوحى، ويتنزّل على قلب الرّسول الكريم .و هذه الأسماء هي الشّائعة المشهورة، غير أنّ بعضهم بالغ في تعداد ألقاب القرآن، حتّى ذكرمنها الزّركشيّ خمسة و خمسين نقلًا عن القاضي شَيْذَلَة ، ولاريب أنّه خلط فيها بين التّسمية والوصف . فمن أسماء القرآن مثلًا: «العليّ»، لقوله تعالى: ﴿وَاِنَّهُ فِى اُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٧].

١ـ Krenkow, Eneyvlopedie de I'Islam (art. Kitab) II, ١١٠٤.

٢ـ Blachere, Le Coran, Introduction :٥ .

٣ـ الفرقان /١.

٤ـ الأنبياء /٥٠.

٥ـ الأنبياء /١٠.

٦ـ الشّعراء /١٩٢.

٧ـ الزُّخرُف /٤. (وانظر: البرهان ١: ٢٧٤).

ومنها: المجيد، لقوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾[١].

ومنها: العزيز، لقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾[٢].

ومنها: العربيّ، لقوله: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[٣]. وقد بلغ بعض العلماء[٤] بأسماء القرآن نيّفًا وتسعين. والقرآن ـ بأيّ اسم سمّيته ـ هو الكلام المعجز المُنْزَل على النّبيّ ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتّواتر، المتعبّد بتلاوته. وتعريف القرآن على هذا الوجه متّفق عليه بين الأُصوليّين والفقهاء وعلماء العربيّة. (١٧-٢١)

١ـ البروج/٢١. (وانظر: البرهان ١: ٢٧٦).

٢ـ فصّلت/٤١. (وانظر البرهان ١: ٢٧٦).

٣ـ الزّمر/٢٨. (وانظر البرهان ١: ٢٧٥).

٤ـ وهو الحرّاليّ، كما في البرهان ١: ٢٧٣.

الفصل الثّلاثون

نصّ الدَّرّاز (معاصر) في «النّبأ العظيم»

[معنى القرآن]

القرآن في الأصل: مصدر على وزن «فُعلان» بالضّمّ، كالغُفران والشُّكران والتُّكلان؛ تقول: قَرَأتُه قَرْءاً و قِراءةً و قُرآنًا، بمعنى واحد، أي تلوته تلاوة. وقد جاءاستعمال القرآن بهذا المعنى المصدريّ في قوله تعالى: ﴿إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[1]، أي قراءته. ثمّ صار عَلَمًا شخصيًّا[2] لذلك الكتاب الكريم، وهذا هو الاستعمال الأغلب، و منه قوله تعالى: ﴿إنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

رُوعِي في تسميته قرآنًا كونه متلُوًّا[3] بالألسُن، كما رُوعِي في تسميته كتابًا كونه مدوّنًا بالأقلام، فكلتا التّسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه ... [ثمّ أشار إلى حفظ القرآن من التّحريف، كما تقدّم في بابه، فقال:]

---

١ ـ القيامة / ١٧ ـ ١٨.

٢ ـ يُطلق بالاشتراك اللّفظيّ على مجموع الكتاب، و على كلّ قطعة منه، فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صحّ أن تقول أنّه يقرأ القرآن: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ الأعراف / ٢٠٤.

٣ ـ هذا بيان لوجه الصّلة فيهما بين المعنى المنقول عنه و المعنى المنقول إليه، و هو مبنيّ على اشتهر من استعمال القراءة في خصوص التّلاوة،وهي ضمّ الألفاظ بعضها إلى بعض في النّطق،و استعمال الكتابة في خصوص في اللّغة وجدنا مادّتي «ك ت ب» و«ق ر أ» تدوران على معنى الجمع، إمّا على معنى اسم الفاعل أو اسم المفعول، فيكون معناه «الجامع» أو المجموع» و هذا اللّقب لا يعني فقط أنّ هذا المسمّى جامع للسُّوَر و الآيات، أو أنّه مجموع تلك السُّوَر و الآيات، من حيث هي نصوص مؤلّفة على ←

و لما كان القرآن بهذا المعنى الاسميّ جزئيًّا حقيقيًّا، كان من المتعذّر تحديده بالتّعاريف المنطقيّة ذات الأجناس و الفصول و الخواصّ، و ذلك شأن كلّ الجزئيّات الحقيقيّة، لا يمكن تحديدها بهذا الوجه، لأنّ أجزاء التّعاريف المنطقيّة كلّيّات، والكلّيّ لا يطابق الجزئيّ مفهومًا، لأنّه يقبل الانطباق على كلّ ما يفرض مماثلاً له في ذلك الوصف ذهنًا، و إن لم يوجد في الواقع، فلا يكون مميّزًا له عن جميع ماعداه، فلا يكون حدًّا صحيحًا.

و إنّما يحدّد الجزئيّ بالإشارة إليه حاضرًا في الحسّ، أو معهودًا في الذّهن، فإذا أردت تعريف القرآن تعريفًا تحديديًّا، فلا سبيل لذلك إلّا بأن تشير إليه مكتوبًا في المُصْحَف أومقروءً باللّسان، فتقول: هو ما بين هاتين الدّفّتين، أوتقول:هو ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ـ إلى ـ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

أمّا ما ذكره العلماء من تعريفه بالأجناس و الفصول ـ كما تعرف الحقائق الكلّيّة ـ فإنّما أرادوا به تقريب معناه وتمييزه عن بعض ما عداه ممّا قد يشاركه في الاسم، ولو توهّما ذلك أنّ سائر كتب الله تعالى والأحاديث القدسيّة و بعض الأحاديث النّبويّة تشارك القرآن في كونها وحيًا إلهيًّا فربّما ظنّ ظانّ أنّها تشاركه في اسم القرآن أيضًا، فأرادوا بيان اختصاص الاسم به ببيان صفاته الّتي امتاز بها عن تلك الأنواع، فقالوا: «القرآن هو كلام الله تعالى، المُنزَل على محمّد ﷺ المتعبّد بتلاوته».

«فالكلام»: جنس شامل لكلّ كلام، و إضافته إلى «الله» تميّزه عن كلام من سواه من الإنس والجنّ والملائكة.

→ صفحات لقلوب ،أو من حيث هي نقوش مصفوفة في الصُّحُف و الألواح، أو من حيث هي أصوات مرتّلة منظومة على الألسنة، بل يعني شيئاً أدقّ من ذلك كلّه، و هو أنّ هذا الكلام قد جمع فنون المعاني و الحقائق، و أنّه قد حشدت فيه كتائب الحكم و الأحكام، فإذا قلت: الكتاب أو القرآن، كنت كأنّما قلت: «الكلام الجامع للعلوم» أو «العلوم المجموعة في كتاب». وهكذا وصفه الله تعالى، إذ أخبر بأنّه نزّله: ﴿تِبيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾. النّحل/٨٩. و كذلك وصفه النّبيّ ﷺ حيث قال: «فيه نبأ ما قبلكم و خبر ما بعدكم، و حكم ما بينكم»، رواه التّرمذيّ.

و «المـُنزَل»: مخرج للكلام الإلهيّ الّذي استأثر الله به في نفسه، أو ألقاه إلى ملائكته ليعلموا به لا لينزلوه على أحد من البشر، إذ ليس كلّ كلامه تعالى مُنزلًا، بل الّذي أنزل منه قليل من كثير: ﴿قُل لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[1]، ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[2].

وتقيّد المـُنزَل بكونه «على محمّد» لإخراج ما أُنزل على الأنبياء من قبله، كالتّوراة المـُنزَلة على موسى، والإنجيل المـُنزَل على عيسى، و الزّبور المـُنزَل على داود، والصُّحُف المـُنزَلة على إبراهيم عليه السلام.

و قيد «المتعبّد بتلاوته» ـ أي المأمور بقراءته في الصّلاة و غيرها على وجه العبادة ـ لإخراج ما لم نؤمر بتلاوته من ذلك، كالقراءات المنقولة إلينا بطريق الآحاد، وكالأحاديث القُدسيّة، وهي المسندة إلى الله عزّ و جلّ إن قلنا: إنّها مُنزَلة من عندالله بألفاظها.

أمّا الأحاديث النّبويّة فإنّها بحسب ما حوته من المعاني تنقسم إلى قسمين:

«قسم توفيقيّ» استنبطه النّبيّ بفهمه في كلام الله أو بتأمّله في حقائق الكون، و هذا القسم ليس كلام الله قطعًا.

و «قسم توقيفيّ» تلقّى الرّسول مضمونه من الوحي فبيّنه للنّاس بكلامه. وهذا القسم وإن كان ما فيه من العلوم منسوبًا إلى معلّمه و ملهمه سبحانه، لكنّه ـ من حيث هو كلام ـ حريّ بأن يُنسَب إلى الرّسول صلى الله عليه وآله لأنّ الكلام إنّما يُنسَب إلى واضعه و قائله الّذي ألّفه على نحو خاصّ، ولو كان ما فيه من المعنى قد تواردت عليه الخواطر وتلقّاه الآخر عن الأوّل.

فالحديث النّبويّ إذًا خارج بقسميْه من القيد الأوّل[3] في هذا التّعريف وكذلك الحديث

---

١ ـ الكهف/ ١٠٩.

٢ ـ لقمان/ ٢٧.

٣ ـ و هو كون الكلام كلام الله.

القُدسيّ إن قلنا: إنّه مُنزَل بمعناه فقط.

و هذا هو أظهر القولين فيه عندنا، لأنّه لو كان مُنزَلًا بلفظه، لكان له من الحرمة والقُدسيّة في نظر الشّرع ما للنّظم القرآنيّ، إذ لا وجه للتّفرقة بين لفظين مُنزَلين من عند الله، فكان من لوازم ذلك وجوب المحافظة على نصوصه، و عدم جواز روايته بالمعنى إجماعًا، وحرمة مسّ المُحْدث لصحيفته، ولا قائل بذلك كلّه. وأيضًا فإنّ القرآن لمّا كان مقصودًا منه مع العمل بمضمونه شيء آخر، وهو التّحدّي بأُسلوبه التّعبّد بتلاوته، أُحتيج لإنزال لفظه، الحديث القُدسيّ لَمْ يُنزَل للتّحدّي ولا للتّعبّد، بل لمجرّد العمل بما فيه.

وهذه الفائدة تحصل بإنزال معناه. فالقول بإنزال لفظه قول بشيء لاداعي في النّظر إليه، و لا دليل في الشّرع عليه، اللّهمّ إلّا ما قد يلوح من إسناد الحديث القُدسيّ إلى الله بصيغة: «يقول الله تبارك و تعالى كذا»، لكنّ القرائن الّتي ذكرناها آنفاً كافية في إفساح المجال لتأويله بأنّ المقصود نسبة مضمونه لا نسبة ألفاظه. وهذا تأويل شائع في العربيّة، فإنّك تقول حينما تنثر بيتًا من الشّعر: «يقول الشّاعر كذا»، وتقول حينما تفسر آية من كتاب الله بكلام من عندك: «يقول الله تعالى كذا» وعلى هذه القاعدة حكى الله تعالى عن موسى وفرعون وغيرهما مضمون كلامهم بألفاظ غير ألفاظهم وأسلوب غير أُسلوبهم، ونسب ذلك إليهم.

فإن زعمت أنّه لو لم يكن في الحديث القدسيّ شيء آخر مقدّس وراء المعنى، لصحّ لنا أن نسمّي بعض الحديث النّبويّ قُدسيًّا أيضًا، لوجود هذا المعنى فيه، فجوابه: أنّنا لمّا قطعنا في الحديث القُدسيّ بنزول معناه، لورود النّصّ الشّرعيّ على نسبته إلى الله، بقوله ﷺ: «قال الله تعالى كذا» سمّيناه قدسيًّا لذلك بخلاف الأحاديث النّبويّة، فإنّها لمّا لم يرد فيها مثل هذا النّصّ، جاز في كلّ واحد منها أن يكون مضمونه معلمًا بالوحي، وأن يكون مستنبطاً بالاجتهاد والرّأي، فسمّى الكلّ نبويًّا وقوفًا بالتّسمية عند الحدّ المقطوع به، و لو كانت لدينا علامة تميّز لنا قسم الوحي، لسمّيناه قدسيًّا كذلك.

على أنّ هذا الامتياز لا يؤدّي إلى نتيجة عمليّة، فسواء علينا عند العمل بالحديث أن يكون من هذا القسم أو من ذاك، إذ النّبيّ ﷺ في تبليغه صادق مأمون، وفي اجتهاده فطن موفّق، وروح القُدُس يؤيّده، فلا يقرّه على خطأ إن أخطأ في أمر من أُمور الشّريعة. فكان مردّ الأمر في الحقيقة إلى الوحي في كلتا الحالتين، إمّا بالتّعليم ابتداءً، وإمّا بالإقرار أو النّسخ انتهاءً. ولذلك وجب أن نتلقّى كلّ سنّته بالقبول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[2] . (١٢-١٧)

١ـ الحشر /٧.

٢ـ الأحزاب /٣٦.

الفصل الحادي و الثّلاثون

نصّ السّيّد الحكيم (م: ١٤٢٤) في « علوم القرآن »

القرآن وأسماؤه

القرآن الكريم: هو الكلام المعجز المنزَل وحيًا على النّبيّ ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتّواتر المتعبّد بتلاوته. وقد اختار الله تعالى لهذا الكلام المعجز الّذي أوحاه إلى نبيّه أسماء مخالفة لما سمّى العرب به كلامهم جملةً وتفصيلًا.

فسمّاه الكتاب قال تعالى: ﴿ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَارَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [1]. وسمّاه القرآن: ﴿وَمَا كَانَ هٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرىٰ مِنْ دُونِ اللهِ وَلٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَارَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [2]. والاهتمام بوضع أسماء محدّدة ومصطلحات جديدة للقرآن الكريم، يتمشّى مع خطّ عريض سار عليه الإسلام، وهو تحديد طريقة جديدة للتّعبير عمّا جاء به من مفاهيم وأشياء.

وتفضيل إيجاد مصطلحات تتّفق مع روحه العامّة على استعمال الكلمات الشّائعة في الأعراب الجاهليّة وذلك لسببين:

أحدهما ـ أنّ الكلمات الشّائعة في الأعراب الجاهليّة من الصّعب أن تؤدّي المعنى الإسلاميّ بأمانة، لأنّها كانت وليدة التّفكير الجاهليّ وحاجاته، فلا تصلح للتّعبير عمّا جاء به الإسلام،

---

١ ـ البقرة / ٢.

٢ ـ يونس / ٣٧.

من مفاهيم وأشياء لاتمّت إلى ذلك التّفكير بصلة .

والآخر ـ أنّ تكوين مصطلحات وأسماء محدّدة يتميّز بها الإسلام ، ويساعد على إيجاد طابع خاصّ به ، وعلامات فارقة بين الثّقافة الإسلاميّة وغيرها من الثّقافات .

وفي تسمية الكلام الإلهيّ بـ «الكتاب» إشارة إلى التّرابط بين مضامينه ووحدتها في الهدف والاتّجاه ، بالنّحو الّذي يجعل منها كتابًا واحدًا . ومن ناحية أُخرى يشير هذا الاسم إلى جمع الكلام الكريم في السّطور، لأنّ الكتابة جمع للحروف ورسم للألفاظ .وأمّا تسميته بـ «القرآن» فهي تشير إلى حفظه في الصّدور نتيجة لكثرة قراءته ، وازدياده على الألسن، لأنّ القرآن مصدر القراءة ، وفي القراءة استكثار واستظهار للنّصّ . فالكلام الإلهيّ الكريم له ميزة الكتابة والحفظ معًا، ولم يكتف في صيانته وضمانه بالكتابة فقط ، ولا الحفظ والقراءة فقط ، لهذا كان كتابًا وقرآنًا .

ومن أسماء القرآن أيضًا «الفرقان». قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[1]. ومادّة هذا اللّفظ تفيد معنى التّفرقة ، فكأنّ التّسمية تشير إلى أنّ القرآن هو الّذي يفرّق بين الحقّ والباطل، باعتباره المقياس الإلهيّ للحقيقة في كلّ ما يتعرّض له من موضوعات . ومن أسمائه أيضًا «الذّكر»، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾[2] .ومعناه الشّرف، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾[3] . وهناك ألفاظ عديدة أُطلقت على القرآن الكريم على سبيل الوصف لا التّسمية ،كالمجيد ، والعزيز، والعليّ، في قوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾[4] ، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾. ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

(١ـ٢)

---

١ ـ الفرقان / ١.

٢ ـ الأنبياء / ٥٠.

٣ ـ الأنبياء / ١٠.

٤ ـ البروج / ٢١.

الفصل الثّاني و الثّلاثون

نصّ المُصطفويّ (م:١٤٢٨) في «التّحقيق في كلمات القرآن»

[التّحقيق في أسماء القرآن]

١ـ القرآن: [قال الفيّوميّ:] والقرء فيه لغتان: الفتح وجمعه قروء، والضمّ ويجمع على أقراء، ويطلق على الطّهر والحيض، و يقال: أنّه للطّهر، وذلك أنّ المرأة الطّاهر كأنّ الدّم اجتمع في بدنها وامتسك، ويقال: إنّه للحيض، وأقرأت، إذا حاضت، و أقرأت، إذا طهرت، فهي مُقرىء، وقرأتُ أُمَّ الكتاب و بأُمّ الكتاب ـ يتعدّي بنفسه و بالباء ـ قراءةً وقُرآنًا، ثمّ استعمل القرآن اسمًا، والفاعل قاري و قَرأة وقُرّاء وقارئون. وقرأت على زيد السّلام أقرؤه عليه قراءة ... [ثمّ ذكر قول ابن فارس والرّاغب والأزهريّ، كما تقدّم عنهم، فقال:]

والتّحقيق

أنّ الأصل الواحد في المادّة هو تفهّم وضبط معاني مكتوبة بالبصر مادّيّاً أومعنويًا. والمعاني عبارة عن مفاهيم و مطالب مقصودة، والكتابة عبارة عن ثبتها بألفاظ وحروف أونقوش وصُوَرمناسبة في صفحات خارجيّة أو أنفسيّة أوفي اللّوح المحفوظ عندالله تعالى. والبصر أعمّ من أن يكون قوّة محسوسة أو بصيرة باطنيّة أو روحانيّة صرفة.

ففي القراءة لازم أن تتحقّق هذه الخصوصيّات، وأمّا التّوجّه إلى المفاهيم بالقلب أوضبطها با لسّمع أو بحاسّة أُخرى، فليس من مصاديق مفهوم القراءة. وبهذه المناسبة تطلق المادّة على القرب والتّفقّه والجمع مجازًا.

وأمّا القُرء بمعنى الحيض، فإنّ القُرء كالغُسل اسم مصدر، بمعنى ما يتحصّل من القراءة، وحالة الحيض وزمانها إنّما تتحصّل في نتيجة قراءة المرأة حالاتها وجريان أُمورها وتحوّلات أيّامها، إذا بها تتعيّن ما لها من الوظائف الشّرعية والعرفيّة، وتتغيّر تكاليفها اللّازمة، وتتبدّل مجاري أُمورها الطّبيعيّة، وبها تتميّز أوقاتها وأيّامها، كما في خصوصيّات الأعمال وبرنامج الطّهارة والنّظافة وإقامة العبادات و في حساب العدّة في النّكاح والطّلاق والاجتناب عن أُمور معيّنة وغيرها.

وأمّا إطلاق القُرء على الطُّهر، فليس بصحيح إلّا تجوُّزًا بالمجاورة. ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾[1]. فلازم لهنّ مطالعة أحوالهنّ والدقّة في جريان أيّامهنّ وحساب قروئهنّ و التّربّص حتّى تنتهي ثلاثة قروء. وكما أنّ الكتابة تحدث وتكتب في صفحات صافية نقيّة ثمّ تقرأ هذه الكتابة، كذلك الحيض يُحدث في صفحات أيّام الطّهارة الطّبيعيّة الأصيلة الجارية، فلابدّ أن يكون الضّبط والقراءة والحساب عليها.

ثمّ إنّ الكتابة إمّا في الألواح الخارجيّة، كما في كتبتُ في القرطاس، وإمّا في الألواح الطّبيعيّة بحدوث جريانات وحوادث خارجيّه، سواء كانت في موضوع شخصيّ أو في عالم، كما في تثبّت حالات الحيض في متن الطّهر. وإمّا في ألواح الأنفس، بما تنتقش من الصّفات والأفكار، وإمّا في اللّوح المحفوظ عندالله تعالى، يضبط فيه ما يُقضي ويُقدّر. فالقراءة أيضًا تتعلّق بهذه المكتوبات الأربعة:

فالأوّل ـ كما في: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾[2].

والثّاني ـ كما في: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[3].

١ـ البقرة/ ٢٢٨.

٢ـ الإسراء/ ٩٣.

٣ـ البقرة/ ٢٢٨.

والثّالث ـ كما في: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[١].

والرّابع ـ كما في: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾[٢].

والقرآن مصدر جعل اسمًا للكتاب المُنزَل للنّبيّ ﷺ، وهذه التّسمية بلحاظ أنّه يقرأه الله ويقرأه الرّسول و يقرأه النّاس، و ليس شيء غيره تكون له هذه الخصوصيّات الثّلاثة. أمّا قراءة الله عزّ و جلّ، فيقول تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[٣]، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾.[٤]

فالقرآن في هذه المرتبة في لوح محفوظ عندالله تعالى، وهو اللّوح الظّاهر فيه ما يقضي ويقدّر من الأحكام والحقائق، و هو لوحة من علم الله المحيط يفسّرها القرآن و تتجلّى فيه، والقارئ لها هو الله عزّوجلّ، وهو ينزل على لوح قلب النّبيّ الأكرم، ويأخذه بقلبه ويراه رؤية شهود و حضور.

وأمّا قراءة النّبيّ الأكرم: فيقول تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾[٥]، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٦]، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾[٧].

فهذا القرآن المجيد قد أُوحي ونُزّل على قلب النّبيّ الأكرم، وشاهده مشاهدة حضور، ثمّ يؤمر بتلاوته وقراءته على النّاس، ليتوجّهوا إلى وظائفهم الّتي تقدّر وتقضي من جانب الله تعالى، فالقرآن من الله تعالى نازل على النّبيّ ﷺ ليقرأه على النّاس.

١ـ الإسراء/١٤.

٢ـ الواقعة/٧٧ـ٧٨.

٣ـ القيامة/١٨.

٤ـ البروج/٢١ـ٢٢.

٥ـ الأنعام/١٩.

٦ـ النّمل/١.

٧ـ الإسراء/١٠٦.

وأمّا قراءة النّاس: فيقول تعالى: ﴿فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْاٰنِ﴾[١]. فإنّ القرآن قد نزل لهداية النّاس إلى السّعادة والكمال والبرّ والخير في الحياة الدّنيا والآخرة، فواجب لهم أن يقرءوه ويتعلّموا منه ما يُرشدهم إلى فلاحهم وصلاحهم. فيتحصّل هنا مطالب لازم أن نشير إليها:

١ـ إنّ كلمة القرآن مأخوذة من مادّة القراءة، لا من القرى، ولا شيء غيره يتّصف بالقراءة بمراتبها الّتي ذكرناها بألفاظها ومعانيها، ولا خصوصيّة فيه لمفهوم القرى والتّجمّع.

٢ـ إنّ القرآن بهذه الخصوصيّات نازل من جانب الله عَزَّوجَلَّ إلينا، فإنّه يُقضي ويُقدّر من جانب الله، و يثبت في اللّوح الرّوحانيّ الإلهيّ، ثمّ ينزل منه بالوحي إلى قلب النّبيّ ﷺ فيشاهده في قلبه بالعلم الحضوريّ، ثمّ يقرأه الرّسول ﷺ على النّاس، فيضبطونه في الألواح.

٣ـ إنّ اللّوح المحفوظ هو مرتبه ظهور العلم والحكمة بالقضاء والتّقدير، وفيها تتبيّن خصوصيّات الأُمور، فإنّ العلم الإلهيّ هو ما يظهر من الحياة في نور الذّات بما لايتناهى، فيحيط بكلّ شيء و لايعزب عن علمه شيء، وذلك العلم إذا اقترن به الإرادة و الحكمة والقضاء والتّقدير، تتبيّن أُمور وتتحصّل خصوصيّات الأحكام والموضوعات، وهذه مرتبة فيها تضبط وتحفظ التّقديرات الإلهيّة وتتعيّن. فيها ثمّ تظهر منها محدودةً في الخارج ما شاء وقدّر و أراد.

٤ـ القرآن بجميع خصوصيّاته لفظاً ومعنًى وحكمًا وبجزئيّات مفاهيمه نازل من الله عَزَّوجَلَّ في هذا اللّوح المحفوظ علي طبق حكمته وتقديره، ويضبط ويكتب فيه، ثمّ ينزّل منه على قلب النّبيّ الأكرم بمقدار اتّصاله باللّوح وحضوره وشهوده وعلى ما شاء و يريد. وإن كانت كلّياته وإجمال مفاهيمه نازلة عليه قبل نزول جزئيّاته، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿اِنَّا اَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٢].

١ـ المزمّل / ٢٠.

٢ـ القدر / ١.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[١].

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[٢].

﴿إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾[٣].

﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٤].

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾[٥].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾[٦].

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[٧].

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾[٨].

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾[٩].

٥ـ لمّا كان القرآن بألفاظه وبمعانيه نازلًا من جانب الله تعالى، فللمسلم المعتقد المقتدي به أن يجتهد في تحقيق تلك الألفاظ حقّ التّحقيق، كما يجب لـه التّحقيق في معانيه، وكما أنّ تحصيل حقائق المعاني والمعارف في القرآن لازم لنا، كذلك تحصيل المعاني الحقيقيّة للألفاظ القرآنيّة، فإنّ القرآن الكريم نزل معجزًا من جانب الله تعالى، وانتخب في مقام التّعبير عن الحقائق والمعارف والحكم أحسن كلمة وأدقّ لفظ وأحقّه وأبينه وأخصّه دلالة على تلك

١ـ البقرة/ ١٨٥.

٢ـ طه/ ١١٤.

٣ـ النّمل/ ٦.

٤ـ يس/ ٢ـ ٣.

٥ـ الواقعة/ ٧٧ـ ٧٨.

٦ـ الدّهر/ ٢٣.

٧ـ البروج/ ٢١ـ ٢٢.

٨ـ الإسراء/ ١٠٦.

٩ـ فصّلت/ ٣.

المعاني المطلوبة، فإنّ الكلمات قوالب ومرائي للمعاني، وأيّ خصوصيّة كانت في المعاني لابدّ أن تدلّ عليها الألفاظ وتستكشف من إراءة الكلمات.

وقد قلنا في مقدّمات الكتاب: إنّ الكلمات القرآنيّة ما استعملت إلّا في معانيها الحقيقيّة، وليس في القرآن تجوّز، فإنّ التّجوّز يوجب وَهْنًا واضطرابًا وترديدًا في تعيين المراد، بل وقد يوجب انحرافًا وضلالًا عن تبيّن الحقّ، ويفسّر كلّ أحد كلام الله على طبق رأيه، ويؤوّل كلّ شخص مشكله ومتشابهه على ما يوافق فهمه.

نعم، حينئذٍ يُفسَّر القرآن الكريم على ما يوافق الأفهام، ويتنزّل سطح معارفه وحقائقه على ما يطابق أفكار النّاس، فالقرآن ينطبق على آرائهم واعتقاداتهم، مع أنّ اللّازم تطبيق الآراء عليه.

فالقرآن المجيد هو الميزان الحقّ والحقيقة بألفاظه ومعانيه، وهو مُظهر الحقّ ومُبيّنه: ﴿تِلْكَ اٰيَاتُ الْقُرْاٰنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1].

٦ـ قلنا: إنّ القرآن الكريم معجز للبشر لفظًا ومعنًى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْاِنْسُ وَالْجِنُّ عَلٰى اَنْ يَاْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا يَاْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[2].

أمّا لفظًا: فإنّ كُلّ كلمة فيه قد انتخبت من بين مترادفاته وأشباهه بمعناه الحقيقيّ على المطلوب مع خصوصيّات فيه، ولا يصحّ وضع كلمة أُخرى مكانه، فإنّه يفوت لطف خصوصيّة منظورة فيه، لأنّ كلّ كلمه من المترادفات له خصوصيّة وامتياز مخصوص ليس في غيره، وقد أشرنا في الكتاب إلى خصوصيّة كلّ كلمة و إلى لطف التّعبير به في مورده. و هكذا انتخاب كلّ صيغة مخصوصة من بين الصّيغ المختلفة، و تقديم كلّ كلمة وتأخيره وسائر الخصوصيّات المذكورة في علوم البلاغة.

١ـ النّمل/ ١.

٢ـ الإسراء/ ٨٨.

وأمّا معنًى: فإنّ كلّ ما يذكر فيه في كلّ موضوع و في أيّ جهة حقّ مقطوع مسلّم، يوافق الواقع ويكشف عن الحقّ بحيث لايعتريه وهْن ولا ريب. وهذه الأُمور والخصوصيّات لايمكن لأحد أن يراعيها حقّ الرّعاية، فإنّه يحتاج إلى حضور جميع هذه الخصوصيّات والامتيازات اللّفظيّة والمعنويّة في ذهن المتكلّم، وبحيث يراها في آنٍ واحدٍ يتكلّم فيه بكلمة، وهذا غير ممكن للبشر. وهذا حقيقة قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[1].

وهذا المعنى لايعرفه حقّ المعرفة إلّا الأوحديّ الجامع في العلوم الأدبيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة والعرفانيّة الحقّة.

٧ـ قلنا: إنّ القرآن مصدر كالغُفران، ويُطلق على ما يُنزَل من جانب الله المتعال بلفظه ومعناه على رسول الله ﷺ مبالغة فإنّه يقرأه الله ويقرأه الرّسول ويقرأه النّاس، فكأنّه قراءة، كما في زيد عدل، وهذا الإطلاق في قبال مطلق القرآن كلًّا أوجزءًا. فيصدق على كلّ آية نزلت أوسورة أنّها قرآن، و هكذا على مجموع السُّوَر و الآيات المدوّنة:

﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾[2].

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[3].

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾[4].

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾[5].

٨ـ قلنا: إنّ القرآن مصدر بمعنى تفهّم وضبط مايكتب بالبصر، والكتابة هو ثبت شيء بألفاظ أوغيرها، وبهذا الأصل يظهر حقيقة قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى

---

١ ـ الإسراء/ ٨٨.

٢ ـ الجنّ/ ١.

٣ ـ طه/ ١١٤.

٤ ـ الحجر/ ١.

٥ ـ يوسف/ ٣.

غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[1]. فالمراد ضبط ما يثبت من أثر الفجر و نقش انشقاق في الأُفُق، وتفهّم هذه الكتابة. (٩: ٢١٨-٢٢٥)

٢ـ الفرقان: فالفُرقان مصدر كالقُرآن والغُفران، وزيادة المبنى تدلّ على زيادةٍ في معنى الفرق، وهو صفة عالية ممتازة من أعلى الصّفات الإنسانيّة، وتحصل بعد حصول المعرفة والنّورانيّة و رفع الحُجُب المانعة، و بها تتميّز الحقيقة والمعارف الإلهيّة وسُبُل السّلام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾[2].

و على هذا ينزل الفرقان على كلّ رسول يبلّغ عن الله عزّ و جلّ، فإنّ من ليس له روح التّميز والفصل، ولا يعرف حقّ الخير والصّلاح، فهو على ترديد وشكٍّ وشبهة في أمره، فكيف يكن له الإبلاغ والدّعوة؟ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾[3]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[4]. فظهر أنّ إطلاق الفرقان على القرآن بهذا الاعتبار: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى مُكْثٍ﴾[5]. (٩: ٧١-٧٢)

٣ـ التّنزيل: إنّ الأصل الواحد في المادّة هو انحدار شيء من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ، وهو في المرتبة العُليا طبعًا، مادّيًّا كان أو معنويًّا. وسبق في الهبوط أنّ النّظر فيه إلى جهة الاستقرار في محلّ وتحقّق إقامة بعقب النّزول، بخلاف النّزول، فإنّ النّظر فيه إلي جهة ابتداء النّزول.

ومن مصاديقه: نزول الرّاكب عن دابّته، نزول المطر من السّماء، نزول شدائد الدّهر في مورد خاصّ، نزول الرّجل في ميدان المحاربة، نزول الشّخص في منزله و بيته، ونزول الضّيف، ونزول المستطيع في العمل بالمناسك في الموسم، نزول ماء الرّجل، نزول الطّعام المهيّأ، ونزول

١ـ الإسراء/ ٨٧.

٢ـ الأنفال/ ٢٩.

٣ـ الأنبياء/ ٢١.

٤ـ الفرقان/ ١.

٥ـ الإسراء/ ١٠٦.

البركة و الرّيع والرّحمة و الخير والآية والكتاب وغيرها . فالنّزول المادّيّ كما في : ﴿وَاَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاَخْرَجَ بِهِ﴾[1] . ﴿وَمَا اَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾[2].

والنّزول الرّوحانيّ كما في : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْاَمِينُ عَلٰى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾[3].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْاٰنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

والفرق بين التّعبير بالإنزال والتّنزيل: أنّ الإنزال يلاحظ فيه جهة صدور الفعل من الفاعل ، فالنّظر فيه إلى جهة الصّدور، كما في :

﴿هُوَ الَّذِى اَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾[5].

﴿وَاَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾[6].

﴿يَا بَنِى اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾[7].

﴿رَبِّ اَنْزِلْنِى مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَاَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[8].

فيلاحظ فيها صدور الفعل وهو النّزول في جهة انتسابه إلى الفاعل .وأمّا التّنزيل فيلاحظ فيه جهة الوقوع، فيكون النّظر إلى الفعل في جهة الوقوع وتعلّقه بالمفعول والمتعلّق، كما في :

﴿نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾[9].

﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلٰى عَبْدِهِ﴾.

١ـ البقرة/ ٢٢.

٢ـ الجاثية/ ٥.

٣ـ الشّعراء/ ١٩٣ـ ١٩٤.

٤ـ الإسراء/ ٨٢.

٥ـ آل عمران/ ٧.

٦ـ التّوبة/ ٢٦.

٧ـ الأعراف/ ٢٦.

٨ـ المؤمنون/ ٢٩.

٩ـ البقرة/ ١٧٦.

﴿وَاِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾[١].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْاَعْجَمِينَ فَقَرَاَهُ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْاٰنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ﴾[٣].

فلوحظت فيها جهة التّعلّق و الوقوع و النّظر إلى الفعل في هذه الجهة .

و أمّا التّنزّل فتدلّ الصّيغة على مطاوعة «التّفعيل» بمعنى كون الفعل على طَوع و اختيار في قبوله، لا على قهر كما في الانفعال، كما في :

﴿هَلْ اُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ اَفَّاكٍ اَثِيمٍ﴾[٤].

﴿اِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلٰئِكَةُ اَلَّا تَخَافُوا﴾[٥].

﴿تَنَزَّلُ الْمَلٰئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِاِذْنِ رَبِّهِمْ﴾[٦].

يراد نزولها على طَوع و رغبة و تمايل و اختيار، و حذفت التّاء في الآية الأُولى و الثّالثة للتّخفيف و تسهيل التّلفّظ. (١٢: ٨٧ـ٨٩)

٤ـ الوحي : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ اِلَّا وَحْيًا اَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ اَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِاِذْنِهِ مَا يَشَاءُ اِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٧]. الكلام: هو ما يُبرز عن الباطن و يُبيّن النّيّة القلبيّة بأيّ نحو كان، فيشمل الكلام بالحروف و الصّوت، و الكلام بإيجاد تكوينيّ، و الكلام المعنويّ، أو الظّاهر بواسطة ملَك أو إنسان، و غيرها .

١ـ البقرة/ ٢٣.

٢ـ الشّعراء/ ١٩٨.

٣ـ الإسراء/ ٨٢ .

٤ـ الشّعراء/ ٢٢١ـ ٢٢٢.

٥ـ فصّلت/ ٣٠.

٦ـ الفجر/ ٤.

٧ـ الشّوري/ ٥١ .

فيستحيل أن يكلّم الله بشرًا إلّا بالصُّوَر الثّلاث المذكورة في الآية الكريمة، فإنّ الكلام المادّيّ الظّاهريّ يحتاج إلى تحقّق الجهاز الباطنيّ القلبيّ والجهاز الظّاهريّ للتكلّم، ووجود أسباب خارجيّة من المكان و الهواء. و هذه الأُمور توجب محدوديّة وفقرًا وحاجةً في المتكلّم، ولا ينسَب إلى الله المتعال.

وأمّا الوحي فقلنا: إنّه عبارة عن إلقاء أمر منظور في قلب شخص يوجب يقينًا وشهودًا له، وهذا الإلقاء أمر روحانيّ، ويُلقَى في الباطن و القلب الرّوحانيّ لا القلب الجسمانيّ، وهو ممكن أن يُنسب إلى الله المتعال.

فالوحي تكليم الله عبدَه بلاواسطةٍ و بلا حجابٍ، وهو من المصاديق الكاملة التّامّة للكلام من الله المتعال.

وأمّا الكلام من وراء الحجاب فهو إذالم يكن الخطاب بلا واسطة شيء، بل يوجَد ويُبرَز في الخارج بواسطة ملَك أوألفاظ و كلمات أو وسيلة أُخرى، فالكلام حينئذٍ يظهر في الخارج بأحد منها.

وفي هذه الصّورة يجب أن تكون الواسطة مَظْهرًا ومَجْلًى ومِرآةً للكلام الإلهيّ من دون أن تكون لها موضوعيّة وخصوصيّة، فهي لاتُري إلّا الكلام، وهذا كالقرآن المجيد الظّاهر بوسيلة النّبيّ أومَلَك. فالقرآن الكريم باعتبارأنّه أُوحِيَ إلى النّبيّ ﷺ وحيٌ، وباعتبار ظهوره في الخارج ونسبته إلى النّاس كلام لله تعالى. وأمّا إرسال الرّسول أعمّ من أن يكون الرّسول إنسانًا أو مَلَكًا، وهومأمور بإبلاغ الكلام و إبرازه إلى النّاس، فهذا الرّسول إذا كان أمينًا في بيانه ومأمورًا به، فهو يروي كلام الله المتعالي، سواءاً كان إلقاؤه إليه وحيًا أوروايةً.

ففي هذه الصّورة يلاحظ الرّسول على نحو الاستقلال و الموضوعيّة، و في الصّورة الثّانية: كونُه فانيًا ومرآةً وغير ملحوظ بذاته.

ولايخفى أنّ هذه الصُّوَر الثّلاث في الآية الكريمة إنّما هي لبيان أقسام كلمات الله المتعال، و الوحي إنّما يتصوّر في واحد منها. (١٣: ٦٢-٦٣)

الفصل الثّالث و الثّلاثون

نصّ العسكريّ (م: ١٤٢٩) في «القرآن الكريم وروايات المَدرستين»

القرآن والكتاب والمُصْحَف

١ ـ القرآن: القرآن: هو كلام الله الّذي نزّله نجومًا ـ في أوقاتها المعيّنة لإنزالها ـ على خاتم أنبيائه محمّد ﷺ بلُغَة العرب ولهجة قريش منهم، ويقابله الشّعر والنّثر في الكلام العربيّ. وعليه فإنّ الكلام العربيّ ينقسم إلى قرآن وشعر ونثر.

وكما أنّه يقال لديوان الشّاعر: «شعر»، وللقصيدة في الدّيوان: «شعر»، وللبيت الواحد فيه: «شعر» وللشّطر الواحد أيضًا: «شعر»، كذلك يقال لجميع القرآن: «قرآن»، وللسّورة الواحدة: «قرآن»، وللآية الواحدة: «قرآن»، وأحيانًا لبعض الآية: «قرآن»، مثل ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ في الآية الثّالثة من سورة البقرة، والقرآن بهذا المعنى، مصطلح الإسلاميّ وحقيقة شرعيّة. إنّ منشأ هذه الاستعمالات مجيئه في القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف.

أسماء أخرى للقرآن:

استخرج العلماء من القرآن أسماء أُخرى للقرآن الكريم مثل: «الكتاب» و«النّور» و«الموعظة» و«كريم»... [ثمّ ذكر آيات للموارد الأربعة كما تقدّم سابقًا في مواضع متعدّدة فقال:]

٢ ـ الكتاب: يظهر بأدنى تدبّر في موارد استعمال الكتاب في القرآن الكريم بأنّها جاءت

هي ونظائرها وصفًا للقرآن الكريم، وليست أسماء له، ماعدا الكتاب الّذي ليس واضحًا أنّه ليس اسمًا للقرآن الكريم، ومن ثمّ ندرس موارد استعمال لفظ «الكتاب» في اللّغة والقرآن الكريم في ما يأتي بإذنه تعالى. جاء استعمال الكتاب في اللّغة والقرآن لمعانٍ متعدّدة منها:

أوّلًا ـ في اللّغة:

أ ـ كتب الكتاب كتبًا وكتابًا. أي دون حرف الهجاء على أشكال تكون فيها الكلمات والجُمَل مثل قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1].

ب ـ جاء الكتاب مصدرًا سمّي به المكتوب فيه، مثل قوله تعالى في حكاية قول بلْقيس في سورة النّمل: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[2].

ثانيًا ـ في القرآن الكريم:

أُطلق الكتاب في القرآن على التّوراة والإنجيل والقرآن وكلّ كتاب أنزله الله على رُسُله، مثل قوله تعالى:

١ ـ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾.

٢ ـ ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾، للإنجيل.

٣ ـ ﴿الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]، للقرآن الكريم.

٤ ـ ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾[4]، أي أنزل مع كلّ منهم كتابًا، وسمّى اليهود والنّصارى أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ

١ ـ البقرة / ٧٩.

٢ ـ النّمل / ٢٩ ـ ٣٠.

٣ ـ البقرة / ١ ـ ٢.

٤ ـ البقرة / ٢١٣.

شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرٰيةَ وَالْاِنْجِيلَ﴾[١]، كان هذا معنى الكتاب الّذي يساوي المُصْحَف في المعنى في اللّغة والقرآن الكريم، واشتهر عند النّحويّين كتاب سيبويه في النّحو بـ«الكتاب».

قال حاجي خليفة في باب الكتاب من «كشف الظّنون»: «كتاب سيبويه في النّحو: كان كتاب سيبويه لشهرته وفضله عَلَمًا عند النّحويّين، فكان يقال بالبَصْرة: وقرأ فلان الكتاب، فيُعلم أنّه كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب، فلايشكّ أنّه كتاب سيبويه...»[٢].

إذاً فليس «الكتاب» اسمًا للقرآن في القرآن الكريم ولا في عُرْف المسلمين. ونستنتج من هذا البحث ونقول: إنّ العلماء أخطأوا إذ فسّروا ما جاء من لفظ «الكتاب» أو «كتاب» في محاورات الصّحابة بمعنى القرآن، في حين أنّهم قصدوا من «الكتاب» ما فرض الله على عباده، كما درسناها مفصّلًا في بحث روايات اختلاف المصاحف... [ثمّ ذكر بالتّفصيل معنى المُصْحَف، وهو اسم للقرآن، كما تقدّم عنه في ج ٥ «باب مصاحف الصّحابة»].

(٢٦١-٢٦٤)

١-المائدة/٦٨.

٢-كشف الظّنون لحاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (م: ١٠٧٦) تركيا، ٢: ١٤٢٧-١٤٢٨.

الفصل الرّابع و الثّلاثون

نصّ المدرّس التّبريزيّ (معاصر) في «آلاء الرّحيم...»

مبحث في ذكر أسامي القرآن و معانيها

و اعلم! أنّ الله تعالى سمّى القرآن بأربعة أسماء:

أحدها ـ سمّاه قرآنًا، كما في قوله تعالى: ﴿اِنّٰا جَعَلْنٰاهُ قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا﴾[1]، في قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى اُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْاٰنُ﴾[2] و غير ذلك من الآي. و اعلم! أنّ القرآن كالغُفران و الكُفران معناه القراءة في الأصل، و هم مصدر قَرَأتُ أي تلوتُ، و هو المرويّ عن ابن عبّاس و قيل: هو مصدر قَرَأتُ الشّيء، أي جمعت بعضه إلى بعض، ثمّ صار عَلَمًا منقولًا إلى هذا المجموع المقروء المنزل على الرّسول صلّى الله عليه و آله المنقول عنه صلّى الله عليه و آله تواترًا فيما بين الدّفّتين، و هو المراد في الآيتين المذكورتين. وأيضًا قال أبو إسحاق النّحويّ: «سمّي كتاب الله تعالى الّذي أنزله على نبيّه صلّى الله عليه و آله قرآنًا لأنّه يجمع السُّوَر و قال ابن الأثير... [و ذكر كما تقدّم عن العَطّار، ثمّ ذكر قول الأشعريّ والزّجّاج و أبي عُبَيدة و الرّاغب، كما تقدّم عن الزّركشيّ و السيّوطيّ و غيرهما...]

و ثانيها ـ الكتاب: يعني سمّاه الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى اَنْزَلَ عَلٰى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا * قَيِّمًا...﴾[3]، وأيضًا قوله تعالى في أوّل سورة البقرة: ﴿الٓمٓ * ذٰلِكَ

١ـ الزُّخرُف /٣.

٢ـ البقرة /١٨٥.

٣ـ الكهف /١.

الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

اعلم! أنّ الكتاب كالنّظام مصدران لكَتَبَ من الكَتْب بمعنى الجمع، لكنّه بمعنى المفعول، ويحتمل كونه اسمًا لما يجمع به، كالنّظام لما ينظم به، و مع احتمال العلم المنقول أيضًا، والشّاهد لذلك المعنى المذكور كتب اللّغة من جملتها: مجمع البحرين والمنجد و غيرهما؛ يقال: كتبت السّقاء، اذا جمعته بالخرز، الخرز: بمعنى الخياطة؛ يقال: خرز الخيف وغيره، أي خاطه، والكتيبة: على وزن الفعيلة بمعنى الجماعة والطّائفة من الجيش، و الجمع كتائب.

لمعة إشراقيّة: اعلم أنّ الألفاظ موضوعة للمعاني العامّة، فالكتاب موضوع لما ينتقش فيه، سواءٌ كان مادّيًا أو مجرّدًا، وسواءٌ كان نقشه معقولًا أو محسوسًا، أو متخيّلًا أو موهومًا. فعلى هذا الكتاب كتابان:

إمّا تدوينيّ، فهو مابين الدّفّتين المسمّى بالقرآن من قرأ، إذا جمع، باعتبار وجوده الجمعيّ، بالفُرقان باعتبار وجوده الفرقيّ، المنزل من الله عزّوجلّ على نبيّه المرسل.

و إمّا تكوينيّ، فآفاقيّ هو كتابه المبين، و أمّ الكتاب، و كتاب المحو و الإثبات: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ لَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[2] أو أنفسيّ علّيّنيّ أو سجّينيّ ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾.[3] ﴿وَإِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾[4].

فحاصل الكلام أنّ الإنسان الكامل قرآن و كتاب، و قارنه الله تعالى الكتاب التّكوينيّ الآفاقيّ، و المراد بالكتاب الآفاقيّ كلّيّة العالم، كما قال الغزاليّ: «العالم كلّه تصنيف الله» و قيل بالفارسيّة، و القائل الشّيخ محمود الشّبستريّ في كتابه: المسمّى «بگُلْشَن راز»:

بِنَزْد آنکه جانش در تجلّی است　　　هَمَه عالَم کتاب حق تعالی است

۱ـ البقرة /۱ـ۲

۲ـ الرّعد /۳۹.

۳ـ المطفّفين /۱۸.

٤ـ المطففين /۷.

عـرَض إعراب وجوهر جون حروفست مراتب همچو آيـات وُقوفست

اَز اوهر عالَمى چـون سـوره اى خـاصّ يكى زان فاتحه واندگر اخلاص

وفيما بين كلّ الموجودات كـان الإنـسان صـورة معنويّـة أمريّـة، أي منـسوبة إلى عـالم الأمر،وهوعالم المعقول وعالم الأرواح، وهذا الاصطلاح مأخوذمن قوله تعالى: ﴿اَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ اَمْرِ رَبّى﴾[2]، وإنّما سُميّت به لأنّها وجدت بأمر الحقّ تعالى بلا واسطة مادّة ومدّة، إذيكفيها مجرّد الإمكان الذّاتيّ في قبول فيض الوجود بلا حاجـة إلى الاستعداديّ، وأيضًا لمّا كانت مندكّة الأنبات لم يكن هناك مؤثمر،بل كانت مجرّدة وأمرًا له جلّ سلطانه، ومعلوم عند أُولى النُّهى؛ أنّ شيئة الشّيء إنّما هي بصورته لابمادّته، وهذا العـالم العقليّ سيصير عالمـًا وعينيًّا عرضه السّموات والأرض: ﴿يَوْمَ نَطوِى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[3] ﴿وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمينِهِ﴾[4] وأيضًا الإنسان نوع الأنواع، و كلّ الأنواع انطوى فيه؛ قال مولانا أمير المومنين عليه السلام:

أتزعم أنّك جِرمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ولذا اكتفى النّبيّ صلى الله عليه وآله بالكتاب الأنفسيّ في معرفته الله تعالى بقوله: «من عَرَف نَفْسه فقَـد عَرَف رَبَّـه» لأنّ من عرف نفسه على ما ينبغي وجودًا وصفةً وفعلًا وطالع كتابـه كـذالك،

١ـ الأعراف/ ٥٤.

٢ـ الإسراء/ ٨٥.

٣ـ الأنبياء/ ١٠٤.

٤ـ الزّمر/ ٦٧.

٥ـ الإسراء/ ١٤١.

٦ـ الفرقان/ ١.

٧ـ الأنفال/ ٢٩.

يعرف ربّه كذلك، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[١].

و ثالثها ـ الفرقان: هومأخوذ من قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾، وقوله تعالى أيضًا: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾، مسمّى بذلك لأنّه يفرّق بين الحقّ و الباطل، والفرقان: هو الفرق بين الشّيئين، وإنّما يقع الفرق بين الحقّ والباطل بالأدلّة الدّالّة على صحّة الحقّ فبطلان الباطل...

[في أقسام الوجود]

اعلم! أنّ لكلّ أمر أربعة وجودات: ١ـ الوجود العينيّ الذّاتيّ، ٢ ـ الوجود الذّهنيّ، ٣ـ الوجود الكتبيّ، ٤ ـ الوجود اللّفظيّ. فا الوجودات الثّلاثة إذا كانت مرائي اللّحاظ للوجود العينيّ الذّاتيّ ـ أي ما بها ينظر لا مافيها ينظر ـ فهي هو بوجه وظهوره بتفوت، ولهذا قيل: الاسم هو المسمّى بوجه، وهنا يجب احترام أسماء الله التّدوينيّة فكيف التّكوينيّة واسم النّبيّ والوليّ، ولا يمسّ إلّا با الطّهارة، والفرقان المكتوب كان من مراتب الوجود، والوجود الكتبيّ مرتبة تجلّي الحقّ تعالى بالتّجلّي الإيجادي الكتبيّ والفيض المقدّس والرّحمة العامّة الامتنانيّة الوجوبيّة والمشيّة السّاريّة و كلمة «كن» الوجوديّة والرّحمة الواسعة، لإظهار ما كمن في غيب هويّته ... وفي هذه المرتبة يظهر الحقّ تعالى بصُوَر أسمائه وصفاته ظهورًا عينيًّا كتبيًّا خارجيًّا، ويبرز مابطن في غيب وجوده، واستتر تحت أشعّة شمس هويّته من النّقوش العلميّة، والحروف البسيطة العالية، والأرقام الالهيّة المسطور في مرتبتيّ الأحديّة والواحديّة، وكتابي الجمع والتّفصيل والفرقان في صفحتي الآفاق والأنفس، وقوسي التّزول والصّعود لكلّ ماله قابليّة الوجود الكتبيّ، ويرتب عليه الآثار المرغوبة منه على مراتب الأشياء في الوجودودرجاتها في البروز والظّهور...[ثمّ استشهد بشعر الفارسيّة وإن شئت فراجع، فقال:]

فخلاصة المطلب: أنّ هذا الوجود الكتبيّ مظهر لحقيقة الحقائق، وكاشف عن أسرار نيّته تعالى والعلميّة وهذه الصّحيفة الإلهيّة والكتاب النّاطق عن الحقّ بالحقّ في قوله تقدّست أسمائه: ﴿هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾[1].

ورابعها ـ الذّكر: هو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2] وأيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾[3]، يعني القرآن. ويبحث في هذا الاسم من جهتين:

الأولى ـ من جهة المفهوم لغةً.

والثّانية ـ من جهة وجه التّسمية.

فأمّا الأولى ـ فهو على معانٍ:

أحدها ـ بمعنى الحفظ، كما في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾[4]، أي احفظوها ولا تُضيّعوا شكرها، فالذّكر بهذا المعنى هو حضور المعني في النّفس.

و ثانيها ـ بمعنى القول، والتّذكّر هو طلب القول.

و ثالثها ـ بمعنى العبرة والموعظة؛ قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾[5] أي عبرة و موعظة.

و رابعها ـ بمعنى الثّناء والشّرف؛ يقال: له ذكر في النّاس، أي الثّناء والشّرف فيما بين النّاس.

و أمّا الثّانية ـ فمن جهة وجه التّسمية يحتمل أمرين:

أحدهما ـ أن يريد به أنّه شرف لمن آمن به و صدّق بما فيه.

١ـ الجاثية / ٢٩.

٢ـ الحِجر / ٩.

٣ـ فصّلت / ٤١.

٤ـ البقرة / ٢٣١.

٢ـ الحاقّة / ١٢.

والآخر ـ أنّه ذكر من الله لعباده بالفرائض و الأحكام.

اعلم! أنّ هذا الكتاب التّدوينيّ فيما بين الدّفّتين مذكّر لحكمه النّظريّ والعمليّ، وأمّا الأخير فثمرته مباشرة عمل الخير من تهذيب الظّاهر والباطن. وأمّا التّهذيب فله مراتب:

١ـ التّخلية: هي أن تخلّى النّفس عن رذائل الأخلاق، كالبخل والحسد والكبر وغيرها، وترك الشّرور اللّقلقيّة والقبقبة والذّبذبة المشار إليها في الحديث النّبويّ، حيث قال ﷺ: «من وقى شرّ لقلقه وقبقبه وذبذبه، فقد وقى الشرّ كلّه». واللّقلق: هو اللّسان، والقبقب: هو البطن، والذّبذب: هو القضيب.

٢ـ التّجلية والتّحلية: وهما أن تتخلّع النّفس بهما بخلع الأسماء والصّفات، وتتخلّق بأخلاق الله، كما في الحديث: «تخلّقوا بأخلاق الله».

٣ ـ الفناء: فله مراتب، المَحْو والطَّمْس والمَحْق، فالمحو: فناء أفعال العبد في فعل الحقّ، والطّمس: فناء صفاته في صفته، والمحق: فناء وجوده في وجوده، قال الحكيم الالهيّ في «المنظومة»:

تجلية، تخلية، تحلية ثمّ فناء مراتب مرتقية

مَحْوٌ طَمْسٌ مَحْقٌ ادرا العملا تجلية للشّرع أن يستعملا

تخلية تهذيب باطن يعدّ عن سوء الأخلاق كبخل وحسد

ولَقْلَقيّ قَبْقَبيّ ذَبْذَبيّ من التذاذ طُرِحَت بجانبِ

(٥٥ ـ ٦٣)

الفصل الخامس والثّلاثون

نصّ منّاع القطّان (معاصر) في «مباحث في علوم القرآن»

تعريف القرآن

[بعد ذكر معنى القرآن واشتقاقه، كما تقدّم سابقًا في مواضع متعدّدة، ثمّ قال:]

وقد خصّ القرآن بالكتاب المُنزَل على محمّد ﷺ فصار له كالعَلَم الشّخصيّ. ويطلق بالاشتراك اللّفظيّ على مجموع القرآن، وعلى كلّ آية من آياته، فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صحّ أن تقول: إنّه يقرأ القرآن ﴿وَاِذَا قُرِئَ الْقُرْاٰنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَاَنْصِتُوا﴾[1].

وذكر بعض العلماء أنّ تسمية هذا الكتاب قرآنًا من بين كتب الله لكونه جامعًا لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[2]، وقوله: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[3].

وذهب بعض العلماء إلى أنّ لفظ القرآن غير مهموز الأصل في الاشتقاق، إمّا لأنّه وضع عَلَمًا مرتجلًا على الكلام المُنزَل على النّبيّ ﷺ وليس مشتقًّا من قرأ، وإمّا لأنّه من قرن الشّيء بالشّيء، إذا ضمّه إليه، أو من القرائن، لأنّ آياته يشبه بعضها بعضًا، النّون أصليّة وهذا رأي

١ـ الأعراف/ ٢٠١.

٢ـ النّحل/ ٨٩.

٣ـ الأنعام/ ٣٨.

مرجوح، والصّواب الأوّل. والقرآن الكريم يتعذّر تحديده بالتّعاريف المنطقيّه ذات الأجناس والفصول والخواصّ، بحيث يكون تعريفه حدًّا حقيقيًّا، والحدّ الحقيقيّ له هو استحضاره معهودًا في الذّهن أومشاهدًا بالحسّ، كأن تشير إليه مكتوبًا في المُصْحَف أومقروءًا باللّسان، فتقول: هوما بين هاتين الدّفّتين .. [و ذكر كما تقدّم نحوه عن الدّرّاز] .

أسماؤه وأوصافه

وقد سمّاه الله بأسماء كثيرة ... [ثمّ ذكر بعض الأسماء المعروفة القرآن (كالفرقان والكتاب والذّكر والتّنزيل) مشفوعةً بالآيات، كما تقدّم سابقًا فقال:]

وقد غلب من أسمائه: القرآن والكتاب، قال الدّكتور محمّد عبدالله دَرّاز: «روعي في تسميته قرآنًا كونه متلوًّا بالألسن ...[و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

ووصف الله القرآن بأوصاف كثيرة كذلك ... [ثمّ ذكر بعض أوصاف القرآن كما تقدّم عن الفيروزابادي والسّيوطيّ، فقال:]

وكلّ تسمية أووصف فهو باعتبار معنًى من معاني القرآن .

الفرق بين القرآن و الحديث القدسيّ و الحديث النّبويّ

سبق تعريف القرآن، ولكي نعرف الفرق بينه و بين الحديث القُدسيّ والحديث النّبويّ نعطي التّعريفين الآتيين :

الحديث النّبويّ:

الحديث في اللّغة : ضدّ القديم، ويُطلق و يُراد به كلّ كلام يتحدّث به و ينقل و يبلغ الإنسان من جهة السّمع أو الوحي في يقظته أومنامه، وبهذا المعنى سُمّي القرآن حديثًا: ﴿وَمَنْ اَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَديثًا﴾[1]، وسُمّي ما يحدّث به الإنسان في نومه ﴿وَعَلَّمَني مِنْ تَأويلِ الْاَحاديث﴾[2].

١ـ الطّور/ ٣٤ .

٢ـ يوسف/ ١٠١.

والحديث في الاصطلاح: ما أُضيف إلى النّبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ.

فالقول: كقوله ﷺ: «إنّما الأعمال بالنّيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى ...»[١].

والفعل: كالّذي ثبت من تعليمه لأصحابه كيفيّة الصّلاة، ثمّ قال: «صلّوا كما رأيتموني أصلّي»[٢]، وما ثبت من كيفيّة حجّه، وقد قال: «خُذُوا عنّي مَناسِكَكُم»[٣].

والإقرار: كأن يقرّ أمرًا علِمه عن أحد الصّحابة من قول أو فعل، سواءٌ أكان ذلك في حضرته ﷺ، أم في غيبته ثمّ بلغه، ومن أمثلته: «أكل الضّبّ على مائدته ﷺ»، «وما رُوي من أنّ رسول الله ﷺ فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فلمّا رجعوا ذكروا ذلك له ﷺ فقال: سَلوُه لأيّ شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنّها صفة الرّحمن، وأنا أحبّ أن أقرأ بها، فقال النّبيّ ﷺ: أخبِروه أنّ الله يحبّه».[٤]

والصّفة كما رُوي: «من أنّه ﷺ كان دائم البُشْر، سهل الخُلُق، ليّن الجانب، ليس بفظّ و لا غليظ، ولا صخّاب ولا فحّاش ولا عيّاب ...».

الحديث القُدسيّ

عرفنا معنى الحديث لغةً، والقُدسيّ: نسبة إلى القُدس، و هي نسبة تدلّ على التّعظيم، لأنّ مادّة الكلمة دالّة على التّنزيه والتّطهير في اللّغة، فالتّقديس: تنزيه الله تعالى، والتّقديس: التّطهير، وتقدّس: تطهّر، قال الله تعالى على لسان ملائكته: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[٥]، أي نطهّر أنفسنا لك.

والحديث القُدسيّ في الاصطلاح: هو ما يضيفه النّبيّ ﷺ إلى الله تعالى، أي أنّ النّبيّ ﷺ

---

١ ـ من حديث طويل رواه البخاريّ و مسلم عن عمر بن الخطّاب.

٢ ـ رواه البخاريّ.

٣ ـ أخرجه مسلم و أحمد و النّسائيّ.

٤ ـ رواه البخاريّ و مسلم.

٥ ـ البقرة/ ٣١.

يرويه على أنّه من كلام الله، فالرّسول راوٍ لكلام الله بلفظ من عنده، وإذا رواه أحد رواه عن رسول الله مسندًا إلى الله عَزَّ وجَلَّ، فيقول: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربّه عَزَّ وجَلَّ، أو يقول: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى، أويقول الله تعالى.

ومثال الأوّل: عن أبي هُريرة، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربّه عَزَّوجَلَّ: «يد الله مَلْأىٰ لا يغيضها نفقة، سحّاء اللّيل والنّهار ...»[1].

ومثال الثّاني: عن أبي هُرَيرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: «أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ...»[2].

الفرق بين القرآن و الحديث القدسيّ

هناك عدّة فروق بين القرآن الكريم و الحديث القدسيّ أهمّها:

١ـ أنّ القرآن الكريم كلام الله أُوحي به إلى رسول الله بلفظه، وتحدّى به العرب، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سُوَرٍ مثله، أو بسورةٍ من مثله، ولا يزال التّحدّي به قائمًا، فهو معجزة خالدة إلى يوم الدّين. و [أمّا] الحديث القدسيّ لم يقع به التّحدّي والإعجاز.

٢ ـ والقرآن الكريم لا يُنصب إلّا إلى الله تعالى، فيقال: قال الله تعالى. و[أمّا] الحديث القدسيّ ـ كما سبق ـ قد يُروى مضافًا إلى الله وتكون النّسبة إليه حينئذٍ نسبة إنشاء، فيقال: قال الله تعالى، أويقول الله تعالى، وقد يُروى مضافًا إلى رسول الله ﷺ، وتكون النّسبة حينئذٍ نسبة إخبار، لأنّه عليه السلام هو المخبر به عن الله، فيقال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربّه عَزَّوجَلَّ.

٣ـ والقرآن الكريم جميعه منقول بالتّواتر، فهو قطعيّ الثّبوت. والأحاديث القُدسيّة أكثرها

١ـ أخرجه البخاريّ.

٢ـ أخرجه البخاريّ ومسلم.

أخبار آحاد، فهي ظنّيّة الثبوت. وقديكون الحديث القدسيّ صحيحًا، وقد يكون حسنًا، وقد يكون ضعيفًا.

٤ـ والقرآن الكريم من عندالله لفظًا معنًى، فهو وحي باللّفظ والمعني. والحديث القُدسيّ معناه من عند الله و لفظه من عند الرّسول ﷺ على الصّحيح، فهووحي بالمعنى دون اللّفظ، و لذا تجوز روايته بالمعنى عند جمهور المحدّثين.

٥ ـ والقرآن الكريم متعبّد بتلاوته، فهوالّذي تتعيّن القراءة به في الصّلاة: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[1]، وقراءته عبادة يثيب الله عليها بما جاء في الحديث: «مَن قرأ حَرفًا مِن كتابِ الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول «الم» حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».[2] والحديث القُدسيّ؛ لا يجزئ في الصّلاة، ويثيب الله على قراءته ثوابًا عامًّا، فلايصدق فيه الثّواب الّذي ورد ذكره في الحديث على قراءة القرآن بكلّ حرف عشر حسنات.

الفرق بين الحديث القدسيّ و الحديث النّبويّ

الحديث النّبويّ قسمان:

قسم توقيفيّ ـ وهو الّذي تلقّى الرّسول ﷺ مضمونه من الوحي فبيّنه للنّاس بكلامه، وهذا القسم و إن كان مضمونه منسوبًا إلى الله فإنّه ـ من حيث هو كلام ـ حريّ بأن يُنسب إلى الرّسول ﷺ لأنّ الكلام إنّما يُنسب إلى قائله، وإن كان ما فيه من المعنى قد تلقّاه عن غيره.

قسم توفيقيّ ـ وهو الّذي استنبطه الرّسول ﷺ من فهمه للقرآن، لأنّه مبيّن له، أواستنبطه بالتّأمّل والاجتهاد. وهذا القسم الاستنباطيّ الاجتهاديّ يقرّه الوحي إذا كان صوابًا، وإذا

---

١ ـ المزّمّل / ٢٠

٢ ـ رواه التّرمذّي عن ابن مسعود، و قال: حديث حَسَن صحيح.

وقع فيه خطأ جزئيّ نزل الوحي بما فيه الصّواب[1]، و ليس هذا القسم كلام الله قطعًا.

ويتبيّن من ذلك أنّ الأحاديث النّبويّة بقسميها: التّوقيفيّ و التّوفيقيّ الاجتهاديّ الّذي أقرّه الوحي، يمكن أن يقال فيها، أنّ مردّها جميعًا بجملتها إلى الوحي، وهذا معنى قوله تعالى في رسولنا ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى * اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْيٌ يُوحٰى﴾[2].

والحديث القُدسيّ معناه من عندالله عزّ وجلّ، يلقى إلى الرّسول ﷺ بكيفيّة من كيفيّات الوحي ـ لا على التّعيين. أمّا ألفاظه فمن عند الرّسول ﷺ على الرّاجح، و نسبته إلى الله تعالى نسبة لمضمونه لا نسبة لألفاظه، ولو كان لفظه من عندالله، لما كان هناك فرق بينه و بين القرآن، ولوقع التّحدّي بأُسلوبه والتّعبّد بتلاوته.

و يرد على هذا شبهتان:

الشّبهة الأُولى ـ أنّ الحديث النّبويّ وحي بالمعنى كذلك، واللّفظ من الرّسول ﷺ، فلماذا لا نسمّيه قدسيًّا أيضًا؟

والجواب: أنّنا نقطع في الحديث القُدسيّ بنزول معناه من عندالله، لورود النّصّ الشّرعيّ على نسبته إلى الله بقوله ﷺ: «قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى»، ولذا سمّيناه قُدسيًّا، بخلاف الأحاديث النّبويّة، فإنّها لم يرد فيها مثل هذا النّصّ، ويجوز في كلّ واحد منها أن يكون مضمونه ومُعْلَمًا بالوحي (أي توقيفيًّا) وأن يكون مستنبطًا بالاجتهاد (أي توفيقيًّا)، ولذا سمّينا الكلّ نبويًّا وقوفًا بالتّسمية عند الحدّ المقطوع به، ولو كان لدينا ما يميّز الوحي التّوقيفيّ لسمّيناه قُدسيًّا كذلك.

الشّبهة الثّانية ـ أنّه إذا كان لفظ الحديث القُدسيّ من الرّسول ﷺ، فما وجه نسبته إلى الله

١ـ و مثاله ما كان في أسرى بدر، فإنّ رسول الله ﷺ أخذ برأي أبي بكر، و قبل منهم الفداء، فنزل القرآن الكريم معاتبًا له: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرٰى ...﴾ الأنفال/ ٦٧.

٢ـ النّجم/ ٣ـ٤.

بقوله ﷺ: «قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى».

والجواب: أنّ هذا سائغ في العربيّة، حيث يُنسب الكلام باعتبار مضمونه لا باعتبار ألفاظه، فأنت تقول حينما تنثر بيتًا من الشعر: يقول الشاعر كذا، وحينما تحكي ما سمعته من شخص: يقول فلان كذا، وقد حكى القرآن الكريم عن موسى وفرعون وغيرهما مضمون كلامهم بألفاظ غير ألفاظهم، وأُسلوب غير أُسلوبهم، ونسب ذلك إليهم: ﴿وَاِذْ نَادٰى رَبُّكَ مُوسٰى اَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظّٰالِمينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ اَلَا يَتَّقُونَ * قٰالَ رَبِّ اِنّي اَخٰافُ اَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضيقُ صَدْري ـ إلى ـ اِنْ كُنْتُمْ مُوقِنينَ﴾[1].

(١٧ـ٢٦)

١ـ الشعراء/ ١٠ـ٢٤.

الفصل السّادس و الثّلاثون

نصّ الحجّتيّ (معاصر) في «مختصر تاريخ القرآن كريم»

أسماء القرآن الكريم

لكتاب الله الكريم أسماء كثيرة أشهرها: القرآن، الفرقان، الكتاب، الذّكر، التّنزيل

القرآن: ذكر هذا الاسم في ثمانية وخمسين موضعًا من القرآن، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾[1]، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2]... [ثمّ ذكر أقوال في معنى القرآن، وأصله، كما تقدّم في مواضع متعدّدة].

الفرقان: ورد هذا الاسم في سبعة مواضع من القرآن الكريم، قصد في اثنين منها «التّوراة» و في اثنين «القرآن» و في الثّلاثة الباقية معانٍ أُخرى.

و ممّا قصد بهذا الاسم القرآن قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[3].

وسُمّي بذلك لأنّه يفرّق بين الحقّ والباطل بأدلّته الدّالّة على صحّة الحقّ فبطلان الباطل، عن ابن عبّاس.

وقيل: سُمّي بذلك لأنّه يؤدّي إلى المخرج والنّجاة، كقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

١ـ الواقعة/ ٧٧.

٢ـ النّحل/ ٩٨.

٣ـ الفرقان/ ١.

إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾[١].

الكتاب: وردت هذه الكلمة في مائتين وخمسة وخمسين موضعًا من القرآن الكريم، قصد في أكثرها القرآن الكريم. والكتاب في اللّغة بمعنى الجمع، وكلّ كتابة بهذا المعنى كتاب، لأنّها تجمع الكلمات والحروف، وسمّي القرآن بذلك لأنّه جامع لأنواع الآيات والأحكام والقصص.

وممّا قصد بهذا الاسم القرآن قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]. وشاع «الكتاب» اسمًا للقرآن في مصادر الأحكام الشرّعيّة، حيث قيل: إنّ مصادر الأحكام الشرّعيّة هي: الكتاب والسنّة والإجماع والعقل.

الذّكر: وردت هذه الكلمة في مواضع كثيرة من كتاب الله العزيز وقصد في بعضها القرآن كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣]، و﴿وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾[٤].

ووجه تسمية القرآن بالذّكر يحتمل أمرين:

أوّلًا ـ أنّه ذِكْرٌ من الله لعباده بالفرائض والأحكام.

ثانيًا ـ أنّه شرف لمن آمن به وصدّق بما فيه، لقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾[٥].

التّنزيل: تكرّرت هذه الكلمة في القرآن الكريم، وقصد بها «القرآن» في عدّة مواضع

---

١ ـ الأنفال/ ٢٩.

٢ ـ البقرة/ ١ـ٢.

٣ ـ الحجر/ ٩.

٣ ـ الأنبياء/ ٥٠.

٥ ـ الأنبياء/ ١٠.

كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وسُمّي القرآن بذلك لنزوله التّدريجيّ على رسول الله ﷺ فالتّنزيل يستعمل غالبًا في النّزول التّدريجّي للقرآن، والإنزال في النّزول الدّفعيّ لكتاب الله العزيز.

هذه هي الأسماء الشّائعة المعروفة للقرآن، وبعضهم زاد عليها حتّى قيل: إنّ «الحَرالّي» ذكربضعة وخمسين اسمًا للقرآن، كما روى الشّيخ طاهرالجزائريّ في «التّبيان» وأنّ القاضي شَيْذَله ذكر خمسة وخمسين اسمًا للقرآن، كما نقل ذلك السّيوطيّ نقلًا عن «البرهان» للزّركشيّ.

وأكثرما ذكروه من أسماء للقرآن هي في الحقيقة أوصاف لكتاب الله العزيز، مثل: الحكيم، المبين، الكريم، الموعظة، الفصل، المثاني، البصائر، والهادي...

ومهما تعدّدت الأسماء، فالقرآن هو الكلمات والآيات المُنزلة عن طريق الوحي على النّبيّ الخاتم ﷺ، وهو مجموع بين دفّتي كتاب وصل إلينا بالتّواتُر. والقرآن الموجود هونفسه الكلام الإلهيّ الّذي فرض الله قراءته والعمل به، دون أن يعتريه تحريف أوتطرأ عليه زيادة أونقصان، وهذا ما اتّفق عليه كلّ العلماء المسلمين. (٩ـ١٢)

١ـ الشّعراء/ ١٩٢.

الفصل السّابع و الثّلاثون

نصّ الملكيّ الميانجيّ (معاصر) في «مناهج البيان في تفسير القرآن»

[في ذكر بعض أسماء القرآن]

١ـ القرآن: قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ...﴾ القيامة / ١٧

الظّاهر من السّياق أنّ هذا بشارة وتأييد ووعد لرسوله ﷺ بجمعه القرآن وقراءته إيّاه عليه. فإنّ الظّاهر من الضّمير في قوله: ﴿جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أنّ المراد هو القرآن لا أبعاضه وأجزاؤه. والمعنى أنّ على عهدتنا وماجرى به قضاؤنا الحكيم أن نجمع هذا القرآن الّذى أنزلناه عليك متفرّقًا، وما ننزّله بعد ذلك إلى تمامه وكماله. وكذلك علينا قرآنه عليك مجموعًا.

والقرآن: مصدر من قرأ على «فُعلان» بمعنى القراءة و التّلاوة. و سُمّي الكتاب الكريم المنزل على رسول الله ﷺ قرآنًا باعتبار أنّه مقروٌّ ومتلوٌّ ومن جنس ما يُقرأ وما يُتلى، وهذا من باب إطلاق الكتاب على المكتوب. وتوّهم بعضهم أنّه مأخوذ من قرأ بمعنى جمع، مثل: قرأت الماء في الحوض، وسُمّي قرآنًا باعتبار كونه مجموعًا.[1] والتّحقيق ما ذكرناه، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أي قراءته. (الجزء التّاسع و العشرون: ٢٥٦ـ٢٥٧)

٢ـ كِتَابٌ مَكْنونٌ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[2]

١ـ مجمع البيان ١: ١٤.

٢ـ الواقعة / ٧٧ ـ ٧٩.

وجه الاستدلال أنّ الضّمير راجع إلى القرآن المعلوم بحسب السّياق. قوله تعالى: ﴿كَرِيمٌ﴾ نعت وتجليل للقرآن المحمود عندالله سبحانه، لما فيه من الحقائق والمعارف والأحكام. قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ نعت ثانٍ للقرآن، أي محفوظ ومصون عن التّغيير والتّبديل، وهو اللّوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[1]، قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ صفة للكتاب المكنون، ويمكن أن يكون وصفًا ثالثًا للقرآن. ومآل الوجهين على تقدير كون «لا» نافيةً واحدًا، والمعنى لا يمسّ الكتاب المكنون الّذي فيه القرآن إلّا المطهّرون، أو لا يمسّ القرآن الّذي في الكتاب إلّا المطهّرون.

و«المطهّرون» اسم مفعول من التّطهير، وهم الّذين طهّر الله سبحانه نفوسهم من أرجاس المعاصي وقذارات الذّنوب، أو ممّا هو غير المناسب للمسّ الّذي هو العلم دون الطّهارة من الخبث أو الحدث كما هو ظاهر.

أقول: القرآن: مصدر بمعنى المفعول، أي المقروء ومن جنس ما يقرأ ويتلى.

قوله تعالى: ﴿كَرِيمٌ﴾ نعت وتمجيد للقرآن المبين، أي ذو كرامة ومكانة عندالله سبحانه، لاشتماله على أُصول العلم وأُمّهات الشّرائع والمعارف والحقائق الأصيلة.

قوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ نعت ثانٍ للقرآن الكريم: ولمّا يعلم ما المراد من الكتاب المكنون واللّوح المحفوظ و نظائرهما، فيحتمل قويًّا أن يكون المراد في المقام صحيفةً نوريّةً، أي العلم المفاض على عدّة من أوليائه الكرام من الملائكة المقرّبين والأنبياء والرّسل والصّدّيقين.

ومعنى كون القرآن في هذا الكتاب المكنون في مرتبة كونه مقروءاً ومتلوًّا، كونه معلومًا بهذا العلم عند حَمَلته، لا كون القرآن المقروء والمتلوّ بنحو من الثّبوت والتّجرّد في هذا الكتاب وفي هذا اللّوح، فهؤلاء الحملة الكرام يعلمون القرآن و يحصونه بحقيقة العلم والإحصاء، ويشهدون أنّه حقّ مبين لا ريب فيه، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ

١ـ البروج/ ٢١ـ٢٢.

في امام مبين﴾[١]. (الجزء الثلاثون: ٥٩٦ـ٥٩٧)

٣ـ الفرقان: ﴿فالفارقات فرقا﴾[٢]

والمصداق البارز الواضح من هذا التفريق بوساطة هؤلاء الفارقات، هو الفرقان المبين والقرآن الكريم، وهو المرجع الأصيل المعصوم بذاته لأهل العالم اليوم، وهو الحجّة بذاته على ذاته، الفارق بحجّيّته بين الحقّ والباطل والصّدق والكذب، وبا لجملة: كلّ ما اختلف فيه النّاس في شؤون دينهم ودنياهم. وهو المهيمن على جميع ما ينسب إلى الأنبياء السّابقين من الحقائق والعلم، والحاكم بين النّاس فيما اختلفوا فيه؛ قال تعالى: ﴿شهر رمضان الّذى انزل فيه القرآن هدًى للنّاس وبيّنات من الهدى والفرقان﴾[٣]، ﴿وانزل التّورية والانجيل * من قبل هدًى للنّاس وانزل الفرقان﴾[٤]، ﴿وانزلنا اليك الكتاب بالحقّ مصدّقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾[٥].

وضروريّ أنّ الفرقان بما أنّه فرقان بين الحقّ والباطل حجّة و برهان على نفسه أنّه الحقّ المبين، وأنّه كتاب لاريب فيه هدًى للمتّقين. وكيف يمكن ما هو برهان بالذّات على تفريق الحقّ من الباطل أن لايكون برهانًا على نفسه ؟! وقد وصف تعالى القرآن نفسه بأنّه نور وهداية و تذكرة وذكرى وبيّنة وبصائر وضياء وغيرها، وقد قال سبحانه: ﴿يا ايّها النّاس قد جاءكم برهان من ربّكم وانزلنا اليكم نورا مبينا﴾[٦]. (الجزء التّاسع والعشرون: ٣٥٣ـ٣٥٤)

١ـ يس/ ١٢.

٢ـ المرسلات/ ٤.

٣ـ البقرة/ ١٨٥.

٤ـ آل عمران/ ٣ـ ٤.

٥ـ المائدة/ ٤٨.

٦ـ النّساء/ ١٧٤.

٤ـ تذكرة: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾[1]

الظّاهر أنّ الضّمير للقرآن، أي أنّ القرآن تذكرة و ذكري و بيّنات. ولا يبعد أن يقال: إنّ المراد من الضّمير هو القرآن وأبواب علومه وغيره أيضًا ممّا أُوحي إليه ﷺ من غير طريق القرآن. والعناية في ذكر التّذكرة في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[2]، هو توبيخ المكذّبين على إعراضهم عن التّذكرة. و في هذه الآية إرشاد إلى أنّ القرآن تذكرة. وبعبارة أُخرى: الآية الكريمة لبيان شيء من نعوت القرآن الجليلة الجميلة ... [إلى أن قال:]

إنّ القرآن الكريم إنّما نزل من عندالله ـ سبحانه ـ للتّذكّر والهداية، فمن تذكّر واهتدى، فقد فعل ما كان مأمورًا به. (الجزء التّاسع و العشرون: ٢٣٠ـ ٢٣١)

٥ـ قول ثقيل: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[3]

قال في القاموس ٣: ٣٤٢: «و الثَّقَل ـ محرّكة ـ: متاع المسافر وحَشَمه، وكلّ شيء نفيس، ومنه الحديث: «إنّي تارك فيكم الثَّقَلَين: كتاب الله وعترتي»». أقول: الأشبه بالمقام أنّ المراد بالقول الثّقيل هو القرآن المبين. فإنّ له عندالله ـ سبحانه ـ وعند الرّاسخين في العلم وزنًا لا يساويه شيء، وموضعًا لا يُدانيه أمر، و قد قال ﷺ: «إنّي تاركٌ فيكم الثّقلين: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبدًا حتّى يردا عليّ الحوض».

فالقرآن الكريم أكبر الثَّقَلَين وأعظم الخليفتين. فبناءً على أنّ السّورة المباركة نزلت في أوايل الرّسالة والنّبوّة، تكون الآية الكريمة أجلّ بشارة بأشرف كرامة يكرم تعالى بها حبيبه و صفيّه ﷺ. وذكر المفسّرون في المقام أقوالًا، من أرادها فليراجعها.

وذكر بعضهم في تسمية القرآن الكريم بالقول وجوهًا استحسانيّة لا دليل في استناد هذه

١ـ المدّثّر/ ٥٤.

٢ـ المدّثّر/ ٤٩.

٣ـ المزّمّل/ ٥.

التّسمية إليها، فالمتّبع في هذا الباب هو الأخذ بالمعنى اللّغويّ وتفسير الآية على طبقه.

(الجزء ٢٩: ١٣٠-١٣١)

٦- الحديث: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[1]

وقد توسّع في لفظ الحديث، ويطلق على ما يتحدّث به النّاس ويخبرون به بضرب من العناية؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾[2] وغيرها من الآيات. وهذا الاستعمال يكون بمعاونة قرائن الحالات والمقامات.

وأمّا بحسب المعنى اللّغويّ، فالأمر كما ذكرناه. وقد استعمل الحديث في مورد القرآن وعبّر تعالى عن القرآن الكريم بالحديث؛ قال تعالى:

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[4].

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾[5].

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾[6].

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾[7].

أقول: لم أجد في كلام المفسّرين من يتعرّض لتفسير الحديث في مورد إطلاقه على القرآن وبيان الوجه في تسمية القرآن حديثًا. وفي كتاب «رياض السّالكين» في شرح الدّعاء الثّاني

١- الأعراف/١٨٥، المرسلات/٥٠.

٢- لقمان/٦.

٣- الأعراف/١٨٥.

٤- الكهف/٦.

٥- الزّمر/٢٣.

٦- الطّور/٣٤.

٧- القلم/٤٤.

والأربعين من الصّحيفة المباركة السّجّاديّة في شرح قوله عليه السلام: «اللّهمّ إنّك أعنتني على ختم كتابك الّذي أنزلته نورًا وجعلته مُهَيمِنًا على كلّ كتاب أنزلته، وفضّلته على كلّ حديث قصصته».

قال السّيّد قُدِّس سرّه: الحديث ضدّ القديم، يستعمل في قليل الكلام وكثيره؛ لأنّه يحدث شيئًا فشيئًا[1].

وقال الرّاغب: يقال لكلّ ما قرب عهده: حديث؛ مقالًا كان أوفعالًا، فكلّ كلام يبلغ الإنسان من جهة السّمع أوالوحي، في يقظته أومنامه، يقال له: حديث. فسمّى تعالى كتابه حديثًا، فقال: ﴿فلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾. وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾[2].

أقول: يستفاد من كلام السّيّد أنّه سمّى الكلام حديثًا، لأنّه يحدث شيئًا فشيئًا، يعني حدوث أجزائه وأبعاضه، وأمّا بعد مُضيّ زمان على المجموع من الكلام، فلا يَصْدَق عليه الحديث، إلّا بضرب من العناية حتّى يتكلّم به آخر وهكذا.

أقول: لايخفى ضعف ما ذكره السّيّد في «باب القرآن الكريم» لوضوح أنّ إطلاق الحديث على القرآن باعتبار جميع القرآن وأبعاضه وأجزائه، ليس إلّا إطلاقًا حقيقيًّا دائميًّا باعتبار أنّه واجد لنعت الحدوث، وأنّ هذا النّعت نعت دائميّ له، لا أنّه باعتبار ما كان من الحدوث.

وأمّا ما ذكره الرّاغب من إطلاق الحديث على كلّ ما قرب عهدُهُ مَقالًا كان أوفعالًا، فلاينطبق على القرآن، فلا دخل له في تسمية القرآن حديثًا قرب عهده، فهوحديث بالحقيقة إلى انقضاء الدّنيا. وكذلك ما ذكره من إطلاق الحديث على كلّ كلام يبلغ الإنسان من جهة السّمع أوالوحي، فعلى فرض صحّته، لم يتبيّن في بيانه العناية إلى المعنى اللّغويّ والحدوث.

١ـ الصّفحة: ٤٠٥.

٢ـ النّجم/ ٥٩.

فلا يبعد أن يقال: إنّ القرآن الكريم ذكر مُحدَث وحديث باعتبار عدم كونه مسبوقًا بشيء من أنحاء وجوده، ولا بشيء ممّا يساويه ويدانيه، ولا بشيء ممّا يشابهه ويقارنه، وكذلك لا ثاني له بعده ولا بديل له ولا نظير، فلا سابق له ولا حديث مثل هذا الحديث من بين يديه ومن خلفه؛ تنزيل من الله ربّ العالمين. وهو فعله تعالى مستقيمًا، استثناءًا من سُنّة الأسباب والعلل، فلا يقدر أحد أن يأتي بمثله و بما يدانيه ويساويه.

فحيث إنّه نور قاهر ساطع في جبهة الدّهر، فيقرع بحججه وبيّناته وأنواره أقاويل جميع الملل والأُمم، فنسبته الآن إلى جميع أهل العالم بعينها هي النّسبة الّتي كانت له عند أوّل طلوعه بالنّسبة إلى جميع أنواع النّاس وأفراده، فهو ذكر مُحدَث وقرآن حديث في كلّ زمان بالنّسبة إلى جميع الأقوام، فلكلّ قوم آية يتلوها منه، فلا يندرس ولا يخلق ولا يبلى، فهو غضّ طريّ وحديث جديد إلى انقضاء الدّنيا بالنّسبة إلى جميع أهلها.

في البحار ١٤:٩٢ عن العيون مسندًا عن محمّد بن موسى الرّازيّ، عن أبيه قال: ذكر الرّضا عليه السلام يومًا القرآن، فعظّم الحجّة فيه، والآية المعجزة في نظمه، إلى أن قال: «لا يخلق من الأزمنة، ولا يغثّ على الألسنة، لأنّه لم يجعل لزمان دون زمان، بل جعل دليل البرهان وحجّة على كلّ إنسان: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1].

و فيه أيضًا ١٥:٩٢ عن العيون مسندًا عن إبراهيم بن عبّاس، عن الرّضا عليه السلام عن أبيه: «أنّ رجلًا سأل أبا عبدالله عليه السلام قال: ما بال القرآن لا يزداد على النّشر والدّرس إلّا غضاضةً؟! قال: لأنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يجعله لزمان دون زمان، و لا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غضّ». (الجزء التّاسع و العشرون: ٣٨٨ـ٣٨٩)

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2]، وإطلاق الحديث على القرآن فليس إلّا باعتبار كونه بديعًا

---

١ ـ فصّلت / ٤٢.

٢ ـ الضّحى/١١.

وأمرًا جديدًا في حدّ نفسه، لابلحاظ أنّ نزوله من حوادث الزّمان؛ قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[1]، ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[2]، وغيرها من الآيات الّتي أطلق فيها الحديث على القرآن الكريم.

وقد عرفت أنّ وجه هذا الإطلاق بلحاظ الواقع و نفس الأمر، فإنّ القرآن الكريم وعلومه ومعارفه وحقائقه بديع لم يوجد مثله ونظيره في العالم ولن يوجد إلى الأبد. وقدكان جديدًا في مقابل العلوم والشّرائع والمعارف الموروثة عن الأنبياء الماضين و في مقابل ما كان عند أهل العالم من علومهم ومعارفهم وسُنَنهم وآدابهم.

وأمّا إطلاق «مُحدَث» فباعتبار وقوعه وحدوثه في عمود الزّمان، لاباعتبار ذاته وحقيقته، فلا مانع أن يقال: حديث مُحْدَث، وذكر مُحْدَث؛ قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[3]. (الجزء الثّلاثون: ٥٥٤ـ٥٥٥)

٧ـ الرّوح: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ...﴾[4]

و اختلف المفسّرون في المراد من هذا الرّوح، وأوجه ما قيل في المقام: إنّه القرآن الكريم، فإنّه نور وهداية لجميع المؤمنين.

ويرد عليه أنّ القرآن و إن كان نورًا وبرهانًا، إلّا أنّه من المصاديق البارزة من أنواع التّكليم الثّلاثه، فإنّ القرآن جاء به رسول من رسل السّماء جبرائيل الأمين إلى رسول الله ﷺ وقرأه عليه وهذا الرّوح ليس من قبيل الأصوات والحروف ـ على ماسيجيء من البيان إن شاء الله ـ بل هو أمر عينيّ نوريّ، وعلم مفاض من الله سبحانه إلى رسوله ﷺ.

١ـ الكهف/٦.

٢ـ الطّور/٣٤.

٣ـ الأنبياء/٢.

٤ـ الشّورى/٥٢.

(الجزء الثّلاثون: ٤٥ـ٦٤)

٨ ـ قَولُ الفَصْل : ﴿إنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾[١]

والقرآن الكريم قد يُسمّى فصلًا، ويُوصف ويُمدح بذلك، و هذا من نعوته وأوصافه الحقيقيّة، لأنّه بعلومه و بيّناته ومحكماته يبيّن ويميّز الحقّ من الباطل والضّلال من الهدى والصّواب من الخطأ، وربّنا ـ جلّ مجده ـ خير الفاصلين؛ قال تعالى: ﴿إنِ الْحُكْمُ إلَّا لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾[٢].

وهو سبحانه أعطى أولياءه فصل الخطاب، واستودع عندهم فصل القضاء، فبحكمه الواقعيّ الحقّ يحكمون، وبقضائه يقضون ويفصلون؛ قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[٣].

ولا يخفى أيضًا أنّ إطلاق الفصل والفرقان على القرآن بعناية خاصّة في كلّ واحد من التّعبيرين، إلّا أنّهما متّحدان مصداقًا، ضرورة أنّ كلّ آية فاصلة فهو فرقان، وكلّ آية فارقة فهو فصل أيضًا، من غير فرق بين مورد و مورد.

فمقتضى القول في معنى حاكميّة القرآن وفارقيّته وفاصليّته في العلوم الفطريّة والمستقلّات العقليّة الّتي هي أُمّهات الدّعوة، أن تكون هي إثارة دفائن العقول وإضاءتها، وإنارة الأفكار، وإحياء الفطرة بالتّذكير والإرشاد إلى الأحكام الثّابتة الضّروريّة من المحرّمات العقليّة وفرائضها ومحسّناتها ومقبّحاتها، بحيث تستيقظ فطرتهم ويرون ويشهدون صدق دعوته، ويدركون وجوب اتّباعه، ووجوب اتّباع كلّ حقّ وحقيقة، ووجوب الإيمان والتّسليم فيما يعقلون ويعلمون من دعوته على المخالف والمؤالف والصّديق والعدوّ.

١ـ الطّارق/١٣.

٢ـ الأنعام/٥٧.

٣ـ ص/٢٠.

والقرآن الكريم يدعو النّاس ويذكّرهم ويرشدهم إلى معرفته تعالى ومعرفة توحيده ونعوته وكمالاته أيضًا، أي المعرفة الّتي فطر النّاس عليها، وذلك الدّين القيّم، ويتحدّي جميع أهل العالم بالإتيان بمثله، وأنّهم لايقدرون على الإتيان بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

وحيث إنّ القرآن بعلومه وبيّناته ومحكماته مُهَيمن على جميع الكتب السّماويّة ومقالات أهل الأديان من جميع الفِرَق -ومن فِرَق الإسلام أيضًا- فلابدّ أن يعرض جميع ما ذكرناه على القرآن، وما وافقه فهو الحقّ المبين، وما يخالفه ويضادّه فهو كذب باطل؛ قال تعالى: ﴿وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا اَنْزَلَ اللهُ﴾[1].

قال في «القاموس»[2] هيمن ... على كذا: صار رقيبًا عليه وحافظا. وقد تقدّم عن «الصّحيفة السّجّاديّة» أنّ القرآن مُهَيْمِن على كلّ كتاب أنزله الله تعالى. وتكميل البحث في ذلك يحتاج إلى بسط الكلام في إعجاز القرآن المجيد وكذلك الكلام في كون القرآن الكريم فرقانًا؛ قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذى اُنْزِلَ فيه الْقُرْاٰنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدٰى وَالْفُرْقَانِ﴾[3]، ﴿تَبَارَكَ الَّذى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلٰى عَبْدِه لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذيرًا﴾[4].

وفي «الصّحيفة المباركة السَّجَّاديّة» في دعائه عليه السلام عندختمه القرآن: «اللّهمّ إنّك أعنتني على ختم كتابك الّذي أنزلته نورًا، وجعلته مُهَيمنًا على كلّ كتاب أنزلته، وفضّلته على كلّ حديث قصصته، وفُرقانًا فرقت به بين حلالك وحرامك، وقرآنًا أعربت به عن شرائع أحكامك، وكتابًا فصّلته لعبادك تفصيلًا».

١- المائدة/ ٤٨.

٢- ٤: ٢٧٩.

٣- البقرة/ ١٨٥.

٤- الفرقان/ ١.

و في «الكافي»[١] مسندًا عن ابن سِنان أو عن غيره، عمّن ذكره قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن القرآن والفرقان أهما شيئان أوشيء واحد؟ فقال عليه السلام: «القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به». وفي« البرهان»[٢]، عن العيّاشيّ، عن عبد الله بن سِنان، قال: سألت أباعبد الله عليه السلام عن القرآن والفرقان، قال عليه السلام: «القرآن جملة الكتاب و إخبار ما يكون، والفرقان المحكم الّذي يعمل به، وكلّ محكم فهو الفرقان».

أقول: ذيل الحديث يدلّ على أنّ كلّ محكم في الكتاب فرقان، سواء كان في باب الأحكام أو في باب المعارف و الحقائق. ولا ينافي ذلك ما ورد في الدّعاء وما ورد في ذيل حديث ابن سِنان من تفسير الفرقان بالفارق بين الحلال والحرام، ضرورة أنّ مورد حديث العيّاشيّ ومورد الدّعاء ورواية ابن سِنان مثبتات، ولاتنافي بين المثبتات، فيحمل ما في الدّعاء وما في حديث ابن سِنان على بيان المصداق.

وبيان حقيقة الإعجاز وموقع جميع أهل العالم في مقابل دعوته. وممّا ذكرنا يعلم أنّه لايجوز لمن عقل عن الله وعرف موضع عقله في شأن حياته، وآمن بالله وعرفه وحدّه، أن يرتكب الإنكار والمسامحة في قبول دعوته، أوتأويل محكماته و بيّناته، وتطبيق ذلك بما تقوّله حشوًا من رأيه و نظره.

وفي غير الفطريّات و المستقلّات العقليّة، يكون إحقاق الحقّ وتثبيت الحجّة فيها بنصوصه ومحكماته وبيّنات آياته، بحيث يزيح علّة المرتابين عن صدورهم ويقطع عذر المعاندين، فماذا بعد الحقّ إلّا الضّلال؟! فأنّى تؤفكون؟! مثل المعاد الجسمانيّ والجنّة والنّار الجسمانيّتين وعذابها ونعيمها، فقدقرعت أسماع الجنّ و الإنس مئات من الآيات المحكمة الصّريحة في وقوعها.

١ـ ٢: ٦٣٠.

٢ـ ١: ٢٦٩.

فتحصّل أنّ كون القرآن فصلًا إنّما هو باعتبار رفعه وقطعه موادّ الشّبهة والرّيبة والتّنازع والتّخاصم في العقائد والآراء وغيرها، قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾[1]. وهناك آيات أُخرى تدلّ أنّ آيات القرآن مفصّلة، منها قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[2].

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ... كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[3].

﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[4].

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[5].

بيان: قال بعض المفسّرين في تفسير الآية الأخيرة ما خلاصته: إنّ المراد من الكتاب في القرآن الكريم هو القرآن في مرتبة تجرّده الّتي لاتقبل التّجزئة والتّفريق. وبعد التّنزّل في مرتبة البروز وفي مرتبة البلاغ والإنذار، يسمّى فصلًا فصلًا وفرقًا فرقًا؛ قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾[6] وإن كان بين الآيات والكتاب نحو من الاتّحاد، فإنّ مقام الجمع حائز بالمراتب الّتي دونها المناسبة بمقام الجمع ... [ثمّ ذكر جوابه و إن شئت فراجع].

(الجزء الثّلاثون: ٣٦١ـ٣٦٤)

١ـ الأنعام/ ٥٧.

٢ـ الأعراف/ ٥٢.

٣ـ الأعراف/ ٣٢.

٤ـ الأنعام/ ١٢٦.

٥ـ هود/ ١.

٦ـ الإسراء/ ١٠٦.

الفصل الثّامن و الثّلاثون

نصّ الشّرقاويّ (معاصر) في «القرآن المجيد»

معنى القرآن

القرآن المجيد: ﴿كِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

بمثل هذا حدّث القرآن عن نفسه، فكان أبين و أدلّ من بيان أصحاب الفقه له بمثل قولهم: إنّه «اللّفظ العربيّ المُنزَل على محمّد ﷺ، للتّدبّر والتّذكّر، المنقول متواترًا، وهو ما بين الدّفّتين، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة النّاس».

فإنّ مايقولون عن التّدبّر والتّذكّر لا يفي بمكان القرآن الّذي هو في العربيّة قاموس لغتها وتاج أدبها، وهو في الإسلام معجزة دعوته ودعامة شريعته، وهو في الإنسانيّة دعوة خالدة إلى سبل السّلام والخير»[2].

وذكر محمّد الخضريّ: «الكتاب هو القرآن، وهو أجلّ من أن يُعرَف».[3]

وقال محمّد فريد وَجْدي: «القرآن علم الكتاب الّذي يقدّسه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ويتبرّكون به، و يتّبعون سنّته وفرائضه، ويعتقدون اعتقادًا راسخًا أنّه أُنزل على

١ـ المائدة/ ١٥ـ١٦.

٢ـ أمين الخوليّ ـ القرآن ـ دائرة معارف الشّعب ١: ٧.

٣ـ محمّد الخضريّ، تاريخ التّشريع الإسلاميّ: ٦.

النّبيّ العربيّ محمّد بن عبدالله، وأنّه آخر الكتب السّماويّة نزولًا»[1]... [ثمّ ذكر قول الرّاغب، كما تقدّم عنه].

قال ابن عبّاس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به ..[ثمّ ذكر خمسة أقوال في اشتقاق لفظ القرآن عن الأشعريّ و الشّافعيّ والفرّاء والزّجّاج واللّحيانيّ، وذكر أيضًا بعدها قول الجاحظ و المظفّريّ، كما تقدّم عن السّيوطيّ، فقال:]

كما يذكر أنّ كتب الأنبياء السّابقين أسميت في المُصْحَف بأسماء القرآن، فسمّيت التّوراة الفرقان في قوله: ﴿وَإِذْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾[2]، وسمّي الزّبور قرآنًا في قوله: «حفّف على داود القرآن كما يذكر»[3]، أنّ الله سمّى القرآن بخمسة وخمسين اسمًا..[ثمّ ذكر أسماء القرآن، كما تقدّم نحوها عن أبي الفتوح الرّازيّ و الفيروزاباديّ و الزّركشيّ و السّيوطيّ، فقال:]

وتبدأ دائرة المعارف الإسلاميّة بحثها في مادّة «قرآن» بذكر اختلاف المسلمين في نطق واشتقاق ومعنى كلمة قرآن . فبعضهم يقول: القرآن من غير همز، ويذهب إلى أنّها كلمة وضعت كما وضعت كلمة توراة و إنجيل. وهو كما نرى قول الشّافعيّ الّذي سبق ذكره. ثمّ تمضي الدّائرة في ذكر بقيّة الأقوال الخمسة، وتضيف إليها قولًا سادسًا، وهو ما ذهب إليه شِفالي (Schwally) و وِلْهاوْزِن (Wellhausen) من أنّ الكلمة عبريّة أو سُريانيّة، تكتب هكذا (keryani_Kiryani)، ومعناها ما يقرأ .

وتميل دائرة المعارف مع هذين العالِمَيْنَ إلى رأيهما الّذي يقول بأن «قرأ» بمعنى تلا، ليست كلمة عربيّة النّسب، و لكنّها دخيلة على اللّغة.

ويقول الدّكتور محمّد عبدالله درّاز: «روعي في تسميته قرآنًا كونه متلوًّا بالألسن...[وذكر كما تقدّم عنه، فقال:]

١ـ دائرة معارف القرن العشرين، ٧: ٦٦٦ .

٢ـ البقرة/ ٥٣ .

٣ـ أي «السّيوطيّ» .

وقد أورد كتاب «الإسلام عقيدة وشريعة»[١]، تعريف العلماء للقرآن بأنّه «اللّفظ العربيّ المُنزَل على محمّدﷺ، المنقول إلينا بالتّواتر». ثمّ ذكر أنّ هذا التّعريف يرشدنا إلى أنّ العناصر القرآنيّة أربعة:

أولًا ـ كونه لفظًا. ثانيًا ـ كونه عربيًّا. ثالثًا ـ كونه مُنزَلًا على محمّد ﷺ. رابعًا ـ نقله إلينا بالتّواتر، وذلك بأن يتلقّاه الجمع العظيم عن النّبيّﷺ، من غير تحريفٍ ولا تبديلٍ، ولا نقصٍ ولا زيادةٍ. والنّقل بهذه الطّريقة هو السّبيل الوحيد لصيانة القرآن وحفظ على الوجه الّذي أُنزل عليه، وقد كان تلقّي النّاس له بهذه الكيفيّة وحفظه إيّاه في صدورهم، هو الأصل المحكم عند الاختلاف في كتابة حرف أو كلمة منه، وهو طريق حفظه الّذي وعد الله به في كتابه إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢].

ويتفرّع على العنصر الأوّل ـ وهو كونه «لفظًا» ـ أنّ ما يوحيه الله من المعاني إلى النّبيّ، ثمّ يعبّر عنه النّبيّ بألفاظ من عنده لا يكون قرآنًا، ولا يأخذ حكم القرآن من جواز الصّلاة به وطهارة قارئه، وما إلى ذلك من الأحكام الّتي تتعلّق بنفس القرآن، فالأحاديث المرويّة عن النّبيّﷺ وإن كانت من وحي الله، ليست قرآناً، وكذلك ليس بقرآن ما يبيّنه النّاس من معاني القرآن، ويعبّرون عنه بألفاظهم كالتّفسير، ولا يقال له: قرآن.

وبعنصر الثّاني ـ «العربيّة» نعلم أنّ ترجمة القرآن إلى غير لغة العرب ـ مهما روعي فيها من الدّقّة لمسايرة الأصل ومحاذاته ـ لا تكون قرآنًا، ولا تأخذ شيئًا من أحكام القرآن الّتي أشرنا إليها، بل ولا تكون مصدر تشريع، لأنّها تعبّر عمّا يفهمه المترجم من القرآن، كما يعبّر التّفسير عمّا يفهمه المفسّر، فلا يكون الاستنباط من أحدهما استنباطًا من كتاب الله، وإنّما يكون أخذاً بفهم من لا تقوم بفهمه حجّة.

---

١ ـ محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة: ٣٩٩.

٢ ـ الحِجر/ ٩.

وليس معنى هذا أنّ ترجمة القرآن ـ على معنى بيان معانيه، وما احتوى عليه من آداب وإرشاد بغير لغة العرب ـ محظورة، بل قد تكون فيما نرى طريقًا متعيّنًا لنشر ما تضمّنه من عقائد وأخلاق وأحكام.

والعنصر الثّالث للقرآنيّة هو عنصر التّنزيل على محمّد، وهذا العنصر يدلّنا على أنّ ما أُنزل على الأنبياء السّابقين كإبراهيم وموسى، ولم يحك في القرآن لا يكون قرآنًا، أمّا ما أُنزل عليهم وقصّ علينا في القرآن بالإنزال على محمّد، فهو قرآن قطعًا، تثبت له سائر أحكام القرآن. ولكن هل يكون ـ إذا تضمّن حكمًا كلّفوا به ـ مصدر تشريع لنا، فنلزم به أيضًا كما كانوا ملزمين ؟

هذه هي المسألة الّتي بحثها علماء الأُصول تحت عنوان «شرع من قبلنا» . وخلاصة ما قالوه فيها: إنّه إذا قرنت حكاية الشّرائع السّابقة في القرآن بما يدلّ على نسخها عندنا، فليست تشريعًا لنا باتّفاق، وإذا قرنت بما يدلّ على تقريرها وكتابتها علينا كما كتبت على الّذين من قبلنا فهي تشريع لنا باتّفاق، أمّا إذا ذكرت مجرّدة عمّا يدلّ على نسخها أو تقريرها، فهي محلّ خلاف بين العلماء؛ فذهب جمهور المالكيّة والحنابلة والحنفيّة إلى أنّها شرع لنا، وذهب جمهور الشّافعيّة والأشاعرة والمعتزلة إلى أنّها ليست شرعًا لنا. وقد تكفّلت كتب أُصول الفقه ببيان آراء الفريقين ومناقشة الأدلّة .

والعنصر الرّابع للقرآنيّة عنصر التّواتر في النّقل، وهذا العنصر يخرج ما نقل بطريق الآحاد عن أن يكون قرآنًا، ولا خلاف لأحد من العلماء في هذا، وإن اختلفوا في أنّه حجّة، فرأى بعضهم أنّه و إن لم يثبت قرآنيّته لعدم تواتره، فقد ثبت أنّه خبر عن النّبيّ ﷺ، والعمل بخبر الواحد واجب، و رأى آخرون أنّه لا يصحّ الاحتجاج به، نظرًا إلى أنّه ليس بقرآن قطعًا، ولم ينقل على أنّه خبر.

الفصل التّاسع و الثّلاثون

نصّ المدرّسيّ (معاصر) في «من هُدى القرآن»

فما هو القرآن و كيف وصف القرآن نفسه؟

أكثر من مائة آية تبيّن خصائص القرآن. وإذا أضفنا إليها عشرات الآيات الّتي تحدّثنا عن الشّؤون المختلفة للقرآن الحكيم، فإنّه سيكون ذخيرة علميّة غنيّة نحصل بالتّدبّر فيها على معرفة واسعة بالقرآن. و بما أنّنا قد فسّرنا هذه الآيات ضمن تفسيرنا الشّامل للقرآن، فإنّ علينا ونحن في بحوث تمهيديّة للتّفسير، إنّ علينا مجرّد ذكر مجموعة من هذه الآيات لنذكر بعدئذٍ بعض الأحاديث الشّريفة الّتي تعتبر بحقّ شرحًا للآيات القرآنيّة، لأنّها تستلهم منها النّور والبصائر. إذن كيف وصف القرآن نفسه ؟

[١]ـ القرآن نورٌ، القرآن كتابٌ مبينٌ، القرآن سلامٌ، القرآن صراطٌ مستقيمٌ. هذه هي الصّفات الّتي جاءت في الآية التّالية: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١].

[٢]ـ و في القرآن بصائر تعطي المؤمن قدرة على رؤية الحقائق مباشرة ومن دون حجاب. و في القرآن هدي يبيّن الاتّجاه السّليم في الحياة. و في القرآن رحمة وفلاح لمن آمن به واتّبع

١ـ المائدة/ ١٥ـ ١٦.

هداه. هكذا جاء في الآية التّالية: ﴿هٰذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١].

[٣]ـ و لابدّ أن يتفكّر النّاس، لكي يحصلوا على المعرفة من خلال أمثال القرآن، هكذا يقول القرآن: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

[٤]ـ ولقد عجزت كلّ الأقاويل الّتي حاولت تفسير ظاهرة القرآن، إلّا إنّه وحي من الله، فلاهو بقول شاعر يسبح في غمرات أحلامه، ولاهو بقول كاهن يتخرّص فيقول كلامًا مجملًا لايعني من ورائه شيئًا. هكذا يقول القرآن: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

[٥]ـ وجاء القرآن ليتدبّر فيه النّاس، شريطة أن يفكّوا عن قلوبهم أقفالها ليروا الحقيقة مباشرة ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٤].

ومن يتدبّر في القرآن يعرف أنّه من الله، لأنّه لا اختلاف فيه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[٥].

[٦]ـ والقرآن موعظه يهزّ أعماق الضّمير، و القرآن شفاء يطهر الصّدور من الحقد والحسد والعقد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٦].

[٧]ـ والقرآن كتاب الله الّذي أعجز الخلق عن أن يأتوا بمثله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ

١ـ الأعراف/ ٢٠٣.

٢ـ الحشر/ ٢١.

٣ـ الحاقّة/ ٣٨ـ٤٢.

٤ـ محمّد/ ٢٤.

٥ـ النّساء/ ٨٢.

٦ـ يونس/ ٥٧.

وَالْجِنُّ عَلَىٰ اَنْ يَاْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا يَاْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[١].

[٨] ـ وفي القرآن من كلّ مَثَلٍ عبرةٌ، ومن كلّ سبيلٍ منارٌ، ومن كلّ علمٍ درسٌ، ولكلّ خيرٍ قُدْوةٌ، ولكلّ معروفٍ وسيلةٌ؛ يعطي لكلّ حادثة مثلًا سابقًا ولكلّ ظاهرة قانونًا عامًّا، ولكلّ مشكلة طارفة حلًّا واقعيًّا تليدًا: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْاٰنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَاَبٰى اَكْثَرُ النَّاسِ اِلَّا كُفُورًا﴾[٢].

[٩] ـ والقرآن آيات مبيّنات، القرآن مثل من واقع التّاريخ الغابر للحاضر: ﴿وَلَقَدْ اَنْزَلْنَا اِلَيْكُمْ اٰيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

ولو أنّ القرآن أُنزل على الجبال لخشعت، لأنّ القرآن يذكّر الإنسان بالله الّذي يخشاه كلّ شيء ﴿لَوْ اَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْاٰنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَاَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[٤].

(١: ١٦ـ١٩)

١ـ الإسراء/ ٨٨.

٢ـ الإسراء/ ٨٩.

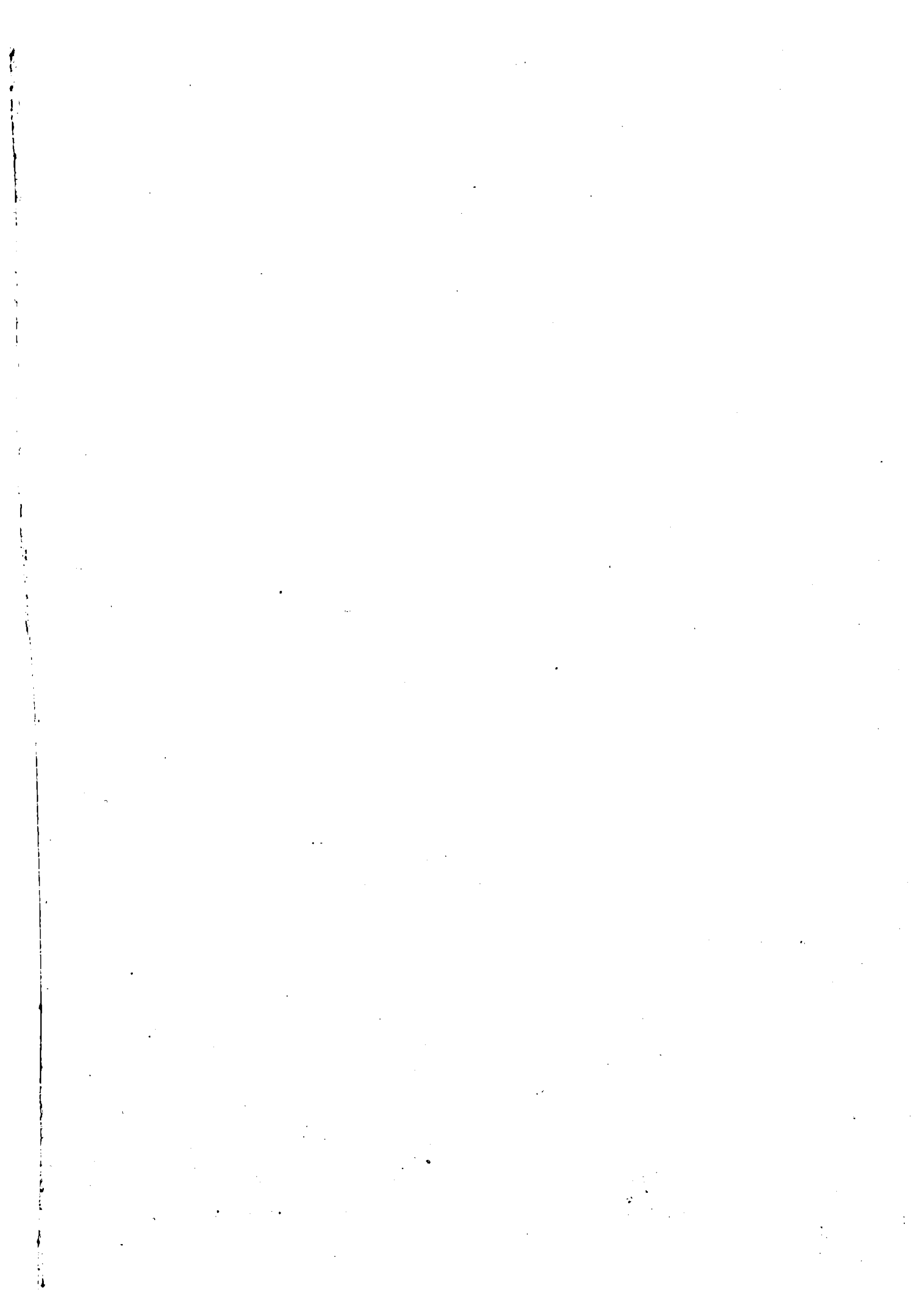
٣ـ النّور/ ٣٤.

٤ـ الحشر/ ٢١.

الباب الثّامن

أسامي السُّوَر و معنى السّورة و عددها و أقسامها

و فيه فصول:



الفصل الأوّل

نصّ الخليل (م: ١٧٥) في: «العين»

[معنى السّورة]

السَّوْرة في الرّاس: تناول الشّراب، والرأسُ يَسُور سَوْرًا وسُؤورًا وسُؤرًا. وساوَرتُ فُلانًا: تناولتُ رأسه. والمِسوَرَةُ: مُتّكأ من أدَم، وجمعُها: المَساوِر. وفلانٌ ذو سَوْرةٍ في الحَرب، أي: ذو بَطْشٍ شَديدٍ.

والسُّور: حائط المدينة،ونحوه. وتسوّرتُ الحائط، وسُرتُه سَوْرًا، قال العَجّاج: سُرْتُ إليه في أعالي السُّوَرِ.

والسَّوّار من الكلاب: الّذي يأخُذُ بالرّاس والسَّوّار: الرّجل الّذي يَسُور في رأسه الشّراب، قال الأخطل:

وشاربٍ مُرْبحٍ، بالكأس نادمَني ... لا بالحَصُورِ ولا فيها بسَوّارِ

أي: بذي عَرْبَدة وخِفّة.

والسُّوَر: جَمْعُ السُّورة.

والسُّوار القُلْبُ: سِوارُ المرأة والجميع: أَسوِرة وأساوِر، والكثير: سُور.

والأُسْوار: من أَساورة كِسْرَى، أي: قُوّاده. (٧: ٢٩٨)

الفصل الثّاني

نصّ سيبَوَيه (م: ١٨٠) في« الكتاب »

هذا باب أسماء السُّوَر

تقول: هذه هود كما ترى إذا أردت أن تحذف سورة من قولك: هذه سورة هود، فيصير هكذا كقولك: هذه تميم كما ترى.

وإن جعلت هودًا اسم السّورة لم تصرفها لأنّها تصير بمنزلة امرأة سمّيتها بعَمْرٍو.

والسُّوَر بمنزلة النّساء والأرضين.

وإذا أردت أن تجعل «اقتربت» اسمًا قطعت الألف كما قطعت ألف إضرب حين سمَّيت به الرّجل حتّى يصير بمنزلة نظائره من الأسماء: نحو إصبع.

وأمّا« نوح» بمنزلة هود، تقول: هذه نوح، إذا أردت أن تحذف سورة من قولك: هذه سورة نوح. وممّا يدلُّك على أنّك حذفت سورة قولهم: هذه الرَّحمن. ولا يكون هذا أبدًا إلّا وأنت تريد: سورة الرَّحمن. وقد يجوز أن تجعل نوح اسمًا ويصير بمنزلة امرأة سمّيتها بعمرو، إن جعلت نوح اسمًا لها لم تصرفه.

وأمّا «حم» فلا ينصرف جعلته اسمًا لسورة أو أضفته، إليه لأنّهم أنزلوه بمنزلة اسم أعجميّ، نحو: هابيل وقابيل. وقال الشّاعر: وهو الكُمَيت:

وجدنا لكم في آل حاميم آيةً   تأوَّلها منّا تقيٌّ و مُعْرِبُ

وقال الحِمّانيّ:

أو كُتُبًا بُيِّن من حاميمَا قد عَلِمَتْ أبناءُ إبراهيمَا

وكذلك: طاسين وياسين.

واعلم! أنّه لايجيء في كلامهم على بناء: حاميم وياسين وإن أردت في هذا الحكاية تركته وقفًا على حاله. وقدقرأ بعضهم: «ياسين والقرآن» و«قَافَ والقُرْآنِ» فمن قال هذا فكأنّه جعله اسمًا أعجميًّا ثمّ قال: أذكر ياسين.

وأمّا «صاد» فلاتحتاج إلى أن تجعله اسمًا أعجميًّا، لأنّ هذا البناء والوزن من كلامهم، ولكنّه يجوز أن يكون اسمًا للسُّورة فلاتصرفه. ويجوز أيضًا أن يكون ياسين وصاد اسمين غيرمتمكّنين، فيُلزَمان الفتح، كما ألزمت الأسماء غيرالمتمكّنة الحركات نحو: كيف، وأين، وحيث، وأمس.

وأمّا «طسمّ»، فإن جعلته اسمًا لم يكن بُدٌّ من أن تحرّك النّون، وتصيّر ميمًا كأنّك وصلتها إلى طاسين، فجعلتها اسمًا واحدًا بمنزلة دَرَابَجَرْد وبَعْلَبَكَّ. وإن شئت حَكَيْتَ وتَرَكْت السّواكن على حالها.

وأمّا «كهيعصّ» و«المّر» فلايكنّ إلّا حكاية، وإن جعلتها بمنزلة طاسين لم يجز، لأنّهم لم يجعلوا طاسين كحَضْرَمَوْت ولكنّهم جعلوها بمنزلة: هابيل وقابيل وهاروت.

وإن قلت: أجعلها بمنزلة طاسين ميم، لم يجز لأنّك وصلت ميمًا إلى طاسين، ولايجوز أن تصل خمسة أحرف إلى خمسة أحرف، فتجعلهنّ اسمًا واحدًا.

وإن قلت: أجعلُ الكاف والهاء اسمًا، ثمّ أجعلُ الياء والعين اسمًا، فإذا صارا اسمينِ ضممتُ أحدهما إلى الآخر فجعلتهما كاسمٍ واحد، لم يجز ذلك، لأنّه لم يجيء مثل حَضْرَمَوْت في كلام العرب موصولًا بمثله. وهذا أبعد، لأنّك تريد أن تصله بالصّاد.

فإن قلت: أدَعُه على حاله وأجعله بمنزلة إسماعيل لم يجز، لأنّ إسماعيل قد جاء عدّة حروف على عدّة حروف أكثرالعربيّة نحو: اشهيباب. وكهيعصّ ليس على عدّة حروفه شيء، ولايجوز فيه إلّا الحكاية... (٣: ٢٥٦ـ٢٥٩)

الفصل الثّالث

نصّ أبي عُبَيدة (م: ٢١٠) في «مجاز القرآن»

[معنى السّورة وذكر بعض أسمائها]

والسّورة من القرآن: يهمزها بعضهم، وبعضهم لا يهمزها، وإنّما سُمّيت سورةً في لغة من لا يهمزها، لأنّه يجعل مجازها مجازَ منزلة إلى منزلة أُخرى، كمجاز سورة البناء، قال النّابغة الذُّبيانيّ:

ألَم تر أنّ الله أعطاك سورةً ترى كلّ مُلْكٍ دونها يتذبذبُ

أي منزلة شرف ارتفعتَ إليها عن منازل الملوك، غير أنّ جمع سورة القرآن خالف جمع سورة البناء في لغة من همز سورة القرآن، وفي لغة من لم يهمزها؛ قالوا جميعًا في جمع سورة القرآن: «سُوَر» الواو مفتوحة.

كما قال: لا يقرآنَ بالسُّوَر فخرج جمعها مخرج جمع ظُلمة والجميع ظُلم ونحو ذلك، وقالوا جميعًا في جمع سورة البناء سُور الواو ساكنة، فخرج جمعها مخرج جمع بُسْرة والجميع بُسْر قال العَجّاج:

فرُبَّ ذي سُرادقٍ محجورِ سِرتُ إليه في أعالي السُّوْرِ

...ومجاز سورة في لغة من همزها: مجاز قطعة من القرآن على حِدة وفُضْلة منه لأنّه يجعلها من قولهم: أسأرتُ سُؤرًا منه، أي أبقيت وأفضلت منه فُضْلةً.

والآية من القرآن: إنّما سُمّيت آيةً لأنّها كلام متّصل إلى انقطاعه، وانقطاع معناه قصّة

ثمّ قصّة.

ولسُوَر القرآن أسماء: فمن ذلك أنّ «الحمد لله» تسمّى «أمّ الكتاب»، لأنّه يبدأ بها في أوّل القرآن، وتعاد قراءتها فيُقرأ بها في كلّ ركعة قبل السّورة؛ ولها اسم آخر يقال لها: «فاتحة الكتاب» لأنّه يُفتتح بها في المصاحف فتُكتب قبل القرآن، ويُفتتح بقراءتها في كلّ ركعة قبل قراءة ما يُقرأ به من السُّوَر في كلّ ركعة.

ومن ذلك اسم جامع لما بلغ عددهنّ مائة آية أو فُوَيق ذلك أو دُوَينه فهو المئون، وقد فرغنا من ذلك في الرّجز الّذي بعد هذا.

ومن ذلك اسم جامع للآيات وهو: «المثاني»، وقد فرغنا من ذلك في الرّجز الّذي بعد هذا.

ومن ذلك اسم لقوله: «قُلْ يَاأَيُّهَا الْكافِرُون» ولقوله: «قُلْ هُوَ اللهُ أحَد»، يقال لهما: «المقشقِشتان»، ومعناه المبرّئتان من الكُفر والشّكّ والنّفاق كما يُقَشقِش الهِناء الجَرِبَ فيبرئه.

ومن ذلك اسم جامع لسبع سُوَر من أوّل القرآن، يقال: للبقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال: «السّبع الطُّوَل»، قال سُليمان:

نَشدتُكم بمُنْزِل الفُرقانِ ... أمّ الكتاب السّبع من مَثاني
ثُنّين من آيٍ من القرآنِ ... والسّبع سبعِ الطُّوَل الدَّواني

وقال في جمع أسمائها:

حَلفتُ بالسّبع اللّواتي طُوِّلتْ ... و بِمِئين بعدها قد امْئيتْ
وبمَثانٍ ثُنّيت فكُرِّرت ... وبالطّواسيم الّتي قد ثُلِّثت
و بالحواميم اللّواتي سُبِّعت ... و بالمفصّل اللّواتي فُصِّلت

وقال الشّاعر فيما يدلّ على أنّ الحمد هي السّبع المثاني:

الحمد لله الّذي أعفاني ... وكلَّ خير صالح أعطاني
ربّ المثاني الآي والقرآنِ

أُمُّ الكتاب

مجاز تفسير ما في سورة «الحمد» وهي: «أُمّ الكتاب»، لأنّه يُبدأ بكتابتها في المصاحف قبل سائر القرآن، ويبدأ بقراءتها قبل كلّ سورة في الصّلاة، وإنّما سُمِّيت سورةً لا تُهمز، لأنّ مجازها من سُوَر البناء أي منزلة ثمّ منزلة، ومَن همزها جعلها قطعةً من القرآن، وسُمِّيت السّورة لأنّها مقطوعةٌ من الأُخرى، فلمّا قَرَنَ بعضها إلى بعض سُمِّي قرآنًا... [ثمّ ذكر شعر النّابغة، كما تقدّم آنفًا، فقال:]، أي منزلة وبعض العرب يهمز سورة ويذهب إلى «أسأرتُ» نقول: هذه ليست من تلك. (١: ٢٠)

الفصل الرّابع

نصّ الطّبريّ (م: ٣١٠) في «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»

[القول في تأويل أسماء سُوَر القرآن]

١ـ حدّثنا محمّد بن بَشّار، قال: حدّثنا أبو داود الطّيالسيّ، قال: حدّثنا أبو العَوّام، وحدّثني محمّد بن خلف العَسْقلانيّ، قال: حدّثنا داود بن الجَرّاح، قال: حدّثنا سعيد بن بَشير، جميعًا عن قَتادة، عن أبي المَليح، عن واثلة بن الأسْقَع: أنّ النّبيّ ﷺ قال: أُعطِيتُ مكان التّوراة السّبعَ الطُّوَل، وأُعطيت مكان الزَّبور المئين، وأُعطيتُ مكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلت بالمفصَّل.

٢ـ حدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا ابن عُلَيّة، عن خالد الحذّاء، عن أبي قِلابة قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيتُ السّبع الطُّوَل مكان التّوراة، وأُعطيتُ المثانِيَ مكان الزّبور، وأُعطيتُ المئين مكان الإنجيل، وفُضِّلت بالمُفصَّل». قال خالد: كانوا يسمُّون المفصَّل: العربيّ. قال خالد: قال بعضهم: ليس في العربيّ سجدةٌ.

٣ـ وحدّثنا محمّد بن حُمَيد، قال حدّثنا حَكّام بن سَلْم، عن عمرو بن أبي قيس، عن عاصم، عن المُسَيّب، عن ابن مسعود قال: الطُّوَل كالتّوراة، والمئون كالإنجيل، والمثاني كالزَّبور، وسائر القرآن بعدُ فَضْلٌ على الكُتُب.

٤ـ حدّثني أبو عُبَيد الوَصاني، قال: حدّثنا محمّد بن حَفص، قال: أنبأنا أبو حُمَيد، حدّثنا الفزاريّ، عن ليث بن أبي سُلَيم، عن أبي بُرْدة، عن أبي المَلِيح، عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ: قال أعطاني ربّي مكان التّوراة السّبعَ الطُّوَل، ومكان الإنجيل المثاني، ومكان

الزَّبور المئين، وفضّلني ربّي بالمفصَّل.

قال أبو جعفر: والسّبع الطُّوَل: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس في قول سعيد بن جُبَير.

٥ ـ حدّثني بذلك يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا هُشيم، عن أبي بِشر، عن سعيد بن جُبَير. وقد رُوي عن ابن عبّاس قولٌ يدلّ على موافقته قول سعيد هذا. وذلك ما:

٦ ـ حدّثنا به محمّد بن بَشّار، قال: حدّثنا ابن أبي عَديّ، ويحيى بن سعيد، ومحمّد بن جعفر، وسَهل بن يوسف، قالوا: حدّثنا عَوْف، قال: حدّثني يزيد الفارسيّ، قال: حدّثني ابن عبّاس: قال: قلت لعُثمان بن عَفّان: ما حملكم على أن عَمَدْتُم إلى الأنفال... [وذكر كما نقلنا عنه في ج ٢: ٢٥١ من هذا الكتاب].

فهذا الخبر ينبئ عن عُثمان بن عَفّان رحمة الله عليه، أنّه لم يكن تبيّن له أنّ الأنفال وبراءة من السّبع الطُّوَل، ويصرِّح عن ابن عبّاس أنّه لم يكن يرى ذلك منها. وإنّما سُمّيت هذه السُّوَر السّبع الطُّوَل، لطولها على سائر سُوَر القرآن.

وأمّا «المئون»: فهي ما كان من سُوَر القرآن عدد آيه مائة آية، أو تزيد عليها شيئًا أو تنقص منها شيئًا يسيرًا.

وأمّا «المثاني»: فإنّها ما ثَنّى المئين فتلاها، وكان المئون لها أوائل، وكان المثاني لها ثواني. وقد قيل: إنّ المثاني سُمّيت مثاني، لتثنية الله جَلّ ذِكْره فيها الأمثال والخبر والعبر، وهو قول ابن عبّاس.

٧ ـ حدّثنا بذلك أبو كُرَيب، قال: حدّثنا ابن يَمان، عن سُفيان، عن عبد الله ابن عُثمان، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس.

٨ ـ وروي عن سعيد بن جُبَير، أنّه كان يقول: إنّما سُمّيت مثاني لأنّها ثنيت فيها الفرائض والحدود. حدّثنا بذلك محمّد بن بَشّار، قال: حدّثنا محمّد بن جعفر، قال: حدّثنا شُعبة، عن أبي بِشْر عن سعيد بن جُبَير.

وقد قال جماعة يكثر تعدادهم: القرآن كلّه مَثان.

وقال جماعة أُخرى: بل المثاني فاتحة الكتاب، لأنّها تُثنّى قراءتُها في كلّ صلاة.

وسنذكر أسماء قائلي ذلك وعلَلهم، والصّواب من القول فيما اختلفوا فيه من ذلك، إذا انتهينا إلى تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ [1]، إن شاء الله ذلك. وبمثل ما جاءت به الرّواية عن رسول ﷺ في أسماء سُوَر القرآن الّتي ذُكِرَت، جاء شعر الشّعراء... [ثمّ استشهد بشعر كما تقدّم عن أبي عُبَيدة، فقال:]

قال أبو جعفر رحمه الله: وهذه الأبيات تدلّ على صحّة التّأويل الّذي تأوّلناه في هذه الأسماء.

وأمّا «المفصَّل»: فإنّها سُمِّيت مفصَّلًا لكثرة الفصول الّتي بين سُوَرها بـ«بِسم الله الرّحمن الرّحيم».

[معنى السّورة]

قال أبو جعفر: ثمّ تسمّى كلّ سورة من القرآن «سورة»، وتجمع «سُوَرًا»، على تقدير «خُطبة وخُطب»، «وغُرفة وغُرَف».

والسّورة، بغير هَمْز: المنزلة من منازل الارتفاع. ومن ذلك سُور المدينة، سُمّي بذلك الحائطُ الّذي يحويها، لارتفاعه على ما يحويه. غير أنّ السُّورة من سُور المدينة لم يسمع في جمعها «سُوَر»، كما سمع في جمع سورة من القرآن «سُوَر». قال العَجّاج في جمع السُّورة من البناء... [وذكر شعر العَجّاج، كما تقدّم عن أبي عُبَيدة]

فخرّج بتقدير جمعها على تقدير جَمع بُرَّة وبُسْرة، لأنّ جمع ذلك «بُرّ» و«بُسر». وكذلك لم يُسمَع في جمع سورة من القرآن سُوْرٌ، ولو جمعت كذلك لم يكن خطأ في القياس، إذا أُريد به جميعُ القرآن. وإنّما تركوا فيما يرى جمعه كذلك، لأنّ كلّ جمع كان بلفظ الواحد المذكّر مثل: بُرّ وشعير وقَصَب وما أشبه ذلك، فإنّ جِماعَهُ كالواحد من الأشياء غيره. لأنّ حكم الواحد

١ـ الحِجر/ ٨٧.

منه منفردًا قَلّما يُصاب، فجرى جِماعَه مجرى الواحد من الأشياء غيره، ثمّ جُعلت الواحدة منه كالقطعة من جميعه.

فقيل: «بُرَّة» و«شعيرة» و«قصبة»، يراد به قطعة منه. ولم تكن سُوَر القرآن موجودةً مجتمعةً اجتماعَ البُرّ والشّعير وسُور المدينة، بل كلّ سورة منها موجودةٌ منفردة بنفسها، انفرادَ كلّ غُرْفة من الغُرَف وخُطبة من الخُطَب، فجُعِل جمعُها جمع الغُرَف والخُطَب، المبنيّ جمعها من واحدها. ومن الدّلالة على أنّ معنى السّورة: المنزلة من الارتفاع، قول ...[وذكر شعر النّابغة كما تقدّم عن أبي عُبَيدة، فقال:] . يعني بذلك: أنّ الله أعطاه منزلة من منازل الشّرف الّتي قصّرت عنها منازل الملوك.

وقد همز بعضهم السّورة من القرآن. وتأويلها، في لغة من هَمَزها، القطعة الّتي قد أفضلت من القرآن عمّا سواها وأبقيت. وذلك أنّ سُؤر كلّ شيء: البقيّة منه تَبقى بعد الّذي يُؤخذ منه، ولذلك سُمِّيت الفضلة من شراب الرّجل يشربُه ثمّ يُفضلها فيبقيها في الإناء سُؤْرًا. ومن ذلك قول أعشى بني ثَعْلَبة، يصف امرأةً فارقته فأبقت في قلبه من وَجْدِها بقيّة :

فبَانَتْ، وقد أسْأَرتْ في الفُؤادِ صَـدْعًا، عـلى نَـأْيِهَا، مُسْتَطِيرَا

وقال الأعشى في مثل ذلك:

بَانَتْ وقد أسْأَرْت في النَّفس حَاجتَهَا بعد ائتِلاف وخيرُ الوُدِّ ما نفَعَا

القول في تأويل أسماء فاتحة الكتاب

قال أبو جعفر: صحّ الخبر عن رسول الله ﷺ بما :

٩ــ حدّثني به يونس بن عبد الأعلى، قال: حدّثنا ابن وَهب، قال: أخبرني ابن أبي ذِئب، عن سعيد المَقْبُريّ، عن أبي هُرَيرة، عن رسول الله ﷺ قال: «هي أمّ القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السّبع المثاني».

فهذه أسماءُ فاتحة الكتاب، وسُمِّيت «فاتحة الكتاب»، لأنّها يُفتتح بكتابتها المصاحف، ويُقرأ بها في الصّلوات، فهي فواتح لما يتلوها من سُوَر القرآن في الكتابة والقراءة.

سُمِّيت «أمّ القرآن»، لتقدّمها على سائر سُوَر القرآن غيرها، وتأخُّر ما سواها خلفها في القراءة والكتابة. وذلك من معناها شبيهٌ بمعنى فاتحة الكتاب. وإنّما قيل لها بكونها كذلك «أمّ القرآن»، لتسمية العرب كلّ جامع أمرًا أو مقدّمًا لأمر، إذا كانت له توابع تتبعه، هو لها إمام جامع «أمًّا». فتقول للجلدة الّتي تجمع الدّماغ: «أمّ الرّاس». وتسمّى لواء الجيش ورايتهم الّتي يجتمعون تحتها للجيش «أُمًّا». ومن ذلك قول ذي الرُّمَّة، يصف رايةً معقودة على قناة يجتمع تحتها هو وصحبُه:

وأسْمرُ قَوّامٍ إذَا نَام صُحْبَتِي خَفيفِ الثِّيابِ لا تُوَارِي لَهُ أزْرًا
على رأْسِه أُمٌّ لنا نَقْتَدِي بِها جِماعُ أُمورٍ لا نُعاصي لها أمْرًا
إذا نُزِلَتْ قيل: أنزلوا وإذا غَدَت غَدَت ذات تزريق ننال بها فَخْرًا

يعني بقوله: «على رأسه أُمٌّ لنا»، أي على رأس الرّمح رايةٌ يجتمعون لها في النّزول والرّحيل وعند لقاء العدوّ.

وقد قيل: إنّ مكّة سُمِّيت «أمّ القُرى»، لتقدُّمها أمامَ جميعها، وجَمْعِها ما سواها.

وقيل: إنّما سُمّيت بذلك، لأنّ الأرض دُحِيَت منها فصارت لجميعها أُمًّا. ومن ذلك قول حُميد بن ثَوْر الهلاليّ:

إذا كانت الخمسُونَ أُمَّكَ لَم يَكُن لِدائك إلّا أنْ تَموت طَبِيبُ

لأنّ الخمسين جامعةٌ ما دونها من العدد، فسمّاها أُمًّا للّذي قد بلغها.

وأمّا تأويل اسمها أنّها «السَّبْعُ»، فإنّها سبعُ آيات، لا خلاف بين الجميع من القُرّاء والعلماء في ذلك.

وإنّما اختلفوا في الآي الّتي صارت بها سبع آيات. فقال أعظم أهل الكوفة: صارت سبع آيات بـ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ»، ورُوي ذلك عن جماعة من أصحاب

رسول الله ﷺ والتّابعين.

وقال آخرون: هي سبع آيات، وليس منهنّ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» ، ولكنّ السّابعة ﴿اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وذلك قول أعظم قُرّاء أهل المدينة ومُتَفقهيهم.

قال أبوجعفر: وقد بيّنّا الصّواب من القول عندنا في ذلك في كتابنا: «اللّطيف في أحكام شرائع الإسلام» بوجيز من القول، وسنستقصي بيان ذلك بحكاية أقوال المختلفين فيه من الصّحابة والتّابعين والمتقدّمين والمتأخّرين في كتابنا: «الأكبر في أحكام شرائع الإسلام» إن شاء الله ذلك. وأمّا وصف النّبيّ ﷺ آياتها السّبع بأنّهنّ مَثانٍ، فلأنّها تُثنّى قراءتها في كلّ صلاةٍ وتطوُّعٍ ومكتوبةٍ. وكذلك كان الحسن البَصْريّ يتأوّل ذلك.

١٠ـ حدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا ابن عُلَيَّة، عن أبي رَجاء، قال سألت الحسن عن قوله: ﴿وَلَقَدْ اٰتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْاٰنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: هي فاتحة الكتاب. ثمّ سُئِل عنها وأنا أسمع فقرأها: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتّى أتى على آخرها، فقال: تُثنّى في كلّ قراءة أو قال: في كلّ صلاة، الشّكّ من أبي جعفر الطّبريّ.

والمعنى الذي قلنا في ذلك...[ثمّ استشهد بشعر أبي النّجم العجليّ، كما تقدّم عن أبي عُبَيدة فقال:]

وليس في وجوب اسم «السّبع المثاني» لفاتحة الكتاب ما يدفع صحّة وجوب اسم المثاني للقرآن كلّه، ولمـّا يُثنّى من السُّوَر. لأنّ لكلّ ذلك وجهًا ومعنًى مفهومًا، لا يَفْسُد بتسميته بعض ذلك بالمثاني، تسمية غيره بها. (١: ٤٤ـ٤٩)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اٰتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْاٰنَ الْعَظِيمَ﴾

اختلف أهل التّأويل في معنى السّبع الّذي أتى الله نبيّه ﷺ من المثاني، فقال بعضهم عني بالسّبع: السّبع السُّوَر من أوّل القرآن اللّواتي يُعْرفن بالطُّوَل، وقائلو هذه المقالة مختلفون في

المثاني، فكان بعضهم يقول: المثاني هذه السّبع، وإنّما سُمّينّ بذلك لأنّهنّ تثّني فيهنّ الأمثالُ والخبرُ والعِبَر.

ذكر من قال ذلك:

١١ــ حدّثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يَمان، عن سُفيان، عن يونس، عن ابن سيرين، عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: السّبع الطُّوَل.

١٢ــ حدّثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يَمان، عن سُفيان، عن سعيد الجريريّ، عن رجل، عن ابن عمر قال: السّبع الطُّوَل.

١٣ــ حدّثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يَمان، عن سُفيان، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عبّاس، في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: السّبع الطُّوَل. حدّثنا ابن وَكيع، قال: ثنا أبي، عن سُفيان، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عبّاس، مثله.

١٤ــ حدّثني المثنّى، قال: ثنا عمرو بن عَون، قال: أخبرنا هُشَيم، عن الحَجّاج، عن الوليد بن العَيْزار، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس، قال: هنّ السّبع الطُّوَل، ولم يُعطَهنّ أحد إلّا النّبيّ ﷺ، وأُعطِي موسى منهنّ اثنتين.

١٥ــ حدّثنا ابن وَكيع، وابن حُمَيد، قالا: ثنا جَرير، عن الأعمش، عن مسلم البَطين، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس، قال: أُوتي النّبيّ ﷺ سبعًا من المثاني الطُّوَل، وأُوتي موسى ستًّا، فلمّا ألقى الألواح رفعت اثنتان وبقيت أربع.

١٦ــ حدّثنا الحسن بن محمّد، قال: ثنا عليّ بن عبد الله بن جعفر، قال: ثنا جَرير، عن الأعمش، عن مسلم البَطين، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس، مثله.

١٧ــ حدّثنا ابن وَكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس، في قوله: ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف. قال إسرائيل: وذكر السّابعة فنسيتُها.

١٨ــ حدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هُشَيم، عن أبي بِشْر، عن سعيد بن جُبَير،

في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: هي الطُّوَل: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس.

١٩ـ حدّثنا ابن بَشّار، قال: ثنا محمّد بن جعفر، قال: ثنا شُعبة، عن أبي بِشر، عن سعيد بن جُبَير في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ قال: البقرة، وآل عمران، والنّساء والمائدة والأنعام، والأعراف، ويونس، فيهنّ الفرائض والحدود ... [إلى أن قال:]

٢٠ـ حدّثني يعقوب، قال: ثنا هُشَيم، قال أبو بِشر: أخبرنا عن سعيد بن جُبَير، قال: هنّ السّبع الطُّوَل. قال: وقال مجاهد هنّ السّبع الطُّوَل. قال: ويقال: هنّ القرآن العظيم.

٢١ـ حدّثنا الحسن بن محمّد، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا سعيد، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ قال: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس، تُثنى فيها الأحكام والفرائض.

٢٢ـ حدّثنا الحسن بن محمّد بن الصّباح، قال: ثنا هُشَيم، عن أبي بِشر، عن سعيد بن جُبَير، قال: هنّ السّبع الطُّوَل.

٢٣ـ حدّثنا الحسن بن محمّد، قال: ثنا سعيد بن منصور، قال: ثنا هُشَيم، قال: أخبرنا أبو بِشر، عن سعيد بن جُبَير، في قوله: ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس. قال: قلت: ما المثاني؟ قال: يثنّى فيهنّ القضاء والقَصَص.

٢٤ـ حدّثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جُبَير ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس.

٢٥ـ حدّثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيم، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس، قال: السّبع الطُّوَل... [إلى أن قال:]

٢٦ـ حدّثنا الحسن بن محمّد بن عُبَيد الله، قال: ثنا عبد الملك، عن قيس، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: هي السّبع الطُّوَل.

٢٧ـ حدّثني محمّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدّثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعًا، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ قال: من القرآن السّبع الطُّوَل السّبع الأُوَل...

[إلى أن قال:]

٢٨ـ حدّثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن نُمَير، عن سُفيان، عن عبد الله بن عُثمان بن خُثَيم، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس، قال: هي الأمثال والخَبَر والعِبَر.

٢٩ـ حدّثنا ابن وَكيع، قال: ثنا ابن نُمَير، عن إسماعيل، عن خوّات، عن سعيد بن جُبَير، قال: هي السّبع الطُّوَل، أُعطِيَ موسى ستًّا، وأُعطِيَ محمّد ﷺ سبعًا.

٣٠ـ حُدّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: ثنا عُبَيد، قال. سمعت الضَّحّاك يقول، في قوله: ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ يعني السّبع الطُّوَل.

وقال آخرون: عني بذلك سبع آيات، وقالوا: هنّ آيات فاتحة الكتاب، لأنهنّ سبع آيات، وهم أيضًا مختلفون في معنى المثاني، فقال بعضهم: إنّما سمّين مثاني لأنّهنّ يثنّين في كلّ ركعة من الصّلاة.

ذكر من قال ذلك:

٣١ ـ حدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: أخبرنا ابن عُلَيّة، عن سعيد الجَريري، عن أبي نَضرة، قال: قال رجل منّا يقال له: جابر أو جُوَيبر طلبت إلى عمر حاجة في خلافته، فقدمت المدينة ليلًا فمثلت بين أن أتّخذ منزلًا وبين المسجد، فاخترت المسجد منزلًا فأرقت نشوًا من آخر اللّيل، فإذا إلى جنبي رجل يصلّي يقرأ بأُمّ الكتاب، ثمّ يسبّح قدر السّورة، ثمّ يركع ولا يقرأ، فلم أعرفه حتّى جهَر، فإذا هو عُمر، فكانت في نفسي، فغدوت عليه فقلت: يا أمير المؤمنين حاجة مع حاجة، قال: هات حاجتك، قلت: إنّي قدمت ليلًا فمثلت بين أن

أتّخذ منزلًا وبين المسجد، فاخترت المسجد، فأرقت نَشوًا من آخر اللّيل، فإذا إلى جنبي رجل يقرأ بأُمّ الكتاب، ثمّ يسبّح قدر السّورة ثمّ يركع ولا يقرأ، فلم أعرفه حتّى جَهَر، فإذا هو أنت، وليس كذلك نفعل قبلَنا. قال: وكيف تفعلون؟ قال: يقرأ أحدنا أُمّ الكتاب، ثمّ يفتتح السّورة فيقرؤها، قال: ما لهم يعلَمُون ولا يعمَلُون، ما لهم يعلَمُون ولا يعمَلُون؟ ما لهم يعلَمُون ولا يعمَلُون؟ وما تبغي عن السّبع المثاني، وعن التّسبيح صلاة الخلق.

٣٢ـ حدّثني طُلَيق بن محمّد الواسطيّ، قال: أخبرنا يزيد، عن الجَريريّ، عن أبي نَضْرة، عن جابر أو جُوَيبر، عن عُمر بنحوه، إلّا أنّه قال: فقال: يقرأ القرآن ما تيسّر أحيانًا، ويسبّح أحيانًا، ما لهم رغبة عن فاتحة الكتاب، وما يبتغي بعد المثاني، وصلاة الخلق التّسبيح.

٣٣ـ حدّثنا ابن بَشّار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سُفيان، عن السُّدّيّ، عن عبد خير، عن عليّ، قال: السّبع المثاني: فاتحة الكتاب...[ثمّ ذكر روايات مختلفة، كما تقدّم نحوها آنفًا].

٣٤ـ حدّثني سعيد بن يحيى الأمويّ، قال: ثني أبي، قال: ثنا ابن جُرَيج، قال: أخبرنا أبي، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس، أنّه قال في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: هي فاتحة الكتاب، فقرأها عليّ ستًّا، ثمّ قال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ الآية السّابعة، قال سعيد: وقرأها ابن عبّاس عليّ كما قرأها عليك، ثمّ قال الآية السّابعة: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فقال ابن عبّاس: قد أخرجها الله لكم وما أخرجها لأحد قبلكم.

٣٥ـ حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وَهْب، قال: أخبرني ابن جُرَيج، أنّ أباه حدّثه، عن سعيد بن جُبَير، قال: قال لي ابن عبّاس: فاستفتح بـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، ثمّ قرأ فاتحة الكتاب، ثمّ قال: تدري ما هذا ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾.

٣٦ـ حدّثني محمّد بن سعد، قال: ثَني أبي، قال: ثني عمّي، قال: ثَني أبي، عن أبيه، عن ابن عبّاس، قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ يقول: السّبع: الحمد لله ربّ العالمين، والقرآن العظيم. ويقال: هنّ السّبع الطُّوَل، وهنّ المثون.

٣٧ـ حدّثنا أحمد، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سُفيان، عن ابن جُرَيج، عن أبيه، عن

سعيد بن جُبَير، عن ابن عبّاس، قال: فاتحة الكتاب.

٣٨ـ حدّثني عمران بن موسى القَزّاز، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا إسحاق بن سُوَيد، عن يحيى بن يَعْمَر وعن أبي فاختة في هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قالا: هي أمّ الكتاب.

٣٩ـ حدّثني المثنّى، قال: ثنا وَهْب بن جَرير، قال: ثنا شُعبة، عن السُّدّيّ عمّن سمع عليًّا يقول: الحمد لله ربّ العالمين، هي: السّبع المثاني.

٤٠ـ حدّثنا أبو المثنّى، قال: ثنا محمّد بن جعفر، قال: ثنا شُعبة، قال: سمعت العلاء بن عبدالرّحمان، يحدّث عن أبيه، عن أُبيّ بن كعب، أنّه قال: السّبع المثاني: الحمد لله ربّ العالمين.

٤١ـ حدّثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يَمان، عن أبي جعفر الرّازيّ، عن الرّبيع، عن أبي العالية، في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: فاتحة الكتاب سبع آيات، قلت للرّبيع: إنّهم يقولون: السّبع الطُّوَل، فقال: لقد أنزلت هذه، وما أُنزل من الطُّوَل شيء.

٤٢ـ حدّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثَني حَجّاج، عن أبي جعفر الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: فاتحة الكتاب. قال: وإنّما سُمّيت المثاني لأنّه يُثنّى بها كلّما قرأ القرآن قرأها، فقيل لأبي العالية: إنّ الضّحّاك بن مزاحم يقول: هي السّبع الطُّوَل. فقال: لقد نزلت هذه السّورة سبعًا من المثاني وما أنزل شيء من الطُّوَل.... [إلى أن قال:]

٤٣ـ حدّثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يَمان، وحدّثنا ابن وَكيع، قال: ثنا أبي، وحدّثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد جميعًا، عن هارون بن أبي إبراهيم البربريّ، عن عبد الله بن عُبَيد بن عُمَير، قال: السّبع من المثاني: فاتحة الكتاب.

٤٤ـ حدّثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يَمان، عن ابن جُرَيج، عن أبي مُلَيكة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: فاتحة الكتاب. قال: وذكر فاتحة الكتاب لنبيّكم ﷺ لم تذكر لنبيّ قبله.

٤٥ـ حدّثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن شهر بن حَوْشَب، في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: فاتحة الكتاب.

٤٦ـ حدّثني محمّد بن أبي خِداش، قال: ثنا محمّد بن عُبَيد، قال: ثنا هارون البَربَريّ، عن عبد الله بن عُبَيد بن عُمَير اللَّيثيّ في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: هي الحمد لله ربّ العالمين.

٤٧ـ حدّثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَيّة، عن أبي رَجاء، قال: سألت الحسن، عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: هي فاتحة الكتاب، ثمّ سئل عنها وأنا أسمع، فقرأها: الحمد لله ربّ العالمين، حتّى أتى على آخرها، فقال: تثنّى في كلّ قراءة ... [إلى أن قال:]

٤٨ـ حدّثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ ذكر لنا أنّهنّ فاتحة الكتاب، وأنّهنّ يثنّين في كلّ قراءة.

٤٩ـ حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمّد بن ثور، عن مَعْمَر، عن قَتادة ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: فاتحة الكتاب تُثنّى في كلّ ركعة مكتوبة وتطوّع.

٥٠ـ حدّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حَمّاد بن زيد وحَجّاج، عن ابن جُرَيج، قال: أخبرني أبي عن سعيد بن جُبَير، أنّه أخبره أنّه سأل ابن عبّاس عن السّبع المثاني، فقال: أُمّ القرآن، قال سعيد: ثمّ قرأها، وقرأ منها: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قال أبي: قرأها سعيد كما قرأها ابن عبّاس، وقرأ فيها: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قال سعيد: قلت لابن عبّاس: فما المثاني؟ قال: هي أُمّ القرآن، استثناها الله لمحمّد ﷺ، فرفعها في أُمّ الكتاب، فذخرها لهم حتّى أخرجها لهم، ولم يُعطها لأحد قبله، قال: قلت لأبي: أخبرك سعيد أنّ ابن عبّاس قال له: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، آية من القرآن؟ قال: نعم. قال ابن جُرَيج: قال عطاء: فاتحة الكتاب، وهي سبع بـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، والمثاني: القرآن.

٥١ـ حدّثني المثنّى، قال: ثنا أبو حُذَيفة، قال: ثنا شِبْل، عن ابن أبي نَجيح، عن عطاء، أنّه قال: السّبع المثاني: أُمّ القرآن.

٥٢ـ حدّثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد الله العَتَكيّ، عن خالد الحَنفيّ قاضي مرو في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: فاتحة الكتاب. وقال آخرون: عُنِي بالسّبع المثاني: معاني القرآن.

ذكر من قال ذلك:

٥٣ـ حدّثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الشّهيد الشّهيديّ، قال: ثنا عِتاب بن بَشير، عن خُصَيف، عن زياد بن أبي مريم، في قوله: ﴿سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ قال: أعطيتك سبعة أجزاء: مُرْ، وانْهَ، وبَشِّرْ، وأنذِرْ، واضرِب الأمثال، واعْدُد النِّعَم، وآتيتك نبأ القرآن.

وقال آخرون: من الّذين قالوا عُنِي بالسّبع المثاني فاتحة الكتاب: المثاني هو القرآن العظيم.

ذكر من قال ذلك:

٥٤ـ حدّثنا ابن وَكيع، قال: ثنا عِمران بن عُيَينة، عن حُصَين، عن أبي مالك، قال: القرآن كلّه مثاني.

٥٥ـ حدّثنا ابن وَكيع، قال: ثنا أبي، عن سُفيان، عن حُصَين، عن أبي مالك، قال: القرآن كلّه مثاني.

٥٦ـ حدّثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا عُبَيد أبو زيد، عن حُصَين، عن أبي مالك، قال: القرآن مثاني. و عدّ البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، وبراءة.

٥٧ـ حدّثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرنا مَعْمَر، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، وعن ابن طاوس، عن أبيه، قال: القرآن كلّه يُثْنَى.

٥٨ـ حدّثنا محمّد بن سعد، قال: قال: ثني أبي، قال: ثني عمّي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

ابن عبّاس، قال: المثاني: ما ثنّى من القرآن، ألم تسمع لقول الله تعالى ذكره: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾؟

٥٩ـ حُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: تنا عُبَيد، قال: سمعت الضَّحّاك يقول: المثاني: القرآن، يذكر الله القصّة الواحدة مرارًا، وهو قوله: ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾.

وأولى الأقوال في ذلك بالصّواب، قول من قال: عُنِي بالسّبع المثاني: السّبع اللّواتي هنّ آيات أُمّ الكتاب، لصحّة الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ الّذي حدّثنيه يزيد بن مُخَلّد بن خِداش، الواسطيّ، قال: ثنا خالد بن عبد الله، عن عبد الرّحمان بن إسحاق، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هُرَيرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمّ القُرآن السّبع المثاني الّتي أُعْطيتُها».

٦٠ـ حدّثني أحمد بن المِقْدام العَجَليّ، قال: ثنا يزيد بن زُرَيع، قال: ثنا روح بن القاسم، عن أبيه، عن أبي هُرَيرة، أنّ رسول الله ﷺ قال لأُبيّ: «إنّي أُحِبُّ أن أُعَلِّمَكَ سُورةً لَمْ يَنزل في التّوراة ولا في الإنجيلِ ولا في الزّبورِ ولا في الفُرْقان مثلها، قال: نعم يا رسول الله، قال: إنّي لأرجو أن لا تَخْرُجَ من هذا الباب حتّى تَعْلَمَها، ثمّ أخذ رسول الله ﷺ بيدي يحدّثني، فجعلت أتباطأ مخافة أن يبلغ الباب قبل أن ينقضي الحديث، فلمّا دنوت قلت: يا رسول الله ما السّورة الّتي وعدتني؟ قال: ما تقرأ في الصّلاة؟ فقرأت عليه أُمّ القرآن، فقال: والّذي نفسي بيده ما أُنزل في التّوراة ولا في الإنجيل ولا في الزّبور ولا في الفُرْقان مثلها، أنّها السّبع من المثاني والقرآن العظيم الّذي أُعْطِيتُه».

٦١ـ حدّثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا زيد بن حباب العُكَليّ، قال: ثنا مالك بن أنس، قال: أخبرني العلاء بن عبد الرّحمان بن يعقوب مولى لعُرْوة، عن أبي سعيد مولى عامر بن فلان، أو ابن فلان، عن أُبيّ بن كعب، أنّ رسول الله ﷺ قال له: «إذا افْتَتَحْتَ الصّلاة بِمَ تفتح؟ قال: الحمد لله ربّ العالمين، حتّى ختمها، فقال رسول الله ﷺ: «هي السّبع المثاني والقرآن العظيم الّذي أُعْطيتُ».

٦٢ـ حدّثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو أُسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن العَلاء بن عبد الرّحمان بن يعقوب، عن أبيه، عن أبي هُرَيرة، عن أُبيّ، قال: قال رسول الله ﷺ ألا أُعَلِّمُك سورةً ما أُنزل في التّوراة ولا في الإنجيل ولا في الزّبور، ولا في الفُرْقان مثلها؟ قلت: بلى، قال: إنّي لأرجو أن لا تخرج من ذلك الباب حتّى تعلمها، فقام رسول الله ﷺ وقمت معه، فجعل يحدّثني ويده في يدي، فجعلت أتباطأ كراهيّة أن يخرج قبل أن يخبرني بها، فلمّا قرب من الباب قلت: يا رسول الله السّورة الّتي وعدتني، قال: «كيف تقرأ إذا افتتحْتَ الصّلاة؟ قال: فقرأت فاتحة الكتاب، قال: هي هي، و هي السّبع المثاني الّتي قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الّذي أُوتيتَ».

٦٣ـ حدّثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا المحاربيّ، عن إبراهيم بن الفضل المدنيّ، عن سعيد المَقْبُريّ، عن أبي هُرَيرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: «الرّكعتان اللّتان لا يُقْرأ فيهما كالخِداج لم يُتمَّا، قال رجل: أرأيت إن لم يكن معي إلّا أمّ القرآن؟ قال: هي حسبك هي أمُّ القرآن هي السّبع المثاني».

٦٤ـ حدّثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن نُمَير، عن إبراهيم بن الفضل، عن المَقْبُريّ، عن أبي هُرَيرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الرّكعة الّتي لا يُقْرأ فيها كالخِداج» قلت لأبي هُرَيرة: فإن لم يكن معي إلّا أُمّ القرآن؟ قال: هي حسبك، هي أُمّ الكتاب، وأُمّ القرآن، والسّبع المثاني.

٦٥ـ حدّثني أبو كُرَيب، قال: ثنا خالد بن مُخَلَّد، عن محمّد بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرّحمان، عن أبيه، عن أبي هُرَيرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «والّذي نفسي بيده، ما أنزل الله في التّوراة ولا في الإنجيلِ ولا في الزّبور ولا في الفُرْقانِ مثلها، يعني أُمّ القرآن، وأنّها لهي السّبع المثاني الّتي آتاني الله تعالى».

٦٦ـ حدّثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وَهْب، قال: أخبرني ابن أبي ذِئب، عن سعيد المَقْبُريّ، عن أبي هُرَيرة، عن رسول الله ﷺ قال: «هي أُمُّ القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السّبع المثاني».

٦٧ـ حدّثنا الحسن بن محمّد، قال: ثنا يزيد بن هارون وشبابة، قالا: أخبرنا ابن أبي ذِئب،

عن المَقْبُريّ، عن أبي هُرَيرة، عن النّبيّ ﷺ في فاتحة الكتاب قال: «هي فاتحة الكتاب وهي السّبع المثاني والقرآن العظيم».

٦٨ـ حدّثنا الحسن بن محمّد، قال: ثنا عفّان، قال: ثنا عبد الرّحمان بن إبراهيم، قال: ثنا العلاء، عن أبيه، عن أبي هُرَيرة، قال: مرّ رسول الله ﷺ على أُبيّ بن كعب فقال: «أتُحبّ أن أُعَلِّمك سورةً لم يَنزل في التّوراة ولا في الإنجيل ولا في الزّبور ولا في الفُرْقان مثلها؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: فكيف تقرأ في الصّلاة؟ فقرأت عليه أمّ الكتاب، فقال رسول الله ﷺ: «والّذي نفسي بيده ما أنزلتْ سورةٌ في التّوراة ولا في الإنجيل ولا في الزّبور ولا في الفُرْقان مثلها، وأنّها السّبع المثاني والقرآن العظيم».

٦٩ـ حدّثنا ابن المثنّى، قال: ثنا وَهْب بن جَرير، قال: ثنا سعيد بن حبيب، عن حَفْص بن عاصم، عن أبي سعيد بن المُعَلّى، أنّ النّبيّ ﷺ دعاه وهو يصلّي، فصلّى، ثمّ أتاه فقال: «ما مَنَعَكَ أن تُجيبني؟ قال: إنّي كنت أُصلّي، قال: «ألم يَقُل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ قال: ثمّ قال رسول الله ﷺ: «لأُعلّمنّك أعظم سورة في القرآن، فكأنّه بينها أو نسي، فقلت: يا رسول الله الّذي قلت؟ قال: «الحمد لله ربّ العالمين هي السّبع المثاني والقرآن العظيم الّذي أُوتيتُه».

فإذا كان الصّحيح من التّأويل في ذلك ما قلنا للّذي به استشهدنا، فالواجب أن تكون المثاني مرادًا بها القرآن كلّه، فيكون معنى الكلام: ولقد آتيناك سبع آيات ممّا يَثْني بعض آيه بعضًا. وإذا كان ذلك كذلك كانت المثاني: جمع مَثْناة، وتكون آي القرآن موصوفة بذلك، لأنّ بعضها يَثْني بعضًا، وبعضها يتلو بعضًا بفصول تفصل بينها. فيعرف انقضاء الآية وابتداء الّتي تليها، كما وصفها به تعالى ذكره فقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ وقد يجوز أن يكون معناها كما قال ابن عبّاس والضّحّاك: ومن قال ذلك إنّ القرآن إنّما قيل له مَثاني لأنّ القصص والأخبار كرّرت فيه مرّة بعد أُخرى. وقد ذكرنا قول الحسن البَصْريّ إنّها إنّما سُمّيت مَثاني لأنّها تُثْنَي في كلّ قراءة، وقول ابن

عبّاس: إنّها إنّما سُمِّيت مثاني، لأنّ الله تعالى ذكره استثناها لمحمّد ﷺ دون سائر الأنبياء غيره، فادّخرها له.

وكان بعض أهل العربيّة، يزعم أنّها سُمِّيت مثاني لأنّ فيها الرّحمن الرّحيم مرّتين، وأنّها تُثْنَى في كلّ سورة، يعني: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وأمّا القول الّذي اخترناه في تأويل ذلك، فهو أحد أقوال ابن عبّاس، وهو قول طاوس ومجاهد وأبي مالك، وقد ذكرنا ذلك قبل.

وأمّا قوله: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ فإنّ القرآن معطوف على السّبع، بمعنى: ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن، وغير ذلك من سائر القرآن.

٧٠ـ حدّثني محمّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدّثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا وَرقاء جميعًا، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قال: سائره: يعني سائر القرآن مع السّبع من المثاني.

٧١ـ حُدِّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: ثنا عُبَيد، قال: سمعت الضَّحّاك يقول في قوله: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ يعني: الكتاب كلّه. (١٤: ٥١ـ ٦٠)

الفصل الخامس

نصّ الطّوسيّ (م: ٤٦٠) في «التّبيان في تفسير القرآن»

[معنى السّورة وأساميها]

وأمّا السّورة ـ بغير همز ـ فهي منزلته من منازل الارتفاع، ومن ذلك سُور المدينة سُمّي بذلك الحائط الّذي يحويها لارتفاعه عمّا يحويه غيرأنّ سُور المدينة لم يجمع سورًا، وسورة القرآن تجمع سُوَرًا. وهذه أليق بتسميته سُوَر القرآن سورة. قال النّابغة...[ثمّ ذكر قول النّابغة ومعنى السّورة كما تقدّم نحوه عن الطّبريّ فقال:]

روى واثلة بن الأسقع أنّ النّبيّ ﷺ قال: «أُعطيت مكان التّوراة السّبع الطُّوَل، وأُعطيتُ مكان الزّبور المئين، وأُعطيتُ مكان الإنجيل المثاني، وفُضّلتُ بالمفصّل». فالسّبع الطُّوَل ١ـ البقرة ٢ـ آل عمران ٣ـ النّساء ٤ـ المائدة ٥ـ الأنعام ٦ـ الأعراف ٧ـ ويونس في قول سعيد بن جُبَير.

ورُوي مثل ذلك عن ابن عبّاس قال: وسُمّيت السّبع الطُّوال، لطولها على سائر القرآن.

وأمّا المئون، فهو كلّ سورة تكون مائة آية أو يزيد عليها شيئًا يسيرًا، أو ينقص عنها شيئًا يسيرًا.

وأمّا المثاني، فهي ما ثنّت المئين، فتلاها. فكان المئون لها أوائل، وكان المثاني لها ثوانٍ وقيل: إنّها سُمّيت بذلك، لتثنية الله فيها الأمثال، والحدود، والقرآن، والفرائض وهو قول ابن عبّاس. وقال قوم: المثاني سورة الحمد، لأنّها تثنّى قراءتها في كلّ صلاة، وبه قال الحسن البَصْريّ، وهو

المرويّ في أخبارنا...[ثمّ استشهد بشعر، كما تقدّم عن أبي عُبَيدة، فقال:]

وسُمِّيت المـُفصّل مُفصّلًا، لكثرة الفصول بين سُوَرها بـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وسُمِّي المـُفصّل مُحكمًا، لما قيل: إنّها لم تنسخ. وقال أكثر أهل العلم: أوّل المـُفصّل من سورة محمّد ﷺ إلى سورة النّاس. وقال آخرون: من «قٓ» إلى «النّاس». وقالت فرقة ثالثة ـ وهو المحكيّ عن ابن عبّاس ـ أنّه من سورة «الضّحى» إلى «النّاس». وكان يفصّل من الضّحى بين كلّ سورتين بـ «التّكبير»، وهو قراءة ابن كثير.

وإن قيل: ما وجه الحكمة في تفصيل القرآن على السُّوَر؟

قيل: فيه وجوه من الجواب:

منها: أنّ القارى، إذا خرج من فنّ إلى فنّ كان أحلى في نفسه وأشهى لقراءته.

ومنها: أن جعل الشّيء مع شكله،وما هو أولى به هوالتّرتيب الّذي يعمل عليه.

ومنها: أنّ الإنسان قد يضعف عن حفظ الجميع، فيحفظ سورة تامّة ويقتصر عليها، وقد يكون ذلك سببًا يدعوه إلى غيرها.

ومنها: أنّ التّفصيل أبْيَن، إذ كان الإشكال مع الاختلاط والالتباس أكثر.

ومنها: أنّ كلّما ترقى إليه درجة درجة ومنزلة منزلة كانت القوّة عليه أشدّ، والوصول إليه أسهل وإنّما السّورة منزلة يرتفع منها إلى منزلة. (١: ١٩ـ٢١)

الفصل السّادس

نصّ الزّمخشريّ (م:٥٣٨) في «الكشّاف ...»

[معنى السّورة]

السّورة: الطّائفة من القرآن المترجمة الّتي أقلّها ثلاث آيات . وواوها إن كانت أصلًا، فإمّا أن تسمّى بسورة المدينة وهي حائطها، لأنّها طائفة من القرآن محدودة محوّزة على حيالها، كالبلد المسوّر، أو لأنّها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد، كاحتواء سورة المدينة على ما فيها. وإمّا أن تسمّى بالسّورة الّتي هي الرّتبة. قال النّابغة:

ولرَهْطِ حَرّابٍ وقَدٌّ سورةٌ ... في المَجدِ لَيس غُرابُها بِمُطارِ

لأحد معنيين، لأنّ السُّوَر بمنزلة المنازل والمراتب يترقّى فيها القارئ، وهي أيضًا في أنفسها مترتّبة: طُوال وأوساط وقِصار، أو لرفعة شأنها وجلالة محلّها في الدّين .

وإن جعلت واوها منقلبة عن همزة، فلأنّها قطعة وطائفة من القرآن كالسّورة الّتي هي البقيّة من الشّيء والفُضلة منه.

[فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سُوَرًا]

فإن قلت: ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سُوَرًا ؟

قلت: ليست الفائدة في ذلك واحدة ، ولأمر ما أنزل الله التّوراة والإنجيل والزّبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه على هذا المنهاج مسوّرة مترجمة السُّوَر. وبوّب المصنّفون في كلّ فنّ كُتُبهم

أبوابًا موشّحة الصُّدور بالتّراجم.

ومن فوائده: أنّ الجنس إذا انطوت تحته أنواع، واشتمل على أصناف، كان أحسن وأنبل وأفخم من أن يكون بيانًا واحدًا.

ومنها: أنّ القارئ إذا ختم سورة أو بابًا من الكتاب ثمّ أخذ في آخر كان أنشط له وأهزّ لعطفه، وأبعث على الدّرس والتّحصيل منه لو استمرّ على الكتاب بطوله. ومثله المسافر إذا علم أنّه قطع ميلاً، أو طوى فرسخًا، أو انتهى إلى رأس بريد، نفس ذلك منه ونشطه للسّير. ومن ثمّ جزّأ القُرّاء القرآن أسباعًا وأجزاءً وعشورًا وأخماسًا.

ومنها: أنّ الحافظ إذا حذق السّورة، اعتقد أنّه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلّة بنفسها لها فاتحة وخاتمة، فيعظم عنده ماحفظه، ويجلّ في نفسه ويغتبط به.

ومنه حديث أنس ﵁: «كان الرّجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا ومن ثَمّة كانت القراءة في الصّلاة بسورة تامّة أفضل.

ومنها: أنّ التّفصيل سبب تلاحق الأشكال والنّظائر وملائمة بعضها لبعض، وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النّظم إلى غير ذلك من الفوائد والمنافع. (١: ٢٣-٢٤)

الفصل السّابع

نصّ أبي الفتوح الرّازيّ (م: ٥٤٥) في «رَوض الجِنان و رَوحُ الجَنان»

[معنى السّورة]

اعلم! أنّ السّورة بمعنى منزلةٌ من منازل الشّرف، و الدّليل قول النّابغة ... [كما تقدّم سابقًا في مواضع متعدّدة، فقال:]، أي منزلةٌ من منازل الشّرف. و سمّي حائط البلد سُورًا لأنّه كان طويلًا و رفيعًا. و هذا قول من يعتقد سورة غير مهموز.

و أمّا من يقول: السّورة مهموزًا، فأصله من سؤر الماء، و هو بقيّة الماء في الإناء، و قال العرب: أسأرت في الإناء، إذا أبقيتَ فيه شيئًا...[وذكر شعر الأعشى ثَعلبة، كما تقدّم عن الطّبريّ ثمّ ذكر أسامي السُّوَر ضمن رواية واثلة بن الأسقَع و توضيحها، كما تقدّم نحوها عن الطّبريّ و الطّوسيّ و الطّبرسيّ]. (١: ١٥ـ١٧)

الفصل الثّامن

نصّ الطّبرسيّ (م: ٥٤٨) في «مجمع البيان لعلوم القرآن»

[أقسام السُّوَر وأساميها]

وقد شاع في الخبر عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: أُعطيتُ مكان التّوراة السّبع الطُّوال، ومكان الإنجيل المثاني، ومكان الزّبور المئين، وفُضّلت بالمُفصّل. وفي رواية واثلة بن الأسقع... [وذكر كما تقدّم عن الطّبريّ والطّوسيّ ثمّ قال:]

فالسّبع الطُّوال: البقرة وآل عمران والنّساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال مع التّوبة، لأنّهما يدعيان القرينتين، ولذلك لم يفصل بينهما بـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وقيل: إنّ السّابعة سورة يونس، والطُّوَل جمع الطُّولى تأنيث الأطوَل، وإنّما سُمّيت هذه السُّوَر الطُّوَل لأنّها أطول سُوَر القرآن.

وأمّا المثاني: فهي السُّوَر التّالية للسّبع الطُّوَل، وأوّلها سورة يونس وآخرها النّحل، وإنّما سُمّيت مثاني لأنّها ثنّت الطُّوَل أي: تلتها، وكان الطُّوَل هي المبادي، والمثاني لها ثواني، وواحدها مثنى، مثل المعنى والمعاني. وقال الفرّاء: واحدها المثناة.

وقيل: المثاني سُوَر القرآن كلّها طُوالها وقِصارها، من قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾[1]، وهو قول ابن عبّاس، وإنّما سُمّيت مثاني لأنّه سبحانه ثنّى فيها الأمثال والحدود والفرائض.

١ـ الزّمر / ٢٣.

وقيل: إنّ المثاني في قوله: ﴿لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾[1]، آيات سورة الحمد، وهو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام، وبه قال الحسن البَصْريّ.

وأمّا المئون: فهي كلّ سورة تكون نحوًا من مائة آية أو فُوَيق ذلك، أو دُوَينه، وهي سبع: أوّلها سورة بني إسرائيل، وآخرها المؤمنون. وقيل: إنّ المئين ما ولي السّبع الطُّوَل، ثمّ المثاني بعدها، وهي الّتي تقصر عن المئين، وتزيد على المفصّل، وسُمِّيت المثاني لأنّ المئين مُبادِ لها.

وأمّا المفصّل: فما بعد الحواميم من قصار السُّوَر إلى آخر القرآن، سُمِّيت مفصّلًا لكثرة الفصول بين سُوَرها بـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾. (١: ١٤)

والسّورة غير مهموزة: مأخوذة من سورة البناء. وكلّ منزلة رفيعة فهي سورة، ومنه قول النّابغة ... [وذكر كما تقدّم عن أبي عُبَيدة ثمّ قال:] . فكلّ سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة، ومَنزل عالٍ رفيعٍ، يرتفع القارئ منها إلى منزلة أُخرى إلى أن يستكمل القرآن. وقيل: السّورة مهموزة... [وذكر كما تقدّم عن الطّبريّ]. (١: ٦١-٦٢)

السّورة: جملة مُنَزَّلة، محيطة بآيات الله كإحاطة سُور البناء بالبناء. (٣: ١٠٩)

السّورة: مأخوذة من سُور البناء وهو ارتفاعه. وقيل: هو ساق من أسواقه، فعلى القول الأوّل يكون تسميتها بذلك لارتفاعها في النّفوس. وعلى القول الثّاني يكون تسميتها بذلك لأنّها قطعة من القرآن. وقيل: إنّ السّورة المُنزلة الشّريفة والجلالة، قال النّابغة... [وذكر كما تقدّم عن الطّبريّ والطَّبرسيّ].

وقيل: اشتقاقها من أسارت، إذا أبقيت في الإناء بقيّة... (٤: ١٢٣)

عن سعيد بن المُسَيّب، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: سألت النّبيّ صلى الله عليه وآله عن ثواب القرآن، فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت ... قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: «جميع سُوَر القرآن: مائة وأربع عشرة سورة، وجميع آيات القرآن: ستّة آلاف ومائتان وستّ وثلاثون آية، وجميع

---

[1] - الحجر / ٨٧.

حروف القرآن: ثلاثمائة ألف حرف واحد وعشرون ألف حرف ومائتان وخمسون حرفًا، لايرغب في تعلّم القرآن إلّا السُّعَداء، ولايتعهّد قراءته إلّا أولياء الرّحمان». (٥: ٤٠٦)

[أسماء سورة فاتحة الكتاب]

[١] ـ فاتحة الكتاب: سُمِّيت بذلك، لافتتاح المصاحف بكتابتها، ولوجوب قراءتها في الصّلاة، فهي فاتحة لما يتلوها من سُوَرالقرآن في الكتاب والقراءة.

[٢] ـ الحَمْد: سُمِّيت بذلك، لأنّ فيها ذكر الحَمْد.

[٣] ـ أُمّ الكتاب: سُمِّيت بذلك، لأنّها متقدّمة على سائرسُوَرالقرآن، والعرب تُسَمّي كلّ جامع أمر أومتقدّم لأمرـ إذا كانت له توابع تتبّعه ـ أُمًّا، فيقولون: أُمّ الرّاس للجلدة الّتي تجمع الدّماغ، وأُمّ القرى، لأنّ الأرض دُحيت من تحت مكّة، فصارت لجميعها أُمًّا.

وقيل: لأنّها أشرف البلدان فهي متقدّمة على سائرها.

وقيل: سُمِّيت بذلك لأنّها أصل القرآن. والأُمّ:هي الأصل،وإنّما صارت أصل القرآن لأنّ الله تعالى أودعها مجموع ما في السُّوَر،لأنّ فيها إثبات الرّبوبيّة والعبوديّة، وهذا هو المقصود بالقرآن.

[٤] ـ السّبع: سُمِّيت بذلك، لأنّها سبع آيات لا خلاف في جملتها.

[٥] ـ المثاني: سُمِّيت بذلك، لأنّها تُثَنّى بقراءتها في كلّ صلاة فرض ونفل. وقيل: لأنّها نزلت مرّتين، هذه أسماؤها المشهورة. وقد ذكر في أسمائها:

[٦] ـ الوافية: لأنّها لاتنتصف في الصّلاة.

[٧] ـ الكافية: لأنّها تكفي عمّا سواها، ولايكفي ماسواها عنها، ويؤيّد ذلك ما رواه عُبَادَة بن الصّامت عن النّبيّ ﷺ: أُمّ القرآن عِوَضٌ عن غيرها، وليس غيرها عِوَضًا عنها.

[٨] ـ الأساس: لما روي عن ابن عبّاس: «إنّ لكلّ شيء أساسًا، وساق الحديث إلى أن

قال: وأساس القرآن الفاتحة، وأساس الفاتحة ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

[٩]ـ الشّفاء: لما رُوي عن النّبيّ ﷺ: فاتحة الكتاب شفاءٌ من كلّ داء.

[١٠]ـ الصّلاة: لما رُوي عن النّبيّ ﷺ: قال: قال الله تعالى: قُسمت الصّلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي، فإذا قال العبد: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول الله: حَمَدني عبدي. فإذا قال: ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يقول الله: أثنى عليّ عبدي. فإذا قال العبد: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول الله: مَجَدني عبدي. فإذا قال: ﴿اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقول الله: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخره، قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل، أورده مسلم بن الحَجّاج في الصّحيح، فهذه عشرة أسماء. (١: ١٧)

الفصل التّاسع

نصّ الشّهرستانيّ (م: ٥٤٨) في «مفاتيح الأسرار...»

[أقسام السُّوَر]

من كتاب «الاستغناء في سُوَر القرآن»[1] عن أبي عبدالله الحسين بن أحمد الرّازيّ: السّبع الطُّوَل[2]: البقرة، آل عمران، النّساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، و سابعها الأنفال فالتّوبة.

و السّبع المثاني: و هي سبع سُوَر أوّلها سورة يونس، و آخرها النّحل: يونس، هود، يوسف، الرّعد، إبراهيم، الحِجر، النَّحل، و كأنّ السّبع الطُّوَل هي المبادي في القرآن العظيم، والسّبع المثاني هي الّتي تتلوها في الطّول و المعاني، و قيل: السّبع المثاني هي فاتحة الكتاب، لأنّها تثنّي في كلّ صلاة، و لأنّ المثاني من حيث المعاني في طيّها و ضمنها كما سيأتي.

السّبع المئون: أوّلها سورة بني إسرائيل، و آخرها سورة المؤمنين: بنوإسرائيل، الكهف، مريم، طه، الأنبياء، الحجّ، المؤمنون[3]. يقال لها: المئون لأنّ كلّ سورة منها مائة آية أو نحوها، و هي تتلوالمثاني.

المفصّل: سمّي مفصّلًا لأنّها سُوَر قِصار لقُرْب تفصيل سورة عن سورة، و هو معروف. وقيل: سمّي مفصّلًا لما فيها من البيان و التّفصيل، و الأوّل أصحّ، لأنّ المفصّل ليس بأكثر بيانًا

١- يبدو أنّه كتاب الاستغناء المعروف المسمّى: الاستغناء في علم القرآن، كما يسمّى: تفسير الأدفويّ مؤلّفه محمّد بن أحمد المقرئ النّحويّ المتوفّى سنة ٣٨٨ هـ. ألّفه في ١٢٠ مجلّدًا، و صنّفه في ١٢ سنة، كشف الظّنون ١: ٧٩ و ٤٤١.

٢- الطُّوَل: جمعًا طولى، تأنيث الأطول، و إنّما سمّيت بذلك لأنّها أطول سُوَر القرآن. مجمع البيان ١: ١٤.

٣- مجمع البيان، المقدّمة ١: ١٤.

و تفصيلًا من الآخر.

و من كتاب «المختار في القراءات» ،عن أبي بكر محمّد بن موسى الصّيدلانيّ:السّبعُ الطّوَل سبع سُوَر: البقرة، آل عمران، النّساء، الأعراف، الأنعام، المائدة، يونس،قال أبوعُبَيْدة: والأنفال من المثاني، و هي من أوائل مانزل بالمدينة، و يونس نزلت بمكّة[١].

والمئون إحدى عشرة سورة: براءة، النّحل، هود، يوسف، الكهف، بنوإسرئيل، الأنبياء، طه، قد أفلح، الشّعراء، الصّافّات.

والمثاني عشرون سورة: الأحزاب، الحجّ، النّمل، القصص، النّور، الأنفال، مريم، العنكبوت، الرّوم، يس، الحِجْر، الرّعد، الفرقان، سبأ، الملائكة، إبراهيم، ص، سورة محمّد، لقمان، الزُّمَر.

و الحواميم سبع سُور: المؤمن، الزُّخْرُف، حم السّجدة، حم عسق، الدّخان، الأحقاف، الجاثية . و الممتحنة أربع عسرة سورة: الفتح، الحديد، الحشر، الم السّجدة، ق، الطّلاق، الحجرات، تبارك، التّغابن، المنافقون، الصّفّ، الجنّ، نوح، المجادلة .

و المفصّل هي ما في السُّوَر تسع و أربعون سورة، قد عدّها.و في كتاب «الاستغناء» عن رسول الله ﷺ: «أعطيتُ السّبع الطُّوَل مكان التّوراة، وأُعطيتُ المئينَ مكانَ الإنجيل،وأعطيتُ المثاني مكانَ الزّبور، وفُضّلت بالمفصّل» [٢] .وعن سعيد بن جُبَيْر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اٰتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِى﴾ قال: هي السّبع الطُّوال: البقرة، وآل عمران، والنّساء، و المائدة، والأنعام، الأعراف،ويونس تسمّى لسّابعة [٣] .وعن يحيي بن الحارث الدّيناريّ مثل ذلك، و زاد: ليست تُعدّ الأنفال و لا براءة من السّبع الطُّوال. (١٤٠ـ ١٤١)

١ـ الإتقان ١: ٦٥.

٢ ـ و ذكرت هذه الرّواية بألفاظ مختلفة، راجع: الإتقان ١: ٥٨، و مجمع البيان، المقدّمة ١: ١٤، البحار ٨٩: ٢٧.

٣ ـ و قيل أيضًا : إنّ المثاني في الآية سورة الحمد، قال الطّبرسيّ، و هو المرويّ عن أئمّتنا. مجمع البيان ١: ١٤.

الفصل العاشر

نصّ السَّخاويّ (م: ٦٢٣) في «جمال القُرّاء و كمال الإقراء»

أسامي السُّوَر

تسمّى فاتحة الكتاب أيضًا «المثاني»[١]، فهو اسم مشترك و تسمّى سورة الحمد «أُمّ الكتاب»[٢]. وفاتحة الكتاب سُمّيت «أمّ الكتاب» لأنّ أُمّ كلّ شيء أصله، و لمّا كانت مقدّمة الكتاب العزيز، فكانت كأنّها أصله، قيل لها: «أُمّ الكتاب» و«أُمّ القرآن».

وسمّيت الفاتحة لأنّ القرآن العزيز افتتح بها[٣]. ومن قال إنّها أوّل ما نزل، قال: سُمّيت فاتحة الكتاب لأنّ الوحي افتتح بها، وروى أبو هُريرة وأُبيّ بن كعب: أنّ النّبيّ ﷺ قال: «هي أُمّ القرآن، و هي السّبع المثاني، و هي فاتحة الكتاب»[٤].

و سمّيت «السّبع المثاني» لأنّها تُثنّي في كلّ ركعة[٥]، و قيل: لأنّها نزلت بمكّة ثمّ ثُنّيَتْ فنزلت بالمدينة، و قيل: لأنّ الله عزّ وجلّ استثناها لهذه الأمّة و ذخرها لها ممّا أنزله على غيرها.

و منع أنس و ابن سيرين أن تسمّى «أمّ الكتاب»، و «أمّ القرآن»، قالا: لأنّ ذلك اسم

١ـ انظر: تفسير الطّبريّ ١: ٤٧، و غرائب القرآن ١: ٣١.

٢ـ تفسير الطّبريّ ١: ٤٧.

٣ـ المصدر السّابق.

٤ـ المصدر السّابق، بإسناده إلى أبي هريرة.

٥ـ السّابق أيضًا ١: ٤٨ و فيه: «وكان الحسن البصريّ يتأوّل ذلك».

اللّوح المحفوظ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا﴾. والحديث يردّ ما قالا، و قد تكون الأسماء مشتركة.

فإن قيل: فما فائدة نزولها مرّة ثانية؟ قلت: يجوز أن تكون نزلت أوّل مرّة على حرف واحد، و نزلت في الثّانية ببقيّة وجوهها، نحو: «مَلِك»، و «مالِك»، و «السّراط» و «الصّراط»، و نحو ذلك.

و في القرآن العزيز السّبع الطُّوَل: البقرة، و آل عمران و النّساء، و المائدة، و الأنعام، و الأعراف، و يونس[1]، و قيل: براءة[2]، و قد توهّم عُثمان رضي الله عنه أنّ الأنفال و براءة سورة واحدة، فلذلك وضعها في السّبع الطُّوَل، و لم يكتب بينهما البَسْملة[3]. و كانتا تدعيان في زمن رسول الله صلّى الله عليه و آله القرينتين.

و الطُّوَل: جمع طُولى، و الطُّولى: تأنيث الأطْوَل[4]. و عن النّبيّ صلّى الله عليه و آله: «أعطاني ربّي مكان التّوراة السّبع الطُّول، و مكان الإنجيل المثاني»[5]، و هي السُّوَر الّتي ثنّيت فيها القصص[6].

و في القرآن «المئون»[7]، و هو ما بلغ مائة آية أو ما قرب من ذلك[8].

و في القرآن «المفصّل» ... [و ذكر رواية عن النّبيّ صلّى الله عليه و آله، كما تقدّم عن الطّبريّ الرّقم ١ و ٢، ثمّ قال:]

١ـ و هذا في قول سعيد بن جُبَير. انظر: تفسير الطّبريّ ١: ٤٥.

٢ـ في غرائب القرآن ١: ٣١: «البقرة، و آل عمران، و النّساء، و المائدة، و الأنعام، و الأعراف، و الأنفال مع التّوبة».

٣ـ انظر: تفسير الطّبريّ ١: ٤٥.

٤ـ انظر: اللّسان (طول ١١: ٤١٠).

٥ـ تفسير الطّبريّ ١: ٤٥، و فيه الحديث مسندًا.

٦ـ المثاني سبع سُوَر تتلو السّبع الطُّوَل. في غرائب القرآن ١: ٣١: «لأنّها تَتْلو الطُّوَل، أي تلتها، واحدها مثنى، مثل: معنى و معانٍ. و قد يكون المثاني سُوَر القرآن كلّها طُوالها و قِصارها، من قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾».

٧ـ و هي سبع، أوّلها سورة بني إسرائيل و آخرها سورة المؤمنون، لأنّ كلّ سورة منها نحو مائة آية. انظر: غرائب التّفسير ١: ٣١.

٨ـ تفسير الطّبريّ ١: ٤٥.

و سمّي المفصّل بذلك لكثرة انفصال بعضه من بعض، و يسمّى المفصّل أيضًا: المحكم؛ لأنّه لم ينسخ منه شيء.

و أوّل المفصّل سورة الحجرات، وقيل: سورة قٓ. و عن ابن عبّاس: أوّله سورة «والضّحى»؛ لأنّه يُفصل من تلك السّورة بين كلّ سورتين بالتّكبير.

و عن زِرّ بن حُبَيْش: قرأت القرآن كلّه في المسجد الجامع بالكوفة على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (رضوان الله عليه)، فلمّا بلغتُ الحواميم، قال لي أمير المؤمنين: يا زِرُّ قد بلغتَ عرائس القرآن[1].

و قال بعض الأئمّة من السّلف (رضي الله عنهم): في القرآن ميادين و بساتين و مقاصير وعرائس و دبابيج و رياض، فميادين القرآن ما افتتح بـ «الٓمٓ»، و بساتينه المفتتح بـ «الٓر»، ومقاصيره الحامدات، و عرائسه المسبّحات، و دبابيجه الـ «حمٓ»، و رياضه المفصّل. و قالوا: الطّواسين، و الطّواسيم، و الـ «حمٓ» و الحواميم، و أنشد أبو عُبَيدة:

و بالطّواسين الّتي قد ثُلِّثَتْ و بالحواميم الّتي قد سُبِّعَتْ[2]

ألقاب سُوَر القرآن

البقرة، وآل عمران، و النّساء، و تسمّى سورة العُقود بالعُقود و بالمائدة[3]، والأنعام، و الأعراف، و الأنفال و براءة، وكانوا يسمّونهما القرينتين.

و تسمّى سورة براءة سورة العذاب؛ قال حُذَيفة[4] ﵁: «إنّكم تسمّونها سورة التّوبة، و إنّما

---

١ ـ غرائب القرآن، للنّيسابوريّ ١: ٣٢.

٢ ـ أنشد هذا الرّجز أبو عُبيدة في مجاز القرآن ١: ٧، و الرّواية فيه «و بالطّواسيم» و أنشدهُ برواية «الطّواسين» كلّ من الطّبريّ في تفسيره ١: ٤٦، و النّيسابوريّ في غرائب القرآن ١: ٣١.

٣ ـ انظر: البرهان في علوم القرآن ١: ٢٦٩.

٤ ـ نفس المصدر.

إنّما هي سورة العذاب، و الله ما تركت أحدًا إلّا نالت منه». و تسمّى المُقَشْقِشَة[1]؛ لأنّها تقشقش من النّفاق، أي تُبرئ منه. و تسمّى المُبَعْثِرَة؛ لأنّها بعثرت عن أسرار المنافقين، و الحافِرَة؛ لأنّها حفرت عن أسرارهم. و المُخْزِيَة، و الفاضحَة[2] و المُنَكِّلَة، و المُدَمِّرَة و المُشَرِّدَة، و سورة التّوبة؛ لقوله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِىِّ﴾[3] إلى قصّة كعب بن مالك، و مرارة بن الرّبيع، و هلال بن أُميّة.

و سورة يونس و سورة هود. و إنّما سُمِّيت به دون من ذكر فيها من الأنبياء لخفّة اسمه، و لم يقل: سورة نوح؛ لأنّ السّورة الأُخرى تسمّى سورة نوح، و لم يقل سورة لوط؛ لأنّ قصّته لم ينفرد بها دون إبراهيم.

و سورة يوسف و سورة الرّعد، و سورة إبراهيم و سورة الحِجر.

و سورة النّحل تسمّى «سورة النِّعَم و سورة النّعيم»[4].

و سبحان تسمّى« سورة الإسراء و سورة بني إسرائيل»[5].

وسورة الكهف، و كهيعص تسمّى« سورة مريم».

و طه تسمّى «سورة الكليم».

و سورة اقترب تسمّى«سورة الأنبياء عليهم السلام».

و سورة الحجّ، وسورة قد أفلح تسمّى «سورة المؤمنون».

و سورة النّور، و سورة الفرقان، و طسم تسمّى «سورة الشّعراء».

و طس تسمّى «سورة النّمل، و سورة سليمان».

١ـ في البرهان ١: ٢٦٩ (المُتَقَشْقِة).

٢ـ انظر: صحيح مسلم ٥: ٥٤.

٣ـ التّوبة/١١٧.

٤ـ انظر: البرهان في علوم القرآن ١: ٢٦٩.

٥ـ انظر: مجمع البيان ٦: ٦٠٧.

و طسمّ تسمّى «سورة القصص».

و الٓمّ أحسب النّاس تسمّى «سورة العنكبوت».

و الٓمّ غُلِبَت الرُّوم تسمّى «سورة الرّوم».

و السّورة الّتي بعدها تسمّى سورة لقمان، و بعدها السّجدة، و بعدها الأحزاب، و بعدها سورة سبأ، و بعدها فاطر تسمّى «سورة الملائكة». و بعدها يسٓ، و هي قلب القرآن. و قال ﷺ: «و قلب القرآن يسٓ»[1].

و بعدها و الصّافّات، و سورة ص تسمّى «سورة داود عليه السلام».

و سورة الزُّمَر تسمّى «سورة الغُرَف».

و سورة غافر تسمّى «سورة المؤمن».

و حمٓ السَّجدة، و تسمّى فصّلت، و تسمّى أيضًا «سورة المصابيح».

و حمٓعسقٓ، و تسمّى «سورة الشّورى».

و يليها الزُّخرف، ثمّ الدُّخان، ثمّ الجاثية و تسمّى «الشّريعة»[2].

ثمّ الأحقاف، ثمّ سورة محمّد ﷺ و تسمّى «سورة القتال»[3].

ثمّ سورة الفتح، ثمّ الحجرات، ثمّ سورة قٓ، و يقال لها: «سورة الباسقات».

ثمّ الذّاريات، ثمّ الطّور، ثمّ النّجم، ثمّ اقتربت السّاعة و تسمّى «سورة القمر».

ثمّ سورة الرّحمن عزّ و جلّ، ثمّ الواقعة، ثمّ الحديد، ثمّ المجادلة، ثمّ الحشر، ثمّ سورة المتحنة ـ بفتح الحاء ـ و الممتحنة سُبَيْعة بنت الحارث، و تسمّى أيضًا سورة المودّة، و سورة الامتحان.

ثمّ سورة الصّفّ، و تسمّى سورة الحواريّين.

ثمّ سورة الجمعة، ثمّ سورة المنافقين، ثمّ سورة التّغابن، ثمّ سورة الطّلاق، و تسمّى «سورة

---

١ ـ انظر: مجمع البيان ٨: ٦٤٦.

٢ ـ انظر: البرهان في علوم القرآن ١: ٢٦٩.

٣ ـ المصدر السّابق.

النّساء القُصْرى»[١]. ثمّ سورة التّحريم و تسمّى أيضًا« سورة النّبيّ ﷺ».

ثمّ تبارك وتسمّى«المـُلْك» و«الواقية» و «المُنْجية»[٢]و «المانعة» و «المنّاعة».

ثمّ سورة نٓ وتسمّى «سورة القلم»، ثمّ الحاقّة، ثمّ سأل سائلٌ و يقال لها: «سورة الواقع».

و سورة المعارج، ثمّ سورة نوح عليه السلام، ثمّ قل أُوحِـي و تـسمّى «سـورة الجـنّ» و «سـورة الوحي».

ثمّ سورة المزّمّل، ثمّ سورة المدّثّر، ثمّ سورة لا أُقْسِمُ وتسمّى «سورة القيامة».

ثمّ هل أتى وتسمّى«سورة الإنسان»[٣].

ثمّ المرسلات، ثمّ عمّ يتسائلون وتسمّى «سورة النّبأ» و «سورة التّساؤل»[٤].

ثمّ النّازعات وتسمّى «سورة السّاهرة» و« سورة الطّامّة».

ثمّ عبس وتسمّى«سورة السَّفَرة»[٥].

ثمّ إذا الشّمس كُوِّرَتْ، ويقال لها: «سورة التّكوير»، وتسمّى أيضًا كُوِّرت .

ثمّ إذا السّماء انفطرت ويقال لها: سورة الانفطار[٦]، و تسمّى أيضًا انفطرت.

ثمّ المطفّفين و تسمّى «سورة التّطفيف»[٧].

ثمّ إذا السّماء انشقّت، و يقال لها: سورة الانشقاق، و يقال لها أيضًا: انشقّت.

١ـ انظر: مجمع البيان ٩: ٤٥٤.

٢ـ انظر: مجمع البيان ٩: ٤٨١، و فيه: «و تسمّى سورة المنجية، لأنّها تنجي صاحبها من عذاب القبر، و تسمّى الواقية، لما روي عن النّبيّ ﷺ أنّها تنجي صاحبها من عذاب القبر.

٣- في مجمع البيان ١٠: ٦٠٨: «و تسمّى سورة الدّهر، و تسمّى سورة الأبرار، و منهم مَن يسمّيها بفاتحتها».

٤- في مجمع البيان ١٠: ٦٣٧، «و تسمّى سورة النّبأ، و سورة المعصرات، و منهم من يقول: سورة التّساؤل».

٥- مجمع البيان ١٠: ٦٦١.

٦ـ المصدر السّابق ١٠: ٦٧٩.

٧- المصدر السّابق ١٠: ٦٨٥.

ثمّ سورة البروج، ثمّ سورة الطّارق، ثمّ سورة الأعلى، ثمّ سورة الغاشية، ثمّ سورة والفجر، ثمّ سورة البلد، ثمّ سورة والشّمس، ثمّ سورة واللّيل، ثمّ سورة والضّحى، ثمّ ألم نشرح، ثمّ سورة والتّين، ثمّ سورة اقرأ وتسمّى «سورة العَلَق»، و سورة القلم.

ثمّ سورة القَدْر، ثمّ لم يكن، و تسمّى سورة البريّة و البيّنة و القيّمة و الانفكاك.

ثمّ إذا زُلزِلَت وتسمّى «سورة الزّلزلة و الزّلزال»، و يقال لها أيضًا: زُلْزِلَتْ.

ثمّ والعاديات، ثمّ القارعة، ثمّ ألهاكم، وتسمّى سورة التّكاثر.

ثمّ العصر، ثمّ الهُمَزة ثمّ سورة الفيل، ثمّ سورة قريش، و هما سورتان. و عن جعفر الصّادق[1] و أبي نَهْيك[2] أنّ ذلك «سورةٌ واحدةٌ من غير فصل»[3].

ثمّ أرأيت وتسمّى «سورة الدّين»، و «سورة الماعون».

ثمّ سورة إنّا أعطيناك وتسمّى «سورة الكوثر».

ثمّ قُل يا أيّها الكافرون ويقال لها: الكافرون و يقال: «سورة الكافرون»، و يقال لها أيضًا: «سورة العبادة».

ثمّ سورة النّصر وتسمّى «سورة التّوْديع»، لما فيها من الإيماء إلى وفاة رسول الله ﷺ.

ثمّ سورة تَبَّتْ وتسمّى سورة المَسَد.

ثمّ قل هو الله أحد وتسمّى «سورة الإخلاص» و «سورة الأساس»[4]، لاشتمالها على توحيد الله عَزَّ و جَلَّ، و هو أساس الدّين.

١ـ جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الصّادق، أبو عبدالله، قرأ على آبائه رضوان الله عليهم محمّد الباقر، فزين العابدين، فالحسين، فعليّ (رضي الله عنهم أجمعين). قرأ عليه حمزة، توفّي سنة ١٤٨ هـ (غاية النّهاية ١: ١٩٦ ـ ١٩٧).

٢ـ علباء بن أحمر، أبو نَهيك اليَشكُريّ الخراسانيّ، عرض على شهر بن حوشب وعِكْرِمة، وروى عنه داود بن الفرات. (غاية النّهاية ١: ٥١٥).

٣ـ انظر: مجمع البيان ١٠: ٨٢٧، بإسناده إلى الصّادق عليه السلام و إلى ابن عبّاس.

٤ـ انظر: مجمع البيان ١٠: ٨٥٤.

ثمّ سورة الفلَق، ثمّ سورة النّاس، و يقال لهما: «المعوّذتان»، و «المُشَقْشِقَتان»، من قولهم: شَقْشَقَ البعير، إذا هدر، و شَقْشَق العصفور، وخطيب مُشَقْشِقٌ، و خطيبٌ ذو شقشقة. والشّقشقة: الّتي يخرجها البعير من فيه إذا هاج كالرّئة، شُبّه الخطيب بالفَحْل [1].

و هاتان سورتان من القرآن بإجماع الأُمّة. ويُروى عن ابن مسعود: أنّه كان يحكّهما من المصاحف، و يقول: «لاتزيدوا في كتاب الله ما ليس منه».

فإن كان هذا صحيحًا عنه، فسببه أنّه رأى رسول الله ﷺ يعوّذ بهما سِبْطَيه، فظنّهما عُوذتان، و المسلمون كلّهم على خلاف ذلك. ومثل هذا ما حكي عن أُبيّ أنّه زاد في مُصْحَفه سورتين، إحداهما تسمّى سورة الخَلْع...[ثمّ ذكر متن هذين السّورتين كما تقدّم في ج ٥ من هذا الكتاب باب « مصاحف الصّحابة»، فقال:] فهذا أيضًا ممّا أجمع المسلمون على خلافه.

معاني السّورة

و «السّورة» في اللّغة: الرّفعة و الاعتلاء ...[وذكر شعر النّابغة كما تقدّم عن أبي عُبَيدة، فقال:] أي منزلةً و مرتبةً عاليةً لاينالها مَلْكٌ. و قال عديّ:

نَماني و أنماني إلى السُّور و العُلَى أبٌ كان أبّاءَ الدّنيّة بارِعَا

ويقال: ساوره، أي واثبه؛ لأنّ كلّ واحدٍ منهما طلب أن يعلو الآخر. و سورة الغَضَب من ذلك؛ لأنّ الغضبان يريد أن يرتفع و يعلو...[ثمّ ذكر قول أبي عُبَيدة كما تقدّم عنه].

قلت: بل يجوز أن يكون السُّؤرة ـ بالهمز ـ بمعنى السُّورة بغير هَمْزٍ، و إنّما همزها مَنْ هَمَز لمجاورة الواو الضّمّة، كما قيل: السّؤق في السُّوق، فتكون السُّورة سُمّيتْ بذلك لرفعتها و عُلُوّ شأنها، أو لأنّها رِفعة و مرتبة لمن أُنزِلَتْ عليه ﷺ. (۱: ۱۷٦ـ۱۸۸)

١ ـ انظر: (اللّسان: شقق ١٠: ١٨٥).

الفصل الحادي عشر

نصّ الزّركشيّ (م: ٧٩٤) في «البرهان في علوم القرآن»

[في بيان لفظ السّورة لغةً واصطلاحًا]

[أمّا في اللّغة:]

قال القُتَيبيّ: السّورة تهمز ولا تهمز، فمَن هَمَزها جعلها من «أسأرتُ» أي أفضلتُ من السُّؤر، وهو ما بقي من الشّراب في الإناء، كأنّها قطعة من القرآن ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدّم، وسهّل همزتها.

ومنهم من شبّهها بسُور البناء، أي القطعة منه، أي منزلةً بعد منزلة.

وقيل: من سُور المدينة، لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسُّور ومنه السِّوار لإحاطته بالسّاعد، وعلى هذا فالواو أصليّة.

ويحتمل أن تكون من السّورة بمعنى المرتبة؛ لأنّ الآيات مرتّبة في كلّ سورة ترتيبًا مناسبًا، وفي ذلك حجّة لمن تتبّع الآيات بالمناسبات.

وقال ابن جِنّيّ في «شرح منهوكة أبي نؤاس»: إنّما سُمِّيت سورة لإرتفاع قدرها؛ لأنّها كلام الله تعالى، وفيها معرفة الحلال والحرام، ومنه رجل سَوّار أي مُعَرْبَد؛ لأنّه يعلو بفعله ويشتطّ. ويقال: أصلها من السَّوْرة، وهي الوَثْبة؛ تقول: سُرْتُ إليه وثرتُ إليه. وجمع سُورة القرآن سُوَر بفتح الواو وجمع سُورة البناء سُوْر بسكونها.

وقيل: هو بمعنى العُلوّ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾[١]، نزلوا عليه من عُلوّ فسُمّيت القراءة به لتركّب بعضها على بعض.

وقيل: لعُلوّ شأنه وشأن قارئه. ثمّ كَرِه بعضهم أن يقال: سورة كذا، والصّحيح جوازه، ومنه قول ابن مسعود: هذا مقام الّذي أُنزلت عليه سورة البقرة.

وأمّا في الاصطلاح:

فقال الجَعْبَريّ: حدّ السّورة: قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلّها ثلاث آيات.

فإن قيل: فما الحكمة في تقطيع القرآن سُوَرًا؟

قلت: هي الحكمة في تقطيع السُّوَر آيات معدودات؛ لكلّ آية حدٌّ ومطلعٌ، حتّى تكون كلّ سورة بل كلّ آية فنًّا مستقلًّا وقرآنًا معتبرًا، وفي تسوير السّورة تحقيق لكون السّورة بمجرّدها معجزة وآية من آيات الله تعالى.

وسُوِّرت السُّوَر طِوالًا وقِصارًا وأوساطًا تنبيهًا على أنّ الطُّول ليس من شرط الإعجاز، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهي معجزةٌ إعجاز سورة البقرة. ثمّ ظهرت لذلك حكمة في التّعليم وتدريج الأطفال من السُّوَر القصار إلى ما فوقها يسيرًا يسيرًا، تيسيرًا من الله على عباده لحفظ كتابه، فترى الطّفل يفرح بإتمام السّورة فرح من حصل على حدٍّ معتبر. وكذلك المُطيل في التّلاوة يرتاح عند ختم كلّ سورة ارتياحَ المسافر إلى قطع المراحل المسمّاة مرحلة بعد مرحلة أُخرى إلى أنّ كلّ سورة نمط مستقلّ، فسورة يوسف تترجم عن قصّته وسورة براءة تترجم عن أحوال المنافقين وكامن أسرارهم، وغير ذلك.

فإن قلت: فهلّا كانت الكتب السّالفة كذلك؟

قلت: لوجهين؛ أحدهما ـ أنّها لم تكن معجزات من ناحية النّظم والتّرتيب. والآخر ـ أنّها

١ـ ص/ ٢١.

لم تيسّر للحفظ...[ثمّ ذكر فائدة تسوير القرآن، كما تقدّم عن الزّمخشريّ]. (١: ٢٦٣-٢٦٥)

[تعدّد أسماء السُّوَر]

قد يكون للسّورة اسم وهو كثير، وقد يكون لها اسمان، كسورة البقرة يقال لها: فُسطاط القرآن، لعِظَمها وبهائها، وآل عمران يقال: اسمها في التّوراة طيّبة، حكاه النّقّاش، والنّحل تسمّى «سورة النّعم»، لما عدّد الله فيها من النِّعَم على عباده، وسورة حم عسق وتسمّى «الشّورى»، وسورة الجاثية وتسمّى «الشّريعة»، وسورة محمّد ﷺ وتسمّى «القتال».

وقد يكون لها ثلاثة أسماء، كسورة المائدة، والعُقود، والمنقذة، وروى ابن عطيّة فيه حديثًا[1]، وكسورة غافر، والطَّول، والمؤمن، لقوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾[2].

وقد يكون لها أكثر من ذلك، كسورة براءة والتّوبة، والفاضحة، والحافرة، لأنّها حفرت عن قلوب المنافقين؛ قال ابن عبّاس ما زال ينزل ﴿وَمِنْهُمْ﴾ حتّى ظننّا أنّه لا يبقى أحدٌ إلّا ذُكِر فيها. وقال حُذَيفة: هي سورة العذاب، وقال ابن عمر: كنّا ندعوها المُشَقْشِقَة، وقال الحارث بن يزيد كانت تدعى المُبَعثِرة، ويقال لها: المُسَوِّرة، ويقال لها البَحوث.

وكسورة الفاتحة، ذكر بعضهم لها بضعة وعشرين اسمًا: الفاتحة - وثبت في الصّحيحين - وأُمّ الكتاب وأُمّ القرآن - وثبتا في صحيح مسلم - وحكى ابن عطيّة: كراهية تسميتها عن قوم، والسّبع المثاني، والصّلاة ثبتا في «صحيح مسلم»، والحمد، رواه الدّارقُطنيّ وسُمّيت مثاني، لأنّها تثنّى في الصّلاة، أو أُنزلت مرّتين، والوافية بالفاء، لأنّ تبعيضها لا يجوز، ولاشتمالها على المعاني الّتي في القرآن، والكنز لما ذكرنا، والشّافية والشّفاء والكافية والأساس.

وينبغي البحث عن تعداد الأسامي هل هو توقيفيّ أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان

١- قوله ﷺ: «سورة المائدة تدعى في ملكوت الله المنقذة، تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب». نقله القرطبيّ في التّفسير ٦: ٣٠.

٢- غافر /٢٨.

الثّاني فلن يعدم الفَطِن أن يستخرج من كلّ سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها، وهو بعيد.

[في اختصاص كلّ سورة بما سُمِّيت]

ينبغي النّظر في وجه اختصاص كلّ سورة بما سُمِّيت به، ولا شكّ أنّ العرب تراعي في الكثير من المسمّيات أخذ أسمائها من نادرٍ أو مستغرَبٍ يكون في الشّيء من خَلْق أو صفة تخصّه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرّائي للمسمّى. ويسمّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطّويلة بما هو أشهر فيها.

وعلى ذلك جرت أسماء سُوَر الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم، لقرينة ذكر قصّة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها. وسُمِّيت سورة النّساء بهذا الاسم لما تردّد فيها من كثير من أحكام النّساء، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها، إلّا أنّ التّفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ـ إلى قوله ـ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾[1]، لم يرد في غيرها كما ورد ذكر النّساء في سُوَر، إلّا أنّ ما تكرّر وبسط من أحكامهنّ لم يرد في غير سورة النّساء. وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها، فسُمِّيت بما يخصّها.

فإن قيل: قد ورد في سورة هود ذِكْرُ نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام فلِمَ تختصّ باسم هود وحده؟ وما وجه تسميتها به؟ وقصّة نوح فيها أطول وأوعب؟

قيل: تكرّرت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشّعراء بأوعب ممّا وردت في غيرها، ولم يتكرّر في واحدة من هذه السُّوَر الثّلاث اسم هود عليه السلام كتكرّره في هذه السّورة، فإنّه تكرّر فيها عند ذكر قصّته في أربعة مواضع، والتّكرار من أقوى الأسباب الّتي ذكرنا.

---

١ ـ الأنعام / ١٤٢ـ ١٤٤.

وإن قيل: فقد تكرّر اسم نوح في هذه السّورة في ستّة مواضع فيها، وذلك أكثر من تكرار اسم هود؟

قيل: لما جُرِّدت لذكر نوح وقصّته مع قومه سورة برأسها، فلم يقع فيها غير ذلك، كانت أوْلى بأن تسمّى باسمه عليه السلام من سورة تضمّنت قصّته وقصّة غيره، وأن تكرّر اسمه فيها، أمّا هود فكانت أوْلى السُّوَر بأن تسمّى باسمه عليه السلام.

واعلم! أنّ تسمية سائر سُوَر القرآن يجري فيها من رَعْي التّسمية ما ذكرنا، وانظر سورة «قٓ» لما تكرّر فيها من ذكر الكلمات بلفظ القاف. ومن ذلك السُّوَر المفتتحة بالحروف المقطّعة، ووجه اختصاص كلّ واحدة بما وَلِيَته، حتّى لم تكن لترد «الٓمٓ» في موضع «الٓر» ولا «حمٓ» في موضع «طسٓ»، لاسيّما إذا قلنا: إنّها أعلام لها وأسماء عليها.

وكذا وقع في كلّ سورة منها ما كثُر تَرْداده فيما يتركّب من كَلِمها، ويوضّحه أنّك إذا ناظرت سورة منها بما يماثلها في عدد كلماتها وحروفها، وجدت الحروف المُفتَتَح بها تلك السّورة إفرادًا وتركيبًا أكثر عددًا في كلماتها منها في نظيرتها ومماثلتها في عدد كَلِمها وحروفها، فإن لم تجد بسورةٍ منها مايماثلها في عدد كَلِمها، ففي اطّراد ذلك في المماثلات ممّا يوجد له النّظير ما يشعر بأنّ هذه لو وجد ما يماثلها لجرى على ما ذكرت لك.

وقد اطّرد هذا في أكثرها، فحقّ لكلّ سورة منها ألّا يناسبها غير الوارد فيها فلو وضع موضع «قٓ» من سورة «نٓ» لم يمكن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله تعالى. وقد تكرّر في سورة يونس من الكَلِم الواقع فيها «الٓر» مائتا كلمة وعشرون أو نحوها، فلهذا افتتحت بـ «الٓر»، وأقرب السُّوَر إليها ممّا يماثلها بعدها من غير المفتتحة بالحروف المقطّعة سورة النّحل، وهي أطول منها ممّا يركب على «الٓر» من كَلِمها مائتا كلمة، مع زيادتها في الطّول عليها، فلذلك وردت الحروف المقطّعة في أوّلها «الٓر» (١: ٢٦٩-٢٧٢)

[تقسيم القرآن بحسب سُوَره]

قال العلماء رضي الله عنهم: القرآن العزيز أربعة أقسام؛ الطُّوَل، والمئون، والمثاني، والمفصّل. وقد جاء ذلك في حديث مرفوع أخرجه أبو عُبَيد من جهة سعيد بن بَشير عن قَتادة عن أبي المَليح عن واثلة ...[وذكر كما تقدّم عن الطّبريّ الرّقم ١ و ٢، ثمّ قال:]

وهو حديث غريب وسعيد بن بَشير فيه لين. وأخرجه أبو داود الطّيالسيّ في «مسنده» عن عِمران عن قَتادة به.

فالسّبع الطُّوَل أوّلها: البقرة وآخرها: براءة؛ لأنّهم كانوا يعدّون الأنفال وبراءة سورة واحدة، ولذلك لم يَفْصِلوا بينهما؛ لأنّهما نزلتا جميعًا في مغازي رسول الله ﷺ وسُمّيت طُولًا لطولها. وحكي عن سعيد بن جُبَير أنّه عَدّ السّبع الطُّوَل: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس. والطُّوَل: بضمّ الطّاء جمع طُولى كالكُبَر جمع كُبْرى قال أبو حيّان التّوحيديّ: وكسرُ الطّاء مرذول.

والمئون: ما وَلِي السّبع الطُّوَل؛ سُمّيت بذلك لأنّ كلّ سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها.

والمثاني: ما وَلِي المئين، وقد تسمّى سُوَر القرآن كلّها مثاني، ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾[1]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾[2]. وإنّما سُمّي القرآن كلّه مثاني لأنّ الأنباء والقصص تُثنّى فيه. ويقال: إنّ المثاني في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ هي آيات سورة الحمد سمّاها مثاني لأنّها تثنّى في كلّ ركعة.

والمفصّل: ما يلي المثاني من قصار السُّوَر؛ سُمّي مفصّلًا لكثرة الفصول الّتي بين السُّوَر بـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وقيل: لقلّة المنسوخ فيه. وآخره: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾،

---

١ ـ الزُّمَر / ٢٣.

٢ ـ الحجر / ٨٧.

وفي أوّله اثنا عشر قولًا:

أحدها- الجاثية.

ثانيها- القتال، وعَزاه المَاوَرديّ إلى الأكثرين.

ثالثها- الحُجُرات.

رابعها- قٓ؛ قيل: وهي أوّله في مُصْحَف عُثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه حديث ذكره الخطّابيّ في «غريبه» يرويه عيسى بن يونس قال: حدّثنا عبدالرّحمان بن يعلى الطّائفيّ قال: حدّثني عمر بن عبد الله بن أوس بن حُذَيفة عن جدّه: أنّه وَفَد على رسول الله ﷺ في وَفد ثَقيف، فسمع من أصحاب النّبيّ ﷺ، أنّه كان يحزّب القرآن، قال: وحزب المفصّل من «قٓ»، وقيل: إنّ أحمد رواه في «المسند». وقال المَاوَرديّ في «تفسيره»: حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصّحابة للحديث المذكور.

الخامس- الصّافّات.

السّادس- الصّفّ.

السّابع- تبارك، حكى هذه الثّلاثة ابن أبي الصّيف اليَمَنيّ في «نكت التّنبيه».

الثّامن- إنّا فتحنا لك، حكاه الدّذماريّ في «شرح التّنبيه» المسمّى «رفع التّمويه».

التّاسع- الرّحمن، حكاه ابن السّيّد في «أماليه» على «الموطّأ» وقال: إنّه كذلك في مُصْحَف ابن مسعود، قلت: رواه أحمد في «مسنده» كذلك.

العاشر- هل أتى على الإنسان حين من الدّهر.

الحادي عشر- سبّح، حكاه ابن الفِرْكاح في «تعليقه» عن المرزوقيّ.

الثّاني عشر- والضّحى، وعَزاه المَاوَرديّ لابن عبّاس، حكاه الخَطّابيّ في «غريبه» ووجّهه بأنّ القارئ يفصل بين هذه السُّوَر بالتّكبير؛ قال: وهو مذهب ابن عبّاس وقُرّاء مكّة.

والصّحيح عند أهل الأثر: أنّ أوّله «قٓ» قال أبو داود: في «سُنَنه» في باب «تحزيب القرآن»... [ثمّ ذكر رواية في تحزيب القرآن عن أوس بن حُذَيفة، كما سيجيئ في بابه عن ابن

تيميّة، فقال:]

رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن شيبة عن أبي خالد الأحمر به، ورواه أحمد في «مسنده» عن عبد الرّحمان بن مهديّ وأبو يعلى الطّائفيّ به. وحينئذٍ فإذا عددت ثماني وأربعين سورة كانت الّتي بعدهنّ سورة «قٓ».

بيانه: ثلاث: البقرة، وآل عمران، والنّساء. وخمس: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة. وسبع: يونس، وهود، ويوسف، والرّعد، وإبراهيم، والحِجر، والنّحل. وتسع: سبحان، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحجّ، والمؤمنون، والنّور، والفرقان. وإحدى عشرة: الشّعراء، والنّمل، والقصص، والعنكبوت، والرّوم، ولقمان، والٓمٓ السّجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويسٓ. وثلاث عشرة: الصّافّات، وصٓ، والزّمر، وغافر، وحم السّجدة، وحمٓ عسقٓ، والزّخرف، والدّخان، والجاثية، والأحقاف، والقتال، والفتح، والحُجُرات، ثمّ بعد ذلك حزب المفصّل، وأوّله سورة قٓ، وأمّا آل حاميم فإنّه يقال: إنّ حم اسم من أسماء الله تعالى، أُضيفت هذه السّورة إليه، كما قيل: سُوَرالله لفضلها وشرفها، وكما قيل: بيت الله، قال الكُمَيت:

وَجَدنا لكم في آل حم آيةً تأوّلها منّا تَقِيّ و مُعرِبُ[1]

وقد يُجعل اسمًا للسّورة ويدخل الإعراب عليها ويُصرَف. ومن قال هذا قال في الجمع الحواميم، كما يقال: طس والطّواسين. وكرِه بعض السّلف ـ منهم محمّد بن سيرين ـ أن يقال: الحواميم، وإنّما يقال: آل حمٓ.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آل حمٓ ديباج القرآن. وقال ابن عبّاس رضي الله عنه: إنّ لكلّ شيء لُبابًا ولُباب القرآن حمٓ، أو قال: الحواميم. وقال مِسعَر بن كِدام: كان يقال لهنّ: العرائس؛ ذكر ذلك كلّه أبو عُبَيد في «فضائل القرآن».

وقال حُمَيد بن زَنْجويه: ثنا عبد الله ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص، عن

١ـ الهاشميّات: ٤.

أبي عبدالله قال: إنّ مَثَل القرآن كمَثَل رجل انطلق يرتادُ منزلًا، فمرّ بأثر غيث، فبينما هو يسير فيه ويتعجّب منه إذ هبط على روضات دمثات، فقال: عجبت من الغيث الأوّل، فهذا أعجب وأعجب، فقيل له: إنّ مثل الغيث الأوّل مثل عِظَم القرآن، وإنّ مثل هؤلاء الرّوضات مثل: «حمٓ» في القرآن. أورده البَغَويّ.

[في عدد سُوَر القرآن]

قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مِهران المقرئ: عدد سُوَر القرآن مائة وأربع عشرة سورة، وقال: بعث الحَجّاج بن يوسف إلى قُـرّاء البَصْرة، فجمعهم واختار منهم الحسن البَصْريّ، وأبا العالية، ونصر بن عاصم، وعاصمًا الجَحْدَريّ، ومالك بن دينار رحمهم الله، وقال: عُدُّوا حروف القرآن، فبقوا أربعة أشهر يعدُّون بالشّعير، فأجمعوا على أنّ كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة، وأجمعوا على أنّ عدد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفًا وخمسة عشر حرفًا. انتهى.

واعلم! أنّ عدد سُوَر القرآن العظيم باتّفاق أهل الحلّ والعقد مائة وأربع عشرة سورة، كما هي في المُصْحَف العُثمانيّ، أوّلها: الفاتحة، وآخرها: النّاس. وقال مجاهد: وثلاث عشرة بجعل الأنفال والتّوبة سورة واحدة، لاشتباه الطّرفين وعدم البَسْمَلة. ويردّه تسمية النّبيّ ﷺ كلًّا منهما. وكان في مُصْحَف ابن مسعود اثناعشر، لم يكن فيها المعوّذتان، لشبهة الرُّقْية. وجوابه رجوعه إليهم، وما كتب الكلّ وفي مُصْحَف أُبيّ ستّ عشرة، وكان دعاء الاستفتاح والقنوت في آخره كالسّورتين. ولا دليل فيه لموافقتهم، وهو دعاء كُتِب بعد الخَتْمَة.

(١: ٢٤٤ ـ ٢٥٠)

الفصل الثّاني عشر

نصّ السّيوطيّ (م: ٩١١) في «الإتقان في علوم القرآن» في أسماء السُّوَر

[بعد ذكر قول القُتَيبيّ والجَعْبَريّ، كما تقدّم عن الزّركشيّ، قال:]

وقال غيره: السّورة الطّائفة المترجمة توقيفًا، أي المسمّاة باسم خاصّ بتوقيف النّبيّ ﷺ. وقد ثبت جميع أسماء السُّوَر بالتّوقيف من الأحاديث والآثار، ولولا خشية الإطالة لبيّنتُ ذلك.

وممّا يدلّ لذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عِكرمة. قال: كان المشركون يقولون: سورة البقرة وسورة العنكبوت، يستهزئون بها، فنزل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.[1]

وقد كره بعضهم أن يقال: سورة كذا لما رواه الطَّبَرانيّ والبَيهَقيّ عن أنس مرفوعًا: لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النّساء، وكذا القرآن كلّه، ولكن قولوا: السّورة الّتي تُذْكر فيها البقرة، والّتي تُذْكر فيها آل عمران، وكذا القرآن كلّه. وإسناده ضعيف، بل ادّعى ابن الجَوزيّ أنّه موضوع.

وقال البَيهَقيّ: إنّما يعرف موقوفًا على ابن عمر، ثمّ أخرجه عنه بسند صحيح، وقد صحّ إطلاق سورة البقرة وغيرها عنه ﷺ.

وفي «الصّحيح» عن ابن مسعود أنّه قال: هذا مقام الّذي أُنزلت عليه سورة البقرة، ومن ثمّ

---

١ ـ الحِجر/ ٩٥.

لم يكرهه الجمهور.

فصل

قد يكون للسّورة اسم واحد وهو كثير، وقد يكون لها اسمان فأكثر من ذلك: «الفاتحة» وقد وقفت لها على نيّف وعشرين اسمًا، وذلك يدلّ على شرفها، فإنّ كثرة الأسماء دالّة على شرف المسمّى.

أحدها ـ فاتحة الكتاب... [ثمّ ذكر رواية الطّبريّ عن المَقْبُريّ، كما تقدّم عنه، فقال:]

وسُمّيت بذلك، لأنّه يفتتح بها في المصاحف، وفي التّعليم، وفي القراءة في الصّلاة.

وقيل: لأنّها أوّل سورة نزلت.

وقيل: بأنّها أوّل سورة كتبت في اللّوح المحفوظ، حكاه المُرْسيّ وقال: إنّه يحتاج إلى نقل.

وقيل: لأنّ الحمد فاتحة كلّ كلام.

وقيل: لأنّها فاتحة كلّ كتاب حكاه المُرْسيّ. وردّ بأنّ الّذي افتتح به كلّ كتاب هو الحمد فقط لا جميع السّورة، وبأنّ الظّاهر أنّ المراد بالكتاب القرآن، لا جنس الكتاب. قال: لأنّه قد روى من أسمائها فاتحة القرآن، فيكون المراد بالكتاب والقرآن واحدًا.

ثانيها ـ فاتحة القرآن، كما أشار إليه المُرْسيّ.

وثالثها ورابعها ـ أُمّ الكتاب، وأُمّ القرآن، وقد كره ابن سيرين أن تسمّى أُمّ الكتاب، وكره الحسن أن تسمّى أُمّ القرآن، ووافقهما بقيّ بن مَخْلَد؛ لأنّ أُمّ الكتاب هو اللّوح المحفوظ؛ قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[1]، ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾[2]، وآيات الحلال والحرام؛ قال تعالى: ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[3].

١ـ الرّعد / ٣٩.

٢ـ الزّخرف / ٤.

٣ـ آل عمران / ٧.

قال المُرْسيّ: وقد رُوِي حديث لا يصحّ: لا يقولنّ أحدكم أمّ الكتاب، وليقل: فاتحة الكتاب.

قلت: هذا لا أصل له في شيء من كُتُب الحديث، وإنّما أخرجه ابن الضُّرَيس بهذا اللّفظ عن ابن سيرين، فالتبس على المُرْسيّ، وقد ثبت في الأحاديث الصّحيحة تسميتها بذلك. فأخرج الدّارقُطْنيّ وصحّحه من حديث أبي هُرَيرة مرفوعًا: «إذا قرأتم الحمد، فاقرأوا: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ إنّها أمّ القرآن وأمّ الكتاب والسّبع المثاني».

واختلف لِم سُمِّيت بذلك؟ فقيل: لأنّها يبدأ بكتابتها في المصاحف، وبقراءتها في الصّلاة قبل السّورة. قاله أبو عُبَيدة في «مجازه»: وجزم به البخاريّ في «صحيحه».

واستُشكِل بأنّ ذلك يناسب تسميتها فاتحة الكتاب، لا أمّ الكتاب.

وأُجيب: بأنّ ذلك بالنّظر إلى أنّ الأم مبدأ الولد. قال الماوَرْديّ: سُمِّيت بذلك، لتقدّمها وتأخّر ماسواها تبعًا لها، لأنّها أمّته، أي تقدّمته، ولهذا يقال لراية الحرب: أمّ، لتقدّمها واتّباع الجيش لها، ويقال لما مضى من سِني الإنسان: أمّ، لتقدّمها، ولمكّة: «أمّ القُرى» على سائر القُرى.

وقيل: أمّ الشّيء أصله، وهي أصل القرآن، لانطوائها على جميع أغراض القرآن وما فيه من العلوم والحِكَم...

وقيل: سُمِّيت بذلك، لأنّها أفضل السُّوَر، كما يقال لرئيس القوم: أمّ القوم.

وقيل: لأنّ حرمتها كحرمة القرآن كلّه.

وقيل: لأنّ مفزع أهل الإيمان إليها، كما يقال للرّاية: أمّ، لأنّ مفزع العسكر إليها.

وقيل: لأنّها محكمة، والمحكمات أمّ الكتاب.

خامسها ـ القرآن العظيم: روى أحمد: عن أبي هُرَيرة أنّ النّبيّ ﷺ قال لأمّ القرآن: هي أمّ القرآن، وهي السّبع المثاني، وهي القرآن العظيم، وسُمِّيت بذلك، لاشتمالها على المعاني الّتي في القرآن.

سادسها ـ السّبع المثاني: ورد تسميتها بذلك في الحديث المذكور وأحاديث كثيرة، أمّا

تسميتها سبعًا فلأنّها سبع آيات، أخرج الدّارقُطْنيّ ذلك عن عليّ.

وقيل: فيها سبعة آداب، في كلّ آية أدب، وفيه بُعْد.

وقيل: لأنّها خلت من سبعة أحرف: الثّاء والجيم والخاء والزّاي والشّين والفاء.

قال المُرْسيّ: وهذا أضعف ممّا قبله، لأنّ الشّيء إنّما يسمّى بشيء واحد فيه لا بشيء فقدمنه.

وأمّا المثاني: فيُحتمل أن يكون مشتقًّا من الثّناء، لما فيها من الثّناء على الله تعالى، ويحتمل أن يكون من الثُّنيا؛ لأنّ الله استثناها لهذه الأُمّة، ويحتمل أن يكون من التّثنية، قيل: لأنّها تُثنَّى في كلّ ركعة، ويقوّيه ما أخرجه ابن جَرير بسندٍ حَسَنٍ عن عمر، قال: السّبع المثاني؛ فاتحة الكتاب تُثنَّى في كلّ ركعة.

وقيل: لأنّها تثنَّى بصورة أُخرى.

وقيل: لأنّها نزلت مرّتين.

وقيل: لأنّها نزلت على قسمين: ثناء ودعاء.

وقيل: لأنّها كلّما قرأ العبد منها آية ثناه الله بالإخبار عن فعله، كما في الحديث.

وقيل: لأنّها اجتمع فيها فصاحة المثاني وبلاغة المعاني. وقيل: غير ذلك.

سابعها ـ الوافية: كان سُفيان بن عُيَينة يسمّيها به، لأنّها وافية بما في القرآن من المعاني، قاله في «الكشّاف».

وقال الثّعلبيّ: لأنّها لا تقبل التّصنيف، فإنّ كلّ سورة من القرآن لو قرئ نصفها في ركعة والنّصف الثّاني في أُخرى لجاز بخلافهما.

قال المُرْسيّ: لأنّها جمعت بين ما لله وبين ما للعبد.

ثامنها ـ الكنز: لما تقدّم في أمّ القرآن، قاله في «الكشّاف»...

تاسعها ـ الكافية: لأنّها تكفي في الصّلاة عن غيرها، ولا يكفي عنها غيرها.

عاشرها ـ الأساس: لأنّها أصل القرآن وأوّل سورة فيه.

حادي عشرها ـ النّور.

ثاني عشرها ـ سورة الحمد.

ثالث عشرها ـ سورة الشُّكر.

رابع عشرها ـ سورة الحمد الأُولىٰ.

خامس عشرها ـ سورة الحمد القُصرىٰ.

سادس عشرها ـ الرّاقية.

سابع عشرها ـ الشّفاء.

ثامن عشرها ـ والشّافية: للأحاديث الآتية في نوع الخواصّ.

تاسع عشرها ـ سورة الصّلاة: لتوقّف الصّلاة عليها.

وقيل: إنّ من أسمائها الصّلاة أيضًا، لحديث: «قسّمت الصّلاة بيني وبين عبدي نصفين» أي السّورة. قال المُرْسيّ: لأنّها من لوازمها، فهو من باب تسمية الشّيء باسم لازمه، وهذا الاسم العشرون.

الحادي والعشرون ـ سورة الدّعاء: لاشتمالها عليه في قوله: «اهْدِنا».

الثّاني والعشرون ـ سورة السّؤال: لذلك، ذكره الإمام فخرالدّين.

الثّالث والعشرون ـ سورة تعليم المسئلة.

قال المُرْسي: لأنّ فيها آداب السّؤال، لأنّها بدئت بالثّناء قبله.

الرّابع والعشرون ـ سورة المناجاة: لأنّ العبد يناجي فيها ربّه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

الخامس والعشرون ـ سورة التّفويض: لاشتمالها عليه في قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فهذا ما وقفت عليه من أسمائها، ولم تجتمع في كتاب قبل هذا.

[أسماء السُّوَر الأُخرىٰ]

البقرة: كان خالد بن مَعْدان يسمّيها «فُسطاط القرآن». وورد في حديث مرفوع في

«مُسند الفردوس»: وذلك لعظمها، ولما جمع فيها من الأحكام الّتي لم تذكر في غيرها. وفي حديث «المستدرك» تسميتها «سِنام القرآن»، وسنام كلّ شيء أعلاه.

وآل عمران: روى سعيد بن منصور في «سُنَنه» عن أبي عطّاف قال: اسم آل عمران في التّوراة «طيّبة» وفي «صحيح مسلم» تسميتها والبقرة: الزّهراوينِ.

والمائدة: تسمّى أيضًا «العقود والمُنقِذة». قال ابن الفَرَس: لأنّها تنقذ صاحبها من ملائكة العذاب.

والأنفال: أخرج أبو الشّيخ عن سعيد بن جُبَير قال: قلت لابن عبّاس: سورة الأنفال، قال: تلك سورة بدر.

وبراءة: تسمّى أيضًا: التّوبة، لقوله فيها: ﴿لَقَدْ تَابَ اللّهُ عَلَى النَّبِيِّ...﴾[1].

والفاضحة، أخرج البخاريّ عن سعيد بن جُبَير قال: قلت لابن عبّاس: سورة التّوبة قال: التّوبة، بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: «ومنهم، ومنهم...» حتّى ظننّا ألّا يبقى أحد منّا إلّا ذُكر فيها. وأخرج أبو الشّيخ عن عِكرِمة، قال: قال عمر: ما فرغ من تنزيل براءة، حتّى ظننّا أنّه لم يبق منّا أحد إلّا سينزل فيه.

العذاب، وكانت تسمّى سورة العذاب، أخرج الحاكم في المستدرك عن حُذَيفة، قال: الّتي تسمّون سورة التّوبة هي سورة العذاب.

وأخرج أبو الشّيخ عن سعيد بن جُبَير قال: كان عمر بن الخطّاب إذا ذكر له سورة براءة فقيل: سورة التّوبة، قال: هي إلى العذاب أقرب، ما كادت تقلع عن النّاس، حتّى ما كادت تُبقي منهم أحدًا.

والمُقَشقِشة، أخرج أبو الشّيخ عن زيد بن أسلم أنّ رجلًا قال لابن عمر: سورة التّوبة، فقال: وأيّتهنّ سورة التوبة؟ فقال: براءة، فقال: وهل فعل بالنّاس الأفاعيل إلّا هي! ما كنّا

---

١ ـ التوبة /١١٧.

ندعوها إلّا المقشقشة، أي المبرّئة من النّفاق.

والمـُنقّرة، أخرج أبو الشّيخ عن عُبَيد بن عُمَير قال: كانت تسمّى براءة المنقّرة، نقّرت عمّا في قلوب المشركين.

والبَحوث، بفتح الباء، أخرج الحاكم عن المقداد أنّه قيل له: لو قعدت العام عن الغَزْو قال: أتت علينا البَحوث: يعني براءة. الحديث.

والحافرة، ذكره ابن الفَرَس، لأنّها حفرت عن قلوب المنافقين.

والمـُثيرة، أخرج ابن أبي حاتم عن قَتادة، قال: كانت هذه السّورة تسمّى الفاضحة، فاضحة المنافقين، وكان يقال لها: المثيرة، أنبأت بمثالبهم وعوراتهم.

حكى ابن الفَرَس: من أسمائها: المبعثرة، وأظنّه تصحيف المنقّرة، فإن صحّ كملت الأسماء العشرة، ثمّ رأيته كذلك ـ أعني المبعثرة ـ بخط السَّخاويّ في «جمال القُرّاء» وقال: لأنّها بُعثرت عن أسرار المنافقين.

وذكر فيه أيضًا من أسمائها المخزية، والمنكِّلة، والمشرِّدة، والمدمدمة.

النّحل: قال قَتادة: تسمّى سورة النِّعم، أخرجه ابن أبي حاتم. قال ابن الفَرَس: لما عدّد الله فيها من النِّعم على عباده.

الإسراء: تسمّى أيضًا سورة سبحان، وسورة بني إسرائيل.

الكهف: ويقال لها: سورة أصحاب الكهف، كذا في حديث أخرجه ابن مَرْدُوَيه.

وروى البَيْهقيّ من حديث ابن عبّاس مرفوعًا، أنّها تُدعى في التّوراة الحائلة، تَحُول بين قارئها وبين النّار، وقال: إنّه منكر.

طه: تسمّى أيضًا سورة الكليم، ذكره السّخاويّ في «جمال القُرّاء».

الشّعراء: وقع في تفسير «الإمام مالك» تسميتها بسورة الجامعة.

النّمل: تسمّى أيضًا سورة سُلَيمان.

السّجدة: تسمّى أيضًا المضاجع.

فاطر: تسمّى سورة الملائكة.

يس: سمّاها ﷺ قلب القرآن، أخرجه التّرمذيّ من حديث أنس. وأخرج البَيهَقيّ من حديث أبي بكر مرفوعًا: «سورة يس تُدعى في التّوراة «المـُعِمّة»، تعمّ بخَيْرَيِ الدّنيا والآخرة، وتُدعى «المدافعة» و«القاضية»، تدفع عن صاحبها كلّ سوء، وتقضي له كل حاجة»، وقال: إنّه حديث منكر.

الزُّمر: تسمّى سورة الغُرَف.

غافر: تسمّى سورة الطَّوْل، والمؤمن، لقوله تعالى فيها: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾[1].

فصّلت: تسمّى السّجدة، وسورة المصابيح.

الجاثية: تسمّى الشّريعة، وسورة الدّهر، حكاه الكَرمانيّ في «العجائب».

محمّد ﷺ: تسمّى القتال.

ق: تسمّى سورة الباسقات.

اقتربت: تسمّى القمر. وأخرج البَيهَقيّ عن ابن عبّاس: أنّها تُدعى في التّوراة «المبيّضة» تبيضّ وجه صاحبها يوم تسودّ الوجوه، وقال: إنّه منكر.

الرّحمن: سُمِّيت في حديث «عروس القرآن»، أخرجه البَيهَقيّ عن عليّ مرفوعًا.

المجادلة: سُمِّيت في مُصْحَف أُبيّ «الظِّهار».

الحشر: أخرج البخاريّ عن سعيد بن جُبَير قال: قلت لابن عبّاس: سورة الحشر قال: قل سورة بني النّضير. قال ابن حَجَر: كأنّه كره تسميتها بالحشر، لئلّا يظنّ أنّ المراد يوم القيامة، وإنّما المراد به هنا إخراج بني النّضير.

الممتحنة: قال ابن حَجَر: المشهور في هذه التّسمية أنّها بفتح الهاء وقد تكسّر، فعلى الأوّل هي صفة المرأة الّتي نزلت السّورة بسببها، وعلى الثّاني هي صفة السّورة، كما قيل لبراءة:

---

١ ـ غافر/ ٢٨.

الفاضحة. وفي «جمال القُرّاء»: تسمّى أيضًا سورة الامتحان وسورة المرأة.

الصَّفّ: تسمّى أيضًا سورة الحواريّين.

الطّلاق: تسمّى سورة النّساء القُصْرى، وكذا سمّاها ابن مسعود، أخرجه البخاريّ وغيره، وقد أنكره الدّاوديّ فقال: لاأرى قوله: «القُصرى» محفوظًا، ولا يقال في سورة من القرآن: قُصرى ولا صُغرى.

قال ابن حَجَر: وهو ردّ للأخبار الثّابتة بلا مستند، والقِصَر والطُّول أمرٌ نسبيٌّ. وقد أخرج البخاريّ عن زيد بن ثابت أنّه قال: «طولى الطّوليَيْن» وأراد بذلك سورة الأعراف.

التّحريم: يقال لها: سورة المتحرّم وسورة لِمَ تحرّم.

تبارك: تسمّى سورة المُلْك. وأخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود قال: هي في التّوراة سورة المُلْك وهي المانعة، تمنع من عذاب القبر، وأخرج التّرمِذيّ من حديث ابن عبّاس مرفوعًا: «هي المانعة هي المُنجية، تنجيه من عذاب القبر»، وفي مُسْنَد عُبَيد من حديث: «أنّها المنجية والمجادلة، تجادل يوم القيامة عند ربّها لقارئها».

وفي تاريخ «ابن عَساكِر» من حديث أنس، أنّ رسول الله ﷺ سمّاها المُنجية. وأخرج الطّبرانيّ عن ابن مسعود قال: «كنّا نسمّيها في عهد رسول الله ﷺ: المانعة. وفي «جمال القُرّاء»: تسمّى أيضًا الواقية والمنّاعة.

سأل: تسمّى المعارج والواقع.

عمّ: يقال لها: النّبأ، والتّساؤل، والمعصرات.

لَم يَكُن: تسمّى سورة أهل الكتاب، وكذلك سُمِّيت في مُصْحَف أُبيّ، وسورة البيّنة، وسورة القيامة، وسورة البريّة، وسورة الانفكاك، ذُكِر ذلك في «جمال القُرّاء».

أرأيت: تسمّى سورة الدّين، وسورة الماعون.

الكافرون: تسمّى المقشقشة، أخرجه ابن أبي حاتم عن زُرارة بن أوفى، قال في «جمال القُرّاء»: وتسمّى أيضًا سورة العبادة.

النّصر: تسمّى سورة التّوديع، لما فيها من الإيماء إلى وفاته ﷺ.

تبّت: تسمّى سورة المَسَد.

الإخلاص: تسمّى الأساس، لاشتمالها على توحيد الله وهو أساس الدّين.

الفلق والنّاس: يقال لهما: المُعَوّذتان بكسر الواو، والمشقشقتان، من قولهم: خطيب مشقشق.

تنبيه

قال الزّركشيّ في «البرهان»: ينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هو توقيفيّ أو بما يظهر من المناسبات... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

قلت: ولك أن تسأل فتقول: قد سُمِّيت سُوَر جرت فيها قصص أنبياء بأسمائهم، كسورة نوح، وسورة هود، وسورة إبراهيم، وسورة يونس، وسورة آل عمران، وسورة طس سُلَيمان، وسورة يوسف، وسورة محمّد ﷺ، وسورة مريم، وسورة لقمان، وسورة المؤمن. وقصّة أقوام كذلك، كسورة بني إسرائيل، وسورة أصحاب الكهف، وسورة الحِجر، وسورة سبأ، وسورة الملائكة، وسورة الجنّ، وسورة المنافقين، وسورة المطفّفين، ومع هذا كلّه لم يُفْرَد لموسى سورة تسمّى به مع كثرة ذكره في القرآن، حتّى قال بعضهم: كاد القرآن أن يكون كلّه لموسى، وكان أولى سورة أن تسمّى به سورة طه أو سورة القصص أو الأعراف، لبسط قصّته في الثّلاثة ما لم يبسط في غيرها.

وكذلك قصّة آدم، ذكرت في عدّة سُوَر، ولم تسمّ به سورة، كأنّه اكتفاء بسورة الإنسان، وكذلك قصّة الذّبيح من بدائع القَصَص، ولم تسمّ به سورة الصّافّات، وقصّة داود، ذكرت في صٓ ولم تسمّ به، فانظر في حكمة ذلك. على أنّي رأيت بعد ذلك في «جمال القُرّاء» للسّخاويّ: أنّ سورة «طه» تسمّى سورة الكليم، وسمّاها الهُذَليّ في «كامله» سورة «موسى»، وأنّ سورة «صٓ» تسمّى سورة «داود». ورأيت في كلام الجَعْبَريّ: أنّ سورة الصّافّات تسمّى سورة الذّبيح، وذلك يحتاج إلى مستند من الأثر.

فصل

وكما سُمِّيت السّورة الواحدة بأسماء، سُمِّيت سُوَر باسم واحد، كالسُوَر المسمّاة بـ «الٓمٓ» أو«الٓر»، على القول بأنّ فواتح السُّوَر أسماء لها.

فائدة: في إعراب أسماء السُّوَر

قال أبوحيّان في «شرح التّسهيل» : ماسُمّي منها بجملة تحكى نحو: «قل أُوحي» و«أتى أمرالله» أوبفعل لا ضميرفيه، أُعرِب إعراب ما لاينصرف، إلّا ما في أوّله همزة وصل، فتُقْطَع ألفه وتقلب تاؤه هاء في الوقف، ويُكتب هاء على صورة الوقف، فتقول قرأتُ «اقتربة» و في الوقف «اقتربه».

أمّا الإعراب: فلأنّها صارت أسماء، والأسماء معربة إلّا لموجب بناء.

وأمّا قطع همزة الوصل: فلأنّها لاتكون في الأسماء إلّا في ألفاظ محفوظة لا يقاس عليها.

وأمّا قلب تائها هاء: فلأنّ ذلك حكم تاء التّأنيث الّتي في الأسماء.

وأمّا كتبها هاء: فلأنّ الخطّ تابع للوقف غالبًا.

وماسُمّي منها باسم؛ فإن كان من حروف الهجاء وهوحرف واحد وأُضيفت إليه سورة، فعند ابن عُصْفور أنّه موقوف لا إعراب فيه، وعند«الشّلوبين» يجوز فيه وجهان: الوقف والإعراب.

وأمّا الأوّل ـ ويعبّر عنه بالحكاية ـ فلأنّهاحروف مُقَطّعة تُحْكى كما هي.

وأما الثّاني ـ فعلى جعله اسمًا لحروف الهجاء، وعلى هذا يجوز صرفه بناء على تذكيرالحرف ومَنعُه بناء على تأنيثه. وإن لم تضف إليه سورة لا لفظًا ولاتقديرًا، فلك الوقف والإعراب مصروفًا وممنوعًا. وإن كان أكثر من حرف، فإن وازن الأسماء الأعجميّة كطاسين وحاميم، وأُضيفت إليه سورة أم لا، فلك الحكاية والإعراب ممنوعًا، لموازنة قابيل وهابيل، وإن لم يوازن.

فإن أمكن فيه التّركيب كطاسين ميم، وأُضيفت عليه سورة،فلك الحكاية والإعراب، إمّـا مركّبًا مفتوح النّون كحضرموت أومعرب النّون مضافًا لما بعده ومصروفًا وممنوعًا على اعتقاد التّذكيروالتّأنيث. وإن لم تضف إليه سورة، فالوقف على الحكاية، والبنـاء كخمـسة عـشر، والإعراب ممنوعًا.

وإن لم يكن التّركيب فالوقف ليس إلّا أُضيفت إليـه سـورة أم لا، نحـو: كهـيعص وحـمٓ عسقٓ، ولايجوز إعرابه؛ لأنّه لانظير له في الأسماء المعربة، ولا تركيبه مَزْجًـا لأنّـه لايركّـب، كذلك أسماء كثيرة. وجوّزيونس إعرابه ممنوعًا.

وماسُمّي منها باسم غيرحرف هجاء؛ فإن كان فيه اللّام انجرّ، نحـو: الأنفـال والأعـراف والأنعام، وإلّا مُنِع الصّرف إن لم يُضف إليه سورة، نحو :هذه هود و نوح، وقرأت هود و نـوح، وإن أضفت بقي على ما كان عليه قبل، فإن كان فيه ما يوجب المنع مُنِع، نحـو:قـرأت سـورة يونس، وإلّا صُرِف نحو:سورة نوح وسورة هود. انتهى ملخّصًا.

[أقسام الأربعة للقرآن]

قُسّم القرآن إلى أربعة أقسام، وجعل لكلّ قسم منه اسم، أخرج أحمد وغيره من حـديث واثلة بن الأسقع...[وذكر كما تقدّم عن الطّبريّ الرّقم ١ و ٢].

وفي «جمال القُرّاء»: قال بعض السّلف: في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:].

قلت : وأخرج الحاكم عن ابن مسعود، قال: «الحواميم ديباج القـرآن».قـال الـسّخاويّ: وقوارع[1] القرآن الآيات الّتي يتعوّذ بها ويتحصّن سُمّيت بذلك،لأنّها تقرع الشّيطان وتدفعـه وتقمعه، كآية الكُرسيّ والمعوّذتين ونحوها.

قلت : وفي «مسند» أحمد من حديث مَعاذ بن أنس مرفوعًا آية العزّ: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّـذى لَـمْ

١ ـ في القاموس : « قوارع القرآن » : الآيات الّتي من قرأها أمن من الشّياطين الإنس و الجنّ، كأنّها لقرع الشّيطان.

يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾[1].

فائدة

للمفصّل طُوال وأوساط وقصار، قال ابـن مَعْـن: فطُوالـه إلى عـمّ، وأوسـاطه منـها إلى الضُّحى، ومنها إلى آخر القرآن قصاره، هذا أقرب ما قيل فيه.

تنبيه: أخرج ابن أبي داود في كتاب «المصاحف» عن نافع، عن ابن عمر، أنّـه ذكـر عنـده المفصّل فقال: وآي القرآن ليس بمفصّل، ولكن قولوا قِصار السُّوَر وصِغار السُّوَر.

وقد استُدِلّ بهذا على جواز أن يقال: سورة قصيرة أوصغيرة. وقد كره ذلك جماعة منـهم أبو العالية، ورخّص فيه آخرون، ذكره ابن أبي داود.

وأخرج عن ابن سيرين وأبي العالية قـالا: لاتقـل سـورة خفيفـة، فإنّـه تعـالى يقـول: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[2] ولكن سورة يسيرة. (١: ٢٢٠ـ٢٢٢)

في عدد سُوَره ...

أمّا سُوَره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتدّ به، وقيل: وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة، أخرج أبو الشّيخ عن أبي رَوْق قال: الأنفال وبراءة سورة واحدة.

وأخرج عن أبي رَجاء قال: سألت الحسن عن الأنفال وبراءة: سورتان أم سـورة؟ قـال: سورتان. ونقل مثل قول أبي رَوْق عن مجاهد. وأخرجه ابن أبي حاتم عن سُفيان... (١: ٢٢٥)

تنبيه

كذا نقل جماعة عن مُصْحَف أُبيّ أنّه ستّ عشرة سورة ومائة. والصّواب: أنّه خمس عشرة، فإنّ سورة الفيل وسورة لإيلاف قريش فيه سورة واحدة، ونقل ذلك السّخاويّ في «جمـال القُرّاء» عن جعفر الصّادق وأبي نَهِيك أيضًا.

١ـ الإسراء / ١١١.

٢ـ المزّمّل / ٥.

قلت: ويردّه ما أخرجه الحاكم والطّبرانيّ من حديث أمّ هانئ أنّ رسول الله ﷺ قال: «فضّل الله قُرَيشًا بسبع...» الحديث، وفيه: «وإنّ الله أنزل فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها معهم غيرهم، لإيلاف قريش». و في «كامل» الهُذَليّ عن بعضهم أنّه قال: الضُّحى وألم نشرح سورة واحدة، نقله الإمام الرّازيّ في «تفسيره» عن طاوس وغيره من المفسّرين.

فائدة [الحكمة في تسوير القرآن سُوَرًا]

قيل: الحكمة في تسوير القرآن سُوَرًا تحقيق كون السّورة بمجرّدها معجزة و آية من آيات الله... [وذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ، ثمّ ذكر قول الزّمخشريّ كما تقدّم عنه، فقال:]

وما ذكره الزّمخشريّ من تسوير سائر الكُتُب هو الصّحيح أو الصّواب، فقد أخرج ابن أبي حاتم عن قَتادة قال: كنّا نتحدّث أنّ الزّبور مائة وخمسون سورة، كلّها مواعظ وثناء ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، وذكروا أنّ في الإنجيل سورة تسمّى سورة الأمثال.

(١: ٢٢٨ـ ٢٣٠)

الفصل الثّالث عشر

نصّ صدر المتألّهين (م: ١٠٥٠) في «تفسير القرآن الكريم»

في معنى السّورة

قيل: هي إمّا مستعارة من «سُور المدينة»، لإحاطتها بما تضمّنته من أصناف المعارف والأحكام، كإحاطة السُّوَر بما يحتوي عليه. أو مجاز مرسل من «السّورة»، أي المرتبة العالية والمنزلة الرّفيعة...[وذكر شعر النّابغة كما تقدّم عن أبي عُبَيدة، فقال:].

إذ لكلّ واحدة من السُّوَر الكريمة مرتبة في الفضل عالية، ومنزلة في الشّرف رفيعة، أو لأنّها توجب علوّ درجة تاليها وسموّ منزلته عندالله سبحانه، فكأنّ القارئ يرتفع من كلّ منزلة إلى منزلة أُخرى، إلى أن يستكمل القرآن ويرتفع به، كما ورد عنه ﷺ: «إقرا وَارْقَ».[١]

وقيل: «واوها» مبدّل من «الهمزة» آخذاً من السُّؤر بمعنى البقيّة، والقطعة من الشّيء.

واختلفوا في رسمها عرفًا؛ فقيل: طائفة من القرآن مصدّرة بالبَسْمَلة، أو براءة، فأورد على طرده الآية الأُولى من كلّ سورة.

فزيد: «متّصل آخرها فيه بإحديها»، فأورد على عكسه «سورة النّاس».

فزيد: «أو غير متّصل بشيء منه» فورد عليه بعض أجزاء سورة النّمل[٢].

وقيل: «طائفة من القرآن مترجمة بترجمة خاصّة» ونقض طرده بآية الكرسيّ.

---

١ ـ بحار الأنور ٩٢: ٢٢. التّرمذيّ (فضائل القرآن) ٥: ١٧٨.

٢ ـ ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٰنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ النّمل / ٣٠.

و رُدّ بأنّ المرادبالترجمة الاسم، وتلك إضافة محضة. وأنت خبير بأنّ القول ببلوغ سورتي الإسراء والكهف مثلًا حدّ التّسمية ـ دون آية الكرسيّ ـ لايخلو من صعوبة.

وقيل: الأولى أن يراد بالتّرجمة مايكتب بالعنوان، ومنه «ترجمة الكتاب»، والمرد بها هاهنا ماجرت العادة برسمه في المـُصْحَف المجيد عند أوّل تلك الطّائفة، من لقبها وعددآياتها ونسبتها إلى أحد الحرمين الشّريفين. أقول: والأمر في تحقيق أمثال ذلك هيّن.

تذكرة

قد ذهب جماعة من قدماء الأُمّة إلى أنّ «الضُّحى» و «ألم نشرح» سورة واحدة، وكذا «الفيل» و «لإيلاف»، وهومذهب جماعة من فقهائنا رضوان الله عليهم.

قال شيخنا بهاء الحقّ والدّين رحمه الله: هذاالقول وإن قال به جمع من السَّلَف والخَلَف، إلّا أنّ الحقّ خلافه، واستدلالهم بالارتباط المعنويّ بين كلّ سورة وصاحبتها، ويقول الأخفش والزَّجّاج: إنّ الجارّ في قوله عَزَّوعَلا: ﴿لايلَافِ قُرَيْش﴾ متعلّق بقوله جَلّ شَأنه: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾، وبعدم الفصل بينهما في مُصْحَف أُبيّ بن كعب ضعيف؛ لوجود الارتباط بين كثير من السُّوَر الّتي لاخلاف في تعدّدها، فليكن هذا من ذاك.

وكلام الأخفشين لاينهض حجّة في أمثال هذه المطالب، وتعلّق الجارّ بقوله سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ﴾ لامانع عنه، وعدم الفصل في مُصْحَف أُبيّ لعلّه سهوٌ منه، على أنّه لايصلح معارضًا لسائر مصاحف الأُمّة.

وأمّا ماذكره جماعة من مفسّري أصحابنا الإماميّة ـ رضوان الله عليهم ـ كشيخ الطّائفة أبي جعفر الطُّوسيّ في «التّبيان»، وثقة الإسلام أبي عليّ الطّبرسيّ في «مجمع البيان» من ورود الرّواية بالوحدة عن أئمّتنا عليهم السلام، فهذه الرّواية لم نظفر بها، وما اطّلعنا عليه من الرّوايات الّتي تضمّنها أُصولنا لاتدلّ على الوحدة بشيء من الدّلالات، بل لعلّه دلالة بعضها على التّعدّد أظهر. وأقصى مايُستنبط منهاجوازالجمع بينهما في الرّكعة الواحدة، وهوعن الدّلالة على الوحدة بمراحل.

وما تشرّفنا بمشاهدته في مشهد مولانا وإمامنا أبي الحسن الرّضا عليه السلام من المصاحف الّتي قد شاء وذاع في تلك الأقطار، أنّ بعضها بخطّه عليه السلام، وبعضها بخطّ آبائه الطّاهرين (سلام الله عليهم أجمعين) يدلّ على ما قلنا من التّعدّد، فإنّ الفصل في تلك المصاحف بين كلّ من تلك السُّوَر الأربع وصاحبتها على وَتيرة الفصل بين البواقي. انتهى كلامه.

فإن قيل: مافائدة تقطيع القرآن سُوَرًا ؟

قلنا: ذكرت فيه وجوه ... [وذكر كما تقدّم عن الزّمخشريّ، ثمّ قال:]

وقيل: إنّ في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير ...[وذكر كما تقدّم عن السَّخاويّ، ثمّ قال:]، فإذا دخل القارئ في الميادين، وقطف من البساتين، ودخل المقاصير، وشهد العرائس، ولبس الدّيباج، وتنزّه في الرّياض، وسكن غُرَف الخانات، استغرقه ذلك عمّا سواه، فلم يكن شغله عن تفكّره وتدبّره فيه شاغل. (٢: ١٣٣-١٣٥)

الفصل الرّابع عشر

نصّ الطُّرَيحيّ (م: ١٠٨٥) في «مجمع البحرين ...»

[معنى السّورة]

قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[١]؛ السّورة: طائفة من القرآن المترجمة الّتي أقلّها ثلاث آيات، وهي إمّا من سُور المدينة، لأنّها طائفة من القرآن محدودة، وإمّا من السّورة الّتي هي الرّتبة، لأنّ السُّوَر بمنزلة المنازل والمراتب، وإمّا من السُّؤْر الّذي هو البقيّة من الشّيء، فقُلبت همزتها واوًا، لأنّها قطعة من القرآن كما مرّ. والسّورة تجمع على سُوَر، كغرفة وغُرَف، والسُّور للمدينة يجمع على أسوار كنور على أنوار. وكلّ مرتفع سُور. (٣: ٣٣٨)

١ ـ البقرة / ٢٣.

الفصل الخامس عشر
نصّ الفيض الكاشانيّ (م: ١٠٩٠) في «الوافي»
[أقسام السُّوَر]

عليّ عن صالح بن السِّنديّ عن جعفر بن بشير، عن سعد الإسكاف قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيتُ السُّوَر الطُّوَل مكان التّوراة وأُعطيت المئين مكان الإنجيل، و اُعطيت المثاني مكان الزّبور، و فُضِّلتُ بالمفصّل ثمانٍ و ستّون سورة، و هو مُهَيمن على سائر الكتب، فالتّوراة لموسى، و الإنجيل لعيسى، و الزّبور لداود عليهم السلام».

بيان

«السُّوَر الطُّوَل» كصُرَد و هي السّبع الأُوَل بعد الفاتحة، على أن يعدّ الأنفال و البراءة واحدة كما مرّت الإشارة إليه، أو السّابعة سورة يونس.

«والمثاني» هي السّبع الّتي بعد هذه السّبع، سُمِّيت بها لأنّها ثنّتها، واحدها مثنى، مثل معاني و مَعْنى، و قد تطلق المثاني على سُوَر القرآن كلّها طُوالها و قِصارها.

«و أمّا المئون» فهي من «بني إسرائيل» إلى سبع سُوَر، سُمِّيت بها لأنّ كلًّا منها على نحو من مائة آية، كذا في بعض التّفاسير.

و في «القاموس»: المثاني: القرآن أو ما ثنّي منه مرّة بعد مرّة، أو الحمد، أو البقرة إلى براءة، أو كلّ سورة دون الطُّوَل و دون المئين و فوق المفصّل، أو سورة الحجّ، والقَصَص، والنّمل، والعنكبوت، والنّور، والأنفال، و مريم، و الرّوم، ويسٓ، والفرقان، والحِجْر، والرّعد، وسبأ،

والملائكـة، و إبـراهيم، و صٓ، و محمّـد ﷺ، و لقمـان، و الغُـرَف[1]، و الزُّخـرف، والمـؤمن، والسّجدة، و الأحقاف، و الجاثية، و الدّخان، و الأحزاب.

و قال ابن الأثير في «نهايته» في ذكر الفاتحة: هي السّبع المثاني، سُمِّيت بذلك لأنّها تثنّي في كلّ صلاة و تعاد.

و قيل: المثاني: السُّوَر الّتي تقصر عن المئين و تزيد على المفصّل، كأنّ المئين جُعِلت مبـادي و الّتي تليها مثاني.

أقـول: ما ذكره أوّلًا في تفسير السّبع المثاني و وجه التّسمية بعينه مرويّ عن الصّادق عليه السلام، إلّا أنّ القول الأخير أوفق بهذا الحديث، بل المستفاد منـه أنّ المثـاني ماعـدا الـثّلاث الأُخَـر، و كأنّه من الألفاظ المشتركة، فلاتنافي. (٥: ١٧٧٢_١٧٧٣)

---

١ ـ المراد بسورة الغُرَف هي سورة الزّمر، حيث إنّ لفظة الغُرَف جاء في آية ٢٠ من هذه السّورة مرّتين.

الفصل السّادس عشر

نصّ المشهديّ (م: ١١٢٥) في «كنز الدّقائق...»

﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ البقرة / ٢٣

والسّورة: طائفة من القرآن مترجمة، لاتكون أقلّ من ثلاث آيات، فخرج بقولنا: مترجمة، الآيات المتعدّدة من سورة واحدة، أو متفرّقة، وما هو أكثر منها واحدة، كمجموع سورتين. وبقولنا: لاتكون أقلّ من ثلاث آيات، تخرج آية الكرسيّ، و آية المُداينة، من غير حاجة إلى أن يتكلّف، ويقال: هذا مجرّد إضافة لم تصل إلى حدّ التّسمية.

وواوها إن كانت أصليّة، فهي إمّا منقولة من سُور المدينة، وهو حائطها، على وجهين:

أحدهما ـ أن تجعل السّورة بمعنى المسوّرة، كما يراد بالحائط المحوّطة، وهو البُسْتان، ثمّ ينقل إلى طائفة محدودة من القرآن، وهو نقل مرتّب على تجوّز.

وثانيهما ـ أن ينقل من سورة المدينة إليها بغيرواسطة، لأنّها يحيط بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على انفرادها، أو محتوية على أنواع من العلم، إحاطة سورة المدينة بما فيها واحتواءها عليه.

وجمع سورة القرآن: السُّوَر بفتح الواو، وجمع سورة المدينة على سُوْر بسكونها، أو من السّورة بمعنى المرتبة ...[ثمّ استشهد بشعر النّابغة، كما تقدّم سابقًا في مواضع متعدّدة].

ثمّ إنّ الرّتبة إن جعلت حسّيّة، فلأنّ السُّوَر كالمراتب والمنازل يتقلّب فيها القارئ ويقف عند بعضها، أو لأنّها في أنفسها منازل مفصّلة بعضها من بعض، متفاوتة في الطُّول والقَصْر

والتّوسّط. وإن جعلت معنويّة، فلتفاوتها في الفضل والشّرف والبلاغة.

وإن كانت واوها مبدّلة عن الهمزة، فمن السُّؤرة الّتي هي البقيّة والقطعة من الشّيء.

وضعّف هذا الوجه من حيث اللّفظ، إذ لم تستعمل مهموزة في السّعة ولا في الشّاذّة المنقولة في كتاب مشهور، وإنّ أشعر به كلام الأزهريّ، حيث قال: وأكثر القُرّاء على ترك الهمزة في لفظ السّورة. وأمّا من حيث المعنى فلأنّها اسم ينبئ عن قلّة وحقارة. وأيضًا استعماله فيما فضل بعد ذهاب الأكثر، ولا ذهاب هنا إلّا تقديرًا باعتبار النّظر إليها نفسها، فكأنّها قد ذهب ما عداها. (١: ١٧٧ ـ ١٧٨)

الفصل السّابع عشر

نصّ البُروجَرديّ (م: ١٢٧٧) في «تفسير الصّراط المستقيم»

[معنى السّورة و تقسيم سُوَر القرآن]

١ـ في معنى السّورة

المشهورة في السُّور أنّها بالواو، و الهمز إمّا لغة فيها على ما في «القاموس»، أو أنّه للاختلاف في اشتقاقها، كما في «المجمع» و غيره، فإنّها على الأوّل مأخوذة من سُور المدينة، لحائطها المحيط بها، أو من السّورة الّتي جمعها السُّور بالضّمّ فالسّكون، للمنزلة الرّفيعة، و منه قول النّابغة ... [و ذكر كما تقدّم عن أبي عُبَيدة، فقال:]

و على الثّاني من السُّؤر الّذي هو البقيّة غلب استعمالها على جملة من الآيات تزيد على الثُّلث ذات ترجمة.

و عرّفت بتعريفات لا داعي في التّعرّض لها في المقام، و ستسمع بعض الكلام في ترجمة الفاتحة، إنّما المهمّ تحديد سُوَر القرآن، لإناطة جملة من الأحكام عليها في الشّرع، كوجوب قراءة سورة كاملة في كلّ سورة من أولي الفرائض، و حرمة القِران بين سورتين في ركعة، فضلًا عمّا قد يلزم قراءتها أو تعليمها لنذر و شبهه، أو استئجار، أو إمهار، فالمشهور عند العامّة مائة و أربع عشرة سورة، و عن أُبيّ بن كعب ستّ عشرة بزيادة القنوتين، و عن بعضهم ثلاث عشرة بعدّ الأنفال و التّوبة واحدة، و عن ابن مسعود اثنتى عشرة سورة بنقصان المعوّذتين، لكنّ الّذي استقرّ عليه مذهب الإماميّة أنّها مائة و اثنتى عشرة سورة بعدّ المعوّذتين سورتين،

و الضُّحى و الانشراح سورة واحدة، و كذا الفيل و الإيلاف. أمّا المعوّذتين بكسر الواو و فقد أجمع علمائنا و أكثر العامّة على أنّهما من القرآن، و أنّه يجوز القراءة بهما في المكتوبة، و لم يحك الخلاف في ذلك إلّا عن عبدالله بن مسعود، حيث زعم أنّهما ليستا من القرآن، و إنّما أنزلتا لتعويذ الحسن و الحسين عليهما السلام و قد انقرض القول به.

بل في «الذّكرى» أنّه قد استقرّ الإجماع من العامّة و الخاصّة على خلاف، مضافًا إلى استفاضة الأخبار بذلك. ففي كثير منه أنّ مولانا الصّادق عليه السلام قرأ بهما في الفريضة، ثمّ قال عليه السلام: «إنّهما من القرآن»[١].

وروى الحسين بن بَسطام في «طبّ الأئمّة» عنه: أنّه سئل عن المعوّذتين أهما من القرآن؟ فقال عليه السلام: «إنّهما من القرآن»، فقال الرّجل: إنّهما ليستا من القرآن في قراءة ابن مسعود و لا في مُصْحَفه، فقال عليه السلام: «أخطأ ابن مسعود» أو قال عليه السلام: «كذّب ابن مسعود، هما في القرآن»، قال الرّجل: فأقرأهما في المكتوبة؟ قال: «نعم»[٢].

و روى القُمّيّ بالإسناد عن أبي بكر الحَضْرميّ قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنّ ابن مسعود كان يمحو المعوّذتين من المُصْحَف، فقال: «كان أبي يقول: إنّما فعل ذلك ابن مسعود برأيه، وهما من القرآن»[٣]. إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المعتضدة بالإجماع نقلًا و تحصيلًا.

فما يحكى عن عبارة «الفقه الرّضويّ»، حيث قال عليه السلام: و إنّ المعوّذتين من الرّقية ليستا من القرآن، أدخلوها في القرآن»، و قال: إنّ جبرائيل علّمهما رسول الله صلى الله عليه وآله [إلى أن قال:] و أمّا المعوّذتان فلاتقرأهما في الفرائض، و لا بأس بالنّوافل». انتهى[٤].

---

١ ـ التّهذيب ١: ١٦١، وسائل الشّيعة ٢: ٧٨٦.

٢ ـ طبّ الأئمّة: ١١٩، وسائل الشّيعة ٢: ٧٨٦.

٣ ـ تفسير القُمّيّ: ٧٧٤، وسائل الشّيعة ٢: ٧٨٦.

٤ ـ فقه الرّضويّ: ٩، الحدائق ٨: ٢٣٢، ط الآخونديّ بالنّجف.

فمع الغضّ عمّا في سنده لعدم ثبوت اعتباره، يجب حمله على التّقيّة[١].

و أمّا اتّحاد الضّحى و الانشراح كالفيل و الإيلاف، فهو و إن تردّد فيه المحقّق في «المعتبر»، بل قطع بعض من تأخّر عنه بالتّعدّد، كثاني المحقّقين والشّهيدين و سيّد المدارك و غيرهم من المتأخّرين، نظرًا إلى عدم دلالة واضحه من الأخبار على الاتّحاد، مع الفصل بالبَسْمَلة والتّرجمة في جميع المصاحف، و تسميتها سورتين في خبر المفضّل، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «لاتجمع بين السّورتين في ركعة واحدة إلّا الضّحى و ألم نشرح، و سورة الفيل والإيلاف»، لكون الاستثناء حقيقة في المتّصل، و لا أقلّ من الظّهور. إلّا أنّ الّذي ينبغي القطع به هو الاتّحاد كما هو المشهور فتوًى و عملًا، و عن غير واحد منهم نسبته إلى علمائنا.

و في «الانتصار» أنّه مذهب الإماميّة، و عن «أمالي» الصّدوق: أنّه من دين الإماميّة الّذي يجب الإقرار به.

و عن «الاستبصار» أنّ الأوّلين سورة واحدة عند آل محمّد عليهم السلام، بل لم يعهد ممّن سبق على المحقّق التّأمّل فيه، إلى غير ذلك ممّا يقطع معه بتحقّق الإجماع، سيّما مع كونه من متفرّدات الإماميّة، مضافًا إلى الأخبار الكثيرة، كالمرويّ عن «هداية» الصّدوق عن الصّادق عليه السلام، قال: «و موسّع عليك أيّ سورة في فرائضك الأربع، و هي الضّحى و ألم نشرح في ركعة، لأنّها جميعًا سورة واحدة و الإيلاف، و ألم تر في ركعة، لأنّها جميعًا سورة واحدة[٢]»، و نسبه في «التّبيان»، و «مجمع البيان» و «الشّرائع» و غيرها من كُتُب الجماعة إلى رواية أصحابنا، و «صحيح الشّحّام»: صلّى بنا أبو عبدالله عليه السلام، فقرأ الضّحى و ألم نشرح في ركعة[٣].

و عن «كتاب القراءة» لأحمد بن محمّد بن سيّار عن الصّادق عليه السلام: «الضّحى و ألم نشرح

١- الفقه الرّضويّ أو الفقه الرّضا كتاب منسوب إلى الرّضا عليه السلام، و لكنّه ليس بمعتمد عند المحقّقين و لا يعتمدون على متفرّداته، من أراد تحقيقه فليراجع خاتمة المستدرك للنّوريّ، و الذّريعة لآغا بزرك.

٢ـ البحار ١٨: ٣٤٢ ط القديم، الحدائق ٨: ٢٠٤ ط الآخونديّ بنجف.

٣ـ التّهذيب ١: ٢٥٤، وسائل الشّيعة ٢: ٧٤٢.

سورة واحدة»[١]. و روى العَيّاشيّ عن أبي العبّاس، عن أحدهما: ألم تر كيف فعل ربّك والإيلاف سورة واحدة»[٢].

قال: و روي أنّ أُبيّ بن كعب لم يفصل بينهما في مُصْحَفه[٣]، إلى غير ذلك من الأخبار الدّالّة على الاتّحاد، فضلًا عمّا يدلّ على عدم الاجتزاء بواحدة منهما في الفريضة، وأنّه يجب قرائتهما معًا مع حرمة الجمع بين السّورتين فيها حسب ماقرّر في موضعه، ومن هنا يظهر ضعف ما ذكروه من عدم الدّليل على الاتّحاد.

و أمّا حكاية الفصل والتّرجمة الّتي قيل: إنّها من أعظم الشُّبَه في ذهاب المتأخّرين إلى خلاف ما عليه المتقدّمون، سيّما مع ما اشتهر بينهم من دعوى تواتر السّبع المتّفقة على إثبات البَسْمَلة، ففيها مع الغضّ عمّا سمعت من عدم إثباتها في مُصْحَف أُبيّ، أنّه لاعبرة بمجرّد الفصل والتّرجمة بعد صراحة الأخبار، بل استقرار المذهب على ما مرّ، على أنّ جماعة من القائلين بالاتّحاد ذهبوا إلى لزوم البَسْملة بينهما، بل عن الحلّيّ «السّرائر»: أنّه لا خلاف في عدد آياتهما، فإذا لم يبسمل بينهما نقصتا من عددهما، و لم يكن قد قرأهما جميعًا، و إن كان الأشهر عدم الفصل، لظواهر بعض الأخبار.

و أمّا خبر المفضّل فكأنّه خرج مخرج التّجوّز والمسامحة في التّعبير حسبما يسمّيها النّاس سورتين للفصل، ولذا وقع مثله في خبر «الهداية» و غيره. مع التّصريح بالاتّحاد.

و أمّا الأنفال و التّوبة، فبعض العامّة وإن نسب إلى أئمّتنا عليهم السلام القول بالاتّحاد، إلّا أنّ الظّاهر من عدم تعرّض أحد من الأصحاب لذلك في باب قراءة السّورة التّامّة في الفريضة العدم.

بل في العَلَويّ المرويّ في «المجمع» تعليل عدم نزول البَسْمَلة على رأس سورة براءة بأنّ

١ـ مستدرك الوسائل ١: ٢٧٥.

٢ـ مجمع البيان ١٠: ٥٤٤، وسائل الشّيعة ٢: ٧٤٤.

٣ـ نفس المصدرين.

«بسم الله» للأمان و الرّحمة، و نزلت براءة لرفع الأمان بالسّيف[١].

و يؤيّده الأخبار الكثيرة من طُرُق الفريقين المشتملة على بيان سبب نزول السّورة، حيث علّق الحكم فيها بنزول السّورة لا الآية و الآيات، بل الأخبار الدّالّة على فضلها وفضل الأنفال، مؤيّدًا بتقرير الثّابت في المصاحف، و ضبط آيات كلٍّ منها، و غير ذلك ممّا يشير إلى استقرار المذهب على التّعدّد، سيّما مع سكوتهم عن الحكم بالاتّحاد عند البحث عن وجوب التّبعيض مع تعرّضهم للحكم في السّورتين المتقدّمتين و أمّا ما رواه العيّاشيّ و الطّبرسيّ في تفسيرهما عن مولانا الصّادق عليه السلام من اتّحادهما[٢]،ففيه ـ مع الغضّ عن ضعف السّند، و عدم ثبوت مثل هذا الحكم بمثله ـ أنّه لا يصلح لمقاومة ما مرّ، مضافًا إلى عدم صراحة المتن في المطلوب، و إن كان ظاهرًا فيه، نعم قد يؤمى إليه عدّهما سابعة السّبع الطُّوال، و إن قيل: إنّ ذلك لنزولهما جميعًا في المغازي، و تسميتهما بالقرينين، بل من القريب حمل خبر الاتّحاد على شيء من هذه الوجوه، إلّا أنّ الاحتياط في مثل القراءة و غيرها لا يخفى سبيله و لا ينبغي تركه، و إن كان الأشهر حرمة كلٍّ من التّبعيض،و الجمع بين مطلق السّورتين، كما أنّ الأظهر في المقام التّعدّد.

٢ـ في تقسيم السُّوَر

قسّموا السُّوَر إلى أقسام أربعة:

أحدها ـ الطُّوَل كصُرَد، جمع الطّولى بالضّمّ مؤنّثة الأطول، كالكُبَر و الفُضَل في جمع الكُبْرى و الفُضْلى.

و في «النّهاية»: إنّ هذا البناء يلزمه الألف أو الإضافة، قال: والسّبع الطُّوَل: هي البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، و الأعراف، والتّوبة، و هو مبنيّ على إسقاط الأنفال

---

١ ـ مجمع البيان: ٥: ٢.

٢ ـ تفسير العيّاشيّ ٢: ٧٣، و البحار ١٩: ٦٩، و الصّافي ١: ٦٨٠، مجمع البيان ٥: ١.

رأسًا، وعدّ التّوبة سورة مستقلّة. لكن في «القاموس» أنّها من البقرة إلى الأعراف، و السّابعة سورة يونس، أو الأنفال و براءة جميعًا، لأنّهما سورة واحدة عنده. انتهى

و لا يخفى أنّ هذين القولين يخالفان ما في «النّهاية»، بل لعلّ ظاهره أنّ من عدّهما سورتين جعل السّابعة سورة يونس، و ليس كذلك، بل يظهر من بعضهم أنّهما معًا السّابعة، و لو عند مَنْ قال بالتّعدّد نظرًا إلى وحدة البَسْمَلة فيهما، أو نزولهما جميعًا في «المغازي»، أو لقربهما في الآي للسّتّ السّابقة، أو لأنّ الأُولى في ذكر العهود، والثّانية في رفع العهود.

و في «المجمع»: عن ابن عبّاس أنّه قال لعُثمان بن عفّان ...[و ذكر كما تقدّم عن الطّبريّ الرّقم٦، ثمّ قال:]

ثمّ إنّه يظهر من «النّهاية» الأثيريّة إطلاق الطّوليين على الأنعام والأعراف، قال: و منه حديث أُمّ سَلَمة: كان يقرأ في المغرب بطولي الطّوليين، تثنية الطُّولى و مذكّرها الأطْوَل، أي أنّه كان يقرأ فيها بأطول السّورتين الطّويلتين، يعني الأنعام و الأعراف.

ثانيهما ـ المئون: جمع المئة والنّون، قال في «الصّحاح»: أصله ـ يعني المئة ـ مأي مثال معيّ، و الهاء عوض عن الياء، و إذا جمعت بالواو و النّون قلت: مِئون بكسر الميم، و بعضهم يقول: مُؤون بالضّمّ.

أقول: والمراد منها ما آياتها في حدود المئة بشيء من زيادة أو نقصان، قالوا: و هي من يونس إلى الفرقان، و قيل: من بني إسرائيل إلى سبع سُوَر، لأنّ كُلّها منها على نحو مئة آية، والتّسمية للسُّوَر باعتبار الآيات، فإنّها يوصف بها، كما يقال: مررتُ برجل مئة إبله، كما في «القاموس»، و إن قال: و الوجه الرّفع.

ثالثها ـ المثاني: جمع المَثْنىٰ كالمعنىٰ و المعاني، و عن الفرّاء أنّ واحدها مثناة، و المثاني و إن كانت تطلق على الفاتحة لما مرّ، و على جميع القرآن بمعنى المجموع أو كلّ آية منه، لاقتران آية الرّحمة بآية العذاب، أو لغيره ممّا مرّ، و لكنّ المراد بها في المقام ما كان أقلّ من المئين و أزيد من المفصّل، قيل: كأنّ المئين جعلت مبادئ، و الّتي تليها مثاني.

و في «مجمع البيان»: أنّها مثاني السّبع الطُّوَل، قال: و أوّلها سورة يونس، و آخرها النّمل، و قيل: و المشهور بين العامّة أنّه من الطّواسين إلى الحجرات، و قيل: إنّه بقيّة السُّوَر غير الطُّوَل السّبع، والمئين السّبع، و المفصّل المفسّر بسورة محمّد ﷺ إلى آخر القرآن، و هي تقصر عن المئين و تزيد على المفصّل، كأنّ الطُّوَل جعلت مبادئ أُخرى، و الّتي تليها مثاني لها، فهي مثاني لكلّ منهما، وقيل أقوال أُخر، أشار إلى جملة منها في «القاموس»، قال: و المثاني: القرآن، أو ما ثنّي منه مرّة بعد مرّة، أو الحمد، أو البقرة، إلى براءة، أو كلّ سورة دون الطُّوَل، و دون المئين، و فوق المفصّل، أو سورة الحجّ و القصص، و النّمل، و العنكبوت، والنّور، و الأنفال، و مريم، و الرّوم و ياسين، والفرقان، و الحجر والرّعد، وسبأ، و الملائكة، و إبراهيم، و ص، و محمّد و لقمان، و النّون، و الزُّخرُف و المؤمن، و السّجدة، و الأحقاف، و الجاثية، و الدّخان، و الأحزاب.

رابعها ـ المفصّل بفتح الصّاد المشدّدة، قال في «القاموس»: إنّه من الحُجُرات إلى آخر القرآن في الأصحّ، أو الجاثية، أو القتال أو «قٓ» عن النّوويّ. و الصّافّات، أو الصّفّ، أو التّبارك، عن أبي الصّيف، أو إنّا فتحنا، عن الدّذماريّ، أو سبّح اسم ربّك الأعلى، عن الفِرْكاح أو و الضّحى، عن الخطّابيّ.

أقول: والّذي استقرّ عليه مذهب أصحابنا الإماميّة ـ عطّر الله مراقدهم ـ أنّه من سورة محمّد ﷺ إلى آخر القرآن، بل عن «التّبيان» نسبته إلى أكثر أهل العلم، و اقتصر عليه في «مجمع البيان» من غير إشارة إلى غيره. و قد يؤيّد ذلك بما في المرويّ مرسلًا في «مجمع البحرين» [1]، و لعلّه خبر سعد الآتي أو غيره، فيعضده أنّ المفصّل ثمانٍ و ستّون سورة، نظرًا إلى انطباق هذا العدد عليه بداية و نهاية كما لايخفى، وأنّما سُمّيت به لكثرة الفصول بين سُوَره بالبَسْمَلة، من قوله: عِقْد مفصّل، أي جعل بين كلّ لؤلؤتين منه جوهرة، أو لقلّة المنسوخ

١ـ مجمع البحرين ـ حرف اللّام ـ ما أوّله الفاء: ٤٤٨ في كلمة فصل.

فيه، من قولهم: حكم فاصل و فيصل: ماضٍ، أو لكثرة فواصله في سُوَره أو آياته، فإنّ الفاصلة: الخرزة بين الخرزتين، و أواخر آيات التّنزيل بمنزلة قوافي الشّعر.

ثمّ إنّ التّسمية في هذه الأسماء الأربعة مشهورة بين العامّة، بل و بين الخاصّة أيضًا، و إن توهّم بعض المتأخّرين أنّه لا أصل لها في أخبارنا، بل ذكر السّيّد[1] في «مداركه» بعد نقل الشّهرة على استحباب قراءة المفصّل في الصّلاة أنّه ليس في أخبارنا تصريح بعد بهذا الاسم ولا تحديده، و إنّما رواه الجمهور عن عمر[2] و تبعه البَحْرانيّ في «حدائقه»، قال بعد نقل كلامه: و من هنا يعلم أنّ الظّاهر أنّ أصحابنا (رضي الله عنهم) قد تبعوا في ذلك العامّة، ثمّ قال بعد أن حكى عن «مجمع البحرين»: إنّ في الحديث: «فُضّلتُ بالمفصّل».

و في الخبر أنّه ثمانٍ و ستّون إلخ إنّه ربّما أشعر كلامه بأنّ الأخبار المذكورة في كلامه مرويّة عن طُرُقنا، و لم أقف على من نقلها كذلك سواه، و الظّاهر أنّها من طرق العامّة، و إن تناقلها أصحابنا في كُتُب الفروع.

نعم، وقفت على ذلك في كتاب «دعائم الإسلام»[3]، إلّا أنّه من كلامه و لم يسنده إلى رواية،

١ـ محمّد بن عليّ بن الحسين العامليّ صاحب المدارك، كان فاضلًا، متبحّرًا، ماهرًا محقّقًا، مدقّقًا، زاهدًا، عابدًا، ورعًا فقيهًا، محدّثًا ... توفّي سنة ١٠٠٩ في قرية جبع. ـ سفينة البحار ١: ٣٢٨.

٢ـ في بدائع الصّنائع ١: ٢٠٥، كتب عمر بن الخطّاب إلى أبي موسى الأشعريّ أن اقرأ في الفجر و الظّهر بطول المفصّل، و في العصر و العشاء بأوساط المفصّل، في المغرب بقصار المفصّل. ـ تعليقه الحدائق ٨: ١٧٧ ط. الآخونديّ بالنّجف.

٣ـ دعائم الإسلام للقاضي النّعمان بن محمّد بن منصور أبي حنيفة ابن حَيُّون التّميميّ (م: ٣٦٣)، قال المجلسيّ في مقدّمة البحار: و كتاب دعائم الإسلام قد كان أكثر أهل عصرنا يتوهّمون أنّه تأليف أبي حنيفة النّعمان بن منصور قاضي مصر في أيّام الدّولة الإسماعيليّة، و كان مالكيًّا أوّلًا ثمّ اهتدى و صار إماميًّا، و أخبار هذا الكتاب أكثرها موافقة لما في كُتُبنا المشهورة، لكن لم يروِ عن الأئمّة بعد الصّادق خوفًا من الخلفاء الإسماعيليّة، و تحت سرّ التّقيّة أظهر الحقّ لمن نظر فيه متعمّقًا، و أخباره تصلح للتّأييد و التّأكيد. قال ابن خلّكان: هو أحد الفضلاء المشار إليهم، ذكره الأمير المختار المسيحيّ في تاريخه، فقال: كان من العلم و الفقه و الدّين و النُّبل على ما لا مزيد عليه. و قال ابن زَوْلاق في ترجمة ولده عليّ بن النّعمان: كان أبوه النّعمان بن محمّد القاضي في «غاية الفضل»، من أهل القرآن و العلم بمعانيه، و عالمًا بوجوه الفقه و علم اختلافات الفقهاء، و اللّغة و الشّعر و المعرفة بأيّام ←

حيث قال: و لابأس أن يقرأ في الفجر بطُوال المفصّل، و في الظّهر والعشاء الآخرة بأوساطه، و في العصر بأوساطه، و في العصر و المغرب بقِصاره، انتهى[1].

و نسج على منواهم كثير ممّن تأخّر عنهم، لكن القدح ليس في موضعه، إذ في «الكافي» بالإسناد عن سعد الإسكاف، أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: أُعطيتُ السُّوَر الطُّوَل ... [و ذكر كما تقدّم عن الفيض الكاشانيّ، ثمّ قال:].

و في «مجمع البيان»: أنّه قد شاع في الخبر عن النّبيّ ﷺ ... [وذكر كما تقدّم عن الطّبرسيّ ثمّ قال:]. قال: و في رواية واثلة بن الأسقع: و أُعطيتُ مكان الإنجيل المثين. و مكان الزّبور المثاني، و أُعطيتُ فاتحة وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها أحد قبلي، وأعطاني ربّي المفصّل نافلة[2]. (٢: ١٣٩ـ١٥٣)

← النّاس، مع عقل و إنصاف، و ألّف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف و أملح سجع، و عَمِل في المناقب و المثالب كتابًا حسنًا، و له رُدُودٌ على المخالفين، له ردٌّ على أبي حنيفة و على مالك، و الشّافعيّ و على شُرَيح، و كتاب اختلاف ينتصر فيه لأهل البيت عليهم السلام ... وفيات الأعيان ٢: ١٦٦، بحار الأنوار ج ١.

١ ـ الحدائق النّاظرة ٨: ١٧٨ ط. الآخونديّ بالنّجف.

٢ ـ مجمع البيان ج ١ ـ مقدّمة الكتاب ـ الفنّ الرّابع في ذكر أسامي القرآن و معانيها.

الفصل الثّامن عشر

نصّ الزُّرقانيّ (م: ١٣٦٨) في «مناهل العرفان...»

معنى السّورة

السّورة: في اللّغة تطلق على ما ذكره «صاحب القاموس» بقوله: «والسّورة: المَنْزِلة، ومن القرآن معروفة، لأنّها مَنزلة بعد مَنزلة، مقطوطة عن الأُخرى، والشّرف، وما طال من البناء وحسن، والعلامة، وعرق من عروق الحائط».

ويمكن تعريفها اصطلاحًا بأنّها طائفة مستقلّة من آيات القرآن ذات مَطْلعٍ ومَقْطعٍ، قالوا: وهي مأخوذة من سُور المدينة، وذلك إمّا لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة، وآية بجانب آية، كالسُّور توضع كلّ لَبِنة فيه بجانب لَبِنة، ويقام كلّ صفّ منه على صفّ.

وإمّا لما في السّورة من معنى العلوّ والرّفعة المعنويّة الشّبيهة بعلوّ السُّور ورفعته الحسّيّة، وإمّا لأنّها حِصْن وحماية لمحمّد ﷺ وما جاء به من كتاب الله القرآن، ودين الحقّ الإسلام، باعتبار أنّها معجزة تخرس كلّ مكابر، ويحقّ الله بها الحقّ ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون. أشبه بسُور المدينة يُحصّنُها ويُحميها غارة الأعداء، وسطوة الأشقياء. وسُوَر القرآن مختلفة طولًا وقَصْرًا.

فأقصر سورة فيه سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار، وأطول سورة فيه سورة البقرة، وهي خمس وثمانون أو ستّ وثمانون ومائتا آيةً، وأكثر آياتها من الآيات الطّوال، بل فيها آية الدَّين الّتي هي أطول آية في القرآن كما سبق. وبين سورة البقرة وسورة الكوثر سُوَر كثيرة

تختلف طولًا وتوسّطًا وقَصْرًا ومرجع الطّول والقَصْر والتّوسّط وتحديد المطلع والمقطع إلى الله وحده، لحكمٍ سامية ،عَلِمَها مَنْ عَلِمَها، وجَهِلَها مَنْ جَهِلَها .

حكمة تسوير السُّوَر

لتجزئة القرآن إلى سُوَرٍ فوائدُ وحِكَمٌ:

منها: التّيسير على النّاس وتشويقهم إلى مدارسة القرآن وتحفّظه، لأنّه لو كان سبيكة واحدة لا حَلَقات بها، لَصَعب عليهم حفظه وفهمه، وأعياهم أن يخوضوا عُباب هذا البحر الخِضَمّ الّذي لا يشاهدون فيه عن كَثَبٍ مرافئ ولا شواطئ.

ومنها: الدّلالة على موضوع الحديث ومحور الكلام، فإنّ في كلّ سورة موضوعًا بارزًا تتحدّث عنه، كسورة البقرة، وسورة يوسف، وسورة النّمل، وسورة الجنّ.

ومنها: الإشارة إلى أنّ طول السّورة ليس شرطًا في إعجازها، بل هي معجزة ،وإن بلغت الغاية في القَصْر كسورة الكوثر... [ثمّ ذكر قول الزّمخشريّ، كما تقدّم عنه].

أقسام السُّوَر

قسّم العلماء سُوَر القرآن إلى أربعة أقسام ،خصّوا كلًّا منها باسم معيّن، وهي الطّوال، والمئين، والمثاني، والمفصّل. فالطّوال سبع سُوَر ... [وذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ].

(١: ٣٤٣ـ ٣٤٥)

الفصل التّاسع عشر

نصّ النّهاوندي[3](م: ١٣٧١) في «نفحات الرّحمان ...»

الطُّرفة الحادية عشرة: في عدد سُوَر القرآن و بيان الاختلاف فيه

المشهور[1] بين الإماميّة (رضوان الله عليهم) أنّ عدد سُوَر الكتاب العزيز مائة واثنتا عشرة، لعدّهم الضّحى و الانشراح سورة واحدة، و الفيل و قريش أيضًا سورة واحدة، بل ادّعى بعض الأساطين الإجماع عليه، و عليه النّصوص المعتبرة من أهل البيت عليهم السلام.

و نقل جماعة من العامّة أنّ في مُصْحَف أُبيّ سورة الفيل و سورة لإيلاف واحدة.

و نقل طاوس و غيره من مفسّري العامّة على ما في «إتقان السّيوطيّ»[2] أنّ الضّحى و ألم نشرح سورة واحدة، و خالف في ذلك أكثرهم، و ذهبوا إلى أنّ عدد السُّوَر مائة و أربع عشرة، و ادّعوا عليه إجماعهم.

نعم، قال بعضهم: بكونه مائة و ثلاث عشرة بجعل الأنفال و البراءة واحدة، لعدم البَسْمَلة بينهما، و لما روي عن مجاهد و سُفيان و أبي رَوْق، و هو بمكان من الضّعف، لاشتهار تعدّدهما و تعدّد اسمهما بين المسلمين، و لرواية «المجمع» عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لم ينزل ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ على رأس سورة براءة، لأنّ بسم الله للأمان و الرّحمة، و نزلت براءة لدفع

---

١ ـ المشهور: هو ما شاع عند أهل الحديث خاصّة دون غيرهم، بأن ينقله منهم رواةٌ كثيرون، و لايعلم هذا القسم إلّا أهل الصّناعة. أو عندهم و عند غيرهم كحديث: «إنّما الأعمال بالنّيّات» و أمره و واضح، و هو بهذا المعنى أعمّ من الصّحيح. أو عند غيرهم خاصّةً، ولا أصل له عندهم و هو كثيرٌ. (انظر: الرّعاية في علم الدّراية: ١٠٥)

٢ ـ الإتقان ٢: ١٤ ذكره الفخر الرّازيّ في تفسيره.

الأمان و السّيف»[١].

و عن ابن عبّاس[٢] قال: سألت عليّ بن أبي طالب: لِمَ لم تكتب في براءة: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾؟ قال: «لأنّها أمان، وبراءة نزلت بالسّيف»[٣]. وقال قلت لعُثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال و هي من المثاني، و إلى براءة و هي من المئين فقرنتم بينهما، و لم تكتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، و وضعتموها في السّبع الطُّوال؟ فقال عُثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السّورة ذات العدد. الخبر[٤]، وقد مرّ تمامه في بعض الطّرائف السّابقة.

و روى الصّدوق رحمه الله في «ثواب الأعمال» و العيّاشيّ[٥] عن الصّادق عليه السلام: «من قرأ سورة الأنفال و سورة البراءة في كلّ شهر، لم يدخله نفاق أبدًا». فمن جميع ذلك و من عدم ظهور شبهة في تعدّدهما بين الأصحاب ـ مع تعرّضهم لاتّحاد بعض السُّوَر كما مرّ ـ لا ينبغي الإشكال في تعدّد البراءة و الأنفال، و أنّ ما رواه الطّبرسيّ و العيّاشيّ رحمهما الله عن الصّادق عليه السلام: الأنفال و براءة واحد، مُؤوّل أو مطروح.

الطّرفة الثّانية عشرة: في بيان معنى السّورة و أنّ اسمَ كلّ سورة كان بتوقيف من النّبيّ ﷺ

السّورة: اسمٌ لطائفة من القرآن ذات فاتحة وخاتمة مسمّاة باسمٍ خاصٍّ بتوقيفٍ من النّبيّ ﷺ، و قد نصّ النّبيّ ﷺ بأسامي السُّوَر في الأحاديث و الآثار.

---

١ ـ مجمع البيان لعلوم القرآن لطّبرسيّ ٥: ٤، فيه: «لرفع الأمان بالسّيف».

٢ ـ البرهان في علوم القرآن للزّركشيّ ١: ٣٣١، ذكره عن المستدرك للحاكم.

٣ ـ في البرهان ١: ٣٣١: «نزلت بالسّيف، لأنّه ليس فيه أمان».

٤ ـ و هذا تمام الخبر: ... فكان إذا نزل عليه الشّيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: «ضعوا هؤلاء الآيات في السّورة الّتي يذكر فيها كذا و كذا، و كانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، و كانت براءة من آخر القرآن نزولًا، و كانت قصّتها شبيهة بقصّتها، فظننت أنّها منها، فقُبض رسول الله ﷺ ولم يُبيّن لنا أنّها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، و لم أكتب بينهما ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ و وضعتها في السّبع الطّوال. (انظر: الإتقان ١: ١٠٤).

٥ ـ تفسير العيّاشيّ ٢: ٧٣.

رُوي عن عِكرمة قال:[١] كان المشركون يقولون: سورة البقرة و سورة العنكبوت، يستهزؤون بها، فنزل ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[٢]. و وجه التّسمية بالأسامي المعيّنة المعروفة ظاهرٌ، فإنّ سورة الحمد سُمّيت بفاتحة لافتتاح القرآن بها، و سورة البقرة لذكر قصّة البقرة فيها، و لم تذكر في غيرها، و سورة آل عمران لذكر آل عمران فيها، و هكذا سائر السُّوَر[٣].

و أمّا وجه تسمية كلّ قطعة معيّنة بالسّورة لارتفاع منزلتها و شأنها، لأنّها كلام الله، و تطلق السّورة على المنزلة الرّفيعة. و قيل: إنّها مأخوذة من سُور البَلَد، لإحاطتها بآياتها و اجتماعها كاجتماع البيوت بالسُّور، و منه السّوار لإحاطته بالسّاعد.

الطُّرفة الثّالثة عشرة: في أنّ عدّة سُوَر من القرآن سُمّيت بالطُّوال و عدّة منها بالمئين و عدّة بالمثاني و عدّة بالمفصّل و وجه التّسمية

كما سُمّي كلّ سورة باسم خاصّ، سُمّيت عدّة سُوَر باسم مخصوص، عن «الكافي»[٤] بإسناده عن سعد الإسكاف، عن أبي جعفر عليه السلام[٥] قال: قال النّبيّ صلى الله عليه و آله: «أُعطيتُ السُّوَر الطُّوال ...[وذكر كما تقدّم عن الفيض الكاشاني]. ثمّ اعلم أنّه يُستفاد من الرّواية الشّريفة أُمور:

الأوّل ـ أنّ جميع سُوَر القرآن يكون داخلًا تحت العناوين الأربعة، لاتخرج منها سورة.

الثّاني ـ أنّ الطُّوال مقدّم في التّرتيب على المئين، و المئين على المثاني، و المثاني على المفصّل.

الثّالث ـ أنّ الطُّوال أفضل من المئين، لكونها بمنزلة التّوراة الّتي هي أفضل من الإنجيل، والمئين أفضل من المثاني، لكونها بمنزلة الإنجيل الّذي هو أفضل من الزّبور، و يمكن استفادة

١ـ الإتقان ١: ٩٠.

٢ـ الحِجر/ ٩٥.

٣ـ البرهان للزّركشيّ ١: ٣٣٢.

٤ـ أصول الكافي للكُلينيّ ٢: ٥٧٥، بحار الأنوار للمجلسيّ ٨٩: ٢٧.

٥ـ هذا الخبر مقطوع في الكافي، لم يذكر فيه اسم أبي جعفر عليه السلام.

كون المفصّل أفضل من المثاني، لأنّها ممّا فضّل به النّبيّ ﷺ. قيل: الطُّوَل: كصُرَد، و في بعض روايات العامّة الطُّوال. قيل سُمّيت به لكثرة طولها، و سُمّي ما بعدها مئين لأنّ كلّ سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها.

و سُمّي ما ولي المئين بالمثاني، لأنّها ثنّتها، أي كانت بعدها، فهي لها ثوانٍ والمئون لها أوائل. و قال الفرّاء: المثاني: هي السُّوَر الّتي آيها أقلّ من مائة، لأنّها، تُثنّى أكثر ممّا يثنّى الطّوال والمئون، و قيل: لتثنية الأمثال فيها بالعِبَر و الخبر، أو لتثنية القصص فيها. و سُمّي ما ولي المثاني من قصار السُّوَر بالمفصّل لكثرة الفصول الّتي تفصّل السُّوَر بالبَسْمَلة، و قيل: لقلّة المنسوخ منه، و لهذا يسمّى بالمحكم أيضًا[1].

رُوي عن سعيد بن جبير قال: إنّ الّذي تدعونه المفصّل هو المحكم، و آخره سورة النّاس بلا نزاع، ثمّ لا إشكال في أنّ عدد الطُّوال سبع لرواية واثلة عن النّبيّ ﷺ قال: «أُعطيتُ السّبع الطُّوال مكان التّوراة»[2]. و عن ابن عبّاس ﵁: أنّ السّبع الطُّوال البقرة و آل عمران و النّساء و المائدة و الأنعام و الأعراف.

قال الرّاوي: فذكر السّابعة فنسيتُها[3]. وفي رواية أُخرى عنه أنّها الكهف، و عن مجاهد و سعيد بن جُبَير أنّها يونس.

و قال الفيض ﵀: الطُّوال السّبع بعد الفاتحة، على أن تعدّ الأنفال و البراءة واحدة، لنزولهما جميعًا في المغازي و تسميتهما بالقرينتين، و فيه: أنّه بعد ما ثبت أنّ الأنفال و براءة سورتان، كيف يمكن عدّهما واحدة؟ إلّا أن يحمل ما رُوِي عن الصّادق ﵇ من قوله: الأنفال و البراءة واحد، على تنزيلهما منزلة الواحد من هذه الجهة مؤيّدًا بأشعار النّبويّ على تقدّم السّبع الطُّوال على غيرها. ثمّ قال: و المئين من بني إسرائيل إلى سبع سُوَرٍ لأنّ كلًّا منها على

١ـ الإتقان ١: ١١٠، بتصرّف قليل.

٢ـ التبيان للطّوسيّ ١: ٢٠، الإتقان ١: النوع ١٩، نقلًا عن الصّحيح للبخاريّ.

٣ـ الإتقان ١: ١٠٩، أخرجه الحاكم و النّسائيّ و غيرهما عن ابن عبّاس.

نحو مائة آية. و المفصّل من سورة محمّد إلى آخر القرآن، سُمّيت به لكثرة الفواصل.

أقول: هذا مبنيّ على عدّ الضُّحى و الانشراح و الفيل و قريش أربع سُوَر، و هذا خلاف الأخبار و المعروف بين الأصحاب، و عليه فلابدّ أن يعدّ المفصّل من الجاثية، حتّى يتمّ ثمانٍ و ستّون سورة إلى آخر القرآن على ما في الرّواية الشّريفة. ثمّ قال ﷺ: والمثاني بقيّة السُّوَر، وهي الّتي تقصر عن المئين و تزيد على المفصّل.

أقول: كان عليه أن يكتفي في تعيين المثاني بذكر بقيّة السُّوَر، إذ بعض المثاني لا تزيد على بعض سُوَر المفصّل على ما حدّه، لأنّ عدد آيات سورة الرّحمن الّتي جعلها في المفصّل ثمانٍ وسبعون، وسورة الواقعة ستّ و تسعون، و ليس في المثاني بعد الكهف سورة تكون آياته بهذا العدد إلّا قليلًا كطه و الأنبياء و المؤمنون و الشّعراء و الصّافّات ... [ثمّ ذكر ترتيب السُّوَر طبق مُصْحَف ابن مسعود، كما تقدّم في المجلّد الثّاني في قسم الجداول].

أقول: الظّاهر من هذا الخبر أنّ الممتحنات و الحواميم عند ابن مسعود قسمان خارجان من الأقسام الأربعة، و أنّه كان ترتيب السُّوَر في مُصْحَفه على خلاف المُصْحَف الّذي بأيدينا، إلّا أنّه لا اعتبار بهذا النّقل.

الطُّرفة الرّابعة عشرة: في فوائد تقطيع القرآن سُوَرًا و اختلافها في الطّول و القصر و التّوسّط

...[ثمّ ذكر بعد هذا العنوان فوائد تفصيل القرآن و تقطيعه بالسُّوَر نقلًا عن الزّمَخشريّ و الزّركشيّ، كما تقدّم عنهما]. (١: ٢٨٨ـ ٢٩٧)

الفصل العشرون

نصّ ابن عاشور (م: ١٣٩٣) في «التّحرير و التّنوير»

سُوَر القرآن

السّورة: قطعة من القرآن معيَّنة بمبدأ و نهاية لا يتغيّران، مسمّاة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تامّ ترتكز عليه معاني آيات تلك السّورة، ناشئ عن أسباب النّزول، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة.

و كونها تشتمل على ثلاث آيات مأخوذ من استقرار سُوَر القرآن، مع حديث عُمر فيما رواه أبو داود عن الزّبير قال: «جاء الحارث ابن خُزَيمة (هو المسمّى في بعض الرّوايات خُزَيمة و أبا خُزَيمة) بالآيتين من آخر سورة براءة، فقال: أشهد أنّي سمعتهما من رسول الله، فقال عمر: و أنا أشهد لقد سمعتهما منه، ثمّ قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حِدَة» إلخ، فدلّ على أنّ عمر ما قال ذلك إلّا عن علم بأنّ ذلك أقلّ مقدار سُوَره.

و تسمية القطعة المعيّنة من عدّة آيات القرآن سورةً من مصطلحات القرآن، و شاعت تلك التّسمية عند العرب حتّى المشركين منهم، فالتّحدّي للعرب بقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾[1] و قوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[2] لا يكون إلّا تحدّيًا باسم معلوم المسمّى و المدار عندهم وقت التّحدّي، فإنّ آيات التّحدّي نزلت بعد السُّوَر الأُوَل، و قد جاء في القرآن تسمية

---

١ ـ هود/ ١٣.

٢ ـ البقرة/ ٢٣.

سورة النّور باسم سورة في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾[1]، أي هذه سورة، و قد زادته السُّنّة بيانًا. و لم تكن أجزاء التّوراة و الإنجيل و الزّبور مسمّاةً سُوَرًا عند العرب في الجاهليّة و لا في الإسلام.

و وجه تسمية الجزء المعيّن من القرآن سورة، قيل: مأخوذة من السُّور بضمّ السّين وتسكين الواو، و هو الجدار المحيط بالمدينة أو بمحلّة قوم، زادوه هاء تأنيث في آخره مراعاة لمعنى القطعة من الكلام، كما سمّوا الكلام الّذي يقوله القائل خطبةً أو رسالةً أو مقامة.

و قيل: «مأخوذة من السُّؤْر بهمزة بعد السّين، و هو البقيّة ممّا يشرب الشّارب بمناسبة أنّ السُّؤر جزء ممّا يُشرب، ثمّ خفّفوا الهمز بعد الضّمّة فصارت واوًا، قال ابن عطيّة: «و ترك الهمز في سورة هو لغة قريش و من جاورها من هُذَيل و كَنانة و هَوازن و سعد بن بكر، و أمّا الهمز فهو لغة تَميم، و ليست إحدى اللّغتين بدالّة على أنّ أصل الكلمة من المهموز أو المعتل، لأنّ للعرب في تخفيف المهموز و همز المخفّف من حروف العلّة طريقتين، كما قالوا: أُجوه و إعاء و إشاح، في وُجوه و وِعاء و وِشاح، و كما قالوا: الذّئب بالهمز و الذّيب بالياء؛ قال الفرّاء: ربّما خرجتْ بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس مهموزًا، كما قالوا: «رَثأت الميّت و لَبَّأْتُ بالحجّ و حَلأتُ السّويق بالهمز».

و جمع سورة سُوَر بتحريك الواو كغُرَف، و نقل في «شرح القاموس» عن الكُراع[2] أنّها تجمع على سُور بسكون الواو.

وتسوير القرآن من السّنّة في زمن النّبيّ ﷺ فقد كان القرآن يومئذ مقسّمًا إلى مائة وأربعَ عشرة سورةً بأسمائها، ولم يخالف في ذلك إلّا عبدالله بن مسعود، فإنّه لم يُثبت المعوّذتين في سُوَر القرآن، وكان يقول: «إنّما هما تَعَوُّذٌ أمر الله رسولَه أن يقوله، وليس هو على سُوَر

١ـ النور/ ١.

٢ـ هو عليّ بن حسن الهـُنائيّ ـ بضمّ الهاء ـ نسبة إلى هُناءة ـ بوزن ثُمَامة ـ اسم جدّ قبيلة من قبائل الأزد، و الكراع بضمّ الكاف و تخفيف الرّاء لقبٌ لعليّ هذا، كان يلقّب كراع النّمل.

كثيرة. فالمصاحف الأولى الّتي كتبها الصّحابة لأنفسهم في حياة النّبيّ ﷺ كانت مختلفة في ترتيب وضع السُّوَر... [إلى أن قال:]

أخرج التِّرمذيّ و أبو داود عن ابن عبّاس قال: قلت لعُثمان بن عفّان ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبريّ الرّقم ٦، ثمّ قال:]

و هو صريح في أنّهم جعلوا علامة الفصل بين السُّوَر كتابة البَسْمَلة، و لذلك لم يكتبوها بين سورة الأنفال و سورة براءة، لأنّهم لم يجزموا بأنّ براءة سورة مستقلّة، و لكنّه كان الرّاجح عندهم، فلم يُقدموا على الجزم بالفصل بينهما تحرّيًا.

و في باب تأليف القرآن من «صحيح البخاريّ» عن عبدالله بن مسعود أنّه ذكر النّظائر الّتي كان رسول الله ﷺ يقرأهنّ في كلّ ركعة، فسُئِل علقمة عنها فقال: عشرون سورة من أوّل المفصّل على تأليف ابن مسعود، آخرها من الحواميم حم الدّخان، و ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾[1]، على أنّ الجمهور جزموا بأنّ كثيرًا من السُّوَر كان مرتّبًا في زمن النّبيّ ﷺ... [إلى أن قال:]

و فائدة التّسوير ما قاله صاحب «الكشّاف» في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ ... [و ذكر كما تقدّم عنه].

و نقل ابن عطيّة عن الباقِلّانيّ الجزم بأنّ ترتيب السُّوَر بعضها إثر بعض هو من وضع زيد بن ثابت بمشاركة عُثمان، قال ابن عطيّة: و ظاهر الأثر أنّ السّبع الطُّوال و الحواميم و المفصّل كانت مرتّبة في زمن النّبيّ ﷺ، و كان من السُّوَر ما لم يرتّب، فذلك هو الّذي رتّب وقت كتابة المُصْحَف.

أقول: لا شكّ أنّ طوائف من سُوَر القرآن كانت مرتّبة في زمن النّبيّ ﷺ على ترتيبها في المُصْحَف الّذي بأيدينا اليوم، الّذي هو نسخة من المُصْحَف الإمام الّذي جمع و كتب في خلافة أبي بكر الصّدّيق، و وزعت على الأمصار نُسَخ منه في خلافة عُثمان ذي النّورين،

١ـ النّبأ/ ١.

فلا شكّ في أنّ سُوَر المفصّل كانت هي آخر القرآن، ولذلك كانت سنّة قراءة السّورة في الصّلوات المفروضة أن يكون في بعض الصّلوات من طوال المفصّل، و في بعضها من وسط المفصّل، و في بعضها من قصار المفصّل، و أنّ طائفة السُّوَر الطُّولى الأوائل في المُصْحَف كانت مرتّبة في زمن النّبيّ ﷺ أوّل القرآن، و الاحتمال فيما عدا ذلك ... [إلى أن قال:]

واعلم! أنّ معنى الطُّولى و القُصْرى في السُّوَر مُراعًى فيه عدد الآيات لا عدد الكلمات و الحروف، و أنّ الاختلاف ـ بينهم في تعيين المكّيّ و المدنيّ من سُوَر القرآن ـ خلافٌ ليس بكثير، و أنّ ترتيب المُصْحَف تخلّلت فيه السُّوَر المكّيّة و المدنيّة. و أمّا ترتيب نزول السُّوَر المكّيّة و نزول السُّوَر المدنيّة ففيه ثلاث روايات:

إحداها ـ رواية مجاهد عن ابن عبّاس.

و الثّانية ـ رواية عطاء الخراسانيّ عن ابن عبّاس.

والثّالثة ـ الجابر بن زيد، و لا يكون إلّا عن ابن عبّاس، و هي الّتي اعتمدها الجَعْبَريّ في منظومته الّتي سمّاها «تقريب المأمول في ترتيب النّزول»، و ذكرها السّيوطيّ في «الإتقان»، و هي الّتي جرينا عليها في تفسيرنا هذا.

[أسماء السُّوَر]

و أمّا أسماء السُّوَر فقد جُعلت لها من عهد نزول الوحي، و المقصود من تسميتها تيسير المراجعة و المذاكرة. قد دلّ حديث ابن عبّاس الّذي ذُكر آنفًا أنّ النّبيّ ﷺ كان يقول إذا نزلت الآية: «ضَعوها في السّورة الّتي يُذْكر فيها كذا»، فسورة البقرة مثلًا كانت تلقّب بالسّورة الّتي تُذْكر فيها البقرة.

و فائدة التّسمية: أن تكون بما يميّز السّورة عن غيرها.

و أصل أسماء السُّوَر أن تكون بالوصف، كقولهم: السّورة الّتي يذكر فيها كذا، ثمّ شاع فحذفوا الموصول و عوضوا عنه الإضافة، فقالوا: سورة ذِكْر البقرة مثلًا، ثمّ حذفوا المضاف و أقاموا المضاف إليه مقامه، فقالوا: سورة البقرة. أو أنّهم لم يُقدّروا مضافًا، و أضافوا السّورة

إلى ما يذكر فيها لأدنى ملابسة. و قد ثبت في «صحيح البخاريّ» قول عائشة (رضي الله عنها): «لمـّا نزلت الآيات من آخر البقرة» الحديث، و فيه: عن ابن مسعود قال: قرأ رسول الله النّجم، و عن ابن عبّاس أنّ رسول الله سجد بالنّجم.

و ما رُوي من حديث عن أنس مرفوعًا: «لا تقولوا: سورة البقرة، و لا سورة آل عمران، و لا سورة النّساء، و كذلك القرآن كلّه، ولكن قولوا السّورة الّتي يذكر فيها آل عمران ـ وكذا القرآن كلّه»،فقال أحمد بن حنبل:هو حديث منكر، وذكره ابن الجَوْزيّ في «الموضوعات»، ولكن ابن حَجَر أثبت صحّته. و يذكر عن ابن عُمَر أنّه كان يقول مثل ذلك و لا يرفعه إلى النّبيّ ﷺ، ذكره البَيْهَقيّ في «شُعَب الإيمان».

وكان الحَجّاج بن يوسف يمنع من يقول: سورة كذا، و يقول: قل: السّورة الّتي يذكر فيها كذا. و الّذين صحّحوا حديث أنس تأوّلوه، و تأوّلوا قول ابن عمر بأنّ ذلك كان في مكّة حين كان المسلمون إذا قالوا: سورة الفيل و سورة العنكبوت مثلًا، هزأ بهم المشركون، و قد رُوِي أنّ هذا سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[1]، فلمّا هاجر المسلمون إلى المدينة زال سبب النّهي فنُسِخ، و قد علم النّاس كلّهم معنى التّسمية. و لم يشتهر عن السّلف هذا المنع، ولهذا ترجم البخاريّ في كتاب «فضائل القرآن» بقوله: «باب من لم ير بأسًا أن يقول: سورة البقرة و سورة كذا»وأخرج فيه أحاديث تدلّ على أنّهم قالوا: سورة البقرة، سورة الفتح، سورة النّساء، سورة الفرقان، و سورة براءة، و بعضها من لفظ النّبيّ ﷺ. و عليه فللقائل أن يقول: سورة البقرة، أو الّتي يذكر فيها البقرة، و أن يقول: سورة و النّجم، و سورة النّجم، و قرأت النّجم، و قرأت والنّجم،كما جاءت هذه الإطلاقات في حديث السّجود في سورة النّجم عن ابن عبّاس.

و الظّاهر أنّ الصّحابة سمّوا بما حفظوه عن النّبيّ ﷺ، أو أخذوا لها أشهر الأسماء الّتي كان

---

١ ـ الحِجر/ ٩٥.

النّاس يعرفونها بها، و لو كانت التّسمية غير مأثورة، فقد سمّى ابن مسعود القنوت سورة «الخَلْع و الخَنع» كما مرّ، فتعيّن أن تكون التّسمية من وضعه، و قد اشتهرت تسمية بعض السُّوَر في زمن النّبيّ ﷺ و سمعها و أقرّها، و ذلك يكفي في تصحيح التّسمية.

و اعلم! أنّ أسماء السُّوَر إمّا أن تكون بأوصافها مثل الفاتحة و سورة الحمد، و إمّا أن تكون بالإضافة إلى شيء اختصّت بذكره، نحو: سورة لقمان و سورة يوسف و سورة البقرة، و إمّا بالإضافة إلى ما كان ذكره فيها أوْفى، نحو: سورة هود و سورة إبراهيم، و إمّا بالإضافة إلى كلمات تقع في السّورة نحو: سورة براءة و سورة حٓم عسٓقٓ، و سورة حمٓ السّجدة ـ كما سمّاها بعض السّلف ـ و سورة فاطر. و قد سمّوا مجموع السُّوَر المفتتحة بكلمة حمٓ «آل حمٓ»، و ربّما سمّوا السّورتين بوصف واحد، فقد سمّوا سورة الكافرون و سورة الإخلاص المُقَشْقِشَتين.

واعلم! أنّ الصّحابة لم يثبتوا في المُصْحَف أسماء السُّوَر، بل اكتفوا بإثبات البَسْمَلة في مبدأ كلّ سورة علامة على الفصل بين السّورتين، و إنّما فعلوا ذلك كراهة أن يكتبوا في أثناء القرآن ما ليس بآية قرآنيّة، فاختاروا البسملة لأنّها مناسبة للافتتاح، مع كونها آية من القرآن.

و في «الإتقان»: أنّ سورة البيّنة سمّيت في مُصْحَف أُبيّ سورة «أهل الكتاب»، و هذا يؤذن بأنّه كان يسمّي السُّوَر في مُصْحَفه. و كتبت أسماء السُّوَر في المصاحف باطّراد في عصر التّابعين، و لم ينكر عليهم ذلك.

قال المازِريّ في «شرح البرهان» عن القاضي أبي بكر الباقلّانيّ: إنّ أسماء السُّوَر لمّا كتبت المصاحف، كتبتْ بخطّ آخر لتتميّز عن القرآن، و إنّ البَسْمَلة كانت مكتوبة في أوائل السُّوَرَ بخطّ لايتميّز عن الخطّ الّذي كتب به القرآن.

و أمّا ترتيب آيات السّورة فإنّ التّنجيم في التّزول من المعلوم كما تقدّم آنفًا، و ذلك في آياته و سُوَره، فربّما نزلت السّورة جميعًا دفعة واحدة، كما نزلت سورة الفاتحة و سورة

المرسلات من السُّوَر القصيرة، و ربّما نزلت نزولًا متتابعًا كسورة الأنعام، و في «صحيح البخاريّ»عن البَراء بن عازب قال: آخر سورة نزلت كاملة براءة، و ربّما نزلت السّورة و نزلت السّورتان مفرّقتان في أوقات متداخلة. روى التّرمذيّ عن ابن عبّاس عن عُثمان بن عفّان قال: «كان رسول الله ﷺ ممّا يأتي عليه الزّمان ...[وذكر كما تقدّم عن الطّبريّ الرّقم ٦].

و لذلك فقد تكون السّورة بعضها مكّيًّا و بعضها مدنيًّا. وكذلك تنهية كلّ سورة كان بتوقيفٍ من النّبيّ ﷺ، فكانت نهايات السُّوَر معلومة، كما يشير إليه حديث: «من قرأ الآيات الخواتم من سورة آل عمران»، و قول زيد بن ثابت: «فقدت آخر سورة براءة». و قد توفّي رسول الله ﷺ و القرآن مسوَّر سُوَرًا معيّنة، كما دلّ عليه حديث اختلاف عمر بن الخطّاب مع هِشام بن حَكيم بن حِزام في آيات من سورة الفرقان في حياة النّبيّ ﷺ، كما تقدّم في المقدّمة الخامسة. و قال عبدالله بن مسعود في سُوَر بني إسرائيل، و الكهف، و مريم، و طه، و الأنبياء: «و هُنّ من تِلادي».

و قدجمع من الصّحابة القرآنَ كلّه في حياة رسول الله: زيد بن ثابت، ومُعاذبن جَبَل،وأبوزيد، و أُبيّ بن كَعْب،وأبو الدَّرداء، وعبدالله بن عمر، وعُبادة بن الصّامت، و أبوأيّوب،وسعد بن عُبَيد،ومُجَمِّع بن جارية، وأبوموسى الأشعريّ، وحفظ كثير من الصّحابة أكثر القرآن على تفاوت بينهم.

وفي حديث غزوة حُنَين: لمّا انكشف المسلمون قال النّبيّ ﷺ للعبّاس: «اصرُخْ يا معشر الأنصار، يا أصحاب السَّمُرَة، يا أصحاب سورة البقرة»، فلعلّ الأنصار كانوا قد عَكَفوا على حفظ ما نزل من سورة البقرة، لأنّها أوّل السُّوَر النّازلة بالمدينة، و في «أحكام القرآن» لابن العربيّ عن ابن وَهْب عن مالك: كان شعارهم يوم حُنَين يا أصحاب سورة البقرة. و قد ذكر النّحويّون في الوقف على تاء التّأنيث هاءًا: أنّ رجلًا نادى: يا أهل سورة البقرة بإثبات التّاء في الوقف، و هي لغة، فأجابه مجيب: «ما أحفظ منها و لا آيت محاكاةً للغته. (١: ٨٢ـ ٩٠)

الفصل الحادي و العشرون

نصّ عِزَّة دَرْوَزَة (م: ١٤٠٠) في «القرآن المجيد»

أسماء السُّوَر

١ـ إنّ الضّابط أو الأصل العامّ في تسمية السُّوَر القرآنيّة ـ على ما يبدو من أسمائها ـ هو تسمية السّورة بكلمة أو باشتقاق كلمة واردة فيها. و إذا كانت الأسماء المشهورة لبعض السُّوَر لاتستمدّ من هذا الأصل، مثل: سُوَر الفاتحة و الأنبياء و الإخلاص، فإنّ هناك روايات بأسماء أخرى لهذه السُّوَر تستمدّ منه، مثل: الحمد للأُولى، و اقتربت للثّانية، و الصّمد للثّالثة.

٢ـ على أنّ بعض المصاحف يختلف عن بعض في الأسماء مع المحافظة على ذلك الأصل، فسورة التّوبة مثلًا تذكر في بعض المصاحف باسم «براءة» و الإسراء باسم «إسرائيل»، و غافر باسم «المؤمن»، و فُصّلت باسم «السّجدة» و المُلْك باسم «تبارك»، و النّبأ باسم «عمّ» و البيّنة باسم «لم يكن» و المَسَد باسم «أبولهب» و «تبّت» و الإخلاص باسم «الصّمد».

٣ـ و هذا الاختلاف ناشئ عن روايات مختلفة معزوّة إلى بعض الصّحابة، كما أنّ هناك روايات مثلها بتسمية سُوَر أُخرى بأسماء أُخرى، و إن لم نطّلع على مصاحف تذكر ذلك، مثل سورة التّوبة الّتي يروى أنّ من أسمائها «العذاب و المشرّدة و المنكلة و المدمدمة و المتشقشقة»، و الفاتحة الّتي يروى من أسمائها «السّبع المثاني والوافية والشّافية والصّلاة و الدّعاء و أمّ القرآن و القرآن العظيم»، والأنفال والشّعراء و النّمل و السّجدة و الزُّمَر و فُصّلت و الجاثية و قّ والمجادلة و الحشر و الطّلاق و الصّفّ و النّصر الّتي لها أسماء أُخرى، هي بالتّوالي: بدر

والجامعة و سليمان و المضاجع و الغُرَف و المصابيح و الشّريعة والباسقات والظّهار والتّضير والنّساء الصّغرى و الحواريّين و التّوديع. و هناك كذلك روايات سُمّيت فيها بعض السُّوَر بأكثر من كلمة واحدة، مثل سورة المؤمنون الّتي ذكرت بتعبير «قد أفلح المؤمنون»، و الإنسان بتعبير «هل أتى على الإنسان»، و الأعلى بتعبير «سبّح اسم ربّك الأعلى» و اللّيل بتعبير «و اللّيل إذا يغشى».

٤ـ هذا من جهة، و من جهة ثانية فإنّ هناك أحاديث و روايات مختلفة في طريقة تسمية السُّوَر، فقد رُوي عن أنس بن مالك حديث جاء فيه «لاتقولوا: سورة البقرة و لاسورة آل عمران، ولكن قولوا: السّورة الّتي يُذكر فيها البقرة، و السّورة الّتي فيها آل عمران.

و قد ذكرت جُلّ السُّوَر في تفسير ابن عبّاس رواية أبي صالح بالطّريقة الثّانية، في حين أنّ البخاريّ روى عن ابن مسعود في معرض تجويز القول بسورة كذا، أنّه قال: هذا مقام الّذي أُنزلت عليه سورة البقرة ،و أنّ هناك أحاديث نبويّة و صحابيّة نقلناها في المجموعة الثّالثة في مبحث تدوين و ترتيب القرآن،احتوت أسماء بعض السُّوَر بالطّريقة المختصرة المتداولة ، أي سورة البقرة و سورة آل عمران و سورة النّساء و سورة الكهف إلخ، بل هناك حديث طويل منسوب إلى النّبيّ ورد فيه جميع أسماء السُّوَر و فضائلها، ذكره الزّمخشريّ و الخازن و البيضاويّ في تفسيرهم بالطّريقة المتدوالة المختصرة و أوردوا وراء تفسير كلّ سورة فضيلة السّورة المذكورة في الحديث.

٥ـ و من جهة ثالثة فإنّ أسماء السُّوَر لم تكتب في جميع المصاحف المخطوطة ـ الّتي هي الأصل في المصاحف المطبوعة،والّتي كانت هي المتداولة قبل الطّباعة ـ على رؤوس الصُّحُف، حيث منها ما كتب فيه الأسماء على رؤوس الصُّحُف و في فواصل السُّوَر، و منها ما كتبت فيه الأسماء في فواصل السُّوَر فقط.

فكلّ ما تقدّم يمكن أن يسوغ القول: إنّ كتابة أسماء السُّوَر في فواصلها و على رؤوس صُحُف المصاحف حسب المتداول، ليست واردة في مُصْحَف عُثمان، لأنّها لو كانت كذلك لما

كان محلّ لهذا الخلاف في التّسمية و الكتابة، و إنّما هو عمل تنظيمـيّ متـأخّر عن نُسَخ هـذا المـُصْحَف. و قد يكون ـ بل هذا هو الأرجح ـ مستندًا إلى روايـات تُنُوقِلَـتْ فكتبـت في المصاحف، و كُتُب القراءات و التّفاسير على الوجـه الـشّهير المتـداول أو المختلـف أحيانًـا، ونرجّح بناءًا على ذلك أيضًا أنّ للأحاديث و الرّوايات أصلًا صحيحًا ما، و أنّه كـان للـسُّوَر كلّها أو كثير منها منذ عهد النّبيّ أسماء تذكر و تعرف بها. (١١٦ـ١١٨)

الفصل الثّاني و العشرون

نصّ العلّامة الطّباطبائيّ (م: ١٤٠٢) في «الميزان في تفسير القرآن»

[معنى السّورة و عددها]

﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾

[و في الآية] ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل ـ إنّ للقرآن الكريم أجزاء يعرف بها، كالجزء والحزب والعُشْر وغير ذلك، والّذي ينتهي اعتباره إلى عناية من نفس الكتاب العزيز اثنان منها وهما السّورة والآية، فقد كرّرالله سبحانه ذكرهما في كلامه كقوله: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾[1]، وقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾[2] وغير ذلك.

وقد كثُر استعماله في لسان النّبيّ ﷺ والصّحابة والأئمّة كثرة لاتدَع ريبًا في أنّ لها حقيقة في القرآن الكريم، وهي مجموعة من الكلام الإلهيّ مبدوءة بالبَسْمَلة مسوقة لبيان غَرَضٍ، وهو معرّف للسّورة مطّرد غير منقوض إلّا ببراءة، وقد ورد ـ عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّها آيات من سورة الأنفال، وإلّا بما ورد ـ عنهم عليهم السلام أنّ الضّحى وألم نشرح سورة واحدة وأنّ الفيل والإيلاف سورة واحدة... [وذكر معنى الآية وعددها كما سيجيء عنه في بابه، فقال:]

الفصل الثّاني ـ أمّا عدد السُّوَر القرآنيّة، فهي مائة وأربع عشره سورة على ما جرى عليه

---

١ ـ النّور / ١.

٢ ـ يونس / ٣٨.

الرّسم في المـُصْحَف الدّائر بيننا، وهو مطابق للمـُصْحَف العُثمـانيّ، وقـد تقـدّم كـلام أئمّـة أهل البيت عليهم السلام فيه، وأنّهم لايعدّون براءه سورةً مستقلّةً، ويعدّون الضُّحى وألم نشرح سورة واحدة، ويعدّون الفيل والإيلاف سورة واحدة... [ثمّ ذكر الفصل الثّالث في «ترتيب القرآن نزولًا» كما تقدّم في المجلّد الثّاني] (١٣: ٢٣٠ـ ٢٣٢)

﴿سُورَةٌ اَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَاَنْزَلْنَا فِيهَا اٰيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النّور/١

السّورة: طائفة من الكلام يجمعها غرض واحد سيقتْ لأجله، ولذا اعتبرت تـارةً نفـس الآيات بما لها من المعاني، فقيل: ﴿فَرَضْنَاهَا﴾، وتارةً ظرفًا لـبعض الآيـات ظرفيّـة المجمـوع للبعض، فقيل: ﴿اَنْزَلْنَا فِيهَا اٰيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ وهي ممّا وضعه القرآن وسمّي به طائفة خاصّـة مـن آياته، وتكرّر استعمالها في كلامه تعالى، وكأنّه مأخوذ من سُور البلد، وهو الحائط الّذي يحيط به، سُمِّيت به سورة القرآن لإحاطتها بما فيها من الآيات أو بالغرض الّذي سيقت له.

(١٥: ٧٨)

﴿اِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ص/٢١

والتّسوّر: الارتقاء إلى أعلى السُّور وهو الحائط الرّفيع، كالتّسنّم بمعنى الارتقاء إلى سِنام البعير، والتّذرّي بمعنى الارتقاء إلى ذَرْوة الجبل. (١٧: ١٩١)

نصّه في كتابه الآخر «القرآن في الإسلام»

أسماء السُّوَر

تقسيم القرآن الكريم إلى السُّوَر تقسيم قرآنيّ، كتقسيمه إلى آيـات، وقـد صـرّح تعـالى في مواضع بلفظة «السّورة»، فقال: ﴿سُورَةٌ اَنْزَلْنَاهَا﴾ و ﴿اِذَا اُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾[١] و ﴿فَاْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[٢].

---

١ ـ التوبة/٨٦.

٢ ـ البقرة/٢٣.

وتسمية السُّوَر تناسب مع موضوع ذكر فيها، أو جاء الاسم نفسه فيها، كسورة البقرة وسورة آل عمران وسورة الإسراء وسورة التّوحيد، وفي نُسَخ القرآن القديمة كثيرًا ما كانوا يكتبون «سورة تُذْكر فيها البقرة» و«سورة يُذْكر فيها آل عمران». وربّما تكون جملة من سورة معرّفًا لها، كسورة «اقرأ باسم ربّك»، وسورة «إنّا أنزلناه»، وسورة «لم يكن»، وأشباهها.

وأحيانًا يكون وصف السّورة معرّفًا لها، كسورة فاتحة الكتاب[1]، وسورة أمّ الكتاب، والسّبع المثاني، وسورة الإخلاص[2]، وسورة نسبة الرّبّ وأمثالها.

إنّ هذه الأسماء والنّعوت كانت موجودة في الصّدر الأوّل بشهادة الآثار والتّاريخ، وحتّى أسماء بعض السُّوَر جاءت في الأحاديث النّبويّة، كسورة البقرة وسورة آل عمران، وسورة هود، وسورة الواقعة. ولهذا يمكن القول بأنّ كثيرًا من هذه الأسماء تعيينيّة من زمن الرّسول نتيجة لكثرة الاستعمال، وليس شيء منها توقيفيًّا شرعيًّا. (١٩١ـ١٩٣)

١ـ سورة الحمد تسمّى «فاتحة الكتاب» بمناسبة وقوعها أوّل القرآن، وتسمّى «السّبع المثاني» بمناسبة أنّها سبع آيات.

٢ ـ سورة «قل هو الله أحد» تسمّى بـ «الإخلاص» بمناسبة اشتمالها على التّوحيد الخالص، وتسمّى نسبة الرّبّ بمناسبة أنّها تصف الله تعالى، لأنّ النّسبة هنا بمعنى الوصف.

الفصل الثّالث و العشرون

نصّ الأُشَيْقِرِ (معاصر) «لمحات من تاريخ القرآن»

[معنى السّورة]

و بصدد السُّوَر فإنّ معناها اللّغويّ هي المنزلة الرّفيعة السّامية ... [ثمّ استشهد بشعر النّابغة، كما تقدّم].

و معنى قوله هذا هو أنّ الله سبحانه قد أعطاك منزلة سامية من منازل الشّرف و الكرامة، و درجة عالية من درجات الرّفعة و السُّؤدد، قصرت عنها منازل و درجات الملوك و السّلاطين الآخرين، و بلغة الثّورة يقول الشّاعر: أنت الأوحد الّذي لا منازع لك، و القائد الّذي ليس لك نظير و لا شبيه.

وقيل في معنى السّورة أيضًا: أنّها جاءت من سُور البلدة و جدارها، بسبب إحاطتها بآياتها كاحاطة الجدار و السُّور بالمدينة، و قيل كذلك: إنّها مأخودة من التّسوّر و هو التّصاعد و التّركّب، بسبب أنّ تركيبها جاء بعضًا على بعضٍ. و بصدد تعريف السّورة بأنّها قطعة من القرآن مستقلّة، تشمل آيات ذات فاتحة و خاتمة، و أقلّها ثلاث آيات بالإضافة إلى البَسْمَلة.

و الحكمة في تقطيع القرآن سُوَرًا هي الحكمة في تقطيع السُّوَر آيات معدودات، حيث نرى لكلّ سورة خاتمة و مَطْلع، حتّى تكون كلّ واحدة منها بل كلّ آية فنًّا مستقلًّا و قرآنًا معتبرًا.

قيل أيضًا: إنّ الحكمة من تسوير القرآن سُوَرًا هو تحقيق، و دليل على كون السّورة

بمجرّدها معجزةً و آيةً من آيات الله، و سُوّرت السُّوَر طُولًا و أوساطًا و قِصارًا إشارة إلى الطُّول ليس من شرط الإعجاز، فضلًا عن أنّ كلّ سورة لها نمط مستقلّ و بحث خاصّ.

و السّورة مهما تعدّدت قضاياها فهي كلام واحد يتعلّق آخره بأوّله و أوّله بآخره، وأنّه لا غنى لمتفهّم السّورة و نظمها عن استيفاء النّظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزائها[۱].

و السّورة قد تكون ذات موضوع واحد تبحث عنه و لاتتعدّاه إلى سواه، مثل كثير من السُّوَر القصيرة كسورة اللّهب و الفيل و غيرهما، كما وقد تتناول السّورة أغراضًا عديدة مثل مُعْظَم السُّوَر في القرآن،و لاسيّما السُّوَر الطّويلة، و لن ينتقل القرآن بين الأغراض المختلفة في السُّوَر الأخيرة اعتباطًا أو عفوًا، وإنّما للصّلات الوثيقة الّتي تربط بين هذه الأغراض، بحيث تتضافر سائرها للوصول إلى هدف السّورة، و حينما يستوفي الغرض الخاصّ تنتهي السّورة. فسورة التّوبة تحدّد علاقة المسلمين بالكفّار و المشركين وأهل الكتاب،و سورة الأعراف تتّجه إلى الإنذارو الاتّعاظ بقصص الأوّلين و أخبارهم ، و سورة الشّعراء تشير إلى التّخويف و الإرهاب و إنذار قريش و بقيّة المشركين، بينما سورة طه توشك أن تستغرق قصّة موسى وكذلك سورة يوسف توشك أن تقتصر على يوسف و أحواله .

و اسم السّورة جاء توقيفًا،أي بإشارة وتعليم من الرّسول ﷺ في أشهر الأقوال. كما أنّ الضّابط والقاعدة العامّة في تسمية السُّوَرالقرآنيّة ـ على ما يبدو من أسمائها ـ هو تسمية السّورة بمطالعها،أو بكلمة بارزة فيها، أو باشتقاق كلمة، أو حادثة معيّنة واردة فيها كقصّة أو حكم،أو بما تحدّثت عنه من حيوان أو إنسان.

و قد يكون للسّورة الواحدة اسم واحد فقط، و عليه غالبيّة سُوَر القرآن، كما و قد يكون لها اسمان أو أكثر، فمن السُّوَر الّتي لها أكثر من اسم واحد هي ...[ثمّ ذكر أسامي السُّوَر الّتي لها أكثر من اسمٍ واحدٍ كما تقدّم عن السّيوطيّ].(۲۹ـ ۳۱)

---

۱ ـ النّبأ العظيم: ۱۵۹.

الفصل الرّابُع و العشرون

نصّ السُّبْكيّ (معاصر) في «في رياض القرآن»

عدد السُّوَر

يبلغ عدد سُوَر القرآن مائة وأربع عشرة سورة. و يفصل بالبَسْمَلة بين كلّ سورة و أُختها في التّلاوة، كما كان الوحي ينزل بذلك، وكما هو استظهار العلماء من مطلع سورة العلق، فقد بدئ بها القرآن، و بُدِئت هي من عندالله تعالى بأمر النّبيّ ﷺ أن يقرأ باسم ربّه الّذي خلق، فصار مفهومًا أن تكون تسمية الله في ابتداء كلّ قراءة وبعدالاستعاذة، تنفيذاً لأمر الله بالاستعاذة في أوّل القراءة.

و التّسمية تكون بالبَسْمَلة، فيما عدا سورة براءة، فقد نزلت مجرّدة من التّسمية. و خير ما قيل في ذلك: إنّها سورة نزلت في مقام الإرهاب للمشركين النّاقضين لعهد الحُدَيبيّة مع الرّسول و المؤمنين، و تبرئة لذمّة المسلمين من ذلك العهد بعد أن نقضه المشركون.

و نظرًا لأنّ التّسمية فيها وصف الله بالرّحمة، و في ذكر الرّحمة إيحاء بالتّفاؤل و الاطمئنان، لم يكن المقام مقام إيحاء بالتّفاؤل، بل هو قرع لأسماعهم بالبراءة منهم، والغضب عليهم، وتهديدهم بما وراء ذلك من شرور تحيق بالكافرين. و قد كان ذلك كلّه، و الحمدالله الّذي صدّق وعده.

و لهذا الاعتبار لم يقرأ الصّحابة بَسْمَلة في أوّل براءة ــ و لو على سبيل التّبرّك بها ــ مراعاة لنَسْق القرآن و سنّة الرّسول ﷺ.

هذا والعلم بعدد السُّوَر على هذا الوجه من الضّبط و الحصر عـصمة للعقيـدة مـن زيـغ المتردّدين في الرّضوخ للحقّ و من تشكيكهم في عدد السُّوَر، للتّوصّـل بهـذا التّـشكيك إلى إثبات تعصّبهم و جنوحهم إلى مذهب طائفيّ من المذاهب الّتي كان تعدّدها نكبة على المجتمع الإسلاميّ... (٦٨ـ٦٩)

الفصل الخامس و العشرون

نصّ المصطفويّ (م:١٤٢٨) في «التّحقيق في كلمات القرآن»

[التّحقيق في معنى السّورة]

(سُور): أصل واحد يدلّ على عُلوّ و ارتفاع، من ذلك سارَ يَسُور، إذا غضب و ثار، و إنّ لغضبه لسَورة، و السُّوَر: جمع سُورة، و هي كلّ منزلةٍ من البناء. و أمّا سِوار المرأة، و الإسوار من أساورة الفُرس، و هم القادة، فأُراهما غير عربيّين. و سَورة الخمر حِدّتها و غليانها[1].

سارَ يَسُور، إذا غضب، و السُّورة: اسم منه، و الجمع سُورات. وقال الزّبيديّ: السّورة: الحدّة، البطش، و سار الشّراب يسور سَورًا و سَورة، إذا أخذ الرّأس، و سورة الجوع و الخمر: الحدّة أيضًا، و منه المساورة و هي المواثبة. و السُّورة من القرآن جمعها سُوَر. و سُور المدينة: البناء المحيط بها، و الجمع أسوار[2].

السَّور: وثوب مع علوّ، و يستعمل في الغضب و الشّراب، و سِوار المرأة معرّب، و أصله «دستوارِه»، و كيفما كان فقد استعملته العرب واشتُقّ منه: سوّرتُ الجاريةَ وجارية مسوّرة و مُخلخَلة[3]. سار عليه: وثب، و ساوره، و الحيّة تُساوِر الرّاكب، و له سَورة في الحرب، و تَسوّرتُ إليه الحائطَ، و سُرت إليه في أعالي السُّور، و كلب سَوّار: جَسور على النّاس،

١ــ مقاييس اللّغة ٣: ١١٥.

٢ــ المصباح المنير ١: ٢٩٤.

٣ــ مفردات الرّاغب: ٢٤٧.

و جلس على المِسوَرة،وجلسوا على المَساوِر، و هي الوسائد، و هو سَوّار في الشرّاب: مُعربِد[1].

و التّحقيق: أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة هو هيجان مع اعتلاء و ارتفاع، و هذا المعنى يختلف خصوصيّةً باختلاف المصاديق. يقال: سار غضبه، إذا هاج و ظهر،و اعتلى أثره. و سار الشرّاب، إذا أثره، و ظهر السُّكر و برز. و سارت الحيّة، إذا هاجت و حملت على شخص، وسار البناء، إذا اعتلى و ارتفعت مراتبه و طبقاته من دون انتظار. و بهذه المناسبة يطلق السُّور على جدار عظيم، و سدّ يمنع عن المخالف، و يسدّ بين المتجاوزين أو متجاوز، فالسُّور مظهر هيجان و ارتفاع و علامة و ثَوْب و ثوْران و غضب، وهو أعمّ من أن يكون سُور بلدًا و في غيرها، كما قال تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾[2]، أي يُضرب يوم القيامة بين المؤمنين و المنافقين بهذا السّدّ للدّفاع عن المنافقين وردّهم.

و بهذه المناسبة أيضًا تسمّى سُوَر القرآن، كلّ واحدة منها بسورة، فإنّ كلّ سورة منها كالسُّور يُسدّ به و يدفع به المخالفون، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[3]، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾[4]، فكلّ سورة سُور في الحقيقة بين المؤمنين و الكافرين، و أسدّ عدّة معنويّة قطعيّة يدفع بها أيّ نوع من وساوس المخالفين و تعرّضهم، و هو مَظهر من هيجان الحقّ و اعتلائه و ظهوره في قبال المعاندين.

و بهذا ظهر أنّ السّورة من القرآن كلّ قطعة و طائفة من الآيات الكريمة تكون على هذه الصّفة، و ليست مخصوصة بما هو المشهور المعروف خارجًا، و إن كان هذا مصداقًا كاملًا له.

و يدلّ على هذا المعنى أيضًا قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ

١ـ أساس البلاغة: ٢٢٤.

٢ـ الحديد/ ١٣.

٣ـ البقرة/ ٢٣.

٤ـ يونس/ ٣٨.

بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾[١]. ﴿وَاِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾[٢]، و ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَاِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ...﴾[٣].

فإنّ وحشة المنافقين و دعاء المؤمنين ليس في نزول سورة كاملة تامّة، بل في سورة تتضمّن التّنبيه عليها في قلوبهم و ذكر القتال فيها. و كذا صدور حكم الإيمان مع الجهاد في سورة، فإنّ المراد طائفة من الآيات الّتي تحتوي على هذه الأُمور. و على هذا المبنى يلزم البحث عن وجود دليل قاطع يثبت وجوب قراءة سورة كاملة من القرآن في الصّلاة بعد الحمد. و أمّا عجز البشر عن الإتيان بسورة مثل القرآن، فإنّ القرآن ـ مضافًا إلى محتوياته من المعارف العالية و الحِكَم الجامعة و الحقائق في كلّ جهة قد نزّل على أحسن بيان و أفصح منطق و أكمل تأليف.

و من وجوه إعجازه الّتي يبحث هذا الكتاب عنها استعمال كلّ كلمة في معناها الحقيقيّ، وانتخاب أيّ كلمة مخصوصة بالمورد من بين الألفاظ المترادفة، و المتشابهة، و رعاية صيغة مخصوصة من صِيَغ المادّة على مقتضى ما يستدعيه المورد، و تركيب الكلمات على أجمل نحو يذكر في علم الفصاحة. و هذا ممّا لايمكن للبشر أن يأتي به، و إن بلغ من العلم إلى أقصاه و قد أثبتنا هذا الموضوع إلى هنا من هذا الكتاب بتوفيقه و تأييده و تعليمه، و نرجو أن يوفّقنا في إتمام الكتاب بمنّه و جوده.

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾[٤]، الظّاهر أنّ المراد هو السّورة الكاملة، و هي سورة النّور، و هكذا في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾[٥].

١ـ التّوبة/ ٦٤.

٢ـ التّوبة/ ٨٦.

٣ـ محمّد/ ٢٠.

٤ـ النّور/ ١.

٥ـ هود/ ١٣.

و أمّا كلمة سِوار و الإسوار فالظّاهر كونهما معرّبتين من الفارسيّة. فالأُسوار: معرّبة من أسْوار و سَوار بمعنى الفارِس في مقابل الرّاجِل و السّوار معرّبة من «دَسْتوار»، بمعنى دستْ بَنْد. ويجمع السّوار على أسوِرة و أساوِر، و قد يشتقّ منه انتزاعًا، فيقال: سَوَّرها فتسوّرت، أي جعل لها سِوارًا فأخذته و اختارته.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ اَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾[1]، ﴿وَ حُلُّوا اَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾[2] ﴿فَلَوْلَا اُلْقِيَ عَلَيْهِ اَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾[3] التّحلية هو التّحسين بالزّينة العرضيّة كالأساور و غيرها، و الأساور جمع أسورة. و الآية الأخيرة راجعة إلى موسى عليه السلام من جانب فرعون.

و أمّا تفسير الآيات الكريمة من جهة الرّوحانيّة، و فالتّحلية يكون إشارة إلى ما يتجسّم من بعض الأعمال الصّالحة الّتي تتحلّى بها النّفوس. و الأساور: تكون إشارة إلى الموارد ومصادر يحلى و مجاليها، و هي أيدي القدرة و سواعد المجاهدة و العمل. و الذّهب و الفضّة إشارة إلى مقدار الخلوص و ميزان الكيفيّة فيها: ﴿فَاِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4].

﴿وَ هَلْ اَتيٰكَ نَبَأُ الْخَصْمِ اِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ اِذْ دَخَلُوا عَلٰى دَاوُدَ﴾[5]، التّسوّر: تفعّل من السَّوْر، و قلنا: إنّه الهيجان مع اعتلاء، فيكون المعنى اختيار الهيجان والاعتلاء و إظهاره بالرّغبة في محلّ المحراب، فإنّ التّخاصم يقتضي تلك المجالة و يستدعي اختيار تلك المواثبة.

و بهذا التّوضيح في تفسير تلك الآيات الكريمة يتّضح ما في التّفاسير و كُتُب اللّغة من الوهن و الاختلاف و الخلاف، و الله هو الهادي. (٥: ۲۹۹ـ ۳۰۲)

١ـ الكهف/ ۳۱.

۲ـ الدّهر/ ۲۱.

۳ـ الزّخرف/ ٥۳.

٤ـ التّوبة/ ۱۲۰.

٥ـ ص/ ۲۱.

الفصل السّادس و العشرون

نصّ العسكريّ (م: ١٤٢٩) في «القرآن الكريم و روايات المدرستين»

[معنى السّورة لغةً و اصطلاحًا و قرآنًا]

١ـ في اللّغة

اختلفوا في أصلها لغةً، منها قولهم: إنّها من سُور المدينة، لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسُّور[1].

٢ـ في المصطلح الإسلاميّ القرآنيّ

جزء من القرآن يفتتح بالبَسْمَلة ما عدا سورة البراءة، ويشتمل على آي ذوات عدد، وقد جاءت بالمعنى الاصطلاحيّ في القرآن الكريم بلفظ المفرد تسع مرّات، وبلفظ الجمع مرّة واحدة. وإنّ أصغر سُوَر القرآن الكوثر وأكبرها البقرة.

٣ـ في القرآن الكريم

نرى أنّ أسماء سُوَر القرآن المنحصرة باسم واحد؛ مثل: «الرّحمن» و «الأنفال» و«الأنعام» مصطلحات إسلاميّة، نزلت عن طريق الوحي إلى رسول الله ﷺ وما اشتهر لها اسمان أو أكثر مثل سورة الإسراء الّتي تسمّى أيضًا بني إسرائيل ينبغي أن ندرس الرّوايات المرويّة عن الرّسول ﷺ في شأن تعدّد أسماء بعض السُّوَر لمعرفة المصطلح الإسلاميّ منهما عن مصطلح المسلمين. (ص: ٢٧٨)

١ـ راجع مادّة «السّورة» في معجم ألفاظ القرآن الكريم.

الفصل السّابع و العشرون

نصّ الحجّتي (معاصر) في «مختصر تاريخ القرآن الكريم»

معنى السّورة و عددها

معناها اللّغويّ

ذكر للسّورة معانٍ لغويّة متعدّدة أهمّها... [و ذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ و غيره].

قيل في معنى السّورة: إنّها مجموعة من آيات القرآن الكريم لها بداية و نهاية.

و قيل: مجموعة من الآيات تقع بين بَسْمَلتين.

عدد سُوَر القرآن

عدد سُوَر القرآن مائة وأربع عشرة سورة، و قيل: مائة و ثلاث عشرة سورة، و منهم من زاد على ما ذكرنا، و منهم من أنقص. و القائلون بأنّ عددها (١١٣) اعتبروا سورتَي الأنفال وبراءة سورة واحدة، لعدم وجود البَسْمَلة بينهما. و الأرقام الأُخرى الّتي ذكرت لعدد السُّوَر هي ناتجة عن اختلاف المصاحف، فقد ذكر أنّ مُصْحَف عبدالله بن مسعود كان يتضمّن البَسْمَلة في بداية سورة براءة، ولكنّه كان خاليًا من المعوّذتين (سورتي الفلق و النّاس). و ذكر أنّه كان خاليًا أيضًا من سورة الحمد، لاعتقاده أنّ النّاس قد استظهروها. و قيل: أنّ عدد سُوَر مُصْحَف عبدالله بن مسعود مائة و اثنتا عشرة سورة.

و عن مُصْحَف أُبَيّ بن كعب قيل: إنّه يحوي مائة و ستّ عشرة سورة، و أنّه يحتوي على سورتين: «الحَفْد» و «الخَلْع»، و قالوا: إنّ الخليفة الثّاني كان يتلو هاتين السّورتين مع البَسْمَلة في قنوت الصّلاة ... [و ذكر كما تقدّم عن السّيوطيّ، ثمّ قال:]

من العلماء من برّر إضافة «الحَفْد» و «الخَلْع» إلى القرآن قائلًا: إنّ أُبَيّ بن كعب لم يقصد إضافتهما باعتبارهما جزءاً من القرآن، بل أنّهما من قنوت الصّلاة، و أراد «أُبَيّ» أن يضعهما بين أيدي المسلمين للحفظ و التّلاوة في أدعيّة القنوت. و مع تعدّد الأرقام المذكورة في عدد السُّوَر يكاد العلماء يجمعون على الرّقم (١١٤). و هذا ما تؤيّده رواية عن رسول الله ﷺ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرسيّ].

أسماء السُّوَر القرآنيّة

هل هذه الأسماء توقيفيّة، أم أنّ كلّ سورة اتّخذ لها اسم حسب موضوع من موضوعاتها؟

ممّا لا شكّ فيه أنّ العرب اعتادوا على وضع أسماء لكلّ ما يثير اهتمامهم، فسمّوا بعض الخُطَب معيّنة، و هكذا اتّخذت السُّوَر القرآنيّة أسماء لمناسبة فيها، كاسم البقرة للسّورة الّتي تناولت قصّة بني إسرائيل، و النّساء للسّورة الّتي تضمّنت تفاصيل أحكام النّساء.

غير أنّ هناك ظواهر في تسمية السُّوَر القرآنيّة تشير إلى عدم كون منشأ التّسمية هو الموضوع البارز فيها.

ففي سورة «هود» حديث عن نوح، صالح، إبراهيم، لوط، و شعيب، و لكنّ السّورة سُمّيت باسم «هود»، و بينما الحديث فيها عن (نوح) أكثر تفصيلًا. كما نرى كثيرًا من السُّوَر القرآنيّة قد سمّيت بأسماء الأنبياء و الأقوام، و لايوجد بينها سورة باسم «موسى» مع أنّ الحديث عن هذا النّبيّ فيه من التّفاصيل ما يفوق الحديث عن الأنبياء الآخرين. و نحن نعتقد أنّ السُّوَر القرآنيّة قد اتّخذت لها أسماء في زمن الرّسول ﷺ عن طريق الوحي. و بعد عصر الرّسالة الأوّل اتّخذت بعض السُّوَر و الآيات كذلك أسماء خاصّة؛ لمناسبات موضوعيّة و علميّة مختلفة. و لا أدلّ على ذلك ممّا نشاهده من أسماء معيّنة لبعض الآيات في علم الفقه و أُصول الفقه، كآية نفي السّبيل، وآية النّبأ وآية النّفر، وآية السّؤال، وآية الكتمان، وآية التّصديق [1].

١ــ هي على التّوالي: النّساء/ ١٤١، التّوبة/ ١٢٢، النّحل/ ٤٣، البقرة/ ١٥٩، التّوبة/ ٦١.

تعدّد أسماء السُّوَر

و لبعض السُّوَر القرآنيّة أكثر من اسم، و على سبيل المثال ذُكِر لسورة الحمد أكثر من عشرين اسمًا، هي ... [و ذكر كما تقدّم عن السّيوطيّ].

أسماء مجاميع السُّوَر

قد تتّخذ مجموعة من السُّوَر القرآنيّة اسمًا معيّنًا. و ورد عن طريق أهل السُّنّة و الشّيعة أنّ القرآن الكريم ينقسم إلى أربعة أقسام، لكلّ قسم اسم خاصّ ... [ثمّ ذكر رواية عن النّبيّ ﷺ كما تقدّم نحوها عن الطّوسيّ، ثمّ بيّن شرحًا لكلّ واحد من الأقسام الأربعة، كما تقدّم عنه، فقال:].

و يقول الطّبرسيّ: أنّ المثاني ما تلي السّبع الطّوال. و روي أنّ من العلماء من قال: أنّ المثاني هي كلّ سُوَر القرآن طوالها و قصارها، و دليل ذلك قوله تعالى: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾[1]. و في كُتُب التّفسير و علوم القرآن أسماء أُخرى لجاميع السُّوَر القرآنيّة مثل: الحواميم (تبدأ بحمٓ)، و ألْ (تبدأ بالألف و اللّام: الٓمٓ الٓر، الٓمٓر ...)، و المسبّحات (تبدأ بمادّة سبّح)، و الطّواسين (تبدأ بـ طسٓ)، و المعوذّتين (تبدآن بـ قل أعوذ).

الحكمة في تقسيم القرآن إلى سُوَر

قالوا في حكمة تقسيم القرآن إلى سُوَر: إنّ كلّ سورة من هذه السُّوَر تشكّل معجزة متكاملة مستقلّة، و لها أُسلوبها الإعجازيّ الخاصّ بها. و الإعجاز في السُّوَر الطّويلة كالبقرة.

و قيل: إنّ الحكمة في هذا التّقسيم تعليميّة، أي لتسهيل تعلّم القرآن و استظهاره. و ذكروا أيضًا أنّه لرفع المَلَل عن القارئ، إذا يتوقّف في القراءة عند محطّات يستريح فيها، ثمّ يعاود القراءة بنَفَس جديد. (٤٧-٥٨)

١- مجمع البيان ١: ١٤.

الفصل الثّامن و العشرون

نصّ مير محمّديّ (معاصر) في «بحوث في علوم القرآن»

تقسيم السُّوَر إلى آيات و ترتيبها بأمر النّبيّ ﷺ

إنّ ما نريد البحث حوله هنا هو الأُمور التّالية:

١ـ في من قسّم السُّوَر إلى آيات، و جعلها آية آية، و هو مع أنّه لا ريب في كونه من الله، لكن ربّما يقع الاشتباه في ذلك و في كلّ أمر ضروريّ.

٢ ـ في من رتّب الآيات على هذا النّحو الّذي لدينا الآن، وجعل هذه تِلْو تلك.

٣ـ في ترتيب السُّوَر، و من الّذي جعل هذه قبل و تلك بعد.

وأمّا تقسيم القرآن إلى سُوَر متعدّدة، و اعتبار هذه المجموعة سورة و تلك كذلك، فقد سبق و إن بحثناه في مقال لنا في هذه المجلّة في العدد الثّاني من السّنة الخامسة، و قلنا: إنّه بنزول البَسْمَلة يعلم انتهاء سورة و ابتداء غيرها...

تقسيم السُّوَر إلى آيات

فلابدّ من ذكر مقدّمة ترتبط بالمقام، فنقول: إنّه لا إشكال في أنّ كلمة آية تطلق الآن ويراد بها هذه الآيات الّتي نعرفها في القرآن، و هي المقصودة في قولهم في أوّل كلّ سورة: هي كذا وكذا آية، كقولهم مثلًا: سورة البقرة مدنيّة، و هي (٢٨٦) آية. و كذا لا إشكال أيضًا في أنّ الأئمّة قد استعملوا كلمة (آية) و أرادوا بها هذا المعنى، و قد رُوِي عنهم عليهم السلام الكثير من الرّوايات. فلاحظ أبواب قراءة القرآن من كتاب الوسائل للحُرّ العامِليّ رحمه الله. و نذكر كمثال

على ذلك الرّواية التّالية:

محمّد بن يعقوب عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن حمّاد، عن حُريز، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «القرآن عهدالله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده، و أن يقرأ منه في كلّ يوم خمسين آية»[1].

و لا يخفى أنّ المراد من قوله عليه السلام: «خمسين آية» هو هذه الآيات الموجودة بين أيدينا الآن في المصاحف، على هذا النّحو الخاصّ. و أمّا إطلاق الآية في زمان النّبيّ عليه السلام و في كلماته هو عليه الصّلاة و السّلام فالظّاهر أنّها أيضًا كذلك، لاتختلف عمّا ورد في كلمات الأئمّة عليهم السلام، و عمّا نعرفه في عصرنا الحاضر.

و إذا ثبت ذلك أمكن أن يقال: إنّ القرآن أيضًا استعمل كلمة آية و أراد بها هذه القطعات الموجودة بين أيدينا و لها مبدأ و منتهى، و ذلك كما في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ وَفُصِّلَتْ﴾[2]، و قوله: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[3].

و ممّا يشهد على أنّه كانت الآية في زمن الرّسول صلى الله عليه و آله، تستعمل في نفس المعنى الّذي نستعملها نحن في اليوم مايلي:

١ـ عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «مَنْ قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين»[4].

٢ـ عن يونس عمّن رفعه قال: سألت عبدالله عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾؟ قال: «سورة الحمد، و هي سبع آيات، منها: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[5].

٣ـ عن عمرو بن جميع رفعه إلى عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «من قرأ

١ـ الوسائل ج ٤ باب ١٥ ص ٨٤٩.

٢ـ هود / ١.

٣ـ آل عمران / ٧.

٤ـ البحار ٩٢: ١٩٩.

٥ـ المصدر ٩٢: ٢٣٥.

أربع آيات من أوّل البقرة، و آية الكرسيّ، و آيتين بعدها، و ثلاث آيات من آخرها، لم يـر في نفسه و ماله شيئًا يكره، و لايقربه الشّيطان، و لاينسى القرآن»[١]. و لا يخفى أنّ الظّاهر من كلامه هو إرادته من كلمة آية نفس ما يراد منها من عصرنا الحاضر، و هي القطعة المخصوصة من الكلام، لها مبدأ و مقطع. (٩٣ـ٩٥)

متى يكون انتهاء السّورة و ابتداء غيرها؟

بماذا كان أهل الجاهليّة يصدّرون كُتُبهم؟

إنّنا قبل أن ندخل في الموضوع الأساس هنا، تحسن الإشارة بإيجاز إلى موضوع آخر يرتبط به نحوًا من الارتباط، و يتّصل به نوعًا من الاتّصال، وهذا الموضوع هو أنّه قد جاء في «السّيرة الحلبيّة» عن الشّعبيّ قال: «كان أهل الجاهليّة يكتبون باسمك اللّهمّ، فكتب ﷺ أوّل ما كتب باسمك اللّهمّ، و تقدّم أنّه كتب ذلك في أربع كتب، حتّى نزلت ﴿بِسْمِ اللهِ مَجْرٰيهَا وَ مُرْسٰيهَا﴾[٢]، فكتب باسم الله. ثمّ نزلت: (ادعوا الله أو ادعوا الرّحمن)، فكتب بسم الله الرّحمن. ثمّ نزلت: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٰنَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٣] فكتبها ...»[٤].

و نقل المحدّث القُمّيّ عن كتاب «المقتصر في شرح المختصر» لابن فَهْد، عن الصّادق عليه السلام قال: «لا تَدَعِ البَسْمَلة، و لو كتبت شعرًا. و كانوا قبل الإسلام يصدّون كتبهم بـ باسمك اللّهمّ، فلمّا نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٰنَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ صدّروا بها ...[٥]، هذا ما ذكروه.

مناقشة ما قيل: و لكن هذا ممّا لايمكن القبول به، و لا المساعدة عليه، لأنّنا نقول: إنّ

١ـ المصدر ٢٤٥، عن ثواب الأعمال الصّدوق.

٢ـ هود / ٤١.

٣ـ النّمل / ٣٠.

٤ـ السّيرة الحلبيّة ٣: ٢٣.

٥ـ راجع سفينة البحار، مادّة «سما».

النّبيّ ﷺ كان يعرف ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ من أوّل أمره و بدء بعثته، لأنّه حينما بُعث و جاءه الوحي من ربّه، كان مصدّرًا بـ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾. سواء قلنا: إنّ أوّل ما نزل هو ﴿اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ﴾، أو هو سورة «فاتحة الكتاب»، أو غيرهما من السُّوَر الّتي قيل: إنّها أوّل ما نزل عليه ﷺ، لأنّها كلّها مصدّرة بالبَسْمَلة، كما يشهد له ما بأيدينا من المصاحف الشّريفة الّتي لا شكّ في موافقتها لمصاحف الصّحابة.

خطّ البَسْمَلة و المُصْحَف سواءٌ

و يلاحظ أيضًا أنّهم قد كتبوا البَسْمَلة بنفس خطّ المُصْحَف و أدخلوها في ضمن الأجزاء، و لم يميّزوا بينها و بين سائر القرآن، و ذلك يدلّ على أنّها جزء من السّورة كسائر أجزائها، إذ لو كانت خارجة عن السّورة، و ليست جزءًا منها، لمنعوا من كتابتها بخطّ المُصْحَف، كما منعوا من كتابة ما ليس منه عن أن يكتب بنفس خطّه، و ذلك كأسماء السُّوَر، و الأعشار، و الأحزاب القرآنيّة، و نحوها، حيث قد كتبت فوق الصّفحات أو في الهوامش، متميّزة عن غيرها من الأجزاء القرآنيّة.

و يشهد لما ذكرناه من جزئيّة البَسْمَلة للسّورة و ليست للفصل، أو التّبرّك أنّهم لم يكتبوا البَسْمَلة بين البراءة و الأنفال، و لو كانت للفصل أو المتبرّك لكتبوها بينهما.

الفاتحة نزلت بمكّة

يضاف إلى ذلك أنّ الصّلاة قد شرّعت بمكّة في أوائل أمره و بعثته، و لا شكّ أنّ الفاتحة جزء منها و البَسْمَلة في الفاتحة أيضًا، الأمر الّذي يدلّ على أنّه ﷺ كان يعرف ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ من ذلك الحين، كما أنّه يدلّ ضمنًا على أنّ الفاتحة قد نزلت في مكّة.

قال بعض المحقّقين: «إنّ الصّلاة شرّعت في مكّة، و هذا ضروريّ لدى جميع المسلمين، و لم تعهد في الإسلام صلاة بغير فاتحة الكتاب، و هذا الحديث منقول عن طريق الإماميّة،

و غيرهم»[١].

و قال الواحديّ: «ولا يسعنا القول بأنّ رسول الله ﷺ قام بمكّة بضع عشرة سنة يصلّي بلا فاتحة الكتاب، هذا ممّا لا تقبله العقول.»[٢]

كان الرّسول ﷺ يعرف البَسْمَلة من أوّل البعثة

و بعد هذا فإنّه قد روي عن أبي جعفر عليه السلام قوله: «أوّل كلّ كتاب نزل من السّماء: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٣]».

كان ﷺ يعرف انقضاء السّورة بنزول البَسْمَلة

و عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «ما نزل كتاب من السّماء إلّا أوّله ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

و روى السّيوطيّ عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «كان جبرئيل إذا جاءني بالوحي، أوّل ما يلقي عليّ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾[٤]».

و عن الواحديّ من وجه آخر أنّ ابن عمر قال: «نزلت ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ في كلّ سورة»[٥].

و إذ قد عرفنا أنّه ﷺ كان يعرف البَسْمَلة من أوّل البعثة، و إنّ ما قيل من أنّه لم يكن يعرفها حتّى نزل قوله تعالى: ﴿اِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٰنَ﴾ إلخ، غير صحيح، فلنَعُد إلى بحث الموضوع الأساس الّذي نحن بصدده، و هو «متى يكون انتهاء السّورة، و ابتداء غيرها»؟

فنقول: أنّ ذلك لمّا كان أمرًا تعبّديًّا، فلابدّ من التّطلّع إلى الرّوايات و ما هو مفادها، و قد

---

١ ـ البيان في تفسير القرآن: ٢٩٣ ط. النّجف.

٢ ـ أسباب النّزول: ١١.

٣ ـ راجع: وسائل الشّيعة كتاب الصّلاة باب ١١ من أبواب القراءة.

٤ ـ الإتقان، النّوع ١٩ ص ٧٩.

٥ ـ المصدر السّابق.

رأينا أنّ مفادها هو أنّه إذا نزل جبرئيل، و قرأ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، عرف النّبيّ ﷺ أنّها سورة جديدة، و أنّ السّورة السّابقة قد انتهت.

فعن أبي عبدالله ؏: «ما أنزل الله من السّماء كتابًا إلّا و فاتحته: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ و إنّما كان يعرف انقضاء السّورة بنزول ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ابتداء للأخرى ...»[1].

و عن ابن عبّاس: «أنّ النّبيّ ﷺ كان إذا جاءه جبرئيل فقرأ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ علم أنّها سورة ...»[2]. و عن ابن عبّاس أيضًا قال: «كان النّبيّ ﷺ لايعلم ختم السّورة حتّى تنزل: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.... »[3].

و عن ابن عبّاس كذلك قال: « كان المسلمون لايعلمون انقضاء السّورة حتّى تنزل: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فإذا نزلت ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ علموا أنّ السّورة قد انقضت». قال الحاكم: هذا الحديث صحيح على شرط الشّيخين .... »[4].

وقال البَيْهقيّ: «قال الشّيخ ﵀: فالنّبيّ ﷺ قرأ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ عند افتتاح سورة، ولم يقرأها عند افتتاح آيات لم تكن أوّل سورة، و في ذلك تأكيد لما روينا عن ابن عبّاس ﵁، و أنّها إنّما كتبت في المصاحف حين نزلت و الله أعلم[5]. و أخيرًا فإنّ المستفاد من هذه الرّوايات أنّ جعل السّورة سورة ابتداءً و انتهاءً كان في عصر النّبيّ الأُمّيّ ﷺ.

لماذا اختلفوا في عدد سُوَر القرآن؟

و إذا كان التّعيين في السّورة مقدارًا و عددًا مرتبطًا بوجود البَسْمَلة و عدمه، فإنّ عدد

١ـ تفسير العيّاشيّ ١: ١٩.

٢ ـ مستدرك الحاكم ١: ٢٣١، و قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشّيخين و لم يخرجاه.

٣ـ المصدر السّابق، و أسباب النّزول للواحديّ: ٩، و السُّنن الكبرى البَيْهقيّ ٢: ٤٢، إلّا أنّه عبّر بكلمة «فصل» بدل كلمة ختم .

٤ـ السّنن الكبرى البَيْهقيّ ٢: ٤٣، و الإتقان، النّوع ١٩ص ٨٠، و مستدرك الحاكم ١: ٢٣١.

٥ـ السّنن الكبرى البَيْهقيّ ٢: ٤٣.

سُوَر القرآن حنيئذٍ يكون ١١٣ سورة، و ذلك لأنّ البراءة على هذه لابدّ و إن تلحق بالأنفال، لعدم وجود البَسْمَلة في أوّل البراءة. إلّا أن يقال: إنّ عدم وجود البَسْمَلة فيها ليس من جهة أنّ البراءة ليست سورة مستقلّة، بل كان لعدم المناسبة بين ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ و بين الآيات في أوّل البراءة...[ثمّ ذكر رواية ابن عبّاس عن عليّ عليه السلام: لِمَ لَمْ تُكتب في براءة البَسْمَلة، كما تقدّم عن النّهاونديّ،فقال:]

هذا، و ربّما ينعكس الأمر، فتقع البَسْمَلة بين جزئي سورة واحدة كما في الضّحى و «ألم نشرح»، و كذا الفيل، والإيلاف[1]، فإنّ المعروف أنّها سورة واحدة، و يشهد لاتّحادهما هذا ارتباط مضمونيهما بعضه ببعض، و قد أشار العلّامة بحر العلوم إلى ذلك في «منظومته»، حيث قال:

و الضّحى و الانشراح واحدة	بالاتّفاق و المعاني شاهدة
كذلك الفيل مع الإيلاف	و فصل بسم الله لا ينافي

و على هذا يكون عدد السُّوَر ١١٢ سورة.

و لكن من الواضح أنّ دعوى عدم منافاة الفصل البَسْمَلة إنّما تصحّ لو كان الجمع و جعل السّورة سورة ابتداءً و انتهاءً، كمًّا و كيفًا. كان من غير المعصوم، و يؤيّده ما روي عن أُبيّ بن كعب أنّه لم يفصل بينهما في مُصْحَفه بالبَسْمَلة.

و أمّا إذا كان التّسوير من النّبيّ صلّى الله عليه و آله نفسه، كما هو المختار، فمشكل جدًّا، و لا محيص لنا عن القول بأنّهما سورتان، لوجود البَسْمَلة بينهما في المصاحف المعروفة بين المسلمين. و قد جزم في المدارك بتعدّدها، تمسّكًا بوجود البَسْمَلة بينهما في المصاحف[2]. و على هذا فيكون عدد السُّوَر القرآنيّة ١١٤ سورة، كما هو ظاهر. (٥٣-٥٨)

١- الشّرائع للمحقّق الحلّيّ، كتاب الصّلاة، باب القراءة، و الإتقان النّوع ١٩ص ٦٧.

٢- مصباح الفقيه للهمدانيّ، كتاب الصّلاة باب القراءة: ٣١٦.

الفصل التّاسع و العشرون

نصّ الحسينيّ الجلاليّ (١٣٦١ ـ ...) في «دراسة حول القرآن الكريم»

سُوَر القرآن

تضمّنت روايات علوم القرآن التّعبير عن طائفة من السُّوَر بأوصاف خاصّة، كـالطُّوال و المئين و المثاني و المفصّلات، و قد حصرت في ١١٤ سورة، فما المراد من التّسمية بالسّورة؟ و ما هو المقياس في عدّ السّورة مفردة عن غيرها؟

قال ابن منظور الأفريقيّ (ت ٧١١ هـ): السّورة: المنزلة، و الجمع سُوَر و سُوْر ... و منه: سورة القرآن، لأنّها منزلة بعد منزلة، مقطوعة عن الأُخرى، و الجمع سُوَر بفتح الواو ... ابن سيده: سُمّيت السّورة من القرآن سورة لأنّها درجة إلى غيرها، و من همزها جعلها بمعنى بقيّة من القرآن في قطعة[1] ...

و قد وردت مادّة السّورة في القرآن الكريم بصيغة الجمع مرّة واحدة؛ قال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾[2]، و تسع مرّات مفردة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[3]، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ

---

١ ـ لسان العرب ٣: ٣٨٦.

٢ ـ هود/ ١٣.

٣ ـ البقرة/ ٢٣.

سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾[1]، و قال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[2].

و ممّا قال التّهانويّ (ح ١١٥٨ هـ): السّورة بالضّمّ في الشّرع: بعض قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة و خاتمة، و أقلّها ثلاث آيات، كذا قال الجَعْبَريّ. و السُّور بالضّمّ و سكون الواو و فتحها: الجمع، و قيل: السّورة: الطّائفة المترجمة توقيفًا، أي الطّائفة من القرآن المسمّاة باسم خاصّ بتوقيف من النّبيّ ﷺ، و قد ثبتت أسماء السُّوَر بالتّوقيف من الأحاديث و الآثار. و قيل: السّورة: بعض من كلام مُنْزَل مبيّن أوّله وآخره إعلامًا من الشّارع، قرآنًا كان أو غيره، بدليل ما يقال: سورة الزّبور و سورة الإنجيل، هكذا في التّلويح. [كشّاف اصطلاحات الفنون].

أقول: المعنى الأوّل هو المفهوم في عصرنا دون غيره.

و قال الرّاغب (ت ٥٠٣): «والسّورة: المنزلة الرّفيعة، و سُور المدينة: حائطها، و سورة القرآن تشبيهًا بها، لكونه محاطًا بها إحاطة السُّور بالمدينة، أو لكونها منزلة كمنازل القمر. ومن قال: سؤرة فَمِن: أسأرت، أي أبقيت منها بقيّة، كأنّها قطعة مفردة من جملة القرآن»[3].

و المستفاد من الاستعمالات المفردة لهذه المادّة أنّ المعنى الجامع هو الشّيء المحيط على الآخرة إحاطةً تامّةً كاملةً، كقطعة مستقلّة بحيث لايمكن الإفلات عنها، لذلك سُمِّيت الخمر سورة عند حدّتها، و كذا غيرها كسُور البلد الّتي تجعله مستقلًّا، فالسّورة من القرآن معناها قطعة مستقلّة منه، و ليس المراد خصوص السُّوَر (١١٤) الّتي يتألّف منها القرآن بل كلّ قطعة مستقلّة ذات موضوع كامل. هو أشبه بما هو المصطلح اليوم بالمقطع أو الرّكوع و ما شابه ذلك، هذا من النّاحية اللّغويّة.

١ـ التوبة/ ٦٤.

٢ـ يونس/ ٣٨.

٣ـ المفردات: ٢٥٤.

تحديد السّورة

ليس تحديد السّورة بالآيات الّتي نزل الوحي بها متتالية، إذ إنّها تختلف طولًا و قصرًا، فأقصر السُّوَر سورة الكوثر و هي ثلاث آيات، و أطولها سورة البقرة و هي ٢٨٦ آية. كما أنّها ليست بوحدة الموضوع، فإنّ مواضيع سورة واحدة تختلف اختلافًا كبيرًا، و الطّريق الوحيد لتحديد السّورة ما تعارف عليه في عصر الرّسول ﷺ و تحت إشرافه من دون أيّ نكير.

قال السّيوطيّ: «قيل: الحكمة في تسوير القرآن ... [و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ ذكر قول الجَعْبَريّ، كما تقدّم عن الزّركشيّ، ثمّ قال:]

و كلامه ﷺ متين جدًّا بالنّسبة إلى السُّوَر القصار، فإنّها ذات موضوع واحد، و تحتوي على مقدّمة و موضوع و خاتمة حسب تعبيرنا اليوم. و ذلك لا يستقيم في السُّوَر الطُّوال، فإنّها ذات مقاطع في مواضيع مختلفة، لكلّ موضوع مقدّمة و خاتمة، مثلًا: آية الكرسيّ، فإنّها تعدّ آية، مع أنّها لا تعدّ سورة بل آية من سورة البقرة. فالأولى تحديد السّورة بأنّها قسم من القرآن الّذي حدّده الرّسول ﷺ قسمًا مستقلًّا عن سائر أقسام القرآن، إمّا لوحدة الموضوع كما في السُّوَر القصار غالبًا، أو لوحدة المقصود كتشريع خاصّ في المجتمع المدنيّ، كما هو الحال في سورة البقرة و هكذا، و إن لم نعرف المقصود بالتّفصيل.

ترتيب السُّوَر

الرّوايات في جمع القرآن تصرّح بأنّ ذلك حصل في عهد الرّسالة، و من الطّبيعيّ اهتمام النّبيّ ﷺ شخصيًّا بذلك، حيث أمر كُتّاب الوحي بكتابة القرآن ... [ثمّ ذكر قول الحاكم في مراحل الجمع و قول الباقلانيّ في ترتيب السُّوَر، كما تقدّم عنهما في الجزء الثّالث، فقال:]

و الملاحظ أنّ ترتيب السُّوَر و إن لم يكن على حسب النّزول، إلّا أنّ السُّوَر ذات الآيات القليلة نسبيًّا متأخّرة في التّرتيب، و كلّما كانت أبعد زمنًا كانت أكثر عددًا في الآيات،

والاعتبار يساعد على أنّ السُّوَر القصار المعروفة بالمفصّلات كانت تحفظ في مكّة، و لم يكن للمسلمين من القوّة و المنعة و الوقت الكافي لحفظ السُّوَر الطُّوال. و الأمر كان على العكس في المدينة، فقد كان للمسلمين من القوّة و المنعة و الوقت ما أمكنهم من حفظ السُّوَر الطُّوال.

عن الرّسول ﷺ: «أُعطيتُ الطُّوال مكان التّوراة، و أُعطيتُ المئين مكان الإنجيل، و المثاني مكان الزّبور، و فُضّلت بالمفصّل: سبع و ستّين سورة»[1].

و نقل الشّهرستانيّ ذلك عن كتاب «الاستغناء» عن رسول الله ﷺ... [وذكر كما تقدّم عن الطّبريّ الرّقم ٢]

و في هذه الرّواية تحديد ترتيب السُّوَر في طوائف أربع: السّبع الطُّوال، المئين، المثاني، المفصّلات. وقد رُوِي عن الصّحابة الخلاف في عدّ بعض السُّوَر من هذه الطّوائف.

السّبع الطُّوال

عن ابن عبّاس قال: قلت لعُثمان: ما حملكم على أن عمدتم... [وذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ٥١ في ج ٣ «باب كيفيّة جمع القرآن»، ثمّ قال:]

و كلام السُّيوطيّ هذا أقرب إلى تسبيع القرآن، و يمكن استخراج ذلك من الرّواية التّالية:

عن حُذَيفة الثَّقفيّ قال: كنت في الوفد الّذين أسلموا من ثقيف ـ و في الحديث: فقال لنا رسول الله ﷺ: «طرأ عليّ حزب من القرآن، فأردت أن لا أخرج حتّى أقضيه». فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ، قلنا: كيف تحزّبون القرآن؟ قالوا: نحزّبه ثلاث سُوَر، و خمس سُوَر، وسبع سُوَر، و تسع سُوَر، و إحدى عشرة، و ثلاث عشرة و حزب المفصّل من قٓ حتّى نختم.

قال: فهذا يدلّ على أنّ ترتيب السُّوَر على ما هو في المُصْحَف الآن كان في عهد رسول الله ﷺ.

قال: ويحتمل أنّ الّذي كان مرتّبًا حينئذٍ حزب المفصّل خاصّة بخلاف ما عداه في عهد

---

١ ـ البحار ٩٢: ٢٧.

رسول الله ﷺ[1]. وبناء على رواية الثّقفيّ هذه يكون تسبيع القرآن كالتّالي:

الأوّل ـ البقرة و آل عمران إلى النّساء.

الثّاني ـ المائدة إلى التوبة.

الثّالث ـ يوسف إلى النّحل.

الرّابع ـ بنو إسرائيل إلى الفرقان.

الخامس ـ الشّعراء إلى يسٓ.

السّادس ـ الصّافّات إلى الحُجُرات.

السّابع ـ سورة قٓ إلى آخر القرآن.

والملاحظ أنّ كلّ سبع يختلف عن الآخر بعددين إلى الأخير، وهو سبع المفصّل، وأنّ عدد الصّفحات دون الآيات من طبعة ١٣٣٧هـ لكلّ جزء كالآتي:

١٤٩+ ١٠٠+ ١٠٩+ ١١٤+ ٩٨+ ٦٧+ ٩٤ و معدّلها ٤ و ١٠٤ من الصّفحات. و هذا يستلزم أنّ تجزئة القرآن كان على أساس الحجم الّذي يستغرق كلّ جزء، ممّا يساعد على سهولة الحمل و النّقل، و خاصّة في ظروف شحّ الورق في العصور المتقدّمة.

ويبدو أنّ ما ذهب إليه السّيوطيّ من قوله: «و يحتمل أنّ الّذي كان مرتّبًا حينئذٍ حزب المفصّل خاصّة بخلاف ما عداه» يعتبر احتمالًا وجيهًا وذلك:

أوّلًا ـ لقصر السُّوَر الدّاعي لترتيبها كي يسهل حملها و حفظ تسلسلها.

ثانيًا ـ لكونها مكّيّة ـ على الأغلب ـ و قلّة المسلمين في بدء الدّعوة الإسلاميّة، كانت تستدعي سُوَرًا قصارًا لتعلّم مبادئ الإسلام الأصليّة الضّروريّة بخلاف الحالة في المدينة، حيث قوي المسلمون و كثروا و توفّرت الدّواعي لتعلّم السُّوَر الكِبار ... [ثمّ ذكر قول الشّهرستانيّ في «المثون و المثاني» نقلًا عن كتابَي «الاستغناء» و «المختار في القراءات»، كما

---

١ ـ الإتقان ١: ٦٣.

تقدّم عنه، ثمّ ذكر قول السّيوطيّ في معنى المثاني كما تقدّم عنه وعن الزّركشيّ، فقال:]

والّذي يفهم من كلامهم أنّ سُوَر المثاني تقع في مرتبة تالية للمئين، فهي السّبع الثّالث، فالتّثنية هي للمرتبة لا للموضوع، أو أنّ التّثنية هنا بمعنى التّكرار.

المفصّلات

قال الشّهرستانيّ في كتاب «الاستغناء»: السّبع المفصّل: هي مفصّلاتها ... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ ذكر قول السّيوطيّ في معنى المفصّل، كما تقدّم عنه، فقال:]

والّذي يظهر الاضطراب في كلام الصّيْدلانيّ و كتاب «الاستغناء»، فإنّ تربيع القرآن ينافي الطّوائف المتقدّمة في كلامه المبتني على تسبيع القرآن، حيث قال: السّبع الطُّوال و السّبع المئون و السّبع المثاني و السّبع المفصّل» على أساس الكسور العشريّة، لتسهيل قراءة القرآن بأكمله خلال أسبوع واحد فقط. و بما أنّ كميّة السّبع الأوّل تعادل سُوَرًا سبعًا هي طُوال، فقد التبس الأمر في عنوان «السّبع الطُّوال» على أساس العدد الصّحيح، لأنّها سُوَر سبع عددًا وطُوال وصفًا، فإنّ المفروض أنّها من الكسور العشريّة، و تعني السّبع من القرآن الحاوي على سبع سُوَر طُوال، مع أنّ صفة الطّوال ـ في هذه الصّورة ـ يجب أن تطابق الموصوف بالإفراد، فيقال: «السّبع الطّويل» دون صورة وصف السُّوَر، إذ تجب المطابقة بالجمع.

تسمية السُّوَر

قال الزّركشيّ: قد يكون للسّورة اسم، و هو كثير ... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

و عقّد السّيوطيّ فصلًا في أسماء السُّوَر و قال: «قد يكون للسّورة اسم واحد ... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

أقول: و كلامه لايخلو من تأمّل دليلًا و دلالةً، فالظّاهر أنّ هذه الأسماء الّتي عدّدها لم تكن سوى صفات للسُّوَر، باعتبار محتواها أو موقعها من القرآن. فالفاتحة صفة للسّورة الأُولى من القرآن الكريم، باعتبار وقوعها في مفتتح القرآن كالمقدّمة للكتاب، و كذلك الأسماء

الأُخرى، فالتّعبير عن بعضها باعتبار المواضيع الهامّة فيها، كسورة نوح لقصّة نوح، و سورة البقرة لموضوع البقرة، و بعضها باعتبار مبتدئها، كالمقطّعات ألف لام ميم و ما شابه، و من هنا جاز جمعها في طوائف «كالمسبّحات» و «طواسين» و «و الحامدات»، هذا في عصر الرّسالة، أمّا بعد ذلك فلا شكّ في أنّ التّسمية الغالبة هي المتّبعة.

طوائف من السُّوَر

و عرفت طوائف من السُّوَر بأسماء خاصّة لمناسبات تجمع بينها، منها:

١ـ الحامدات: الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر.

٢ـ الحواميم: و هي كما قال الصَّيدلانيّ: «الحواميم سبع سُوَر: المؤمن، الزّخرف، حمٓ السّجدة، حمٓ عسٓقٓ، الدّخان، السّجدة، الأحقاف، الجاثية.

٣ـ الطّواسين: الشّعراء، النّمل، القصص.

٤ـ المسبّحات: الإسراء، الحديد، الحشر، الصّفّ، الجمعة، التّغابن، الأعلى.

٥ـ الممتحنة: و هي كما قال الصَّيدلانيّ: أربع و عشرون، ثمّ عدّ منها أربعة عشر فقط، و لم يذكر الباقي، فقد ذكر الفتح، الحديد، الحشر، الٓمٓ السّجدة، قٓ، الطّلاق، الحُجُرات، تبارك، التّغابن، المنافقون، الصّفّ، الجنّ، نوح، المجادلة، و لم يذكر الباقي[١].

عدد السُّوَر

تتّفق المصاحف العُثمانيّة على أنّ عدد السُّوَر ١١٤ سورة، و هو الحاوي على ما بين الدّفّتين اليوم، و ذهب ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) على أنّ المصاحف العُثمانيّة ١١٣ سورة، و ليس ذلك من النّقص في القرآن معاذ الله، بل لأنّه عدّ سورتَي الأنفال والبراءة سورة واحدة، لعدم وجود البَسْمَلة في البراءة. والجمهور على أنّ البراءة سورة مستقلّة، و إنّما لم تبدأ بالبَسْمَلة لأنّ البَسْمَلة أمان ـ كما في حديث عليّ عليه السلام ـ و البراءة ليست كذلك.

١ـ مفاتيح الأسرار ١: ١٢.

أمّا المصاحف الغير العُثمانيّة ـ و الّتي بادت اليوم ـ تختلف عدد السُّوَر فيها، فإنّ مُصْحَف ابن مسعود لم يحتوِ على المعوّذتين، فيكون عدد السُّوَر ١١٢ سورة، وأُبيّ بن كعب زاد سورتَي الخَلْع و الحَفْد، فيكون عدد السُّوَر ١١٦ سورة، و ذهب جمع من الفقهاء إلى أنّ سورتَي الضُّحى و الانشراح سورة واحدة، فتكون السُّوَر ١١٣ سورة، و سيأتي الكلام في ذلك.

قال ابن الجَوْزيّ (ت ٥٩٧ هـ): «أمّا سُوَره ؛فقال أبو الحسن بن المنادي: جميع سُوَر القرآن في تأليف زيد بن ثابت على عهد الصّدّيق و ذي النّورين مائة و أربع عشرة سورة، فيهنّ الفاتحة و التّوبة و المعوّذتان.

و ذلك هو الّذي في أيدي أهل قبلتنا، و جملة سُوَره على ما ذُكِر عن أُبيّ بن كعب مائة و ستّ عشرة سورة، و كان ابن مسعود يسقط المعوّذتين، فنقصت جملته سورتين عن جملة زيد، و كان أُبيّ بن كعب يلحقها و يزيد إليهما سورتين و هما الحَفْد و الخَلْع، إحداهما: اللّهمّ إنّا نستعينك و نستغفرك، و هي سورة الخَلْع، و الأُخرى: اللّهمّ إيّاك نعبد، و هي سورة الحَفْد، فزادت جملته عن جملة زيد سورتين و على جملة ابن مسعود أربع سُوَر، و كلّ أدّى ما سمع، و مُصْحَفنا أوْلى بنا أن يتّبع [1].

الأنفال و البراءة

ذهب جمع إلى أنّهما سورة واحدة كما في سورة أُخرى، و الخلاف ليس في النّصّ القرآنيّ، فإنّهما بنصهما في القرآن و منشأ الخلاف هو عدم وجود البَسْمَلة في أوّل السّورة ... [ثمّ ذكر قول السّيوطيّ نقلًا عن أبي رَوْق و أبي رَجاء و غيرهما كما تقدّم عنه، فقال:]

و من ذلك يظهر أنّ الخلاف إنّما نشأ في عدم وجود البَسْمَلة ،و ليس الوحدة الموضوع بين السّورتين أيّة صلة بالقول بوحدتهما. (و عليه) تكون الأقوال دعوى بلا دليل و خاصّة أنّ السّبب في عدم ذكر البَسْمَلة هو موضوع السّورة، أي البراءة، و هي لا تجتمع مع الرّحمة.

---

١ ـ فنون الأفنان: ٣٩.

الضُّحى و الانشراح

ذهب فقهاء المذهب إلى أنّهما سورة واحدة، و وحدة الموضوع فيهما تساعد على ذلك ،ففيهما سلسلة من الأسئلة على نحو الاستفهام الإنكاريّ تأكيدًا على صحّة الأمر.

قال العامليّ: «الضّحى و الانشراح سورة واحدة عند آل محمّد عليهم السلام كما في «الاستبصار»، و من دين الإماميّة الإقرار بذلك كما في «الأمالي»، و هو الّذي تذهب إليه الإماميّة كما في «الانتصار»[1].

و قال الطّباطبائيّ: «الأقوى اتّحاد سورتي «الفيل» و «لإيلاف» و كذا «والضُّحى» و «ألم نشرح» و تفصيل ذلك في «المستدرك»[2]. (٣٢ـ٤١)

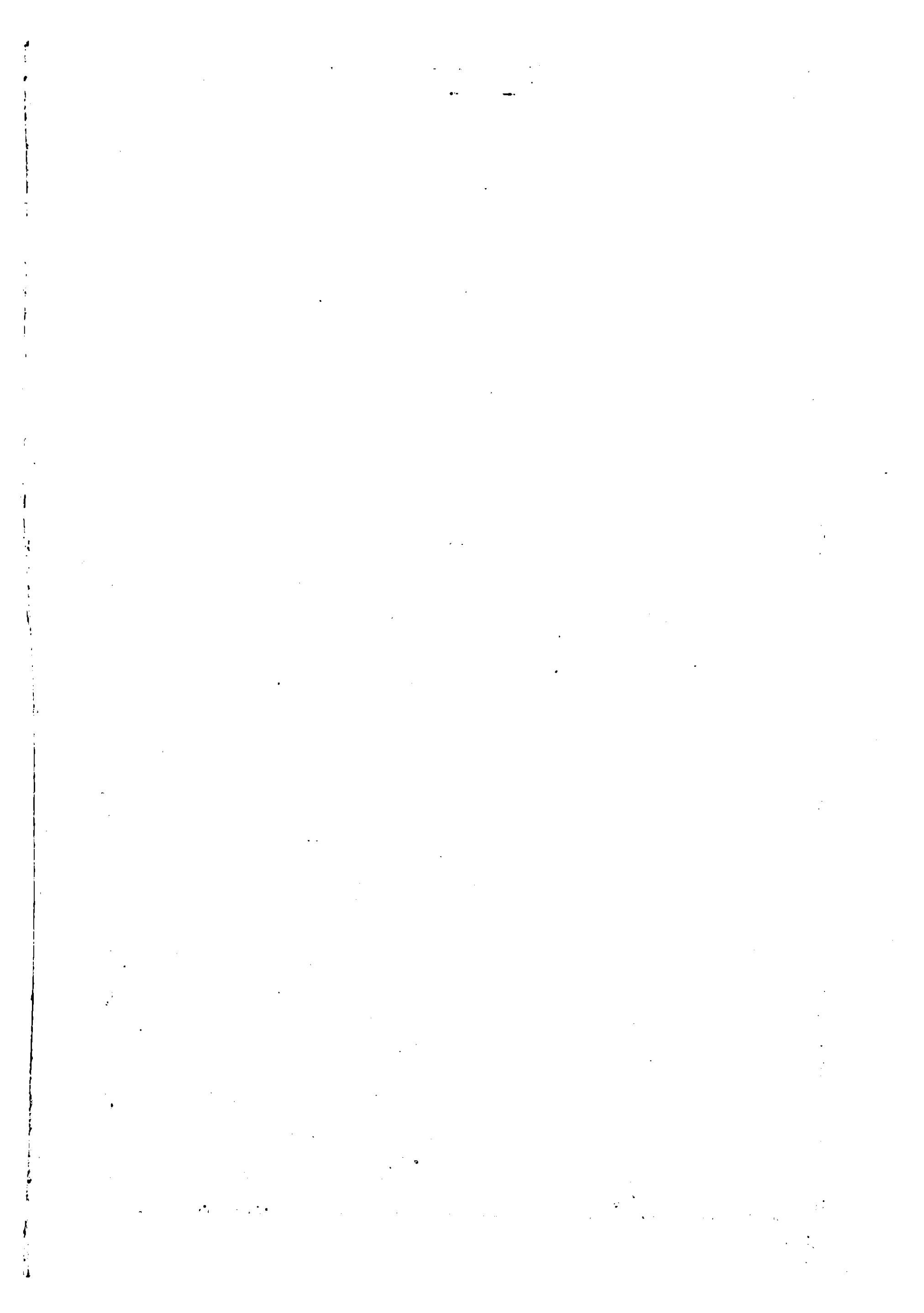
١ـ مفتاح الكرامة ٢: ٢٨٥.

٢ـ المستدرك ٦: ١٧٥.

الباب التّاسع

معنى الآية والحرف والكلمة وعددهم في القرآن

وفيه فصول:



الفصل الأوّل

نصّ الخليل (م: ١٧٥) في «العين»

[معنى الآية واشتقاقها]

الآية: العلامة، والآية: من آيات الله، والجميع: الآي. وتقديرها: فَعَلَةٌ.

إنّ الألف الّتي في وسط الآية من القرآن، والآيات العلامات هي في الأصل: ياء، وكذلك ما جاء من بناتها على بنائها نحو: الغاية والرّاية وأشباه ذلك. فلو تكلّفتَ اشتقاقها من (الآية) على قياس علامة مَعلَمة لقلت: آية مأياة قد أُيِّيَتْ، فاعلم إن شاء الله. (٨: ٤٤١)

الفصل الثّاني

نصّ الطّبريّ (م: ٣١٠) في «جامع البيان...»

وأمّا الآية من آي القرآن

فإنّها تحتمل وجهين في كلام العرب:

أحدهما ـ أن تكون سُمِّيت آية، لأنّها علامةٌ يُعرف بها تمام ما قبلها وابتداؤها، كالآية الّتي تكون دلالةً على الشّيء يُستدلّ بها عليه، كقول الشّاعر:

أَلِكْنى إليها عَمْرَكَ الله يا فَتًى ... بآية ما جَاءَتْ إلينا تَهَادِيَا

يعني: بعلامة ذلك. ومنه قوله جلّ ذكره: ﴿رَبَّنَا اَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا

عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾ [١] أي علامةً منك لإجابتك دُعاءنا وإعطائك إيّانا سُؤلَنا.

والآخر منهما: القصّة، كما قال كعب بن زُهَير بن أبي سَلْمىٰ:

ألا بَلِّغا هذا المُعَرِّض آيَةً أيَقْظانَ قالَ القولَ إذْ قال أمْ حُلْم

يعني بقوله «آية»: رسالةً منّي وخبرًا عنّي. فيكون معنى الآيات: القصص، قصّةً تتلو قصّةً بفُصُولٍ و وُصُولٍ. (١: ٤٧)

﴿وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ البقرة / ٢٥٩

إنّما عنى بقوله: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾، «وَلِنَجْعَلَكَ» حجّة على من جهل قدرتي، وشكّ في عظمتي. وأنا القادر على فعل ما أشاء من إماتة وإحياء، وإنشاء، وإنعام وإذلال، وإقتار وإغناء، بيدي ذلك كلُّه، لا يملكه أحد دوني، ولا يقدر عليه غيري ...

وقال آخرون: معنى ذلك أنّه جاء وقد هلك من يعرفه، فكان آيةً لمن قدم عليه من قومه.

قال أبو جعفر: والّذي هو أوْلى بتأويل الآية من القول أن يقال: إنّ الله تعالى ذِكْره أخبر أنّه جعل الّذي وصف صفته في هذه الآية حُجّة للنّاس، فكان ذلك حُجّة على من عَرِفه من ولده وقومه ممّن علم موته، وإحياء الله إيّاه بعد مماته، وعلى من بُعث إليه منهم. (٣: ٤٢)

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ الأنعام / ٤

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما تأتي هؤلاء الكفّار الّذين بربّهم يعدِلون أوثانهم وآلهتهم ﴿آيَةٌ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، يقول: حجّة وعلامة، ودلالة من حُجج ربّهم، ودلالاته وأعلامه على وحدانيّته، وحقيقة نبوّتك يا محمّد، وصدق ما أتيتهم به من عندي. (٧: ١٤٨)

---

١ ـ المائدة / ١١٤.

الفصل الثّالث

نصّ الطّوسيّ (م: ٤٦٠) في «التّبيان في تفسير القرآن»

[معنى الآية والآيات]

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ...﴾ البقرة / ٣٩

و«آيات الله» دلائله وكُتُبه الّتي أنزلها على أنبيائه. والآية: الحجّة والدّلالة والبيان والبرهان، واحد في أكثر المواضع ـ وإن كان بينها فرق في الأصل ـ لأنّك تقول: دلالة هذا الكلام كذا، ولا تقول: آيته ولا علامته، وكذلك تقول: دلالة هذا الاسم، ولا تقول: برهانه.

(١: ١٧٨)

﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ البقرة / ٢١١

والآيات البيّنات؛ ما ذكرها الله تعالى: من قلب عصا موسى حيّةً، ويده البيضاء، وفَلْقه البحر، وتغريق عدوّهم من فرعون وأصحابه، وتظليله عليهم الغمام، وإنزال المَنّ والسَّلوى، وذلك من آيات الله الّتي أتى بها بني إسرائيل، فخالفوا جميع ذلك، وقتلوا أنبيائه، ورُسُله، وبدّلوا عهده، ووصيّته إليهم. (٢: ١٩٠)

﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ البقرة / ٢٥٩

ورُوِي عن عليّ عليه السلام: أنّ عُزَيرًا خرج من أهله، وامرأته حامل، وله خمسون سنة. فأماته الله مائة سنة، ثمّ بعثه فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة، وله ابن له مائة سنة، فكان ابنه أكبر منه، وذلك من آيات الله. (٢: ٣٢٤)

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ آل عمران / ٤١

الآية: العلامة وإنّما سأل العلامة، والآية لوقت الحمل الّذي سأل ربّه ليتعجّل السّرور به،

في قول الحسن، فجعل الله تعالى آيته في إمساك لسانه، فلم يقدر أن يكلّم النّاس إلّا إيماءً من غير آفة حدثت في لسانه، كما يقال في مريم/ ١٠ ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ هذا قول الحسن، وقَتادة، والرّبيع، وأكثر المفسّرين. وفي وزن «آية» ثلاثة أقوال:

أحدها ـ «فَعلَة» إلّا أنّه شذّ من جهة إعلال العين مع كون اللّام حرف علّة، وإنّما القياس في مثله إعلال اللّام، نحو: حياة ونواة. ونظيرها: راية وطاية، وشذّ ذلك، للإشعار بقوّة إعلال العين.

الثّاني ـ «فَعَلَة» أيَية إلّا أنّها قلبت كراهيّة التّضعيف، نحو: طاي في طيي.

الثّالث ـ «فاعلة» منقوصة، وهذا ضعيف، لأنّهم صغّروها «أُيَيَّة» ولو كانت «فاعلة» لقالوا: «أُوَيِّة» إلّا أنّه يجوز على ترخيم التّصغير، نحو: فُطَيمة. (٢: ٤٥٤)

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ اٰيَةٍ مِنْ اٰيَاتِ رَبِّهِمْ اِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ الأنعام/ ٤

في هذه الآية إخبار من الله تعالى أنّه لا يأتي هؤلاء الكفّار ـ المذكورين في أوّل الآية ـ : ﴿مِنْ اٰيَاتِ رَبِّهِمْ﴾، وهي المعجزات الّتي يُظهرها على رسوله، وآيات القرآن الّتي كان ينزلها على نبيّه ﷺ: ﴿اِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لا يقبلونها ولا يستدلّون بها على ما دلّهم الله عليه من توحيده وصدق رسوله محمّد ﷺ. (٤: ٨٣)

﴿لَئِنْ جَاءَتْهُمْ اٰيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ اِنَّمَا الْاٰيَاتُ عِنْدَ اللهِ﴾ الأنعام/ ١٠٩

وقوله: ﴿جَهْدَ اَيْمَانِهِمْ﴾ أي اجتهدوا في اليمين وبالغوا فيه. والآية الّتي سألوا النّبيّ ﷺ إظهارها قيل: فيها قولان:

أحدهما ـ أن سألوا تحوّل الصّفا ذهبًا.

الثّاني ـ ماذكره في موضع آخر من قوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْاَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ إلى قوله: ﴿كِتَابًا نَقْرَؤُهُ...﴾[1] والمعنى أنّ هؤلاء الكفّار أقسموا متحكّمين على النّبيّ ﷺ وبالغوا في أيمانهم أنّهم إذا جاءتهم الآية الّتي اقترحوها ليؤمننّ بها ـ أي عندها ـ

---

١ ـ الإسراء/ ٩٠ ـ ٩٣.

فأمر الله نبيّه ﷺ أن يقول لهم: ﴿إنّما الآيات عند الله﴾.

فإن قيل: كيف قال: ﴿الآيات عند الله﴾ وذلك معلوم؟

قيل: معناه من أجل أنّ الآيات عند الله ليس لكم أن تتحكّموا في طلبها، لأنّه لا يجوز أن يتخلّف عنكم ولا عن غيركم ما فيه المصلحة في الدّين، لأنّه تعالى لا يخلّ بذلك. (٤: ٢٥٥)

﴿وقالوا لولا نزّل عليه آية من ربّه قل إنّ الله قادر...﴾ الأنعام/ ٣٧

﴿نزّل عليه آية﴾ يعني الآية الّتي سألوها واقترحوا أن يأتيهم بها من جنس ما شاءوا، لمّا قالوا: ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأوّلون﴾[1]، يعنون فلق البحر وإحياء الموتى. وإنّما قالوا ذلك حين أيقنوا بالعجز عن معارضته فيما أتى به من القرآن، فاستراحوا إلى أن التمسوا مثل آيات الأوّلين، فقال الله تعالى: ﴿أولم يكفهم أنّا أنزلنا عليك الكتاب﴾[2]، وقال هاهنا قل يا محمّد: ﴿إنّ الله قادر على أن ينزّل آية...﴾. (٤: ١٣٤ـ١٣٥)

﴿هذه ناقة الله لكم آية فذروها...﴾ الأعراف/ ٧٣

و«الآية» هي البيّنة العجيبة بظهور الشّهادة ولطف المنزلة. والآية والعبرة والدّلالة والعلامة نظائر. و«الآية» الّتي كانت في النّاقة خروجها من صخرة ملساء تمخّضت بها كما تتمخّض المرأة، ثمّ انفلقت عنها على الصّفة الّتي طلبوها، وكان لها شرب يوم، تشرب فيه ماء الوادي كلّه وتسقيهم اللّبن بدله، ولهم شرب يوم يخصّهم لا تقرب فيه ماءهم. (٤: ٤٨٠)

﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها...﴾ الأعراف/ ١٣٢

في هذه الآية إخبار من الله تعالى، وحكاية ما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام، بأنّهم قالوا له: أيّ شيء تأتينا به من المعجزات وتسحرنا بها، فإنّا لا نصدّقك عليه، ولا نؤمن بك. و«الآية» هي المعجزة الدّالّة على نبوّته، وهو كلّ ما يعجز الخلق عن معارضته ومقاومته، كما لا يمكن مقاومة الشّبهة للحجّة، وكما لا يمكن أن يقاوم الجهل للعلم، والسّراب للماء، وإن توهّم ذلك

١ـ الأنبياء/ ٥.

٢ـ العنكبوت/ ٥١.

قبل النّظر و الاعتبار، ويُخيّل قبل الاستدلال الّذي يزول معه الالتباس. (٤: ٥٥٢)

﴿الٓر * تِلْكَ اٰيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يونس /١

و«الآية» العلامة الّتي تُنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة. والقرآن مفصّل بالآيات مضمّن بالحكم النّافية للشّبهات. (٥: ٣٨٢)

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَاِخْوَتِهِ اٰيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ يوسف /٧

و«الآية» الدّلالة على ما كان من الأمور العظيمة. والآية والعلامة والعبرة نظائر في اللّغة. وقال الرُّمّانيّ: الفرق بين الآية والحجّة: أنّ الحجّة معتمد البيّنة الّتي توجب الثّقة بصحّة المعنى. والآية تكشف عن المعنى الّذي فيه أعجوبة. ووجه الآية في يوسف واخوته أنّهم نالوه للحسد بالأذى مع أنّهم أولاد الأنبياء: يعقوب وإسحاق وإبراهيم، فصفح وعفا، وأحسن ورجع إلى الأولى، وكان ذلك خروجًا عن العادات. (٦: ٩٩)

[عدد الآيات والكلمات والحروف]

وجميع آي القرآن:

في البَصْريّ ستّة آلاف ومئتان وأربع آيات.

وفي المدنيّ الأوّل ستّة آلاف ومئتان وسبع عشرة آية.

وفي الكوفيّ ستّة آلاف ومئتان وستّة وثلاثون آية.

وفي المدنيّ الأخير ستّة آلاف ومئتان وأربع عشرة آية. وجميع ما نزل بمكّة خمس وثمانون سورة لاخلاف في ذلك. وبالمدينة تسع وعشرون سورة لاخلاف في ذلك، فذلك مأة وأربع عشرة سورة. وعلى ما رويناه على أصحابنا وعن جماعة متقدّمين مأة واثنتا عشرة سورة.

وعدد جميع كلمات القرآن: تسعة وسبعون ألفًا ومئتان وسبع وسبعون كلمة. ويقال: سبع وثمانون كلمة. ويقال تسع وثلاثون كلمة. وجميع حروفه: ثلثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف وخمسة عشر ألف. وعدد نُقَطه: مأة ألف وستّة وخمسون ألفًا وإحدى وثمانون نقطة. (١٠: ٤٣٨)

الفصل الرّابع

نصّ القيسيّ (م: ٤٣٧) في «مشكل إعراب القرآن»

[معنى الآية لغةً]

في وزن «آية» أربعة أقوال:

قال سيبَوَيْه: هي «فَعلَة» وأصلها: أيْـيَـة، ثمّ أبدلوا من الياء السّاكنة ألفًا، هذا معنى قوله، ومثله عنده: غايَة و ثايَة. واعتلال هذا عنده شاذّ، لأنّهم أعلّوا العين، و صحّحوا اللّام، والقياس إعلال اللّام، وتصحيح العين.

و قال الكوفيّون: آية «فَعَلَة» بفتح العين، وأصلها أيَيَة، فقُلبت الياء الأُولى ألفًا لتحرّكها وانفتاح ما قبلها، وهو شاذّ في الاعتلال؛ إذا كان الأصل أن تُعَملّ الياء الثّانية وتصحّ الأُولى، فيقال: أياة. وقال بعض الكوفيّين: آية «فَعِلَة»، وأصلها: أيِيَة فقُلبت الياء الأُولى ألفًا لانكسارها وتحرّك ما قبلها، وكانت الأُولى أولى بالعلّة من الثّانية، لثقل الكسرة عليها، وهذا قول صالح جارٍ على الأُصول.

وقال ابن الأنباريّ في «آية»: وزنها «فاعِلة»، وأصلها: آيِيَة، فأُسكنت الياء الأُولى استثقالًا للكسرة على الياء، وأدغموها في الثّانية فصارت «آيَّة»، مثل لفظ «دابّة» ووزنها، ثمّ خفّفوا الياء، كما قالوا: «كَيْنونة» بتخفيف الياء ساكنة و أصلها: «كيِّنونة» ثمّ خفّفوا فحذفوا الياء الأُولى المتحرّكة استثقالًا للياء المشدّدة مع طول الكلمة، وهذا قول بعيد من القياس؛ إذ ليس في «آية» طول يجب الحذف معه كما في «كينونة». (١: ٤٢٠-٤٢١)

الفصل الخامس

نصّ العاصميّ (٣٧٨ ـ ؟) في «المباني لنظم المعاني»[1]

[عدد الآي وحروفه وكلماته]

وأمّا عدد الآي: فرُوِي عن ابن مسعود قال: آيات القرآن ستّة ألفٍ ومائتان وثماني عشرة آية. وحروفها ثلاثمائة ألفِ حرفٍ وستّمائة حرفٍ وتسعون حرفًا. فَلِتالي القرآن حرف منها عشر حسنات.

والقرآن كلّه في عدد أهل مكّة ستّة آلاف آية ومائتا آية وعشر آيات، فيما ذكره الزَّعفرانيّ عن عِكْرِمة بن سليمان، وذكر مثله عن مجُاهد وعن عبدالله بن كثير، عن مجاهد أنّه قال: القرآن ثلاثمائة ألفِ حرفٍ وواحدٌ وعشرون ألفَ حرفٍ و مائة وثمانية وثمانون حرفًا.

وعن إسماعيل بن جعفر: أنّ القرآن كلّه ستّة آلاف آيةٍ ومائتا آيةٍ وأربع عشرة آيةً وعن شَيْبة بن نِصاح: أنّه ستّة آلافٍ ومائتا آيةٍ وسبع عشرة آيةً.

وكلماته: عند أهل المدينة سبع وسبعون ألف كلمةٍ وأربعمائةٍ وتسع وثلاثون كلمةً.

وحروفه: ثلاثمائة ألف حرفٍ وثلاثة وعشرون ألف حرفٍ وخمسة عشر حرفًا.

---

١ ـ كان مؤلّف هذا الكتاب مجهولًا لدينا في البداية، فأطلقنا عليه في الأجزاء الثّلاثة السّابقة من كتاب النّصوص «صاحب المباني»، ثمّ أطلقنا عليه في الأجزاء اللّاحقة اسم «العاصميّ»، تعويلًا على رأي أحد المحقّقين الإيرانيّين. ولكنّ محقّقًا آخر يسمّى الدّكتور محمود أحمد الشّنقيطيّ، الأستاذ بقسم القراءات في كلّيّة المعلّمين بالمدينة المنوّرة، ادّعى سنة ١٤٢٦ هـ في مقالٍ له بعنوان «كتاب المباني لنظم المعاني لم يَعُدْ مجهول المؤلّف»: أنّ مؤلّفه يدعى «أبو محمّد حامد بن أحمد بن جعفر بن بسطام الطّحريّ كرّاميّ المذهب» ودعم رأيه بأدلّة موثّقة. وقد ارتأينا في هذا الأمر أن نعدّ العاصميّ مؤلّفًا لهذا الكتاب ريثما تنجلي الحقيقة. (م)

وعن ابن سيرين، القرآن ستّة آلاف آية ومائتان وستّ عشرة آية.

وعن زيد بن عبد الواحد أبي المعافي الضَّرير قال: عدد أهل الكوفة ستّة آلاف آية ومائتا آية وستّ وثلاثون آيةً، وينسب عددهم إلى أبي عبد الرّحمان السُّلَميّ، عن عليّ بن أبي طالب ﷺ.

وعدد أهل البَصْرة، ستّة آلاف ومائتان وأربع آيات، وينسب عددهم إلى عاصم الجَحْدَريّ. وعن أبي جعفر يزيدبن القَعْقاع أنّه ستّة آلاف ومائتان وعشر آيات.

وفي عدد أهل الشّام، ستّة آلاف ومائتان وستّ وعشرون آيةً، وينسب عددهم إلى يحيي بن أبي الحرث الذّماريّ.

وعن حُمَيد الأعرج قال: جميع آي القرآن ستّة آلاف آية ومائتا آية واثنتا عشرة آيةً.

النّصف الأوّل ألفا آية ومائتا آية وآيتان، والنّصف الثّاني أربعة آلاف آية وعشر آيات.

والثُّلث الأوّل ألف آية وثلاثمائة آية وثلاث وعشرون آية، والثُّلث الثّاني ألفا آية وأربع وخمسون آيةً، والثُّلث الثّالث ألفا آية وثمانمائة آية وخمس وثلاثون آيةً.

والرُّبع الأوّل تسعمائة وخمسون آيةً، و الرُّبع الثّاني ألف آية ومائتا آية واثنتان وخمسون آية، والرُّبع الثّالث ألف آية وسبعمائة وإحدى وعشرون آية، والرُّبع الرّابع ألفا آية ومائتا آية وثمانون وتسع آيات.

والخُمس الأوّل سبعمائة واثنتان وأربعون آية، و الخُمس الثّاني ثمانمائة وستّ وتسعون آيةً، والخُمس الثّالث ألف آية وما ئتا آية وثمان وعشرون آية، والخُمس الرّابع ألف آية وثلاثمائة آية وتسع وسبعون آيةً، و الخُمس الخامس ألف آية وتسعمائة وسبع وستّون آيةً.

والسُّدس الأوّل ستّمائة وخمس وعشرون آية، والسُّدس الثّاني ستّمائة وسبع وتسعون آية، والسُّدس الثّالث ثمانمائة وثمانون آية، والسُّدس الرّابع ألف آية ومائة وأربع وسبعون آيةً والسُّدس الخامس ألف آية ومائة وستّ آيات، والسُّدس السّادس ألف آية وسبعمائة وثلاثون آيةً.

والسُّبع الأوّل خمسمائة وخمسون آية، والسُّبع الثّاني خمسمائة وخمس وسبعون آية،

والسُّبع الثّالث ستّمائة وأربع وخمسون آية، والسُّبع الرّابع تسعمائة وأربعون آيةً، والسُّبع الخامس تسعمائة وآيتان، والسُّبع السّادس تسعمائة واثنتان وسبعون آية، والسُّبع السّابع ألف آية وستّمائة وتسع عشرة آيةً.

والثُّمن الأوّل أربعمائة وثمانون آية، والثُّمن الثّاني أربعمائة و إحدى وسبعون آية، والثُّمن الثّالث خمسمائةوسبع وخمسون آيةً، والثُّمن الرّابع ستّمائة وخمس وتسعون آيةً، والثُّمن الخامس تسعمائة وخمس وأربعون آية، والثُّمن السّادس سبعمائة وستّ وسبعون آيةً، والثُّمن السّابع ثمانمائة واثنتان وأربعون آيةً،والثُّمن الثّامن ألف وأربعمائة وستّ وأربعون آيةً.

والتُّسع الأوّل أربعمائة وثمانٍ وعشرون آية، والتُّسع الثّاني أربعمائة وتسع آيات، والتُّسع الثّالث أربعمائة وستّ وثمانون آيةً، والتُّسع الرّابع خمسمائة وثمانٍ وثمانون آيةً، والتُّسع الخامس سبعمائة وأربع آياتٍ، والتُّسع السّادس سبعمائة واثنتان وستّون آية، والتُّسع السّابع سبعمائة وثمان و أربعون آيةً، والتُّسع الثّامن ثمانمائة وتسع وثلاثون آيةً، والتُّسع التّاسع ألف آيةٍ ومائتا آيةٍ و ثمان و أربعون آيةً.

و العُشر الأوّل ثلاثمائة وستّ و سبعون آيةً، والعُشر الثّاني ثلاثمائة وستّ وستّون آيةً، والعُشر الثّالث أربعمائة و ستّ وأربعون آية، والعُشر الرّابع أربعمائة وخمسون آيةً، والعُشر الخامس خمسمائة وأربع وستّون آيةً، والعُشر السّادس ستّمائة وثلاث وستّون آيةً، والعُشر السّابع ستّمائة وسبع وثمانون آيةً، والعُشر الثّامن ستّمائة واثنتان وتسعون آيةً، والعُشر التّاسع ثمانمائة وثمانٍ و عشرون آيةً، والعُشر العاشر ألف و مائة وأربعون آيةً.

وأمّا أعداد الحروف والكلمات فذكر بعض العادّين: أنّ عدد كلام القرآن سبعة وسبعون ألف كلمةٍ و أربعمائة كلمةٍ وستّ وثلاثون كلمةً. وعدد حروفه ثلاثمائة ألفِ حرفٍ، وعشرون ألف حرفٍ، ومائتان وأحد عشر حرفًا.

وعدد ألفات القرآن ثمانية و أربعون ألفًا وثمانمائة حرفٍ.

وعدد الياء أحد عشر ألفًا ومائتا حرفٍ وحرفٍ واحد.

وعد التّاء عشرة آلاف ومائة وتسعة وتسعون حرفًا.

وعدد الثّاء ألف ومائتان وستّة وسبعون حرفًا.

وعدد الجيم ثلاثة آلاف ومائتان وثلاثة وسبعون حرفًا.

وعدد الحاء ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثة وتسعون حرفًا.

وعدد الخاء ألفان وأربعمائة و ستّة عشر حرفًا.

وعدد الدّال خمسة آلاف وستّمائة واثنان وأربعون حرفًا.

وعدد الذّال أربعة آلاف وستّمائة وتسعة وتسعون حرفًا.

وعدد الرّاء أحد عشر ألفًا وسبعمائة وثلاثة وتسعون حرفًا.

وعدد الزّاي ألف وخمسمائة و سبعون حرفًا.

وعدد السّين خمسه آلاف وثمانمائة وأحد وتسعون حرفًا.

وعدد الشّين ألفان ومائتان وثلاثة وخمسون حرفًا.

وعدد الصّاد ألفان وأحد و ثمانون حرفًا.

وعدد الضّاد ألفان وستّمائة وسبعة أحرف.

وعدد الطّاء ألف ومائتان وأربعة و سبعون حرفًا.

وعدد الظّاء ثمانمائة واثنان وأربعون حرفًا.

وعدد العين تسعة آلاف وعشرون حرفًا.

وعدد الغين[1] ومائتان وثمانية أحرف.

وعدد الفاء ثمانية آلاف وأربعمائة وسبعة وتسعون حرفًا.

وعدد القاف ستّه آلاف وثمانمائة وثلاثة وعشرون حرفًا.

وعدد الكاف عشرة آلاف وثلاثمائة وأربعة وخمسون حرفًا.

وعدد اللّام ثلاثة وثلاثون ألفاً وخمسمائة واثنان وعشرون حرفًا.

وعدد الميم ستّة وعشرون ألفًا ومائة وخمسة وثلاثون حرفًا.

---

١ ـ بياض في الأصل و في الكشكول للعامليّ ص ٢٠١ هو ٧٤٩٩.

وعدد الواو خمسة وعشرون ألفًا وخمسمائة وستّة وثلاثون حرفًا.

وعدد الهاء تسعة عشر ألفًا وتسعون حرفًا.

وعدد الياء خمسة وعشرون ألفًا وتسعمائة وتسعة عشر حرفًا.

وذُكِر أنّ الحَجّاج بن يوسف جمع القُرّاء[١] والكَتَبة، فَعَدّوا له جميع آي القرآن وكلامه وحروفه، فبلغ (آيه) ستّة آلاف ومائتين وعشرين آية، وقيل: بل وجدَه ستّة آلاف آية ومأتي آية وأربع آيات. ووجدوا كلامه سبعة وسبعين ألف كلمة وأربعمائة وأربعًا وثلاثين كلمة. وحروفه ثلاثمائة ألف حرف وخمسة وعشرين ألفًا واثنين وسبعين حرفًا ...

فعرفت بما ذكرنا أنّهم أجمعوا على أنّ القرآن هو هذا الّذي جَزَّؤه أثلاثًا وأرباعًا وأخماسًا، وعَدّوا آيَهُ وكلماته وحروفه، فمن خالفهم فقد خالف الجميع، وكفاه بمخالفة الجميع خزيًا ونكالًا، وكفاك بما أوضحنا لك حجّةً واستدلالًا فاعْرِفْه. (٢٤٦ـ ٢٥٠)

١ ـ في الأصل: جمع القرآن عدًّا.

الفصل السّادس

نصّ الدّامغانيّ (م: ٤٨٧) في «الوجوه و النّظائر»

[معنى الآية و وجوهها]

الآيات على ستّة أوجه: العلامات، آي القرآن، المعجزات، العبرة، الكتاب، الأمر و النّهي.

فوجه منها: الآيات، العلامات، فذلك قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾[١] مثلها: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾[٢]، نظيرها في الرّعد/ ٣، ونحوه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً﴾[٣] يعني علامة، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾[٤]: طلوع الشّمس من مغربها.

والوجه الثّاني: آيات يعني آي القرآن، قوله تعالى: ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ..﴾[٥] كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾[٦].

والوجه الثّالث: الآيات يعني المعجزات، قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسٰى بِآيَاتِنَا...﴾[٧] كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا...﴾[٨] و نظائرها كثيرة.

١ـ الرّوم/ ٢٠.

٢ـ النّحل/ ٧٩.

٣ـ الشّعراء/ ١٢٨.

٤ـ الأنعام/ ١٥٨.

٥ـ آل عمران/ ٧.

٦ـ النّحل/ ١٠١.

٧ـ القصص/ ٣٦.

٨ـ القمر/ ٢.

والوجه الرّابع: آية يعني عبرة، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾[١] يعني عبرة وقوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً ...﴾[٢] يعني عبرة للنّاس.

والوجه الخامس: الآية يعني الكتاب، قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي ... تُتْلَى عَلَيْكُمْ ...﴾[٣]، كقوله: ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ...﴾[٤] يعني كتابي يعني القرآن يتلى عليه.

والوجه السّادس: الآية يعني الأمر والنّهي، كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ...﴾[٥] يعني أمره و نهيه، ونحوه كثير. (ص: ٢٨)

١ـ المؤمنون/ ٥٠.

٢ـ مريم/ ٢١.

٣ـ المؤمنون/ ٦٦.

٤ـ الجاثية/ ٨.

٥ـ البقرة/ ١٨٧.

الفصل السّابع

نصّ الرّاغب الأصفهانيّ (م: ٥٠٢) في «المفردات ...»

[معنى الآية لغةً واصطلاحًا]

والآية: هي العلامة الظّاهرة، وحقيقته لكلّ شيء ظاهر، هو ملازم لشيء لايظهر ظهوره، فمتى أدرك مُدرك الظّاهرَ منهما عُلِم أنّه أدرك الآخر الّذي لم يدركه بذاته، إذ كان حُكمُهما سواء، وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات، فمَن عَلِم ملازمة «العَلَم» للطّريق المنهج، ثمّ وجد «العَلَم» عَلِم أنّه وجد الطّريق، وكذا إذا عَلِم شيئًا مصنوعًا عَلِم أنّه لا بدّ له من صانعٍ.

واشتقاق الآية إمّا من «أيٍّ» فإنّها هي الّتي تُبيّن أيًّا من أيٍّ، والصّحيح أنّها مشتقّة من التّأيّي الّذي هو التّثبّت والإقامة على الشّيء. يقال: تأيّ، أي ارفُق. أو من قولهم: أوِيَ إليه.

وقيل للبناء العالي آية، نحو: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾[1]. ولكلّ جملة من القرآن دالّة على حكم آية، سورةً كانت أو فصولًا أو فصلًا من سورة، وقد يقال لكلّ كلام منه منفصل بفصل لفظيّ آيةٌ. وعلى هذا اعتبار آيات السُّوَر الّتي تُعَدّ بها السّورة. (ص: ٣٣)

١ـ الشّعراء / ١٢٨.

الفصل الثّامن

نصّ المَـيْبُديّ (م: ٥٢٠) في «كشف الأسرار وعُدّة الأبرار»

[عدد الآيات والكلمات والحروف في القرآن]

إنّ عدد الآيات القرآنيّة طبق العدّ الكوفيّ، وهو العدّ المنسوب إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٦٢٣٦، وطبق العدّ البَصْريّ ٦٢٠٤ آيةً، وطبق قول الجمهور من أهل العلم ٦٦٦٦ آيةً.

وقد اختلف العلماء في كلمات القرآن، والاختيار هو قول عطاء بن يسار، وهو: ٧٧٤٣٩ كلمة.

واختُلِف في عدد الحروف، قال ابن عبّاس: ٣٢١٦٧١ حرفًا، وقال مُجاهد: ٣٢١١٢٠ حرفًا، وقال ابن مسعود: ٣٢٢٦٧٠ حرفًا، قال: ولتالي القرآن بكلّ حرف، عشر حسنات.

قد عدّ جماعة من المفسّرين حروف القرآن من الألف إلى الياء، فقالوا:

عدد الألفات: ثمانية وأربعون ألفًا وثمانمائة واثنان وسبعون حرفًا.

عدد الباءات: أحد عشر ألفًا وأربعمائة وثمانية وعشرون حرفًا.

عدد التّاءات: عشرة آلاف ومائة وتسعة وتسعون حرفًا.

عدد الثّاءات: ألف ومائتان وستّة وسبعون حرفًا.

عدد الجيمات: ثلاثة آلاف ومائتان وثلاثة وسبعون حرفًا.

عدد الحاءات: ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثة وتسعون حرفًا.

عدد الخاءات: ألفان وأربعمائة وستّة عشر حرفًا.

عدد الدّالات: خمسة آلاف وستّمائة واثنان وأربعون حرفًا.

عدد الذّالات: أربعة آلاف و ستّمائة وسبعة وتسعون حرفًا.

عدد الرّاءات: أحد عشر ألفًا وسبعمائة وثلاثة وتسعون حرفًا.

عدد الزّاءات: ألف وخمسمائة وتسعون حرفًا.

عدد السّينات: خمسه آلاف وثمانمائة وأحد وتسعون حرفًا.

عدد الشّينات: ألفان ومائتان وثلاثة وخمسون حرفًا.

عدد الصّادات: ألفان وثلاثة عشر حرفًا.

عدد الضّادات: ألف وستّمائة وسبعة عشر حرفًا.

عدد الطّاءات: ألف ومائتان وأربعة وسبعون حرفًا.

عدد الظّاءات: ثمانمائة واثنان وأربعون حرفًا.

عدد العينات: تسعة آلاف ومائتان وعشرون حرفًا.

عدد الغينات: ألفان ومائتان وثمانية أحرف.

عدد الفاءات: ثمانية آلاف وأربعمائة وتسعة وتسعون حرفًا.

عدد القافات: ستّه آلاف و ثمانمائة وثلاثة عشر حرفًا.

عدد الكافات: تسعة آلاف وخمسمائة حرف.

عدد اللّامات: ثلاثون ألفًا وأربعمائة واثنان وثلاثون حرفًا.

عدد الميمات: ستّة وعشرون ألفًا ومائة وخمسة وثلاثون حرفًا.

عدد النّونات: ستّة وعشرون ألفًا وخمسمائة وستّة أحرف.

عدد الواوات: خمسة وعشرون ألفًا وخمسمائة وستّة وثلاثون حرفًا.

عدد الهاءات: سبعة عشر ألفًا وسبعون حرفًا.

عدد حرف «لا»: أربعة آلاف وسبعمائة وعشرون حرفًا.

عدد الياءات: خمسة وعشرون ألفًا وتسعمائة وتسعة عشر حرفًا.

في كلّ حرف إرادة، في كلّ كلمة إشارة، في كلّ آية زيادة، في كلّ سورة سعادة، في كلّ حرف بداية، في كلّ كلمة هداية، في كلّ آية غاية، في كلّ سورة سراية، في كلّ ألف آلاء، في

كلّ باء بهاء، في كلّ تاء تحفة، في كلّ ثاء ثواب، في كلّ جيم جزاء، في كلّ حاء حياة، في كلّ خاء خيال، في كلّ دال دواء، في كلّ ذال ذوق، في كلّ راء راحة، في كلّ زاء زيادة، في كلّ سين سناء، في كلّ شين شعاع، في كلّ صاد صفاء، في كلّ ضاد ضياء، في كلّ طاء طهارة، في كلّ ظاء ظرافة، في كلّ عين عناية، في كلّ غين غبن، في كلّ فاء فائدة، في كلّ قاف قربة، في كلّ كاف كرامة، في كلّ لام لواء، في كلّ ميم مناء، في كلّ نون نور، في كلّ واو ولاء، في كلّ هاء هواء، في كلّ لام ألف ألف و لُطف، في كلّ ياء يُمْن ... (١٠: ٦٨٢ـ ٦٨٤)

الفصل التّاسع

نصّ أبي الفتوح الرّازيّ (م: ٥٣٥) في «رَوْض الجِنان ورَوْح الجَنان» في معنى الآية والكلمة والحرف

أمّا معنى الآية:

١ـ فهي العلامة، من قولهم: «آية كذا وكذا» أي علامته، كما حكى الله تعالى عن عيسى عليه السلام في ذكر المائدة: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾[1] أي علامة لإجابة دعائنا.

٢ـ والرّسالة...[ثمّ استشهد بشعر كعب بن زُهَير، كما تقدّم عن الطّبريّ، فقال:]

٣ـ والجماعة، كما يقولون: «خرج القوم بآيتهم» أي بجماعتهم وآية من القرآن: مجموعة من الكلمات والحروف، يتّصل بعضها ببعض حتّى يتمّ المعنى.

٤ ـ والعجيب، كما في قولهم: «فلان آية في كذا» أي أعجوبةٌ.

وأمّا معنى الكلمة: فهي لفظٌ موضوع بدلالة المعنى بالوضع، وجمعها الكلمات والكَلِم.

وأمّا معنى الحرف: فله معنيان:

أحدهما ـ حرف الهجاء، مثل: ا، ب، ت، ث.

وثانيهما ـ مااستعمل في كلام أهل النّحو، وهو ما جاء لمعنًى، ليس باسمٍ ولا فعلٍ، نحو: هَلْ بَلْ، قَدْ... (١: ١٥ـ ١٦)

١ـ المائدة/ ١١٤.

الفصل العاشر

نص ابن عطيّة (م: ٥٤٦) في «المحرّر الوجيز...» [1]

[معنى الآية]

الآية: فهي العلامة في كلام العرب، ومنه قول الأسير المُوصي إلى قومه باللُّغز: بآية ما أكلت معكم حِيسًا. فلمّا كانت الجملة التامّة من القرآن علامة على صدق الآتي بها، وعلى عجز المتحدّى بها سمّيت آية، هذا قول بعضهم.

وقيل: سمّيت آية لما كانت جملة وجماعة كلام، كما تقول العرب: جئنا بآيتنا، أي بجماعتنا.

وقيل: لما كانت علامةً للفصل بين ما قبلها وما بعدها سمّيت آية. ووزن آية عند سيبَوَيْه «فَعَلة» بفتح العين، أصلها «أيَيَة»، تحرّكت الياء الأولى وما قبلها مفتوح، فجاءت آية.

وقال الكسائيّ: أصل آية «آيِيَة» على وزن «فاعلة»، حذفت الياء الأولى مخافةً أن يلتزم فيها من الإدغام ما لزم في دابّة. وقال مكّيّ في تعليل هذا الوجه: سُكّنت الأُولى وأُدغمت، فجاءت آيّة على وزن دابّة، ثمّ سهّلت الياء المثقّلة.

وقيل: أصلها أيَّة على وزن «فَعْلَة» بسكون العين، أُبدلت الياء السّاكنة ألفًا استثقالًا للتّضعيف، قاله الفرّاء، وحكاه أبوعليّ عن سيبويه في ترجمة: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ﴾ [2]. وقال بعض الكوفيّين: أصلها أيِيَة على وزن «فَعِلة» بكسر العين؛ أُبدلت الياء الأُولى ألفًا لثقل الكسر عليها وانفتاح ما قبلها. (١: ٥٧)

---

١ ـ وكذا نصّه في «مقدّمتان في علوم القرآن» : ٢٨٤ ـ ٢٨٥. (م)

٢ ـ آل عمران / ١٤٦.

الفصل الحادي عشر

نصّ الطّبرسيّ (م: ٥٤٨) في «مجمع البيان لعلوم القرآن»

في تعداد آي القرآن

اعلم! أنّ عدد أهل الكوفة أصحّ الأعداد وأعلاها إسنادًا، لأنّه مأخوذ عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وتعضده الرّواية الواردة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «فاتحة الكتاب» سبع آيات إحداهنّ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

وعدد أهل المدينة: منسوب إلى أبي جعفر يزيد بن القَعْقاع القارئ، وشَيْبَة بن نِصاح، وهما المدنيّ الأوّل، وإلى إسماعيل بن جعفر، وهو المدنيّ الأخير.

وقيل: المدنيّ الأوّل هو الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر.

والمدنيّ الأخير: أبو جعفر وشَيْبَة وإسماعيل، والأوّل أشهر.

وعدد أهل البَصْرة: منسوب إلى عاصم بن أبي الصّباح الجَحْدَريّ، وأيّوب بن المتوكّل، لايختلفان إلّا في آية واحدة في ص/٨٤ قوله: ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾، عدّها الجَحْدَريّ، وتركها أيّوب.

وعدد أهل مكّة: منسوب إلى مجاهد بن جَبْر، وإلى إسماعيل المكّيّ.

وقيل: لاينسب عددهم إلى أحد، بل وجد في مصاحفهم على رأس كلّ آية ثلاث نُقَط.

وعدد أهل الشّام: منسوب إلى عبد الله بن عامر.

والفائدة في معرفة آي القرآن

أنّ القارئ إذا عدّها بأصابعه كان أكثر ثوابًا، لأنّه قد شغل يده بالقرآن مع قلبه ولسانه، وبالحريّ أن تشهد له يوم القيامة، فأنّها مسؤولة، ولأنّ ذلك أقرب إلى التّحفّظ، فإنّ القارئ لا يأمن من السّهو، وقد روى عبد الله بن مسعود عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «تعاهدوا القرآن فإنّه وحشيّ». وقال ﷺ لبعض النّساء: «اعقدنّ بالأنامل فإنّهنّ مسؤولات ومستنطقات». وقال حمزة بن حبيب وهو أحد القرّاء السّبعة: «العدد مسامير القرآن». (١: ٩ـ١٠)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ البقرة/ ٣٩

والآيات: جمع آية، ومعنى الآية في اللّغة: العلامة...[وذكر كما تقدّم عن الطّبريّ].

وقال أبو عُبَيدة: معنى الآية أنّها علامة لانقطاع الكلام الّذي قبلها، وانقطاعه من الّذي بعدها. وقيل: إنّ الآية القصّة والرّسالة...[ثمّ ذكر شعر كعب بن زُهير، كما تقدّم عن الطّبريّ، فقال:]

فعلى هذا يكون معنى الآيات القصص أي: قصّة تتلو قصّة.

وقال ابن السّكّيت: خرج القوم بآيتهم أي: بجماعتهم لم يَدَعوا وراءهم شيئًا، وعلى هذا يكون معنى الآية من كتاب الله جماعة حروف دالّة على معنًى مخصوص. (١: ٩١)

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ..﴾ آل عمران/ ٤١

أي علامةً لوقت الحمل والولد. فجعل الله تعالى تلك العلامة في إمساك لسانه عن الكلام إلّا إيماءً من غير آفة حدثت فيه، بقوله: ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾ أي قال الله. ويحتمل أن يكون المراد قال جبرائيل: ﴿آيَتُكَ﴾ أي علامتك ﴿أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ أي إيماءً.

(١: ٤٤٠)

الفصل الثّاني عشر

نصّ الشّهرستانيّ (م: ٥٤٨) في «مفاتيح الأسرار ...»

[عددا الآي و الكلمات و الحروف في القرآن]

... آياته: في عدد الكوفيّين: وهو العدد الّذي رواه الكسائيّ عن حمزة، ورفعه حمزة إلى عليّ بن أبي طالب عليه السّلام ٦٢٣٦، و في عدّ البَصْريّين: وهوالعدد الّذي عليه مصاحفهم ٦٢٠٤، وفي عدد المدنيّ الأوّل عن الحسين بن عليّ[1] وعبدالله بن عمر ٦٢١٧، وفي عددالمدنيّ الآخر عن أبي جعفر و شيبة وإسماعيل ٦٢١٤، وفي عدد المكّيّين ٦٢١٩، وفي عدد أهل الشّام ٦٢٢٦.

و كلماته: ٧٧٤٣٩ و قيل: ٧٧٤٣٦.

وحروفه: ٣٢٣٥١٤، وقيل: ٣٢٢٦١٧، وقيل: ٣٢٥١٨٨، وقيل: ٣٢١٦٧٥[2].

وقد قيل: في علّة الاختلاف في عدد الحروف والكلمات: إنّ بعضهم كان يعدّ كلّ حرف مشدّد حرفين، فصارت حروفه عنده أكثر من حروف من عدّه حرفًا واحدًا، وعدّ بعضُهم مثلًا «في خلق» كلمتين، كان يعدّ «في» كلمة و «خلق» كلمة، فصارعدد كلماته أكثر من عدد مَن عدّهما كلمة واحدة.

و في نسخة عن بعض العادّين والمتأخّرين نقلت هوعبدالله بن عبد العزيز:

---

١ - في مجمع البيان: الحسن بن عليّ. (م)

٢ ـ انظر: الرّوايات المختلفة للأعداد في: مقدّمتان: ٢٤٦ ـ ٢٤٧، والبرهان ١: ٢٤٩ ـ ٢٥١، و في النّسخة أيضًا [وعواشره وخوامسه] مدرجة أمام الأرقام، و ليس لها محلّ في هذا المكان.

عدد آي القرآن: ٦٢٤٦ وكلماتها: ٧٧٤٣٦، وحروفها: ٣٢٥٢١١ وعدد ما في القرآن من الألف: ٤٨٩٥٥، والباء: ١٢٥٥، والتاء: ١٥١٩٩، والثاء: ١٢٥٥، والجيم ٣٢٧٣، والحاء ٣٩٩٣، والخاء: ٢٤١٦، والدّال: ٢٤١٢. والذّال: ٤٦٤٢، والرّاء: ١١٧٩٣، والزّاء ١٤٥٥، والسّين: ٤٩٩١، والشّين: ٢٢٤٣، والصّاد: ٢٥٨١، والضّاد: ٢٦٥٧، والطّاء: ١٢٧٤، والظّاء: ٨٤٢، والعين: ٩٥٢٥، والغين: ٢٢٥٨، والفاء: ٨٤٧٧، والقاف: ٩٨١٣، والكاف: ١٥٣٤٤ واللّام: ٣٣٤٢٢، والميم: ٢٦١٣٤»، والنّون: ٢٦٤٦٤، والواو: ٢٤٤٣٦، والهاء: ١٧٥٧٥، والياء: ٢٤٩١٩.

وقد عدّوا آيات سورة الفاتحة ٧: وكلماتها: ٢٨، وقيل: ٢٩، وحروفها: ١٤٤، وكلماتها التّامّات: ١٢ وتحت كلّ عدد سرّ، وفوق كلّ ذي علمٍ عليم. (١: ١٦٠-١٦٢)

الفصل الثّالث عشر

نصّ الشّاطبيّ (م: ٥٩٠) في «ناظمة الزُّهْر في عدد الآي» [١]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

بـدأت بحمـد الله ناظمـة الزُّهْـرِ ... لِـتَجْني بعـون الله عَينًـا مـن الزَّهْـرِ

وعُـذتُ بربّـي مـن شُـرُور قـضائه ... ولُذْتُ به في السِّرِّ والجَهـر مـن أمـري

بحَـيٍّ مُريـدٍ عـالمٍ مـتكلّمٍ ... سميـعٍ بـصيرٍ دائـمٍ قـادرٍ وِتْـرِ

وأحمـده حمـدًا كـثيرًا مباركًـا ... وأسـأله التَّوفيـق للـذِّكرِ والـشُّكرِ

وبعـدُ صـلاةُ الله ثمّ سَـلامُـهُ ... على خـير مختـار مـن المـُجَّدِ الغُـرِّ

محمّـدٍ الهـادي الـرّؤوف وأهلـه ... وعترتـه سُـحْب المكـارم والبِـرِّ

وإنّـي اسـتخَرْتُ الله ثمّ استعَنْـتُهُ ... على جمع آي الذّكر في مـشرع الـشّعرِ

وأنبطـتُ في أسـراره سِـرَّ عَـذْبِها ... فـسُرَّ مُحَيّـاهُ بمثـل حَيَـا القَطْـرِ

سـتُحيي معانيـه مغـاني قبولِهـا ... لإقبالهـا بـين الطّلاقـة و البِـشْرِ

وتُطلِـع آيـات الكتـاب أياتُهـا ... فتبْسِمُ عـن ثَغرٍ وما غـاب مـن ثغْـرِ

وتُنـظَم أزواجًـا تُـثير مَعادِنًـا ... تخيّرهـا خـير القـرون علـى التِّبْـرِ

---

١ ـ هذه رسالة طُبعت مع رسائل أخرى في كتاب بعنوان: «إتحاف البررة بالمتون العشرة» للشّيخ عليّ محمّد الضّبّاع. (م)

هُـم بحـروف الـذِّكر مـع كلماتـه وآياتـه أثـرَوْا بأعـدادها الكُثْـرِ
وهـاموا بعقـد الآي في صـلواتهم لحـضّ رسـول الله في حظِّهـا المثرِ
وقـد صـحّ عنـه أنّ إحـرازَ آيـةٍ لأفضل مـن كُـومٍ مـن الإبـل الحُمْـرِ
وقـد صـحّ في السّبع المعـاني وغيرهـا مـن العـدّ والتّعـيين مـالاح كـالفَجرِ
ولمّـا رأى الحُفّـاظ أسـلافهم عُنُـوا بها دوَّنُوها عـن أُولى الفـضلِ والبِـرّ
فعـن نـافعٍ عـن شَـيبة ويزيـد أو وَلُ المـدنّي إذْ كُـلّ كُـوفٍ بـه يُقْـرى
وحمـزةُ مـع سُـفيان قـد أسنداه عـن عليٍّ عـن أشياخ ثـقات ذوي خُـبْرِ
والآخَـر إسـمـاعـيل يرويه عـنـهما بنقل ابن جَمّـازٍ سُـليمان ذي النَّـشْرِ
بـأنّ رسـول الله عَـدَّ عليهمـا له الآي توسيعًا على الخلق في اليُسْرِ
وعَـدَّ عَطَـاء بـن اليَـسار كعاصِـم هو الجَحْدَريّ في كلّ ما عُـدَّ للبَصْريّ
ويحـيى الـذِّماريّ للـشّاميّ وغـيره وذو العـدد المكّـيّ أُبيٌّ بِـلا نُكْـرِ
وأكّـده أشـباهُ آيٍ كـثيرةٍ وليس لهـا في عَزْمـة العَـدّ مِنْ ذِكْـرِ
وسـوف يُـوافي بـين الأعـداد عـدُّها فيُوفي على نَظْـم اليواقيـت والـشَّذْرِ
وعدُّ الّذي ينهىٰ والأشقىٰ ومـن طغـى وعـن مَـن تـولّى في عِدادِها عَـذْرِ
ومـا بَـدْءُه حـرف التّهجّـي فآيـةٌ لكُوفٍ سِوىٰ ذي راوَطس والـوِتْرِ
ومـا تـأت آيـات الطُّـوال وغيرِهـا علـى قـصرٍ إلّا لِمَـا جـاء مَـعْ قَـصْرِ
ولكـن بُعُـوثُ البحـث لأُفُـلَّ حـدُّها على جَـدّها تَغْلـو البـشائر بالنَّـصْرِ
وقـد أُلِّفـت في الآي كُتـبٌ وإنّـني لِمَا أَلَّفَ الفـضل بـن شـاذان مُـستَقْرِ
روي عـن أُبيّ والـذِّماريّ وعاصـمٍ مع ابن يَسَار مـا احتبَـوه علـى يُـسْرِ

وما لابن عيسى ساقَهُ في كتابه ... وعنه روَى الكوفيّ وفي الكلّ أسْتبْرِ

و لكنَّني لم أسْرِ إلّا مُظاهرًا ... بِجَمع ابْن عَمّار وجمع أبي عمرِو

عَسى جَمعُه في الله يصفُو ونَفعُهُ ... يعُمُّ برُحْماهُ فيشفي من الضُّرّ

على الله فيه عُمدتي و توكّلي ... ومنه غياثي وهو حسبي مَدَى الدَّهرِ

(٣٤٢ـ٣٤٤)

الفصل الرّابع عشر

نصّ ابن الجَوْزيّ(م: ٥٩٧) في «فنون الأفنان في عيون علوم القرآن» [1]

[الاختلاف في عددا لآيات]

وأمّا عدد آي القرآن فمختلف فيها أيضًاعلى حسب اختلاف العادّين، والعدّ منسوب إلى ستّة بُلدان: مكّة و المدينة و الكوفة و البَصْرة و الشّام وحِمْص، فالعـدد المكّـيّ منـسوب إلى مجاهد بن جَبْر، وعبدالله بن كَثير،

والمدنيّ على ضربين: مدنيّ أوّل، و مدنيّ آخر، فالمدنيّ الأوّل منسوب إلى نقل أهل الكوفة إيّاه عن أهل المدينة مرسلًا، ولم يسمّوا فيه أحدًا. والمدنيّ الآخر منسوب إلى أبي جعفر يزيـد بن القَعْقاع وصِهْره شَيْبة بن نِصَاح، و بينهما خلاف في ستّ مسائل، وهنّ له ﴿مِمَّا تُحِبُّـونَ﴾[2]، ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَـقُولُونَ...﴾[3]، ﴿وَقَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ...﴾[4]، ﴿إِلَىٰ طَعَامِـهِ﴾[5]، ﴿فَـأَيْنَ تَـذْهَبُونَ﴾[6]، ترك هذه الخمس آيـات أبوجعفروعـدّهنّ شـيبة، و عـدّ أبـوجعفر: ﴿مَقَـامَ إِبْـرَاهِـيمَ﴾)[7] وتركها شيبة .

قال ابن المُنـادي:المدنيّ الأوّل،فلايدري على الحقيقة في أيّ زمن هو،وكأنّه عدد صـحابيّ

---

١ ـ ط: مطبعة النّجاح، الدّار البيضاء، سنة ١٩٦٥م .

٢ ـ آل عمران/ ٩٢.

٣ ـ الصّافّات/ ١٦٧.

٤ ـ المُلك/ ٩.

٥ ـ عبس/ ٢٤.

٦ ـ التّكوير/ ٢٦.

٧ ـ آل عمران/ ٩٧.

وافق عليه،فلكثرة أهله لم يعز إلى أحد مسمّى،فإن كان قبل كُتّاب صُحُف فهو مأخوذ من أفواه الرّجال، و إن كان عن مُصْحَف فهو مأخوذ قبل استنساخه كَتْبًا . فلمّا نشأ أبو جعفر و شيبة اختارا من عدّ الماضين كما اختارا من الحروف .وأمّا الكوفيّ فمنسوب إلى أبي عبدالرّحمان السُّلَميّ عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد نسبه قوم إلى ابن مسعود، و الأوّل أصحّ.

و أمّا البَصريّ فمنسوب إلى عاصم بن مَيمون الجَحْدَريّ، وهو أحد التّابعين الحُفّاظ الّذين ندبهم الحَجّاج إلى عدد حروف القرآن مع الحسن البَصريّ ومالك بن دينار وأبي العالية الرّياحيّ وأبي محمّد بن راشد الحِمّانيّ ونَصْر بن عاصم اللّيثيّ، فعدّوه بالشّعير وحسبوه، وقد نسبه بعضهم إلى أيّوب بن المتوكّل، والأوّل أظهر.وأمّا الشّاميّ فمنسوب إلى عبدالله بن عاصم اليَحْصُبيّ. روى قوم أنّ أيّوب بن تَميم زعم أنّه عدد عُثمان بن عَفّان رضي الله عنه، والأوّل أصحّ، وقد رُوي عن أهل حِمْص خلاف لما رُوي عن أهل الشّام مطلقًا.

وقد وقع إجماع العادّين على أنّ القرآن ستّة آلاف مائتا آية،ثمّ اختلفوا في الكسر الزّائد على ذلك،فروى المِنْهال بن عمرو عن ابن مسعود أنّه قال:القرآن ستّة آلاف ومائتا آية وسبع عشرة آية،هذا مبلغه في المدنيّ الأوّل، وبه قال نافع ، وأمّا في المدنيّ الأخير فأربع عشرة آية عن شَيْبة،وعشر آيات عن أبي جعفر،وفي المكّيّ عشرون آيةً،و في الكوفيّ ستّ وثلاثون آيةً، وهو مرويّ عن حمزة الزّيّات،وفي البَصْريّ خمس آيات وهو مرويّ عن عاصم الجَحْدَريّ و في رواية عنه:وأربع آيات،وبهذه الرّواية قال أيّوب بن المتوكّل البَصْريّ،وفي رواية عن البَصْريّين أنّهم قالوا:وتسع عشرة آية،وهو مرويّ عن يحيى بن الحارث الذّماريّ، وقد روى أبوعبدالرّحمان عن عليّ عليه السلام أنّه قال:وتسع وعشرون آيةً،و رَوى زيد بن وَهْب عن ابن مسعود أنّه قال: وخمس عشرة آيةً ورُوي عن عَطاء الخراسانيّ أنّه قال:وستّ عشرة آيةً،ورُوي عن عطاء بن يَسار أنّه قال:وستّ آيات،ونُقِل عن أهل حِمْص أنّهم قالوا:واثنتان وثلاثون آيةً. (٣٩ـ٤٠)

[ثمّ ذكر في ص: ٥٢ـ٧٣ عددا لآيات في كلّ سورة ولا حاجة إلى ذكرها هنا،وإن شئت فراجع].

الفصل الخامس عشر

نصّ الفخر الرّازيّ (م: ٦٠٦) في «التّفسير الكبير»

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ البقرة/ ٩٩

المسألة الأولى: الأظهر أنّ المراد من الآيات البيّنات القرآن الّذي لا يأتي بمثله الجنّ والإنس ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا.

وقال بعضهم: لا يمتنع أن يكون المراد من الآيات البيّنات القرآن مع سائر الدّلائل نحو امتناعهم من المباهلة ومن تمنّي الموت وسائر المعجزات، نحو إشباع الخلق الكثير من الطّعام القليل، ونبوع الماء من بين أصابعه، وانشقاق القمر.

قال القاضي: الأولى تخصيص ذلك بالقرآن، لأنّ الآيات إذا قرنت إلى التّنزيل كانت أخصّ بالقرآن، والله أعلم.

المسألة الثّانية: الوجه في تسمية القرآن بالآيات وجوه:

أحدها ـ أنّ الآية هي الدّالّة، وإذا كانت أبعاض القرآن دالّة بفصاحتها على صدق المدّعي كانت آيات.

وثانيها ـ أنّ منها ما يدلّ على الإخبار عن الغيوب، فهي دالّة على تلك الغيوب.

وثالثها ـ أنّها دالّة على دلائل التّوحيد والنّبوّة والشّرائع، فهي آيات من هذه الجهة.

فإن قيل: الدّليل لا يكون إلّا بيّنًا، فما معنى وصف الآيات بكونها بيّنة؟ وليس لأحد أن يقول: المراد كون بعضها أبين من بعض، لأنّ هذا إنّما يصحّ لو أمكن في العلوم أن يكون بعضها أقوى من بعض، وذلك محال، وذلك لأنّ العالم بالشّيء إمّا أن يحصل معه تجويز نقيض ما

اعتقده أو لايحصل، فإن حصل معه ذلك التّجويز لم يكن ذلك الاعتقاد عِلْمًا، وإن لم يحصل استحال أن يكون شيء آخر آكد منه؟

قلنا: التّفاوت لايقع في نفس العلم بل في طريقه، فإنّ العلوم تنقسم إلى ما يكون طريق تحصيله والدّليل الدّالّ عليه أكثر مقدّمات، فيكون الوصول إليه أصعب، وإلى ما يكون أقلّ مقدّمات، فيكون الوصول إليه أقرب، وهذا هو «الآية البيّنة». (٣: ١٩٩)

﴿وَلَئِنْ اَتَيْتَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ اٰيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ البقرة/ ١٤٥

الآية: وزنها «فَعَلَة» أصلها: أيّة، فاستثقلوا التّشديدَ في الآية فأبدلوا من الياء الأُولى ألِفًا لانفتاح ما قبلها.

والآية: الحجّة والعلامة، وآية الرّجل: شخصه، وخرج القوم بآيتهم: بجماعتهم، وسُمّيت آية القرآن بذلك لأنّها جماعة حروف.

وقيل: لأنّها علامة لانقطاع الكلام الّذي بعدها.

وقيل: لأنّها دالّة على انقطاعها عن المخلوقين، وأنّها ليست إلّا من كلام الله تعالى. (٤: ١٤١)

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ اٰيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ اِنَّ اللهَ قَادِرٌ...﴾ الأنعام/ ٣٧

اعلم! أنّ هذا النّوع الرّابع من شبهات منكري نبوّة محمّد ﷺ، وذلك لأنّهم قالوا: لو كان رسولًا من عند الله فهلّا أُنزل عليه آية قاهرة ومعجزة باهرة؟

ويُروى أنّ بعض الملحدة طعن، فقال: لو كان محمّد ﷺ قد أُتي بآية معجزة لما صحّ أن يقول أُولئك الكفّار: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ اٰيَةٌ﴾ ولما قال: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ اٰيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ ؟

والجواب عنه: أنّ القرآن معجزة قاهرة وبيّنة باهرة، بدليل أنّه ﷺ تحدّاهم به فعجزوا عن معارضته، وذلك يدلّ على كونه معجزًا. بقي أن يقال: فإذا كان الأمر كذلك فكيف قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ اٰيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾؟

فنقول: الجواب عنه من وجوه:

الوجه الأوّل: لعلّ القوم طعنوا في كون القرآن معجزًا على سبيل اللّجاج والعناد، وقالوا: إنّه من جنس الكُتُب، والكتاب لايكون من جنس المعجزات، كما في التّوراة والزّبور والإنجيل، ولأجل هذه الشّبهة طلبوا المعجزة.

والوجه الثّاني: أنّهم طلبوا معجزات قاهرة من جنس معجزات سائر الأنبياء، مثل فلق البحر، وإظلال الجبل، وإحياء الموتى.

والوجه الثّالث: أنّهم طلبوا مزيد الآيات والمعجزات على سبيل التّعنّت واللّجاج، مثل إنزال الملائكة وإسقاط السّماء كِسَفًا، وسائر ما حكاه عن الكافرين.

والوجه الرّابع: أن يكون المراد ما حكاه الله تعالى عن بعضهم في قوله: ﴿اللّٰهُمَّ اِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ اَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ اَلِيمٍ﴾ [1]، فكلّ هذه الوجوه ممّا يحتملها لفظ الآية.

ثمّ أنّه تعالى أجاب عن سؤالهم، فقوله: ﴿قُلْ اِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلٰى اَنْ يُنَزِّلَ اٰيَةً﴾ [2] يعني أنّه تعالى قادر على إيجاد ماطلبتموه، وتحصيل مااقترحتموه... [ثمّ ذكروجوهًا لبيان طلبهم الآية، وإن شئت فلاحظ].

﴿هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ اٰيَةً فَذَرُوهَا﴾ الأعراف / ٧٣

اختلف العلماء في وجه كون النّاقة آية:

[القول الأوّل]: فقال بعضهم: إنّها كانت آية بسبب خروجها بكمالها من الصّخرة. قال القاضي: هذا إن صحّ فهو معجز من جهات:

إحداها ـ خروجها من الجبل.

والثّانية ـ كونها لا من ذكَرٍ و أُنثى.

والثّالثة ـ كمال خلقها من غير تدريج.

---

١ ـ الأنفال / ٣٢.

٢ ـ الأنعام / ٣٧.

والقول الثّاني: إنّها إنّما كانت آية لأجل أنّ لها شُرب يوم، ولجميع ثمود شُرب يوم، واستيفاء ناقة شُرب أُمّة من الأُمم عجيب، وكانت مع ذلك تأتي بما يليق بذلك الماء من الكلأ والحشيش.

والقول الثّالث: إنّ وجه الإعجاز فيها أنّهم كانوا في يوم شُربها يحلبون منها القَدر الّذي يقوم لهم مقام الماء في يوم شُربهم. وقال الحسن: بالعكس من ذلك، فقال: إنّها لم تحلب قطرة لبن قطّ، وهذا الكلام مُنافٍ لما تقدّم.

والقول الرّابع: إنّ وجه الإعجاز فيها أنّ يوم مجيئها إلى الماء كان جميع الحيوانات تمتنع من الورود على الماء، وفي يوم امتناعها كانت الحيوانات تأتي.

واعلم! أنّ القرآن قد دلّ على أنّ فيها آية، فأمّا ذكر أنّها كانت «آيةً» من أيّ الوجوه فهو غير مذكور، والعلم حاصل بأنّها كانت معجزةً من وجه ما لا محالة. والله أعلم.

قوله: ﴿هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ فقوله: «آيةً» نصب على الحال، أي أُشير إليها في حال كونها آية، ولفظة «هذه» تتضمّن معنى الإشارة، و«آيةً» في معنى دالّة. فلهذا جاز أن تكون حالًا. (١٤: ١٦٢)

الفصل السّادس عشر

نصّ السّخاويّ (م: ٦٢٣) في «جمال القُرّاء و كمال الإقراء»

[معنى الآية ووزنها وعددها]

الآية في العربيّة: الدّلالة على الشّيء والعلامة، وسُمّيت آيات القرآن بذلك لأنّها علامات وشواهد ودلالات على صدق النّبيّ ﷺ، وعلى الحلال والحرام، وسائر الأحكام[1].

وقالوا للرّاية: آية لأنّها علامة يستدلّون بها، وقال زُهير:

أرَاني إذا ما شئتُ لاقيتُ آيةً تُذكّرُني بَعْضَ الّذي كنتُ ناسيًا[2]

أي علامة و أمارة، و قال النّابغة:

تَوَهَّمْتُ آياتٍ لها فعَرَفْتُها لستّة أعْوامٍ و ذا العامُ سابعُ[3]

و قال الله عزّ و جلّ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾[4]، أي علامة ودلالة على صدق ما جاء به نبيّكم ﷺ. وقال عزّ و جلّ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[5]. وأمّا قولهم: جاءوا بآيتهم، فقال أبو عَمرو[6]: بجماعتهم، إذا جاءوا ولم يَدعُوا وراءهم

١ـ انظر: تفسير الطّبريّ ١: ٤٧، واللّسان: أيا ١٤: ٦١ـ٦٢.

٢ـ ديوانه: ٢٨٨.

٣ـ ديوانه: ٧٩، و انظر: سيبويه ٢: ٨٦، المقتضب ٤: ٣٢٢.

٤ـ آل عمران/ ١٣.

٥ـ آل عمران/ ٤٩.

٦ـ أبو عمرو الشّيبانيّ، إسحاق بن مرار، من رمادة الكوفة، و جاور شيبان فنسب إليهم، عاش مائة و ثلاثًا و ستّين سنة، قيل: توفّي سنة ٢١٣ هـ. طبقات النّحويّين و اللّغويّين للزّبيديّ: ص ١٩٤، و تاريخ العلماء النّحويّين، التّنوخيّ: ص ٢٠٧.

وراءهم شيئًا. وقيل: كان الأصل في قولهم: جاءوا بآيتهم للرّاية، ثمّ كثر حتّى قيل للجماعة: آية، وإن لم تكن معهم راية، قال البُرج بن مُسْهِر:

خَرَجْنا مِنَ النَّقْبَيْنِ لَاحَيَّ مِثْلُنَا بآياتِنَا تُزجِى اللِّقاحَ المَطَافِلَا[١]

قال بعضهم: سُمِّيت آيات القرآن بذلك لأنّها جماعة حروف أو كلمات[٢].

وأصل آية عند سيبويه: «أَوَيَة» تحرَّكَت الواو وانْفتَح ما قبلها، فقُلِبت ألفًا. وجعل سيبويه موضع العين واوًا دون الياء، قال: «لأنّ ما كان موضع العين منه واوٌ، واللّام ياءٌ أكثر ممّا موضع العين واللّام منه ياءان، لأنّ مثل «شَوَيْت» أكثر من «حَيَيْتُ». والنّسب إليها: «أَوَوِيٌّ»[٣].

وقال الفرّاء: آية «فاعلة»، والأصل: «آيِيَة»، ولكنّها خُفِّفَت فذهبت منها اللّام. وجمع آية: آي وآيات، وآيايٌ على «أفْعَال»[٤]. وأنشد أبو زيد:

لم يُبْقِ هذا الدّهرُ من آيايه غيرَ أثافيه وأرْمِدَائه[٥]

وآية الرّجل: شخصُهُ، يقال منه: تأيَّيْتُه وتآيَيْتُه، مثل تفعَّلْته وتفاعَلْتُه، إذا قصدْت آيتهف وقالت امرأة لابنتها:

الحُصْنُ أدْنى لو تأيَّيْتِهِ من حَثْيِكِ التُّرْبَ على الرَّكبِ[٦]

ويروى: (لو تآييته) بالمدّ.

وقوارع القرآن: الآيات الّتي يُتَعَوَّذُ بها ويُتَحَصَّنُ، وسُمِّيت بذلك لأنّها تَقْمَعُ الشّيطان وتَقْرَعُه وتَصرِف كلّ مَخُوفٍ وتَدْفَعُه، كآية الكرسيّ، والمعوّذتين، ويس، وتَبارَك الّذي

١ـ البيت، في اللّسان آيا ١٤: ٦٢.

٢ـ اللّسان ١٤: ٦٢.

٣ـ انظر: الصّحاح: أيا ٦: ٢٢٧٥: وانظر: «عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ» لابن السّمين الحلبيّ أيا ١: ٢٥.

٤ـ انظر: اللّسان: أيا ١٤: ٦٣.

٥ـ اللّسان: أيا ١٤: ٦١، الصّحاح: أيا، وفيهما الرّواية: غير أثافيه وأرمدائه، وفي اللّسان: آيائه، مكان، آيايه.

٦ـ اللّسان: أيا ١٤: ٦١، الصّحاح: أيا ٦: ٢٢٧٥: ٦.

بيده المُلْك ونحوها. (١: ١٨٨ـ١٩١)

أقوى العدد في معرفة العدد

عدد آي القرآن ينقسم إلى المدنيّ الأوّل و المدنيّ الآخر، و المكّيّ و الكوفيّ، و البَصْريّ، والشّاميّ.

والمدنيّ الأوّل: رواه نافع بن أبي نُعَيم، عن أبي جعفر يزيد بن القَعْقاع، شَيْبة بن نِصاح، و به أخذ القدماء من أصحاب نافع.

والمدنيّ الأخير: فهو الّذي رواه إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاريّ عن سُليمان بن مسلم بن جَمَّاز، عن شَيْبة بن نِصاح بن سرجس بن يعقوب مولى أُمّ سَلَمة زوج النّبيّ ﷺ وعن أبي جعفر يزيد بن القعقاع مولى عبدالله بن عيّاش بن أبي ربيعة المخزوميّ، وعليه الآخذون لقراءة نافع اليوم، و به تُرْسَمُ الأخماس والأعشار، وفواتح السُّوَر في مصاحف أهل المغرب.

وأمّا عددالمكّيّ: فمنسوب إلى عبدالله بن كثير، و غيره من أهل مكّة، و هم يروُون ذلك عن أُبيّ بن كعب.

وأمّا العدد الكوفيّ: فرواه حمزة بن حبيب الزّيّات بسنده عن أبي عبدالرّحمان السُّلَميّ، وأبوعبدالرّحمان يَسندُ بعضه إلى عليّ بن أبي طالب.

وأمّا العددُ البَصْريّ: فمنسوبٌ إلى عاصم بن مَيْمون الجَحْدَريّ.

وأمّا العدد الشّاميّ: فعن يحيي بن الحارث الذّماريّ. (١: ٤٢١ـ٤٢٢)

الفصل السّابع عشر

نصّ القُرطُبيّ (م: ٦٧١) في «الجامع لأحكام القرآن»

[معنى الآية وعددها وعدد الكلمات والحروف]

وأمّا [معنى] الآية

فهي العلامة، بمعنى أنّها علامة لانقطاع الكلام قبلها من الّذي بعدها وانفصاله، أي هي بائنة من أختها ومنفردة. وتقول العرب: بيني وبين فلان آية، أي علامة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾[1] ... [ثمّ استشهد بشعر النّابغة وبُرْج بن مُسْهِر، والقول في وجه تسمية آية، كما تقدّم عن السّخاويّ]

وقيل: سُمّيت آية لأنّها عجب يعجز البشر عن التّكلّم بمثلها.

واختلف النّحويّون في أصل آية ... [ثمّ ذكر قول سيبويه والكِسائيّ والفَرّاء كما تقدّم عن السّخاويّ والفخر الرّازيّ وغيرهما].

[وأمّا عدد آي القرآن]

وأمّا عدد القرآن في المدنيّ الأوّل: فقال محمّد بن عيسى: جميع عدد آي القرآن في المدنيّ ستّة آلاف آية، قال أبو عمرو: وهو العدد الّذي رواه أهل الكوفة عن أهل المدينة، ولم يسمّوا في ذلك أحدًا بعينه يسندونه إليه. وأمّا المدنيّ الأخير: فهو قول إسماعيل بن جعفر: ستّة آلاف آية ومائتان آية وأربع عشرة آية.

١ـ البقرة / ٢٦٤.

وقال الفضل: عدد أي القرآن في قول المكّيّين ستّة آلاف ومئتا آية وتسع عشرة آية.

قال محمّد بن عيسى: وجميع عدد آي القرآن في قول الكوفيّين ستّة آلاف آية ومائتا آية وثلاثون وستّ آيات، وهو العدد الّذي رواه سُلَيم والكسائيّ عن حمزة، وأسنده الكسائيّ إلى عليّ عليه السلام.

قال محمّد: وجميع عدد آي القرآن في عدد البَصْريّين ستّة ألاف ومائتان وأربع آيات، وهو العدد الّذي مضى عليه سلفهم حتّى الآن.

وأمّا عدد أهل الشّام: فقال يحيى بن الحارث الذّماريّ: ستّة آلاف ومائتان وستّ وعشرون. في رواية ستّة آلاف ومائتان وخمس وعشرون، نقص آية.

قال ابن ذكوان: فظننت أنّ يحيى لم يعدّ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

قال أبو عمرو: فهذه الأعداد الّتي يتداولها النّاس تأليفًا، ويعدّون بها في سائر الآفاق قديمًا وحديثًا.

وأمّا [عدد] كلماته وحروفه

فقال الفضل بن شاذان: جميع كلمات القرآن ـ في قول عَطاء بن يَسار ـ سبعة وسبعون ألفًا وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة، وحروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفًا وخمسة عشر حرفًا.

قلت: هذا يخالف ما تقدّم عن الحِمّانيّ قبل هذا. وقال عبد الله بن كثير عن مجاهد قال: هذا ما أحصينا من القرآن، وهو ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفًا، وهذا يخالف ما ذكره قبل هذا الحِمّانيّ من عدّ حروفه. (١: ٦٤ـ٦٥)

[وأمّا عدد حروفه وأجزائه]

فروى سَلّام أبو محمّد الحِمّانيّ: أنّ الحَجّاج بن يوسف جمع القُرّاء والحُفّاظ والكُتّاب، فقال: أخبروني عن القرآن كلّه كم من حرف هو؟ قال: وكنت فيهم، فحسبنا فأجمعنا على أنّ القرآن ثلاثمائة ألف حرف وأربعون ألف حرف وسبعمائة حرف وأربعون حرفًا، وقال:

فأخبروني إلى أيّ حرف ينتهي نصف القرآن؟ فإذا هو في الكهف ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في الفاء.

قال: فأخبروني بأثلاثه، فإذا الثّلث الأوّل رأس مائة من براءة، والثّلث الثّاني رأس مائة أوإحدى ومائة من «طسم الشّعراء»، والثّلث الثّالث ما بقي من القرآن.

قال فأخبروني بأسباعه على الحروف، فإذا أوّل سبع في النّساء ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ﴾ [١] في الدّال، والسّبع الثّاني في الأعراف ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [٢] في التّاء، والسّبع الثّالث في الرّعد ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ [٣] في الألف من آخر أكلها، والسّبع الرّابع في الحجّ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [٤] في الألف، والسّبع الخامس في الأحزاب ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ [٥] في الهاء، والسّبع السّادس في الفتح ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [٦] في الواو، والسّبع السّابع ما بقي من القرآن.

قال سَلّام أبو محمّد: عملناه في أربعة أشهر، وكان الحَجّاج يقرأ في كلّ ليلة رُبعًا، فأوّل رُبعه خاتمة الأنعام. والرُّبع الثّاني في الكهف ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، والرُّبع الثّالث خاتمة الزّمر، والرُّبع الرّابع ما بقي من القرآن. و في هذه الجملة خلاف مذكور في كتاب «البيان» لأبي عمرو الدّاني، من أراد الوقوف عليه وجده هناك.

[المقصود من الكلمة والحروف]

وأمّا الكلمة فهي الصّورة القائمة بجميع مايختلط بها من الشّبهات، أي الحروف، وأطول الكلم في كتاب الله عَزَّوجَلَّ ما بلغ عشرة أحرف، نحو قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [٧]

١ـ النّساء / ٥٥.

٢ـ الأعراف / ١٤٧.

٣ـ الرّعد / ٣٥.

٤ـ الحجّ / ٣٤.

٥ـ الأحزاب / ٣٦.

٦ـ الفتح / ٦.

٧ـ النّور / ٥٥.

و﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [١] وشبههما، فأمّا قوله: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [٢] فهوعشرة أحرف في الرّسم وأحد عشر في اللّفظ، وأقصرهنّ ما كان على حرفين نحو ما ولا وله، وما أشبه ذلك. ومن حروف المعاني ما هو على كلمة واحدة، مثل همزة الاستفهام و واو العطف، إلّا أنّه لاينطق به مفردًا وقدتكون الكلمة وحدهاآية تامّة نحوقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾، ﴿وَالضُّحَىٰ﴾، ﴿وَالْعَصْرِ﴾، وكذلك ﴿الم﴾ و﴿المص﴾ و﴿طه﴾ و﴿يس﴾ و﴿حم﴾ في قول الكوفيّين، وذلك في فواتح السُّوَر، فأمّا في حشوهنّ فلا.

قال أبوعمروالدّاني: ولا أعلم كلمة هي وحدها آية إلّا قوله في الرّحمن: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ لاغير. وقد أتت كلمتان متّصلتان وهما آيتان، وذلك في قوله تعالى: ﴿حم * عسق﴾ على قول الكوفيّين لا غير.

وقد تكون الكلمة في غيرهذا: الآية التامّة، والكلام القائم بنفسه، وإن كان أكثر أوأقلّ، قال الله عَزَّوجَلَّ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [٣]. قيل: إنّما يعني بالكلمة هاهنا قوله تبارك وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [٤] إلى آخر الآيتين، وقال عَزَّوجَلَّ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ [٥]. قال مجاهد: لاإله إلّا الله.

قال النّبيّ ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللّسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرّحمان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

وقد تسمّي العرب القصيدة بأسرها والقصّة كلّها كلمة، فيقولون: قال قُسّ في كلمته كذا، أي في خطبته، وقال زُهَير في كلمته كذا، أي في قصيدته، وقال فلان في كلمته، يعني في رسالته، فتسمّى جملة الكلام كلمة إذا كانت الكلمة منها، على عادتهم في تسميتهم الشّيء باسم ما

١ـ هود/ ٢٨.

٢ـ الحِجر/ ٢٢.

٣ـ الأعراف/ ١٣٧.

٤ـ القصص/ ٥.

٥ـ الفتح/ ٢٦.

هو منه وما قاربه وجاوره، وكان بسبب منه، مجازًا واتّساعًا. وأمّا الحرف فهو الشّبهة القائمة وحدها من الكلمة، وقد يسمّى الحرف كلمة والكلمة حرفًا على ما بيّنّاه من الاتّساع والمجاز.

وقال أبو عمرو الدّانيّ: فإن قيل: فكيف يسمّى ما جاء من حروف الهجاء في الفواتح على حرف واحد نحو: «صٓ» و«قٓ» و «نٓ» حرفًا أو كلمة؟

قلت: كلمة لا حرفًا، ولذلك من جهة أنّ الحرف لا يسكت عليه، ولا ينفرد وحده في الصّورة ولا ينفصل ممّا يختلط به، وهذه الحروف مسكوت عليها منفردة منفصلة كانفراد الكَلِم وانفصالها، فلذلك سُمِّيت كلمات لا حروفًا.

قال أبو عمرو: وقد يكون الحرف في غير هذا: المذهب والوجه، قال الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾[1] أي على وجهٍ ومذهبٍ، ومن ذلك قول النّبيّ ﷺ: «أُنزل القرآن على سبعة أحرف» أي سبعة أوجه من اللّغات، والله أعلم. (١: ٦٧ـ ٦٨)

١ـ الحجّ/ ١١.

الفصل الثّامن عشر

نصّ ابن منظور (م: ٧١١) في «لسان العرب»

[الأقوال في معنى الآية واشتقاقها]

والآية: العلامة، وزنها «فَعَلَةٌ» في قول الخليل، وذهب غيره إلى أنّ أصلها أيَّةٌ «فَعْلَةٌ» فقلبت الياء ألفًا لانفتاح ما قبلها، وهذا قلب شاذّ، كما قلبوها في حارِيّ وطائِيٍّ، إلّا أنّ ذلك قليل غير مقيس عليه، والجمع آياتٌ وآيٌ، وآياءٌ جمعُ الجمع نادرٌ...[ثمّ ذكر شعر أبي زيد كما تقدّم عن السّخاويّ، فقال:]

وأصل آية أوَيَةٌ، بفتح الواو، وموضع العين واو، والنّسبة إليه أوَوِيّ، وقيل: أصلها «فاعلة» فذهبت منها اللّام أوالعين تخفيفًا، ولو جاءت تامّة لكانت آيِيَةٌ، وقوله عزّوجلّ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِى الْأَفَاقِ﴾[1].

قال الزّجّاج: معناه نريهم الآيات الّتي تدلّ على التّوحيد في الآفاق، أي آثار مَنْ مَضى قبلهم من خلق الله عزّوجلّ في كلّ البلاد وفي أنفسهم، من أنّهم كانوا نُطَفًا ثمّ عَلَقًا ثمّ مُضَغًا ثمّ عظامًا كُسِيت لحمًا، ثمّ نقلوا إلى التّمييز والعقل، وذلك كلّه دليل على أنّ الّذي فعله واحد ليس كمثله شيء، تبارك وتقدّس، وتَأيَّا الشّيء: تَعَمَّد آيَتَهُ أي شَخْصَه، وآية الرّجل: شَخْصُه.

ابن السّكّيت وغيره يقال: تآيَيْتُه، على تَفاعَلْتُه، وتَأيَّيْتُه، إذا تعمّدت آيته، أي شخصه وقصدته...[ثمّ استشهد بشعر، وذكر بعدها قول أبي منصور في إيّا، وإن شئت فراجع].

وأيَّا آيةً: وضع علامة. وخرج القوم بآيَتهم أي بجماعتهم ... والآية: من التّنزيل ومن آيات القرآن العزيز؛ قال أبو بكر: سُمّيت الآية من القرآن آية؛ لأنّها علامة، لانقطاع كلام من كلام. ويقال: سُمّيت الآية آية؛ لأنّها جماعة من حروف القرآن. وآيات الله: عجائبه.

١ـ فصّلت/ ٥٣.

وقال ابن حَمْزة: الآية من القرآن كأنّها العلامة الّتي يُفْضىٰ منها إلى غيرها، كأعلام الطّريق المنصوبة للهداية، كما قال: إذا مَضىٰ عَلَمٌ منها بدا عَلَم.

والآية: العلامة، وفي حديث عُثمان: «أحلَّتْهما آيةٌ وحَرَّمَتْهُما آية». قال ابن الأثير: الآية المُحلَّة قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [١]، والآية المحرّمة قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، [٢] والآية: العِبْرَة، وجمعها آيٌ. الفرّاء في كتاب المصادر: الآية من الآيات والعِبَر، سُمّيت آية كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ﴾، أي أُمورٌ وعِبَرٌ مختلفة، وإنّما تركت العرب همزتها كما يهمزون كلّ ما جاءت بعد ألف ساكنة، لأنّها كانت فيما يرى في الأصل أيّة، فثقل عليهم التّشديد فأبدلوه ألفًا، لانفتاح ما قبل التّشديد، كما قالوا أيْما، لمعنى أمّا. وكان الكسائيّ يقول: إنّه «فاعلة» منقوصة؛ قال الفرّاء: ولو كان كذلك ما صغّرها .إيَيَّة، بكسر الألف؛ قال: وسألته عن ذلك، فقال: صغّروا عاتكة وفاطمة، عُتَيْكة وفُطَيْمة، فالآية مثلهما.

وقال الفَرّاء: ليس كذلك لأنّ العرب لا تصغّر «فاعلة» على «فُعَيْلة» إلّا أن يكون اسمًا في مذهب فُلانة، فيقولون: هذه فُطَيْمة قد جاءت، إذا كان اسمًا، فإذا قلت: هذه فُطَيْمة ابْنِها، يعني فاطِمتَه من الرّضاع لم يجز، وكذلك صُلَيْح تصغيرًا لرجل اسمه صالح، ولو قال رجل لرجل كيف بِنْتُك؟ قال صُوَيْلِح، ولم يجز صُلَيْح لأنّه ليس باسمٍ، قال: وقال بعضهم: آية «فاعلة» صيّرت ياؤها الأُولى ألِفًا كما فعل بحاجة وقامة، والأصل حائجة وقائمة.

قال الفَرّاء: وذلك خطأٌ لأنّ هذا يكون في أولاد الثّلاثة ولو كان كما قالوا لقيل في نَواة وحَياة: نايَة وحايَة، قال: وهذا فاسد. وقوله عَزَّوجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [٣]، ولم يقل آيَتَيْن، لأنّ المعنى فيهما معنى آية واحدة، قال ابن عرفة: لأنّ قصّتهما واحدة.

وقال أبو منصور: لأنّ الآية فيهما معًا آيةٌ واحدة، وهي الولادة دون الفحل.

١ـ النّساء/٣.

٢ـ النّساء/٢٣.

٣ـ المؤمنون/٥٠.

قال ابن سِيده: ولو قيل: آيتين لجاز لأنّه قد كان في كلّ واحد منهما ما لم يكن في ذكر ولا أُنثى من أنّها ولَدَتْ من غير فحل، ولأنّ عيسى عليه السلام روح الله ألقاه في مريم، ولم يكن هذا في وَلَد قطّ، وقالوا: افعله بآية كذا، كما تقول: بعلامة كذا وأمارته، وهي من الأسماء المضافة إلى الأفعال كقوله:

بآيَة تُقْدِمُون الخَيْلَ شُعْثًا   كأنَّ، على سَنابِكِها مُدامًا

وعين الآية ياء كقول الشّاعر: لم يُبْقِ هذا الدّهرُ من آيائه... فظهور العين في آيائه يدلّ على كون العين ياء، وذلك أنّ وزن آياء «أفعال» ولو كانت العين واوًا لقال: آوائه، إذ لا مانع من ظهور الواو في هذا الموضع.

وقال الجوهريّ: قال سيبويه: موضع العين من الآية واو، لأنّ ما كان مَوْضع العين منه واوٌ، واللّام ياء أكثر ممّا موضع العين واللّام منه ياءان، مثل شَوَيْتُ أكثر من حَيَيْت، قال: وتكون النّسبة إليه أوَوِيٌّ؛ قال الفرّاء: هي من الفعل فاعلة، وإنّما ذهبت منه اللّام، ولو جاءت تامّة لجاءت آيِيَة، ولكنّها خُفّفت، وجمع الآية آيٌ وآيايٌ و آياتٌ؛ وأنشد أبوزيد: لم يبق هذا الدّهر من آيايه...

قال ابن بَرّيّ: لم يذكر سيبويه أنّ عين آية واو، كما ذكر الجوهريّ، وإنّما قال أصلها أيّة، فأُبدلت الياء السّاكنة ألفًا؛ وحُكِي عن الخَليل أنّ وزنها «فَعَلة» وأجاز في النّسب إلى آية آييٌّ وآئِيٌّ وآوِيٌّ، قال: فأمّا أوَوِيٌّ فلم يقله أحد علمته غير الجوهريّ. وقال ابن بَرّيّ أيضًا عند قول الجوهريّ في جمع الآية آيايٌ، قال: صوابه آياء، بالهمز، لأنّ الياء إذا وقعت طرفًا بعد ألف زائدة قلبت همزة، وهو جمع آيٍ لا آية. (٤: ٦١-٦٣)

الفصل التّاسع عشر

نصّ النّيسابوريّ(م: ٧٢٨) في «غرائب القرآن...»

[معنى الآية والكلمة والحرف]

وأمّا الآية:

فقدقال جمع من العلماء: إنّها في القرآن عبارة عن كلام متّصل إلى انقطاعه وانقطاع معناه فصلًافصلًا، ولايخفى توقّف الآية على التّوقيف.

وقال غيرهم: معناها العلامة، لأنّها تدلّ على نفسها بانفصالها عن الآية المتقدّمة عليهاوالمتأخّرة عنها.

وقيل: معناها جماعة حروف، من قولهم: خرج القوم بآيتهم، أي بجماعتهم ولم يَدَعوا ورائهم شيئًا.

وقيل: معناها العجيبة، لأنّها عجيبة لمباينتها كلام المخلوقين، من قولهم: فلانٌ آية من الآيات. واختلف في وزنها ...[وذكر كما تقدّم عن القيسيّ والطّوسيّ والقُرطُبيّ وابن منظور وغيرهم، ثمّ قال:]

وأمّا الكلمة:

فإنّ تراكيب «ك،ل،م» تفيد القوّة والشّدّة، وتقاليب هذه الحروف الثّلاثة بحسب الاشتقاق الكبير ستّة: واحد مهمل والبواقي معتبرة منها «ك،ل،م» فمنه الكلام، لأنّه يقرع السّمع ويؤثّرفيه، وأيضًا يؤثّر في الذّهن بواسطة إفادة المعنى، ومنه الكلم للجرح وفيه شدّة، ومنها «ك،م،ل» لأنّ الكامل أقوى من النّاقص، ومنها «ل،ك،م» ومعنى الشدّة في اللّكم واضح، ومنها «م،ك،ل» ومنه: بئر مكول، إذا قلّ ماؤها، وإذا كان كذلك، كان ورودها

مكروهًا، فيحصل نوع شدّة عندورودها. وأيضًا أنّها تدلّ على شدّة منابعها، ومنها «م،ل،ك» ومنه: ملكت العجين، إذا أنعمت عَجْنه،ومنه:ملك الإنسان لأنّه نوع قوّة .

ولفظ الكلمة قديستعمل في اللّفظة الواحدة، وقديراد بها الكلام الكثير المرتبط بعضه ببعض، ومنه: قولهم للقصيدة : كلمة، ومنه: كلمة الشّهادة «والْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» ولأنّ المجازخيرمن الاشتراك، فإطلاق الكلمة على الكلام المركّب مجاز، إمّا من باب إطلاق الجزء على الكلّ، وإمّا من باب المشابهة، لأنّ الكلام المرتبط يشبه المفرد في الوحدة، وأفعال الله تعالى كلماته، إمّا لأنّه حدث بقوله: كن، أولأنّه حدث في زمان قليل كماتحدث الكلمة كذلك.

وعند النّحويّين: الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد. وفائدالقيود تذكر في ذلك العلم. والكلام ما تضمّن كلمتين بالإسناد. ومنكرالكلام النّفسيّ اتّفقوا على أنّ الكلام اسم لهذه الألفاظ والكلمات. والأشاعرة يثبتون الكلام النّفسيّ ويقولون:

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنّما   جُعِل اللّسان على الفؤاد دليلًا

وقد تسمّى الكلمات والعبارات أحاديث، لأنّ كلّ واحدة منها تحدث عقيب صاحبتها، قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾[1]. وجمع الكلمة كلم، والتّاء في الكلمة ليست للوحدة كاللَّبِنَةواللَّبِن،والرُّطَبَة والرُّطَب، لأنّ الرُّطَب واللَّبِن مذكّر، والكلم مؤنّث،وتصغيررُطَب: رُطَيب،وتصغيركلم؛ كُلَيْمات بالرّدّ إلى كلمة،ثمّ جمعه بالألف والتّاء، وقديكون الكلام مصدرًا بمعنى التّكليم كالسّلامة بمعنى التّسليم، قال تعالى:﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾[2] فسّره ابن عبّاس بتكليم الله موسى وقت المناجاة .

وأمّا الحرف:

فهوالواحد من حروف المعجم، سُمّي حرفًا لقلّته ودقّته، ولذلك قيل: حرف الشّيء

١ــ الطّور / ٣٤.

٢ــ البقرة / ٧٥.

لطَرْفه، لأنّه آخره والقليل منه.

والحرف أيضًا: النّاقة المهزولة، وقديقال للسّمينة أيضًا: حرف، فهو من الأضداد.

والحرف أيضًا: اللّغة، قال ﷺ: «أُنزل القرآن على سبعة أحرف».

والحرف أيضًا: القراءة بكمالها، والقصيدة بتمامها.

والحرف أيضًا: أحدأقسام الكلمة، وذلك أنّ الكلمة إن احتاجت في الدّلالة على معناها الإفراديّ إلى ضميمة نحو: مِن وقد، فهوحرف، وإلّا فإن كانت في أصل الوضع بهيئتها التّصريفيّة على أحد الأزمنة الثّلاثة الماضي والحال والاستقبال، فهوفعل، نحو: نَصَرَ ويَنْصُرُ، وإلّا فهواسم كالإنسان، فإنّ معناه لايقترن بالزّمان أصلًا، ومثل اليوم والسّاعة والزّمان، فإنّ الزّمان كلّ معناه، ومثل الصّبوح والغبوق، لأنّ الزّمان جزء معناه، ومثل علم وجهل وضرب، فإنّ معناه يدلّ على الزّمان عقلًا لابحسب الهيئة، ومثل ضارب ومضروب.

فإنّه لوسلّم أنّ معناه يدلّ على الزّمان بحسب الهيئة، إذلكلّ منهما هيئة مخصوصة، لكنّها ليست في أصل الوضع ولايخرج من حدّ الفعل، نحو: عسى، ممّا لايدلّ على زمان، لأنّ تجرّده عن الزّمان عرض لغرض الإنشاء، ولاالفعل المستقبل، لكون معناه مقترنًا بزمانين: الحال والاستقبال، لأنّ قولنا بأحد الأزمنة تحديد لأدنى درجات الاقتران، ولو سلّم أنّه يجب الاقتران بأحد الأزمنة فقط، فذلك في أصل الوضع، ولامانع من اقترانه بعدذلك بزمان آخر. (١: ٢٩ـ٣١)

الفصل العشرون

نصّ حيدر الآملي[1] (م: ٧٩٤) في «تفسير المحيط الأعظم...»

في بيان آيات الله الآفاقيّة و تطبيقها بكلمات الله القرآنيّة

[المراد من آيات الله الآفاقيّة]

فهو أن يتحقّق عندك أنّ آيات الله القرآنيّة كما هي عبارة عن هيئة جامعة مركّبة من كلمات قرآنيّة، فكذلك آيات الله الآفاقيّة، فإنّها عبارة عن هيئة جامعة مركّبة من كلمات آفاقيّة مسمّاة بالأجناس والأنواع والأصناف والأشخاص، كماسبق ذكرها، كالعرش والكرسيّ والأفلاك والأجرام، والسّماوات والجبال والعنصر والسّحاب و أمثال ذلك، المشار إليها في قوله تعالى: ﴿اَللّٰهُ الَّذی رَفَعَ السَّمٰوَاتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوٰی عَلَی الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ یَجْرِی لِاَجَلٍ مُسَمًّی یُدَبِّرُ الْاَمْرَ یُفَصِّلُ الْاٰیَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[1]. و في قوله: ﴿اِنَّ فِی خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّیْلِ وَالنَّهَارِ لَاٰیَاتٍ لِاُولِی الْاَلْبَابِ﴾[2].

[المقصود من الآية]

هذا من حيث التعيّن، وأمّا من حيث الإطلاق فكلّ ما في العالم فإنّه آية إلهيّة كلّيًّا كان أوجزئيًّا، أنواعًا كان أو أجناسًا، مركّبًا كان أوبسيطًا، لأنّ الكلّ من حيث الكلّ، أو كلّ واحد

---

١ ـ الرّعد/ ٢.

٢ ـ آل عمران/ ١٩٠.

واحد منه دالّ على معرفته، ومعرفة ذاته وصفاته وأفعاله شاهد على وحدته و وجوبه ووجوده وبقائه، كما قيل:

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد

وليس المراد من الآية إلّا ما تدلّ عليه و على معرفته، وما سُمّي العالم عالمـًا إلّا لأجل ذلك، لأنّه مأخوذ من العلامة، فهو الدّلالة، فكأنّه علم لذاته المقدّسة ودلالة على معرفتها.

وعند الأكثرين أسماء الله تعالى بمثابة الأعلام، خصوصًا اسم الله الّذي هو اسم الذّات مطلقًا، كما سنبيّنه إن شاء الله. لأنّ العلم في الوضع هو ما يعلم به الشّيء، و يدلّ على معرفة ذلك الشّيء، و العالم يدلّ على ذاته، و يعلم به صفاته و أسمائه وأفعاله كما قيل ... فيكون العالم حينئذ عَلَمًا على ذاته بالضّرورة وشاهدًا عليها، والّذي ورد في اصطلاح المحقّقين من أهل الله يعضد ذلك كلّه، وهو قولهم بالنّسبة إلى العالم وتعريفه: العالم هو الظّلّ الثّاني، وليس إلّا وجود الحقّ الظّاهر بصُوَر الممكنات كلّها، فلظهوره بتعيّناتها سمّي باسم السّوى والغير باعتبار إضافته إلى الممكنات، إذ لا وجود للممكن إلّا بمجرّد هذه النّسبة، وإلّا فالوجود عين الحقّ، والحقّ هويّة العالم وروحه.

وهذه التّعيّنات في الوجود الواحد أحكام اسمه الظّاهر الّذي هو مجلٌ لاسمه الباطن، وأعظم شاهد في هذا قوله الّذي سبق مرارًا: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[1]. ونعم الشّاهد القرآن، ونعم الدّليل الوجدان.

(٢٢٦ـ ٢٢٧)

في بيان كلمات الله الآفاقيّة وتطبيقها بالكلمات القرآنيّة

فهو أن يتحقّق عندك أنّ كلمات القرآن كما هي عبارة عن الكلمات المركّبة من الحروف المفردة والبسيطة الّتي هي حروف التّهجّي، فكذلك كلمات الآفاق، فإنّها عبارة عن الكلمات المركّبة من الحروف البسيطة الآفاقيّة المشار إليها في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ

١ ـ فصّلت/ ٥٣.

أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

[المقصود من الكلمات الآفاقيّة]

وهذه الكلمات إجمالًا، فهي عبارة عن المواليد الثّلاثة من المعدن، والنّبات، والحيوان، وتفصيلًا عن كلّ متعيّن بتعيّن شخصيّ صُوريًّا كان أو معنويًّا، من المَلَك و الجنّ والإنس و الحيوان و الدّوابّ وغير ذلك.

وهذه الإشارة لو كانت إشارة إلى الكلمات القرآنيّة لم يكن يبالغ في عدم إنفادها إلى هذه الغاية، لأنّ الكلمات القرآنيّة بحسب الصّورة تنفد بوقته من المداد فضلًا عن البحور، وإن فرض من حيث المعنى، فإنفادها وعدم إنفادها يرجع إلى ما قلناه، وهو أنّه مشتمل على الكتاب الآفاقيّ و أسراره وحقائقه، و أنّه نسخة إجماله وتفصيله، و يعضد ذلك ما ورد في اصطلاح القوم من تعريف الكلمة وتقسيمها، وهو قولهم: الكلمة يكنّى بها عن كلّ واحدة من الماهيّات والأعيان والحقائق والموجودات الخارجيّة، وعلى الجملة عن كلّ واحدة من الماهيّات والأعيان والحقائق والموجودات الخارجيّة، وعلى الجملة عن كلّ متعيّن، و قد تخصّ المعقولات بين الماهيّات و الحقائق والموجودات والأعيان بالكلمة المعنويّة الغيبيّة، والخارجيّات بالكلمة الوجوديّة، والمجرّدات المفارقات بالكلمة التّامّة. والكلّ راجع إلى الكلمات الآفاقيّة دون القرآنيّة، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2]، لأنّ كلماته الآفاقيّة الباقيّة الدّائمة لا تبديل لها من حيث هي هي، بل من حيث النّقل من صورة إلى صورة أُخرى، كما هو مقرّر في بحث المعاد.

[إطلاق الكلمه في القرآن على الموجودات الخارجيّة]

والكلمة والآية والحروف لولم تصدق على الموجودات الخارجيّة لم يكن تعالى يسمّي

---

١ ـ لقمان/ ٢٧.

٢ ـ الأنعام/ ١١٥.

الإنسان تارةً بالحروف لقوله في حقّ نبيّنا ﷺ: «يسٓ»، «طه» وأمثال ذلك[1]. ولم يكن يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «أنا النّقطة تحت الباء»، وتارةً بالكلمة في حقّ عيسى عليه السلام: ﴿اِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ اَلْقَاهَا اِلٰى مَرْيَمَ﴾[2]. ولم يكن يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا الٓمٓ ذلك الكتاب، أنا كيعصٓ، أنا القرآن النّاطق، أنا كلمة الله العُليا». وتارةً بالآية، لقوله في حقّ عيسى و مريم: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَاُمَّهُ اٰيَةً﴾. ولم يكن يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا آية الجبّار، أنا فلك الاقتدار» وأمثال ذلك ممّا ورد في الخطبة الافتخاريّة.

(٢١٢-٢١٤)

١ـ قوله: في حق نبيّنا ﷺ «يس» و «طه» وأمثال ذلك: في «معاني الأخبار» للشّيخ الجليل الصّدوق: ٢٢، الحديث ١: بإسناده عن سُفيان بن سعيد الثّوريّ، قال: قلت لجعفر بن محمّد عليه السلام: ما معنى قول الله عزّ و جلّ: «طه» و «يس»؟ قال عليه السلام: وأمّا «طه» فاسمٌ من أسماء النّبيّ ﷺ، ومعناه: يا طالب الحقّ الهادي إليه. وأمّا «يس»، فاسمٌ من أسماء النّبيّ ﷺ، ومعناه: يا أيّها السّامع للوحي ». قال العلّامة الطّباطبائيّ رحمه الله في تفسيره: الميزان ١٤: ١٢٧: ورد عن أبي جعفر عليه السلام كما في روح المعاني، وعن أبي عبدالله عليه السلام كما عن معاني الأخبار بإسناده عن الثّوري: أنّ «طه» من أسماء النّبيّ ﷺ، كما ورد في روايات أُخرى أنّ «يس» من أسمائه، وروى الاسمين معًا في الدّرّ المنثور عن ابن مَردُوَيه عن سيف عن أبي جعفر. أورد البحراني في تفسير البرهان ٣: ٢٩ نقلًا عن بصائر الدّرجات لسعد بن عبدالله بإسناده عن الكلبيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: يا كلبيّ كم لمحمّد ﷺ من اسم في القرآن؟ فقلت: إسمان أو ثلاثة، فقال: يا كلبيّ له عشرة أسماء...

٢ـ النّساء / ١٧١.

الفصل الحادي و العشرون

نصّ الزّركشيّ (م: ٧٩٤) في «البرهان في علوم القرآن»

[في معنى الآية لغةً واصطلاحًا]

أمّا في اللّغة؛ فلها ثلاثة معانٍ... [ثمّ ذكر معانيها ووزنها، كما تقدّم نحوها عن الطّوسيّ والفخر الرّازيّ والقُرطُبيّ وابن منظور ...].

وأمّا في الاصطلاح؛ فقال الجَعْبَرىّ في كتاب «المفرد في معرفة العدد»: حدّ الآية قرآن مركّب من جمل ولو تقديرًا، ذومبدأ ومَقْطَع مندرج في سورة، وأصلها العلامة، ومنه: ﴿إِنَّ اٰيَةَ مُلْكِهِ﴾، لأنّها علامة للفضل والصّدق، أوالجماعة، لأنّها جماعة كلمة. وقال غيره: الآية طائفة من القرآن، منقطعة عمّا قبلها وما بعدها، ليس بينها شبه بما سواها.

وقيل: هي الواحدة من المعدودات في السُّوَر، سُمِّيت به لأنّها علامة على صدق مَن أتى بها، وعلى عجز المتحدَّى بها. وقيل: لأنّها علامة انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعها عمّا بعدها.

قال الواحِديّ: وبعض أصحابنا يجوّز على هذا القول تسمية أقلّ من الآية آية، لولا أنّ التّوقيف ورد بما هي عليه الآن.

وقال ابن المُنيِّر في «البَحر»: ليس في القرآن كلمة واحدة آية إلّا ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾.

وقال بعضهم: الصّحيح أنّها إنّما تُعلم بتوقيفٍ من الشّارع، لامجال للقياس فيه كمعرفة السّورة فالآية طائفة حروف من القرآن عُلِم بالتّوقيف انقطاعها معنًى عن الكلام الّذي بعدها في أوّل القرآن وعن الكلام الّذي قبلها في آخر القرآن، وعن الكلام الّذي قبلها والّذي بعدها في غيرهما، غير مشتمل على مثل ذلك. قال وبهذا القيد خرجت السّورة.

وقال الزّمخشري: الآيات؛ علم توقيف لا مجال للقياس فيه، فعدّوا «الٓمٓ» آية حيث وقعت من السّورة المفتتح بها، وهي ستّ وكذلك «الٓمٓصٓ» آية و«الٓمٓر» لم تعدّ آية، و«الٓر» ليست بآية في سُوَرها الخمس. و«طسٓمٓ» آية في سورتيها و«طه» و«يسٓ» آيتان و«طسٓ» ليست بآية و «حمٓ» آية في سُوَرها كلّها و«حمٓ عسٓقٓ» آيتان و«كهيعصٓ» آية واحدة و «صٓ» و«قٓ» و«نٓ» ثلاثتها لم تعدّ آية. هذا مذهب الكوفيّين، ومَن عداهم لم يعدّوا شيئًا منها آية.

وقال بعضهم: إنّما عَدّوا «يسٓ» آية ولم يعدّوا «طسٓ» لأنّ «طسٓ» تشبه المفرد، كقابيل في الزّنة والحروف، و«يسٓ» تشبه الجملة من جهة أنّ أوّله ياء، وليس لنا مفرد أوّله ياء.

وقال القاضي أبوبكربن العربيّ: ذكر النّبيّ ﷺ: «أنّ الفاتحة سبع آيات، وسورة المُلْك ثلاثون آية، وصحّ أنّه قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران. قال: وتعديد الآي من مفصّلات القرآن، ومن آياته طويل وقصير، ومنه ماينقطع، ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام، ومنه مايكون في أثنائه، كقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[1] على مذهب أهل المدينة، فإنّهم يَعُدّونها آية، وينبغي أن يعوّل في ذلك على فعل السّلف ... [ثمّ ذكر تعداد حروف الكلمة قلّةً وكثرةً في القرآن كما تقدّم عن القُرطُبيّ]. (١: ٢٦٦ـ٢٦٨)

[عدد الآيات]

وقال غيره: أجمعوا على أنّ عدد آيات القرآن ستّة آلاف آية، ثمّ اختلفوا فيما زاد على ذلك على أقوال؛ فمنهم من لم يزد على ذلك. ومنهم من قال ومائتا آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة آية، وقيل: مائتان وتسع عشرة آية، وقيل: مائتان وخمس وعشرون آية، أو ستّ وعشرون آية، وقيل: مائتان وستّ وثلاثون، حكى ذلك أبوعمرو الدّانيّ في كتاب «البيان».

وعدد آياته في قول عليّ ﵁: ستّة آلاف ومائتان وثماني عشرة. وعَطاء: ستّة آلاف ومائة وسبع وسبعون. وحُمَيد: ستّة آلاف ومائتان واثنتاعشرة، و راشد: ستّة آلاف ومائتان وأربع.

١ـ الفاتحة /٦.

وقال حُمَيد الأعرَج: نصفه ﴿مَعِي صَبْرًا﴾[1] في الكهف، وقيل: عين ﴿تَسْتَطِيعُ﴾[2] وقيل: ثاني لامي ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾[3].

واعلم! أنّ سبب اختلاف العلماء في عدّ الآي والكلم والحروف أنّ النّبيّ ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتّوقيف، فإذا علم محلّها وصل للتّمام، فيحسب السّامع أنّها ليست فاصلة، وأيضًا البَسْمَلة نزلت مع السّورة في بعض الأحرف السّبعة، فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدّها، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدّها. وسبب الاختلاف في الكلمة، أنّ الكلمة لها حقيقة ومجاز ورسم، واعتبار كل منها جائز، وكلّ من العلماء اعتبر أحد الجوائز.

وأطول سورة في القرآن هي: «البقرة» وأقصرها: «الكوثر». وأطول آية فيه: آية الدَّين[4] مائة وثمان وعشرون كلمة، وخمسمائة وأربعون حرفًا. وأقصر آية فيه: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ثمّ ﴿وَالْفَجْرِ﴾؛ كلّ كلمة خمسة أحرف تقديرًا ثمّ لفظًا، ستّة رسمًا، لا ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ لأنّها سبعة أحرف لفظًا ورسمًا، وثمانية تقديرًا، ولا ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾[5] لأنّهما كلمتان، خمسة أحرف رسمًا وكتابةً، وستّة أحرف تقديرًا، خلافًا لبعضهم. وأطول كلمة فيه لفظًا وكتابةً بلازيادة ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾[6] أحد عشر لفظًا، ثمّ ﴿اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾[7] عشرة، وكذا ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾، ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾، ثمّ ﴿لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾، تسعة لفظًا، وعشرة تقديرًا. وأقصرها نحو باء الجرّ، حرف واحد، لا أنّها حرفان، خلافًا لـ «الدّانيّ» فيهما.

(١: ٢٥١ـ٢٥٢)

١ـ الكهف/ ٦٧.

٢ـ الكهف/ ٤١.

٣ـ الكهف/ ١٩.

٤ـ البقرة/ ٢٨٢.

٥ـ المدّثّر/ ٢١.

٦ـ الحجر/ ٢٢.

٧ـ التوبة/ ٢٤.

الفصل الثّاني و العشرون

نصّ الفيروزاباديّ (م: ٨١٧) في «بصائر ذوي التّمييز»

[معنى الآية والحرف]

وأمّا الآية: ففي أصل اللّغة: بمعنى العَجَب، وبمعنى العلامة، وبمعنى الجماعة. سُمِّيت آيةُ القرآن آية لأنّها علامة دالّة على ما تضمّنته من الأحكام، وعلامة دالّة على انقطاعه عمّا بعده وعمّا قبله، أولأنّ فيها عجائب من القَصَص، والأمثال، والتّفصيل، والإجمال، والتّميُّز عن كلام المخلوقين، ولأنّ كلّ آية جماعة من الحروف، وكلامٌ متّصل المعنى إلى أن ينقطع وينفرد بإفادة المعنى. والعرب تقول: خرج القوم بآياتهم أي بجماعتهم... [ثمّ استشهد بشعر وذكر بعدها قول سيبويه والكسائيّ كما تقدّم سابقًا فلاحظ].

وأمّا الحرف: فقد جاء لمعانٍ: منها: طَرَف الشّيء، وحدّ السّيف، وذُروة الجبل، وواحد حروف الهجاء، والنّاقة السّمينة القويّة، والنّاقة الضّعيفة، وقَسيم الاسم والفعل.

فقيل للحرف: حرف لوقوعه في طَرَف الكلمة، أو لضعفه في نفسه، أولحصول قوّة الكلمة به، أو لانحرافه؛ فإنّ كلّ حرف من حروف المعجم مختصّ بنوع انحراف يتميّز به عن سائر الحروف. (١: ٨٥ ـ ٨٦)

[مصاديق الآية في القرآن]

[بعد ذكر قول الرّاغب والدّامغانيّ قال:] وحينئذٍ تصير جملة الآيات في القرآن من طريق الفائدة والبيان على اثني عشر نوعًا:

الأوّل ـ آية البيان والحكمة: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا...﴾[1].

الثّاني ـ آية العَوْن والنُّصرة: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ﴾[2].

الثّالث ـ آية القيامة: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾[3].

الرّابع ـ آية الابتلاء والتّجربة: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾[4].

الخامس ـ آية العذاب والهَلَكة: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾[5].

السّادس ـ آية الفضيلة والرّحمة: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾[6].

السّابع ـ آية المعجزة والكرامة: ﴿لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾[7].

الثّامن ـ آية العِظَة والعبرة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ﴾[8].

التّاسع ـ آية التّشريف والتّكريم: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾[9].

العاشر ـ آية العلامة: ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾[10].

الحادي عشر ـ آية الإعراض والنّكرة: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾[11].

الثّاني عشر ـ آية الدّليل والحجّة: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾[12]. (٢: ٦٥)

---

١ ـ البقرة / ١٥١.

٢ ـ آل عمران / ١٣.

٣ ـ القمر / ٢.

٤ ـ سبأ / ١٥.

٥ ـ الأعراف / ٧٣.

٦ ـ آل عمران / ٩٧.

٧ ـ المائدة / ١١٤.

٨ ـ يوسف / ٧.

٩ ـ البقرة / ٢٥٩.

١٠ ـ آل عمران / ٤١.

١١ ـ الأنعام / ٤.

١٢ ـ فُصّلت / ٥٣.

عدد الآي والكلمات والحروف والنُّقَط وكلّ حرف من حروف التّهجّي

وأمّا عدد الآيات

فإنّ صدر الأُمّة وأئمّة السّلف من العلماء والقُرّاء كانوا ذوي عناية شديدة في باب القرآن وعلمه، حتّى لم يبق لفظ ومعنًى إلّا بحثوا عنه، حتّى الآيات والكلمات والحروف، فإنّهم حَصَروها وعدُّوها. وبين القُرّاء في ذلك اختلاف؛ لكنّه لفظيّ لا حقيقيّ.

مثال ذلك أنّ قُرّاء الكوفة عدّوا قوله: ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ آيةً، والباقون لم يعدّوها آيةً. وقُرّاء الكوفة عدّوا: ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ [1] آية، والباقون لم يعدّوها، بل جعلوا آخر الآية: ﴿فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [2] و﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [3]، وهكذا عدّ أهل مكّة والمدينة والكوفة والشّام آخر الآية: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [4]، وأهل البَصْرة جعلوا آخرها: ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [5] ولا شكّ أنّ ما هذا سبيله اختلاف في التّسمية لا اختلاف في القرآن.

ومن هاهنا صار عند بعضهم آيات القرآن أكثر، وعند بعضهم أقلّ، لا أنّ بعضهم يزيد فيه، وبعضهم ينقص، فإنّ الزّيادة والنّقصان في القرآن كفر ونفاق، على أنّه غير مقدور للبشر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [6].

فإذا علمت هذه القاعدة في الآيات. فكذلك الأمر في الكلمات والحروف، فإنّ بعض القُرّاء عدّ «في السّماء» و«في الأرض» و«في خَلْق» وأمثالها كلمتين، على أنّ «في» كلمة،

١ـ ص / ٨٤.

٢ـ ص / ٢.

٣ـ أي هي آخر الآية الثّانية، وهي أواخر سورة ص / ٨٥.

٤ـ ص / ٣٧.

٥ـ ص / ٣٨.

٦ـ الحجر / ٩.

و«السّماء» كلمة، وبعضهم عدّهما كلمةً واحدةً، فمن ذلك حصل الاختلاف، لأنّ مَن عدّ «في السّماء» وأمثاله كلمتين كانت كلمات القرآن عنده أكثر. وأمّا الحروف فإنّ بعض القُرّاء عدّ الحرف المشدّد حرفين، فيكون على هذا القرآن عنده أكثر.

فإذا فهمت ذلك، فاعلم! أنّ عدد آيات القرآن عند أهل الكوفة ستّة آلاف ومائتان وستّ وثلاثون آية. هكذا مُسْنَد المشايخ من طريق الكسائيّ إلى عليّ بن أبي طالب. وقال سُلَيم عن حمزة قال: هو عدد أبي عبد الرّحمان السُّلَميّ. ولا شكّ فيه أنّه عن عليّ، إلّا أنّي أجبُن عنه.

وروى عبد الله بن وَهْب عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: آيات القرآن ستّة آلاف ومائتان وثماني عشرة آية. وحروفها ثلاثمائة ألف حرف وستّمائة حرف وسبعون حرفًا، بكلّ حرفٍ منها عشر حسنات لقارئ القرآن.

وروينا عن الفضل بن عبد الحَنّان قال: سمعت أبا مُعاذ النّحويّ يقول: القرآن ستّة آلاف آية ومائتان وسبع عشرة آية. وهو ثلاثمائة ألف حرفٍ وأحد وعشرون ألفَ حرفٍ ومائتان حرفٍ.

قال صاحب[1] «الإيضاح»: عدد آيات القرآن في قول[2] المدَنيّ الأوّل ستّة آلاف ومائتان وأربع عشرة آية، وهو أحد وعشرون وألف. وهو العدد الّذي رواه أهل الكوفة عن أهل المدينة، قال: وفي قول المدنيّ الأخير[3] ستّة آلاف ومائتان وسبع عشرة آية. وهو عدد شَيْبة بن نِصَاح، قال: وفي عدد يزيد بن القَعْقاع: ستّة آلاف ومائتان وعشر آيات.

قال: وعددها عند أهل مكّة ستّة آلاف وعشر آيات. وفي بعض الرّوايات مائتان وخمس، وفي بعضها مائتان وأربع. وعند أهل الشّام ستّة آلاف ومائتان وستّ وعشرون آية. وروينا عن ابن عبّاس وابن سيرين أنّه ستّة آلاف ومائتان وستّ عشرة آية، وعن عطاء بن يَسار أنّه ستّة آلاف ومائة وتسعون وسبع آيات. وعن قَتادة مائتان وثماني عشرة آية. هذه جملة

١ـ هو أبوعليّ الحسن بن عليّ بن إبراهيم الأهوازيّ المتوفّى سنة ٤٤٦ هـ. (انظر: كشف الظّنون).

٢ـ هو ما يرويه نافع عن شيخه أبي جعفر يزيد بن القَعقاع، وشيبة بن نِصاح. (انظر: شرح ناظمة الزُّهْر: ١٧).

٣ـ هو ما يرويه إسماعيل بن جعفر عن سليمان بن جمّاز عن يزيد وشيبة. (المرجع السّابق: ١٨).

الاختلاف في عدّ الآي.

قلت: ومن هذه الجملة ألف آية وستّمائة آية في قَصَص الأنبياء، وألف ومائتان في شرائع الإيمان، وألف وعشرون في التّوحيد والصّفات، وألف في ترتيب الولايات، وأربعمائة في الرُّقية وتعويذ الآفات، وأربعمائة في أنواع المعاملات، ومائة في عذر جُرْم العُصاة، ومائة في ضمان أرزاق البريّات، وسبعون في جهاد الغُزاة، وخمسون فيما يتعلّق بقصد مكّة وعرفات. والباقي في أحكام النّكاح، وطلاق المنكوحات.

أمّا عدد كلمات القرآن:

اعلم! أنّ كلمات القرآن مع أوائل السُّوَر ـ نحو حم والم ـ سبعون ألفًا و سبعة آلاف وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمةً. ورُوي عن عطاء بن يَسار أنّها سبعون ألفًا وسبعة آلاف وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمةً، ومائتان وسبع وسبعون.

وأمّا عدد الحروف:

فإنّ جملتها ثلاثمائة ألف وثلاث وعشرون ألفًا وستّمائة وأحد وسبعون حرفًا.

قال صاحب «الإيضاح»: [أخبرني] بذلك أبو الحسن بن الحسين إجازةً، أخبرنا عبدالرّحمان بن محمّد، أنا ابن سَلْم، أنا وَكيع، حدّثني الحسن بن عبّاس، أنا محمّد بن أيّوب، قال: حَسَبُوا حروف القرآن وفيهم حُمَيد بن قيس، فعرضوه على مُجاهد وسعيد بن جُبَيْر، فلم يخطئوهم فبلغ ما عَدُّوه ثلاثمائة ألفِ حرفٍ وثلاثة وعشرين ألفَ حرفٍ وأحد وسبعين حرفًا، و عَدُّوا كَلِم القرآن بما فيه من الحَرْف ـ يعني الم وحم ـ فبلغ سبعًا وسبعين ألف كلمة وأربعمائة كلمة وسبعًا وثلاثين كلمة.

قال: وأخبرنا الحسن، أنا أبو الحسن، أنا ابن سَلْم، أنا وَكيع، أنا إسماعيل بن مَجْمع، أنا محمّدبن يحيى، أنا عبدالملك بن عبد الرّحمان، حدّثني أيّوب، وأبو عكرِمة، عن مرجّى، عن جعفربن سُلَيمان، عن مالك بن دينار، وراشد وغيرهما قالوا: قال لنا الحَجّاج: عُدُّوا لي حروف القرآن، ومعنا الحسن وأبو العالية، ونَصْر بن عاصم فحَسَبْنا بالشّعير، وأجمعنا على أنّه

ثلاثمائة ألف حرفٍ وثلاثة وعشرون حرفًا. وفي رواية عَطاء بن يَسار: ثلاثمائة ألف حرفٍ وستّون ألفًا وثلاثة وعشرون حرفًا. وكلماته سبع وسبعون ألفَ كلمةٍ ومائتان وسبع وسبعون كلمةً.

قال وَكيع: قال: أبوعُمَر حَفْص بن عُمَر: حدّثني أبوعُمَارة حمزة بن القاسم، عن حمزة الزَّيّات، وأبي حَفْص الخَرّاز، قالا: حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرفٍ وثلاثة وسبعون ألفَ حرفٍ ومائتان وخمسون حرفًا.

وقال وَكيع: أخبرني الحارث بن محمّد، عن محمّد بن مسعود عن محمّد بن عمر، عن سُوَيد ابن عبدالعزيز، عن يحيى بن الحارث الذِّماريّ قال: عدد حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرفٍ وأحدٌ وعشرون ألف حرفٍ ومائتا حرفٍ وخمسون حرفًا.

قال وَكيع: وذكر ابن شَمّاس عن أبي عُمَرعن سَهل بن حَمّاد، عن شِهاب بن شرنُقة، عن راشد أبي محمّد ـ وكان شهد الحَجّاج حين ميّز القرآن ـ قال: القرآن ستّة آلاف ومائة وسبع وتسعون آيةً. وحروفه ثلاثمائة ألف وأحد وعشرون ألف حرفٍ ومائة وثمانية وثمانون حرفًا. وروى بسنده عن عبدالواحد الضَّرير، قال: القرآن ثلاثمائة ألف حرفٍ وأحد وعشرون ألفَ حرفٍ ومائتان وخمسون حرفًا. وقال: القرآن ستّة وسبعون ألف كلمةٍ.

وأمّا نُقَطُه:

فجملة نُقَط القرآن مائة ألف وخمسون ألفًا وستّة آلاف وإحدى وثمانون نقطةً ...[ثمّ ذكر عدد حروف القرآن من «الألف» إلى «الياء» كما تقدّم عن ابن عطيّة، فقال:]

وأمّا ماينقله أبوالفضائل المعينيّ في تفسيره، ففيه زيادة ونقص على هذا. فإنّه قال جملة:

الألفات: أربعون ألفًا وثمانية آلاف واثنان وتسعون ألفًا.

والباءات: اثنا عشر ألفًا وأربعمائة وثمانٍ وعشرون.

والتّاءات: ألفان وأربعمائة وأربع.

والثّاءات: ألف ومائة وخمس.

والجيمات: أربعة آلاف وثلاثمائة واثنتان وعشرون.

والحاءات: أربعة آلاف ومائة وثلاثون.

والخاءات: ألفان وخمسمائة وخمس.

والدّالات: خمسة آلاف وتسع مائة وثمانٍ وسبعون.

والذّالات: أربعة آلاف وتسع مائة وتسع وثلاثون.

والرّاءات: اثنتا عشرة ألفًا ومائتان وستّ وأربعون.

والزّايات: ثلاثة آلاف وستّ وثلاثون.

والسّينات: خمسة آلاف وتسعمائة وستّ وتسعون.

والشّينات: ألفان ومائة وإحدى عشرة.

والصّادات: ألف وستّمائة واثنتان وسبعون.

والضّادات: ألفان وسبع وثلاثون.

والطّاءات: ألفان ومائتان وأربع وسبعون.

والظّاءات: ثمانمائة واثنتان وأربعون.

والعينات: تسعة آلاف وأربعمائة وسبع عشرة.

والغينات: ألف ومائتان وسبع عشرة.

والفاءات: ثمانية آلاف وأربعمائة وتسع عشرة.

والقافات: ستّة آلاف ومائتان وثلاث عشرة.

والكافات: عشرة آلاف وخمسمائة وثمانٍ وعشرون.

واللّامات: ثلاثون ألفًا وثلاثة آلاف وخمسمائة واثنتا عشرة.

والميمات: عشرون ألفًا وستّة آلاف وسبعمائة وخمس وخمسون.

والنّونات: أربعون ألفًا وخمسة آلاف ومائة وتسع.

والواوات: عشرون ألفًا وخمسة آلاف وخمسمائة وستّ وثمانون.

والهاءات: ستّة عشر ألفًا وسبعون.

واللّاءات: أربعة آلاف وتسعمائة وتسع.

واليـاءات: عشرون ألفًا وخمسة آلاف وتسعمائة وتسع عشرة.

هذه سُوَر القرآن ـ بكمالها ـ مع ذكر موضوع النّزول، وعدد الآيات، والحروف، والكلمات، والنّقاط، وما اشتملت عليه السّورة من المقاصد، وما فيها من المنسوخ والنّاسخ، وما اختلف فيها من الآيات، وما ورد في فضل السّورة. (١: ٥٥٨ـ ٥٦٦)

نصّه أيضًا في «القاموس المحيط»

[معنى الآية]

الآية: العلامة والشّخص، وزنها «فَعْلَة» بالفتح أو «فَعَلَة» محرّكة أو «فاعِلة»، جمعها: آيات وآي وآياي جمع الجمع: آياءٌ. والعِبرة جمعها: آي، والإمارة.

ومن القرآن: كلام متّصل إلى انقطاعه. وآية ممّا يضاف إلى الفعل لقرب معناها من معنى الوقت. وإيَا الشّمس: في الحروف اللّيِّنة.

وتآيَيْتُه وتأيَّيْتُهُ: قصدت شخصه وتعمّدته. وتأيّى بالمكان: تلبّث عليه وتأنّى. وموضع ماثيّ الكَلأ: وخيمه. (٤: ٣٠٣)

الفصل الثّالث و العشرون

نصّ السّيوطيّ (م: ٩١١) في «الإتقان في علوم القرآن»

فصل في عدّ الآي

أفرده جماعة من القُرّاء بالتّصنيف...[ثمّ ذكر قول الجَعْبَريّ والواحديّ والدّانيّ والزّمخشريّ وغيرهم، كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

قلت: وممّا يدلّ على أنّه توقيفيّ ما أخرجه أحمد في «مسنده» من طريق عاصم بن أبي النَّجود، عن زِرّ، عن ابن مسعود، قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة من الثّلاثين من آل حم. قال: يعني الأحقاف. وقال: وكانت السّورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سُمّيت الثّلاثين..الحديث.

وقال ابن العربيّ: ذكر النّبيّ ﷺ أنّ الفاتحة سبع آيات...[وذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ، ثمّ قال:]

وقال غيره: سبب اختلاف السّلف في عدد الآي أنّ النّبيّ ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتّوقيف، فإذا علم محلّها وصل للتّمام، فيحسب السّامع حينئذٍ أنّها ليست فاصلة.

وقد أخرج ابن الضُّرَيس، من طريق عُثمان بن عَطاء، عن أبيه عن ابن عبّاس قال: جميع آي القرآن ستّة آلاف وستّمائة آية، وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرفٍ وثلاثة وعشرون ألف حرفٍ وستّمائة حرفٍ وواحد وسبعون حرفًا.

قال الدّانيّ: أجمعوا على أنّ عدد آيات القرآن ستّة آلاف آية، ثمّ اختلفوا فيما زاد على ذلك، فمنهم من لم يزد، ومنهم من قال: ومائتا آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة. وقيل:

وتسع عشرة، وقيل: وخمس وعشرون. وقيل: وستّ وثلاثون.

قلت: أخرج الدَّيْلَميّ في «مُسْنَد الفردوس»، من طريق الفيض بن وَثيق، عن فرات بن سَلمان، عن مَيْمون بن مهران، عن ابن عبّاس مرفوعًا: «دَرَج الجنّة على قدر آي القرآن، بكلّ آية درجة، فتلك ستّة آلاف آية ومائتا آية وستّ عشرة آية، بين كلّ درجتين مقدار ما بين السّماء والأرض. الفيض قال فيه ابن مُعين كذّابٌ خَبيثٌ.

وفي «الشُّعَب» للبَيْهقيّ من حديث عائشة مرفوعًا: «عدد دَرَج الجنّة عدد آي القرآن، فمن دخل الجنّة من أهل القرآن فليس فوقه درجةٌ». قال الحاكم: إسناده صحيح، لكنّه شاذّ. وأخرجه الآجَرّيّ في «حَمَلَة القرآن» من وجه آخر عنها موقوفًا.

قال أبوعبد الله الموصِليّ في شرح قصيدته «ذات الرّشد في العدد»: «اختلف في عدّ الآي أهل المدينة ومكّة والشّام والبَصْرة والكوفة، ولأهل المدينة عددان:

عدد أوّل: وهوعدد أبي جعفر يزيد بن القَعْقاع وشَيبة بن نِصاح.

وعدد آخر: وهوعدد إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاريّ.

وأمّا عدد أهل مكّة: فهومرويّ عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، عن ابن عبّاس عن أُبيّ بن كعب.

وأمّا عدد أهل الشّام: فرواه هارون بن موسى الأخفش وغيره عن عبد الله بن ذَكوان وأحمد بن يزيد الحُلْوانيّ وغيره، عن هشام بن عَمّار. ورواه ابن ذَكوان وهِشام عن أيّوب بن تَميم القارئ، عن يحيى بن الحارث الذِّماريّ. قال: هذا العدد الّذي نعدّه عدد أهل الشّام ممّا رواه المشيخة لنا عن الصّحابة. ورواه عبد الله بن عامر اليَحصَبيّ لنا وغيره عن أبي الدَّرداء.

وأمّاعدد أهل البَصْرة: فمداره على عاصم بن العَجاج الجَحْدَريّ.

وأمّا عدد أهل الكوفة: فهوالمضاف إلى حمزة بن حبيب الزّيّات وأبي الحسن الكسائيّ وخلف بن هِشام، قال حَمزة: أخبرنا بهذا العدد ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرّحمان السُّلَميّ عن عليّ بن أبي طالب.

قال الموصليّ: ثمّ سُوَر القرآن على ثلاثة أقسام: قسم لم يختلف فيه، لا في إجمال ولا في

تفصيل، وقسم اختُلف فيه تفصيلًا لا إجمالًا، وقسم اختُلف فيه إجمالًا وتفصيلًا.

[القسم] الأوّل ـ أربعون سورة: يوسف مائة وإحدى عشرة، الحِجر تسع وتسعون، النّحل مائة وثمانٍ وعشرون، الفرقان سبع وسبعون، الأحزاب ثلاث وسبعون، الفتح تسع وعشرون، الحُجُرات والتّغابن ثماني عشرة، ق خمس وأربعون، الذّاريات ستّون، القمر خمس وخمسون، الحشر أربع وعشرون، الممتحنة ثلاث عشرة، الصّف أربع عشرة، الجُمُعة والمنافقون والضُّحى والعاديات إحدى عشرة، التّحريم اثنتا عشرة، ن اثنتان وخمسون، الإنسان إحدى وثلاثون، المرسلات خمسون، التّكوير تسع وعشرون، الانفطار وسبّح تسع عشرة، التّطفيف ستّ وثلاثون، البروج اثنتان وعشرون، الغاشية ستّ وعشرون، البلد عشرون، اللّيل إحدى وعشرون، ألم نشرح والتّين وألهاكم ثمانٍ، الهُمَزة تسع، الفيل والفلق وتبّت خمس، الكافرون ستّ، الكوثر والنّصر ثلاث.

والقسم الثّاني ـ أربع سُوَر: القصص ثمانٍ وثمانون، عدّ أهل الكوفة «طسٓمٓ» والباقون بدلها ﴿أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾[1]، العنكبوت تسع وستّون، عدّ أهل الكوفة «الٓمٓ»، والبَصْرة بدلها ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[2]، والشّام ﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾[3]. الجنّ ثمان وعشرون. عدّ المكّيّ ﴿لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ﴾[4]، والباقون بدلها ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[5]. والعصر ثلاث، عدّ المدنيّ الأخير ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾[6] دون «والعصر» وعكس الباقون.

والقسم الثّالث ـ سبعون سورة:

الفاتحة: الجمهور سبع، فعدّ الكوفيّ والمكّيّ البَسْمَلة دون ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وعكس

---

١ ـ القصص / ٢٣.

٢ ـ العنكبوت / ٦٥.

٣ ـ العنكبوت / ٢٩.

٤ ـ الجنّ / ٢٢.

٥ ـ الكهف / ٢٧.

٦ ـ العصر / ٣.

الباقون. وقال الحسن: ثمانٍ، فعدّهما، وبعضهم ستّ فلم يعدّهما، وآخر تسع فعدّهما ﴿وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

ويقوّي الأوّل ماأخرجه أحمد وأبوداود والتّرمذيّ وابن خُزَيمة والحاكم والدّارقُطنيّ وغيرهم عن أُمّ سَلَمة: أنّ النّبيّ ﷺ كان يقرأ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ - إلى - وَلَا الضَّالِّينَ﴾. قطّعها آية آية، وعدّها عدّ الأعراب، وعدّ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ آية، ولم يعدّ ﴿عَلَيْهِمْ﴾. وأخرج الدّارقُطنيّ بسند صحيح عن عبد خير، قال: سُئل عليّ عن السّبع المثاني فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقيل له: إنّما هي ستّ آيات فقال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ آية.

البقرة: مائتان وثمانون وخمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع.

آل عمران: مائتان وقيل: إلّا آية.

النّساء: مائة وسبعون وخمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع.

المائدة: مائة وعشرون، وقيل: واثنتان، وقيل: وثلاث.

الأنعام: مائة وسبعون وخمس، وقيل: ستّ، وقيل: سبع.

الأعراف: مائتان وخمس: وقيل: ستّ.

الأنفال: سبعون وخمس، وقيل: ستّ، وقيل سبع.

براءة: مائة وثلاثون، وقيل: إلّا آية.

يونس: مائة وعشر، وقيل: إلّا آية.

هود: مائة وإحدى وعشرون، وقيل: اثنتان، وقيل: ثلاث.

الرّعد: أربعون وثلاث، وقيل: أربع، وقيل: سبع.

إبراهيم: إحدى وخمسون، وقيل: اثنتان، وقيل: أربع، وقيل: خمس.

الإسراء: مائة وعشر، وقيل: وإحدى عشرة.

الكهف: مائة وخمس، وقيل: وستّ وقيل: وعشر، وقيل: وإحدى عشرة.

مـريـم: تسعون وتسع، وقيل: ثمان.

طـــه: مائة وثلاثون واثنتان، وقيل: أربع، وقيل: خمس، وقيل: وأربعون.

الأنبياء: مائة وإحدى عشرة، وقيل: واثنتا عشرة.

الحـجّ: سبعون وأربع، وقيل: خمس، وقيل: ستّ، وقيل: ثمان.

قد أفلح: مائة وثماني عشرة، وقيل: تسع عشرة.

الـنّـور: ستّون واثنتان، وقيل: أربع.

الشّعـراء: مائتان وعشرون وستّ، وقيل: سبع.

الـنّمـل: تسعون واثنتان، وقيل: أربع، وقيل: خمس.

الـرّوم: ستّون، وقيل: إلّا آية.

لـقمان: ثلاثون وثلاث، وقيل: أربع.

السّجدة: ثلاثون، وقيل: إلّا آية.

سـبـأ: خمسون وأربع، وقيل: خمس.

فاطـر: أربعون وستّ، وقيل: خمس.

يـسٓ: ثمانون وثلاث، وقيل: اثنتان.

الصّافّات: مائة وثمانون وآية، وقيل: آيتان.

ص: ثمانون وخمس، وقيل: ستّ، وقيل: ثمان.

الزُّمَر: سبعون وآيتان، وقيل: ثلاث، وقيل: خمس.

غـافـر: ثمانون وآيتان، وقيل: أربع، وقيل: خمس، وقيل: ستّ.

فصّلت: خمسون واثنتان، وقيل: ثلاث، وقيل: أربع.

الشّورى: خمسون، وقيل: ثلاث.

الزّخرف: ثمانون وتسع، وقيل: ثمان.

الدّخان: خمسون وستّ وقيل: سبع، وقيل: تسع.

الجاثية: ثلاثون وستّ، وقيل: سبع.

الأحقاف: ثلاثون وأربع، وقيل: خمس.

القتال: أربعون، وقيل: إلّا آية، وقيل: إلّا آيتين.

الطّور: أربعون وسبع، وقيل: ثمان، وقيل: تسع.

النّجم: إحدى وستّون، وقيل: اثنتان.

الرّحمن: سبعون وسبع، وقيل: ستّ، وقيل: ثمان.

الواقعة: تسعون وتسع، وقيل: سبع، وقيل: ستّ.

الحديد: ثلاثون وثمان، وقيل: تسع.

قد سمع: اثنتان وعشرون، وقيل: إحدى وعشرون.

الطّلاق: إحدى عشرة، وقيل: اثنتا عشرة.

تبارك: ثلاثون، وقيل: إحدى وثلاثون، بعدّ ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾[1].

قال الموصليّ: والصّحيح الأوّل.

قال ابن شَنَبوذ: ولا يسوغ لأحدٍ خلافه، للأخبار الواردة في ذلك.

أخرج أحمد وأصحاب السّنن وحسّنه التّرمذيّ، عن أبي هُرَيرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ سورة في القرآن ثلاثين آيةً شفعت لصاحبها، حتّى غُفِر له، تبارك الّذي بيده الملك.

وأخرج الطّبرانيّ بسند صحيح عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ سورة القرآن ما هي إلّا ثلاثون آية، خاصمت عن صاحبها حتّى أدخلته الجنّة، وهي سورة تبارك.

الحاقة: إحدى، وقيل: اثنتان وخمسون.

المعارج: أربعون، وأربع، وقيل: ثلاث.

نوح: ثلاثون، وقيل: إلّا آية، وقيل: إلّا آيتين.

المزّمّل: عشرون، وقيل: إلّا آية، وقيل: إلّا آيتين.

١ـ المُلك / ٩.

المدّثّـر: خمسون وخمس، وقيل: ستّ.

القيامة: أربعون، وقيل: إلّا آية.

عــــمّ: أربعون، وقيل: وآية.

النّازعات: أربعون وخمس وقيل ستّ.

عـبس: أربعون، وقيل: وآية، وقيل: وآيتان.

الشّـقـاق: عشرون وثلاثة، وقيل: أربع، وقيل: خمس.

الـطّارق: سبع عشرة، وقيل: ستّ عشرة.

الفَـجْـر: ثلاثون، وقيل: إلّا آية، وقيل: اثنتان وثلاثون.

الشّـمس: خمس عشرة، وقيل: ستّ عشرة.

اقـــرأ: عشرون، وقيل: إلّا آية.

الـقـدر: خمس، وقيل: ستّ.

لم يكـن: ثمان، وقيل: تسع.

الزّلزلـة: تسع، وقيل: ثمان.

القارعة: ثمان، وقيل: عشر وقيل: إحدى عشرة.

قُـرَيش: أربع، وقيل: خمس.

أرأيـت: سبع، وقيل: ستّ.

الإخلاص: أربع، وقيل: خمس.

الـنـّاس: سبع، وقيل: ستّ. (١: ٢٣٠ـ٢٣٩)

ضـوابـط

البَسْمَلة نزلت مع السّورة في بعض الأحرف السّبعة، من قرأ بحـرف نزلـت فيـه عـدّها، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدّها.

وعدّ أهل الكوفة «الٓمٓ» حيث وقع آية، وكذا «الٓمٓصٓ» و«طـه» و«كهـيعصٓ» و«طـسٓمٓ»

و«يس» و«حم» وعدّوا «حم عسق» آيتين، ومن عداهم لم يعدّ شيئًا من ذلك.

وأجمع أهل العدد على أنّه لايعدّ «الر» حيث وقع آية، وكذا «المر» و«طس» و«ص» و«ق» و«ن». ثمّ منهم: من علّل بالأثر واتّباع المنقول وأنّه أمر لاقياس فيه. ومنهم من قال: لم يعدّوا «ص» و«ن» و«ق» لأنّها على حرف واحد، ولا «طس» لأنّها خالفت أخويها بحذف الميم، ولأنّها تشبه المفرد كقابيل، و«يس» وإن كانت بهذا الوزن، لكن أوّلها ياء. فأشبهت الجمع، إذ ليس لنا مفرد أوّله ياء. ولم يعدّوا «الر» بخلاف «الم» لأنّها أشبه بالفواصل من «الر» وكذلك أجمعوا على عدّ «ياأيّها المُدَّثِّر» آية لمشاكلته الفواصل بعده، واختلفوا في «يَا أَيُّهَا المُزَّمِّل».

قال الموصليّ: وعَدّوا قوله: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ آية، وليس في القرآن أقصر منها، أمّا مثلها فـ «عمّ»، «والفجر» «والضّحى» ...

[عدد كلمات القرآن]

وعدّ قوم: كلمات القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة، وتسعمائة وأربعًا وثلاثين كلمة.

وقيل: وأربعمائة وسبعًا وثلاثين.

وقيل: ومائتان وسبع وسبعون، وقيل: غير ذلك.

وقيل: وسبب الاختلاف في عدّ الكلمات أنّ الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم، واعتبار كلّ منها جائز، وكلّ من العلماء اعتبر أحد الجوائز.

[عدد حروف القرآن]

وتقدّم عن ابن عبّاس عدد حروفه، وفيه أقوال أُخَر، والاشتغال باستيعاب ذلك ممّا لا طائل تحته، وقد استوعبه ابن الجَوْزيّ في «فنون الأفنان» وعدّ الأنصاف والأثلاث إلى الأعشار، وأوسع القول في ذلك، فراجعه منه، فإنّ كتابنا موضوع للمهمّات لا لمثل هذه البطالات.

وقد قال السّخاويّ: لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة، لأنّ ذلك إن أفاد فإنّما

يفيد في كتاب يمكن فيه الزّيادة والنّقصان، والقرآن لا يمكن فيه ذلك.

ومن الأحاديث في اعتبار الحروف ما أخرجه التّرمذيّ عن ابن مسعود مرفوعًا: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الٓمٓ حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف».

وأخرج الطّبرانيّ عن عمر بن الخطّاب مرفوعًا: «القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف، فمن قرأه صابرًا محتسبًا كان له بكلّ حرف زوجة من الحور العين»، رجاله ثقات إلّا شيخ الطّبرانيّ محمّد بن عُبَيد بن آدم بن أبي إياس، تكلّم فيه الذّهبيّ لهذا الحديث. وقد حُمل ذلك على ما نسخ رسمه من القرآن أيضًا، إذا الموجود الآن لا يبلغ هذا العدد.

(١: ٢٤٠ـ٢٤٣)

الفصل الرّابع و العشرون

نصّ الشّيخ البهائيّ (م: ١٠٣١) في «الكَشْكُول»

بيان ما اشتمل عليه القرآن المجيد

إنّ مجموع الكلمات في القرآن ٧٦٤٤٠ كلمةً و مجموع الحروف ٧٢٢٣٣٢ حرفًا.

[أمّا عدد حروف الهجاء في القرآن]

لتّسلسل	الحروف	عددها		التّسلسل	الحروف	عددها
١	اللألفات	٤٠٧٢		١٥	الضّادات	١٢٠٠
٢	الباءات	١١١٤٠		١٦	الطّاءات	٨٤٠
٣	التّاءات	١٢٩٩		١٧	الظّاءات	٩٣٢٠
٤	الثّاءات	١٢٩١		١٨	العينات	١٠٢٠
٥	الجيمات	٣٢٩٣		١٩	الغينات	٧٤٩٩
٦	الحاءات	١١٧٩		٢٠	الفاءات	٢٥٠٠
٧	الخاءات	٢٤١٩		٢١	القافات	٥٢٤٠
٨	الدّالات	٤٣٩٨		٢٢	الكافات	٢٢٠٠٠
٩	الذّالات	٤٨٤٠		٢٣	اللّامات	١٤٥٩١
١٠	الرّاءات	١٠٩٠٣		٢٤	الميمات	٢٠٥٦٠
١١	الزّاءات	٩٥٨٣		٢٥	النّونات	٢٠٣٦
١٢	السّينات	٤٥٩١		٢٦	الواوات	١٣٧٠٠
١٣	الشّينات	٢٥١٣٣		٢٧	الهاءات	٧٠٠
١٤	الصّادات	١٢٨٤		٢٨	الياءات	٥٠٢

(٢: ٤٢١-٤٢٢)

الفصل الخامس و العشرون

نصّ الطُّرَيحيّ (م: ١٠٨٥) في «مجمع البحرين ...»

[معنى الآية]

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [١] هي جمع «آية» وهي العبرة، والآيات: العلامات والعجائب.

قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [٢] قيل: هي شهادة الصّبيّ، والقميص المخرّق من دُبُر، واستباقهما الباب حتّى سُمع مجاذبتها إيّاه على الباب، فلمّا عصاها لم تزل مولعةً بزوجها حتّى حبسه.

قوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ [٣] أي علامات واضحات، وهي ـ على ما جاءت به الرّواية ـ أثر قدمي إبراهيم عليه السلام، والحَجَر الأسود، ومنزل إسماعيل عليه السلام.

قوله: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [٤] قال الشّيخ أبو عليّ: الآيات الّتي أراها الله تعالى لمحمّد صلى الله عليه وآله حين أُسري به إلى البيت المقدِس أن حشر الله عزّ ذكره الأوّلين والآخرين من النّبيّين والمرسلين، ثمّ أمر جبرئيل فأذّن شَفْعًا وأقام شَفْعًا، وقال في أذانه: حيّ على خير العمل، ثمّ تقدّم فصلّى بالقوم، فلمّا انصرف قال لهم: عَلامَ تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا

---

١ ـ يوسف / ٧.

٢ ـ يوسف / ٣٥.

٣ ـ آل عمران / ٩٧.

٤ ـ الإسراء / ١.

إله إلّا الله وحده لاشريك له، وأنّك رسوله أخذ على ذلك عهودنا وميثاقنا . انتهى

ومنه يعلم جواب من يقول: كيف قال تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ اَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [١]، والنّبيّ ﷺ لم يدركهم ﴿سَنُرِيهِمْ اٰيَاتِنَا فِى الْاٰفَاقِ وَفِى اَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ اَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [٢]، في الآفاق: مثل الكسوف والزّلازل وما يعرض في السّماء من الآيات، وفي أنفسهم مرّةً بالجوع، ومرّةً بالعطش، ومرّةً يشبع، ومرّةً يروى، ومرّةً يمرض، ومرّةً يصحّ، ومرّةً يفتقر، ومرّةً يستغني، ومرّةً يرضى، ومرّةً يغضب، ومرّةً يخاف، ومرّةً يأمن، فهذا من عظيم دلالة الله على التّوحيد.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَاُمَّهُ اٰيَةً﴾ [٣] لم يقل آيتين، لأنّ قصّتهما واحدة، وقيل: لأنّ الآية فيهما معًا، وهي الولادة بغير فحل.

قوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا اٰيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [٤] نقل: «أنّه أبقى الله سفينة نوح حتّى أدركها أوائل هذه الأمّة »، أي شيئًا من أجزائها إلى زمان بعثة النّبيّ ﷺ.

وفي الخبر: «بلّغوا عنّي ولو آيةً» الآية هنا: الكلام المفيد نحو : «مَنْ سكت نجا» أي بلّغوا عنّي أحاديث ولو قليلة .

وفي حديث مدح الإسلام وجعله آيةً لمن توسّم. التّوسّم: التّفرّس، أي من تفرّس الخير في الإسلام كان علامةً له عليه .

والآية من القرآن، قيل: كلّ كلام متّصل إلى انقطاعه . وقيل: ما يحسن السّكوت عليه. وقيل: هي جماعة حروف، من قولهم: «خرج القوم بآيتهم» أي بجماعتهم...[ثمّ ذكر قول الجوهريّ كما تقدّم عنه]. (١: ٣٩ـ ٤٠)

١ـ الزّخرف / ٤٥.

٢ـ فصّلت / ٥٣.

٣ـ المؤمنون / ٥٠.

٤ـ القمر / ١٥.

الفصل السّادس و العشرون

نصّ البُروجَرديّ (م: ١٢٧٧) في «الصّراط المستقيم»

معنى الآية و الكلمة و الحرف

أمّا الآية: فهي في الأصل بمعنى العلامة، أو العلامة الّتي فيها العبرة، أو الّتي فيها الحجّة، أو العلامة الظّاهرة، وبمعنى العجب، من قولهم: فلان آية في العلم، والعبرة، والشّخص. ولعلّ الأظهر كونها حقيقةً في الأوّل، وإن أطلقت على الجميع باعتبار الموارد، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾[1]، أي علامة لإجابتك دعانا، و آيات الكتاب: علامات و دلالات على معانيها.

وعن أبي عُبَيدة أنّ معنى الآية أنّها علامة لانقطاع الكلام الّذي قبلها وانقطاعه عمّا بعدها، و يقال: إنّ الآية هي القصّة والرّسالة... [ثمّ استشهد بشعر ابن زُهير، كما تقدّم عن الطّبريّ، و ذكر قول ابن السّكّيت كما تقدّم عن الطّبرسيّ].

قال في الصّحاح: الآية: العلامة والأصل أوَيَة بالتّحريك، قال سيبويه ... [وذكر كما تقدّم عن السّخاويّ].

وقال القاضي: اشتقاقها من أيّ، لأنّها تبيّن أيًّا من أيّ، أو من أوي إليه، وأصلها «أيّة» أو «أوْيَة» كتمرة، فأبدلت عينها ألفًا على غير قياس، أو «أوية» أو «أيَيَة» كرمَكَة فأعلّت، أو «آئية» كقابلة فحذفت الهمزة تخفيفًا.

١ـ المائدة/ ١١٤.

ثمّ أنّها قد غلبت في دين الإسلام غلبة عرفيّة عامّة، أو خاصّة متشرّعة، أو شرعيّة، و إن كان الأظهر الأخير في جماعة حروف أقصرها اثنان، مثل حم و يس، وأطولها آية المداينة في أواخر البقرة، و هي مائة و ثلاث و ثلاثون كلمة على ما قيل، وهو مبنيّ على عدم عدّ الحرف الواحد آية كما استقرّت عليه كلمتهم.

قال شيخنا الطَّبرسيّ في «المجمع»: لم يعدّ «قٓ» آية، ولا نظراؤه من: نٓ وصٓ، لأنّه مفرد وكلّ مفرد فإنّه لايعدّ لبعده عن شبه الجملة، فأمّا المركّب فما أشبه الجملة ووافق رؤوس الآي فإنّه يعدّ مثل: طه وحمٓ وألم.

أقول: ومن هنا يظهر أنّهم اعتبرو في معناها معنى الجمعيّة الّتي أحد معانيها، من قولهم: خرج القوم بآيتهم، أي بأجمعهم، وإن كانت مع ذلك عبرة وعلامة واضحة، وحجّة بيّنة على صدق النّبيّ ﷺ، ولذا كان كلّ آية منه معجزة أبد الدّهر، وعلى الحقائق الكلّيّة والعلوم الرّبّانيّة، والمعارف الإلهيّة الّتي هي دليل عليها حسبما سمعت، فكأنّه قد لوحظت في المنقول إليه جميع المعاني، كما هو الأوفق بالجمعيّة المعتبرة في مسمّاها، فإنّ الأظهر حصول النّقل الشّرعيّ فيها.

ولذا قال الجاحظ: سمّى الله كتابه اسمًا مخالفًا لما سمّى العرب كلامهم على الجمل و التّفصيل، سمّى جملته قرآنًا كما سمّوا ديوانًا، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية.

ثمّ لايخفى أنّ ماذكرناه في تعريف الآية تعريف لفظيّ، لم نقصد به إلّا المعرفة الإجماليّة الّتي يتميّز بها النّوع عن غيره في الجملة، إذ لايهمّنا الاستقصاء في تعريفه بما يسلم طردًا وعَكْسًا من المناقشات، و إن كان ملحوظًا فيما ذكرناه حيثيّة الجعل الشّرعيّ الّذي معها يسلم عن كثير من الاعتراض بخلاف ما ذكره القوم في المقام، مثل ما قيل: من أنّها كلّ كلام يتّصل إلى انقطاعه، أو أنّها ما يحسن السّكوت عليه، أو أنّها جماعة حروف، إلى غير ذلك ممّا لايسلم منها لولا اعتبار الحيثيّة المتقدّمة.

و أمّا الكلمة: فعن الفرّاء و غيره أنّ فيها ثلاث لغات: فتح الأوّل و كسر الثّاني، وهو

الأشهر، ويجوز سكون الثّاني مع فتح الأوّل وكسره، بل قد يقال بإطّراد الثّلاثة في كلّ ماكـان على «فَعِل» بفتح الفاء وكسر العين، نحو: كَبِد ووَرِق، تطلق على كلّ لفظٍ وضع لمعنى مفرد، وتجمع على كلمات وكَلِم على الأظهر من الأقوال فيها، كما صرّح به في «الصّحاح» وغيره.

وقد يقال: إنّها مشتقّة من الكَلْم بالفتح، فالسّكون بمعنى الجراحة، نظرًا إلى أنّ السّمع والقلب يتأثّران بها، كما أنّ البدن قد يتأثّر بالجراحة، بل قد يكون الأوّل أقرب إلى الدّوام، وأبعد عن الالتئام والالتحام، ولذا قيل:

جراحات السّنان لها التيامُ ولايلتام ما جرح اللّسان

وفي «الصّحاح»: الكَلْم: الجراحة، والجمع كُلوم وكِلام، تقول: كَلَمتُه كَلْمًا. قال: وقرأبعضهم [1]: ﴿دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [2] أي تجرّحهم و تَسِمهم، لكنّه اشتقاق بعيد، كما نبّه عليه نجم الأئمّة [3] وغيره، وأبعد منه ما يتوهّم من اشتقاقها من الكُلام بالضّمّ؛ قال في القاموس: إنّه الأرض الغليظة، وربّما يفسّر بالقوت، قيل و منه قولهم: شغلنا الكُلام عن الكَلام.

و أمّا الحروف: فهو في الأصل بمعنى الطّرف، والنّهاية، والحدّ والشّفير، ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المحدّد، وحرف لشفيره، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [4]، أي على وجهٍ واحدٍ و هو أن يعبده على السّرّاء دون الضّرّاء، أو في العلانيّة دون السّرّ، أو باللّسان دون الجنان، فإنّ الدّين حرفان، أوعلى ضعف في العبادة، كضعف القائم على حرف، أي طرف جبل، إلى غيرذلك ممّا يؤوّل إلى مامرّ.

١ـ المراد به ابن زُرْعة الّذي قرأ تكلّمهم بتخفيف اللّام على ما صرّح به الطّبرسيّ في مجمع البيان ٧: ٢٣٢.

٢ـ النّمل/ ٨٢.

٣ـ نجم الأئمّة محمّدبن الحسن الرّضيّ الأسترابادي: محقّق من نوادر الزّمان من الإماميّة، له مصنّفات رائعة فائقة منها: «شرح الكافية لابن الحاجب» في النّحو و «شرح مقدّمة ابن الحاجب المسمّاة بالشّافية في علم الصّرف» و «شرح القصائد السّبع لابن أبي الحديد» توفّي نحو ٦٨٦ هـ. خزانة الأدب للبغداديّ ١: ١٢، والأعلام ٧: ٣١٧.

٤ـ الحجّ/ ١١.

نعم، قد غلب عرفًا على هذه المسموعات الّتي يقال لها: حروف المعجم، وربّما يعرّف بأنّه كيفيّة للصّوت، بها يمتاز الصّوت عن صوت آخر مثله في الحدّة والثّقل تمييزًا في المسموع، والتّقييد بالمثليّة في الوصفين لإخراجهما، إذ لايمتاز بشيء من الحدّة، أي الزّيريّة و الثّقل ـ أي البميّة ـ صوت يماثله فيهما و إن كانا كيفيتين للصّوت، و بالتّميّز في المسموع لإخراج الغنّة الّتي تظهر من تسريب الهواء بعضًا إلى الأنف و بعضًا إلى الفم مع انطباق الشّفتين، والبحوحة الّتي هي للصّوت الخارج من الحلق، وغيرهما من طول الصّوت وقصره، و كونه طيّبًا وغيره، فإنّ شيئًا من ذلك لايوجب التّميّز في المسموع . ولذا قد تختلف هذه الأُمور و المسموع واحد، وقد تتّحد والمسموع هو الحروف خاصّة لا تلك الكيفيّات، وهو لايخلو عن تأمّل.

نعم، قد يقسّم الحروف إلى زمانيّة صرفة، و هي ما يمكن تمديدها بلا توهّم تكرار كالفاء والقاف والشّين، و كالحروف المصوّتة المشهورة بحروف المدّ واللّين المقابلة للصّوامت الّتي هي ما سواها ، وإلى آنيّة صرفة كا لباء والطّاء والدّال وغيرها من الصّوامت الّتي لايمكن تمديدها أصلًا فأنّها لا توجد إلّا في آخر زمان حبس النَّفَس، كما يشهد به التّكلّم بها ساكنة بعد الهمزة المفتوحة، و لذا قيل: إنّ تسميتها بالحروف أولى من تسمية غيرها، لأنّها أطراف الصّوت، و قد سمعت أنّ الحرف هو الطّرف .

وإلى آنيّة تشبه الزّمانيّة، و هي أن تتوارد أفراد آنيّة مرارًا فيظنّ أنّها فرد واحد زمانيّ كالرّاء والحاء والخاء، حيث إنّ الغالب على النّطق أنّ الرّاء الّتي في آخر الدّار مثلًا راءات متوالية، كلّ واحد منها آنيّ الوجود، إلّا أنّ الحسّ لايشعر بامتياز أزمنتها، فظنّها حرفًا واحدًا زمانيًّا .

ومن هنا يعترض على التّعريف المتقدّم بعدم شموله للحروف الآنيّة، نظرًا إلى أنّها لا توجد إلّا في الآن الّذي هو بداية زمان الصّوت أو نهايته، فلا تكون عارضة له حقيقة، لأنّ العارض يجب أن يكون موجودًا مع المعروض، و هي لاتوجد مع الصّوت الّذي هو زمانيّ .

وأُجيب : بأنّ عروضها للصّوت على نحو عروض الآن للزّمان، والنّقطة للخطّ يعني أنّ

عروض الشّيء للشّيء قد يكون بحيث يجتمعان في الزّمان، وقد لا يكون، وحينئذٍ يجوز أن يكون كلّ واحد من الحروف الآنيّة طرفًا للصّوت عارضًا له عروض الآن للزّمان، فيندفع الإشكال.

أقول: و في كلّ من الاعتراض و الجواب نظرٌ.

أمّا في الأوّل ـ فللمنع من كون هذه الحروف آنيّة حقيقيّة، والتّسمية باعتبار الإضافة، سلّمنا لكن عروض الكيفيّة إنّما هو لأجزاء الصّوت أوعيتها زمانًا و آنًا، ومنه يظهر الحقّ في الجواب.

وأمّا في الثّاني ـ فلأنّ النّقطة مجرّد نهاية للخطّ، وهذا كيفيّة للنّهاية، والفرق واضح جدًّا، نعم تعريف الحرف بالهيئة العارضة إنّما هو المشهور عند الحكماء، وأمّا أهل العربيّة ـ بل العُرف العامّ ـ فالظّاهر منهم إطلاقه على مجموع العارض و المعروض كما لا يخفى.

ثمّ إنّه حُكِي في «المصباح المنير» عن الفرّاء و ابن السّكّيت: أنّ حروف المعجم جميعها مؤنّثة، ولم يسمع التّذكير في شيء من الكلام، وأنّه يجوز تذكيرها في الشّعر.

وعن ابن الأنباريّ: التّأنيث في حروف المعجم عندي على معنى الكلمة، والتّذكير على معنى الحرف. وعن البارع[1] أنّ الحروف مؤنّثة إلّا أن تجعلها اسمًا، فعلى هذا يجوز أن يقال: هذا جيم، و ما أشبهه.

عدد الآيات والكلمات والحروف

اختلفوا في تعيين عدد آيات القرآن الكريم على أقوال، بعد اتّفاقهم في الجملة على أنّها لا تقصر عن ستّة آلاف ومائتي آية و شيء زائد، فاختلافهم في تعيين شيء زائد، والأقوال المختلفة ولا ترجع إلى إثبات بعض الآيات و رفعها رأسًا إلى عدّ بعض الآية آية.

فعن المكّيّين أنّ القدر الزّائد ستّ عشرة آية، وقيل: تسع عشرة آية، وقيل: اثنتي عشرة

---

١ ـ البارع البغداديّ الحسين بن محمّد بن عبدالوهّاب، من علماء النّحو و اللّغة، و هو من بيت وزارة، ولد في بغداد سنة ٤٤٣، و عمي في آخر عمره و توفّي سنة ٥٣٤. وفيات الأعيان ١: ١٥٨، أنباء الرّواة ١: ٣٢٨، الأعلام ٢: ٢٨٠.

آية، وعن المدنيّتين إحدى عشرة آية، و الأكثر على أنّها عندهم سبع عشرة آية، ولعلّ نسبة الأوّل إليهم وَهْم.

وعن البَصْريّين أربع آيات، وقيل: ثلاث آيات، وقيل: خمس آيات ، وربّما يقال: إنّ بناء مصاحفهم على الأوّل.

وعن الشّاميّين سبع وعشرون، وقيل: تسع وعشرون، و المحكيّ عن إبراهيم التّميميّ نقصان واحدة عن المائتين.

وعن الكوفيّين خمس وثلاثون، و في «برهان القارئ» حكاية عن بعض البارعين في هذا الشّأن أنّها في عدد هم ستّ وثلاثون ، و ربّما ينسب إليهم غير ذلك، بل فيه أنّ الزّيادة عند المدنيّ الأوّل سبع عشرة آية ، و عند المدنيّ الأخير ـ و هو إسماعيل بن جعفر المدنيّ ـ أربع عشرة آية إلى غير ذلك من الأقوال الّتي لاطائل تحت التّعرّض لها، لعدم الدّليل على شيء منها .

ثمّ روى شيخنا الطّبرسيّ في «المجمع» في تفسير سورة الإنسان عن النّبيّ ﷺ أنّ جميع سُوَر القرآن ...[وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

أقول: و من هنا يظهر صحّة عدد الكوفيّين، سيّما مع ملاحظة ما ذكره في أوّل «المجمع» ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرسيّ].

أقول: أمّا الفائدة في معرفة الآيات فلعلّه يكفي فيها ما سمعت، بل قد تظهر أيضًا في مثل النّذر، والاستيجار للتّعليم، أو للقراءة، وقراءة الجُنُب، وأُختَيْه لسبع آيات المحكم بكراهة مازاد عليها، و اشتدادها فيما زاد على السّبعين، هذا مضافًا إلى الفضل المترتّب على أعداد الآيات، فضلًا عمّا يترتّب على الحروف والكلمات، كما ورد في النّبويّ «أنّ من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين، ومن قرأمائتي آية كتب من القانتين، ومن قرأ ثلاثمائة آية[1] لم يحاجّه

---

١ ـ مجمع البيان مقدّمة الكتاب ـ الفنّ الأوّل في تعداد آي القرآن.

القرآن»[١]. وأنّه ينبغي أن يقرأ في الوتيرة بعد العشاء مائة آية[٢]، «وأنّ من قرأمائة آية يـصلّي بها في ليلة، كتب الله له بها قنوت ليلة، ومن قرأ مائتي آية في غيرصلاة اللّيل، كتـب الله لـه في اللّوح قنطارًا من الحسنات، والقنطار ألف ومائتا أوقيّة، والأوقيّة أعظم مـن جبـل أحـد»[٣]، «وأنّ درجات الجنّة على قدر آيات القرآن، يقال له: اقرأ وارْقِ»، بل قد يعـدّ الوقـف علـى خصوص الآيات من التّرتيل المندوب إليه، ولـذا ورد[٤] أنّ الـنّبيّ ﷺ كـان يقطّـع قراءتـه آية آية.[٥]

وأمّا سبب الاختلاف فيها مبنيّ على اختلاف أنظارهم، كغيره من الاختلافـات الكـثيرة الواقعة في الموادّ والهيئات المستندة إليها، أو إلى اختلاف المـصاحف، نعـم، ذُكـر في «برهـان القارئ» تبعًا لهم أنّ الموجب هو النّقل والتّوقيف، قال ويؤيّده مـا رواه عاصـم عـن زرّ عـن عبدالله بن مسعود أنّه قال: اختلفنا في سورة من القرآن، فقال بعضنا: ثلاثـين، وقـال بعـضنا: اثنتين وثلاثين، فأتينا رسول الله ﷺ وأخبرناه، فتغيّر لونه، فأسرّ إلى عليّ بن أبي طالـب عليه السلام بشيء، فالتفت إلينا عليّ عليه السلام فقـال: «إنّ رسـول الله ﷺ يـأمركم أن تقـرأوا القـرآن كمـا علّمتموه»، قال: و في هذا دليل على أنّ العدد راجـع إلى التّعلـيم، وفيـه أيـضًا دليـل علـى تصويب العددين.

أقول: بل لعلّ الأظهر فيه على فرض صحّة الخبر أنّ العدد الحقّ هو ما أسرّه النّبيّ ﷺ إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إرشادًا لهم إلى سؤاله والأخـذ منـه، حيـث إنّـه عليه السلام بـاب مدينـة حكمته ﷺ، وحيث إنّه ﷺ علم أنّ النّاس لايأتون البيوت من الأبواب، أمرهم بالقراءة كما

١ـ معاني الأخبار: ٤١٠، قال بعد نقل الحديث: يعني من حَفِظ قدر ذلك من القرآن، يقال: قد قرأ الغلام القرآن، إذا حفظه.

٢ـ مصباح المتهجّد: ٨١: يستحبّ أن يقرأ فيهما (الرّكعتين للوتيرة) مائة آيـة مـن القـرآن، و روي في فـلاح الـسّائل: ٢٥٩ عـن الصّادق عليه السلام قال: كان أبي يصلّي بعد عشاء الآخر ركعتين و هو جالس، يقرأ فيهما مائة آية.

٣ـ معاني الأخبار: ١٤٧ عن أبي عبدالله عليه السلام.

٤ـ أمالي الصّدوق: ٢١٦ عن الصّادق عليه السلام.

٥ـ مجمع البيان ١٠: ٣٧٨ عن أمّ سَلَمه.

عُلِّموا، و في معناه ما رُوي عن مولانا الصّادق عليه السلام: «اقرأوا كما عُلِّمتم حتّى يجيء من يعلّمكم».

و أمّا الكلمات القرآنيّة، فقد يقال: إنّ مجموعها عند الجميع سبع و سبعون ألف كلمة وأربعمائة و شيء زائد اختلفوا في تعيينه، فعند البَصْريّين أربع وستّون، و عند الكوفيّين والشّاميّين ثلاثون، وعن أهل الحرمين تسع و ثمانون، وربّما يحكي عن الكوفيّين خمسون، وعن حُمَيد بن الأعرج عشرون، وعن إبراهيم التّميميّ تسع وتسعون، وعن عَطاء تسع وثلاثون، وعن عبدالعزيز ستّ وثلاثون، وعن البَصْريّين سبع وثلاثون إلى غير ذلك من الأقوال الكثيرة الّتي لاطائل تحت التّعرّض لها فَضْلًا عن التّرجيح بينها.

نعم، في «برهان القارئ»: «عدّدنا الكلمات فكانت اثنتين وسبعين ألفًا» ولعلّه سهو منه، وكان منشأ الاختلاف في الأعداد هو الاختلاف في تعيين الكلمات.

نعم، في «جواهر التّفسير»: أنّ أقصرها حرفان، كـ مِنْ و عَن و مَا و لَا، وإن جاء كثير من حروف المعاني على حرف واحد كواو العطف وهمزة الاستفهام، والباء الجارّة، لكنّها لمّا لم يتنطّق بها مفردة لم يعتبروها رأسًا وأطولها عشرة أحرف مثل: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾[1]. وأمّا قوله: ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾[2] فهو و إن كان في اللّفظ أحد عشر حرفًا، لكنّه في الرّسم عشرة.

أقول: وفيه تأمّل إذ الملفوظ أولى بالاعتبار، بل الأظهر موافقة المكتوب له.

وأمّا أعداد حروف القرآن فهي ثلاثمائة وأحد وعشرون ألفًا و شيء زائد اختلفوا في تعيينه، فعن أهل الحرمين مائتان وخمسون، وعن البَصْريّين مائتان، وعن الكوفيّين مائة و ثمانون، وعن الشّاميّ مثله بزيادة ثمانية. وربّما يُحْكى عن مجاهد مائة وعشرون، وعن غيره أقوال أُخر ربّما تزيد على ما سمعت بكثير، لكنّه لاداعي للتّعرّض لها، سيّما بعد ما سمعت في النّبويّ المحكيّ عن «مجمع البيان»: أنّ جميع حروف القرآن ثلاثمائة ألفٍ و أحد وعشرون ألفَ

١ـ النّور / ٥٥.

٢ـ الحِجر / ٢٢.

حرف ومائتان وخمسون حرفًا وهو الموافق للمحكيّ عن أهل الحرمين.

ثمّ إنّه قد روي عن مولانا الصّادق عليه السلام: «أنّ من تعلّم من القرآن حرفًا، كتب الله له عشر حَسَنات، ومحا عنه عشر سيّئات، و رفع له عشر درجات»، ثمّ قال عليه السلام: «لا أقول: بكلّ آية، ولكن بكلّ حرف (باءً) أو (تاءً) أو شبههما»، قال: «ومَنْ قرأ حرفًا وهو جالس في صلاة، كتب الله له به خمسين حسنةً، ومحا عنه خمسين سيّئةً، و رفع له خمسين درجةً، ومن قرأ حرفًا وهو قائم في صلاته، كتب الله له مائة حسنة، ومحا عنه مائة سيّئة، ورفع له مائة درجة»[1]...

وعلى هذا فيكتب لمن تكلّم كلّ القرآن مضروب العدد المذكور على عشرة، و هو ثلاثة آلاف ألف ومائتان واثنتا عشر ألفًا وخمسمائة حسنة (٣٢١٢٥٠٠). ويمحي عنه بهذا العدد من السّيئة، وترفع له بهذا العدد درجة، ولمن قرأه و هوجالس في صلاة مضروبة في خمسين، وهو ستّة عشر ألف ألف واثنان وستّون ألفًا وخمسمائة (١٦٠٦٢٥٠٠) بالنّسبة إلى كلّ من الثّلاثة، ولمن قرأه قائمًا فيها مضروبة في مائة وهو اثنان وثلاثون ألف ألف ومائة وخمسة وعشرون ألفًا (٣٢١٢٥٠٠٠)، والله يرزق من يشاء بغير حساب.

ثمّ إنّ أكثر الحروف دورانًا في الكتاب العزيز، بل في مطلق الكلام هو الألف، حتّى لايكاد يخلو منها شيء من الكلام القصير، فضلًا عن الخُطَب والكتب الطّويلة، و إن أنشد مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام خطبة طويلة خالية منها على وجه الارتجال، وليس ببدعٍ من غرائبه البديعة روحي له الفداء! أوّلها: «حَمَدْتُ مَنْ عَظُمَتْ مِنَّتُه، وَسَبَقَتْ غَضَبَهُ رَحْمَتُهُ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ، وَنَفَذَتْ مَشِيَّتُهُ»، الخطبة بطولها[2].

كما أنّه عليه السلام أنشد خطبة طويلة[3] خالية من النُّقَط مع كثرة دورانها في الكلام، أوّلها: «الحمد لله الملك المحمود، المالك الودود، وكلّ مطرود»، الخطبة بطولها. وربّما يروي عنه خطبة

١ــوسائل الشّيعة ٤: ٨٤١ ح٧٦٩٦.

٢ــالوافي للفيض الكاشانيّ ٢: ٢٦٥ ط: الإسلاميّة بطهران.

٣ــهذه الخطبة مرويّة بطرق عديدة، رواها العلّامة المجلسيّ في المجلّد السّابع عشر من البحار عن مصباح الكَفْعمي باختلاف شديد وقال في المجلّد التّاسع منه، وروى الكلبيّ عن أبي صالح إلخ.

أُخرى في ذلك، كما رواه ابن شهر أشوب في «المناقب» قال: روى الكَلْبيّ عن أبي صالح، وأبو جعفر بن بابَوَيه بإسناده عن الرّضا عن آبائه عليهم السلام: أنّه اجتمعت الصّحابة، فتذاكروا أنّ الألف أكثر دخولًا في الكلام، فارتجل الخطبة المونقة، أوّلها: «حمدت من عظمت» إلخ، ثمّ ارتجل خطبة أُخرى من غير النُّقَط الّتي أوّلها: «الحمدالله أهل الحمد ومأواه، أوْكَد الحمد وأحلاه، و أسرع الحمد وأسراه، وأطهر الحمد وأسماه، وأكرم الحمد وأولاه» إلى آخرها[١]...

وبالجملة، فجميع الألفات المذكورة في القرآن ـ على قول عبدالعزيز المُزَنيّ الّذي قيل: إنّه أشهر الأقوال ـ ثمانية و أربعون ألفًا وثمانمائة (٤٨٨٠٠)، وهو أكثر الحروف دورانًا في الكتاب العزيز، كما أقلّها الظّاء المُشالَة، وعدّة ما ورد منها فيه اثنان وثمانمائة (٨٠٢)، و غيرهما متوسّطات في ذلك، مضبوطة الأعداد عند المعتنين بهذا الشّأن.

(٢: ١٦٥ـ١٧٣)

١ـ مناقب آل أبي طالب ٢: ٤٨ ط المطبة العلميّة بقُم.

الفصل السّابع والعشرون

نصّ الزُّرقانيّ (م: ١٣٦٨) في «مناهل العرفان...»

معنى الآية

آيات القرآن جمع آية، والآية تطلق في لسان اللّغة بإطلاقات:

أوّلها ـ المعجزة، ومنه قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [١] أي معجزة واضحة.

ثانيها ـ العلامة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [٢] أي علامة مُلكه.

ثالثها ـ العبرة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً﴾ [٣] أي عبرةً لمن يعتبر.

رابعها ـ الأمر العَجيب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [٤].

خامسها ـ الجماعة، ومنه قولهم: خرج القوم بآيتهم، أي بجماعتهم، والمعنى أنّهم لم يَدَعوا وراءهم شيئًا.

سادسها ـ البرهان والدّليل، نحو قوله جلّ ذكره: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ

---

١ ـ البقرة / ٢١١.

٢ ـ البقرة / ٢٤٨.

٣ ـ البقرة / ٢٤٨.

٤ ـ المؤمنون / ٥٠.

وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[١]، والمعنى أنّ من براهين وجود الله واقتداره واتّصافه بالكمال خلق عوالم السّماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان. تلك كلّها إطلاقات لغويّة، وقد يستلزم بعضها بعضًا.

ثمّ خُصّت الآية في الاصطلاح بأنّها طائفة ذات مَطْلع ومَقْطع مندرجة في سورة من القرآن. والمناسبة بين هذا المعنى الاصطلاحيّ والمعاني اللّغويّة السّالفة واضحة، لأنّ الآية القرآنيّة معجزة ولو باعتبار انضمام غيرها إليها، ثمّ هي علامة على صدق من جاء بها ﷺ وفيها عبرة، وذكرى لمن أراد أن يتذكّر، وهي من الأُمور العجيبة لمكانها من السُّمُوّ والإعجاز، وفيها معنى الجماعة، لأنّها مؤلّفة من جملة كلمات وحروف، وفيها معنى البرهان والدّليل على ما تضمّنته من هداية وعلم، وعلى قدرة الله وعلمه وحكمته، وعلى صدق رسوله في رسالته.

طريقة معرفة الآية

لا سبيل إلى معرفة آيات القرآن إلّا بتوقيف من الشّارع، لأنّه ليس للقياس والرّأي مجال فيها، إنّما هو محض تعليم وإرشاد، بدليل أنّ العلماء عَدُّوا «آلمّص» آيةً ولم يَعُدّوا نظيرها وهو «آلمّر» آيةً، وعَدُّوا «يسٓ» آيةً، ولم يعدّوا نظيرها وهو «طسٓ» آيةً، و عَدُّوا «حمٓعسٓقٓ» آيتين، ولم يعدّوا نظيرها وهو «كهيعصٓ» آيتين بل آيةً واحدةً، فلو كان الأمر مبنيًّا على القياس، لكان حكم المثلين واحدًا فيما ذكر، ولم يجئ هكذا مختلفًا.

ذلك مذهب الكوفيّين، لأنّهم عدّوا كلّ فاتحة من فواتح السُّوَر الّتي فيها شيء من حروف الهجاء آية سوى «حمٓعسٓقٓ»، فإنّهم عَدُّوها آيتين، وسوى «طسٓ» ولم يعدّوا من الآيات ما فيه «ر» وهو «آلر» و «آلمّر» وما كان مفردًا وهو «قٓ، صٓ، نٓ» أي لم يعدّوا شيئًا منها آيةً.

وغير الكوفيّين لا يعتبرون شيئًا من الفواتح آية إطلاقًا. وحيث قلنا: إنّ المسألة توقيفيّة، فلا يشتبهنّ عليك هذا الخلاف، لأنّ كلًّا وقف عند حدود ما بلغه أو علمه. ولا تقولنّ: كيف عدّوا ما هو كلمة واحدة آية؟ لأنّ الوارد عن الشّارع هو هذا، كما عدّت كلمة «الرّحمن» في

١ـ الرّوم / ٢٢.

صدر سورة «الرّحمن» آيةً، وكما عدّت كلمة ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ آيةً، وقوفًا عند الوارد.

أخرج البخاريّ وأبو داود والنّسائيّ عن أبي سعيد بن المعلّى قال: «كنت أُصلّي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، ثمّ أتيته فقلت: يا رسول الله إنّي كنت أُصلّي. فقال ألم يقل الله تعالى: ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]، ثمّ قال: لأعلمنّك سورةً هي أعظم السُّوَر في القرآن قبل أن تخرج من المسجد. ثمّ أخذ بيدي، فلمّا أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنّك سورةً هي أعظم سورةٍ في القرآن؟ قال: ﴿اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هي السّبع المثاني والقرآن العظيم الّذي أُوتيتُه»، فهذا الحديث يدلّ على أنّ الفاتحة سبع آيات، وعلى أنّها هي المرادة بالسّبع المثاني في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾[2].

وأخرج التِّرمِذيّ والحاكم عن أبي هُرَيرة أنّه قال: قال النّبيّ ﷺ: «إنّ لكلّ شيءٍ سنامًا، وإنّ سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيّدة آي القرآن؛ آية الكرسيّ».

وأخرج مسلم والتِّرمِذيّ عن أُبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر! أتدري أيّ آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: ﴿اَللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ فضرب في صدري وقال ليهنّك العلم أبا المنذر».

وأخرج الخمسة إلّا النّسائيّ عن أبي مسعود البَدريّ، أنّه قال: قال النّبيّ ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة، كفتاه».

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود قال: «أقرأني رسول الله ﷺ سورةً من الثّلاثين من «آل حم» قال: يعني الأحقاف، لأنّ السّورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آيةً سُمّيت الثّلاثين».

وقال ابن العربيّ: ذكر النّبيّ ﷺ: «أنّ الفاتحة سبع آيات، وسورة المُلك ثلاثون آيةً».

١ـ الأنفال / ٢٤.

٢ـ الحجر / ٨٧.

رأي آخر:

وبعض العلماء يذهب إلى أنّ معرفة الآيات منه ما هو سماعيٌّ توقيفيٌّ، ومنها ما هو قياسيّ، ومرجع ذلك إلى الفاصلة، وهي الكلمة الّتي تكون آخر الآية، نظيرها قرينة السّجع في النّثر وقافية البيت في الشّعر. يقولون فما ثبت أنّ النّبيّ ﷺ وقف عليه دائمًا تحقّقنا أنّه فاصلة، وما وصله دائمًا تحقّقنا أنّه ليس فاصلة، وما وقف عليه مرّة ووصله أُخرى، احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة، أو لتعريف الوقف التّامّ، أو للاستراحة، واحتمل الوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدّم تعريفها.

وفي هذا مجال للقياس، وهو ما أُلحق غير المنصوص عليه بالمنصوص عليه لأمر يقتضي ذلك، ولا محظور فيه لأنّه لا يؤدّي إلى زيادة ولا نقصان في القرآن، وإنّما غايته تعيين محلّ الفصل أو الوصل. وقد يلاحظ في الكلمة الواحدة من القرآن أمران، يقتضي أحدهما عدّها من الفواصل والآخر يقتضي خلاف ذلك. مثال ذلك كلمة «عَلَيْهِمْ» الأُولى في سورة الفاتحة، منهم من يعتبرها رأس آية، ومنهم من لا يراها كذلك.

وسبب هذا أنّهم اختلفوا في «البَسْمَلة» أهي آية من الفاتحة أم لا ؟ مع اتّفاقهم على أنّ عدد آيات الفاتحة سبع. فالّذين ذهبوا إلى أنّ «البَسْمَلة» آية من الفاتحة جعلوا ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إلى آخر السُّورة آية واحدة. والّذين ذهبوا إلى أنّ «البَسْمَلة» ليست آية منها، جعلوا الآية السّابعة ما بعد كلمة «عَلَيْهِمْ» الأُولى، واعتبروا هذه الكلمة فاصلة لوقوعها في آخر الآية السّادسة.

ومن المرجّحات؛ لعدّها فاصلة تحقّق التّناسب بين الآيات في المقدار، بخلاف ما إذا لم يعتبر فاصلة، فإنّ هذه الآية الأخيرة تطول وتزيد على ما سواها كثيرًا. ومن المرجّحات؛ لعدم عدّها فاصلة أنّها لا تشاكل فواصل الفاتحة، فإنّه جاء في كلّ واحدة منها قبل الحرف الأخير ياء مدّ بخلاف هذه. أضف إلى ذلك أنّه لم تجئ فاصلة على هذا النّمط في سورة من السُّوَر.

واعلم! أنّه قد تطلق الآية القرآنيّة ويراد بعضها أو أكثر، ولكن على ضرب من المجاز والتّوسّع، فلا تتوقّفن فيه. مثال إطلاق الآية على بعضها، قول ابن عبّاس: «أرجى آية في

القرآن ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[١]، فإنّ هذه الجملة الكريمة بعض آية باتّفاق. ومثال إطلاق الآية على أكثر منها قول ابن مسعود: أحكم آية ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٢]، فإنّهما آيتان باتّفاق.

عدد آيات القرآن

قال صاحب «التّبيان» ما نصّه: وأمّا عدد آي القرآن فقد اتّفق العادّون على أنّه ستّة آلاف ومائتا آية وكسر، إلّا أنّ هذا الكسر يختلف مبلغه باختلاف أعدادهم:

ففي عدد المدنيّ الأوّل سبع عشرة، وبه قال نافع.

وفي عدد المدنيّ الأخير أربع عشرة عند شَيْبة، وعشر عند أبي جعفر.

وفي عدد المكّيّ عشرون. وفي عدد الكوفي ستّ وثلاثون، وهو مرويّ عن حمزة الزّيّات.

وفي عدد البَصْريّ خمس، وهو مرويّ عن عاصم الجَحْدَريّ، وفي رواية عنه أربع، وبه قال أيّوب بن المتوكّل البَصْريّ، وفي رواية عن البَصْريّين أنّهم قالوا: تسع عشرة، ورُوِي ذلك عن قَتادة.

وفي عدد الشّاميّ ستّ وعشرون، وهو مرويّ عن يحيى بن الحارث... اهـ.

وقال صاحب «التّبيان» أيضًا قبل ذلك ما نصّه: عدد المكّيّ منسوب إلى عبد الله بن كثير أحد السّبعة، وهو يروي ذلك عن مجاهد، عن ابن عبّاس عن أُبيّ بن كعب. وعدد المدنيّ على ضربين: عدد المدنيّ الأوّل وعدد المدنيّ الأخير، فعدد المدنيّ الأوّل غير منسوب إلى أحد بعينه، وإنّما نقله أهل الكوفة عن أهل المدينة مرسلًا، ولم يسمّوا في ذلك أحدًا، وكانوا يأخذون به وإن كان لهم عدد مخصوص.

وعدد المدنيّ الأخير منسوب إلى أبي جعفر بن يزيد بن القعقاع أحد العشرة، وشيبة بن نِصَاح، وقد رواه عنهما إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاريّ بواسطة سُليمان بن جَمّاز.

---

١ ـ الرّعد / ٦.

٢ ـ الزّلزلة / ٨.

وقد وهم من نسب عدد المدنيّ الأوّل إلى أبي جعفر وشَيْبة، وعدد المدنيّ الأخير إلى إسماعيل بن جعفر. وكأنّ الّذي أوقعه في ذلك ما ذكر في بعض الكتب من أنّ نافعًا روى عنهما عدد المدنيّ الأوّل، وأنّ أبا عمرو عَرَض العدد المذكور على أبي جعفر، فإنّ رواية ذلك عنهما لاتقتضي نسبته إليهما. وأمّا نسبة عدد المدنيّ الأخير إليهما فهو ممّا لاريب فيه» اهـ. ما أردنا نقله، تنويرًا في هذا الموضوع الّذي اضطربت فيه بعض النّقول.

سبب هذا الاختلاف:

سبب هذا الاختلاف أنّ النّبيّ ﷺ كان يقف على رؤوس الآي تعليمًا لأصحابه أنّها رؤوس آي، حتّى إذا علموا ذلك وَصَل ﷺ الآية بما بعدها طلبًا لتمام المعنى، فيظنّ بعض النّاس أنّ ما وقف عليه النّبيّ ﷺ ليس فاصلة، فيصلها بما بعدها معتبرًا أنّ الجميع آية واحدة، والبعض يعتبرها آية مستقلّة فلايصلها بما بعدها. وقد علمت أنّ الخطب في ذلك سهل، لأنّه لايترتّب عليه في القرآن زيادة ولا نقص. وآيات القرآن مختلفة في الطُّول والقصر، فأطول آية هي الدَّين في سورة البقرة الّتي هي أطول سورة، وأقصر آية كلمة «يسٓ» الواقعة في صدر سورة «يسٓ».

فوائد معرفة الآيات

يزعم بعض النّاس أنّه لا فائدة من معرفة آيات القرآن، وللرّدّ عليهم نذكر لهذه المعرفة ثلاث فوائد لا فائدة واحدة:

الفائدة الأُولى ـ العلم بأنّ كلّ ثلاث آيات قصار معجزة للنّبيّ ﷺ. وفي حكمها الآية الطّويلة الّتي تعدل بطولها تلك الثّلاث القصار. ووجه ذلك: أنّ الله تعالى أعلن التّحدّي بالسّورة الواحدة، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[1]. والسّورة تصدق بأقصر سورة كما تصدق بأُطول سورة. وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر، وهي ثلاث آيات قصار. فثبت أنّ كلّ ثلاث آيات قصار معجزة، وفي قوّتها

---

١ ـ البقرة / ٢٣.

الآية الواحدة الطّويلة الّتي تكافئها.

الفائدة الثّانية ــ حُسْن الوقف على رؤوس الآي عند من يرى أنّ الوقف على الفواصل سُنَّة، بناءً على ظاهر الحديث الّذي استدلّوا به فيما يرويه أبوداود عن أمّ سَلَمة (رضي الله عنها): أنّ النّبيّ ﷺ كان إذا قرأ قطّع قراءته آيةً آيةً، يقول: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ثمّ يقف، ﴿اَلْحَمْدُلِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثمّ يقف، ﴿اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ثمّ يقف.

قال صاحب «التّبيان» في موضع آخر ما نصّه: «قال بعض العلماء: وفي الاستدلال به ـ أي بذلك الحديث ـ على ما ذكر نظر، وذلك لأنّه حديث غريب غير متّصل الإسناد. رواه يحيى بن سعد الأُمويّ وغيره عن ابن جُرَيْج، عن ابن أبي مُلَيكة عن أُمّ سَلَمة. والأصحّ ما رواه اللّيث عن ابن أبي مُلَيكة عن يعلى بن مالك أنّه سأل أُمّ سَلَمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته؟ فقالت: مالكم وصلاته؟ ثمّ نَعَتَت قراءته مفسَّرةً حرفًا حرفًا. ذكر ذلك التِّرمذيّ.

أقول: ويمكن الجمع بين هذين الحديثين بأنّ النّبيّ ﷺ كان تارةً يقف على كلّ فاصلة ولو لم يتمّ المعنى، بيانًا لرؤوس الآي. وكان تارةً يتبع في الوقف تمام المعنى، فلا يلتزم أن يقف على رؤوس الآي، لتكون قراءته مفسّرة حرفًا حرفًا. وعلى هذا يمكن أن يقال: حيثما كان النّاس في حاجة إلى بيان الآيات، حَسُن الوقف على رؤوس الآي، ولولم يتمّ المعنى، وحيثما كان النّاس في غنًى عن معرفة رؤوس الآي، لم يحسن الوقف إلّا حيث يتمّ المعنى. ويحتمل أنّ كلمة «مُفَسَّرةً حرفًا حرفًا» في الحديث الآنف يراد بها التّرتيل وإخراج الحروف من مخارجها، فلا تعارض الحديث الأوّل.

الفائدة الثّالثة ــ اعتبار الآيات في الصّلاة والخطبة، قال السُّيوطيّ ما نصّه: يترتّب على معرفة الآي وعددها وفواصلها أحكام فقهيّة... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ ذكر قول الهُذَليّ والزّعفرانيّ، كما تقدّم أيضًا عن السّيوطيّ، فقال:] غير أنّا لا ندري ما الّذي أراده الهُذَليّ على التّعيين من كلامه هذا؟ ولا عن أيّ مذهب يتحدّث؟. (١: ٣٣١ـ٣٣٩)

الفصل الثّامن و العشرون

نصّ ابن عاشور (م:١٣٩٣) في «التّحرير و التّنوير»

آيات القرآن

الآيـة: هي مقدار من القرآن مركّب ولو تقديرًا أو إلحاقًا، فقولي: «ولو تقديرًا» لإدخـال قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[1] إذ التّقدير «هما مُدهامّتان» ونحو: ﴿وَالْفَجْرِ﴾[2]،إذ التّقـدير أُقسم بالفجر. و قولي: «أو إلحاقًا» لإدخال بعض فواتح السُّوَر من الحروف المقطّعة، فقد عُدّ أكثرها في المصاحف آيات، ما عدا الر و المّر وطسٓ، وذلك أمر توقيفيّ وسُنّة متّبعة، ولا يظهـر فـرق بينها و بين غيرها.

وتسمية هذه الأجزاء آيات هو من مبتكرات القرآن، قال تعالى: ﴿هُوَالَّذِى اَنْـزَلَ عَلَيْـكَ الْكِتَابَ مِنْهُ اٰيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾[3] و قال: ﴿كِتَابٌ اُحْكِمَتْ اٰيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾[4] وإنّما سُمّيت آيـةً لأنّها دليل على أنّها موحى بها من عندالله إلى النّبيّ ﷺ، لأنّها تشتمل على ما هو مـن الحـدّ الأعلى في بلاغة نظم الكلام،و لأنّها لوقوعها مع غيرها من الآيات جُعلـت دلـيلًا علـى أنّ القرآن مُنْزَل من عندالله وليس من تأليف البـشر، إذ قـد تحـدّى الـنّبيّ بـه أهـل الفـصاحة و البلاغة من أهل اللّسان العربيّ، فعجزوا عن تأليف مثل سورة من سُوَره. فلذا لا يحقّ لجُمل

١ـ الرّحمن/ ٦٤.

٢ـ الفجر/ ١.

٣ـ آل عمران/ ٧.

٤ـ هود/ ١.

التّوراة والإنجيل أن تسمّي آيات، إذ ليست فيها هذه الخصوصيّة في اللّغة العبرانيّة و الآراميّة.

وأمّا ما ورد في حديث رجم اليَهُوديَّيْن اللّذَيْنِ زنيا من قول الرّاوي: «فوضع الّذي نَشَرَ التّوراةَ يدَه على آية الرّجم» فذلك تعبير غَلَب على لسان الرّاوي على وجه المشاكلة التّقديريّة تشبيهًا بجمل القرآن، إذ لم يَجِدْ لها اسمًا يعبِّر به عنها.

وتحديد مقادير الآيات مرويّ عن النّبيّ ﷺ، وقد تَخْتلف الرّواية في بعض الآيات، و هو محمول على التّخيير في حدّ تلك الآيات الّتي تختلف فيها الرّواية في تعين منتهاها و مُبتدإ ما بعدها، فكان أصحاب النّبيّ ﷺ على علم من تحديد الآيات.

قلت: وفي الحديث الصّحيح «أنّ فاتحة الكتاب السّبع المثاني، أي السّبع الآيات». و في الحديث: «من قرأ العشر الخواتم من آخر آل عمران» و هي الآيات الّتي أوّلها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1] إلى آخر السّورة.

وكان المسلمون في عصر النّبوءة وما بعده يُقَدِّرون تارة بعض الأوقات بمقدار ما يَقْرأ القارئ عددًا من الآيات، كما ورد في حديث سُحور النّبيّ ﷺ أنّه كان بينه و بين طلوع الفجر مقدارُ ما يقرأ القارئ خمسين آيةً. وقصير، ومنه ما ينقطع ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام»، وقال الزَّمَخشريّ: «الآيات علم توقيفيّ».

وأنا أقول: لا يبعد أن يكون تعيين مقدار الآية تبعًا لانتهاء نزولها، و أمارته وقوع الفاصلة. والّذي استخلصته أنّ الفواصل هي الكلمات الّتي تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب، مع تماثل أو تقارب صِيَغ النّطق بها، وتَكرَّر في السّورة تكرّرًا يؤذن بأنّ تماثلها أو تقاربها مقصود من النّظم في آياته كثيرة متماثلة، تكثر وتقلّ، وأكثرها قريب من الأسجاع في الكلام المسجوع. والعبرة فيها بتماثل صيغ الكلمات من حركاتٍ وسكونٍ، و هي أكثر شبهًا بالتزام ما لا يلزم في القوافي، وأكثرها جارٍ على أُسلوب الأسجاع.

والّذي استخلصته أيضًا أنّ تلك الفواصل كلّها منتهى آيات، و لو كان الكلام الّذي تقع فيه

١ـ آل عمران/ ١٩.

لم يتمّ فيه الغرض المسوق إليه، و أنّه إذا انتهى الغرض المقصود من الكلام ولم تقع عند انتهائه فاصلة، لايكون منتهى الكلام نهاية آية إلّا نادرًا، كقوله تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[١]، فهذا المقدار عُدّ آية و هو لم ينته بفاصلة، ومثله نادر، فإنّ فواصل تلك الآيات الواقعة في أوّل السّورة أُقيمت على حرف مفتوح بعد ألف مُدّ بعدها حرف، مثل: شِقاق، مَناص، كَذّاب، عُجاب.

وفواصل بُنيت على حرف مضموم مشبّع بواو، أوعلى حرف مكسور مشبّع بياء ساكنة، وبعد ذلك حرف، مثل: ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[٢]، ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾[٣]، ﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٤]، ﴿مِنْ طِينٍ﴾[٥]. فلو انتهى الغرض الّذي سيق له الكلام، وكانت فاصلة تأتي بعد انتهاء الكلام، تكون الآية غير منتهية ولو طالت، كقوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾[٦] إلى قوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[٧]، فهذه الجمل كلّها عدّت آية واحدة.

واعلم! أنّ هذه الفواصل من جملة المقصود من الإعجاز، لأنّها ترجع إلى محسّنات الكلام، و هي من جانب فصاحة الكلام، فمن الغرض البلاغيّ الوقوف عند الفواصل، لتقع في الأسماع فتتأثّر نفوس السّامعين بمحاسن ذلك التّماثل، كما تتأثّر بالقوافي في الشّعر وبالأسجاع في الكلام المسجوع.

فإنّ قوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾[٨]، ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي

١ـ ص/ ١.

٢ـ ص/ ٦٨.

٣ـ الإسراء/ ٤٧.

٤ـ الأعراف/ ١٨٤.

٥ـ الأنعام/ ٢.

٦ـ ص/ ٢٤.

٧ـ ص/ ٢٤.

٨ـ غافر/ ٧١.

النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾[١]، ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[٢] ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾[٣] الآيات. فقوله: ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾[٤] متّصل بقوله: ﴿يُسْحَبُونَ﴾، وقوله: ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾[٥] متّصل بقوله: ﴿تُشْرِكُونَ﴾، وينبغي الوقف عند نهاية كلّ آية منها.

وقوله تعالى: ﴿وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ آية، و قوله: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾[٦] ابتداء الآية بعدها.

ألا ترى أنّ من الإضاعة لدقائق الشّعر أن يلقيه ملقيه على مسامع النّاس دون وقف عند قوافيه؟ فإنّ ذلك إضاعة لجهود الشّعراء، و تغطية على محاسن الشّعر، وإلحاق للشّعر بالنّثر. وإنّ إلقاء السّجع دون وقوف عند أسجاعه هو كذلك لا محالة. ومن السّذاجة أن ينصرف ملقي الكلام عن محافظة هذه الدّقائق، فيكون مضيّعًا لأمر نفيس أجهد فيه قائله نفسه وعنايته. والعلّة بأنّه يريد أن يبيّن للسّامعين معاني الكلام فضول، فإنّ البيان وظيفة ملقي درس لا وظيفة مُنشد الشّعر، و لو كان هو الشّاعر نفسه.

وفي «الإتقان» عن أبي عمرو قال بعضهم: الوقف على رؤوس الآي سنّة. وفيه عن البَيْهقيّ في «شُعَب الإيمان»: الأفضل الوقف على رؤوس الآيات، وإن تعلّقت بما بعدها اتّباعًا لهدي رسول الله ﷺ و سنّته...[ثمّ ذكر قول أُمّ سَلَمة في قراءة النّبيّ ﷺ، كما تقدّم عن الزُّرقانيّ]

على أنّ وراء هذا وجوب اتّباع المأثور من تحديد الآي كما قال ابن العربيّ والزّمخشريّ، ولكنّ ذلك لا يصدّنا عن محاولة ضوابط تنفع النّاظر و إن شذّ عنها ما شذّ. ألا ترى أنّ بعض الحروف المقطّعة الّتي افتتحت بها بعض السُّوَر قد عدّ بعضها آيات مثل: الٓمٓ، الٓمٓصٓ، كهيعصٓ،

١ـ غافر/ ٧٢.

٢ـ غافر/ ٧٣.

٣ـ غافر/ ٧٤.

٤ـ غافر/ ٧١.

٥ـ هود/ ٥٤.

٦ـ هود/ ٥٥.

عسق، طسم، يس، حم، طه. ولم تعدّ: الر، المر، طس، ص، ق، ن، آيات. و آيات القرآن متفاوتة في مقادير كلماتها، فبعضها أطول من بعض، ولذلك فتقدير الزّمان بها في قولهم: مقدار ما يقرأ القارئ خمسين آيةً مثلًا، تقدير تقريبيّ، وتفاوت الآيات في الطُّول تابع لما يقتضيه مقام البلاغة من مواقع كلمات الفواصل على حسب ما قبلها من الكلام.

وأطول آية قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[1] إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ في سورة الفتح وقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَنَ﴾[2] إلى قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ في سورة البقرة. ودونهما قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾[3] إلى قوله: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ في سورة النّساء. وأقصر آية في عدد الكلمات قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾[4] في سورة الرّحمن وفي عدد الحروف المقطّعة قوله: ﴿طه﴾.

وأمّا وقوف القرآن فقد لا تُساير نهايات الآيات، ولا ارتباط لها بنهايات الآيات، فقد يكون في آية واحدة عدّة وقوف كما في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ (وقف) وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ (وقف) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾[5] (وقف، ومنتهى الآية) في سورة فصّلت ... فأمّا ما اختلف السّلف فيه من عدد آيات القرآن بناءً على الاختلاف في نهاية بعضها، فقد يكون بعض ذلك عن اختلاف في الرّواية كما قدّمنا آنفًا، وقد يكون بعضه عن اختلاف الاجتهاد...

[ثمّ ذكر قول الدّانيّ في عدد الآي من القرآن كما تقدّم عن السّيوطيّ، فقال:]

قال المازريّ في «شرح البرهان»: قال مكّيّ بن أبي طالب: قد أجمع أهل العدد من أهل

---

١ ـ الفتح / ٢٥.

٢ ـ البقرة / ١٠١ـ١٠٢.

٣ ـ النّساء / ٢٢ـ٢٣.

٤ ـ الرّحمن / ٦٤.

٥ ـ فصّلت / ٤٧.

الكوفة والبَصْرة والمدينة والشّام على ترك عدّ البَسْمَلة آيةً في أوّل كلّ سورة، وإنّما اختلفوا في عدّها وتركها في سورة الحمد لا غير، فعدّها آيةً الكوفيّ والمكّيّ، ولم يعدّها آية البَصْريّ ولا الشّاميّ ولا المدنيّ. و في «الإتقان» كلام في الضّابط الأوّل من الضّوابط غير محرّر، وهو آيل إلى ما قاله المازرِيّ، ورأيت في عدّ بعض السُّوَر أنّ المُصْحَف المدنيّ عدّ آيَها أكثر ممّا في الكوفيّ، ولوعنوا عدّ البَسْمَلة لكان الكوفيّ أكثر.

وكان لأهل المدينة عددان، يعرف أحدهما بالأوّل و يعرف الآخَر بالأخير، و معنى ذلك أنّ الّذين تصدّوا لعدّ الآي بالمدينة من أئمّة القُرّاء هم: أبو جعفر يزيد بن القَعقاع، وأبو نِصاح شَيْبةَ بن نِصاح، و أبو عبدالرّحمان عبدالله بن حبيب السُّلَميّ، وإسماعيل بن جعفر بن كثير الأنصاريّ، وقد اتّفق هؤلاء الأربعة على عدد، وهو المسمّى بالعدد الأوّل، ثمّ خالفهم إسماعيل بن جعفر بعدد انفرد به، وهو الّذي يقال له: العدد الثّاني، و قد رأيت هذا ينسب إلى أيّوب بن المتوكّل البَصْريّ المتوفّى سنة ٢٠٠.

ولأهل مكّة عدد واحد، وربّما اتّفقوا في عدد آي السّورة المعيّنة، وربّما اختلفوا قد يوجد اختلاف تارةً في مصاحف الكوفة و البَصْرة و الشّام، كما نجد في «تفسير المهدويّ» وفي «كتب علوم القرآن»، ولذلك تجد المفسّرين يقولون في بعض السُّوَر: عدد آياتها في المُصْحَف الفلانيّ كذا. وقد كان عدد آي السُّوَر معروفًا في زمن النّبيّ ﷺ، و روى محمّد بن السّائب عن ابن عبّاس أنّه لمّا نزلت آخر آية و هي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾[1] الآية، قال جبريل للنّبيّ ﷺ: ضَعها في رأس ثمانين ومائتين من سورة البقرة، و استمرّ العمل بِعَدِّ الآي في عصر الصّحابة، ففي «صحيح البخاريّ» عن سعيد بن جُبَير عن ابن عبّاس قال: إذا سرّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثّلاثين ومائة من سورة الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ..﴾[2]. (١: ٧٣ـ ٧٧)

١ـ البقرة/ ٢٨١.

٢ـ الأنعام/ ١٤٠.

الفصل التّاسع و العشرون

نصّ العلاّمة الطّباطبائيّ (م: ١٤٠٢) في «الميزان في تفسير القرآن»

﴿الٓر تِلْكَ اٰيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يونس / ١

و الآية: ومعناها العلامة، وإن كان من الجائز أن يسمّى بها ما هو من قبيل المعاني أو الأعيان الخارجيّة، كما في قوله: ﴿اَوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ اٰيَةً اَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي اِسْرَائِيلَ﴾ [1]، وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا اٰيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [2]، وكذا ما هو من قبيل القول، كما في قوله ظاهرًا: ﴿وَاِذَا بَدَّلْنَا اٰيَةً مَكَانَ اٰيَةٍ﴾ [3]. ونحو ذلك.

لكنّ المراد بـ الآيات ههنا هي أجزاء الكلام الإلهيّ قطعًا، فإنّ الكلام في الوحي النّازل على النّبيّ ﷺ ـ وهو كلام متلوٌّ مقروءٌ بأيّ معنًى من المعاني ـ صُوَرٌ لنزول الوحي.

فالمراد بالآيات أجزاء الكتاب الإلهيّ، وتتعيّن في الجملة من جهة المقاطع الّتي تفصل الآيات بعضها من بعض، مع إعانة ما من ذوق التّفاهم، ولذلك ربّما وقع الخلاف في عدد آيات بعض السُّوَر بين علماء الإحصاء كالكوفيّين والبصْريّين وغيرهم. (١٠: ٧ـ٨)

﴿ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ الحجر / ٧٥

الآية: العلامة، والمراد بالآيات:

أوّلًا ـ العلامات الدّالّة على وقوع الحادثة من بقايا الآثار.

١ـ الشّعراء / ١٩٧.

٢ـ الأنبياء / ٩١.

٣ـ النّحل / ١٠١.

و ثانيًا ـ العلامة الدّالّة للمؤمنين على حقّيّة الإنذار والدّعوة الإلهيّة. (١٢: ١٨٥)

عدد الآيات

[بعد ذكر قول في معنى السُّورة كما تقدّم عنه في بابه، قال:]

ونظيره القول في الآية، فقد تكرّر في كلامه تعالى إطلاق الآيه على قطعة من الكلام، كقوله: ﴿وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ اٰيَاتُهُ زَادَتْهُمْ اِيمَانًا﴾ [١]، وقوله: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ اٰيَاتُهُ قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [٢]، وقد روى عن أُمّ سَلَمة أنّ النّبيّ ﷺ كان يقف على رؤوس الآي، وصحّ أنّ سورة الحمد سبع آيات، وروي عنه ﷺ: أنّ سورة المُلْك ثلاثون آية، إلى غير ذلك ممّا يدلّ على وقوع العدد على الآيات في كلام النّبيّ ﷺ.

والّذي يعطيه التّأمّل في انقسام الكلام العربيّ إلى قِطَع وفصول بالطّبع ـ وخاصّة فيما كان من الكلام مسجّعًا، ثمّ التّدبّر فيما ورد عن النّبيّ ﷺ في أعداد الآيات ـ أنّ الآية من القرآن هي قطعة من الكلام من حقّها أن تعتمد عليها التّلاوة بفصلها عمّا قبلها وعمّا بعدها.

ويختلف ذلك باختلاف السّياقات وخاصّة في السّياقات المسجّعة، فربّما كانت كلمة واحدة كقوله: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [٣]، وربّما كانت كلمتين فصاعدًا كلامًا، أوغير كلام كقوله: ﴿اَلرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْاٰنَ * خَلَقَ الْاِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [٤]، وقوله: ﴿اَلْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا اَدْرٰيكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [٥] وربّما طالت كآية الدّيْن من البقرة / ٢٨٢... [ثمّ ذكر عدد السُّوَر كما تقدّم عنه في بابه، فقال:]

وأمّا عدد الآي، فلم يرد فيه نصّ متواتر يعرّف الآي، ويميّز كلّ آية من غيرها، ولا شيء من الآحاد يعتمد عليه، ومن أوضح الدّليل على ذلك اختلاف أهل العدد فيما بينهم، وهم

---

١ ـ الأنفال / ٢.

٢ ـ فصّلت / ٣.

٣ ـ الرّحمن / ٦٤.

٤ ـ الرّحمن / ١ ـ ٤.

٥ ـ الحاقّة / ١ ـ ٣.

المكّيّون والمدنيّون والشّاميّون والبَصْريّون والكوفيّون.

فقد قال بعضهم: إنّ مجموع القرآن ستّة آلاف آية، وقال بعضهم: ستّة آلاف ومائتان وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة، وقيل: وتسع عشرة، وقيل: وخمس وعشرون، وقيل: وستّ وثلاثون.

وقد روى المكّيّون عددهم عن عبد الله بن كثير، عن مُجاهد، عن ابن عبّاس، عن أُبيّ بن كعب. وللمدنيّين عددان ينتهي أحدهما إلى أبي جعفر مَرْثَد[1] بن القَعْقاع وشَيبة بن نِصاح، والآخر إلى إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاريّ. وروى أهل الشّام عددهم عن أبي الدَّرداء، وينتهي عدد أهل البَصْرة إلى عاصم بن العَجّاج الجَحْدَريّ، ويضاف عدد أهل الكوفة إلى حمزة والكسائيّ وخلف، قال حمزة: أخبرنا بهذا العدد ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرّحمان السُّلَميّ عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وبالجملة لمّا كانت الأعداد لا تنتهي إلى نصّ متواتر، أو واحد يعبأ به ويجوز الرّكون إليه، ويتميّز به كلّ آية عن أُختها، لا ملزم للأخذ بشيء منها، فما كان منها بيّنًا ظاهر الأمر فهو، وإلّا فللباحث المتدبّر أن يختار ما أدّى إليه نظره.

والّذي رُوِي عن عليّ عليه السلام من عدد الكوفيّين معارض بأنّ البَسْمَلة غير معدودة في شيء من السُّوَر ما خلا فاتحة الكتاب من آياتها، مع أنّ المرويّ عنه عليه السلام وعن غيره من أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّ البَسْمَله آية من القرآن، وهي جزء من كلّ سورة افتتحت بها، ولازم ذلك زيادة العدد بعدد البَسْمَلات. وهذا هو الّذي صرفنا عن إيراد تفاصيل ما ذكروه من العدد هاهنا، وذكر ما اتّفقوا على عدده من السُّوَر القرآنيّة وهي أربعون سورةً، وما اختلفوه في عدده أو في رؤوس آية من السُّوَر وهي أربع وسبعون سورةً، وكذا ما اتّفقوا على كونه آيةً تامّةً أو على عدم كونه آيةً مثل: ﴿الٓر﴾ أينما وقع من القرآن وما اختلف فيه، وعلى من أراد الاطّلاع على تفصيل ذلك أن يراجع مظانّه...[ثمّ ذكر ترتيب السُّوَر نزولاً عن السّيوطيّ

---

١ - كذا في الأصل، والصّواب «يزيد» كما في سائر المصادر. (م)

كما تقدّم عنه في باب الرّابع من الجزء الثّاني]. (١٣: ٢٣١-٢٣٣)

نصّه أيضًا في «القرآن في الإسلام»

[انتهاء عدد الآيات]

عدد الآيات القرآنيّة ينتهي إلى زمن الرّسول ﷺ، فقد رُوي عنه بعض الأحاديث الّتي يذكر فيها عدد خاصّ من آيات سورة، كآيات عشر من سورة آل عمران مثلًا، وحتّى رُوي عنه عدد آيات بعض السُّوَر أيضًا كسورة الفاتحة سبع آيات وسورة المُلْك ثلاثون آية. واختلفوا في عدد مجموع الآيات على ستّة أقوال ذكرها الدّانيّ... [ثمّ ذكر قوله، كما تقدّم عن السّيوطيّ، فقال:]

قولان من هذه الأقوال السّتّة لأهل المدينة، وأربعة أقوال لأهل بقيّة المُدُن الّتي أُرْسِل إليها مُصْحَف عُثمان، وهي مكّة والكوفة والبَصْرة والشّام. وكلّ صاحب قول من هذه الأقوال يسند رأيه إلى بعض الصّحابة، ثمّ يعتبرونها روايات موقوفة فينسبونها إلى النّبيّ ﷺ ومن هنا أعتبر الجمهور عدد الآيات والتّمييز بينها توقيفيًّا.

لأهل المدينة عددان كما ذكرنا؛ أحدهما لأبي جعفر يزيد بن القَعقاع وشَيبة بن نِصاح، والثّاني عدد إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاريّ.

وعدد أهل مكّة هو عدد ابن كثير، عن مُجاهد، عن ابن عبّاس، عن أُبيّ بن كعب.

وعدد أهل الكوفة عدد حمزة والكسائيّ وخَلْف، ويرويه حمزة عن ابن أبي ليلى عن أبي عبد الرّحمان السُّلَميّ عن عليّ عليه السلام. وعدد أهل البَصْرة عدد عاصم بن العَجّاج الجَحْدريّ.

وعدد أهل الشّام عدد ابن ذَكْوان وهِشام بن عَمّار وينسب إلى أبي الدَّرداء. والاختلاف في عدد مجموع الآيات أتى من قِبَل الاختلاف في عدد آية كلّ سورة. وقد ذكروا أيضًا عدد حروف وكلمات سُوَر القرآن وعدد المجموع، ولكن لا يهمّنا الآن ذكر التّفاصيل هنا.

(١٨٩-١٩١)

الفصل الثّلاثون

نصّ الأُشَيقِر (معاصر) في «لمحات من تاريخ القرآن»

[الآيات و أسماؤها و معناها]

هناك أسماء خاصّة لآية واحدة أوعدّة آيات متتالية، قد تكون هذه الأسماء كما في السُّوَر على أشهر الأقوال توقيفيّة (بأمر من الرّسول)، أو غير توقيفيّة عن طريق تسميتها باسم كلمة بارزه أوعبارة رئيسيّة موجودة في نفس الآية أوالآيات المتتالية، ومن أمثلة ذلك هي آية الكرسيّ في سورة البقرة، و آية النّجوى في سورة المجادلة، وآية المباهلة في سورة آل عمران، وآية التّطهير في سورة الأحزاب وغير ذلك.

أمّا بشأن الآية فإنّ معناها هي العلامة والمعجزة، وإنّما سُمّيت بذلك لأنّ كلّ آية هي دليل و علامة على صحّة النّبوّة. فضلًا عن أنّ اجتماع و التقاء عدّة آيات تتكوّن منها معجزة قائمة بذاتها، و يعجز الآخرون عن محاكاتها.

أمّا في الاصطلاح: فالآية هي طائفة من القرآن منقطعة عمّا قبلها و ما بعدها و ليس بينها شبه بما سواها.

وأطول آية في القرآن هي آية الدّيْن، و هي قوله تعالى: ﴿يٰاَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا اِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ..﴾[1] و تضمّ هذه الآية مائة و عشرون كلمةً ...[ثمّ ذكر معنى الكلمة كما تقدّم عن الزّركشيّ].

---

[1] ـ البقرة/ ٢٨٢.

أمّا الفاصلة فهي تطلق على الكلمة الّتي تختم بها الآية من القرآن، كما وتطلق على رأس الآية، و يقال: إنّها جاءت من التّفصيل، و إنّما سُمِّيت بذلك لأنّ بها يتمّ بيان المعنى ويزداد وضوحه جلاءً و قوّةً. كما قيل: إنّها سمِّيت بذالك لأنّه ينفصل عندها كلامان، لأنّ آخر الآية فصل بينها و بين ما بعدها. و السرّ في عدم تسميتها إسجاعًا يعود إلى خلوّ القرآن من السّجع، و لأنّ السّجع نقص وعيب، بينما الفواصل بلاغة و بيان.

والفاصلة[1] تكمل معنى الآية ويتمّ بها النّغم الموسيقيّ لها، فهي أكثر ما تنتهي بالنّون و الميم وحروف المدّ، وهي كلّها من الحروف الطّبيعيّة في الموسيقيّ نفسها.

ويتعلّق معنى الفاصلة بمعنى الآية كلّها تعلّقًا كبيرًا بحيث إنّنا لو أبعدناها لاختلّ المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدّي في محلّها جزءًا من معنى الآية ينقص ويَرْتَبك بطرحها واستبعادها، وقد يتضاعف تمكّن الفاصلة من مكانها حتّى لتشير إليها قبل التّفوّه والنّطق بها.

وقد حفلت الكتب بأمثلة ملموسة على صحّة الفقرة الأخيرة ممّا لا مجال لإيرادها في هذا البحث الوجيز. (٣٢ـ٣٤)

١ ـ البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدّين الزّركشيّ.

الفصل الحادي والثّلاثون

نصّ السُّبكيّ (معاصر) في «في رياض القرآن»

عدد الآيات في القرآن

فقد اختلف فيه العلماء، وسبب الاختلاف أنّ الآية تحسب آيةً فقط عند بعضهم، وتحسب آيتين مثلًا عند غيره، فيزيد العدد وينقص، و هذا أمرٌ اعتباريٌّ لا أثر له ما دامت الآيات نفسها معروفةً، وقائمةً محفوظةً بحفظ الله لها، ولم يتطرّق إليها أيّ احتمال.

هذا وقد بلغ بها بعضهم في العدد ستّة آلاف وستّمائة وستّ عشرة آيةً، ولكنّ حسابها في مُصْحَف عُثمان المتداول بإجماع المسلمين لم يصل بها إلى هذا القَدْر.

وقد جرى العُرْف الإسلاميّ أن يقال عند مفتتح كلّ سورة في مُصْحَف عُثمان: سورة كذا، وعدد آياتها كذا، و هي مكّيّة أومدنيّة، أو هي كذلك إلّا آية كذا ... إلخ. والأمر في ذلك كلّه يسير كما قلنا، و لا مساس فيه بالقرن نفسه.

وهل البَسْمَلة تعتبر آية واحدة في سورة النّمل كما نزلت، وإنّما تتكرّر في افتتاح السُّوَر لمجرّد الفصل فقط، ولا تحسب آية من كلّ سورة؟ ذلك رأي. وبعض الأئمّة يراها باجتهاده آيةً في الفاتحة و في كلّ سورة. ويترتّب على هذا أن تقرأ حتمًا في كلّ ركعات الصّلاة باعتبارها جزءًا من الفاتحة، تبطل الصّلاة بتركها كما تبطل بترك الفاتحة كلّها. هذا هو اجتهاد الجمهور، ولكلّ مجتهدٍ ثوابه. (ص: ٧٠)

الفصل الثّاني و الثّلاثون

نصّ المصطفويّ (م:١٤٢٨) في «التّحقيق في كلمات القرآن»

[معنى الآية لغةً و اصطلاحًا]

«أيي» وأصل آخر وهو التّعمّد، يقال: تآييتُ على تفاعلتُ، وأصله تعمّدت آيتَه وشخصَه. قالوا: وأصل آية: أءية بوزن أعْيَة، مهموز همزتين، فخفّفت الآخيرة.

قال سيبويه: موضع العين من الآية واو، لأنّ ما كان موضع العين منه واوًا واللّام ياءً أكثر ممّا موضع العين واللّام منه ياءان. قال الأصمعيّ: آية الرّجل شخصه.

قال الخليل: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم، منه آية القرآن، لأنّها جماعة حروف، والجمع آيٌ. و إياة الشّمس ضوءها، و هو من ذاك، لأنّه كالعلامة[١].

قال ابن بَرّيّ: لم يذكر سيبويه أنّ عين آية واو، و إنّما قال: أصلها ياء، و هو أيَّة، فأُبدلت الياء السّاكنة ألفًا.[٢]

و الظّاهر أن هذه الكلمة مأخوذة من مادّة «أوٰى يأوي» بمعن التّوجّه والقصد والسّير إلى مقام ليستريح فيه، فهي على وزن :«فَعَلة» و هذه المادّة كثير استعمالها من اليائيّ [أيـي] وإن كان معناه قريبًا منها وهوالتّعمّد. فالآية ما يكون موردًا للتّوجّه والقصد في السّير إلى المقصود و وسيلة للوصول بها إليه، وهذاالمعنى منظور في جميع موارد استعمالها.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا اٰيَاتِ اللهِ هُـزُوًا﴾[٣] فهي كلّ ما يكون موردًا للقصد والتّوجّه للوصول إلى

١ـ مقاييس اللّغة ١: ١٦٨.

٢ـ لسان العرب ١٤: ٦٣.

٣ـ البقرة/ ٢٣١.

الله تعالى ومعرفته. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾[١]، أي آيات من الكتاب الّذي عند الله تعالى من الحقائق والمعارف و العلوم الثّابتة، وهو الكتاب المبين والكتاب الحكيم، والقرآن المبين.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾،[٢] فإنّ ذلك الكتاب باعتبار الضّبط كتاب، وباعتبار قراءته قرآن، فالكتاب إذا ينسب إلى الكاتب المنشيء الضّابط، والقرآن إذا ينسب إلى القارئ المتعلّم المخاطب به. وإطلاق الكتاب و القرآن على هذه المجموعة باعتبار أنّها مظهر تامّ ومصداق كامل ومرتبة نازلة جامعة منه، و هي في الحقيقة آيات منه.

﴿ذٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾[٣].

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾[٤]

﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ..﴾[٥].

﴿وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾[٦].

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٧].

﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾[٨].

﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾[٩].

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[١٠]. (١: ١٧٢-١٧٣)

١-يونس/١.

٢-الحجر/١.

٣-آل عمران/٥٨.

٤-آل عمران/١٠٨.

٥-الأنعام/٩٨.

٦-الحجّ/١٦.

٧-النّمل/١.

٨-الزّمر/٧١.

٩-الطّلاق/١١.

١٠-ص/٢٩.

الفصل الثّالث و الثّلاثون

نصّ العسكريّ (م: ١٤٢٨) في «القرآن الكريم وروايات المدرستين»

[معنى الآية لغةً واصطلاحًا]

في اللّـغـة

أشـهر معاني «الآية» في اللّغة: العلامة الواضحة للشّيء المحسوس، والأمارة الدّالّة على المراد للأمر المعقول.

ومثال الأوّل: قوله تعالى في سورة مريم/١٠ في حكاية قول زكريّا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، أي: قال اجعل لي علامـةً واضحةً.

ومثال الثّاني: قوله تعالى في سـورة يوسف/١٠٥: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾. أي كم من أمارة تدلّ على قدرة الله وحكمتـه ـ أوغيرها من صفاته ـ يمرّون عليها وهم عنها معرضون. وقول الشّاعر:

وفي كلّ شيء له آيةٌ تدلّ على أنّه واحد

في المصطلح الإسلاميّ

ماقاله الرّاغب في «مفردات القرآن»...[وذكر كما تقـدّم عنـه، ثمّ قـال:] وتـضاف إليـه الحروف المقطّعة المبدوء بها بعض سُوَر القرآن، مثل قوله تعالى في سورة البقرة/١: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾ وفي سورة فصّلت/١: ﴿حمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

قال المؤلّف: إنّ الـرّاغـب وإن لـم يـفـرّق بين المعنى اللّغويّ للآية والّذي قـدّم ذكـره، وبين معانيها في المصطلح الإسلاميّ والّتي أخّر ذكرها، غيرأنّا لمـّا وجدنا المجموعة الثّانية لم ترد

عندالعرب، وإنّماجاءت في الكتاب والسنّة خاصّة، وشاع فيهما استعمال الآية في تلك المعاني، قلنا بأنّها من معاني الآية في المصطلح الإسلاميّ، وكذلك القاعدة في معرفة المصطلح الإسلاميّ، مثل مصطلح الصّلاة والزّكاة والخُمس في الشّريعة الإسلاميّة. وإنّ الرّاغب في تعريفه معنى الآية قسّم ماوصفناه بالمصطلح الإسلاميّ إلى قسمين:

١ـ ما اعتبر «الحكم» في التّسمية، حيث قال: «كلّ جملة دالّة على حكم آية، سورة كانت أو...».

٢ـ ما اعتبر «اللّفظ» في التّسمية، حيث قال: كلّ كلام...

ونحن بعد البحث والفحص عن موارد استعمال الآية في القرآن الكريم وجدنا الرّاغب مصيبًا في قوله، وإليكم الدّليل على ذلك:

أوّلًا ـ وجدنا من أمثلة القسم الأوّل:

١ـ قوله تعالى في سورة البقرة/١٠٦: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾.

٢ـ قوله تعالى في سورة النّحل/١٠١: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾.

٣ ـ وقوله تعالى في سورة الأحزاب/٣٤ في خطابه لأزواج النّبيّ ﷺ: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ﴾.

٤ ـ ومنها قوله تعالى في سورة القَصَص/٥٩ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾. وقوله تعالى في سورة الزُّمَر/٧١ في حكاية خطاب الملائكة لأهل جهنّم: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾.

٥ـ وقوله تعالى في سورة آل عمران/١١٣: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾. والمعنى:

في الآية الأُولى: ما ننسخ من حكم في فصل من كتاب الله أو ننسه نأت بخير منه أو بمثله.

وفي الآية الثّانية: وإذا بدّلنا حكمًا في فصلٍ أوفصولٍ من كتاب الله بحكم آخر في فصلٍ أوفصولٍ من كتاب الله.

وفي الآية الثّالثة: واذكرن يا أزواج النّبيّ ﷺ مايُتلى في بيوتكنّ من أحكام الله اللّاتي جاءت في فصولٍ من كتاب الله.

وفي الآية الرّابعة: حتّى يبعث الله في أمّ القرى رسولًا يتلو على أهلها أحكام الله في فصولٍ من كتاب الله.

وفي الآية الخامسة: ليس أهل الكتاب متساوين في أمر الدّين، منهم أُمّة مستقيمة يتلون أحكامًا من فصول كتاب الله.

ثانيًا ـ وجدنا من أمثلة القسم الثّاني، قوله تعالى في سورة يوسف/١: ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾. وقوله تعالى في سورة الرّعد/١: ﴿الٓمٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾. وكذلك جاء نظيرها في أوّل يونس والنّمل، والثّانية من الشّعراء والقصص ولقمان.

إنّ هذه الآيات ونظائرها تُشير إلى الآيات الّتي تشخّص في كلّ سورة بالعدد، ويقال مثلًا: سورة الحمد سبع آيات، كما جاء في حديث الرّسول ﷺ.

والآية بهذا المعنى لم ترد في القرآن الكريم بغير لفظ الجمع، وقد قصد من الآية هنا ألفاظ الجملة القرآنيّة دون معناها. ونضيف إلى ما سبق ما جاء في مادّة الآية من مُعجم ألفاظ القرآن الكريم قولهم. وسُمّيت معجزات الأنبياء آية لأنّها علامة على صدقهم وعلى قدرة الله. ونقول: إنّ منها قوله تعالى في حكاية قول صالح لقومه: ﴿هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً﴾ [1].

وقوله تعالى في سورة النّمل/١٢ في خطابه لموسى بن عمران حين أرسله إلى فرعون وقومه: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ

١ ـ الأعراف/٧٣، هود/٦٤.

﴿إنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [١]، وبناءً على ما بيّنّاه فلفظ «آية» مشترك بين ثلاثة معانٍ في المصطلح الإسلاميّ مضافًا إلى معانيها في اللّغة العربيّة. وقد استعملت الآية بكثرة في معانيها اللّغويّة والاصطلاحيّة جميعًا في القرآن الكريم.

ولابدّ لنا في تشخيص المعنى المقصود أن نعمل بما قرّره العلماء في علم أُصول الفقه من أنّ اللّفظ المشترك إذا جاء في الكلام لابدّ أن تدلّ قرينة على المعنى المقصود منه. وعليه ينبغي لفهم المراد ممّا جاء من مادّة الآية في القرآن، أن نبحث عن القرينة الدّالّة على المعنى المقصود في التّعبير القرآنيّ.

الخلاصة: الآية في اللّغة: العلامة الواضحة على شيء محسوس أو الإمارة الدّالّة على شيء معقول. في الكلام دونما قرينة تعيّن المعنى المقصود...

وفي المصطلح الإسلاميّ قد تكون الآية: معجزة من معاجز الأنبياء أو جملة من ألفاظ سورة قرآنيّة معيّنة بالعدد أو فصلًا أو فصولًا من كُتُب الله تبيّن حكمًا من أحكام شريعته.

ولا نقول: إنّ معنى الآية في المصطلح الإسلاميّ ينحصر بما ذكرناه، بل نقول: هذا ما عرفناه من معاني الآية إلى اليوم، ولعلّ البحث يعرفنا بعد اليوم غيرها من معاني الآية في المصطلح الإسلاميّ. إذا لفظ الآية مشترك في المصطلح الإسلاميّ بين عدّة معانٍ، ولا يستعمل اللّفظ المشترك. (٢٧٩-٢٨٤)

١- النّمل/ ١٢.

الفصل الرّابع و الثّلاثون

نصّ حسن زاده الآملي ّ(١٣٤٧ ـ ...) في «فصل الخطاب...» [١]

عدد آي القرآن و حروفه

وممّا يعلن بشدّة عناية المسلمين بضبط القرآن وحفظه عن التّحريف عدّهم كلماته وآيه وحروفه حتّى فَتَحاته و كَسَراته و ضَمّاته وتَشديداته ومَدّاته ،وأفرد السُّيوطيّ في «الإتقان» فضلًا في ذلك.

و في «الوافي» للفيض ﵀، قال السّيّد حيدر بن عليّ بن حيدرالعلويّ الحسينيّ طاب ثراه في تفسيره الموسوم «بالمحيط الأعظم»:إنّ أكثر القُرّاء ذهبوا إلى أنّ سُوَر القرآن بأسرها مائة وأربع عشرة سورة،وأنّ آياته ستّة آلاف وستّمائة و ستّ وستّون آية، وإلى أنّ كلماته سبعة وسبعون ألفًا وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة، و إلى أنّ حروفه ثلاثمائة آلاف واثنان وعشرون ألفاً وستّمائة و سبعون حرفًا وإلى أنّ فَتَحاته ثلاثة وتسعون ألفًا ومائتان وثلاث وأربعون فتحة .. إلخ.

روى الطّبرسيّ في تفسير سورة «هل أتى» من المجمع رواية مستندة عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﵇ أنّه قال: سألتّ النّبيّ ﷺ عن ثواب القرآن...[وذكر كما تقدّم عنه في عدد السُّوَر] وذكر ابن النّديم في الفهرست ص: ٤١ من المقالة الأُولى اختلاف النّاس في آي القرآن.

---

١ ـ طُبِعت هذه الرّسالة في كتاب يسمّى « ثماني رسالات عربيّة » بالفارسيّة. (م)

أقول: قدعدّ خلق كثير حروف القرآن وآخرون نقلوا منهم وذكروا في تأليفاتهم، ومنهم المولىٰ أحمد النّراقيّ في «الخزائن»[١]: ٢٧٥ ط: طهران ١٣٨٠ ق. ثمّ اختلف العادّون في مقدارها عددًا، ولاريب أنّ تحديد أمثال هذه الأُمور لايخلو من اختلاف، والاختلاف ليس إلّا منهم لا من المُصْحَف، فإنّه واحدٌ نزل من عند واحد، وما بُدّل منه شيء وما زيد فيه حرف و ما نقص منه كما علمت، وإنّما غرضنا في ذلك التّوجّه إلى اهتمام المسلمين قاطبةً عصرًا بعد عصرٍ في ضبط كلام الله تعالى عن تحريف ما، وإن كان الاشتغال باستيعاب ذلك ممّا لاطائل تحته، ولَنِعْم ما قال السَّخاويّ: «لا أعلم لعدّ الكلمات والحروف من فائدة، لأنّ ذلك إن أفاد فإنّما يفيد في كتاب يمكن فيه الزّيادة و النّقصان، والقرآن لايمكن فيه ذلك»[٢].

وأمّا اختلاف الآي و سببه فهوما قال السّيوطيّ في «الإتقان»: أجمعوا على أنّ عدد آيات القرآن ستّة آلاف آية، ثمّ اختلفوا فيما زاد على ذلك... إلى أن قال: وسبب الاختلاف في عدد الآي أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان يقف على رؤوس الآي للتّوقيف، فإذا علم محلّها وصلها للتّمام، فيحسب السّامع حينئذٍ... [ثمّ ذكر قول الطّبرسيّ في عدد آي القرآن والفائدة في معرفتها، كما تقدّم عنه، فقال:]

وبالجملة: أنّ عدّ أمثال تلك الأُمور وتحديدها قلّما يتّفق أن يتّحد الاثنان من العادّين، ولايغترّ القارئ الكريم بتلك الاختلافات أنّ المصاحف كانت مختلفة.

والعجب من الفيض رحمه الله قال في «الوافي»: ج ٥ ص: ٢٧٤: قد اشتهر اليوم بين النّاس أنّ القرآن ستّة آلاف وستّمائة وستّ وستّون آيةً، ثمّ روى رواية الطّبرسيّ المذكورة آنفًا في «المجمع» عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله، ثمّ جعل أحد الاحتمالات في اختلاف الرّواية والشّهرة اختلاف المصاحف، حيث قال: فلعلّ البواقي تكون مخزونة عند أهل البيت عليهم السلام وتكون فيما جمعه أمير المؤمنين عليه السلام إلخ.

---

١ ـ ط: طهران ١٣٨٠ ق، ص: ٢٧٥.

٢ ـ الإتقان ١: ٧٢.

لكنّه رحمه الله عدل عنه و استبصر وقال في المقدّمة السّادسه من تفسيره «الصّافي» بعد نقل عدّة روايات في تحريف الكتاب؛ أقول: و يرد على هذا كلّه إشكال، وهو أنّه على هذه التّقدير لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن، إذ على هذا يحتمل كلّ آية منه أن يكون محرّفًا ومغيّرًا ويكون على خلاف ما أنزل الله، فلم يبق لنا في القرآن حجّة أصلًا، فتنتفي فائدة الأمر باتّباعه والوصيّة بالتّمسّك به إلى غير ذلك، وأيضًا قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[1] و قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]، فكيف يتطرّق إليه التّحريف والتّغيير، إلخ. (٢٦٩-٢٧١)

---

١ ـ فصّلت/٤٢.

٢ ـ الحِجر/٩.

الفصل الخامس و الثّلاثون

نصّ مرتضى العامليّ (معاصر) في «حقائق هامّة... »

عدد حروف القرآن و آياته

أخرج الطّبرانيّ بسند موثّق عن عمر بن الخطّاب مرفوعًا: «القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف»[1].

وقيل: ألف ألف و واحد و عشرون ألفًا ومائة وخمسون حرفًا.

وقيل: غير ذلك[2]. وفي نصّ آخر: سبعة عشر ألف آية، مع أنّ القرآن الموجود فعلًا أقلّ من ثلث هذا العدد[3].

أوّلًا ـ قال الصّدوق: «بل نقول: إنّه قد نزل من الوحي الّذي ليس بقرآن ما لوجمع إلى القرآن، لكان مبلغه مقدار سبع وعشرة ألف آية، وذلك مثل قول جبرئيل للنّبيّ ﷺ: «إنّ الله يقول لك: يامحمّد! دارِ خلقي مثل ما أُداري»، ومثل قوله: «اتّق شُحَناء النّاس وعداوتهم» إلخ.

ثمّ يذكر كثيرًا من الفقَرات الّتي تتعلّق بوصايا جبرئيل له ﷺ بالسّواك والجار وغير ذلك،

---

١ ـ الإتقان ١: ٧٠، وكنز العمّال ١: ٤٦٠ و ٤٨١، عن الطّيالسيّ، وأبي نصر السّجزيّ في الإبانة، وابن مَرْدويه، والطّبرانيّ في الصّغير، و مجمع الزّوائد ٧: ١٦٣ و البرهان للزّركشيّ ١: ٢٤٩، و ٢: ١٢٧ و مناهل العرفان ١: ٣٤٢، و راجع: ٢٧٣ و البيان لآية الله الخوئيّ: ٢٢١، عن الإتقان، وعن كنز العمّال ١: ٥١٧ و ٥٤١.

٢ ـ راجع: سعد السُّعود: ٢٧٨ و ٢٧٩.

٣ ـ راجع: سعد السُّعود: ١٧٩ و الإتقان ١: ٦٧، و تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١: ٧، والوافي ٥: ٢٧٤ و مصابيح الأنوار ٢: ٢٩٥ و تاريخ القرآن للأبياريّ: ١٥٨، و اعتقادات الصّدوق، و الفهرست لابن النّديم: ٣٠.

وما أبلغه إيّاه من أوامر إلهيّة، كأمره تعالى له بعد الخندق المسير إلى بني قريظة، و غير ذلك ممّا لا مجال له هنا[١].

وثانيًا ـ يلاحظ وجود اختلاف في رواية عدد الحروف، الأمر الّذي يضعف الثّقة بصحّتها وصدورها.

وثالثًا ـ هناك النّصوص الّتي تعدّ بالمئات إن لم تزد على ذلك، وتدلّ على أنّ هذا الّذي وصل إلينا هو نفس المُصْحَف الّذي كتبه عُثمان، و أرسله إلى الأقطار الإسلاميّة، بل لقد ادُّعِيَ أنّه هو نفس ما جمعه أبوبكر أو عمر قبل ذلك. ونحن نرى أنّه هو نفس ما تركه رسول الله ﷺ، فلو كان قد ذهب منه ثلثاه، لقامت قيامة الصّحابة وسائر المسلمين، ولتواتر نقل ذلك لنا وأعلنت به المعارضة، ولظهرت المطالبة بالمبادرة إلى ما يحفظ لهم ما بقي منه.

أضف إلى ذلك أنّنا قد ذكرنا في هذا الكتاب أنّ صحابة النّبيّ ﷺ كانوا لا يقبلون بأدنى تصرّف يتعرّض له كتاب ربّهم، بل هم على استعداد لحمل السّيف وخوض غُمار حرب لا تعلم نتائجها في سبيل حرف من حروفه و لو مثل الواو أو نحو ذلك، كما جرى لأُبيّ بن كعب رضي الله عنه.

بل إنّ ما جرى على أبي ذرّ رضي الله عنه قد كان في سبيل دفاعه عن حريم القرآن العظيم و السّنّة الشّريفة. هذا إلى شواهد كثيرة أُخرى تؤيّد ذلك و تدعمه.

ورابعًا ـ ولا يجب أن ننسي أخيرًا أنّ الصّحابة قد كتبوا كثيرًا من مصاحفهم في عهد رسول الله ﷺ، وإن كانوا قد كتبوها مشوّشة التّرتيب، كلّ حسبما تيسّر له. وقد أوردنا بعض النّصوص الدّالّة على وجود المصاحف في عهده ﷺ لديهم.

هذا بالإضافة إلى وجود كثير من الصّحابة قد جمعوا القرآن كلّه في عهده رسول الله ﷺ، وقد حفظ لنا التّاريخ أسماء طائفة منهم. وكان حُفّاظ القرآن يعدّون بالمئات والأُلوف إلى آخر ما قدّمناه ممّا لا مجال لإعادته. (٣٧١ـ٣٧٣)

١ـ الاعتقادات الصّدوق المطبوع مع الباب الحادي عشر سنة ١٢٨٢ هـ ق. باب الاعتقاد في مبلغ القرآن.

الفصل السّادس و الثّلاثون

نصّ آل عصفور (معاصر) في «المرشد الوجيز لقُرّاء كتاب الله العزيز»

[معنى الكلمة و الاختلاف في عددها]

اعلم! أنّ اللّفظ عبارة عن الصّوت الملفوظ من الفَم المتسبّب عن الهواء الخارج من الرّئتيْن و المارّ بجهاز النّطق في الفم، وهو من باب تسمية المسبّب باسم السّبب، وهو على قسمين:

الأوّل منهما ــ ما كان مفارقًا لمعنًى ويسمّى بالمُهْمَل، وهو ما لم يوضع بإزاء معنًى معيّن ولا يفهم منه شيء.

وثانيهما ـ ما كان مقارنًا لمعنًى و يسمّى بالمستعمل، وهو ما تمّ التّواضع عليه في أصل وضع اللّغة بإزاء معنًى معيّن مراد ومُفهم لمطلوب و ينقسم إلى طبيعيّ ووضعيّ:

الأوّل ـ ما كان صادرًا بمقتضى طبع الإنسان وفطرته، و هو خارج عن مباحث العلوم اللّغويّة والقرآنيّة لعدم افتقاره إلى ضبط وإطباق الجبلّة عليه وعدم تعلّق غرض من مسائلهما به البتّة.

الثّاني ــ ما كان صادرًا بمقتضى الحاجة للبيان ،وهو المقصود بالبحث عنه فيهما، ويكون تارةً منطوقًا بالفعل و هو المسموع صريحًا، وأُخرى بالقوّة وهو المفهوم ضمنًا بقرينة المسموع.

ومنه عرّفت الكلمة في الاصطلاح بأنّها لفظ بالقوّة أو بالفعل مستقلّ دالّ بجملته على معنًى مفرد على أجود التّعاريف. وقد وقع الخلاف في عدد كلمات القرآن الكريم والمستقرب أنّه (٧٧٤٣٦) كلمة.

وممّا قيل: إنّه (٧٧٤٣٧) كلمة ذكره السّيّد حَيْدر الآمليّ في تفسيره، ونسب إلى البَصْريّين كما في تفسير البروجرديّ.

وقيل: إنّه (٧٧٤٣٠) كلمة، ونسب إلى الكوفيّين والشّاميّين.

وقيل: إنّه (٧٧٤٨٩) كلمة، و نسب إلى أهل الحَرَمين.

وقيل: إنّه (٧٧٤٣٤) كلمة، و نسب إلى أعثر على قائله.

وقيل: إنّه (٧٧٤٥٠) كلمة، ونسب إلى الكوفيّين.

وقيل: إنّه (٧٧٤٢٠) كلمة، عند حُمَيد بن الأعرج.

وقيل: إنّه (٧٧٤٩٩) كلمة، و نسب إلى إبراهيم التّميميّ.

وقيل: إنّه (٧٧٤٣٩) كلمة، والقائل به عطاء.

وقيل: إنّه (٧٧٤٣٦) كلمة، والقائل به عبدالعزيز.

وغيرها من الأقوال الّتي لا طائل من ذكرها، و كان منشأ الاختلاف في تعيين الكلمات، حيث إنّ أقصرها حرفان، كمن و ما ولا وإن، و إن جاء كثير من حروف المعاني على حرف واحد كواو العطف، وهمزة الاستفهام و الباء الجارّة، لكنّها لما لم يتنطّق بها مفردة فلم يعتبروها رأسًا وأطوالها عشرة أحرف مثل: «ليستخلفنّهم»، وأمّا قوله: «أفأسقيناكموه» فهو وإن كان في اللّفظ أحد عشر حرفًا لكنّه في الرّسم عشرة. و كيف كان، فتنقسم جملة ما تأتلف الكلمة منه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل ـ الحروف الهجائيّة، وقد تقدّم الكلام عليها مفصّلًا فلا نعيد، وتنقسم بجملتها إلى ضربين:

الأوّل ـ ما يكون في حقيقته مفرد، وحدوثه عن حبسة هوائيّة صوتيّة غير تامّة، ويكون كذلك في أحد عشر حرفًا، و هي الباء والتّاء أو الجيم والدّال والضّاد أيضًا من وجهٍ، والطّاء والقاف والكاف واللّام و الميم و النّون أيضًا من وجهٍ.

الثّاني ـ ما يكون في حقيقته مركّب، و حدوثه عن حبسة هوائيّة صوتيّة غير تامّة مع إطلاق في آنٍ واحدٍ، ويكون كذلك في الهمزة والثّاء والحاء والخاء والذّال والرّاء والزّاي

والسّين والشّين والصّاد والعين والغين والفاء والهاء والواو والياء والظّاء. ويرجع سبب حدوث الحروف فيما هو المردّد بين نفس التّموّج، فإنّه يفعل الصّوت، وقد سبق إيضاحه في صدر الفصل السّابق فراجع.

القسم الثّاني ـ الأشكال و يقال لها: العلامات و هي على ثلاثة أنواع:

النّوع الأوّل ـ الحركات و هي جمع حركة، و هي عرض للحرف تحلّه، قال أبوعمرو الدّانيّ: اعلم! أنّ الحركات ثلاث: فتحة و كسرة وضمّة، فموضع الفتحة من الحرف أعلاه، لأنّ الفتح مُستَعْلٍ، وموضع الكسرة منه أسفله، لأنّ الكسر مُستَفِلٍ، وموضع الضّمّة منه أمامه أووسطه، لأنّ الفتحة لماحصلت في أعلاه. والكسرة في أسفله لأجل استعلاء الفتح وتَسَفُّل الكسر بقي وسطه فصار موضعًا للضّمّة، انتهى. والأصحّ في الفتح والضّمّ والكسر والسّكون أنّها حركات للعضو من الشّفتين أواللّسان أوالحَنَك الّتي يخرج منه الحرف، فالفتحة عبارة عن فتح الشّفتين عند النّطق بالحرف، والضّمّة تحريك الشّفتين بالضّمّ، والكسرة تُنشأ من انجرار اللّحيٰ الأسفل إلى الأسفل انجرارًا قويًّا، وهذه الحركات تكون ظاهرة ومقدّرة.

وعدد الضّمّات الّتي توجد في القرآن أربعون ألفًا وثمانمائة وأربع ضمّات (٤٠٨٠٤). وقيل: أربعون ألفًا ثمانمائه وأربع عشرة ضمّة (٤٠٨١٤). وعدد الفَتَحات ثلاث و تسعون ألفًا ومائتان وثلاث و أربعون فتحةً (٩٣٢٤٣). وعدد الكَسَرات تسع وثلاثون ألفاً وخمسمائة و ستّ و ثمانون كسرة (٣٩٥٨٦). وقيل: تسع وثلاثون ألفًا وخمسمائة وثلاث و ثمانون كسرة (٣٩٥٨٣). وقيل: تسع وثلاثون ألفًا وخمس مائة وثلاث وثمانون كسرة (٣٩٥٨٣)

النّوع الثّاني ـ التّنوين، و هو نون السّاكنة زائدة أصالة متطرّفة، تلحق آخر الاسم لفظًا ووصلًا وتسقط خطًّا ووقفًا لغير توكيد. وهو عبارة عن تضعيف الحَرَكات الثّلاث إلى ضمّتين وفتحتيين وكسرتين كتابةً وإخراجها عند التّلفّظ نونًا وسيأتي مزيد من الكلام عنه في بابه.

النّوع الثّالث ـ السّكون: وهو ضدّ الحركة، أو بعباره أُخرى عدمها. (١٦٩ـ١٧٢)

الفصل السّابع والثّلاثون

نصّ الأبياريّ (معاصر) في «الموسوعة القرآنيّة» [1]

عدد الآيات

والآية: طائفة من القرآن منقطعة عمّا قبلها وما بعدها، وهي مسأله توقيفيّة أخذت عن الرّسول. وهذا الاختلاف الّذي وقع بين السّلف في عدد الآيات مرجعه إلى اختلاف السّامعين عن الرّسول في ضبط الوقف والوصل، فالمعروف أنّه كان ﷺ يقف على رُؤوس الآي للتّوقيف، فإذا عُلم محلّها وصل للتّمام، فوهم بعض السّامعين عند الوصل أن ليس ثمّة فصل، ومن هنا كان الخلاف... [ثمّ ذكر أقسام السُّوَر بالنّسبة إلى اختلاف عدد الآيات، كما تقدّم عن السّيوطيّ نقلاً عن الموصليّ]. (٣٣٢-٣٣٦)

١ـ مثل هذا النّصّ في كتابه: «تاريخ القرآن»: ٥٥ — ٦١، ط: دار القلم. (م)

الفصل الثّامن و الثّلاثون

نصّ الحجّتيّ (معاصر) في «مختصر تاريخ القرآن الكريم»

[معنى الآية لغةً و اصطلاحًا]

المعنى اللّغويّ

من المعاني اللّغويّة لكلمة (آية):

١ـ العلامة، و هذا المعنى ورد في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اٰيَةَ مُلْكِه اَنْ يَاْتِيَكُمُ التَّابُوتُ... ﴾[1].

٢ـ الجماعة، كقولهم: «خرج القوم بآيتهم لم يَدَعُوا وراءهم شيئًا»[2].

٣ـ الأمر العجيب، كقولهم: «فلانٌ آيةٌ في كذا»[3].

وهذه المعاني الثّلاثة تصدق على آي القرآن الكريم، فهي:

أوّلًا ـ دليل على صدق الرّسول وعلامة لنبوّته، كما أنّها علامة عجز المخالفين و المعارضين[4].

ثانيًا ـ هي مجموعة من حروفٍ و كلماتٍ وجُمَلٍ.

ثالثًا ـ أنّها مثيرة للعجب لإعجازها في اللّفظ والمعنى.

١ـ البقرة/٢٤٨.

٢ـ راجع النّهاية في غريب الحديث مادّة آية، و روض الجنان ١: ١٠.

٣ـ انظر: لسان العرب و تاج العروس.

٤ـ انظر: نفس المصدر.

و ذُكِرت للآية معانٍ لغويّة أُخرى فراجعها في مظانّها[1].

المعنى الاصطلاحيّ

كلام قرآنيّ مكوّن من حروف أو كلمات أو جُمَل، حدود معيّنة عن طريق الرّواية. فمعرفة بداية الآية ونهايتها إذن (توقيفيّ)، أي يفهم عن طريق بيان الشّارع و نبيّ الإسلام ﷺ، ولا مجال للذّوق والاجتهاد في ذلك.

ومع أنّ معرفه حدود الآية توقيفيّ و ليس اجتهاديًّا، فقد اختلف العلماء في تعيين حدود بعض الآيات، فقال بعضهم: إنّ الآية الوحيدة المكوّنة من كلمة واحدة هي: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ وقال آخرون: هناك آيات أُخرى مكوّنة من كلمة واحدة مثل: «والنّجم، والضّحى، والعصر» كما اختلفوا في تعيين الحروف المقطّعة الّتي تبتدئ بها بعض السُّوَر مثل: «الٓمٓ» و «الٓمٓصٓ»، «الٓمٓر» ... أهي آية مستقلّة أم جزء من آية؟

وهذا الاختلاف ناتج عن الاختلاف في الرّواية، فرسول الله ﷺ كان يقف عند انتهاء الآية في تلاوته، كي يعرّف النّاس حدودها. وقال ابن العربيّ، إنّ الرّسول ﷺ عيّن حدود الآيات كما عيّن حدود السُّوَر، ولكنّ ابن العربيّ صرّح بأنّ إحصاء الآيات وعدّها من المشاكل المعضلة، وذلك لاختلاف الرّواية في حدود بعض الآيات[2].

اتّجاهات عدّ آيات القرآن الكريم

ذكرنا أنّ رسول الله ﷺ كان يقف في تلاوته عند انتهاء الآيه ليفهم المسلمين حدودها، غير أنّه ﷺ كان يصل بين الآيتين أحيانًا لاتّصال موضوعهما، ولذلك اختلف الرّوايات في حدود بعض الآيات. وأدّى ذلك إلى اختلاف في عدّ الآيات، وظهرت اتّجاهات متعدّدة في العدد، كلّ اتّجاه يستند إلى ما توفّر لديه من روايات بهذا الشّأن ونحن نستعرض باختصار هذه الاتّجاهات:

---

١ ـ راجع النّهايه في غريب الحديث: مادّة آية، و روض الجنان ١: ١٠.

٢ ـ الإتقان ١: ١١٥.

١ـ الاتّجاه الكوفيّ: أو العدد الكوفيّ، وهو العدد المنسوب إلى حمزة بن حبيب الزّيّات و أبي الحسن الكسائيّ و خلف بن هشام. و رُوي عن حمزة قال: إنّه أخذ هذا العدد عن ابن أبي ليلى، عن أبي عبد الرّحمان السُّلَميّ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام [١].

٢ـ الاتّجاه المدنيّ: ونُقل عن أهل المدينة عددان ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرسيّ]

٣ـ الاتّجاه المكّيّ: أو العدد المكّيّ، قيل: إنّه منسوب إلى مجاهد بن جَبْر المكّيّ وإسماعيل المكّيّ. وقيل: إنّه غير منسوب إلى أحدٍ، بل إنّ نهاية كلّ آية في مصاحف مكّة مشخّصة بثلاث نُقَط، و هي علامة تشخيص عدد أهل مكّة. أمّا السّيوطيّ فقال: إنّ هذا العدد مرويّ عن عبدالله بن كثير، عن مجاهد، عن ابن عبّاس، عن أُبيّ بن كعب [٢].

٤ـ الاتّجاه البَصْريّ: العدد البَصْريّ يستند إلى عاصم بن أبي الصّبّاح أو أبي حَجّاج الجَحْدريّ [٣]، وأيّوب بن المتوكّل. و ليس بين الاثنين اختلاف في عدّ الآيات سوى آية ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ [٤]، فالجَحْدريّ اعتبرها آية بينما أيّوب لم يعتبرها آية مستقلّة [٥].

٥ ـ الاتّجاه الشّاميّ: العدد الشّاميّ منسوب إلى عبدالله بن عامر اليَحْصُبيّ، وقيل: إنّ اليَحْصُبيّ نقله عن أبي الدّرداء [٦].

والطّبرسيّ يرجّح العدد الكوفيّ لأنّها مرويّ عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومؤيَّد بحديثٍ عن الرّسول صلّى الله عليه و آله [٧].

فيكون عدد الآيات حسب هذا الاتّجاه نقلًا عن عليّ بن أبي طالب عن رسول الله صلّى الله عليه و آله

١ـ الإتقان ١: ١١٦، و مجمع البيان ١: ١١.

٢ـ مقدّمتان: ٢٤٦، الإتقان ١: ١١٦.

٣ـ راجع: مجمع البيان ١: ١١، ومقدّمتان: ٢٤٦.

٤ـ ص / ٨٤.

٥ـ مجمع البيان ١: ١١.

٦ـ الإتقان ١: ١١٦، مقدّمتان: ٢٤٦.

٧ـ مجمع البيان ١: ١١.

٦٢٣٦ آية[1]... [ثمّ ذكر قول الدّانيّ في عدد آي القرآن، كما تقدّم عن السّيوطيّ].

(٣٥ـ٤٠)

عدد حروف القرآن و كلماته

شكّك بعض العلماء في جَدْوىٰ مثل هذه الدّراسة وهذه العدّ، وقالوا: إنّما يكون جدوى لمثل هذا العدّ لواحتملنا حدوث زيادة أو نقصان في القرآن، وهذا ما لايحدث[2]. لكنّ كثيرًا من العلماء تناولوا هذا الموضوع بدقّة واهتمام مؤكّدين أنّ كلّ لون من الدّراسة والبحث في كتاب الله لاتخلوا من فائدة خاصّة، وإنّ السّلف قد اهتمّوا بهذه المسألة أيضًا. بشأن عدد كلمات القرآن ذكرت الأرقام التّالية:

٧٦٤٤٠ و٧٧٢٧٧ و٧٧٤٣٧ و٧٧٤٣٩ و٧٧٩٣٤.

وحول الحروف ذكرت أرقام متباينة أيضًا على النّحو التّالي: ٣٠٠٦٩٠ و٣٢٠٢١٠ و٢١٢٥٠ و٣٢٢٣٧٣ و٣٢٣٦٧٠ و٣٢٥٠٧٢ و١٠٢٧٠٠٠[3].

ومن الواضح أنّ الاختلاف في أرقام الكلمات والحروف يعود إلى الاختلاف في الإملاء القرآنيّ والاختلاف الرّوائيّ.

و يذكر ابن عطيّة إحصائيّة للحروف والهجائيّة في القرآن كما يلي ...[و ذكر كما تقدّم نحوه عن الشّيخ البهائيّ].

جدول لعدد آيات كلّ سورة من سُوَر القرآن و كلماتها وحروفها و رقمها حسب ترتيب النّزول وكونها مكّيّة أو مدنيّة[4]:

١ـ مجمع البيان ١: ٤٠٦.

٢ـ الإتقان ١: ١٢٠.

٣ـ الإتقان ١: ١١٥و ٢٢١و مقدّمتان ص٢٤٦و ٢٥٠ و مجمع البيان٨: ٤٠٦ ط: صيدا و الكشكول للشّيخ البهائيّ ١: ٤٥٦.

٤ـ لقد اعتمدنا فيما يتعلّق بعدد الآيات المكّيّ و المدنيّ في كلّ سورة و في السُّوَر نفسها المُصْحَف المتداول بين المسلمين دون كتب التّفسير الّتي قد تختلف فيما بينها في ذلك، بل إنّ الكتاب الواحد قد يورد عدّة أقوال.

اسم السّورة	عدد الآيات	عددالكلمات	عددالحروف	رقم السّورة حسب ترتيب النّزول	مكيّة أو مدنيّة
الفاتحة	٧	٢٩	١٤٢	١ أو ٢ أو ٥	مكيّة أو مكيّة و مدنيّة
البقرة	٢٨٦ أو ٢٨٥، ٢٨٧	٦٢٢١	٢٥٥٠٠	٨٧ أو ٨٦	مدنيّة عدا الآية ٢٨١
آل عمران	٢٠٠أو ١٩٩	٣٤٨٠	١٤٥٢٥	٨٩	مدنيّة
النّساء	١٧٦أو ١٧٧،١٧٥	٣٧٤٥	١٦٠٣٠	٩٢	مدنيّة
المائدة	١٢٠أو ١٢٢، ١٢٣	٢٧٠٤	١١٩٣٣	١١٢	مدنيّة عدا الآية ٣
الأنعام	١٦٥ـ ١٦٦ـ ١٦٧	٣٨٦٠	١٢٢٥٤	٥٥	مكيّة عدا الآيات ٢٠،٢٣،٩١، ٩٣،١١٤ ١٥٣،١٤١،١٥١، فهي مدنيّة
الأعراف	٢٥٠أو (٢٠٦)	٣٨٢٥	١٣٨٧٧	٣٩	مكيّة سوى الآيات (١٦٣إلى ١٧٠)
الأنفال	٧٥ أو٧٦،٧٧	١٠٩٥	٥٠٨٠	٨٨	مدنيّة عدا الآيات (٣٠ إلى ٣٦)
التّوبة	١٢٩أو ١٣٠	٤٠٩٨	١٠٤٨٨	١١٣	مدنيّة سوى الآيتين الأخيرتين
يونس	١٠٩أو ١١٠	١٨٣٢	٧٥٦٧	٥١	مكيّة عدا ٤٠ و ٩٤ـ ٩٦
هود	١٢٣أو ١٢٢أو ١٢١	١٧١٥	٧٥١٣	٥٢	مكيّة عدا الآيات ١١٤،١٧،١٢

يوسف	١١١	١٧٦٦	٧١٦٦	٥٣	مكيّة عدا الآيات ١، ٢، ٣، ٧
الرّعد	٤٣ أو ٤٤ ـ ٤٧	٨٥٥	٣٥٠٦	٩٦	مدنيّة
إبراهيم	٥٢ أو (٥١، ٥٤، ٥٥)	٨٣١	٣٤٣٤	٧٢	مكيّة عدا الآيتين ٢٧ و ٢٨
الحِجْر	٩٩	٦٥٤	٢٧٦٠	٥٤	مكيّة عدا الآية ٨٧
النّحل	١٢٨	٢٨٤٠	٧٧٠٧	٧٠	مكيّة عدا الآيات ١٢٦ إلى ١٢٨
الإسراء	١١١ أو ١١٠	١٥٣٣	٦٤٦٠		مكيّة عدا الآيات ٢٦، ٣٢، ٣٣، ٥٧، و من (٧٣ إلى ٨٠)
الكهف	١١٠ أو (١٠٥، ١٠٦، ١١١)	١٥٧٩	٦٣٦٠	٦٩	مكيّة عدا الآيات ٢٨ و (٨٣ إلى ١٠١
مريم	٩٨ أو ٩٩	٩٨٢	٣٨٠٢	٤٤	مكيّة عدا الآيتين ٥٨ و ٧١
طه	١٣٥ أو ١٣٢، ١٣٤، ١٤٠	١٣٤١	٥٢٤٢	٤٥	مكيّة عدا الآيتين ١٣٠ و ١٣١
الأنبياء	١١٢ أو ١١١	١١٦٨	٤٨٩٠	٧٣	مكيّة
الحجّ	٧٨ أو (٧٤، ٧٥، ٧٦)	١٢٩١	٥٠٧٠	١٠٣	مدنيّة عدا الآيات ٥٢ إلى ٥٥ نزلت في السّفر مكيّة
المؤمنون	١١٨ أو ١١٩	١٨٤٠	٤٨٠٢	٧٤	مكيّة
النّور	٦٤ أو ٦٢	١٣١٦	٥٦٨٠	١٠٢	مدنيّة
الفرقان	٧٧	٨٩٢	٣٧٣٣	٤٢	مكيّة عدا الآيات (٦٨ إلى ٧٠)

الشّعراء	٢٢٧أو٢٢٦	١٢٩٧	٥٥٢٢	٤٧	مكّيّة عدا الآيات ١٩٧و(٢٢٤إلى ٢٢٧)
النّمل	٩٣أو ٩٢، ٩٤، ٩٥	١١٤٩	٤٧٩٩	٤٨	مكّيّة
القصص	٨٨أو ٨٧	١٤٤١	٥٨٠٠	٤٩	مكّيّة عدا الآيات (٥٢ إلى ٥٥و ٨٥)
العنكبوت	٦٩	١٩٨١	٤١٩٥	٨٥	مكّيّة عدا الآيات (١ إلى ١١)
الرّوم	٦٠أو ٥٩	٨١٩	٣٥٣٤	٨٤	مكّيّة عدا الآية ١٧
لقمان	٣٤أو ٣٣	٥٤٢	٢١١٠	٥٧	مكّيّة عدا الآيات (٢٧ إلى ٢٩)
السّجدة	٣٠أو ٢٩	٣٨٠	١٥٠٠	٧٥	مكّيّة عدا الآية ١٦ـ ٢٠
الأحزاب	٧٣	١٢٨٠	٥٧٩٦	٩٠	مدنيّة
سَبَأ	٥٤أو ٥٥	٨٨٢	١٥١٢	٥٨	مكّيّة عدا الآية ٦
فاطر	٤٥أو ٤٦	٧٩٧	٣١٣٠	٤٣	مكّيّة
يس	٨٣أو ٨٢	٧٢٩	٣٠٠٠	٤١	مكّيّة عدا الآية ٤٥
الصّافّات	١٨٢أو ١٨١	٨٢٠	٣٨٢٣	٥٦	مكّيّة
ص	٨٨أو ٨٥أو ٨٦	٧٣٢	٣٠٢٩	٣٨	مكّيّة
الزّمر	٧٥(أو ٧٢أو ٧٣)	١١٩٢	٤٧٠٨	٥٩	مكّيّة عدا الآيات (٥٢ إلى ٥٤)
المؤمن (غافر)	٨٥أو ٨٢أو ٨٤	١١٩٩	٤٩٦٠	٦٠	مكّيّة عدا الآيتين ٥٦ و ٥٧
فصّلت (حم السّجدة)	٥٤(أو ٥٢أو ٥٣)	٧٩٦	٣٣٥٠	٦١	مكّيّة
الشّورى (حمعسق)	٥٣أو ٥٠	٨٦٦	٣٥٧٧	٦٢	مكّيّة عدا الآيات (٢٣ إلى ٢٥)و ٢٧

الزّخرف	٨٩أو ٨٨	٨٣٣	٣٤٠٠	٦٣	مكّيّة عدا الآية ٥٤
الدّخان	٥٩(أو ٥٦أو ٥٧)	٣٤٦	١٤٣١	٦٤	مكّيّة
الجاثية	٣٧أو ٣٦	٤٨٨	٢١٩١	٦٥	مكّيّة عدا الآية ١٤
الأحقاف	٣٥أو ٣٤	٦٤٤	٢٥٩٨	٦٦	مكّيّة عدا الآيات ١٠، ٣٥،١٥
محمّد (القتال)	٣٨(أو ٣٩أو ٤٠)	٥٣٩	٣٣٤٩	٩٥	مدنيّة عدا الآية ١٣
الفتح	٢٩	٥٦٠	٢٤٣٨	١١١	مدنيّة
الحُجُرات	١٨	٣٤٣	١٤٩٦	١٠٦	مدنيّة
قٓ	٤٥	٣٥٧	١٤٩٤	٣٤	مكّيّة عدا الآية ٣٨
الذّاريات	٦٠	٣٦٠	١٢٨٧	٦٧	مكّيّة
الطّور	٤٩أو ٤٧أو ٤٨	٣١٢	١٥٠٠	٧٦	مدنيّة
النّجم	٦٢	٢٠٨	١٤٠٥	٢٣	مكّيّة عدا الآية ٣٢
القمر	٥٥	٣٤٢	١٤٢٠	-	مكّيّة عدا الآيات ٤٤ـ٤٦
الرّحمن	٧٨ أو ٧٦أو ٧٧	٣٥١	١٦٣٦	٩٧	مدنيّة
الواقعه	٩٦ـ٩٧أو ٩٩	٣٧٨	١٧٠٣	٤٦	مكّيّة عدا الآيتين ٨١و ٨٢
الحديد	٢٩أو ٢٨	٥٤٤	٢٤٧٦	٩٤	مدنيّة
المجادلة	٢٢أو ٢١	٤٧٣	١٧٩٢	١٠٥	مدنيّة
الحشر	٢٤	٤٤٥	١٩١٣	١٠١	مدنيّة
الممتحنة	١٣	٢٤٨	١٥١٠	٩١	مدنيّة
الصّفّ	١٤	٢٢١	٩٠٠	١٠٩	مدنيّة
الجمعة	١١	١٨٠	٧٢٠	١١٠	مدنيّة
المنافقون	١١	١٨٠	٧٧٦	١٠٤	مدنيّة

التّغابن	١٨	٣٤١	١٠٧٠	١٠٨	مدنيّة
الطّلاق	١٢أو ١١	٢٤٨	١٠٦٠	٩٩	مدنيّة
التّحريم	١٢	٢٤٦	١١٦٠	١٠٧	مدنيّة
الملك	٣٠أو ٣١	٣٣٠	١٣٠٠	٧٧	مكّيّه
القلم(نٓ)	٥٢	٣٠٠	١٢٥٦	١٢و٥	مكّيّة عدا الآيات ١٧ إلى ٣٣ و٤٨ إلى ٥٠)
الحاقّة	٥٢أو ٥١	٢٥٦	١٠٨٤	٧٨	مكّيّه
المعارج	٤٣،٤٤	٢١٦	١٠٦١	٧٩	مكّيّه
نوح	٢٨أو ٢٩أو ٣٠	٢٢٤	٩٢٩	٧١	مكّيّه
الجنّ	٢٨	٢٣٥	٨٧٠	٤٠	مكّيّه
المزّمّل	٢٠أو ١٩أو ١٨	٢٨٥	٨٣٨	٣أو ٤	مكّيّة عدا الآيات ٢٠،١١،١٠
المدّثّر	٥٦أو ٥٥	٢٥٥	١٠١٠	٢أو ٣	مكّيّه
القيامة	٤٠أو ٣٩	١٩٩	٦٥٢	٣١	مكّيّه
الدّهر	٣١	٢٤٠	١٠٥٤	٩٨	مدنيّة
المرسلات	٥٠	١٨١	٨١٦	٣٣	مكّيّة عدا الآية ٤٨
النّبأ(عمّ)	٤٠أو ٣٩	١٧٣	٧٧٠	٨٠	مكّيّه
النّازعات	٤٦أو ٤٥	١٣٩	٧٥٣	٨١	مكّيّه
عبس	٤٢أو ٤١أو ٤٠	١٣٣	٥٣٣	٢٤	مكّيّه
التّكوير	٢٩	١١٤	٥٣٣	٧	مكّيّه
الانفطار	١٩	٨٠	٣٢٧	٨٢	مكّيّه
المطفّفين	٣٦	١٧٧	٨٣٠	٨٦	مكّيّه
الإنشقاق	٢٥أو ٢٣أو ٢٤	١٠٩	٤٣٠	٨٢	مكّيّه
البروج	٢٢	١٠٩	٤٥٨	٢٧	مكّيّه

الطّارق	١٧أو١٦	٦١	٢٤٥	٣٦	مكيّة
الأعلى	١٩	٧٢	٢٧٠	٨	مكيّة
الغاشية	٢٦	٧٢	٣٣٠	٦٨	مكيّة
الفجر	٣٠أو٢٩أو ٣٢أو٣٣	١٣٧	٥٧٧	١٠	مكيّة
البلد	٢٠	٨٢	٢٣٠	٣٥	مكيّة
الشّمس	١٥أو١٦	٥٤	٢٤٧	٢٦	مكيّة
اللّيل	٢١	٧١	٣٢٠	٩	مكيّة
والضّحى	١١	٤٠	١٩٢	٢ـ٣ـ١١	مكيّة
الإنشراح	٨	٢٧	١٠٣	١٢	مكيّة
التّين	٨	٣٤	١٥٠	٢٨	مكيّة
العلق	١٨أو ١٩أو ٢٠	٩٢	٢٨٠	٥	مكيّة
القدر	٥ أو ٦	٣٠	١٢	٢٥	مكيّة
البيّنة	٨ أو ٩	٩٤	٣٩٢	١٠٠	مدنيّة
الزّلزال	٨ أو ٩	٣٥	١٤٩	٩٣	مدنيّة
العاديات	١١	٤٠	١٦٣	١٤	مكيّة
القارعة	١١ أو ١٠ أو ٨	٣٦	١٥٠	٣٠	مكيّة
التّكاثر	٨	٢٨	١٢٠	١٦	مكيّة
العصر	٣	١٤	٦٨	١٣	مكيّة
الهُمَزة	٩	٣٣	١٣٠	٣٢	مكيّة
الفيل	٥	٢٣	٩٦	١٩	مكيّة
قريش	٤ أو ٥	١٧	٩٣	٢٩	مكيّة
الماعون	٧ أو ٦	٢٥	١٢٥	١٧	مكيّة عدا الآيات ٤ـ٧
الكوثر	٣	١٠	٤٢	١٥	مكيّة
الكافرون	٦	٢٦	٩٤	١٨	مكيّة

النّصر	٣	١٩	٧٨	١١٤	نزلت في منىٰ
أبو لهب (تبّت)	٥	٢٠	٧٧	٦	مكّيّه
الإخلاص	٤ أو ٥	١٥	٤٧	٢٢	مكّيّه
الفلق	٥	٢٣	٧٤	٢٠	مكّيّه
النّاس	٦أو ٧	٢٠	٧٩	٢١	مكّيّه

(٧١ـ ٧٨)

الفصل التّاسع والثّلاثون

نصّ مير محمّدي (معاصر) في «بحوث في تاريخ القرآن ...»

تقسيم السُّوَر إلى آيات

أعني تقسيم السُّوَر إلى آيات، وتقديرها في مقدار معيّن من الكلمات: إنّ الظّاهر أنّ ذلك حصل من الله جلّ وعَلا، فنزّل آيات كتابه على هذا النّحو الخاصّ الموجود على الرّسول ﷺ بواسطة جبرئيل، وليس لغير الله أيّ حظّ في ذلك. ويدلّ على ذلك أُمور:

الأوّل ـ ما دلّ على أنّ القرآن معجز للخلق يدلّ على أنّ أُسلوب القرآن، ومنه التّجزئة إلى الآيات معجز أيضًا، فلا يمكن إيكاله إلى النّاس، ليستقلّوا به، وتلعب أيديهم فيه، مع ما هو من اختلافهم في الفهم والذّوق.

أضف إلى ذلك أنّه لو كان أذن لهم، لحصل الاختلاف قطعًا، ولو حصل الاختلاف لبان. ونحن لا نرى اختلافًا بينهم إلّا ما شذّ ممّا كان منشؤه تلقّي الآيات من النّبيّ ﷺ، وسيأتي.

وهذا الاتّفاق والتّسالم من النّاس كافّة يعتبر أقوى شاهد على أنّ التّجزئة أمر توقيفيّ إلهيّ، يجب إطاعته على النّاس ... ولو كانت الآيات تتكوّن نتيجة اجتهاد المجتهد، لرأينا أنّ المجتهد الآخر الّذي يرى نفسه أعلم وأفهم يعارض ذلك ويناقضه، ولا يتصوّر في حقّه قبوله. فالرّضا منهم جميعًا دليل على أنّ ذلك حصل ممّن تجب طاعته، وهو واضح.

الثّاني ـ ما ورد من الأحاديث المرويّة في كتب الإماميّة وغيرهم، الدّالّة على أنّ الآيات بهذه الصّورة كانت موجودة في عصر النّبيّ ﷺ، وأنّه ﷺ كان يذكر الآيات، ويعيّن مقدار الثّواب لقارئها.

منها: ما عن الشّيخ الثّقة ماجيلويه بسند ذكره عن عليّ بن الحسين عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: من قرأ أربع آيات من أوّل البقرة، وآية الكرسيّ وآيتين بعدها، وثلاث آيات من آخرها لم ير في نفسه وماله شيئاً يكرهه إلخ[١].

٢ـ ما عن أمالي الصّدوق بإسناده عن أمير المؤمنين عليه‌السلام قال: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ آية من فاتحة الكتاب، و هي سبع آيات: تمامها بـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول: إنّ الله عزّ وجلّ قال لي: يا محمّد: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[٢] فأفرد الامتنان عليّ بفاتحة الكتاب و جعلها بإزاء القرآن العظيم إلخ ...[٣]

٣ـ ما عن سعيد بن المعلّى ..[وذكر كما تقدّم عن الزُّرقاني].

٤ـ ما رواه الصّدوق رحمه‌الله من أنّه قيل لأمير المؤمنين عليه‌السلام: أخبرنا عن ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ هل من فاتحة الكتاب؟ فقال: نعم، كان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يقرؤها ويعدّها آية منها، ويقول: «فاتحة الكتاب هي السّبع المثاني»[٤].

فهذه الآخبار تدلّ على أنّ تجزئة سورة الحمد إلى آيات سبع كان من الله تعالى، حيث عبّر عنها في كتابه المجيد بالسّبع المثاني.

وهذه الرّواية و الّتي قبلها وإن كانت واردة في مورد خاصّ، إلّا أنّها يمكن أن تجعل دليلًا على الكلّ بالاستعانة بالقول بعدم الفصل.

الثّالث ـ أنّ عدّ جملة من كلام الله آية، وعدم عدّ ما يشابهها آية دليل على أنّ ذلك أمر تعبّديّ لا اجتهاديّ، وإلّا لا تحدّ المأخذ والأسلوب ...[ثمّ ذكر قول الزّمخشريّ، كما تقدّم عن الزّركشيّ فقال:]

ثمّ إنّ المـصْحَف الأميريّ الّذي تلقّاه المسلمون بالقبول، وعنه تطبع ملايين النُّسَخ سنويًّا

١ـ البحار ٩٢: ٣٦٥، عن ثواب الأعمال.

٢ـ الحِجر/ ٨٧.

٣ـ البحار ٩٢: ٢٢٧.

٤ـ البحار ٩٢: ٢٢٧ عن عيون أخبار الرّضا عليه‌السلام.

قد لوحظ فيه (طسٓمٓ) و (الٓمٓ) و (يسٓ) و (حمٓ) حيث وقعت (عسٓقٓ) و(طه) و(الٓمٓصٓ) و(كهيعصٓ) آية، ولم يلاحظ فيه (طس) و(صٓ) و(قٓ) و(نٓ) و(الٓر) و(الٓمٓر) آية.

وهذا يكشف أيضًا عن أنّ لجنة مراجعة المصاحف بمشيخة الأزهر قد لاحظت أنّ هذا أمر تعبّديّ، لايجوز المساس به ولا التّصرّف فيه.

الاختلاف في عدد آيات القرآن

وأمّا اختلافهم في عدد الآيات، فهو كما في «التّبيان» قليل جدًّا، حيث قال... [وذكر كما تقدّم عن الزُّرقانيّ ثمّ قال:]

ولكن ربّما نجد الاختلاف بشكل أوسع ممّا قاله في «التّبيان» فقد نقل عن ابن عبّاس قوله: جميع آي القرآن ستّة آلاف آية وستّمائة آية، وستّ عشرة آية ... [ثمّ ذكر قول الدّانيّ في عدد الآيات، كما تقدّم عن السّيوطيّ، و ذكر بعدها سبب اختلاف العلماء في عدد الآيات، كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]. هذا كلّه بالنّسبة إلى تجزئة السُّوَر إلى آيات الّذي ثبت أنّه من الله تعالى. (٦٩ـ٩٩)

الفصل الأربعون

نصّ الحسينيّ الجلاليّ (١٣٦١ ـ ...) في «دراسة حول القرآن الكريم»

الآية مفهومًا ومصداقًا

جاءت الآية في اللّغة بمعانٍ مختلفة، منها: العلامة والعُجب والجماعة. وقد وردت كلمة الآية ومشتقّاتها في القرآن الكريم (٣٨٣) مرّةً بمعنى العلامة في موارد كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾[١].

ولكن رجوع الموارد الأُخرى إلى هذا المعنى أيضًا يمكن بنوعٍ من التكلّف. كما أنّ في القرآن الكريم استعملت مادّة الآية إلى المقطّعات في آيات، منها:

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[٢].

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾[٣].

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[٤].

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾[٥].

---

١ ـ البقرة/٢٤٨.

٢ ـ يونس/١.

٣ ـ آل عمران/٧.

٤ ـ يوسف/١.

٥ ـ الحجر/١.

﴿وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾[1].

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾[2].

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3].

فقوله تعالى: ﴿الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ تطبيق لمادّة الآية على قسم من النّصّ القرآنيّ. وقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ تصريح بأنّ الآية قسم من السّورة وليست قسيمًا لها. وقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ إرجاع إلى القرآن والمفهوم من السّياق، أمّا الآيات الّتي أشارت إلى الحروف المقطّعة نحو: (الٓر) و(الٓم) و(صٓ) بأنّها (آيات الكتب) تطبيق بأنّ هذه الكلمات تشكّل آية من القرآن، وكلّ ذلك لما لها من دلالة لغويّة، أي أنّها علامات الوحي المُنْزَل على النّبيّ المُرْسَل. وبهذا المعنى اللّغويّ استعملت كلمة (الآية) في الرّوايات، منها:

وكان الرّضا عليه السلام يختم القرآن في كلّ ثلاث، ويقول: «لو أردت أن أختمه في أقلّ من ثلاث لختمتُه، ولكن ما مررتُ بآية قطّ إلّا فكّرتُ فيها وفي أيّ شيء أُنْزِلَتْ، وفي أيّ وقت، فلذلك صِرْتُ أختم ثلاثة أيّام»[4]. وقد عرفت مقاطع من القرآن بالآيات مع أنّها أكثر من جملة، منها:

١ـ آية الكُرسيّ: وهي الآيات من ٢٥٥ إلى ٢٥٧ من سورة البقرة.

٢ـ آيه السُّخرة: وهي الآيات من ٥٤ إلى ٥٦ من سورة الأعراف[5]. وقد ورد في الرّوايات تصريح بهذه التّسمية:

عن الباقر عليه السلام قال: «من قرأ آية الكرسيّ مرّة صرف عنه ألف مكروه من مكروه الدّنيا

١ـ الحجّ/١٦.

٢ـ النّور/١.

٣ـ النّمل/١.

٤ـ البحار ٩٢: ٢٠٤.

٥ـ البحار ٨٧: ٥٨.

وألف مكروهٍ من مكروه الآخرة، أيسر مكروه الدّنيا الفقر، وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر».

وعن موسى بن جعفر عليه‌السلام قال: «سمع بعض آبائي عليهم‌السلام رجلًا يقرأ «أُمّ القرآن»، قال «شُكر وأُجرَ» ثمّ سمعه يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[1]، فقال آمَن وأُمِن، ثمّ سَمِعه يقرأ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾[2]، فقال: صدّق وغُفِر له، ثمّ سمعه يقرأ آية الكُرسيّ، فقال: بخٍ بخٍ نزلت براءة هذا من النّار»[3].

وروى السّيوطيّ: «سيّدة آي القرآن: آية الكرسيّ»[4].

٣ـ آية النّبأ: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[5].

٤ـ آية التّطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[6].

٥ـ آية النّفر: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[7]. وليست هذه العناوين من تسمية النّبيّ نفسه بل أوصاف هي باعتبار مواضيعها انتخبها القُرّاء أو الفقهاء والمحدّثون القُدامى إشارة إلى مواضعيها.

تحديد الآية

[بعد ذكر قول الجَعْبَريّ وغيره كما تقدّم عن الزّركشيّ، قال:] وقول الزّركشيّ (تقديرًا)

١ـ الإخلاص/ ١.

٢ـ القدر/ ١.

٣ـ البحار ٩٢: ٢٦٢.

٤ـ الإتقان ٢: ١٥٣.

٥ـ الحُجُرات/ ٦.

٦ـ الأحزاب/ ٣٣.

٧ـ التّوبة/ ١٢٢.

يشتمل الكلمات المفردة، ولعلّ لهذا السّبب عدل السّيوطيّ في تعريف الآية وقال: فالآية طائفة من حروف القرآن عُلم بالتّوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الّذي بعدها في أوّل القرآن، وعن الكلام الّذي قبلها في آخر القرآن، وعمّا قبلها وما بعدها في غيرهما غير مشتمل على مثل ذلك. قال: وبهذا القيد خرجت السّورة.

وقال الزّمخشريّ: الآيات علم توقيفيّ لا مجال للقياس فيه، ولذلك عدّوا: الٓمٓ آية حيث وقعت والٓمٓصٓ، ولم يعدّوا: الٓمٓر والٓر، وعدّوا: حمٓ آية.

ويظهر من بعض الرّوايات أنّ المفهوم الاصطلاحيّ للآية لَمّيّ حُدّد في عصر الصّحابة. قال ابن عبّاس: أرجى آية في القرآن: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[1]، وهذا بعض الآية وليس كلّها.

قال الزُّرقانيّ: ثمّ خصّت الآية في الاصطلاح بأنّها طائفة ذات مَطْلَعٍ ومَقْطَعٍ متدرّجة في سُوَر القرآن[2].

فإن كان قصده ﷺ المَطْلع والمَقْطع في المعنى، فهذا يستلزم أن يكون كلّ آية مستقلّةً في المعنى من الآية الأُخرى، أي أن تكون جملة تامّة ذات معنًى مستقلّ، وهذا لا يستقيم في كلّ الآيات.

ويظهر مقياس الجملة التّامّة من كلام ابن عطيّة بقوله ... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

وكلام ابن عطيّة لا يستقيم، فإنّ في الآيات القرآنيّة ما تشتمل على الكلمة المفردة والجملة التّامّة والجملة الغير التّامّة. فليس المقياس في الآية كونها جملة تامّةً ... [ثمّ ذكر قول ابن العربيّ، كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

وهنا زاد السّيوطيّ على قول ابن العربيّ: وقال غيره سبب اختلاف السّلف في عدد الآي

١ـ الرّعد/٦.

٢ـ مناهل العرفان ١: ٣٣٢.

أنّ النّبيّ ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلّها وصل للتّمام، فيحسب السّامع حينئذ أنّها ليست فاصلةً.

فتحديد الآية بالجملة المفيدة يقتضي أن تكون الآيات ذات الاستثناء واحدة، وليست كذلك في القرآن. مثلًا في سورة البقرة الآيتان ١٥٩ و ١٦٠ تشكّلان جملة واحدة مع أنّهما آيتان، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ...﴾[1]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2] فهما آيتان من القرآن، مع أنّ الجملة لا تتمّ إلّا بعد الاستثناء.

إنّ تحديد الآيات حسب التّرقيم المتداول اليوم ليس على اعتبار تماميّة المعنى واستقلاليّة الجملة، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ﴾[4]، مع أنّ الآية ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ليست جملة تامّة، ولولا تصوّر أنّ هذا تلاعب بالنّصّ القرآنيّ، لكان الأفضل إلحاقها بما قبلها. ورُوي أنّ مواضع الآيات في السُّوَر كانت بإشراف النّبيّ ﷺ، وكان ﷺ يقول: «ضَعُوا آية كذا في مكان كذا» ... [إلى أن قال:]

عدد الآيات

قال الدّانيّ: «أجمعوا على أنّ عدد الآيات في القرآن ستّة آلاف ومائة آية، ثمّ اختلفوا فيما زاد» ... [ثمّ ذكر قول ابن عطيّة والطّبرسيّ والسّيوطيّ في عدد الآيات، كما تقدّم عنهم، ثمّ ذكر بعدها جدول في عدد الآيات، كما تقدّم عن الحُجّتيّ مع تفاوت يسير، فقال:]

١ـ البقرة/ ١٥٩.

٢ـ البقرة/ ١٦٠.

٣ـ البقرة/ ٢١٩.

٤ـ البقرة ٢٢٠.

ولم يحدّد بالضّبط في الخلاف القائلون بها سوى ما حدّده ابن الجَـوزيّ مـن سـتّة مـوارد فراجع: ص ٦٢.

و الآيات في القرآن الكريم تختلف في الطُّول والقَصْر، فقد تكون:

١ـ كلمة واحدة ﴿مُدْهَامَّتَان﴾[1].

٢ـ كلمتان ﴿وَالضُّحٰى﴾[2].

٣ـ كلمات في جملة غير تامّة.

٤ـ أو جملة تامّة، و هي أغلب الآيات.

وأطول آية في سورة البقرة الآية ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْن..﴾ في ١٥ سطرًا.

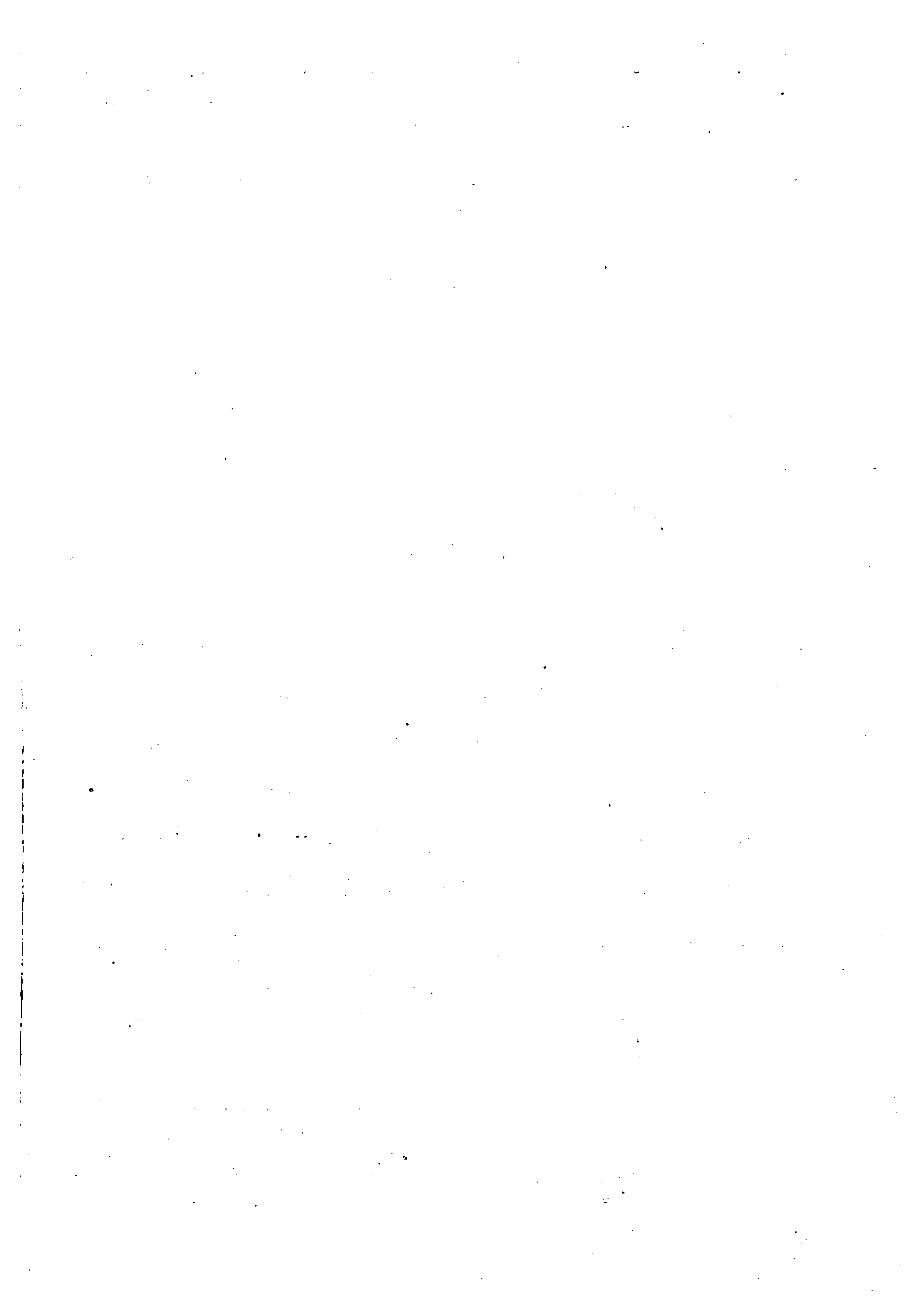
ويرى السّيوطيّ: أنّ فائدة معرفة الآية معرفة حكم الوقف، فنقل عن الهُذَليّ ...[وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

أقول: وهذا حكم قاسٍ على فائدة العدد، و إن كان هناك من يستقلّ به ليروّج بـه سـوقه ومصلحته الشّخصيّة، ولكن ضبط العدد إن استند إلى قراءة النّبيّ ﷺ لَهُو من أعظم الفوائد.

ومن هنا يكشف أنّ ضبط العدد لم يكن مستندًا إلى النّبيّ ﷺ، بـل هـو مـن اجتـهادات المتأخّرين، ولذلك يصحّ كلام الزّعفرانيّ المذكور، والمعمول اليوم في تحديد آيات القرآن هـو طريقة الكوفيّين ٦٢٣٦، و أقلّ روايات السّيوطيّ هي: ٦١٧٥، والفرق (٦١)، وليس هذا من النّقص في القرآن الكريم، بل في تحديد مواضع الآيات. (٤١ ـ ٥٦)

١ـ الرّحمن/ ٦٤.

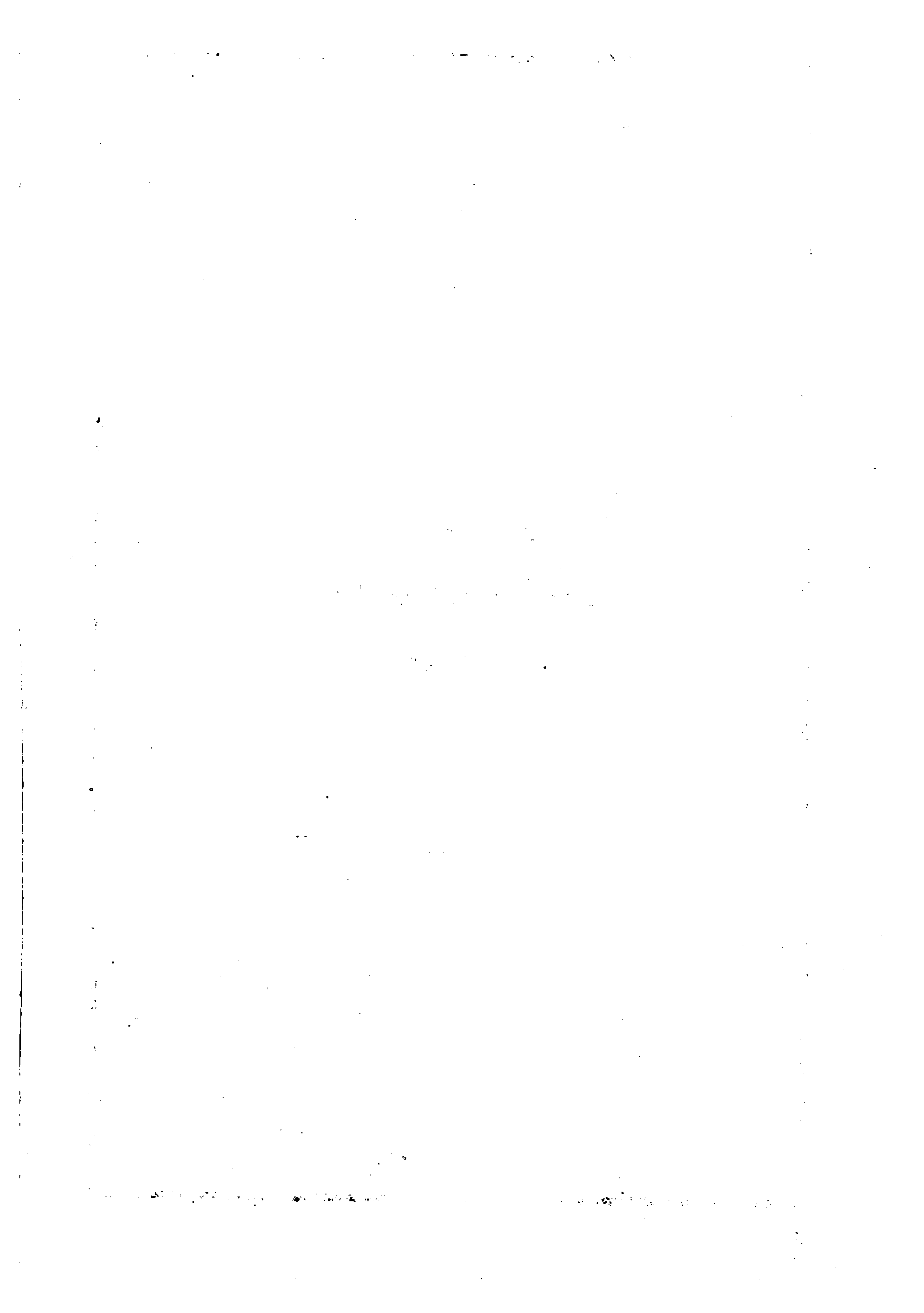
٢ـ الضّحى/ ١.



الباب العاشر

تناسب الآيات والسُّوَر

وفيه فصول:



الفصل الأوّل

نصّ الطّبرسيّ (م: ٥٤٨) في «مجمع البيان لعلوم القرآن»

[اعتقد الشّيخ التّناسب بين الآيات والسُّوَر سيّما بين آخر كلّ سورة و فاتحة لاحقتها، كما ذكر ذلك في مواضع مختلفة من تفسيره، ونذكر فيما يلي نماذجَ منها:]

[قال في سورة الفاتحة:]

النّظم: وأمّا نظم هذه السّورة، فأقول فيه: إنّ العاقل المميّز إذا عرف نِعَم الله سبحانه بالمشاهدة،وكان له من نفسه بذلك أعدل شاهد، وأصدق رائد، ابتدأ بآية التّسمية استفتاحًا باسم المـُنعِم، واعترافًا بإلهيّته، واستر واحًا إلى ذكر فضله ورحمته.

ولمـّا اعترف بالمنعم الفرد، اشتغل بالشّكر له والحمد، فقال: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰه﴾.

ولمـّا رأى نِعَم الله تعالى على غيره واضحة، كما شاهد آثارها على نفسه لائحة، عرف أنّه ربّ الخلائق أجمعين، فقال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ولمـّا رأى شمول فضله للمربوبين،وعموم رزقه لمرزوقين،قال: ﴿الرَّحْمٰنِ﴾.

ولمـّا رأى تقصيرهم في واجب شكره، وتعذيرهم[1] في الانزجار عند زجره، واجتناب نهيه، وامتثال أمره، وأنّه تعالى يتجاوز عنهم بالغفران، ولا يؤاخذهم عاجلًا بالعصيان، ولا يسلبهم نِعَمه بالكفران، قال: ﴿اَلرَّحِيمِ﴾.

ولمـّا رأى ما بين العباد من التّباغي والتّظالم، والتّكالم والتّلاكم، وأن ليس بعضهم من شرّ

---

١ ـ عذّر تعذيرًا: لم يثبت له عذر، وذلك إذا لم يأت بعذر صدق.

بعض بسالم، على أنّ وراءهم يومًا ينتصف فيه للمظلوم من الظّالم، فقال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. وإذا عرف هذه الجملة، فقد علم أنّ له خالقًا رازقًا رحيمًا، يحيي ويميت، ويبدئ ويعيد، وهو الحيّ لا يشبهه شيء، والإله الّذي لا يستحقّ العبادة سواه.

ولمّا صار الموصوف بهذا الوصف كالمدرك له بالعيان، المشاهد بالبرهان، تحوّل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب، فقال: ﴿اِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. وهذا كما أنّ الإنسان يصف المَلِك بصفاته، فإذا رآه، عدل عن الوصف إلى الخطاب.

ولمّا رأى اعتراض الأهواء والشّبهات، وتعاور الآراء المختلفات، و لم يجد مُعينًا غير الله تعالى، سأله الإعانة على الطّاعات، بجميع الأسباب لها و الوُصُلات، فقال: ﴿وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ولمّا عرف هذه الجملة، وتبيّن له أنّه بلغ من معرفة الحقّ المدى، واستقام على منهج الهدى، ولم يأمن العثرة لارتفاع العصمة، سأل الله تعالى التّوفيق للدّوام عليه والثّبات، والعصمة من الزّلّات، فقال: ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وهذا لفظ جامع يشتمل على مسألة معرفة الأحكام، والتّوفيق لإقامة شرائع الإسلام، والاقتداء بمن أوجب الله طاعته من أئمّة الأنام، واجتناب المحارم والآثام.

وإذا علم ذلك، علم أنّ لله سبحانه عبادًا خصّهم بنعمته، واصطفاهم على بريّته، وجعلهم حُجَجًا على خليقته، فسأله أن يلحقه بهم، ويسلك به سبيلهم، وأن يعصمه عن مثل أحوال الزّالّين المزلّين، والضّالّين المضلّين، ممّن عاند الحقّ، وعمي عن طريق الرّشد، وخالف سبيل القصد، فغضب الله عليه و لعنه، وأعدّ له الخزي المقيم، والعذاب الأليم، أو شكّ في واضح الدّليل، فضلّ عن سواء السّبيل، فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. (١: ٣١)

[قال في سورة الأعراف:]

لمّا ختمت سورة «الأنعام» بالرّحمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]، افتتحت هذه السّورة «الأعراف» بإنزال الكتاب ﴿كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ...﴾[2] لأنّ فيه معالم الدّين و هي رحمة للعالمين. (٢: ٣٩٣ـ٣٩٤)

[قال في سورة الرّعد:]

لمّا ختمت سورة يوسف بذكر قصص الأنبياء ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ﴾[3]، افتتحت هذه السّورة بأنّ جميع ذلك آيات الكتاب: ﴿الٓمٓرٰ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ...﴾! (٣: ٢٧٣)

[قال في سورة الحِجْر:]

لمّا ختم الله سورة إبراهيم بذكر القرآن و إنّه بلاغ و كفاية لأهل الإسلام، افتتح هذه السّورة بذكر القرآن ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾)! (٣: ٣٢٦)

[قال في سورة الأنبياء:]

ختم الله سبحانه سورة طه بذكر الوعيد، وافتتح هذه السّورة بذكر القيامة. (٤: ٣٨)

[قال في سورة النّور:]

ختم الله سبحانه سورة المؤمنين بأنّه لم يخلق الخلق للعبث، بل للأمر والنّهي، وابتدأ هذه السّورة بذكر الأمر والنّهي، وبيان الشّرائع. (٤: ١٢٣)

[قال في سورة الشّعراء:]

ذكر الله سبحانه في مختتم سورة الفرقان تكذيبهم بالكتاب، وذكر في مفتتح هذه السّورة وصف الكتاب،فقال: ﴿طسٓمٓ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾. (٤: ١٨٣)

١ـ الأنعام/ ١٦٥.

٢ـ الأعراف/ ٢.

٣ـ يوسف/ ١١١.

[قال في سورة الرّوم:]

أجمل في آخر العنكبوت ذكر المجاهدين، ثمّ فصّل في هذه السّورة، فقال: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾. (٤: ٢٩٤)

[قال في سورة الذّاريات:]

لمّا ختم الله تعالى سورة قٓ بالوعيد، افتتح هذه السّورة بتحقيق الوعيد. (٥: ١٥١)

[قال في سورة الواقعة:]

ختم الله سبحانه سورة الرّحمن بصفة الجنّة، وافتتح هذه السّورة أيضًا بصفة القيامة والجنّة، فاتّصلت إحداهما بالأُخرى اتّصال النّظير للنّظير. (٥: ٢١٣)

[قال في سورة الحشر:]

لمّا ختم الله سورة المجادلة بذكر حزب الشّيطان، وحزب الله، افتتح هذه السّورة بقهره حزب الشّيطان، وما نالهم بالجلاء من الخزي والهوان، ونصرة حزبه من أهل الإيمان. (٥: ٢٥٦)

[قال في سورة الطّلاق:]

لمّا ختم الله سورة التّغابن بذكر النّساء، والتّحذير منهنّ، افتتح هذه السّورة بذكرهنّ، وذكر أحكامهنّ، وأحكام فراقهنّ. (٥: ٣٠٢)

الفصل الثّاني

نصّ ابن عربيّ (م: ٦٣٨) في «رحمة من الرّحمان»

المناسبة بين آي القرآن

لابدّ من مناسبة بين آي القرآن من نسق بعضها إلى بعض، فيُعرَف الجامع بين الآيتين، وإن كان بينهما بُعْد ظاهر، فذلك صحيح، ولكن لابدّ من وجهٍ جامعٍ بين الآيتين مناسب هو الّذي أعطى أن تكون هذه الآية مناسبة لما جاورها من الآيات. لأنّه نظم إلهيّ.

ومارأينا أحدًا ذهب إلى النّظر في هذا إلّا «الرُّمّاني» من النّحويّين، فإنّ له تفسيرًا للقرآن، أخبرني من وقف عليه أنّه نحا في القرآن هذا المنحى، ولذلك نقول: إنّ كلّ آية في الهجيرات تؤخذ على انفرادها كما سطرت، وعند أهل التّحقيق هذا المأخذ وإن كان عالي الأوج، فإنّ مسمّى الآية إذا لزمتها أُمور من قبل أو بعد، يظهر من قوّة الكلام أنّ الآية تطلب تلك اللّوازم، فلاتكمل الآية إلّا بها، وهو نظر الكامل من الرّجال، فمن ينظر في كلام الله على هذا النّمط، فإنّه يفوز بعلم كبير وخير كثير.

فإنّ الحقّ سبحانه لايعيّن لفظًا ولايقيّد أمرًا إلّا و قد أراد من عباده أن ينظروا فيه من حيث ما خصّصه وأفرده لتلك الحالة، أو عيّنه بتلك العبارة، ومتى لم ينظر النّاظر في هذه الأُمور بهذه العين فقدغاب عن الصّواب المطلوب. (١: ١٤١٣)

الفصل الثّالث

نصّ ابن الزُّبَير (م:٧٠٨) في «البرهان في تناسب سُوَر القرآن»

[تناسب السُّوَر و تلاحمها]

... فإنّي اعتبرت قوله ﷺ: « ما من نبيّ إلّا و قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الّذي أُوتيت وحيًا أوحى الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة»[1]. و تأمّلت ما أيّد به عليه السلام من المعجزات سوى القرآن، فإذاً بضروب لايحصيها العدّ، ولاتكاد تنحصر بالحدّ، و قد قال عليه السلام: «وإنّما كان الّذي أُوتيت وحيًا» يشير إلى دليل القرآن، و ما خصّ به ﷺ من ساطع ذلك البرهان، و ما ذاك إلّا لكون (معجزته) أوضح و أحكم، و أهدى و أقوم، فإنّما ضمنت إلى الدّلالة و الشّهادة إيضاح الطّريق، و أعلمت (بحال) كلّ فريقٍ، ثمّ زادت بنقائها للمعتبر ومشاهدتها للمدّكر، وقد اضطرّ من (تأخّر) فيما سواها للخبر، و ليس كالعيان، فللّه ما أعظمها معجزة باقية مدى الدّهور و الأزمان، و للمشاهدة حال لاينكر و تعريف لايتنكّر، و فرق بين ما عرف بالمشاهدة و بين ما عُلِم بالدّليل، و حسبك سؤال نبيّ الله الخليل.

فالحمدلله الّذي جمع لهذه الأُمّة الأمرين، و خصّها بالاعتبارين، فمن معجزات نبيّنا عليه السلام المستوضح اعتبارًا بالبيان، والمشاهد حسًّا بالعيان، و كما أنّ من تعامى في حياته ﷺ عن نبع الماء من بين أصابعه وغير ذلك من معجزاته ملومٌ مدحورٌ، ومأزورٌ غير مأجورٍ، فكذلك من تعامى عن آيات الكتاب و كأن لم يقرع أُذُنه قارع من هذا الباب، ولهذا نبّه تعالى بقوله:

---

١ ـ البخاريّ، فضائل القرآن: ٦١، مسلم، كتاب الإيمان: ٢٣٩.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[1] و بقوله: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[2]، و جهات اعتباره كثيرة، و لسلف هذه الأُمّة و خلفها مسالك في ذلك شهيرة.

و إنّي تأمّلت منها ـ بفضل الله ـ وجوه ارتباطاته و تلاحم سُوَره و آياته إلى ما يلتحم (مع) هذا القبيل من عجائب شواهد التّنزيل، فعلقت في ذلك ما قدر لي، ثمّ قطعت بي قواطع الأيّام عن تتميم رَوْمي من ذلك و عملي، فاقتصرت بحكم الاضطرار في هذا الاختصار على (توجيه) ترتيب السُّوَر، و إن لم أر في هذا الضّرب الخاصّ شيئًا لمن تقدّم و غبر، وإنّما بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع مفترقات، وذلك في الباب أوضح، ومجال الكلام فيه أفسح. وأمّا تعلّق السُّوَر على ما ترتّبت في الإمام واتّفق عليه الصّحابة الأعلام فممّا لم يتعرّض له فيما أعلم، و لا قرع أحد هذا الباب ممّن تأخّر أو تقدّم. فإن صلّى أحد بعد فهذه الإقامة أو ائتمّ فمرتبط حتمًا بهذه الإمامة، فإن أنصف فلابدّ أن ينشد إذعانًا للحقّ و إنابه: فلو قَبل بُكاها بَكَتْ صَبابةً ... [ثمّ ذكر باب التّعريف بترتيب السُّوَر[3]، و إن شئت فراجع، فقال:]

[نماذج من تناسب السُّوَر]

سورة أُمّ القرآن: قد ذكر النّاس كيفيّة تضمّنها مجملًا لما تفصل في الكتاب العزيز بجملته، و هو أوضح وجه في تقدّمها سُوَره المكرمة، ثمّ (هي) ممّا يلزم المسلم حفظه، و لابدّ للمصلّي من قراءتها، ثمّ افتتاحها بحمد الله سبحانه، وقد شرع في ابتداءات الأُمور، و أوضح الشّرع فضل ذلك، وأخذ به كلّ خطيب و متكلّم، و فيها تعقيب الحمد (له) سبحانه بذكر صفاته الحسنى، و الإشارة إلى إرسال الرُّسُل في قوله: ﴿اهْدِنَا﴾، و قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وقد قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[4]، وذكر افتراق الخلق

---

١ ـ النّساء /٨٩، محمّد/٢٤.

٢ ـ ص / ٢٩.

٣ ـ ذكر المؤلّف هذا الباب في هذا المجال و حذفناه لأنّا ذكرناه في موضعه ج ٣ من هذا الكتاب. (م)

٤ ـ الأنعام / ٩٠.

بذكر المهتدين و ذكر المغضوب عليهم و الضالّين، و أنّ ملاك الهدى بيده: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهذا كلّه اشفىٰ شيء في بيان (وجه) التّقديم.

سورة البقرة: لمّا قال العبد بتوفيق ربّه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قيل له: ﴿ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[1]،هو مطلوبك و فيه أربك، و هو الصّراط المستقيم ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ القائلين: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ و الخائفين من حال الفريقين المغضوب عليهم و الضالّين، فاتّخذوا وقاية من العذاب خوف ربّهم و تقواه، بامتثال أمره و نهيه، ثمّ أُشير من الأعمال إلى ما (يستحقّ)سائرها من قبيل البدنيّات و الماليّات بيانًا للصّراط المستقيم، فقيل في وصف المتّقين:إنّهم: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[2]... [إلى أن قال:].

فحصل من(السّورة) بأسرها بيان الصّراط المستقيم على الاستيفاء و الكمال أخذًا وتركًا،وبيان شرف من أخذ به وسوء حال من تنكّب عنه،وكأنّ العباد لما علّموا أن يقولوا: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السّورة، قيل لهم: عليكم بالكتاب إجابة لسؤالهم، ثمّ بيّن لهم حال من سلك ما طلبوه، فكأن قد قيل لهم: أهل الصّراط المستقيم وسالكوه هم الّذين من أمرهم و من شأنهم ...، و المغضوب عليهم من المتنكّبين هم اليهود الّذين من أمرهم و من شأنهم ...، والضالّون هم النّصارى الّذين من أمرهم و من شأنهم ...، فيجب على من رغب في سلوك الصّراط المستقيم أن يحذر ما أصاب هؤلاء ممّا نبّه عليه، من أن يأخذ نفسه بكذا و كذا، و أن ينسحب (إيمانه) على كلّ ذلك، و أن يسلّم الأمر لله الّذي (يطلب) منه الهداية،ويتضرّع إليه بأن لايؤاخذه بما يثمره النّسيان و الخطأ، و أن لايحمّله ما ليس في وسعه، و أن يعفو عنه، إلى آخر السّؤال. (٧٠ـ٨٤)

١ـالبقرة / ٢.

٢ـالبقرة / ٣.

[بعد ذكر سورة العلق و تناسبها بما قبلها، قال في فصل:]

و لعلّ بعض من لم يتفطّن يعترض هنا بأنّ هذه السّورة من أوّل ما نزل، فكيف يستقيم مرادك من ادّعاء ترتيبها على ما تأخّر عنها نزولًا؟ فنقول له: و أين غاب اعتراضك في عدّة سُوَر ممّا تقدّم؟ بل في معظم ذلك؟ و إلّا أفليست سورة البقرة من المدنيّ و مقتضى تأليفنا هذا بناء ما بعدها من السُّوَر ـ على التّرتيب الحاصل في مُصْحَف الجماعة ـ إنّما هو عليها، و في ما بعدها من المكّيّ ما لا يحصى؟ فإنّما غاب عنك ما قدّمنا في خطبة هذا الكتاب من أنّ ترتيب السُّوَر على ما هي عليه راجع إلى فعله عليه السلام، كان ذلك بتوقيفٍ منه عليه السلام أو باجتهاد الصّحابة على ما قدّمناه. فارْجع بصرك، و أعِدْ في الخطبة نظرك، والله يوفّقنا إلى اعتبار بيانه و تدبّر آياته، و يحملنا في ذلك على ما يقرب إليه بمنّه وفضله. (ص: ٢٣٦)

سورة الفيل: لما تضمّنت سورة الهُمَزة ذكر اغترار من فتَن بماله حتّى ظنّ أنّه يخلده، و ما أعقبه ذلك، أتبع هذا بذكر أصحاب الفيل الّذين غرّهم تكاثرهم، و خدعهم امتدادهم في البلاد واستيلاؤهم، حتّى همّوا بهدم البيت المحرّم، فتعجّلوا النّقمة، و جعل الله كيدهم في تضليل: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾[1] أي جماعات متفرّقة ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾[2]، حتّى استأصلتهم و قطعت دابرهم ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[3]، و أثمر لهم ذلك اغترارهم و توفّر حظّهم من الخسر المتقدّم.

سورة قريش: لا خفاء باتّصالها، أي إنّه تعالى فعل ذلك بأصحاب الفيل، و منعهم عن بيته و حرمه لانتظام شمل قريش، و هم سُكّان الحرم و قُطّان بيت الله، و ليؤلفهم بهاتين الرّحلتين فيقيموا بمكّة أمن ساحتهم. (٢٤٠ـ٢٤١)

١ـ الفيل / ٣.

٢ـ الفيل / ٤.

٣ـ الفيل / ٥.

الفصل الرّابع

نصّ الزَّركشيّ (م: ٧٩٤) في «البرهان في علوم القرآن»

معرفة المناسبات بين الآيات

وقد أفرده بالتّصنيف الأُستاذ أبوجعفر بن الزُّبَير شيخ الشّيخ أبي حَيّان، وتفسير الإمام فخرالدّين فيه شيء كثير من ذلك.

واعلم! أنّ المناسبة عِلْمٌ شريفٌ، تحزَرَ به العقول، ويُعرف به قدر القائل فيما يقول، والمناسبة في اللّغة: المقاربة، وفلان يناسب فلانًا أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النّسيب الّذى هو القريب المتّصل كالأخوين وابن العمّ ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابطٍ بينهما، وهو القرابة. ومنه المناسبة في العلّة في باب القياس: الوصف المقارب للحكم، لأنّه إذا حصلت مقاربته له ظنّ عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم، ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقّته بالقبول.

وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها ـ والله أعلم ـ إلى معنى ما رابط بينهما: عامّ أو خاصّ، عقليّ أو حسّيّ أو خياليّ، وغير ذلك من أنواع العلاقات. أو التّلازم الذّهنيّ كالسّبب والمسبّب، والعلّة والمعلول، والنّظيرين، والضّدّين، ونحوه، أو التّلازم الخارجيّ، كالمرتّب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر.

وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعضٍ، فيَقْوى بذلك الارتباط، ويصير التّأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.

وقد قلّ اعتناء المفسّرين بهذا النّوع لدقّته، وممّن أكثر منه الإمام فخرالدّين الرّازيّ، وقال

في «تفسيره»: أكثر لطائف القرآن مودعة في التّرتيبات والرّوابط.

وقال بعض الأئمّة: من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعضٍ لئلّا يكون منقطعًا.

وهذا النّوع يهمله بعض المفسّرين أو كثير منهم، وفوائده غزيرة، قال القاضي أبوبكر بن العربيّ في «سراج المريدين»: ارتباط آي القرآن بعضها ببعضٍ حتّى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرّض له إلّا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثمّ فتح الله عزّوجلّ لنا فيه، فلمّا لم نجد له حَمَلة، ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله و رددناه إليه.

وقال الشّيخ أبوالحسن الشّهرابانيّ[1]: أوّل من أظهر ببغداد علم المناسبة ـ ولم نكن سمعناه من غيره ـ هو الشّيخ الإمام أبوبكر النّيسابوريّ، وكان غزير العلم في الشّريعة والأدب، وكان يقول على الكرسيّ إذا قرئ عليه الآية: لِمَ جُعِلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السّورة إلى جنب هذه السّورة؟ وكان يُزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.

وقال الشّيخ عزّالدّين بن عبد السّلام[2]: المناسبة علم حَسَن، ولكن يشترط في حُسْن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متّحد مرتبط أوّله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر.

قال: ومن ربط ذلك فهو متكلّف بما لايقدر عليه إلّا برباط ركيك، يُصان عنه حَسَن الحديث فضلًا عن أحسنه، فإنّ القرآن نزل في نيّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لايتأتّى ربط بعضه ببعض؛ إذ لايحسن أن يرتبط تصرّف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعضٍ مع اختلاف العلل والأسباب كتصرّف الملوك والحُكّام والمفتين،

---

١ ـ منسوب إلى شهرابان، قرية شرقيّ بغداد، ينسب إليها كثير من العلماء.

٢ ـ هو الإمام عبدالعزيز بن عبدالسّلام المشهور بالعزّ، وُلد سنة ٥٧٧، و توفّي سنة ٦٦٠. (وانظر: ترجمته في طبقات الشّافية ٥ : ٨٠ ـ ١٠٧).

وتصرّف الإنسان نفسه بأمور متوافقة و متخالفة ومتضادّة، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التّصرّفات مع بعض مع اختلافها في نفسها، واختلاف أوقاتها.

قال بعض مشايخنا المحقّقين[١]: قد وهم من قال: لايُطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنّها حسب الوقائع المتفرّقة. وفصل الخطاب أنّها على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا، فالمـُصْحَف كالصُّحُف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتّبة سُوَره كلّها وآياته بالتّوقيف. وحافظ القرآن العظيم لو استُفتي في أحكام متعدّدة، أو ناظر فيها أو أملاها، لذكر آية كلّ حكم على ما سئل، وإذا رجع إلى التّلاوة لم يَتْل كما أفتى، ولا كما نزل مفرّقًا، بل كما أُنزل جملةً إلى بيت العزّة. ومن المعجز البيّن أُسلوبه، ونظمه الباهر، فإنّه ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[٢].

قال: والّذي ينبغي في كلّ آية أن يبحث أوّل كلّ شيء عن كونها مكمّلةً لما قبلها أو مستقلّة، ثمّ المستقلّة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جمّ، وهكذا في السُّوَر يطلب وجه اتّصالها بما قبلها وما سيقت له.

قلت: وهو مبنيّ على أنّ ترتيب السُّوَر توقيفيّ، وهذا الرّاجح كما سيأتي، وإذا اعتبرت افتتاح كلّ سُوَره، وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السُّورة قبلها، ثمّ هو يخفى تارةً ويظهر أُخرى، كافتتاح سورة الأنعام بالحمد، فإنّه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء، كما قال سبحانه: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣]، وكافتتاح سورة فاطر بـ ﴿الْحَمْدُ﴾ أيضًا، فإنّه مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾[٤] وكما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا

١ـ الظّاهر هو الشّيخ وليّ الدّين الملويّ، كما ذكره السّيوطيّ في الإتقان. (م)

٢ـ هود / ١.

٣ـ الزّمر / ٧٥.

٤ـ سبأ / ٥٤.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، وكافتتاح سورة الحديد بالتّسبيح، فإنّه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به[2]، وكافتتاح البقرة بقوله: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ إشارة إلى الصّراط في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، كأنّهم لمّا سألوا الهداية إلى الصّراط المستقيم، قيل لهم: ذلك الصّراط الّذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب. وهذا معنًى حَسَنٌ، يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة، وهو يردّ سؤال الزّمخشريّ في ذلك.

وتأمّل ارتباط سورة ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ بسورة الفيل، حتّى قال الأخفش: اتّصالها بها من باب قوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[3].

ومن لطائف سورة الكوثر أنّها كالمقابلة للّتي قبلها، لأنّ السّابقة قد وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة: البخل، وترك الصّلاة، والرّياء فيها، ومنع الزّكاة، فذكرهنا في مقابلة البخل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ أي الكثير، وفي مقابلة ترك الصّلاة: ﴿فَصَلِّ﴾ أي دُمْ عليها، وفي مقابلة الرّياء: ﴿لِرَبِّكَ﴾ أي لرضاه لا للنّاس، وفي مقابلة منع الماعون: ﴿وَانْحَرْ﴾، وأراد به التّصدّق بلحم الأضاحي، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة.

وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتّسبيح وسورة الكهف بالتّحميد؛ لأنّ التّسبيح حيث جاء مقدّم على التّحميد، يقال: سبحان الله، والحمد لله.

وذكر الشّيخ كمال الدّين الزّملكانيّ في بعض دروسه مناسبة استفتاحها بذلك ما ملخّصه: إنّ سورة بني إسرائيل افتتحت بحديث الإسراء، وهو من الخوارق الدّالّة على صدق رسول الله ﷺ، وأنّه رسول من عند الله، والمشركون كذّبوا ذلك، وقالوا: كيف يسير في ليلة من مكّة إلى بيت المَقْدِس! وعادوا وتعنّتوا، وقالوا: صِفْ لنا بيت المَقْدِس، فرُفِعَ له حتّى وصفه

١ـ الأنعام / ٤٥.

٢ـ إشارة إلى ختام سورة الواقعة بقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، وافتتاح سورة الحديد بقوله سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

٣ـ القصص / ٨.

لهم. والسّبب في الإسراء أوّلًا لبيت المَقْدِس ليكون ذلك دليلًا على صحّة قوله بصعود السّماوات، فافتتحت بالتّسبيح تصديقًا لنبيّه فيما ادّعاه؛ لأنّ تكذيبهم له تكذيب عناد، فنزّه نفسه قبل الإخبار بهذا الّذي كذّبوه. أمّا الكهف فإنّه لمّا احتبس الوحي، وأرجف الكُفّار بسبب ذلك، أنزلها الله ردًا عليهم، وأنّه لم يقطع نعَمه عن نبيّه ﷺ بل أتمّ عليه بإنزال الكتاب، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النّعمة. وإذا ثبت هذا بالنّسبة إلى السُّوَر، فما ظنّك بالآيات وتعلّق بعضها ببعضٍ! بل عند التّأمّل يظهر أنّ القرآن كلّه كالكلمة الواحدة.

[أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض]

عُدْنا إلى ذكر ارتباط الآي بعضها ببعضٍ، فنقول: ذكر الآية بعدَ الأُخرى: إمّا أن يظهر الارتباط بينهما لتعلّق الكلام بعضه ببعضٍ وعدم تمامه بالأُولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثّانية للأُولى على جهة التّأكيد والتّفسير، أو الاعتراض والتّشديد، وهذا القسم لا كلام فيه.

وإمّا ألّا يظهر الارتباط،بل يظهرأنّ كلّ جملة مستقلّة عن الأُخرى،وأنّها خلاف النّوع المبدوء به،فإمّا أن تكون معطوفةً على ما قبلها بحرفٍ من حروف العطف المشترك في الحكم أو لا.

القسم الأوّل ـ أن تكون معطوفةً، ولا بدّأن تكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه، كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[1]، وقوله: ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2]، وفائدة العطف جعلهما كالنّظيرين والشّريكين.

وقد تكون العلاقة بينهما المضادّة، وهذا كمناسبة ذكر الرّحمة بعد ذكر العذاب، والرّغبة بعد الرّهبة. وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكامًا ذكر بعدها وعدًا ووعيدًا؛ ليكون ذلك باعثًا على العمل بما سبق، ثمّ يذكر آيات التّوحيد والتّنزيه؛ليعلم عَظْم الآمر والنّاهي، وتأمّلْ

١ـ الحديد/ ٤.

٢ـ البقرة/ ٢٤٥.

سورة البقرة والنّساء والمائدة وغيرها تجده كذلك.

وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ويُشكل وجه الارتباط، فتحتاج إلى شرح، ونذكر من ذلك صُوَرًا يلتحق بها ما هو في معناها:

فمنها: قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا...﴾[1]، فقد يقال: أيّ رابط بين أحكام الأهلّة وبين حكم إتيان البيوت؟ والجواب من وجوه:

أحدها ـ كأنّه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلّة ونقصانها: معلوم أنّ كلّ ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة ومصلحة لعباده، فدعوا السّؤال عنه، وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم، ممّا ليس من البرّ في شيء وأنتم تحسبونها برًّا.

الثّاني ـ أنّه من باب الاستطراد، لمّا ذكر أنّها مواقيت للحجّ، وكان هذا من أفعالهم في الحجّ، ففي الحديث: أنّ ناسًا من الأنصار كانوا إذا أُحرموا لم يدخل أحد منهم حائطًا ولا دارًا ولا فُسطاطًا من باب، فإن كان أهل المـَدَر نقب نَقْبًا في ظهر بيته، منه يدخل ويخرج، أو يتّخذ سُلّمًا يصعد به. وإن كان من أهل الوَبَر خرج من خَلْف الخباء، فقيل لهم: ليس البرّ بتحرّجكم من دخول الباب، لكنّ البرّ برّ مَنِ اتّقى ما حرّم الله، وكان من حقّهم السّؤال عن هذا وتركهم السّؤال عن الأهلّة. ونظيره في الزّيادة على الجواب قوله ﷺ لمّا سُئِل عن المتوضّئ بماء البحر، فقال: «هو الطَّهور ماؤه، الحلّ ميتته».

الثّالث ـ أنّه من قبيل التّمثيل لما همّ عليه من تعكيسهم في سؤالهم، وأنّ مَثَلهم كمَثَل مَن يترك بابًا ويدخل من ظَهْر البيت، فقيل لهم: ليس البرّ ما أنتم عليه من تعكيس الأسئلة، ولكنّ البرّ مَنِ اتّقى ذلك، ثمّ قال الله سبحانه: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾، أي باشروا الأُمور من وجوهها الّتي يجب أن تباشر عليها، ولا تعكسوا. والمراد أن يصمّم القلب على أنّ جميع أفعال

---

[1] ـ البقرة / ١٨٩.

الله حكمة منه، وأنّه ﴿لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[١]،فإنّ في السؤال اتّهامًا.

ومنها: قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصٰى﴾[٢] إلى أن قال: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، فإنّه قد يقال: أيّ رابط بين الإسراء و﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾؟ ووجه اتّصالها بما قبلها أنّ التّقدير: اطّلعناه على الغيب عيانًا، وأخبرناه بوقائع من سلف بيانًا، لتقوم أخباره على معجزته برهانًا، أي سبحان الّذي أطلَعك على بعض آياته لتقصّها ذكرًا، وأخبرك بما جرى لموسى وقومه في الكرّتين؛ لتكون قصّتهما آية أُخرى. أو أنّه أسرى بمحمّد إلى ربّه كما أسرى بموسى من مصر حين خرج منها خائفًا يترقّب، ثمّ ذكر بعده ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[٣]، ليتذكّر بنو إسرائيل نعمة الله عليهم قديمًا، حيث نجّاهم من الغرق، إذ لو لم ينجّ أباهم من أبناء نوح لما وجدوا. وأخبرهم أنّ نوحًا كان عبدًا شكورًا، وهم ذرّيّته، والولد سرّ أبيه، فيجب أن يكونوا شاكرين كأبيهم، لأنّه يجب أن يسيروا سيرته فيشكروا.

وتأمّلْ كيف أثنى عليه، وكيف تليق صفته بالفاصلة، ويتمّ النّظم بها مع خروجها مخرج المرور عن الكلام الأوّل إلى ذكره ومدحه بشكره، وأن يعتقدوا تعظيم تخليصه إيّاهم من الطّوفان بما حملهم عليه، ونجّاهم منه، حين أهلك مَن عداهم. وقد عرّفهم أنّه إنّما يؤاخذهم بذنوبهم وفسادهم فيما سلّط عليهم من قتلهم.

ثمّ عاد عليهم بالإحسان والإفضال، كي يتذكّروا و يعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح الّذي وَلَدهم وهم ذرّيّته، فلمّا صاروا إلى جهالتهم وتمرّدوا عاد عليهم التّعذيب.

ثمّ ذكر تعالى في ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصّة بكلمات قليلة العدد، كثيرة الفوائد، لايمكن شرحها إلّا بالتّفصيل الكثير والكلام الطّويل، مع ما اشتمل عليه من التّدريج

١ـ الأنبياء/ ٢٣.

٢ـ الإسراء/ ١..

٣ـ الإسراء/ ٣.

العجيب، والموعظة العظيمة بقوله: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[1]، ولم ينقطع بذلك نظام الكلام إلى أن خرج إلى قوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾، يعني إن عُدْتم إلى الطّاعة عُدْنا إلى العفو. ثمّ خرج خروجًا آخر إلى حكمة القرآن؛ لأنّه الآية الكبرى. وعلى هذا فَقِس الانتقال من مقام إلى مقام حتّى ينقطع الكلام.

وبهذا يظهر لك اشتمال القرآن العظيم على النّوع المسمّى بـ «التّخلّص»، وقد أنكره أبو العلاء محمّد بن غانم المعروف بالغانميّ، وقال: ليس في القرآن الكريم منه شيء لما فيه من التّكلّف، وليس كما قال.

ومن أحسن أمثلته قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2]، فإنّ فيها خمس تخلّصات: وذلك أنّه جاء بصفة النّور وتمثيله، ثمّ تخلّص منه إلى ذكر الزّجاجة وصفاتها، ثمّ رجع إلى ذكر النّور والزّيت يستمدّ منه، ثمّ التّخلّص منه إلى ذكر الشّجرة، ثمّ تخلّص من ذكرها إلى صفة الزّيت، ثمّ تخلّص من صفة الزّيت إلى صفة النّور وتضاعفه، ثمّ تخلّص منه إلى نِعَم الله بالهدى على من يشاء.

ومنه قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[3]، فإنّه سبحانه ذكر أوّلًا عذاب الكفّار وأن لا دافع له من الله، ثمّ تخلّص إلى قوله: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[4] بوصف ﴿اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾[5] إلى قوله:

١ـ الإسراء / ٧.

٢ـ النّور / ٣٥.

٣ـ المعارج / ١.

٤ـ المعارج / ٤.

٥ـ الشّعراء / ٦٩ ـ ٧٠.

﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١]. فهذا تخلّص من قصّة إبراهيم وقومه إلى قوله هكذا، وتمنّى الكفّار في الدّار الآخرة الرّجوع إلى الدّنيا ليؤمنوا بالرُّسُل، وهذا تخلّص عجيب.

وقوله: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ـ إلى أن قال: ـ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[٢]، وذلك أنّه لمّا أراد الانتقال من أحوال أصنامهم إلى ذكر صفات الله قال: إنّ أولئك لي أعداء إلّا الله، فانتقل بطريق الاستثناء المنفصل.

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ـ إلى أن قال: ـ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٣].

وقوله تعالى في سورة الصّافّات: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾[٤]، وهذا من بديع التّخلّص، فإنّه سبحانه خلص من وصف المخلصين وما أعدّ لهم، إلى وصف الظّالمين وما أعدّ لهم.

ومنه أنّه تعالى في سورة الأعراف ذكر الأُمم الخالية والأنبياء الماضين من آدم عليه السلام إلى أن انتهى إلى قصّة موسى عليه السلام، فقال في آخرها: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ...﴾[٥] إلى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾، وهو من بديع التّخلّص.

واعلم! أنّه حيث قصد التّخلّص فلا بدّ من التّوطئة له، ومن بديعه قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[٦]، يشير إلى قصّة يوسف عليه السلام، فوطّأ بهذه الجملة إلى ذكر القصّة،

١ـ الشّعراء / ١٠٢.

٢ـ الشّعراء / ٧٢ـ ٧٨.

٣ـ النّمل / ٢٣ـ ٢٦.

٤ـ الصّافّات / ٦٢.

٥ـ الأعراف / ١٥٥.

٦ـ يوسف / ٣.

يشير إليها بهذه النّكتة من باب الوحي والرّمز. وكقوله سبحانه موطّـئًا للتّخلّص إلى ذكـر مبتدأ خلق المسيح عليه السلام: ﴿إنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا﴾[١].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[٢]، فإنّه قد يقال: ما وجه اتّصاله بما قبله، وهو قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾[٣]؟ قال الشّيخ أبو محمّد الجُوَيْنيّ في تفسيره: سمعت أبا الحسين الدّهان يقول: وجـه اتّصالها هو أنّ ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق، أي فلا يجرمنّكم ذلك واستقبلوها، فـإنّ لله المشرق والمغرب.

ومنها قوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾[٤]، فإنّـه يقال: ما وجه الجمع بين الإبل والسّماء والجبال والأرض في هذه الآية؟

والجواب: أنّه جمع بينهما على مجرى الإلف والعادة بالنّسبة إلى أهل الـوَبَـر، فـإنّ كـلّ انتفاعهم في معائشهم من الإبل، فتكون عنايتهم مصروفة إليهـا، ولا يحـصل إلّا بـأن ترعـى وتشرب، وذلك بنزول المطر، وهو سبب تقلّب وجوههم في السّماء، ثمّ لا بدّ لهـم مـن مـأوًى يؤويهم، وحِصْنٍ يتحصّنون به، ولا شيء في ذلك كالجبال، ثمّ لا غنى لهم ـ لتعذّر طول مكثهم في منزل ـ عن التّنقّل من أرض إلى سواها، فإذا نظر البـدويّ في خيالـه وجـد صـورة هـذه الأشياء حاضرة فيه على التّرتيب المذكور.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلّهِ شُرَكَاءَ﴾[٥]، فيقـال: أيّ ارتباط بينهما؟ وجوابه: أنّ المبتدأ ـ وهو ﴿مَنْ﴾ خبره محذوف أي أفمن هو قائم على كلّ

١ـ آل عمران / ٣٣.

٢ـ البقرة / ١١٥.

٣ـ البقرة / ١١٤.

٤ـ الغاشية / ١٧ ـ ١٨.

٥ـ الرّعد / ٣٣.

نفس تترك عبادته؟ أو معادل الهمزة، تقديره: أفمن هو قائم على كلّ نفسٍ كمن ليس بقائم؟ ووجه العطف على التّقديرين واضح. أمّا الأوّل فالمعنى: أتترُك عبادة من هو قائم على كلّ نفس، ولم يكف التّرك حتّى جعلوا له شركاء! وأمّا على الثّاني فالمعنى: إذا انتفت المساواة بينهما فكيف تجعلون لغير المساوي حكم المساوي!

ومنها قوله تعالى: ﴿اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذى حَاجَّ اِبْرَاهيمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * اَوْ كَالَّذى مَرَّ عَلىٰ قَرْيَةٍ﴾[1]، عطف قصّة على قصّة مع أنّ شرط العطف المشاكلة، فلايحسن في نظير الآية: ﴿اَلَمْ تَرَ اِلىٰ رَبِّكَ﴾ ﴿اَوْ كَالَّذى﴾. ووجه ما بينهما من المشابهة أنّ ﴿اَلَمْ تَرَ﴾ بمنزلة هل رأيت كالّذي حاجّ إبراهيم؟ وإنّما كانت بمنزلتها لأنّ ﴿اَلَمْ تَرَ﴾ مركّبة من همزة الاستفهام وحرف النّفي، ولذلك يجاب ببلى، والاستفهام يعطي النّفي إذ حقيقة المستفهم عنه غير ثابتة عند المستفهم، ومن ثَمّ جاء حرف الاستفهام مكان حرف النّفي، ونفي النّفي إيجاب، فصار بمثابة «رأيت» غير أنه مقصود به الاستفهام، ولم يكن أن يؤتى بحرفه لوجوده في اللّفظ، فلذلك أعطى معنًى هل رأيت؟

فإن قلت: من أين جاءت «إلى» ورأيت يتعدّى بنفسه؟ أُجيب: لتضمّنه معنى «تنظر».

القسم الثّاني ـ ألّا تكون معطوفة، فلا بدّ من دعامة تؤذن باتّصال الكلام، وهي قرائن معنويّة مؤذِنة بالرّبط، والأوّل مزج لفظيّ، وهذا مزج معنويّ، تُنزل الثّانية من الأُولى منزلة جزئها الثّاني، وله أسباب:

أحدها ـ التّنظير، فإنّ إلحاق النّظير بالنّظير من دأب العقلاء، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿كَمَا اَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾[2] عقب قوله: ﴿اُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، فإنّ الله سبحانه أمر رسوله أن يمضي لأمره في الغنائم على

---

١ ـ البقرة / ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

٢ ـ الأنفال / ٥.

كُرْه من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العِير وهم كارهون، وذلك أنّهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأنفال، وحاجّوا النّبيّ ﷺ وجادلوه، فكَره كثير منهم ما كان من فعل رسول الله ﷺ في النّفل، فأنزل الله هذه الآية، وأنفذ أمره بها، وأمرهم أن يتّقوا الله ويطيعوه، ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء ما بعد أن كانوا مؤمنين. ووصف المؤمنين ثمّ قال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾، يريد أنّ كراهتهم لما فعلته من الغنائم ككراهتهم للخروج معك.

وقيل: معناه أولئك هم المؤمنون حقًّا، كما أخرجك ربّك من بيتك بالحقّ، كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[1].

وقيل: الكاف صفة لفعل مضمر، وتأويله: افْعل في الأنفال كما فعلت في الخروج إلى بدر، وإن كره القوم ذلك، ونظيره قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾، معناه: كما أنعمنا عليكم بإرسال رسول من أنفسكم، فكذلك أتمّ نعمتي عليكم، فشبّه كراهتهم ما جرى من أمر الأنفال وقسمتها بالكراهة في مخرجه من بيته وكلّ ما لا يتمّ الكلام إلّا به من صفةٍ و صلَة، فهو من نفس الكلام.

وأمّا قوله تعالى: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾[2] بعد قوله: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[3]، فإنّ فيه محذوفًا، كأنّه قال: أنا النّذير المبين عقوبةً أو عذابًا مثل ما أنزلنا على المقتسمين.

وأمّا قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[4]، وقد اكتنفه من جانبيه قوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾[5]، وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ *

١ـ الذّاريات / ٢٣.

٢ـ الحِجْر / ٩٠.

٣ـ الحِجْر / ٨٩.

٤ ـ القيامة / ١٦.

٥ـ القيامة / ١٤ ـ ١٥.

﴿وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾[١]. فهذا من باب قولك للرّجل وأنت تحدّثه بحديث فينتقل عنك ويقبل على شيء آخر: أقبل عليّ واسمع ما أقول، وافهم عنّي، ونحو هذا الكلام، ثمّ تصلُ حديثك، فلايكون بذلك خارجًا عن الكلام الأوّل قاطعًا له، وإنّما يكون به مشوقًا للكلام. وكان رسول الله ﷺ أمّيًا لا يقرأ ولا يكتب، وكان إذا نزل عليه الوحي وسمع القرآن حرّك لسانه بذكر الله، فقيل له: تدبّرْ ما يوحى إليك، ولا تتلقّفه بلسانك، فإنّما نجمعه لك ونحفظه عليك ...

الثّاني ـ المضادّة، ومن أمثلته قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾[٢]. فإنّه أوّل السّورة كان حديثًا عن القرآن الكريم، وأنّ مِنْ شأنه كَيْت وكَيْت، وأنّه لا يهدى القوم الّذين من صفاتهم كَيْت وكَيْت، فرجع إلى الحديث عن المؤمنين، فلمّا أكمله عقّب بما هو حديث عن الكفّار، فبينهما جامع وهميّ بالتّضادّ من هذا الوجه، وحكمته التّشويق والثّبوت على الأوّل كما قيل: «وبضدّها تتبيّن الأشياء».

فإن قيل: هذا جامع بعيد، لأنّ كونه حديثًا عن المؤمنين بالعَرَض لا بالذّات، والمقصود بالذّات الّذي هو مساق الكلام إنّما هو الحديث عن الكتاب، لأنّه مفتتح القول.

قلنا: لا يشترط في الجامع ذلك، بل يكفي التّعلّق على أيّ وجه كان، ويكفي في وجه الرّبط ما ذكرنا، لأنّ القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به، والحثّ على الإيمان به، ولهذا لمّا فرغ من ذلك قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾[٣]، فرجع إلى الأوّل.

الثّالث ـ الاستطراد، كقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٤].

قال الزّمخشريّ: هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد، عقب ذكر بُدُوّ السّوْءات وخَصْف

١ـ القيامة / ٢٠ـ ٢١.

٢ـ البقرة / ٦.

٣ـ البقرة / ٢٣.

٤ـ الأعراف / ٢٦.

الورق عليها، إظهارًا للمنّة فيما خلق الله من اللّباس، ولما في العُرْي وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعارًا بأنّ السّتر باب عظيم من أبواب التّقوى.

وجعل القاضي أبوبكر في كتاب «إعجاز القرآن» من الاستطراد، قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[1].

وقال: كأنّ المراد أن يجري بالقول الأوّل إلى الإخبار عن أنّ كلّ شيء يسجد لله عزّوجلّ، وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاصّ، انتهى. وفيه نظر.

ومنه الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطًا للسّامع، كقوله تعالى في سورة ص بعد ذكر الأنبياء: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾[2]، فإنّ هذا القرآن نوع من الذّكر لمّا انتهى ذكر الأنبياء ـ وهو نوع من التّنزيل ـ أراد أن يذكر نوعًا آخر، وهو ذكر الجنّة وأهلها، فقال: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾، فأكّد تلك الإخبارات باسم الإشارة، تقول: أشير عليك بكذا، ثمّ تقول بعده: هذا الّذي عندي والأمر إليك، وقال: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ كما يقول المصنّف: هذا باب يشرع في باب آخر، ولذلك لمّا فرغ من ذكر أهل الجنّة قال: ﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾[3]... [ثمّ ذكر في «اتّصال اللّفظ والمعنى على خلاف»، وإن شئت فراجع].

(١: ٣٥ـ ٥٠)

في خواتم السُّوَر

وهي مثل الفواتح في الحسن، لأنّها آخر ما يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمّنة للمعاني البديعة مع إيذان السّامع بانتهاء الكلام حتّى يرتفع معه تشوّف النّفس إلى ما يذكر بعد.

١ـ النّحل / ٤٨ـ ٤٩.

٢ـ ص / ٤٩.

٣ـ ص / ٥٥.

ومن أوضحه خاتمة سورة إبراهيم: ﴿هٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾[1]، وخاتمة سورة الأحقاف: ﴿بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2]، ولأنّها بين أدعية ووصايا وفرائض ومواعظ وتحميد وتهليل ووعد ووعيد إلى غير ذلك، كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة فاتحة الكتاب؛ إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسبّبة لغضب الله والضّلال، ففصّل جملة ذلك بقوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، والمراد المؤمنين، ولذلك أُطلق الإنعام ولم يقيّده ليتناول كلّ إنعام، لأنّ من أنعم عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكلّ نعمة، لأنّ نعمة الإيمان مستتبعة لجميع النّعم، ثمّ وصفهم بقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، يعني أنّهم جمعوا بين النّعم المطلقة وهي نعمة الإيمان، وبين السّلامة من غضب الله والضّلال المسبّبين عن معاصيه وتعدّي حدوده.

وكالدّعاء الّذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة.

وكالوصايا الّتي ختمت بها سورة آل عمران بالصّبر على تكاليف الدّين، والمصابرة لأعداء الله في الجهاد ومعاقبتهم، والصّبر على شدائد الحرب، والمرابطة في الغزو المحضوض عليها بقوله: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[3] والتّقوى الموعود عليها بالتّوفيق في المضايق وسهولة الرّزق في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[4]، وبالفلاح لأنّ ﴿لَعَلَّ﴾ من الله واجبة.

وكالوصايا والفرائض الّتي ختمت بها سورة النّساء، وحسن الختم بها لأنّها آخر ما نزل من الأحكام عامَ حجّة الوداع. وكالتّبجيل والتّعظيم الّذي ختمت به المائدة: ﴿لِلّٰهِ مُلْكُ

١ـ إبراهيم / ٥٢.

٢ـ الأحقاف / ٣٥.

٣ ـ الأنفال / ٦٠.

٤ ـ الطّلاق / ٢ ـ ٣.

السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]، ولإرادة المبالغة في التّعظيم أُختيرت «ما» على «مَن» لإفادة العموم، فيتناول الأجناس كلّها.

وكالوعد والوعيد الّذي ختمت به سورة الأنعام بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢]، ولذلك أُورِد على وجه المبالغة في وصف العقاب بالسّرعة وتوكيد الرّحمة بالكلام المفيد لتحقيق الوقوع.

وكالتّحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الّذي ختمت به سورة الأعراف، والحضّ على الجهاد وصِلَة الأرحام الّذي ختم به الأنفال.

ووصف الرّسول ومدحه والاعتداد على الأمم به وتسليمه ووصيّته والتّهليل الّذي ختمت به براءة.

وتسليته عليه الصّلاة والسّلام الّذي ختم بها سورة يونس، ومثلها خاتمة هود ووصف القرآن ومدحه الّذي ختم به سورة يوسف. والرّدّ على من كذب الرّسول الّذي ختم به الرّعد.

ومدح القرآن وذكر فائدته والعلّة في أنّه إلٰه واحد الّذي ختمت به إبراهيم ووصيّته الرّسول الّتي ختم بها الحجر.

وتسلية الرّسول بطمأنينته ووعد الله سبحانه الّذي ختمت به النّحل، والتّحميد الّذي ختمت به سبحان.

وتحضيض الرّسول على البلاغ والإقرار بالتّنزيه، والأمر بالتّوحيد الّذي ختمت به الكهف. وقد أتينا على نصف القرآن، ليكون مثالًا لمن نظر في بقيّته.

فصل في مناسبة فواتح السُّوَر وخواتمها

ومن أسراره مناسبة فواتح السُّوَر وخواتمها. وتأمّل سورة القصص وبداءتها بقصّة مبدأ

١ـ المائدة / ١٢٠.

٢ـ الأنعام / ١٦٥.

أمر موسى ونصرته، وقوله: ﴿فَلَنْ اَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾[١]، وخروجه من وطنه ونصرته وإسعافه بالمكالمة، وختمها بأمر النّبيّ ﷺ بألّا يكون ظهيرًا للكافرين، وتسليته بخروجه من مكّة والوعد بعوده إليها بقوله: ﴿اِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْاٰنَ لَرَادُّكَ اِلٰى مَعَادٍ﴾[٢].

قال الزّمخشريّ: وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنين: ﴿قَدْ اَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٣]، وأورد في خاتمتها: ﴿اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[٤]، فشتّان ما بين الفاتحة والخاتمة.

فصل في مناسبة فاتحة السّورة بخاتمة الّتي قبلها

ومن أسراره مناسبة فاتحة السّورة بخاتمة الّتي قبلها، حتّى إنّ منها ما يَظهر تعلّقها به لفظًا، كما قيل في: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَاْكُولٍ﴾[٥]، ﴿لِاِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾.

وفي الكواشيّ: لمّا ختم سورة النّساء أمرًا بالتّوحيد والعدل بين العباد، أكّد ذلك بقوله في أوّل سورة المائدة: ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٦]. (١ : ١٨٢ ـ ١٨٦)

١ـ القصص / ١٧.

٢ـ القصص / ٨٥.

٣ـ المؤمنون / ٢.

٤ـ المؤمنون / ١١٧.

٥ـ الفيل / ٥.

٦ـ المائدة / ١.

الفصل الخامس

نصّ البِقاعيّ (م: ٨٨٥) في «نظم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر»

[علم المناسبات]

علم المناسبات ـ الأهمّ من مناسبات القرآن وغيره ـ علم تعرف منه علل التّرتيب.

موضوعه: أجزاء الشّيء المطلوب علمُ مناسبته من حيث التّرتيب.

وثمرته: الاطّلاع على الرّتبة الّتي يستحقّها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتّعلّق الّذي هو كلحمة النّسب.

فعلم مناسبات القرآن: علِمٌ تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهوسرّ البلاغة، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال. وتتوقّف الإجادة فيه على معرفة مقصود السّورة المطلوب ذلك فيها. ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جُمَلها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النّفاسة، وكانت نسبته من علم التّفسير نسبة علم البيان من النّحو.

وطالعتُ على ذلك كتاب العلّامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبَير الثَّقفيّ العاصميّ الأندُلُسيّ المُعْلَم بـ «البُرهان في ترتيب سُوَر القرآن»، وهو لبيان مناسبة تعقيب السُّورة بالسُّورة فقط، لايتعرّض فيه للآيات.

ثمّ ظفرت بكتاب الإمام بدرالدّين محمّد عبدالله الزّركشيّ المصريّ الشّافعيّ، سمّاه «البرهان في علوم القرآن» فرأيته ذكر فيه مايعرف بمقدار كتابي هذا، فقال في النّوع الثّاني منه: ـ وهو في المناسبة ـ قد قلّ اعتناء المفسّرين بهذاالنّوع لدقّته، وممّن أكثر منه الإمام

فخر الدّين، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في التّرتيبات والرّوابط ...
[ثمّ ذكر قول القاضي أبي بكر بن العربيّ نقلًا عن كتابه: «سراج المريدين»، وقول سلطان العلماء الشّيخ عبد السّلام، كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

قلت: والشّيخ المشار إليه هو العارف وليّ الله محمّد بن أحمد الملّويّ المَنْفَلوطيّ الشّافعيّ، ذكر ذلك في كلام مفرد على قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾[1]، ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾[2].

ونقل الإمام شمس الدّين محمود الأصفهانيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾[3]، عن الإمام الرّازيّ أنّه قال: «ومن تأمّل في لطائف نظم هذه السّورة وفي بدائع ترتيبها، علم أنّ القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضًا بسبب ترتيبه و نظم آياته، و لعلّ الّذين قالوا: إنّه معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك، إلّا أنّي رأيت جمهور المفسّرين معرضين عن هذه اللّطائف غير متنبّهين لهذه الأسرار، وليس الأمر في هذا الباب إلّا كما قيل:

والنّجم تستصغر الأبصار صورته ... فالذّنب للطّرف لا للنّجم في الصّغر

وانتفعت في هذا الكتاب كثيرًا بتفسير على وجه كلّيّ للإمام الرّبّانيّ عليّ بن أحمد بن الحسن التُّجيبيّ الحَرالّيّ ـ بمهملتين مفتوحتين و مدّ و تشديد اللّام ـ المغربيّ نزيل «حَمَاة» من بلاد الشّام، سمّاه «مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل»، وكتاب العروة لهذا المفتاح يذكر فيه وجه إنزال الأحرف السّبعة وما تحصل به قراءتها، و كتاب «التّوشية والتّوفية» في فصول تتعلّق بذلك، وقد ذكرت أكثر هذا الكتاب في تضاعيف كتابي هذا معزوًّا إليه في مواضع تليق به، ثمّ بعد وصولي إلى سورة الأنفال ملكت جزءًا من تفسيره فيه من أوّله إلى: ﴿إِنَّ اللهَ

---

١ ـ الأنعام / ١٦٥.

٢ ـ القصص / ٥.

٣ ـ البقرة / ٢٨٥.

اصْطَفَىٰ﴾ في آل عمران / ٣٣، فرأيته عديم النّظير، وقدذكرت فيه المناسبات، وقد ذكرت ما أعجبني منها وعزوته إليه، يسّر الله الاطّلاع على بقيّته بحَوْله وقوّته.

وبعد أن وصلت إلى سورة الكهف ذكر لي أنّ تفسيرابن النّقيب الحنفيّ ـ وهو في نحو ستّين مجلّدًا ـ يذكر فيه المناسبات، وفي خزانة جامع الحاكم كثير منه،فطلبت منه جزءًا،فرأيت الأمر كذلك بالنّسبة إلى الآيات لاجملها،وإلى القصص لاجميع آياتها،ومن نظر كتابي هذامع غيره علم النّسبة بينهما والله الموفّق.

وبهذاالعلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكّن من اللّبّ،[وذلك] أنّه يكشف أنّ الإعجازطريقين:

أحدهما ـ نظم كلّ جملة على حيالها بحسب التّركيب.

والثّاني ـ نظمها مع أُختها بالنّظرإلى التّرتيب. والأوّل أقرب تناولًا وأسهل ذوقًا، فإنّ كلّ من سمع القرآن من ذكيٍّ وغبيٍّ يهتزّ لمعانيه، وتحصل له عندسماعه روعة بنشاط ورَهبة مع انبساط لاتحصل عند سماع غيره، وكلّما دقّق النّظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز.

ثمّ إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمّل ربط كلّ جملة بما تَلَتْه وما تلاها، خفي عليه وجه ذلك، ورأى أنّ الجُمَل متباعدة الأغراض، متنائية المقاصد، فظنّ أنّها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ماكان حصل له بالسّماع من الهزّ و البسط، ربّما شكّكه ذلك بكثير، وزلزل إيمانه وزحزح إيقانه، وربّما وقف مكيّس من أذكياءالمخالفين عن الدّخول في هذا الدّين بعد ما وضّحت لديه دلائله، وبرزت له من حجالها دقائقه وجلائله، لحكمة أرادها منزله، وأحكمها مجمله ومفصّله، فإذا استعان بالله وأدام الطُّرُق لباب الفرج بإنعام التّأمّل وإظهارالعجز والوثوق بأنّه في الذّروة من أحكام الرّبط، كما كان في الأوج من حسن المعنى واللّفظ، لكونه كلام مَنْ جلّ عن شوائب النّقص، وحاز صفات الكمال إيمانًا بالغيب وتصديقًا للرّبّ، قائلًا ماقال الرّاسخون في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ

رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[1].

فانفتح له ذلك الباب ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار، رقص الفكر منه طربًا، وشكر الله استغرابًا وعجبًا، وشاط لعظمة ذلك جنانه، فرسخ من غير مِرْية إيمانه، ورأى أنّ المقصود بالترتيب معانٍ جليلة الوصف، عالية الأمر، عظيمة القدر، مباعدة لمعاني الكلام على أنّها منها أخذت، فسبحان من أنزله وأحكمه وفصّله وغطّاه وجلّاه، وبيّنه غاية البيان وأخفاه، وبذلك أيضًا يقف على الحقّ من معاني آيات حار فيها المفسّرون لتضييع هذا الباب من غير ارتياب، منها قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾[2]. الآيتين، ومنها قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾،[3] مع قوله عقيبه: ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ﴾[4]، وقوله تعالى في آية هود: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾[5] الآية، إلى غير ذلك، وقوله تعالى في سبحان: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[6] الآية، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾[7] وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[8].

ممّا تراه وينكشف لك غامض معناه، وبه يتبيّن لك أسرار القصص المكرّرات، وأنّ كلّ سورة أُعيدت فيها قصّة، فلمعنى ادّعي في تلك السّورة، استدلّ عليه بتلك القصّة غير المعنى الّذي سيقت له في السّورة السّابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيّرت

١ـ آل عمران / ٨.

١ـ البقرة / ١٣٣.

٢ـ النّساء / ٩٥.

٣ـ النّساء / ٩٥ـ ٩٦.

٤ـ هود / ١٠٩.

٥ـ الإسراء / ٨٥.

٦ـ السّجدة / ١١.

٧ـ يسٓ / ٣١.

النّظوم بالتّأخير والتّقديم والإيجاز والتّطويل، مع أنّها لايخالف شيء من ذلك أصل المعنى الّذي تكوّنت به القصّة، وعلى قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعدانكشافها.

ولقد شفاني بعض فضلاء العجم، وقدسألته عن شيءٍ من ذلك فرآه مشكلًا، ثمّ قرّرت إليه وجه مناسبته، وسألته هل وضّح له ؟ فقال: ياسيّدي! كلامك هذا يتسابق إلى الذّهن. فلاتظنّنّ أيّها النّاظر إلى كتابي هذا أنّ المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها والرّفع لستورها، فرُبّ آية أقمت في تأمّلها شهورًا، منها: ﴿وَاِذْغَدَوْتَ مِنْ اَهْلِكَ﴾[1]، ومنها: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾[2] و﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلَالَةِ﴾[3].

ومن أراد تصديق ذلك فليتأمّل شيئًا من الآيات قبل أن ينظر ما قلته، ثمّ لينظره يظهر له مقدار ماتعبت وما حصل من قِبَل الله ومن العون، سواء كان ظهر له وجه لذلك عند تأمّله أو لا، وكذا إذا رأى ما ذكرغيري من مناسبات بعض الآيات. وبه أيضًا يتّضح أنّه لاوقف تامّ في كتاب الله، ولاعلى آخرسورة: ﴿قُلْ اَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[4]، بل هي متّصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة الّتي هي أوّله كاتّصالها بما قبلها، بل أشدّ إلّا أن يحمل نفيهم لتعلّقه على اللّفظ مطلقًا ولو خفيًّا، وفي الكافي على اللّفظ بقيد الجلاء، ولاتنكشف هذه الأغراض أتمّ انكشاف إلّا لمن خاض غمرة هذا الكتاب، وصارمن أوّله وآخره وأثنائه على ثقة وصواب، ومايذّكّر إلّا أولو الألباب.

وقد ذكر الزّركشيّ نحو أربع وَرَقات من مناسبات بعض الآيات، وإذا تأمّلتها عظم عندك ما في هذا البحرالزّاخر من نفائس الجواهر وبدائع السّرائر، وقد أدرجت فيه ممّا ليس من بابه

١ـ آل عمران / ١٢١.

٢ـ النّساء / ١٢٧.

٣ـ النّساء / ١٧٦.

٤ـ النّاس / ١.

اليسير من غرائب التّفسير ممّا لم أظفر به في كتاب مع أنّه كالمثل يسير... [إلى أن قال:]

قال شيخنا الإمام المحقّق أبو الفضل محمّدبن العلّامة القُدْوة أبي عبد الله محمّد المغربيّ البجائيّ المالكيّ: الأمر الكلّيّ المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنّك تنظر الغرض الّذي سيقت له السّورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدّمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدّمات في القُرْب والبُعْد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدّمات إلى مايستتبعه من استشراف نفس السّامع إلى الأحكام واللّوازم التّابعة له الّتي تقتضي البلاغة شفاءالعليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها. فهذا هو الأمر الكلّيّ المهيمن على حكم الرّبط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبيّن لك إن شاءالله وجه النّظم مفصّلًا بين كلّ آية وآية في كلّ سورة سورة ،والله الهادي، انتهى.

و قد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السّنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أنّ اسم كلّ سورة مترجم عن مقصودها، لأنّ اسم كلّ شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسمّاه عنوانه الدّالّ إجمالًا على تفصيل ما فيه، وذلك هو الّذي أنبأ به آدم (عليه الصّلاة والسّلام) عند العرض على الملائكة (عليهم الصّلاة والسّلام) ومقصود كلّ سورة هادٍ إلى تناسبها؛ فأذكر المقصود من كلّ سورة، وأطبق بينه وبين اسمها، وأُفسّر كلّ بَسْمَلَة بما يوافق مقصود السّورة، ولا أخرج عن معاني كلماتها، فالفاتحة اسمها «أمّ الكتاب» و «الأساس»... [وذكر كما تقدّم عن السّيوطيّ في باب معنى السّورة، ثمّ قال:]

فمدار هذه الأسماء كما ترى على أمر خفيّ كافٍ لكلّ مراد، وهو المراقبة الّتي سأقول: إنّها مقصودها، فكلّ شيء لايفتتح بها لا اعتداد به، وهي أُمّ كلّ خيرٍ، وأساس كلّ معروف، ولايعتدّ بها إلّا إذا ثنّيت، فكانت دائمة التّكرار، وهو كنز لكلّ شيء، شافية لكلّ داء، كافية لكلّ همّ، وافية بكلّ مرام، واقية من كلّ سوءٍ، رقية لكلّ ملمّ، وهي إثبات للحمد الّذي هو الإحاطة بصفات الكمال، وللشّكر الّذي هو تعظيم المُنْعِم، وهي عين الدّعاء، فإنّه التّوجّه إلى المدعوّ، وأعظم مجامعها الصّلاة. (١: ٥ـ١٢)

الفصل السّادس

نصّ السّيوطيّ (م: ٩١١) في «الإتقان في علوم القرآن»[1]

في مناسبة الآيات والسُّوَر

أفرده بالتّأليف العلّامة أبوجعفر بن الزُّبَير شيخ أبي حَيّان في كتاب سمّاه «البرهان في مناسبة ترتيب سُوَر القرآن»، ومن أهل العصر الشّيخ برهان الدّين البِقاعيّ في كتاب سمّاه «نظم الدُّرَر في تناسب الآي والسُّوَر» وكتابي الّذي صنعته في أسرار التّنزيل كافل بذلك، جامع لمناسبات السُّوَر والآيات، مع ما تضمّنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، وقد لخّصت منه مناسبة السُّوَر خاصّة في جزء لطيف سمّيته «تناسق الدُّرَر في تناسب السُّوَر».

وعلم المناسبة علمٌ شريفٌ، قلّ اعتناء المفسّرين به لدقّته، وممّن أكثر منه الإمام فخرالدّين، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في التّرتيبات والرّوابط... [ثمّ ذكر قول ابن العربيّ في «سراج المريدين» وقول أبي الحسن الشّهرابانيّ وعزّالدّين عبدالسّلّام و وليّ الدّين المَلَويّ، كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

وقال الإمام الرّازيّ في سورة البقرة: ومن تأمّل في لطائف نظم هذه السّورة... [وذكر كما تقدّم عن البِقاعيّ].

فصل [في معنى المناسبة]

المناسبة في اللّغة: المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عامّ أوخاصّ، عقليّ أوحسّيّ أوخياليّ، أوغير ذلك من أنواع العلاقات، أوالتّلازم الذّهنيّ،

١ـ ذكر مثل هذا النّصّ في «معترك الأقران في إعجاز القرآن» ١: ٤١ ـ ٥٨. (م)

كالسّبب والمسبّب، والعلّة والمعلول، والنّظيرين والضّدّين، ونحوه.

وفائدة جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التّأليف حاله حال البناء المـُحكَم المتلائم الأجزاء، فنقول... [ثمّ ذكر أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض الأخرى، وأيضًا أسباب الرّبط والتّناسب، كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

وقد خرّجت على الاستطراد، قوله تعالى: ﴿لَن يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلّٰهِ وَلَا الْمَلٰئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[1]، فإنّ أوّل الكلام ذُكر للرّدّ على النّصارى الزّاعمين نبوّة المسيح، ثمّ استطرد للرّدّ على العرب الزّاعمين بنبوّة الملائكة.

ويقرب من الاستطراد ـ حتّى لايكادان يفترقان ـ حُسْن التّخلُّص، وهو أن ينتقل ممّا ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسًا، دقيق المعنى، بحيث لايشعر السّامع بالانتقال من المعنى الأوّل إلّا وقد وقع عليه الثّاني، لشدّة الالتئام بينهما.

وقد غلط أبو العَلاء محمّد بن غانم في قوله: لم يقع منه في القرآن شيء لما فيه من التّكلّف، وقال: إنّ القرآن إنّما ورد على الاقتضاب الّذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم. وليس كما قال: ففيه من التّخلّصات العجيبة ما يحيّر العقول.

وانظر إلى سورة الأعراف، كيف ذكر فيها الأنبياء والقرون الماضية والأمم السّالفة، ثمّ ذكر موسى، إلى أن قصّ حكاية السّبعين رجلًا ودعائه لهم، ولسائر أُمّته بقوله: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِى هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْاٰخِرَةِ﴾[2]، وجوابه تعالى عنه، ثمّ تخلّص بمناقب سيّد المرسلين بعد تخلّصه لأُمّته بقوله: ﴿قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَاَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ﴾[3]، من صفاتهم كَيْت وكَيْت، وهم الّذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الأُمّيّ، وأخذ في صفاته

١ـ النّساء / ١٧٢.

٢ـ الأعراف / ١٥٦.

٣ـ الأعراف / ١٥٦.

الكريمة وفضائله.

وفي سورة الشّعراء حكى قول إبراهيم: ﴿وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾[1]، فتخلّص منه إلى وصف المعاد بقوله: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ﴾[2].

وفي سورة الكهف حكى قول ذي القرنين في السّدّ بعد دكّه الّذي هو من أشراط السّاعة، ثمّ النّفخ في الصّور وذكر الحشر، ووصف مآل الكفّار والمؤمنين.

وقال بعضهم: الفرق بين التّخلّص والاستطراد أنّك في التّخلّص تركت ما كنتَ فيه بالكلّيّة، وأقبلت على ما تخلّصت إليه، وفي الاستطراد تمرّ بذكر الأمر الّذي استطردت إليه مرورًا كالبرق الخاطف، ثمّ تتركه وتعود إلى ما كنتَ فيه، كأنّك لم تقصده وإنّما عرض عروضًا.

قيل: وبهذا يظهر أنّ ما في سورتَي الأعراف والشّعراء من باب الاستطراد لا التّخلّص، لعوده في الأعراف إلى قصّة موسى بقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ إلى آخره، وفي الشّعراء إلى ذكر الأنبياء والأمم.

ويقرب من حسن التّخلّص، الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطًا للسّامع مفصولًا بهذا، كقوله في سورة ص بعد ذكر الأنبياء ... [وذكر كما تقدّم نحوه عن الزّركشيّ، ثمّ قال:].

قال ابن الأثير: هذا في هذا المقام من الفصل الّذي هو أحسن من الوصل، وهي علاقة أكيدة بين الخروج من كلام إلى آخر.

ويقرب منه أيضًا حُسْن المَطْلَب؛ قال الزّنجانيّ والطّيبيّ: وهو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدّم الوسيلة، كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3].

١ـ الشّعراء / ٨٧.

٢ـ الشّعراء / ٨٨.

٣ ـ الفاتحة / ٥.

قال الطّيبيّ: وممّا اجتمع حُسْن التّخلّص والمطلب معًا قوله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[1] إلى قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[2]... [ثمّ ذكر قول أبي الفضل محمّدبن العلّامة، كما تقدّم عن البقاعيّ].

تنبيه

من الآيات ما أُشكلت مناسبتها لما قبلها من ذلك قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ...﴾[3] الآيات، فإنّ وجه مناسبتها لأوّل السّورة وآخرها عَسِر جدًّا، فإنّ السّورة كلّها في أحوال القيامة، حتّى زعم بعض الرّافضة أنّه سقط من السّورة شيء، وحتّى ذهب القفّال فيما حكاه الفخر الرّازيّ، أنّها نزلت في الإنسان المذكور قبل في قوله: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[4]، قال: يُعْرَض عليه كتابه، فإذا أخذ في القراءة تلجلج خوفًا، فأسرع في القراءة، فيقال له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ إنّ علينا أن نجمع عملك، وأن نقرأ عليك، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[5] بالإقرار بأنّك فعلت، ثمّ إنّ علينا بيان أمر الإنسان وما يتعلّق بعقوبته، انتهى.

وهذا يخالف ما ثبت في الصّحيح أنّها نزلت في تحريك النّبيّ ﷺ لسانه حالة نزول الوحي عليه. وقد ذكر الأئمّة لها مناسبات:

منها: أنّه تعالى لمّا ذكر القيامة، وكان من شأن من يقصّر عن العمل لها حبّ العاجلة وكان من أصل الدّين أنّ المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبّه على أنّه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجلّ منه، وهو الإصغاء إلى الوحي، وتفهّم ما يرد منه، والتّشاغل بالحفظ قد

١ـ الشّعراء / ٧٧ـ ٧٨.

٢ـ الشّعراء / ٨٣.

٣ـ القيامة / ١٧.

٤ـ القيامة / ١٣.

٥ ـ القيامة / ١٨.

يصدّ عن ذلك، فأمر بألّا يبادر إلى التّحفّظ، لأنّ تحفيظه مضمون على ربّه، وليَصْغ إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتّبع ما اشتمل عليه، ثمّ لمّا انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام إلى ما يتعلّق بالإنسان المبتدأ بذكره ومن هو من جنسه، فقال: ﴿كَلَّا﴾[1]، وهي كلمة ردع، كأنّه قال: «بل أنتم يا بني آدم لكونكم خلقتم من عَجَلٍ تعجلون في كلّ شيء ومن ثمّ تحبّون العاجلة».

ومنها: أنّ عادة القرآن إذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد ـ حيث يعرض يوم القيامة ـ أردفه بذكر الكتاب المشتمل على الأحكام الدّينيّة في الدّنيا الّتي تنشأ عنها المحاسبة عملًا وتركًا، كما قال في الكهف: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾[2] إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ الآية.

وقال في سبحان: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾[3] إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ﴾[4].

وقال في طه: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾[5] إلى أن قال: ﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾[6].

ومنها: أنّ أوّل السّورة لمّا نزل إلى ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾[7]، صادف أنّه ﷺ في تلك الحالة، بادر إلى تحفّظ الّذي نزل، وحرّك به لسانه من عجلته خشيةً من تفلّته، فنزل: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ

١ـ القيامة / ٢٠.

٢ـ الكهف / ٤٩ ـ ٥٤.

٣ـ الإسراء / ٧١ ـ ٨٩.

٤ـ الإسراء / ٨٩.

٥ـ طه / ١٠٢.

٦ـ طه / ١١٤.

٧ـ القيامة / ١٥.

لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[١]، إلى قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[٢]، ثمّ عاد الكلام إلى تكملة ما ابتدئ به.

قال الفخر الرّازيّ: ونحوه ما لو ألقى المدرّس على الطّالب مثلًا مسألة، فتشاغل الطّالب بشيء عرض له، فقال له: ألق إليّ بالك وتفهّم ما أقول، ثمّ كمّل المسألة، فمن لا يعرف السّبب يقول: ليس هذا الكلام مناسبًا للمسألة بخلاف من عرف ذلك.

ومنها: أنّ «النّفس» لمّا تقدّم ذكرها في أوّل السّورة، عدل إلى ذكر «نفس» المصطفى، كأنّه قيل: هذا شأن النّفوس وأنت يا محمّد نفسك أشرف النّفوس، فلتأخذ بأكمل الأحوال. و من ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾[٣]، فقد يقال: أيّ رابط بين أحكام الأهلّة وبين حكم إتيان البيوت؟ وأُجيب: بأنّه من باب الاستطراد، لمّا ذكر أنّها مواقيت للحجّ، وكان هذا من أفعالهم في الحجّ ـ كما ثبت في سبب نزولها ـ ذُكِر معه من باب الزّيادة في الجواب على ما في السّؤال، كما سُئل عن ماء البحر فقال: «هو الطّهور ماؤه الحلّ ميْتته».

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ...﴾[٤]، فقد يقال: ما وجه اتّصاله بما قبله وهو قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ...﴾[٥] ...[ثمّ ذكر قول الشّيخ أبي محمّد الجُوَيني، كما تقدّم عن الزّركشيّ].

[المناسبة بين فواتح السُّوَر وخواتمها]

من هذا النّوع: مناسبة فواتح السُّوَر وخواتمها، وقد أفردت فيه جزءًا لطيفًا سمّيته: «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع».

وانظر إلى سورة القصص كيف بُدِئت بأمر موسى ونصرته، وقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا

١ـ القيامة / ١٦.

٢ـ القيامة / ١٩.

٣ـ البقرة / ١٨٩.

٤ـ البقرة / ١١٥.

٥ـ البقرة / ١١٤.

لِلْمُجْرِمِينَ﴾[1]، وخروجه من وطنه، وخُتِمت بأمر النّبيّ ﷺ بأن لا يكون ظهيرًا للكافرين، وتسليته عن إخراجه من مكّة وعده بالعَوْد إليها، لقوله في أوّل السّورة: ﴿إنّا رادُّوهُ﴾[2].

قال الزّمخشريّ: وقد جعل الله فاتحة سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[3]، وأورد في خاتمتها ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[4]، فشتّان ما بين الفاتحة والخاتمة.

وذكر الكَرْمانيّ في «العجائب» مثله. وقال في سورة «ص»: بدأها بالذّكر، وختمها به في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[5].

في سورة «ن» بدأها بقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[6]، وختمها بقوله: ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾[7].

ومنه: مناسبة فاتحة السّورة لخاتمة ما قبلها حتّى أنّ منها ما يظهر تعلّقها به لفظًا، كما في: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[8]، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾[9]، فقد قال الأخفش: اتّصالها بها من باب ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[10].

وقال الكواشيّ في تفسير المائدة: لمّا ختم سورة النّساء أمرًا بالتّوحيد والعدل بين العباد، أكّد ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾. المائدة / ١.

١ـ القصص / ٧.

٢ـ القصص / ١٧.

٣ـ المؤمنون / ١.

٤ـ المؤمنون / ١١٧.

٥ـ ص / ٨٧.

٦ـ القلم / ٢.

٧ـ القلم / ٥١.

٨ـ الفيل / ٥.

٩ـ قريش / ١.

١٠ـ القصص / ٨.

وقال غيره: إذا اعتبرت افتتاح كلّ سورة وجدتَه في غاية المناسبة ...[وذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ، ثمّ ذكر ارتباط سورة البقرة بالفاتحة و الكوثر بالسّورة الّتي قبلها، كما تقدّم عنه أيضًا].

وقال بعضهم: لترتيب وضع السُّوَر في المُصْحَف أسباب تُطْلِع على أنّه توقيفيّ صادر عن حكيم:

أحدها ـ بحسب الحروف كما في الحواميم.

الثّاني ـ لموافقة أوّل السّورة لآخر ما قبلها، كآخر الحمد في المعنى وأوّل البقرة.

الثّالث ـ للتّوازن في اللّفظ كآخر تبّت وأوّل الإخلاص.

الرّابع ـ لمشابهة جملة السّورة لجملة الأُخرى كالضُّحى وألم نشرح.

قال بعض الأئمّة: وسورة الفاتحة تضمّنت الإقرار بالرّبوبيّة والالتجاء إليه في دين الإسلام، والصّيانة عن دين اليهوديّة والنّصرانيّة، وسورة البقرة تضمّنت قواعد الدّين، وآل عمران مكمّلة لمقصودها. فالبقرة بمنزلة إقامة الدّليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم، ولهذا ورد فيها ذكر المتشابه لما تمسّك به النّصارى، وأوجب الحجّ في آل عمران، وأمّا في البقرة فذكر أنّه مشروع، وأمر بإتمامه بعد الشّروع فيه. وكان خطاب النّصارى في آل عمران أكثر كما أنّ خطاب اليهود في البقرة أكثر، لأنّ التّوراة أصل، والإنجيل فرع لها، والنّبيّ ﷺ لمّا هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم، وكان جهاده للنّصارى في آخر الأمر، كما كان دعاؤه لأهل الشّرك قبل أهل الكتاب. ولهذا كانت السُّوَر المكّيّة فيها الدّين الّذي اتّفق عليه الأنبياء، فخوطب به جميع النّاس. والسُّوَر المدنيّة فيها خطاب من أقرّ بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخوطبوا بـ «يا أهل الكتاب»، «يا بني إسرائيل»، «يا أيّها الّذين آمنوا».

وأمّا سورة النّساء: متضمّنة أحكام الأسباب الّتي بين النّاس وهي نوعان: مخلوقة لله ومقدورة لهم، كالنّسب والصّهر، ولهذا افتتحت بقوله: ﴿اِتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[١]، ثمّ قال: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾، فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح، وبراعة الاستهلال، حيث تضمّنت الآية المفتتح بها ما أكثر السّورة في أحكامه؛ من نكاح النّساء ومحرّماته، والمواريث المتعلّقة بالأرحام، فإنّ ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم، ثمّ خلق زوجة منه، ثمّ بثّ منهما رجالًا كثيرًا ونساءً في غاية الكثرة.

وأمّا المائدة: فسورة «العقود»، تضمّنت بيان تمام الشّرائع، ومكمّلات الدّين، والوفاء بعهود الرُّسُل، وما أخذ على الأُمّة، و بها تمّ الدّين، فهي سورة «التّكميل»؛ لأنّ فيها تحريم الصّيد على المُحْرِم الّذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر الّذي هو من تمام حفظ العقل والدّين، وعقوبة المعتدين من السُّرّاق والمحاربين الّذي هو من تمام حفظ الدّماء والأموال، وإحلال الطّيّبات الّذي هو من تمام عبادة الله تعالى، ولهذا ذكر فيها ما يختصّ شريعة محمّد ﷺ، كالوضوء، والتّيمّم، والحكم بالقرآن على كلّ ذي دين، ولهذا أكثر فيها من لفظ الإكمال والإتمام، وذكر فيها أنّ من ارتدّ عوّض الله بخير منه، ولا يزال هذا الدّين كاملًا، ولهذا أورد أنّها آخر ما نزل فيها من إشارات الختم والتّمام. وهذا التّرتيب بين هذه السُّوَر الأربع المدنيّات من أحسن التّرتيب.

وقال أبو جعفر بن الزُّبَير: حكى الخطّابيّ أنّ الصّحابة لمّا اجتمعوا على القرآن، وضعوا سورة القدر عقب العَلَق، استدلّوا بذلك على أنّ المراد بها الكناية في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، الإشارة إلى قوله: ﴿اقْرَأْ﴾[٢]. قال القاضي أبو بكر بن العربيّ: وهذا بديع جدًّا... [إلى أن قال:]

[فوائد منثورة في المناسبات]

في تذكرة الشّيخ تاج الدّين السُّبْكيّ ومن خطّه نقلت: سأل الإمام ما الحكمة في افتتاح

١ـ النّساء / ١.

٢ـ العلق / ١.

سورة الإسراء بالتّسبيح، والكهف بالتّحميد؟ وأجاب بأنّ التّسبيح ـ حيث جاء ـ مقدّم على التّحميد، نحو: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، ﴿سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلّهِ﴾...[ثمّ ذكر قول الزّمْلَكاني في مناسبة سورة الإسراء لقبلها، كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

في تفسير الخوييّ: ابتدئت الفاتحة بقوله: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بوصف أنّه مالك جميع المخلوقين، وفي الأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر، لم يوصف بذلك، بل بفرد من أفراد صفاته، وهو خلق السّماوات والأرض، والظّلمات والنّور في الأنعام، وإنزال الكتاب في الكهف، ومُلْك ما في السّماوات وما في الأرض في سبأ، وخلقهما في فاطر، لأنّ الفاتحة أمّ القرآن ومطلعه، فناسب الإتيان فيها بأبلغ الصّفات وأعمّها وأشملها.

في «العجائب» للكرْمانيّ: إن قيل: كيف جاء «يسألونك» أربع مرّات بغير واو ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الاَهِلَّةِ﴾[1]، ﴿يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾[2]، ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾[3]، ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾[4]، ثمّ جاء ثلاث مرّات بالواو: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾[5]، ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامٰى﴾[6]، ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾[7]؟

قلنا: لأنّ سؤالهم عن الحوادث الأوّل وقع متفرّقًا، وعن الحوادث الأُخَر وقع في وقت واحد، فجيء بحرف الجمع دلالة على ذلك.

فإن قيل: كيف جاء: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ﴾[8]، وعادة القرآن مجيء «قل»

١ـ البقرة / ١٨٩.

٢ـ البقرة / ٢١٥.

٣ـ البقرة / ٢١٧.

٤ـ البقرة / ٢١٩.

٥ـ البقرة / ٢١٩.

٦ـ البقرة / ٢٢٠.

٧ـ البقرة / ٢٢٢.

٨ـ طه / ١٠٥.

في الجواب بلا فاء؟ وأجاب الكرمانيّ بأنّ التّقدير: لو سُئلتَ عنها فقُلْ.

فإن قيل: كيف جاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾[1]، وعادة السّؤال يجيء جوابه في القرآن «بقل»؟

قلنا: حذفت للإشارة إلى أنّ العبد في حال الدّعاء في أشرف المقامات، لا واسطة بينه و بين مولاه. ورد في القرآن سورتان: أوّلهما ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾[2]، في كلّ نصف سورة، فالّتي في النّصف الأوّل تشتمل على شرح المبدأ، والّتي في الثّاني على شرح المعاد. (٢: ٣٦٩ـ ٣٨٩)

١ـ البقرة / ١٨٦.

٢ـ النّساء / ١، الحجّ / ١.

الفصل السّابع

نصّ الشّوكانيّ (م: ١٢٥٠) في «فتح القدير...»

[عدم التّناسب في التّرتيب الموجود]

اعلم! أنّ كثيرًا من المفسّرين جاءوا بعلمٍ متكلّف، وخاضوا في بحر لم يكلّفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنّ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التّكلّم بمحض الرّأي المنهيّ عنه في الأُمور المتعلّقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنّهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنيّة المسرودة على هذا التّرتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلّفات وتعسّفات يتبرّا منها الإنصاف، ويتنزّه عنها كلام البلغاء فضلًا عن كلام الرّبّ سبحانه، حتّى أفردوا ذلك بالتّصنيف وجعلوه المقصد الأهمّ من التّأليف، كما فعله البِقاعيّ في «تفسيره» ومن تقدّمه حسبما ذكر في خطبته.

وإنّ هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أنّ هذا القرآن ما زال ينزل مفرّقًا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله منذ نزول الوحي على رسول الله ﷺ إلى أن قبضه الله عَزَّ وَجَلَّ إليه، وكلّ عاقل فضلًا عن عالم لا يشكّ أنّ هذه الحوادث المقتضية نزول القرآن متخالفة باعتبار نفسها، بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالًا وتحليل أمر كان حرامًا، وإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله، وتارةً يكون الكلام مع المسلمين، وتارةً مع الكافرين، وتارةً مع من مضى، وتارةً مع من حضر، وحينًا في عبادة، وحينًا في معاملة، و وقتًا في ترغيب، و وقتًا في ترهيب، وآونةً في بشارة، وآونةً في نذارة، وطورًا في أمر دنيا، وطورًا في أمر آخرة، ومرّة في تكاليف آتية، ومرّة في أقاصيص ماضية.

وإذا كانت أسباب النّزول مختلفة هذا الاختلاف، ومتباينة هذا التّباين الّذي لا يتيسّر معه الائتلاف، فالقرآن النّازل فيها هو باعتباره نفسه مختلف كاختلافها، فكيف يطلب العاقل المناسبة بين الضّبّ، والنّون، والماء، والنّار، والملّاح، والحادي، وهل هذا إلّا من فتح أبواب الشّكّ، وتوسيع دائرة الرّيب على من في قلبه مرض، أو كان مرضه مجرّد الجهل والقصور، فإنّه إذا وجد أهل العلم يتكلّمون في التّناسب بين جميع آي القرآن، ويفردون ذلك بالتّصنيف، تقرّر عنده أنّ هذا أمر لا بدّ منه، وأنّه لا يكون القرآن بليغًا معجزًا إلّا إذا ظهر الوجه المقتضي للمناسبة وتبيّن الأمر الموجب للارتباط، فإن وجد الاختلاف بين الآيات، فرجع إلى ما قاله المتكلّمون في ذلك، فوجده تكلّفًا محضًا وتعسّفًا بيّنًا، انقدح في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة.

هذا على فرض أنّ نزول القرآن كان مترتّبًا على هذا التّرتيب الكائن في المُصْحَف، فكيف وكلّ من له أدنى علم بالكتاب، وأيسر حظّ من معرفته يعلم علمًا يقينًا أنّه لم يكن كذلك، ومن شكّ في هذا، وإن لم يكن ممّا يشكّ فيه أهل العلم، رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب النّزول، المطّلعين على حوادث النّبوّة، فإنّه ينثلج صدره، ويزول عنه الرّيب بالنّظر في سورة من السُّوَر المتوسّطة، فضلًا عن المطوّلة، لأنّه لا محالة يجدها مشتملة على آيات نزلت في حوادث مختلفة، وأوقات متباينة لا مطابقة بين أسبابها، وما نزل فيها في التّرتيب، بل يكفي المقصّر أن يعلم أنّ أوّل ما نزل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1]، وبعده ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[2] و﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾[3]، وينظر أين موضع هذه الآيات والسُّوَر في ترتيب المُصْحَف؟ وإذا كان الأمر هكذا، فأيّ معنًى لطلب المناسبة بين آيات؟ نعلم قطعًا أنّه قد تقدّم في ترتيب المُصْحَف ما أنزله الله متأخّرًا، وتأخّر ما أنزله الله متقدّمًا، فإنّ هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن،

١ـ العلق / ١.

٢ـ المدّثّر / ١.

٣ـ المزّمّل / ١.

بل إلى ما وقع من التّرتيب عند جمعه ممّن تصدّى لذلك من الصّحابة، وما أقلّ نفع مثل هذا! وأنزر ثمرته! وأحقر فائدته! بل هو عند من يفهم ما يقول، وما يقال له من تضييع الأوقات، وإنفاق السّاعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من النّاس.

وأنت تعلم أنّه لو تصدّى رجل من أهل العلم للمناسبة مع بين ما قاله رجل من البلغاء من خُطَبه، و رسائله، و إنشاءاته، أو إلى ما قاله شاعر من الشّعراء من القصائد الّتي تكون تارةً مدحًا، وأُخرى هجاءً، وحينًا نسيبًا، وحينًا رثاءً، وغير ذلك من الأنواع المتخالفة، فعمد هذا المتصدّي إلى ذلك المجموع، فناسب بين فِقَره ومقاطعه، ثمّ تكلّف تكلّفًا آخر، فناسب بين الخطبة الّتي خطبها في الجهاد، والخطبة الّتي خطبها في الحجّ، والخطبة الّتي خطبها في النّكاح، ونحو ذلك، وناسب بين الإنشاء الكائن في العزاء والإنشاء الكائن في الهناء، وما يشابه ذلك، لعدّ هذا المتصدّي لمثل هذا مصابًا في عقله، متلاعبًا بأوقاته، عابثًا بعمره الّذي هو رأس ماله.

وإذا كان مثل هذا بهذه المنزلة، وهو ركوب الأحموقة في كلام البشر، فكيف تراه يكون في كلام الله سبحانه الّذي أعجزت بلاغته بُلغاء العرب، وأبكمت فصاحته فُصحاء عَدْنان وقَحْطان، وقد علم كلّ مقصّر وكامل أنّ الله سبحانه وصف هذا القرآن بأنّه عربيّ، وأنزله بلغة العرب، وسلك فيه مسالكهم في الكلام، وجرى به مجاريهم في الخطاب. وقد علمنا أنّ خطيبهم كان يقوم المقام الواحد، فيأتي بفنون متخالفة، وطرائق متباينة فضلًا عن المقامين، فضلًا عن المقامات، فضلًا عن جميع ما قاله ما دام حيًّا، وكذلك شاعرهم. ولنكتف بهذا التّنبيه على هذه المفسدة الّتي تعثّر في ساحاتها كثير من المحقّقين، وإنّما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن، لأنّ الكلام هنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام، فإذا قال متكلّف: كيف ناسب هذا ما قبله؟ قلنا: لا كيف:

فدع عنك نَهْبًا صيح في حجراته وهاتِ حديثًا ما حديث الرّواحل

(١: ٩٣ـ ٩٥)

الفصل الثّامن

نصّ الزُّرقانيّ (م: ١٣٦٨) في «مناهل العرفان ...»

[بعد ذكر ثلاث خصائص للقرآن، قال:]

الخاصّة الرّابعة -جودة سبك القرآن وإحكام سَرْده[١]، ومعنى هذا أنّ القرآن بلغ من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجُمَله وآياته وسُوَره، مبلغًا لا يدانيه فيه أيّ كلام آخر، مع طول نَفَسه، وتنوّع مقاصده، وافتنانه وتلوينه في الموضوع الواحد، و آية ذلك أنّك إذا تأمّلت في القرآن الكريم، وجدت منه جسمًا كاملًا تربط الأعصاب و الجلود و الأغشية بين أجزائه، ولمحت فيه روحًا عامًّا يبعث الحياة والحسّ على تشابك وتساند بين أعضائه، فإذا هو وحدة متماسكة متآلفة، على حين أنّه كثرة متنوّعة متخالفة، فبين كلمات الجملة الواحدة من التآخي و التّناسق، ما جعلها رائعة التّجانس والتّجاذب، و بين جُمَل السّورة الواحدة من التّشابك والتّرابط، ما جعلها وحدة صغيرة متآخذة الأجزاء متعانقة الآيات، وبين سُوَر القرآن من التّناسب ما جعله كتابًا سويّ الخلق، حُسْن السّمت: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[٢]، فكأنّما هو سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار، وتلعب بالعقول والأفكار، على حين أنّها مؤلّفة من حَلَقات، لكلّ حلقة منها وحدة مستقلّة في نفسها ذات أجزاء، ولكلّ جزء وضع خاصّ من

١ـ يقال: درع مسرّدة و مسرودة، أي منسوجة متداخلة حلقها بعضها في بعض، فالمراد هنا أنّ القرآن مترابط الأجزاء، متناسب تناسبًا قويًّا. (م)

٢ـ الزُّمَر / ٢٨.

الحلقة، ولكلّ حلقة وضع خاصّ من السّبيكة، لكن على وجه من جـودة السّبك وإحكـام السَّرْد، جعل من هذه الأجزاء المنتشرة المتفرّقة وحدة بديعة متآلفة، تَرْبُك كمال الانـسجام بين كلّ جزء وجزء، ثمّ بين كلّ حلقة وحلقة، ثمّ بين أوائل السّبيكة وأواخرها وأواسطها.

يعرف هذا الإحكام والتّرابط في القرآن كلّ من ألقى باله إلى التّناسب الشّائع فيه، من غير تفكّك ولاتخاذل ولا انحلال ولاتنافر، بينما الموضوعات مختلفة متنوّعة، فمـن تـشريع إلى قصص جدل إلى وصف، إلى غير ذلك، وكُتُب التّفسير طافحة ببيـان المناسـبات، فنحيلـك عليها، ونكتفي بمثل واحد نضربه مع الاختصار والاقتصار.

هذه سورة الفاتحة، تأمّل كيف تترابط وتتناسق في حُسْن تخلّص من معنًى إلى معنًى، ومِنْ مقصدٍ إلى مقصد؛ لقد افتتحت مُتوَّجة ﴿بِسْمِ اللهِ﴾، كما يتوّج القاضي كلّ حكم من أحكامـه باسم جلالة الملك، لإعلان الجهة الّتي يستمدّ منها نفوذه في صدور أحكامه.

ثمّ انتقل الكلام فيها سريعًا إلى الاستدلال على أنّ الاستعانة إنّما هي بـه تعـالى وحـده، وذلك بإضافة الاسم إلى لفظ الجلالة الّذي هو اسم الذّات الجامع لصفات الكمال، وبوصـف لفظ الجلالة بأنّه: ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

ثمّ انتقل الكلام إلى إعلان أنّه تعالى مستحقّ للمحامد كلّها ما دام أنّـه المـستعان وحـده بالدّليل. ثمّ انتقل الكلام إلى تدعيم هذا الاستحقاق بأدلّة ثلاثة جرَت على اسم الجلالة مجرى الأوصاف في مقام حمده: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[1].

ثمّ انتقل الكلام إلى إعلان وحدانيّته في ألوهيّته وربوبيّته: ﴿اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّـاكَ نَـسْتَعِينُ﴾[2]، ما دام أنّه هو المـُعين وحده ومستحقّ المحامد كلّها وحده.

ثمّ انتقل الكلام في براعة إلى بيان المطمح الأعلى للإنسان وأنّ هذا المطمـح الأعلـى هـو

١ـ الفاتحة / ٢ـ ٤.

٢ـ الفاتحة / ٥.

الهداية إلى الصّراط المستقيم، وأنّه لا سبيل إلى الوصول إلى هذا المطمح عن طريق أحد إلّا عن طريق الله وحده، بقرينة ما سبق من أدلّة التّوحيد والتّمجيد قبله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1].

ثمّ انتقل الكلام من حيث لاتشعر أو من حيث تشعر إلى تقسيم الخلق بالنّسبة إلى هذه الهداية ثلاثة أقسام تنبيهًا وإغراءً على المقصود وتحذيرًا وتنفيرًا من الوقوع في نقيض هذا المقصود: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[2].

وإذا النّاس أمام عينيك بين منعم عليه بمعرفة الحقّ واتّباعه، ومغضوب عليه بمخالفة الحقّ مع العلم به، وضالّ رضي أن يعيش عيشة الأنعام في متاهة الجهالة والحيرة والضّلال لايكلّف نفسه عناء البحث عن الحقّ، ليتشرّف بمعرفته ويسعد باتّباعه.

ثمّ تنظر في سورة البقرة، فإذا هي وما بعدها ترتبط بالفاتحة ارتباط المفصّل بالمجمل،فالهداية إلى الصّراط المستقيم صراط من أنعم الله عليهم من النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين تشرحها سورة البقرة وما وليها من سُوَر القرآن حيث جاءتنا بتفاصيل هذه الهداية في بيان كامل، وعرض شامل.

أمّا بعد،فقد يظنّ بعض الجَهَلة أنّ هذه الوحدة الفنّيّة البيانيّة في القرآن أمر تافهٌ هيّنٌ لايسمو إلى حدّ التّنويه به، فضلًا عن أن يُنْظَم في عداد ما هو مناط للإعجاز، ولأجل الرّدّ على هؤلاء نطلب منهم أن ينظروا نظرة فاحصة في كلام البُلغاء وحَمَلة الأقلام، فإن لم يكن عندهم نظر و لا ذوق، فليستمعوا إلى حكم نقدة البيان وصيارفته عليهم، بأنّهم كثيرًا ما يخطئون في تنظيم أغراضهم إذا قالوا، بل يأتون بها شتيتًا مفكّكًا غير متماسك و لامتجاذب، ممّا يعاب الشّعراء من أجله بسوء التّخلّص، حين ينتقلون من غرض إلى غرض في القصيدة

١ـ الفاتحة /٦.

٢ـ الفاتحة /٧.

الواحدة، وممّا يضطرّ الكُتّاب والعلماء والمؤلّفين إلى تلافي هذا النّقص، بما يستخدمون في تنقّلاتهم بين أغراضهم، من أسماء الإشارة وأدوات التّنبيه والحديث عن النّفس وكثرة التّقسيم والتّرقيم والتّبويب والعنونة، ولفظ أمّا بعد، نحو هذا، وإن، ألا، وإن قلنا كذا، ونقول كذا، ينقسم الكتاب إلى مباحث: المبحث الأوّل في كذا إلخ، ينقسم هذا المبحث إلى نقاط: أوّلها كذا إلخ ملاحظة، تنبيه، فذلكة، أمّا بعد إلخ.

هذا في كلام البشر، أمّا كلام مالك القُوَى والقُدَر، فإنّه على تنوّع أغراضه وطول نَفَسِه في سُوَره وآياته، ينتقل من مقصد إلى مقصد، وينقلك أنت معه بين هذه المقاصد، غير مستعين بوسائل العجز المذكورة، بل بطريقة سحريّة قد تشعر بها و قد لا تشعر، وحسبك أن تنظر في المثال الآنف الّذي قدّمناه لك في سورة الفاتحة، وحبّذا أن تنظر في أطول سُوَر القرآن وهي سورة البقرة، فإنّك ستطرب وتعجب، وسيذهب بك الطّرب والعَجَب إلى حدّ الذّوق البالغ لهذا اللّون من الإعجاز القاهر، وأدلّك على كتاب «النّبأ العظيم»، فقد أجاد في بيان هذا اللّون وأبدع وأشبع العقول والقلوب وأمتع بما عرض من التّناسب والتّرابط بين آحاد هذه السّورة. (٢: ١٩٧ـ ١٩٩)

الفصل التّاسع

نصّ النّهاوندي ّ(م: ١٣٧١) في «نفحات الرّحمان...»

تناسب السُّوَر و الآيات

لاشبهة في أنّ التّرتيب المقرّر عندالله المنزل على النّبي ّﷺ بين الآيات والسُّوَر لمناسبات لطيفة، و روابط منيفة، ونُكَت بديعة، و حِكَم بليغة، لايعلم جميعا إلّا الله و الرّاسخون في العلم، و لايدركها إلّا من نوّر الله قلبه، و خصّ بالانقياد و الطّاعة ربّه، و وهب له فهم القرآن، و باشر روحه روح الإيمان. ..[ثمّ ذكر قولين للفخر الرّازي ّكما تقدّم عن الزّركشي ّو البِقاعي ّ، وذكر بعدها قول ابن العربي ّ، كما تقدّم عن الزّركشي ّ]

هذا ولعمري أنّ ما ذكرته بالنّظر إلى حكمة الله البالغة، و عدم إمكان وضعه الشّيء في غير موضعه، و ترجيحه أمرًا بلا مرجّح، من أوضح الواضحات، و أبين البيّنات، غنيّ عن الاستدلال و التّأييد بأقوال الرّجال، و العجب مع ذلك من بعض حيث قال ...[ثمّ ذكر قول عزّالدّين بن عبد السّلام، كما تقدّم عن الزّركشي ّ، ثمّ قال:].

فإنّ مثل هذا الكلام في ترتيب كلام الله لاينبغي صدوره عن عاقل فضلًا عن فاضل، إذ من الواضح أنّ كلّ من ألّف كتابًا مشتملًا على مطالب متفرّقة و قضايا متشتّتة، و يلاحظ البتّة في ترتيبها مناسبةً و ارتباطًا، فكيف بالحكيم المتعال؟

فإنّ المناسبات بين القضايا المتفرّقة و الأحكام المختلفة كثيرة جدًّا، خصوصًا في نظر من كان عالمًا بحقائق الأشياء و جهات الأُمور، نعم، فهم غير العلماء الرّاسخين الرّبانيّين، قاصر

عن درك جميع المناسبات اللّطيفة المنظورة للّطيف الخبير، و لذا لم يحم حوله المفسّرون، فلم يخض فيه المتبحّرون، نعم، تكلّف قليل من علماء العامّة لبيانها، و أجالوا الفكر في هذا العرصة مع عدم كونهم من فرسانها، و أين لهم التّمكّن في هذا القصر المشيد؟ وأنّى لهم التّناوش من مكان بعيد، حيث إنّهم ماتقفوا بحبل الله المتين، و ما اتّخذوا سبيلًا مع الهداة الرّاسخين؟ و أنّي و إن سلكت في هذا الطّريق الزّليق، و غُصْتُ في هذا البحر العميق، و خُضْتُ كالّذي خاضوا، وأفضت من حيث أفاضوا، غير أنّي لمعرفتي بقصوري ما غصصت على ما نلت بضِرْس قاطع، و ما حكمتُ فيما قلت على أنّه هو الحقّ الواقع، بل أبديت ما يليق بالظّنّ و الاحتمال، لألّا يتوهّم في ترتيب الكتاب العزيز ما توهّمه هذا البعض من الأمر المحال... [ثمّ ذكر قول وليّ الدّين الملَوي، كما تقدّم عن الزّركشيّ،فقال:]

قال بعض العلماء: «سورة الفاتحة تضمّنت الإقرار بالرّبوبيّة و الالتجاء إليه في دين الإسلام، و الصّيانة عن دين اليهوديّة و النّصرانيّة»... [وذكر كما تقدّم عن السّيوطيّ، ثمّ قال:].

و قال بعض آخر: إذا اعتبرت افتتاح كلّ سورة، وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السّورة قبلها ثمّ هو يخفي تارةً و يظهر أُخرى...[وذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ و السّيوطيّ، ثمّ قال:].

أقول: الغرض من نقل هذه العبائر و الوجوه هو التّأييد و إن قلنا: إنّ المدّعي لوضوحه غنيّ عنه. (١: ١٢ـ١٣)

الفصل العاشر

نصّ سيّد قُطْب (م: ١٣٨٧) في «التّصوير الفنّيّ في القرآن الكريم»

التّناسق الفنّيّ

حينما نقول: إنّ التّصوير هو القاعدة الأساسيّة في تعبير القرآن، و إنّ التّخييل و التّجسيم هما الظّاهرتان البارزتان في هذا التّصوير، لانكون قد بلغنا المدى في بيان الخصائص القرآنيّة بصفة عامّة، و لا خصائص التّصوير القرآنيّ بصفة خاصّة. و وراء هذا و ذاك آفاق أُخرى يبلغ إليها النّسق القرآنيّ، و بها تقويمه الصّحيح من ناحية الأداء الفنّيّ.

هنالك التّناسق الّذي يبلغ الذّروة في تصوير القرآن، و التّناسق ألوان و درجات، و من هذه الألوان ما تنبّه إليه بعض الباحثين في بلاغة القرآن، و منها ما لم يمسسه أحد منهم حتّى الآن:

منها: ذلك التّنسيق في تأليف العبارات، بتخيّر الألفاظ، ثمّ نظمها في نسق خاصّ، يبلغ في الفصاحة أرقى درجاتها. و قد أكثروا من القول في هذا اللّون، و بلغوا غاية مداه، بل تجاوزوا الصّحيح منه إلى التّمحّل الّذي لا ضرورة له!

و منها: ذلك الإيقاع الموسيقيّ النّاشئ من تخيّر الألفاظ و نظمها في نسق خاصّ. و مع أنّ هذه الظّاهرة واضحة جدّ الوضوح في القرآن، و عميقة كلّ العمق في بنائه الفنّيّ، فإنّ حديثهم عنها لم يتجاوز ذلك الإيقاع الظّاهريّ، و لم يرتق إلى إدراك التّعدّد في الأساليب الموسيقة، و تناسق ذلك كلّه مع الجوّ الّذي تطلق فيه هذه الموسيقيّ، و وظيفتها الّتي تؤدّيها

في كلّ سياق.

و منها: تلك النُّكَت البلاغيّة الّتي تنبّه لها الكثيرون، من التّعقيبات المتّفقة مع السّياق، كأن تجيء الفاصلة: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] بعد كلام يثبت القدرة، والفاصلة: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[2] بعد كلام في وادي العلم المستور. و كأن يعبّر بالاسم الموصول لتكون جملة الصّلة بيانًا لعلّة الجزاء، مثل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[3]. و كأن يعبّر بلفظ «الرّبّ» في مواضع التّربية و التّعليم، مثل: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[4]، بينما يعبّر بلفظ «الله» في مواضع التّأليه والتّعظيم، مثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾[5]، وكما يظهر اسم جلالة أو يضمره لغرض يقتضيه السّياق. و كما يقدّم أو يؤخّر، و يصل أو يفصل، و يطلق أو يقصر، و يستفهم أو يقرّر، إلى آخر المباحث البلاغيّة المعروفة، و فيهم من يعدّ هذا أقصى مظاهر البلاغة في تعبير القرآن.

ومنها: ذلك التّسلسل المعنويّ بين الأغراض في سياق الآيات، والتّناسب في الانتقال من غرض إلى غرض. وبعضهم يتمحّل لهذا التّناسق تمحّلًا لاضرورة له، حتّى ليصل إلى حدّ من التّكلّف، ليس القرآن في حاجة إلى شيء منه.

ولعلّ أعلى نوع من التّناسق تنبّهوا إليه هو هذا التّناسق النّفسيّ بين الخطوات المتدرّجة في بعض النّصوص، والخطوات النّفسيّة الّتي تصاحبها، كالمثل الّذي أخذناه من «الزّمخشريّ»

١ـ المائدة / ١٢٠، هود / ٤، الرّوم / ٥٠، الشّورى / ٩، الحديد / ٢، التغابن / ١، الملک / ١.

٢ـ آل عمران / ١١٩، لقمان / ٢٣.

٣ـ الأعراف / ٤٠.

٤ـ العلق / ١ ـ ٥

٥ـ لقمان / ٣٤.

عن الفاتحة في فصل «كيف فهم القرآن».

ومع أنّ الخصائص الّتي طرقوها حقيقيّة وقيّمة، فإنّها لاتزال أوْلى مظاهر التّناسق الّتي يلمحها الباحث في القرآن، ووراءها آفاق أُخرى لم يتعرّضوا لها أصلًا، فيما عدا ظاهرة الإيقاع الموسيقيّ، فهي أحد هذه الآفاق العالية. ولكنّهم كما قلت: وقفوا عند مظاهرها الخارجيّة.

و لمّا كان التّصوير في القرآن مسألة لم يعرضوا لها قطّ، بوصفها أساسًا للتّعبير القرآنيّ جملة، فقد بقي التّناسق الفنّيّ في هذا «التّصوير» بعيدًا عن آفاق بحثهم بطبيعة الحال.

و إذا كان قصدنا من هذا الكتاب هو أن نستعرض الآفاق الجديدة، لا أن نكرّر الاتّجاهات الّتي اهتدى إليها الباحثون، فإنّنا سنترك تفصيل القول في هذه الاتّجاهات ـ مع اعتقادنا أنّ كلّ ما كتب فيها قابل للعرض في ضوء جديد ـ للتّقدّم فيه خطوات بعيدة بعد آخر خطوة وقف عندها الأسلاف ...[ثمّ ذكر التّناسق المعنويّ و النّفسيّ والأُسلوب الفنّيّ في القصص القرآنيّة و غيرها تفصيلًا، وإن شئت فراجع ثمّ قال:]

و لكن هذا كلّه إنّما ينتهي إلى تناسق المعاني والأغراض. والبحث في هذا النّطاق مهما دقّ وارتفع يبقى في معزل عن أجمل وأبدع وسائل القرآن في التّعبير، وهو التّصوير.

و لمّا كانت نقلة بعيدة أن نقفز من هذه السّطوح المستوية إلى تلك القُمَم الشّامخة، فإنّنا سنختار أن نرقى إلى هذه الآفاق خطوة بعد أُخرى؛ حتّى نتطلّع إلى قِمَتها البعيدة.

١ـ هناك المواضع الّتي يتناسق فيها التّعبير مع الحالة المراد تصويرها؛ فيساعد على إكمال معالم الصّورة الحسّيّة أوالمعنويّة. وهذه خطوة مشتركة بين التّعبير للتّعبير، والتّعبير للتّصوير، وهي مفرق الطّريق بين السّطوح المستوية والقُمَم المتدرّجة!

مثال ذلك: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1]، فإنّ «الدَّوَابّ» تطلق

---

١ ـ الأنفال / ٢٢.

عادةً على الحيوان ـ وإن كانت تشمل الإنسان فيما تشمل لأنّه يدبّ على الأرض ـ ولكن شمولها هذا للإنسان، ليس هو الّذي يتبادر إلى الذّهن،لأنّ للعادة حكمها في الاستعمال. فاختيار كلمة «الدَّوابّ» هنا، ثمّ تجسيم الحالة الّتي تمنعهم من الانتفاع بالهدى بوصفهم: «الصُّمُّ البُكْمُ» كلاهم يكمل صورة الغفلة والحيوانيّة،الّتي يريد أن يرسمها لهولاء الّذين لا يؤمنون لأنّهم «لا يعقلون».

ومن هذا النّحو: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾[1]، فقد رسم لهم بهذا التّشبيه صورة دقيقة: إنّهم يأكلون ويتمتّعون،غافلين عن غاية الوجود الإنسانيّ، غافلين عن الجزاء الّذي ينتظرهم، كما تأكل الأنعام وتمرح، غافلة عن شفرة القصّاب، أو غافلة عمّا سوى الطّعام والشّراب.

ومثال ذلك: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[2]،وفي هذا التّعبير ألوان من التّناسق الظّاهر والمضمر، ومن لطف الكناية عن ملابسات دقيقة. وأدقّ ما فيه هو ذلك التّشابه بين صلة الزّارع بحرثه ،وصلة الزّوج بزوجه في هذ المجال الخاصّ، وبين ذلك النّبت الّذي يخرجه الحرث، وذلك النّبت الّذي تخرجه الزّوج؛ و ما في كليهما من تكثير و عمران وفلاح. وكلّ هذه الصُّوَر تنطوي تحت استعارة في بضع كلمات.

٢ـ وقد يستقلّ لفظ واحد ـ لا عبارة كاملة ـ برسم صورة شاخصة ـ لا بمجرّد المساعدة على إكمال معالم صورة ـ . وهذه خطوة أُخرى في تناسق التّصوير، أبعد من الخطوة الأُولى، وأقرب إلى قمّة جديدة في التّناسق. خطوة يزيد من قيمتها أنّ لفظًا مفردًا هو الّذي يرسم الصّورة، تارة بجرسه الّذي يلقيه في الأُذن، وتارة بظلّه الّذي يلقيه في الخيال، وتارة بالجرس والظّلّ جميعًا.

١ـ محمّد/ ١٢.

٢ـ البقرة/ ٢٢٣.

نسمع الأُذن كلمة «اثّاقلتم» في قوله تعالى: ﴿يَاءَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا مَا لَكُمْ اِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِى سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ اِلَى الأرْضِ﴾[1]، فيتصوّر الخيال ذلك الجسم المُثّاقل، يرفعه الرّافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل. إنّ في هذه الكلمة «طُنًّا» على الأقلّ من الأثقال! ولو أنّك قلت: تثاقلتم، لخفّ الجرس، ولضاع الأثر المنشود، ولتواترت الصّورة المطلوبة الّتي رسمها هذا اللّفظ، واستقلّ برسمها.

و تقرأ: ﴿وَاِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾[2]، فترتسم صورة التّبطئة في جرس العبارة كلّها ـ و في جرس «ليبطّئنّ» خاصّة ـ و إنّ اللّسان ليكاد يَتعثّر، و هو يتخبّط فيها، حتّى يصل ببطء إلى نهايتها.

و تتلو حكاية قول هود: ﴿اَرَاَيْتُمْ اِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءاتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ اَنُلْزِمُكُمُوهَا وَاَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[3]، فتحسّ أنّ كلمة «نلزمكموها» تصوّر جوّ الإكراه بإدماج كلّ هذه الضّمائر في النّطق، و شدّ بعضها على بعض، كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون، و يشدّون إليه و هم منه نافرون! ...

ونوع آخر من تصوير الألفاظ بجرسها يبدو في سورة النّاس: ﴿قُلْ اَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * اِلٰهِ النَّاسِ...﴾، اقرأها متوالية تجد صوتك يحدث «وسوسة» كاملة تناسب جوّ السّورة. جوّ وسوسة ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِى يُوَسْوِسُ...﴾ ...

ومن هذا الوادي كلّ النّماذج الّتي عرضناها في فصل «التّخييل الحسّيّ والتّجسيم» عن «التّخييل». فالظّلال الّتي تلقّيها التّعبيرات هناك من هذا القبيل.

و قد يشترك الجرس و الظّلّ في لفظ واحد مثل: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ اِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[4]، فلفظ

١ـ التّوبة / ٣٨.

٢ـ النّساء / ٧٢.

٣ـ هود / ٢٨.

٤ ـ الطّور / ١٣.

الدّعّ يصوّر مدلوله بجرسه و ظلّه جميعًا.وممّا يلاحظ هنا أنّ «الدّعّ» هو الدّفع في الظّهور بعُنُف، و هذا الدّفع في كثير من الأحيان يجعل المدفوع يخرج صوتًا غير إراديّ، فيه عين ساكنة هكذا: «أعْ» و هو في جرسه أقرب ما يكون إلى جرس الدّعّ»!

و مثله: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ اِلٰى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[1]، فالعَتْل جرس في الأذن و ظلّ في الخيال، يؤدّيان المدلول للحسّ و الوجدان.

و نستطيع أن نضيف إلى هذا الباب ألفاظًا ممّا ذكرنا هناك في الألفاظ الدّالّة بجرسها،مثل: «النّعاس» و «تنفّس» و«الطّامّة». فلها كذلك ظلال بجانب ما لها من جرس. و التّفرقة في الواقع عسيرة، لأنّ الفوارق دقيقة لطيفة.

إنّما تلتقي جميعًا عند تصوير الألفاظ للمدلولات، لا من قبيل الدّلالة المعنويّة فحسب، ولكن من قبيل الطّريقة التّصويريّة التّخييليّة، و هو ما يعنينا خاصّة في هذا المقام.

٣ــ و هناك تلك المقابلات الدّقيقة بين الصُّوَر الّتي ترسمها التّعبيرات (والتّقابل طريقة من طُرُق التّصوير وطريقة من طُرُق التّلحين)والتّعبير القرآنيّ يكثر من استخدامها في تنسيق صُوَره الّتي يرسمها بالألفاظ على نحو دقيق.

من ذلك هاتان الصّورتان السّريعتان للبَثّ والجمع في قوله: ﴿وَمِنْ اٰيَاتِه خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلٰى جَمْعِهِمْ اِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[2]، فصورة بثّ الدّوابّ، و صورة جمعها، تلتقيان في سطر، بينما الخيال نفسه يكاد يستغرق مدى أطول في تصوّرهما: واحدة بعد الأُخرى.

و من ذلك الصّورتان اللّتان يعرضهما لإماتة الأحياء و إحياء الموتى في قوله: ﴿اَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ اَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَاكِنِهِمْ اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ اَفَلَا يَسْمَعُونَ *

١ــ الدّخان / ٤٧.

٢ــ الشّورى / ٢٩.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾[1]. ففي وَمَضة عين نقلهم من القُرى المهلكة الدّاثرة بعد الحياة و العمران، إلى الأرض الحيّة المرعة بعد الموت والأجداب. فالتّقابل هنا بين حالتين وحالتين في الواقع لا بين حالة وحالة.

هذه المقابلة تكاد تطّرد في صُوَر النّعيم والعذاب في الآخرة، وهي كثيرة جدًّا في القرآن، فنكتفي هنا بأمثلة منها:

في وسط الهول الّذي ترسم صورته هذه الفقرات: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ - إلى قوله: - لَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾[2]، في وسط هذا الرّوع الّذي يبثّه ذلك العرض العسكريّ - الّذي تشترك فيه جهنّم - بموسيقاه العسكريّة المنتظمة الدقّات، المنبعثة من البناء اللّفظيّ الشّديد الأسر، و بين العذاب الفذّ و الوثاق النّموذجيّ... يقال لمن آمن: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[3].

هكذا في عطف ولطف: ﴿يَا أَيَّتُهَا﴾ و في روحانيّة وتكريم: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ﴾. ﴿الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ في وسط هذا الرّوع، ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ بما بينك و بينه من صلة وإضافة، ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ بهذا الانسجام الّذي يغمر الجوّ كلّه بالرّضى والتّعاطف، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ ممتزجة بهم متوادّة معهم، ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ المضافة لي. و الموسيقيّ حول المشهد مطمئنّة متموّجة رخيّة. في مقابل تلك الموسيقيّ القويّة العسكريّة ...

٤ - و هناك نوع من التّقابل، ولكن لا بين صورتين حاضرتين كما هو الحال هنا، بل بين

---

١ - السّجدة/ ٢٦ - ٢٧.

٢ - الفجر ٢١ - ٢٦.

٣ - الفجر / ٢٧ - ٣٠.

صورتين: إحداهما حاضرة الآن، و الأخرى ماضية في الزّمان. حيث يعمل الخيال في استحضار هذه الصّورة الأخيرة ليقابلها بالصّورة المنظورة.

من ذلك: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[1]، فالصّورة الحاضرة هنا هي صورة الإنسان «الخصيم المبين»، و الصّورة الماضية هي صورة النّطفة الحقيرة، و بين الصّورتين مسافة بعيدة يراد إبرازها لبيان هذه المفارقة في تصرّف الإنسان، و لهذا جعل الصّورتين متقابلتين، و أغفل المراحل بينهما، لتؤدّي المفارقة الواضحة هذا الغرض الخاصّ، بالتّقابل التّخييليّ بين حال و حال.

و منه قوله: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾[2]، فالمقابلة هنا بين صورة «أُولي النَّعمة» الحاضرة، وصورة الطّعام ذي الغصّة المتخيّلة، لها قيمتها الفنّيّة بجانب قيمتها الدّينيّة.

و منه: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾[3]، فصورة الهُمَزة اللُّمَزة الّذي يهزّأ بالنّاس ويلمزهم، و الّذي جمع مالًا و عدّده، صورةً هذا المتعالي السّاخر، تقابلها صورة «المنبوذ» و المنبوذ في «الحُطَمة» الّتي تحطم كلّ ما يلقى إليها، فتحطم كبرياءه و قوّته و جاهه، و هي النّار «تطّلع» على فؤاده، الّذي ينبعث منه الهمز و اللّمز، و يخفى فيه التّعاظم و الكبرياء. و تكملة لصورة المنبوذ المحطم المهمل: هذه الحطمة مقفّلة عليه لاينقذه منها أحد، و لايسأل عنه فيها أحد.

و مثلها: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ - إلى قوله - ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾، فالسّموم والحميم، والظّلّ الّذي ليس له من الظّلّ إلّا اسمه، لأنّه ﴿مِنْ يَحْمُومٍ﴾،

١ـ النّحل / ٤.

٢ـ المزّمّل / ١١ ـ ١٣.

٣ـ الهمزة / ١ ـ ٩.

﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ صورة هذا الشّظف تقابل صورة التّرف: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾[1].

و هنا موضع تأمّل لطيف في هذا التّصوير و فيما يماثله: فهؤلاء المتحدَّث عنهم يعيشون في الدّنيا الحاضرة، وصورة التّرف هي الصّورة القريبة. أمّا ما ينتظرهم من السَّموم و الحميم و الشّظف، فهو الصّورة البعيدة. و لكنّ التّصوير هنا لفرط حيَويّته يخيّل للقارئ أنّ الدّنيا قد طويت، و أنّهم الآن هناك؛ وأنّ صورة التّرف قد طويت كذلك، وصورة الشّظف قد عرضت. و أنّهم الآن يُذكَّرون في وسط السّموم و الحميم، بأنّهم ﴿كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾! و ذلك من عجائب التّخييل.

و لكنّه النّسق المتّبع غالبًا في القرآن، والّذي يلبّي طلبة الفنّ و الدّين في آن: يلبّي طلبة الفنّ في قوّة الإحياء، حتّى لينسي المشاهد أنّ هذا مَثَل يُضرب، و يحسّ أنّه حاضر يشهد؛ و يلبّي طلبة الدّين، لأنّ الإحساس بالمغيب حاضرًا ممّا يلبس الوجدان، و يهيّئ لدعوة الإيمان... [ثمّ ذكر نماذج أخرى تفصيلًا، و إن شئت فراجع] (٦٨ ـ ٧٩)

---

١ ـ الواقعة / ٤١ ـ ٤٥.

الفصل الحادي عشر

نصّ ابن عاشور (م: ١٣٩٣) في «تفسير التّحرير و التّنوير»

[اتّساق حروف القرآن و آياته و سوَره]

و اتّساق الحروف و اتّساق الآيات و اتّساق السُّوَر كلّه عن رسول الله ﷺ. فلهذا كان الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية و لاحقتها تناسب في الغرض، أو في الانتقال منه أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتّصل. و ممّا يدلّ عليه وجود حروف العطف المفيدة الاتّصال، مثل: الفاء و لكن و بل[1]، و مثل: أدوات الاستثناء على أنّ وجود ذلك لايعيّن اتّصال ما بعده بما قبله في النّزول، فإنّه قد اتُّفق على أنّ قوله تعالى: ﴿غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ﴾ نزل بعد نزول ما قبله وما بعده من قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾[2]...[ثمّ ذكر قول المـلَوي نقلاً عن الزّركشيّ، كما تقدّم عنه، فقال:]

على أنّه يندر أن يكون موقع الآية عقب الّتي قبلها، لأجل نزولها عقب الّتي قبلها من سورة هي بصدد النّزول، فيؤمر النّبيّ ﷺ بأن يقرأها عقب الّتي قبلها، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[3] عقب قوله: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾[4]. فقد

---

١ ـ دون الواو، لأنّها تعطف الجُمَل و القصص، و كذلك ثمّ، لأنّها قد تعطف الجُمَل.

٢ـ النّساء/ ٩٥.

٣ـ مريم/ ٦٤.

٤ ـ مريم/ ٦٣.

روي أنّ جبريل لبث أيّامًا لم ينزل على النّبيّ ﷺ بوحي، فلمّا نزل بالآيات السّابقة عاتبه النّبيّ ﷺ، فأمر الله جبريل أن يقول: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾، فكانت وحيًا نزل به جبريل، فقرئ مع الآية الّتي نزل بأثرها، وكذلك آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[1] عقب قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في سورة البقرة/٢٥، إذا كان ردًّا على المشركين في قولهم: أما يستحي محمّد أن يمثّل بالذّباب و بالعنكبوت؟ فلمّا ضرب لهم الأمثال بقوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[2]، تخلّص إلى الرّدّ عليهم فيما أنكروه من الأمثال، على أنّه لا يعدم مناسبة مّا، و قد لا تكون له مناسبة، و لكنّه اقتضاه سبب في ذلك المكان كقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[3]، فهذه الآيات نزلت في سورة القيامة في خلال توبيخ المشركين على إنكارهم البعث و وصف يوم الحشر و أهواله، و ليست لها مناسبة بذلك، و لكنّ سبب نزولها حصل في خلال ذلك، روى البخاريّ عن ابن عبّاس قال: كان رسول الله إذا نزل جبريل بالوحي، كان ممّا يحرّك به لسانه و شفتيه يريد أن يحفظه، فأنزل الله الآية الّتي في ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فذلك يفيد أنّ رسول الله ﷺ حرّك شفتيه بالآيات الّتي نزلت في أوّل السّورة.

على أنّه قد لا يكون في موقع الآية من الّتي قبلها ظهور مناسبة، فلا يوجب ذلك حيرة للمفسّر؛ لأنّه قد يكون سبب وضعها في موضعها أنّها قد نزلت على سبب، و كان حدوث سبب نزولها في مدّة نزول السّورة الّتي وضعت فيها، فقرئت تلك الآية عقب آخر آية انتهى إليها النّزول، و هذا كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ تَكُونُوا

١ـ البقرة/٢٦.

٢ـ البقرة/١٧.

٣ـ القيامة/١٦ـ١٩.

تَعْلَمُونَ﴾[١]، بيّن تشريعات أحكام كثيرة في شؤون الأزواج و الأُمّهات، و قد ذكرنا ذلك عند هذه الآية في التّفسير. و قد تكون الآية أُلحقت بالسّورة بعد تمام نزولها بأن أمر الرّسول بوضعها عقب آية معيّنة، كما تقدّم آنفًا عن ابن عبّاس في آية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾[٢].

و كذلك ما رُوي في «صحيح مسلم» عن ابن مسعود: أنّ أوّل سورة الحديد نزل بمكّة، و لم يختلف المفسّرون في أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[٣] إلى آخر السّورة نزل بالمدينة، فلايكون ذلك إلّا لمناسبة بينها و بين آي تلك السّورة و التّشابه في أُسلوب النّظم، وإنّما تأخّر نزول تلك الآية عن نزول أخواتها من سورتها لحكمة اقتضت تأخّرها، ترجع غالبًا إلى حدوث سبب النّزول كما سيأتي قريبًا.

و لمّا كان تعيين الآيات الّتي أمر النّبيّ ﷺ بوضعها في موضع معيّن غير مرويّ إلّا في عدد قليل، كان حقًّا على المفسّر أن يتطلّب مناسبات لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلًا موصلًا، و إلّا فليعرض عنه و لايكن من المتكلّفين.

إنّ الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأُمّة بأسرها، فإصلاح كفّارها بدعوتهم إلى الإيمان، و نبذ العبادة الضّالّة و اتّباع الإيمان والإسلام، و إصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم، و إرشادهم إلى طُرُق النّجاح وتزكية نفوسهم، و لذلك كانت أغراضه مرتبطة بأحوال المجتمع في مدّة الدّعوة، فكانت آيات القرآن مستقلًّا بعضها عن بعض، لأنّ كلّ آية منه ترجع إلى غرض الإصلاح و الاستدلال عليه، وتكميله و تخليصه من تسرّب الضّلالات إليه، فلم يلزم أن تكون آياته متسلسلة، ولكن حال القرآن كحال الخطيب يتطرّق إلى معالجة الأحوال الحاضرة على اختلافها و ينتقل من حال إلى حال بالمناسبة، ولذلك تكثر

١ـ البقرة/ ٢٣٨ـ ٢٣٩.

٢ـ البقرة/ ٢٨١.

٣ـ الحديد/ ١٠.

في القرآن الجُمَل المعترضة لأسباب اقتضت نزولها أو بدون ذلك، فإنّ كلّ جملة تشتمل على حكمة و إرشاد أو تقويم معوّج، كقوله: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ اٰمِنُوا بِالَّذِى اُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ اٰمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ ـ إلى قوله ـ قُلْ اِنَّ الْهُدٰى هُدَى اللهِ اَنْ يُؤْتٰى اَحَدٌ مِثْلَ مَا اُوتِيتُمْ﴾[1]، فقوله: ﴿قُلْ اِنَّ الْهُدٰى هُدَى اللهِ﴾ جملة معترضة. (١: ٧٨ ـ ٨٠)

---

١ ـ آل عمران / ٧٢ ـ ٧٣.

الفصل الثّاني عشر

نصّ عِزّة دَرْوَزَة (م: ١٤٠٠) في «القرآن المجيد»

تسلسل الفصول القرآنيّة و سياقها

إنّ أكثر الفصول و المجموعات في السُّوَر القرآنيّة متّصلة السّياق ترتيبًا أو موضوعًا أو سبكًا أو نزولًا، و أنّ فهم مداها و معانيها و ظروفها الزّمنيّة و الموضوعيّة و خصوصيّاتها و عموميّاتها و تلقينها و توجيهها و أحكامها فهمًا صحيحًا، لا يتيسّر إلّا بملاحظة تسلسل السّياق و التّناسب، و أنّ في أخذ القرآن آية آية أو عبارة عبارة أو كلمة كلمة بترًا لوحدة السّياق في كثير من المواقف و المواضيع، و هو مؤدٍّ إلى التّشويش على صحّة التّفهّم و التّدبّر و الإحاطة أو على حقيقة و مدى الهدف القرآنيّ.

و لتمثيل ذلك و إيضاحه نذكر آية الصّافّات: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]، فهذه الآية كثيرًا ما تورد في معرض الحِجاج و البَرهنة في بعض المذاهب الكلاميّة على أنّ القرآن ينصّ على أنّ الله قد خلق أعمال النّاس، و بطلان القول الّذي يقوله بعض المذاهب الكلاميّة الأُخرى بأنّ الإنسان خالق أفعال نفسه ومسئوول عن تبعتها. فبقطع النّظر عن هذا الموضوع الكلاميّ الخلافيّ، فإنّ الّذين يوردون الآية في معرض الحِجاج و البرهان قلّما يلحظون أنّها ليست تقريرًا ربّانيًّا مباشرًا في صدد خلق النّاس و خلق أعمالهم، و بالتّالي في صدد الموضوع

١ـ الصّافّات/ ٩٦.

الكلاميّ، و إنّما هي جزء من سلسلة تتضّمن حكاية قول إبراهيم لقومه في سياق التّنديد بهم، لأنهّم يعبدون ما ينحتون من الأصنام، مع أنّ الله كما خلقهم خلق المادّة الّتي يعملونها، أي ينحتونها أصنامًا ليعبدوها، و هي السّلسلة (٨٣ ـ ١١٣) من السّورة. فالآية هي جزء من حكاية أقوال إبراهيم، و لو لوحظ السّياق جميعه، لما كان هناك محلّ لاقتطاع هذه الآية وحدها من السّلسلة وتلقّيها كتقرير ربّانيّ مباشر بخلق أعمال النّاس، كما أنّ من الواضح مع ملاحظة جزئيّة الآية من السّلسلة أنّها لاتصحّ أن تورد في معرض البرهان الّذي تورد فيه، هذا بقطع النّظر عمّا ورد في السّلسلة نفسها من نسبة العبادة و النّحت و الإلقاء و إرادة الكيد إلخ إلى قوم إبراهيم و تقرير صدور هذه الأعمال عنهم.

و نذكر جملة ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾[1]، فكثير من المفسّرين يفسّرونها منفردة و يصفونها بأنّها آية السّيف، و يقولون: إنّها نسخت كلّ ما جاء في القرآن من عدم قتال غير المعتدّين و المقاتلين من المشركين، و بذلك ينسفون آيات محكمة في هذا الصّدد، مع أنّ في الآية فقرة أُخرى مرتبطة أشدّ الارتباط بها و محتوية للتّعليل الرّائع المعقول المتّسق مع طبيعة الأُمور للأمر الّذي تضمّنته بقتال المشركين كافّة و هي ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾، فلو لوحظ ذلك و لم تجزأ الآية، لما كان محلّ لذلك التّفسير و الوصف و القول، حيث يبدو واضحًا أنّها في معرض حثّ المسلمين على قتال المشركين المحاربين مجتمعين إلبًا واحدًا كما يقاتلونهم كذلك، و لزال الإشكال الّذي ينشأ عن هذا التّفسير، يؤدّي إلى نسخ أحكام و آيات محكمة متّسقة مع مبادئ القرآن و مثله السّامية و مع طبائع الأُمور و وقائع السّيرة النّبويّة المؤيّدة بالآيات من جهة و الأحاديث من جهة أُخرى، و نعني حصر القتال في الأعداء المقاتلين أو المعتدّين دون المشركين و الكفّار المعاهدين الموفين بعهدهم و المحايدين و المسالمين و العاجزين و النّساء و الأطفال ممّا يقتضي قتالهم جميعًا وِفاق ذلك التّفسير.

١ـ التّوبة/ ٣٦.

و نذكر آية المجادلة الثّالثة كمثل ثالث، و هي الّتي جاء فيها: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾[1]، فكثير من المفسّرين ينظرون إلى هذه الآية مستقلّة عن سابقتها و يحارون في تأويل جملة ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾، حتّى قال غير واحد منهم: إنّ الجملة من مشكلات القرآن، و اضطرّوا إلى اعتبار «لما» بمعنى «عن ما»، و قالوا: إنّ الجملة تعني «ثمّ يرجعون عن ما قالوا عنه و يرغبون في معاشرة أزواجهم»، أو إلى تأويلات أُخرى، هذا مع أنّ هذه الآية متّصلة كلّ الاتّصال بسابقتها الّتي جاء فيها: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[2]،فلو لوحظ ذلك لما كان هناك محلّ لهذه الحيرة و الإشكال و التّأويل. فالآية الأُولى ندّدت بالمظاهرين و الظّهار وعدّته عملًا منكرًا، ثمّ انتهت بمقطع ﴿إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، فكأنّما تقدّمت باستنكار الظّهار من حيث المبدأ، و تقرّر أنّ الله يعفو ويغفر للمظاهرين قبل نزول هذا الاستنكار و بالتّالي قبل نزول الآيتين على اعتبار أنّه لم يكن مستنكرًا و منهيًّا عنه، ثمّ اعقبتها الثّانية لتقرّر الحكم الإسلاميّ، فالّذين يعودون إلى ما نُهوا عنه و استُنكر ـ أي الظّهار ـ بعد ذلك الاستنكار و الوصف تجب عليهم الكفّارة قبل معاشرة أزواجهم، لأنّهم يكونون قد أتوا بعمل عدّه القرآن منكرًا و زورًا. و طبيعيّ أنّ الحكم الإسلاميّ صار حكمًا ملزمًا لكلّ مُظاهر، و أنّ العفو عن المُظاهر ظلّ خاصًّا بمن ظاهر قبل نزول الآية الأُولى، و هي حالة خصوصيّة الزّمن لاتتكرّر.

و لقد احتوت السّورة نفسها نفس الحروف في الآية (٨) الّتي جاء فيها ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ

١ـ المجادلة / ٣.

٢ـ المجادلة / ٢.

﴿يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1]، حيث يأتي المعنى فيها واضحًا بأنّ العودة هي لما نُهي عنه، و أنّ الوعيد هو للعائدين إلى التّناجي بعد النّهي عنه، و لا فرق بين الجملتين كما هو ظاهر.

و هناك أمثلة كثيرة أُخرى بالنّسبة إلى آيات واردة في السُّوَر الطّويلة و المتوسّطة ممّا نبّهنا عليه في سياق التّفسير. فبينما تكون المجموعة أو الفصل القرآنيّ مفهومًا سائغًا يبدو عليه الانسجام و التّرابط التّامّان سبكًا و موضوعًا إذا قرئ و نظر فيه ككلّ، اضطرب على النّاظر في القرآن فهمه، و قامت في ذهنه بلبلة أو مشكلة أو حيرة في مداه و مدلوله إذا أخذه آية آية أو عبارة عبارة.

و ممّا يجدر التّنبيه عليه في هذا المقام أنّ هناك روايات كثيرة تورد كأسباب لنزول آيات منفردة أو جزء من آية في حين أنّ سياق الآية و مفهومها لا يتّفقان مع الرّواية كسبب للنّزول، ويلهمان أنّ الآية منسجمة الأجزاء، و أنّها متّصلة اتّصالًا وثيقًا بما قبلها أو بعدها في السّياق، و كلّ ما يمكن فرضه في أمر الرّواية في حالة صحّتها أن تكون الآية أوردت على سبيل الاستشهاد على حادث ما وقع بعد نزولها، أو يكون الحادث قد وقع قبل نزولها بمدّة ما، فجاءت الإشارة إليه في السّياق العامّ الّذي أتت فيه الآية على سبيل التّشريع أو التّذكير أو التّنديد أو التّنبيه أو العظة إلخ، فالتبس الأمر على الرّاوي و ظنّ أنّ الحادث هو سبب النّزول.

فقد رُوي مثلًا عن ابن مسعود قوله: «كما أُمرنا بالصّدقة كنّا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع و جاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إنّ الله لغنيّ عن صدقة ذلك و أنّ ما فعله الآخر ليس إلّا رياء»، فنزلت ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَايَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

فهذه الرّواية توهم أنّ الآية نزلت منفردة بسبب هذا الحادث مع أنّها متّصلة بسياق عامّ

١ـ المجادلة/ ٨.

٢ـ التوبة/ ٧٩.

سابق و لاحق بها أشدّ الاتّصال، و أنّ في السّياق قرائن تدلّ على أنّ الفصل الطّويل الّذي تقع فيه هذه الآية (٣٨ـ ٩٩) قد نزل كلّه أو جلّه في أثناء غزوة تبوك و ظروفها و سببها.

و هناك رواية أُخرى في البخاريّ عن ابن مسعود: أنّ رجلين من قريش و ختنًا لهما من ثقيف كانوا في بيت، فقال بعضهم لبعض: أترون أنّ الله يسمع حديثنا؟ قال بعضهم: يسمع بعضه، و قال بعضهم: لئن كان يسمع بعضه لقد يسمعه كلّه، فنزلت الآية: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ اَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا اَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلٰكِنْ ظَنَنْتُمْ اَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

مع أنّ الآية متّصلة بسياق يحكي فيه محاورة في الآخرة بين الكُفّار و بين أعضاء أبدانهم الّتي تشهد عليهم أشدّ الاتّصال، و ليس هناك تطابق ما بين مفهوم الرّواية و عبارة الآية.

و الفصول الأُولى من سورة النّساء من مواريث و أنكحة مترابطة ومنسجمة، و الآية الأُولى في السّورة بمثابة براعة استهلال لما تضمّنته من هذه الفصول، و روح آيات الفصول يلهم أنّها وحده تشريعيّة، في حين أنّ هناك روايات تكاد تجعل لكلّ آية مناسبة نزول مستقلّة، و توهم أنّها نزلت منفردة بسببها. و يقال هذا في فصول سورة الحُجُرات أيضًا. وأمثال ذلك كثيرة جدًّا، نبّهنا عليها في سياق التّفسير.

فملاحظة السّياق و التّناسب و التّرابط بين الفصول و المجموعات القرآنيّة ضروريّة و مفيدة جدًّا في فهم مدى القرآن ومواضيعه و أهدافه من جهة، و في لمس ناحية من نواحي الرّوعة و الإعجاز و الإتقان فيه، لأنّهما يظهران النّاظر في القرآن على ما هو عليه من ترتيب و انسجام و ترابط نظمًا و موضوعًا من جهة ثانية، و على نقاط الضّعف في روايات كثيرة وردت في سياق الآيات القرآنيّة، وخاصّة في مكّيّة بعض الآيات في السُّوَر المدنيّة و مدنيّة بعض الآيات في السُّوَر المكّيّة من جهة ثالثة، و تزيلان ما هو عالق في الذّهن خطأ من أنّ

١ـ فصّلت/ ٢٢.

الفصول القرآنيّة فَوْضى لا ترتيب و لا انسجام بينها من جهة رابعة.

و من فوائد هذه الملاحظة المهمّة إزالة وَهْم التّعارض و التّناقض في نصوص القرآن و تقريراته المتكرّرة بأساليب متنوّعة حسب المواقف و المناسبات، و خاصّة في القَصَص والمواعظ و الإنذار و التّبشير و المشاهد الكونيّة و الأُخرويّة، وبنوع أخصّ في عبارات و جُمَل الهداية و الضّلال و الكفر و الإيمان و تزيين الأعمال و الطّبع على القلب و تسليط الشّياطين و الإغواء و مسؤليّة الإنسان عن عمله، و حكمة الله في عدم خلق النّاس أُمّة واحدة إلخ، ففي تدبّر سياق كلّ مناسبة و كلّ جملة قرآنيّة من هذا القبيل يمكن أن يلمح النّاظر في القرآن حكمة، وورود كلّ منها بالأُسلوب الّذي وردت به و المناسبة الّتي جاء فيها و المعنى الّذي أُريد منها والهدف الّذي استهدفه، و كلّ هذا قد يكون متنوّعًا بتنوّع المواقف و الأساليب و المضامين و السّياق، فيطمئنّ بسلامة المعنى وحكمة النّصّ الوارد في السّياق الّذي ورد فيه، و يزول وهم التّعارض و التّناقض و ما يؤدّي إليه من الحيرة أحيانًا، و يحمل عليه من التّكلّف و التّجوّز و التّخريج و الجدل على غير ضرورة و لا طائل و على غير اتّساق مع الهدف القرآنيّ و نطاقه.

فأنت مثلًا إذا أخذت جملة ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[1]، و جملة ﴿كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[2]، وقعت في حيرة، لأنّ هناك آيات كثيرة جاء في بعضها: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3]، و في بعضها: ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدٰى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[4]، ولكنّك إذا قرأت سياق آيتي فاطر و المدّثّر كوحدة (٣ـ ١٠ فاطر) و (١ـ ٣١ المدّثّر)، ظهر لك المعنى سائغًا

١ـ فاطر/ ٨.

٢ـ المدّثّر/ ٣١.

٣ـ الكهف/ ٢٩.

٤ـ يونس/ ١٨.

مفهومًا، و بدا لك أنّهما استهدفتا فيما استهدفتاه التّنديد بالكافرين و الضّالّين و الحملة عليهم من جهة، و التّنوية بالمؤمنين الصّالحين و تطمينهم و تبشيرهم من جهة، و تسلية النّبيّ فيما ألم به من حزنٍ و حسرةٍ على مكابرة الكافرين و عنادهم من جهة، بل ظهر لك أنّ تلك المعاني الّتي تقرّرها آيات الكهف و يونس منطويّة في نفس سياق جملتي سورتي فاطر و المدّثّر، حيث احتوى سياق آية فاطر ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ ـ إلى قوله: ـ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾[1] و حيث احتوى سياق آية المدّثّر ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرًا لِلْبَشَرِ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ * كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[2] ويطّرد هذا في أمثال كثيرة، مثل آية البقرة /١٦ مع سياقها، و آية النّحل /٩٣ مع سياقها، و آية القَصَص /٥٦ مع سياقها، و آية يونس /٩٩ـ ١٠٠ مع سياقها إلخ، ممّا عليه في التّفسير عند مناسباته.

و أنت إذا أخذت مثلًا جملة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[3] لحدّتها، وجدت نفسك أمام مشكلة محيّرة، لأنّها توهم أنّ الله قد صرف الكفّار عن فهم القرآن و التّأثّر به، و حتم عليهم عدم الإجابة و الاهتداء، و لكنّك إذا تدبّرت سياق الآية جميعه (الآيات ٤٥ ـ ٥٩)، بل أوّل الآية الّتي وردت فيها، ظهر لك قصد وصف مكابرة الكفّار و عنادهم و التّسرية عن النّبيّ إزاء هذه المكابرة و العناد. ويطّرد هذا كذلك في أمثال كثيرة كآيات هود /١١٨ و الرّعد /٣١ و البقرة /٧ و يس /٩ و سياقها.

و نقول استطرادًا: إنّ هذه الأمثلة قد كانت موضوع أخذ و ردّ و جدل في كتب التّفسير، بسبب صِلَتها بالموضوع الخلافيّ الكلاميّ في صدد فعل الإنسان و كسبه و إرادته، حيث ذهب

١ـ فاطر /٥ـ٨.

٢ـ المدّثّر /٣٥ـ٣٨.

٣ـ الكهف /٥٧.

فريق إلى مايفيد أنّ الإنسان مجبور على أفعاله، و أنّها محتّمة عليه في الأزل، لا معدّى له عنـها و لا اختيار له فيها من كفر و إيمان و فساد و صلاح و شرّ و خير، و أنّ العقاب و الثّواب ينالان النّاس بمحض مشيئة الله و فضله، و لا صلة و لا أثر لأعمالهم فيها في حقيقـة الأمـر، و حيـث ذهب فريق آخر إلى ما يفيد أنّ الإنسان خالق أفعال نفسه، فيؤمن ويكفر و يفسـق و يـصلح بإرادته و اختياره، و أنّ الله لا يصحّ عليه إرادة الكفر و الفسق من العبد و لا تقديرها عليه، بل ولا يصحّ أن يكون مريدًا للقبيح، و أنّه يجب عليه الأصلح لعباده، و أنّ الإنسان يُعاقب و يُثاب على أفعاله حقًّا وعدلًا و حيث توسّط فريق، فذهب إلى ما يفيد أنّ الله هو خالق أفعال عباده من كفر و إيمان و عصيان وطاعة ومنكرات وصالحات، و كـلّ بإرادتـه و مـشيئته و قـضائه و تقديره في حدود عموم تأثير صفاته الأزليّة ،و ﴿إنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَـنْ يَـشَاءُ﴾ بمعنى خلقه الضّلال و الهدى، و أنّه لايجب عليه الأصلح، و قـرّروا مـع ذلـك للإنـسان فعـلًا اختياريًّا يثاب عليه إذا كان طاعةً و صلاحًا، و يعاقب عليه إذا كان معصيةً و فسادًا، وقـالوا: إنّ معنى أنّ الله أراد من الكافر كفره، و من الفاسق فسقه، و من المـؤمن إيمانـه، و مـن الطّـائع طاعته ، أنّه أرادها باختيار النّاس وكسبهم، و تشادّ الجميع حول هذه المواضيع، كلّ يؤيّد رأيه و يردّ على رأي الآخرين بأساليب جدليّة من جهة و عبارات قرآنيّة من جهة أُخرى، مقتطعة من آيات أو سياق دون تدبّر في بقيّة الآية أو السّياق، و يؤوّل ما هناك من نـصوص تنـاقض رأيه في ظاهرها و لا تتّسق معه، على مـا هـو مبـسوط في كتـب المـتكلّمين المـسلمين علـى اختلاف مذاهبهم.

و الموضوع في أصله إلى كون الإنسان مخيّرًا أو مسيّرًا عـويص و موضـوع جـدليّ عـامّ، لا ينحصر التّشادّ حوله في المذاهب الإسلاميّة الكلاميّة، ولـه جبـهات متنوّعـة، ولا يـدخل التّبسّط فيه في موضوع هذا الكتاب، غير أنّ المقام يتحمّل بعض القول بسبب ما احتواه القرآن من آيات كثيرة جدًّا اتّخذها علماء المذاهب الكلاميّة الإسلاميّة مستندًا لمذاهبهم المختلفة في هذا الموضوع و مع أنّ من المسلّم بـه أنّ النّـصوص القرآنيّـة هـي سـند رئيـسيّ في العقائـد

و الشّرائع و الأحكام الإسلاميّة، فالّذي نعتقده أنّ النّاظر في الآيات القرآنيّة إذا أخذ المجموعة القرآنيّة وحدة، و لم يعقل سياقها و ظروف نزولها و هدفها، و لم يقتطع منها الجُمَل و ينظر فيها على حدة، كما يفعل أصحاب المذاهب الكلاميّة في تشادّهم و مجادلاتهم فيما بينهم ـ و هذا و هو موضوع هذا المبحث في الأصل ـ يستطيع أن يتبيّن أهداف القرآن في العبارات الواردة تبيّنًا يزول معه من نفسه ما قديقوم من وهم التّعارض و التّناقض في آياته، و القرآن بريء من التّعارض و التّناقض بنصّ صريح فيه، جاء في آية النّساء: ﴿اَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْاٰنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1]،ويجد حلًّا لما يبدو من إشكال و تعليلاً سائغًا لما يوهم ظاهره من معانٍ متعارضة فيه.

و يظهر له أنّ كثيرًا ممّا دار و يدور من جدل ونقاش و حِجاج و خلاف، لاتتحمّله عبارات القرآن و لا تقتضيه، وليس من ورائه طائل و لاضرورة، و إنّ هذه العبارات ليست في صدد هذه التّقريرات الكلاميّة، و في الأمثلة الّتي أوردناها دلائل كافية، و هي مطّردة في سائر فصول القرآن ومجموعاته الّتي وردت أمثالها فيها،ثمّ يجد ـ وهذا مهمّ جدًّا ـ أنّ النّصوص و الأهداف القرآنيّة تجري في مدى هداية النّاس و دعوتهم إلى الخير وإصلاحهم ، و توجيههم إلى أفضل الوجهات و أنفعها، و التّنويه بالمستجيبين المهتدين الصّالحين المتّقين المحسنين، وتبشيرهم وتطمينهم و التّحذير من الفساد و الإثم و الفاحشة و إنكار الله و وحدته وكمال صفاته ، و التّنديد بالضّالّين الآثمين المكابرين المنافقين الظّالمين و إنذارهم، و لاتجري في أيّ حال في مجرى التّقريرات الكلاميّة الّتي يدور حولها الخلاف و الجدل المذهبيّ، و هذا هو أسلوب الحكيم الّذي يعلّمنا إيّاه القرآن في جميع الأمور، المتّسق مع طبائع الأشياء و حقائقها، و نعني كون القرآن يخاطب بشرًا تُعُورِف على أنّهم ذَوُو قابليّات و كسب و اختيار، و أنّ لهم أثرًا فيما يصدرعنهم من أعمال وأقوال و مواقف، وفقًا لما تمليه عليهم عقولهم و ميولهم

---

[1] ـ النّساء / ٨٢.

و مداركهم وتقديراتهم و منافعهم و ظروفهم الخاصّة و العامّة، و أنّهم متفاوتون في كلّ هذا، و أنّهم ذوو تمييز للخير و الشرّ و الحَسَن و القبيح في نطاق تلك العقول و الميول و المدارك و التّقديرات و المنافع و الظّروف و القابليّات المتفاوتة، و أنّ المهمّ في الأمر هو دعوتهم إلى الهدى و الخير، و إخراجهم من الظّلمات إلى النّور، و إنقاذهم من الضّلال، و أثارة نفوسهم و إيقاظ ضمائرهم، و تبشير المستجيبين، و إنذار المكابرين، وإرشاد الضّالّين الجاهلين منهم، و أنّ من الممكن أن تؤثّر فيهم الدّعوة، فيستجيبوا تسليمًا و إذعانًا و إدراكًا أو خوفًا وطمعًا و رغبةً و رهبةً، و أنّ الانحراف عن هذا النّطاق و المدى إلى الجدل في ما وراء ذلك تكلّف و تجوّز و بُعد عن مقاصد القرآن و أهدافه، و مؤدّ إلى البَلْبَلة والحيرة و التّشويش على هذه المقاصد و الأهداف و على الرّاغبين في تفهّم القرآن و النّاظرين فيه.

فهم القرآن من القرآن

إنّ الأوثق و الأوكد و الوسيلة الفضلى لفهم مدى القرآن و دلالاته وتلقيناته، بل و ظروف نزوله و مناسباته تفسير بعض القرآن ببعض،و عطف بعضه على بعض، و ربط بعضه ببعض، كلّما كان ذلك ممكنًا لغةً أو مدلولًا أو حادثًا أو مناسبةً أو سبكًا أو حكمًا أو موقفًا أو تقريرًا، و سواء ذلك ما يدخل في نطاق الأُسُس و الأهداف أو الوسائل و التّدعيمات. و إمكانيّات ذلك قائمة على نطاق واسع في مختلف فصول القرآن المكّيّة والمدنيّة. فإنّ القرآن يكاد يكون سلسلة تامّة يتّصل بعضها ببعض أوثق اتّصال في ما يمثّل من أدوار السّيرة النّبويّة في عهديها، كما أنّ من شأن عباراته وجُمَله و أحكامه و مشاهده و قصصه و مواعظه و حُجَجه أن يفسّر بعضها بعضًا، و أن يدعم بعضها بعضًا.

و فائدة هذه الملاحظة عظيمة كما يتّضح عند التّدبّر، حيث يمكن أن تغني النّاظر في القرآن عن الفروض والتّكلّف والتّخمين، و تحول بينه و بين التّورّط في موهمات التّعارض و الإشكالات اللّغويّة و غير اللّغويّة .و كثيرًا ما تساق على تمييز القويّ من الضّعيف و الصّحيح من الباطل من الأقوال و الرّوايات الواردة في تفسير كثير من الآيات أو في

مناسبات نزولها و أسبابها. و هذا باب واسع الشّمول و المدى، و لنضرب مثلًا لذلك آية وردت في سورة الأنعام، جاء فيها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُم فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1].

فقد قال غير واحد من المفسّرين و علماء المذاهب أقوالًا يستفاد منها أنّ الآية قد احتوت إخبارًا غيبيًّا بما نجم بعد النّبيّ من خلافات و منازعات و فِرَق و شِيَع و بِدَع إلخ، في حين أنّه جاء في سورة الرّوم جملة مثلها مسبوقة بجملة فيها صراحة بأنّها تعني المشركين، كما ترى ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[2].

فلو لوحظت هاتان الآيتان و ربط بينهما و بين آية الأنعام لما كان محلّ لتلك الأقوال الّتي تبدو فيها رائحة ما نجم من تلك الخلافات و المنازعات و الفِرَق و الشِّيَع و البِدَع بعد وفاة النّبيّ بسنين قليلة، بل لو لوحظ سياق آية الأنعام على ما نبّهنا عليه في المبحث السّابق و خاصّة الآيتين ١٥٥ـ١٥٦، لظهر أنّه احتوى تنديدًا بالمشركين و مواقفهم من الدّعوة و القرآن، و لبدا الاتّساق واضحًا بين آيات السّورتين القرآنيّتين، و لما كان محلّ لتلك الأقوال أيضًا.

و من الأمثلة الّتي تساق في صدد المبحث الحاليّ ما رُوي عن ابن عبّاس في الآية: ﴿وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[3]، و هو قوله: إنّ الجنّ طائفة من الملائكة، و أنّ التّسمية من الاختفاء الّذي يشمل الملائكة كما يشمل الجنّ، هذا في حين أنّ الآية جمعت بين الملائكة و الجنّ على اعتبارهما خَلْقين مستقلّين، و أنّ هناك آيات قرآنيّة عديدة حكت قول إبليس إنّه مخلوق من النّار، و أُخرى قرّرت أنّ الجنّ قد خلقوا من النّار،

١ـ الأنعام/ ١٥٩.

٢ـ الرّوم/ ٣١ـ٣٢.

٣ـ الكهف/ ٥٠.

فملاحظة هذا الاشتراك تظهر عدم صحّة الرّواية، لأنّ هذا ليس ممّا يمكن أن يخفى عن ابن عبّاس الّذي يوصف بما يوصف به من سعَة العلم و قوّة الذّكاء و الإحاطة بالقرآن، و تساعد على القول الحاسم في جنّيّة إبليس في النّصوص القرآنيّة.

و يمكن أن تساق الآيات نصّت على أنّ الله يهدي من يشاء و يضلّ من يشاء، و لانريد أن نكرّر ما قلناه قبل قليل في هذا الأمر. ولكنّا نريد أن ننبّه على أنّ في القرآن آيات من هذا الباب فيها إيضاح من شأنه أن يضع الأمر في نصاب الحقّ بالنّسبة إلى إطلاقًا لعبارة في آيات أُخرى. ففي سورة البقرة: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[1]، و في سورة الرّعد: ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[2]، و في سورة إبراهيم: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾[3]، فهذه الآيات حينما تلاحظ أثناء تلاوة وتفسير الآيات الّتي جاءت عبارتها مطلقة و تفسّر بها، يزول كلّ ما يدور حول هذا الموضوع الكلاميّ من أسباب الحِجاج و النّقاش، و يبدو قصد تقرير كون هدى الله إنّما يكون لمن استتار قلبه وحسنت نيّته و رغب في الإنابة إلى الله، وكون الضّلال إنّما يكون للظّالمين و الفاسقين و أردياء النّيّة و الخلق، و كون الهدى و الضّلال منوطين بحسن نوايا النّاس و سوئها و الرّغبة في الإنابة إلى الله و المكابرة فيها، و يسوق النّاظر إلى التماس سبب مجيء العبارة مطلقة في الآيات الّتي جاءت فيها مطلقة في أُسلوبها و سياقها على ما ذكرناه قبل.

و يمكن أن تساق آية الشّورى هذه كمثل آخر: ﴿ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ

١ـ البقرة/ ٣٦.

٢ـ الرّعد/ ٢٧.

٣ـ إبراهيم/ ٢٧.

فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١].

فإنّ بعض المفسّرين و خاصّة مفسّري الشّيعة ـ فسّروا الآية على أنّها تفيد إيجاب محبّة أقارب النّبيّ الأدنين و البرّ بهم و طاعتهم، في حين أنّ هناك آيات قرآنيّة عديدة[٢] ـ أمرت النّبيّ بالقول: إنّه لا يسألهم أجرًا دون أيّ استثناء. فملاحظة ذلك تجعل النّاظر في القرآن يحمل ما جاء في آية الشّورى من استثناء على عمل آخر يبعد عن القرآن وَهْم التّعارض، و ينزّه الله و نبيّه عن تقاضي الأجر على هداية النّاس و إيجابه بالنّسبة إلى ذرّيّته أو أقاربه الأدنين، و لا يتورّط في تأويل يؤيّد الاستثناء و الأجر اللّذَيْن يثيران حيرةً و إشكالًا.

هذا بقطع النّظر عن ما في ذلك التّفسير من تمحّل و تجوّز لا يتحمّلهما مضمون الآية، و عن ما هنالك من رواية مأثورة عن ابن عبّاس في صددها تجعلها متّسقة كلّ الاتّساق مع النّصوص القرآنيّة الأُخرى، و تفيد أنّ قصد الآية تقرير كون حرص النّبيّ على هداية قومه لا يمكن أن يتّهم، لأنّه لا يطلب عليها أجرًا، و كون مردّ هذا الحرص هو ما بين النّبيّ و قريش من أوشاج القربى، حيث لم يكن بطن من بطون قريش إلّا و بينه و بين النّبيّ قرابة.

و هناك تأويل آخر جاء في تفسير ابن كثير المشهور، و هو أنّ الآية بمعنى أنّي لا أُريد منهم شيئًا إلّا أن تحترموا قرابتي لكم و توادّوني من أجلها، و تكفّوا عن الأذى و الصّدّ و التّعطيل، و هو تأويل وجيه ومتّسق مع روح القرآن و اللّغة. و ننبّه على أنّنا هنا في صدد فهم نصوص القرآن، و لسنا في صدد نفي واجب المسلمين في برّ و مودّة الصّالحين الأتقياء الّذين ليست نسبتهم إلى بضعة الرّسول محلّ شكّ و ريب من أجل هذه النّسبة الشّريفة الكريمة.

و من فوائد ملاحظة ما هو موضوع هذا البحث أنّها تساعد على معرفة النّاسخ و المنسوخ و صُوَر التّطوّرات المتنوّعة في سير الدّعوة النّبويّة و السّيرة النّبويّة و التّشريع القرآنيّ. فآيات

١ ـ الشّورى/ ٢٣.

٢ ـ يوسف/ ١٠٤، المؤمنون/ ٧٧، الفرقان/ ٥٧، سبأ/ ٤٧، ص/ ٨٦، القلم/ ٤٦.

النّساء/ ١٥ـ١٦ مثلًا تشير إلى جريمة الزّنى و تعيّن نصاب شهود ثبوتها، و لكنّها لا تعيّن حدًّا، و تكتفي بالأمر بإمساك النّساء في البيوت و أذيّة الزّناة بعبارة مطلقة، في حين أنّ آية سورة النّور الثّانية تعيّن حدًّا للزّانين و الزّانيات مائة جلدة. فملاحظة آيات النّساء و النّور معًا في النّظر والتّفسير تساعد على معرفة كون آيات النّساء قد نزلت قبل آيات النّور، و أنّ آيات النّور هي المحكمة في جريمة الزّنى دون آيات النّساء، و أنّ في نزول آيات النّور بعد آيات النّساء تطوّرًا في التّشريع القرآنيّ. و في آية النّساء / ٢٥ جملة تنصّ على أنّ حدّ الإماء المحصنات (المتزوّجات) إذا زنين هو نصف حدّ الحرائر المحصنات، و هي هذه: ﴿فَاِذَا اُحْصِنَّ فَاِنْ اَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾[1]. فملاحظة آية النّور في تفسير هذه الجملة تساعد على معرفة أنّ هذه الجملة نزلت بعد آيات النّور، بعكس الآيات السّابقة، حيث نزلت آيات النّساء قبل آيات النّور، و أنّها وضعت في محلّها للتّناسب الموجود في سلسلة أحكام الأنكحة و الأُسرة و المواريث الواردة في سورة النّساء، و تساعد كذلك على معرفة صورة من صُوَر التّأليف القرآنيّ.

كذلك إذا قرأنا آيتي سورة المنافقون هاتين: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلّٰهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَلٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا اِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْاَعَزُّ مِنْهَا الْاَذَلَّ وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، ثمّ قرأنا آيتي سورة التّوبة هاتين: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ اِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا اَوْ مَغَارَاتٍ اَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا اِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[3]، استطعنا أن نتبيّن من ملاحظة آيات السّورتين أنّ المنافقين في المدينة كانوا في أوائل العهد المدنيّ معتدّين بقوّتهم و مالهم و مركزهم، بينما صاروا في أواخر هذا العهد إلى

١ـ النّساء/ ٢٥.

٢ـ المنافقون/ ٧ـ٨.

٣ـ التّوبة/ ٥٦ـ٥٧.

حالة الخوف و الضّعف، و أن نلمس صورة تطوّريّة من صُوَر السّيرة النّبويّة، و أن نحكم على تهافت الرّواية الّتي ذكرت أنّ مُعَسْكر المنافقين عند الاستعداد لغزوة تبوك كان يعادل في سعته و عدده مُعَسْكر المؤمنين المخلصين . و الأمثلة في هذا الباب كثيرة جدًّا و منبثّة في السُّوَر والفصول القرآنيّة مكّيّها ومدنيّها نبّهنا عليها في التّفسير. و هذه الكثرة تظهر فائدة هذه الملاحظة في حُسْن فهم القرآن و تفسيره كما هو واضح .

و لا أدّعي بأنّ هذه الملاحظات جديدة و غير مسبوقة، ففي «الإتقان» للسّيوطيّ لنفسه ولغيره من العلماء و للمؤلّفين نبذ عديدة في شروط التّفسير و أُصوله، احتوت غير واحدة من هذه الملاحظات، كما أنّ كثيرًا من العلماء و الباحثين والمفسّرين نبّهوا عليها بأساليب متنوّعة، و منهم من فعل ذلك في مقدّمات كُتُبهم التّفسيريّة، أو في ما كتبوه عن القرآن من كُتُب خاصّة، بل و منهم من سار عليها قليلًا أو كثيرًا.

غير أنّي لم أر في ما تيسّر لي من الاطّلاع عليه من كُتُب التّفسير[1] العديدة القديمة و الحديثة أنّ هذه الملاحظات قد لوحظت متفرّقة و بسعة أو إيجاز ، حيث يمكن أن يكون مفسّر لاحظ بعضًا و سار عليه ، و آخر لاحظ بعضًا و سار عليه ، مع أنّ ملاحظتها جميعًا و السّير وفقها جوهريّ جدًّا فيما اعتقد لفهم القرآن فهمًا صحيحًا و خدمته خدمة فضلى ، هذا مع اعترافي بالتّقصير إزاء ما أحرزه الّذين بحثوا في القرآن وعلومه، و ألّفوا فيه و فسّروه قديمًا و حديثًا من علم و اطّلاع و تمكّن و ممارسة طويلة وتفرّغ أطول، و خاصّة في علوم الصّرف و النّحو و البلاغة و اللّغة و أُصول الفقه و الحديث و الرّواية و الخلافات المذهبيّة و الكلاميّة، ومع اعترافي بالمجهود الّذي بذله كلّ منهم في خدمة القرآن و تفسيره، و ما لكثير من كُتُب التّفسير

١ـ من كُتُب التّفسير الّتي اطّلعت قراءة أو تصفّحًا على جميع أو بعض أجزائها التّفسير المعزوّ إلى ابن عبّاس رواية أبي صالح، و باب التّفسير في البخاريّ، و تفاسير الطّبريّ و النّسفيّ و أبي السّعود و الطّوسيّ و الخازن و الرّازيّ و الزّمخشريّ و الطّبرسيّ و البيضاويّ و الجوهريّ و فريد و َجْدي و رشيد رضا و الآلوسيّ و أبي حيّان و ابن كثير و البغويّ و القرطبيّ و المراغيّ و العادليّ.

من خصوصيّات مفيدة، إمّا من حيث الإسهاب و الإيجاز، أو من حيث اللّغة و البلاغة و القواعد النّحويّة بالمعاني و القضايا و تفريعاتها، أو من حيث الأحكام و استنباطها، أو من حيث إبراز ما في القرآن من إشراق و بعد مدى و قوّة تلقين و توجيه، أو من حيث روايات المناسبات و أسباب النّزول و النّاسخ و المنسوخ، أو من حيث التّعليق على ما فيه من قصص و إيضاحها، أو من حيث شرح المذاهب الكلاميّة والفقهيّة و جدليّاتها. (١٩٧ـ ٢١٦)

الفصل الثّالث عشر

نصّ صُبحيّ الصّالح(م:١٤٠٧)في«مباحث في علوم القرآن»

[وجه المناسبة بين الآيات]

إنّ في تساؤل المفسّرين ـ رغم ماجرت به عادتهم من الابتداء بذكر الأسباب ـ عن الأُولى أن يبتدئوا به تقديم المناسبة أم تقديم السّبب؟ لإيحاء أقوى من التّصريح بأنّ ارتباط آي القرآن، و تناسق بعضها مع بعض، و اقتران كلماتها و جُمَلها، و مشاهدها و صُوَرها، علمٌ عظيمٌ أودعت فيه أكثر لطائف القرآن و روائعه، و فُسّرت في ضوئه أكثر أحكامه و شرائعه. لذلك كان الإمام أبوبكر النّيسابوريّ الّذي أظهر هذا العلم ببغداد يُزري على علماء بلده لجهلهم وجوه المناسبة بين الآيات، و كان لايَني يقول إذا قرئت عليه الآية أو السّورة: لِمَ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ و ما الحكمة في جعل هذه إلى جنب هذه السّورة؟[1].

و في صنيع أبي بكر النّيسابوريّ هذا اتّجاه جديد إلى الكشف عن التّرابط بين السُّوَر إلى جانب الكشف عن التّناسب بين الآيات. و الحقّ أنّ الّذي ينبغي التّنقيب عنه و الاستيثاق من نتائجه هو بالمقام الأوّل وجه المناسبة بين الآيات، إذ يبحث أوّل كلّ شيء عن الآية: أمُكَمِّلَةٌ لما قبلها أم مُسْتَقِلَّةٌ؟ ثمّ المستقلّة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ و لِمَ سيقت هذا المساق؟

أمّا التماس أوجه التّرابط بين السُّوَر ـ على ما فيه من تعسّف و تكلّف ـ فهو مبنيّ على أنّ ترتيب السُّوَر توقيفيّ، و لهذا انتصرنا و عليه عوّلنا، إلّا أنّ ترتيب السُّوَر التوقيفيّ لا يستلزم حتمًا أن يكون بين كلّ سورة سابقة و كلّ سورة لاحقة أوَاصِر قُربى، كما أنّ ترتيب الآيات

---

١ ـ البرهان ١: ٣٦.

التّوقيفيّ لا يقتضي عقلًا ارتباط إحداها بالأُخرى إذا وقعت كلّ منها على أسباب مختلفة، و إنّما يغلب في السّورة الواحدة أن تكون ذات موضوع بارز كلّيّ، تأتلف عليه جزئيّاتها كلّها في مقاطعها المتلاحقة المترابطة، لكنّ الوحدة الموضوعيّة في كلّ سورة على حدَة لا ينبغي أن تكون هي الوحدة الموضوعيّة عينها في السُّوَر كلّها مجتمعة.

ولم يبلغ المفسّرون هذا المبلغ من التّكلّف، بل اكتفوا بإظهار العلاقة بين ختام السّورة السّابقة و فاتحة السّورة اللّاحقة كأنّ التّرابط بينهما ـ ولا فصلهما بالبَسْمَلة ـ وقع عن طريق الآيات موقعًا جزئيًّا، لا عن طريق السّورتين موقعًا شاملًا كلّيًّا. و معيار الطّبع أو التّكلّف فيما لمح من ضروب التّناسب بين الآيات و السُّوَر يرتدّ في نظرنا إلى درجة التّماثل أو التّشابه بين الموضوعات، فإن وقع في أُمور متّحدة مرتبطة أوائلها بأواخرها، فهذا تناسب معقول مقبول، و إن وقع على أسباب مختلفة و أُمور متنافرة، فما هذا من التّناسب في شيء. و ما أصدق قول القائل: «المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقّته بالقبول»![1]

و أقلّ ما يعنيه هذا المعيار الدّقيق أنّ وجه المناسبة بين الآيات أو بين السُّوَر يخفى تارةً و يظهر أُخرى، و أنّ فُرَصَ خفائه تقلّ بين الآيات، و فُرَص ظهوره تندر بين السُّوَر، ذلك بأنّ الكلام قلّما يتمّ بآية واحدة، فتتعاقب الآيات في الموضوع الواحد تأكيدًا و تفسيرًا، أو عطفًا و بيانًا، أو استثناءً و حصرًا، أو اعتراضًا و تذييلًا، حتّى تبدو الآيات المتعاقبات كالنّظائر و الأتراب ... [ثمّ ذكر وجه التّناسب بين أحكام الأهلّة و حكم إتيان البيوت في الآية /١٨٩ من البقرة، كما تقدّم نحوه عن الزّركشيّ، فقال:]

و واضح أنّنا في آية الأهلّة قد اكتشفنا الارتباط بين تركيبين تتابعا في آية واحدة، و قد اضطررنا إلى اكتشاف هذا الارتباط لئلّا يبدو آخر الآية منفصلًا عن أوّلها، أفلا نضطرّ إلى إظهار التّناسب بين آيتين تستقلّ كلّ منهما عن الأُخرى بوحدتها الإيقاعيّة المسمّاة

---

١ ـ البرهان ١: ٣٥ .

بالفاصلة؟ و من ذا الّذي أوجب أن تكون رؤوس الآي أمارات انقطاع أو رموز انفصال؟

أنقرأ قوله تعالى: ﴿اَفَلَا يَنْظُرُونَ اِلَى الْاِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَاِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَاِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَاِلَى الْاَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[1]، فنرى رفع السّماء مفصولًا عن خلق الإبل، و نصب الجبال مستقلًا عن رفع السّماء، و سطح الأرض منقطعًا عن نصب الجبال، و لانلمح بين هذه الآيات كلّها وجهًا جامعًا أو رابطًا فكريًّا؟ أليس الحدّ الأدنى من الارتباط بينها ضربًا من التّناسق التّصويريّ لمجموعة من المشاهد الكونيّة المعروضة لنظر الإنسان حيثما كان، و هي تضمّ في لوحة متناسقة الأبعاد و الاتّجاهات: السّماء المرفوعة والأرض المسطوحة، و الجبال شامخة القُمَم، و الجمال بارزة السّنام[2]؟!

و هل لنا في استجلاء مواطن ارتباطها و اتّساقها أن نستعير عبارة الزّركشيّ و نرجّع أصداءها متلاقية مع بيئة العربيّ المخاطب بهذا القرآن، فنقول كما قال: «جمع بينها على المجرى الإلف و العادة ... [و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

أم نقرأ قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[3]، و قد اكتنفه من جانبيه قوله: ﴿بَلِ الْاِنْسَانُ عَلٰى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَ لَوْ اَلْقٰى مَعَاذِيرَهُ﴾[4]، و قوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ و تَذَرُونَ الْاٰخِرَةَ﴾[5]، ثمّ لانلمح بينها جميعًا أيّ ارتباط؟ أليس في تسمية الدّنيا بالعاجلة هنا إيحاء مقصود بقصر الحياة يتناسق مع استعجال النّبيّ تلقي الوحي و تلقفه إيّاه بتحريك لسانه، كأنّ الله يقول له: تدبّرْ ما يوحى إليك، و لا يأخذنّك فيه ما يأخذ البشر من العَجَلة في حياتهم القصيرة العابرة؟ ... [ثمّ ذكر قول الزّمخشريّ في وجه المناسبة بين الآية/ ٢٦ من سورة

١ـ الغاشية/ ١٧ـ ٢٠.

٢ـ قارن بظلال القرآن ٣٠: ١٤٩.

٣ـ القيامة/ ١٦.

٤ـ القيامة/ ١٤ـ ١٥.

٥ـ القيامة/ ٢٠ـ ٢١.

الأعراف و بين الآية قبلها، كما تقدّم عن الزّركشيّ، ثمّ قال:]

و صحيح أيضًا أنّ التّنظير ـ أي إلحاق النّظير بالنّظير ـ وجه أدبيّ مستساغ من أوجه التّناسب بين ذكر قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾[1]، وقوله قبل ذلك: ﴿أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، فإنّ الله أمر رسوله أن يمضي لأمره في تنفيل الغُزاة على كره من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير و هم كارهون، فشبّه كراهتهم تنفيله الغُزاة بكراهتهم الخروج معه للقتال[2].

و ما على قارئ القرآن ـ لتستبين له وجوه التّناسب بين الآيات ـ إلّا أن يحتكم إلى ذوقه الأدبيّ تارةً، ومنطقه الفطريّ تارةً أُخرى، وحينئذٍ يقع على ربط عامّ أو خاصّ، ذهنيّ أو خارجيّ، عقليّ أو حسّيّ أو خياليّ، من غير أن يقوم لهذه الألفاظ في نفسه مدلولات اصطلاحيّة أو فلسفيّة، فكثيرًا ما يدور التّلازم بين الآيات دوران العلّة و المعلول، فإن لم تتلاق و يستلزم بعضها بعضًا، تقابلت تقابل الأضداد، كذكر الرّحمة بعد ذكر العذاب، و وصف الجنّة بعد وصف النّار، و توجيه القلوب بعد تحريك العقول، و استخلاص الموعظة بعد سرد الأحكام.

و استنادًا إلى هذا المنطق الّذي يقتنص أوجه التّناسب بين الآيات برَشاقة وخفّة، نحسب أنّ فُرَص الغموض في استجلاء هذه الوجوه لا تكثر إلّا في الرّوابط بين السُّوَر، و لو وقع إلينا كتاب أبي جعفر بن الزُّبير «البرهان في مناسبة ترتيب سُوَر القرآن»، لرأينا أنماطًا من هذا الغموض، و صُوَرًا من هذا الخفاء، و ما نظنّ احتفال المفسّرين قليلًا بهذا النّوع لدقّته وحسب، بل لقلّة جدواه و كثرة التّكلّف فيه، فإنّهم يقطعون أنفاسهم من شدّة اللّهاث و هم يلتمسون بين سورتين لفظين يتشابهان، أو آيتين تتناظران، حيثما كان موضعهما من السّورتين في

---

١ ـ الأنفال/ ٥.

٢ ـ تفسير الكشّاف ١: ١١٤.

البداية أو الوسط أو الختام ...[ثمّ ذكر تناسب افتتاح بعض السُّوَر بما قبلها، كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:] . و أعظِمْ ـ بعد هذا كلّه ـ بتعسّف الأخفش حين عدّ ارتباط سورة «لإيلافِ قَرِيش» بسورة الفيل ... [وذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ، ثمّ قال:]

و أيًّا ما يكن تكلّف المتكلّفين في إبراز التّناسب بين الآيات و السُّوَر، فممّا لاريب فيه أنّ المفسّرين المحقّقين جنوا أطيب الثّمر لمّا ضربوا صفحًا عن كلّ تعسّف، و وسعهم أن يقتنعوا ويقنعوا الدّارسين بأنّ هذا القرآن الّذي نزّل في نيّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب متباينة، قد تناسقت الآيات في كلّ سورة من سُوَره أكمل تناسق وأوفاه، حتّى أغنى تناسقها في مواطن كثيرة عن التماس أسباب نزولها، وعوّض انسجامها الفنّيّ واقعها التّاريخيّ، ثمّ بدت السُّوَر كلّها ـ بآياتها المتناسقات ـ مائة و أربع عشرة قلادة طوّقت جيد الزّمان!.

ولتجدنّ القرآن أحرص الكُتُب على التّناسق الفنّيّ، و لتجدنّ علماءنا المحقّقين أحصر الدّارسين على اقتناص أسرار تناسقه، فقد يعوّض بوجوه المناسبة بين آياته أسباب نزولها إن لم تعرف، أو عُرفت و لم تحفظ، أو حُفظت و لم تشتهر. و قد يثبت بهذه الوجوه أسباب نزولها و يزيدها اتّصالًا و ارتباطًا، و يُشيع في سياقها كلّه حركة و نشاطًا، و في هذا كلّه ألوان من التّناسق تتلاقى جميعًا في علم المناسبة العظيم.

و للقرآن أيضًا ألوان من التّناسق ـ من غير طريق التّناسب بين الآيات ـ يعوّض بها أسباب النّزول إذا لم تذكر، أو يؤكّد مدلولاتها بالصُّوَر الشّاخصة، و المشاهد الحيّة المتكرّرة، و الأنماط المتشابهة المتكاثرة، إذا كان لها في عهد الوحي سبب معروف، أو واقع مشهود.

و العين لاتخطئ هذه الألوان الجديدة المتناسقة في مواضع ثلاثة من القرآن:

أمّا أحدها ـ ففي الآيات الّتي اتّفق العلماء على تعديتها إلى غير أسبابها.

و أمّا الآخر ـ ففي تعميم الصّياغة و لو وقعت على سبب خاصّ.

وأمّا الثّالث ـ ففي رسم «نماذج» إنسانيّة تتخطّى الزّمان و المكان، و تتجاوز المناسبات و الأسباب. (١٥١ ـ ١٥٨)

الفصل الرّابع عشر

نصّ الحَويّ (م: ١٤٠٩) في «الأساس في التّفسير»

[أسرار الصّلة بين الآيات و السُّوَر]

اعتمادًا على حديث حَسَن سنراه اعتبرنا أنّ القرآن يتألّف من أربعة أقسام: قسم المـئين، و قسم المثاني، و قسم المفصّل، و بناءً على معانٍ سنراها اعتبرنا أنّ السّبع الطُّوَال تنتهي بانتهاء سورة (براءة)، و أنّ قسم المئين ينتهي بانتهاء سورة (القصص)، و أنّ قسم المثاني ينتهي بانتهاء سورة (ق)، و أنّ قسم المفصّل ينتهي بانتهاء القرآن، و بناءً على تتبّع المعاني رأينا أنّ كـلًّا مـن القسم الثّاني و الثّالث و الرّابع يتألّف من مجموعات متعدّدة من السُّوَر، كلّ مجموعة تـشكّل وحدة في قسمها.

إنّ الخاصيّة الأُولى لهذا التّفسير قد تكون ميزته الرّئيسيّة أنّه قدّم لأوّل مرّة ـ فيما أعلم ـ نظريّة جديدة في موضوع الوحدة القرآنيّة، و هو موضوع حاوله كثيرون، و ألّفوا فيه الكُتُب، و وصلوا فيه إلى أشياء كثيرة، ولكنّ أكثر ما اشتغلوا فيه كان يدور إمّا حول مناسبة الآية في السّورة الواحدة، أو مناسبة آخر السّورة السّابقة لبداية السّورة اللّاحقة، ولم يزيدوا على ذلك ـ فيما أعلم ـ هذا مع ملاحظة أنّ الموضوع الأوّل نادرًا من استوعبه و التزم به في تفسير كامل للقرآن، و إذا التزم به فلم يكن ذلك على ضوء نظريّة شاملة تحتوي مفاتيح الوحدة القرآنيّة .

و لقد منّ الله عليّ منذ الصّغر أنّي كنت كـثير الـتّفكير في أسـرار الـصّلة بـين الآيـات و السُّوَر، و وقع في قلبي منذ الصّغر مفتاح للصّلة بين سورة البقرة و السُّوَر السّبع الّتي جاءت

بعدها، و هي بمجموعها تشكّل القسم الأوّل من أقسام القرآن كما سنرى ذلك في حديث حسن.

فقد لاحظت مثلًا أنّ الآيات الأُولى في سورة البقرة مبدوءة بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾، ومنتهية بقوله تعالى: ﴿وَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١]، و أنّ سورة آل عمران مبدوءة بـ ﴿الٓمٓ﴾ ومنتهية بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]، فقلت في نفسي: هل سورة آل عمران تفصيل للآيات الأُولى من سورة البقرة؟

ثمّ لاحظت أنّه بعد مقدّمة سورة البقرة يأتي قوله تعالى: ﴿يَا اَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣]، و أنّ سورة النّساء الآتية بعد سورة آل عمران مبدوءة بقوله تعالى: ﴿يَا اَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ...﴾[٤].

فتساءلت عمّا إذا كانت سورة النّساء تفصيلًا لآيات تقابلها من سورة البقرة؟ ثمّ لاحظت أنّه بعد آيات من سورة البقرة يأتي قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ اِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَاللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ...﴾[٥]، و أنّ سورة المائدة الآتية بعد سورة النّساء مبدوءة بقوله تعالى: ﴿يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٦].

فتساءلت عمّا إذا كانت سورة المائدة تفصيلًا لشيء يقابلها في سورة البقرة؟ ثمّ لاحظت أنّه بعد ذلك في سورة البقرة يأتي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْاَرْضِ جَمِيعًا﴾[٧].

١ـ البقرة/ ٥.

٢ـ آل عمران/ ٢٠٠.

٣ـ البقرة/ ٢١.

٤ـ النّساء/ ١.

٥ـ البقرة/ ٢٦ـ ٢٧.

٦ـ المائدة/ ١.

٧ـ البقرة/ ٢٩.

و أنّ سورة الأنعام تفصل هذا المعنى، و لذلك تتكرّر فيها الآيات المبدوءة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ﴾، بل آخر آية فيها هي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ...﴾[1]، وصلة ذلك بآية البقرة واضحة.

فتساءلت عمّا إذا كانت سورة الأنعام تفصيلًا لآية أو لأكثر تقابلها في سورة البقرة؟ ثمّ لاحظت أنّه بعد ذلك في سورة البقرة تأتي قصّة آدم و هي منتهية بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ...﴾[2].

و أنّ الآية الثّانية في سوة الأعراف هي قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، وأنّ قصّة آدم معروضة فيها منذ بدايتها، فهل لسورة الأعراف صلة بآيات تقابلها في سورة البقرة؟

ثمّ بعد ذلك بآيات كثيرة في سورة البقرة تأتي الآية الّتي يفرض بها القتال ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ...﴾[3]، و بعدها مباشرة آية فيها سؤال عن قضيّة لها صلة بالقتال ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فيه...﴾[4]. و أنّ سورة الأنفال و براءة ـ و هما في موضوع واحد: و هو القتال ـ قد بدئتا بقوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾، فكأنّهما تفصيل لقضايا متعلّقة بالقتال.

و هكذا وجدنا أنّ السّبع السُّوَر الّتي جاءت بعد البقرة ـ و هي الّتي تشكّل مع سورة البقرة القسم الأوّل من أقسام القرآن كما سنرى ـ هذه السُّوَر الّتي جاءت بعد المعاني في سورة البقرة، و أنّ لكلّ سورة منها محورًا موجودًا في سورة البقرة.

هذه الملاحظة وقعت في قلبي منذ الصّغر، و سجّلتها في كتاب «الرّسول» ﷺ في فصل المعجزة القرآنيّة، و رأيتني بعد استعراضات كثيرة لكتاب الله قد عثرت فعلًا على مفتاح من

١ـ الأنعام/ ١٦٥.

٢ـ البقرة/ ٣٨.

٣ـ البقرة/ ٢١٦.

٤ـ البقرة/ ٢١٧.

مفاتيح وحدة القرآنيّة، و تفتّحت لدي من آفاق الفهم معانٍ كثيرة بخصوص السّياق العامّ للقرآن والسّياق الخاصّ داخل السّورة الواحدة.و كلّما سرت في عرض القرآن الكريم تبيّن لي من الأدلّة على سلامة سَيْري الكثير الكثير.

و ليست هذه المقدّمة هي محلّ عرض هذا الاتّجاه في موضوع فهم الوحدة القرآنيّة، و لكنّها نموذج على عملي في التّفسير أكملت فيه بناءً أو حقّقت فيه أملًا،فلقد دَنْدَن علماؤنا حول هذا الموضوع و لم يستوعبوه،و استوعبته بفضل الله، و أشاروا إليه و لم يفصّلوا فيه، و لقد فصّلت فيه تفصيلًا استوعب الآيات في السّورة الواحدة و السُّوَر في القرآن كلّه على ضوء نظريّة شاملة أثبت البحث صحّتها، و هي تعطي الجواب على كثير من الأُمور ممّا له صلة بوحدة السّورة، و وحدة المجموعة القرآنيّة، و وحدة القسم القرآنيّ، ثمّ في الوحدة القرآنيّة كلّها. وبدون هذه النّظريّة فإنّ كثيرًا من الصّلات الّتي تحدّث عنها المتحدّثون، إنّما تتحقّق بنوع من الاستكراه. و لئن توسّعت في هذا الشّأن بما لم يتوسّع به أحد، فلأنّه كما ذكرت احتياج عصر وضرورته، أمّا الماضون فلم يكونوا يستشعرون ضرورته، فاكتفوا بالتّلميح إليه مع اعتقادهم أنّه موجود؛ قال الإمام فخر الدّين الرّازيّ في تفسيره لسورة البقرة ما نصّه ... [و ذكر كما تقدّم عن البِقاعيّ، ثمّ ذكر قول المَلَويّ، كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

هذان النّقلان نقلهما صاحب مناهل العرفان في الصّفحة ٧٣ ـ ٧٤من كتابه في طبعته الثّانية.

من هذين النّقلين ندرك أنّ علماءنا قد دَنْدَنوا حول ضرورة البحث عن الصّلة و المناسبة بين الآيات في السّورة الواحدة ،بل كان البِقاعيّ ـ الّذي يُطْبع تفسيره الآن و لم أطّلع عليه ـ يلوم علماء بغداد لإهمالهم الكلام في هذا الشّأن، و كما دَنْدَنوا حول المناسبة بين الآيات في السّورة الواحدة، بحثوا عن الصّلة و المناسبة بين سُوَر القرآن عامّة.

و هذه قضايا بمجموعها نادرًا ما تجد تفسيرًا قد خلا عن طَرَف منها، و نادرًا ما تجد مفسّرًا إلّا و قد عرّج عليها ما بين مُكْثِر و مُقِلّ. و يبدو أنّ بعض الصّحابة قد عرّج عليها، فقد ذكر ابن كثير: «قال الأعمش عن أبي وائل: استخلف عليّ عبدالله بن عبّاس على الموسم، فخطب

النّاس فقرأ في خطبته سورة البقرة، و في رواية سورة النّور، ففسّرها تفسيرًا لو سمعته الرّوم والتُّرك و الدَّيلم لأسلموا»، ترى ما هو هذا التّفسير الّذي فسّره ابن عبّاس حتّى لو سمعه هؤلاء لأسلموا إلّا أن يكون من جملته ذكر معانٍ دقيقة زائدة على ما يفهم الرّجل العاديّ من مجرّد النّظرة البادهة لسورة البقرة؟! و لا شكّ أنّ هذا احتمال، و لكنّه احتمال له حظّه من النّظر.

و لكن لئن عرّج بعض المفسّرين على هذا الموضوع، فإنّ أحدًا منهم لم يستوعب القرآن كلّه بذكر الرّبط و المناسبة بين الآيات في السّورة الواحدة، و بين سُوَر القرآن بعضها مع بعض على ضوء نظريّة شاملة، و قد بذل حتّى الآن الجهد الأكبر في الرّبط بين الآيات في السّورة الواحدة، و لكنّ النّقطة الثّانية لم يبذل فيها جهد إلّا ضمن حدود ضيقة، و كلا الجهدين فاتته إلى حدّ كبير بعض أسرار الوحدة الشّاملة.

و لقد حاولت في هذا التّفسير أن أسُدّ هذه الثّغرة مع اعتقادي أنّ أسرار الوحدة القرآنيّة لايحاط بها، ولكن و إذ أصبح الكلام عن هذا الموضوع مطلبًا خاصًّا و عامًّا، حتّى جعلها بعض المستشرقين مدخلًا يلج من خلاله إلى تشكيك المسلمين أو اتّهام القرآن أو اتّهام علماء المسلمين بالقصور، إذ أصبح الأمر كذلك، فقد أصبحت على يقين من أنّ هذا الموضوع لابدّ من تغطيته، و سيرى قارئ هذا التّفسير أنّني بفضل الله غطّيت هذا الموضوع تغطية تامّة، و سَيَرى قارئ هذا التّفسير صحّة سيرنا في هذه التّغطية كلّما قرأ صفحة جديدة من صفحات هذا التّفسير.

هذه التّغطية لهذا الموضوع كما أنّها تلبّي مطلبًا من مطالب عصرنا، فإنّها تروي ظمأ طُلّاب المعرفة و الباحثين عن دقائق أسرار هذا القرآن، كما أنّها تضع لبنة في صَرْح الحديث عن إعجاز القرآن و معجزاته، كما أنّها تجيب على تساؤلات كثيرة من جُمْلتها موضوع فواتح السُّوَر، سواء منها المصدّرة بالأحرف الهجائيّة أو المصدّرة بما سوى ذلك، و من خلالها يزداد ترجيح بعض الجوانب الّتي وقع فيها خلاف، كقضيّة أنّ ترتيب سُوَر القرآن توقيفيّ و ليس اجتهاديًّا. فمع أنّ جماهير الأمّة ذهبت إلى هذا، فإنّ هذا التّفسير سيبرهن على هذا

الموضوع بشكل عمليّ، كما أنّه بإبرازنا الوحدة القرآنيّة، بإبراز الصّلة بين سُوَر القرآن و الصّلة بين الآيات في السّورة الواحدة، سنأخذ الجواب على السّؤال: لماذا لم تكن المعاني ذات المضمون الواحد موجودة بجانب بعضها؟ و سنجد لذلك حِكَمًا كثيرة.

و سيَرى القارئ لهذا التّفسير أنّ هذا التّرتيب ما بين سُوَر القرآن على هذه الشّاكلة الّتي رتّبها الله عَزَّوجَلَّ في كتابه، شيء به وحده تقوم الحجّة على كلّ من يتصوّر أنّ هذا القرآن يمكن أن يكون بشريّ المصدر. و ذلك من جانب ترتيبه فقط، فكيف بما سوى ذلك من عشرات الظّواهر الّتي في كلّ واحدة منها الدّليل من خلال عشرات الأمثلة، على أنّ هذا القرآن يستحيل أن يكون بشريّ المصدر. ثمّ إنّه بعملنا هذا نكون قد زدنا بعض حُجَج الكاتبين عن القرآن وضوحًا، فمثلًا ذكر صاحب «مناهل العرفان» في باب حكم نزول القرآن مُنجّمًا هذه الحكمة الّتي هي الحكمة الرّابعة في عرضه فقال: «الإرشاد إلى مصدر القرآن و أنّه كلام الله وحده، و أنّه لايمكن كلام محمّدﷺو لا كلام مخلوق سواه».

و بيان ذلك: أنّ القرآن الكريم تقرؤه من أوّله إلى آخره، فإذا هو محكم السَّرْد، دقيق السّبك، متين الأُسلوب، قويّ الاتّصال، آخذ بعضه برقاب بعض في سُوَره وآياته و جُمَله، يجري دم الإعجاز فيه كلّه من ألفه إلى يائه، كأنّه سبيكة واحدة، و عقد فريد يأخذ بالأبصار، نظّمت حروفه و كلماته، و نسّقت جُمَله و آياته، و جاء آخره مساوقًا لأوّله، وبدا أوّله مواتيًا لآخره.

و هنا نتساءل: كيف اتّسق للقرآن هذا التّأليف المعجز؟ و كيف استقام هذا التّناسق المدهش على حين أنّه لم يتنزّل جملة واحدة، بل تنزّل آحادًا مفرّقة، تفرّق الوقائع و الحوادث في أكثر من عشرين عامًا؟

الجواب: أنّنا نلمح هنا سرًّا جديدًا من أسرار الإعجاز، و نقرأ دليلًا ساطعًا على مصدر

القرآن، و أنّه كلام الواحد الدّيّان: ﴿وَلَوْكَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1]، و إلّا فحدّثني بربّك كيف تستطيع أنت، أم كيف يستطيع الخلق جميعًا أن يأتوا بكتاب محكم الاتّصال و التّرابط، متين النَّسْج و السَّرْد، متآلف البدايات والنّهايات، مع خضوعه في التّأليف لعوامل خارجة عن مقدور البشر، و هي وقائع الزّمن و أحداثه الّتي يجيء كلّ جزء من أجزاء هذا الكتاب تبعًا لها، ومتحدّثًا عنها سببًا بعد سبب، و داعية إثر داعية، مع اختلاف ما بين هذه الدّواعي، و تغاير ما بين تلك الأسباب، و مع تراخي زمان هذا التّأليف، و تطاول آماد هذه النّجوم إلى أكثر من عشرين عامًا؟!

لاريب أنّ هذا الانفصال الزّماني و ذاك الاختلاف الملحوظ بين هاتيك الدّواعي، يستلزمان في مجرى العادة التّفكّك و الانحلال، و لايدعان مجالًا للارتباط و الاتّصال بين نجوم هذا الكلام. أمّا القرآن الكريم فقد خرق العادة في هذه النّاحية أيضًا؛ نزل مفرّقًا منجّمًا، و لكنّه تمّ مترابطًا محكمًا، و تفرّقت نجومه تفرّق الأسباب، ولكن اجتمع نظمه اجتماع شَمْل الأحباب، و لم يتكامل نزوله إلّا بعد أكثر من عشرين عامًا ولكن تكامل انسجامه بدايةً و ختامًا.

أليس ذلك برهانًا ساطعًا على أنّه كلام خالق القُوَى و القُدَر، و مالك الأسباب و المسبّبات، و مدبّر الخلق و الكائنات، و قيّوم الأرض و السّماوات، العليم بما كان و ما سيكون، الخبير بالزّمان و ما يحدث فيه من شؤون؟

لاحظ فوق ما أسلفنا: أنّ رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية أو آيات، قال: «ضعوها في مكان كذا من سورة كذا»، و هو بشر لايدري ـ طبعًا ـ ما ستجيء به الأيّام، و لايعلم ما سيكون في مستقبل الزّمان، ولايدرك ما سيحدث من الدّواعي و الأحداث، فضلًا عمّا سينزل من الله فيها، وهكذا يمضي العمر الطّويل و الرّسول ﷺ على هذا العهد، يأتيه الوحي بالقرآن نجمًا بعد نجم، وإذا القرآن كلّه بعد هذا العمر الطّويل يكمل ويتمّ و ينتظم ويتآخى ويأتلف

---

[1] ـ النّساء/ ٨٢.

و يلتئم، و لا يؤخذ عليه أدنى تخاذل و لا تفاوت، بل يعجز الخلق طُرًّا بما فيه من انسجام و وحدة و ترابط: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1]. و إنّه ليستبين لك سرّ هذا الإعجاز، إذا ما علمت أنّ محاولة مثل هذا الاتّساق و الانسجام لايمكن أن تأتي على مثل هذا النّمط الّذي نزل به القرآن، و لا على قريب من هذا النّمط، لا في كلام الرّسول ﷺ و لا كلام غيره من البُلَغاء، خُذْ مثلًا حديث النّبيّ ﷺ و هو ما هو في رَوْعته و بلاغته و طهره و سموّه، لقد قال الرّسول ﷺ في مناسبات مختلفة لدواعٍ متباينة في أزمان متطاولة، فهل في مُكْنَتك و مُكْنَة البشر معك أن ينظموا مثله، أو يزيدوا عليه أو يتصرّفوا فيه؟ ذلك ما لن يكون و لايمكن أن يكون. إذن فالقرآن الكريم ينطق نزوله منجّمًا بأنّه كلام الله وحده، و تلك حكمة جليلة الشّأن تدلّ الخلق على الحقّ في مصدر القرآن: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[2].

إنّ هذه الحكمة الّتي ذكرها المؤلّف تتّضح أبعادها بشكل أقوى و أكثر بيانًا عندما يقرأ الإنسان تفسيرنا هذا، ليجد من عجائب الصّلة بين الآيات و السُّوَر ما لايمكن أن يخطر ببال بشر، بحيث يجد أنواعًا من الوحدة الشّاملة الّتي تضمّ معاني القرآن و آياته و سُوَره بما يحيّر الألباب ويدهش الأبصار و البصائر. و لا يستعجلنّ القارئ علينا وهو يرى هذا الكلام قبل أن يقرأ هذا التّفسير، فإن وجد الأمر كما ذكرنا فليدع لنا بحسن الخاتمة و بالمغفرة، و إذا لم يجد ما نقلناه هنا فإنّي أُسامحه في كلّ ما يقول.

و لقد سُئلتُ أكثر من مرّة مِنْ بعض مَنْ عرضت عليه وجهة نظري في فهمي للصّلة بين الآيات والسُّوَر عن فائدة هذا الموضوع، و كنت أُجيبه بمثل ما ذكرته فيما مضى من هذه المقدّمة، في أنّ الإجابة على هذا الموضوع تخدم ردّ شبهة أنّ هذا القرآن لايجمع آياته في السّورة

١ـ هود/ ١.

٢ـ الفرقان/ ٦.

الواحدة جامع، و لايجمع بين سُوَره رابط، و ذلك لايليق في كلام البشر فكيف بكلام ربّ العالمين؟ إنّها لشبهة فظيعة جدًّا أن يحاول محاول إشعار المسلم بأنّ كتاب الله ينزل عن كُتُب البشر في هذا الشّأن. و لقد استطعت بتوفيق الله أن أُبَرْهِن على أنّ كمال القرآن في وحدة آياته في السّورة الواحدة، و كماله في الوحدة الجامعة الّتي تجمع ما بين سُوَره وآياته على طريقة لم يعرف لها العالم مثيلًا و لايمكن أن تخطر على قلب بشر. لقد استطعت خلال هذا أن أردّ السّهم إلى كبد راميه من أعداء الله في هذه النّقطة بالذّات. على أنّ الإجابة على هذا الموضوع كما قلنا تخدم قضايا أُخرى منها قضيّة تأكيد إعجاز القرآن، و منها قضيّة دحض شبهة أنّ هناك افتراقًا بين القرآن المكّيّ و المدنيّ، و منها أنّها تخدم في معرفة بعض أسرار القرآن، و منها أنّها تخدم قضيّة الفهم للكثير من المعاني الّتي يدلّ عليها السّياق.

إنّ هذه النّقطة الّتي هي في بعض تميّز هذا التّفسير عن غيره لاتخدم فقط فيما ذكرناه، بل تخدم في رؤية كثير من المعاني، و محلّ هذه المعاني في البرهان على كثير من القضايا. كما أنّها ترينا أنّ هذا القرآن من خلال سياق الآية في السّورة، و من خلال سياق الآيات بالنّسبة إلى مجموع القرآن، ومن خلال صلات السُّوَر بعضها ببعض، ومن خلال نواحٍ أُخرى، يعطينا معاني لانهاية لها و لايمكن الإحاطة بها، و هو موضوع سنراه كثيرًا في هذا التّفسير. و كأثر من آثار هذه النّظرة الشّاملة الّتي على ضوئها فهمت الوحدة القرآنيّة تكشّفت لي إحدى الحِكَم في كون بعض السُّوَر مفتتحة ببعض الحروف، فكانت ملاحظة جديدة تضاف إلى ملاحظات كثيرة، سجّلها علماء المسلمين خلال العصور حول أسرار هذه الأحرف.

لقد أقمت على هذا الاتّجاه الّذي اتّجهته في موضوع الوحدة القرآنيّة من الحُجَج الكثير، بحيث لايرتاب عالم منصف بعد الاطّلاع عليها بأنّ اتّجاهي في ذلك كان صحيحًا. ولكنّي تعمّدت ألّاأذكر حُجَجي كلّها في مكان واحد بل وزعتها في الكتاب كلّه عندما تأتي مناسبتها، و لولا ذلك لاقتضى إبراز كلّ الحُجَج مجلّدًا كاملًا من مجلّدات هذا التّفسير، ثمّ هي في هذه الحالة لاتستوعب كما لو جاءت في مناسبتها... (١: ٢١ـ٢٨)

الفصل الخامس عشر

نصّ الدَّرّاز (معاصر) في «النّبأ العظيم»

[نظم السُّوَر القرآنيّة]

[بعد ذكر ما بين نهج التّأليف الإنسانيّ و بين نهج التّأليف في النّجوم القرآنيّ قال:]

ها أنت ذا قد عرفت نهج التّأليف الإنسانيّ في صنعة البيان و غير البيان، و رأيت بُعْد ما بينه و بين نهج التّأليف في نجوم القرآن، و عرفت ماذا كان يجب أن يحدث في النّظم القرآنيّ من جرّاء هذا النّهج العجيب في أسباب ثلاثة[1] من شأنها ألّا يستقيم بها للكلام طبع، و لا يلتئم له معها شمل. فانظر الآن هل استطاعت هذه الأسباب على تضافرها أن تنال شيئًا من استقامة النّظم في السُّوَر المؤلّفة على هذا النّهج؟

أمّا العرب الّذين تحدّاهم القرآن بسورة منه، فلقد علمت لو أنّهم وجدوا في نظم سورة منها مطمعًا لطامع، بل مغمز لغامز، لكان لهم معه شأن غير شأنهم، و هم هم. و أمّا البُلغاء من بعدهم فما زلنا نسمعهم يضربون الأمثال في جودة السّبك و إحكام السَّرْد بهذا القرآن حين ينتقل من فنّ إلى فنّ.

و أمّا أنت فأقبل بنفسك على تدبّر هذا النّظم الكريم، لتعرف بأيّ يد وضع بنيانه؟ و على أيّ عين صنع نظامه؟ حتّى كان كما وصفه الله: ﴿قُرْاٰناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذى عِوَجٍ﴾[2].

---

١ ـ عناصر معنويّة مختلفة، ظروف زمانيّة منفصلة، أوضاع تأليفيّة عَجْلى و مشتّتة.

٢ ـ الزّمر/ ٢٨.

اعْمَد إلى سورة من تلك السُّوَر الّتي تتناول أكثر من معنًى واحدٍ ـ و ما أكثرها في القرآن، فهي جمهرته ـ و تنقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة، ثمّ ارجع البصر كرّتين: كيف بُدِئت؟ و كيف خُتِمت؟و كيف تقابلت أوضاعهاو تعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها و تعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدّماتها بنتائجها، و وطّأتْ أُولاها لأُخراها ؟

و أنا لك زعيم بأنّك لن تجد ألبتّة في نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به أكانت هذه السّورة قد نزلت في نجم واحد أم في نجوم شتّى؟ و لسوف تحسب أنّ السّبع الطُّوَل[1] من سُوَر القرآن قد نزلت كلّ واحدة منها دَفْعة، حتّى يحدّثك التّاريخ أنّها كلّها أو جُلّها قد نزلت نجومًا. أو لتقولنّ: إنّها إن كانت بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مفرّقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائمًا على قواعده، فلمّا أُريد نقله بصورته إلى غير مكانه، قُدّرت أبعاده و رُقّمت لبناته، ثمّ فُرّق أنقاضًا، فلم تلبث كلّ لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم، و إذا البنيان قد عاد مرصوصًا يشدّ بعضه بعضًا كهيئته أوّل مرّة.

أجل، إنّك لتقرأ السّورة الطّويلة المنجّمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حُشيت حشوًا، و أوزاعًا من المباني جُمعت عفوًا، فإذا هي لو تدبّرتَ بُنْيةٌ متماسكةٌ قد بُنيت من المقاصد الكلّيّة على أُسُس و أُصول، و أُقيم على كلّ أصل منها شُعَبٌ و فصول، و امتدّ من كلّ شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلاتزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حُجُرات و أفنية في بنيان واحد، قد وُضع رسمه مرّة واحدة، لاتُحسّ بشيء من تناكر الأوضاع في التّقسيم و التّنسيق، و لا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق؛ بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الأُلفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التّضامّ والالتحام.

كلّ ذلك بغير تكلّف و لا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، و إنّما هو حُسْن السّياقة

١ـ و إذا كانت هذه السُّوَر على طولها و كثرة نجومها لايبدو عليها انفصال النّظم، فما ظنّك بما دونها إلى سُوَر المفصّل، حيث جرى التّنجيم حتّى في بعض القصار منها، كالضُّحى و اقرأ، و الماعون الّتي نزلت كلّ واحدة منها مفرّقة على نجمين؟

و لطف التّمهيد في مطلع كلّ غرض و مقطعه و أثنائه، يريك المنفصل متّصلًا، و المختلف مؤتلفًا.

و لماذا نقول: إنّ هذه المعاني تنتسق في السّورة كما تنتسق الحُجُرات في البنيان؟ لا، بل إنّها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كلّ قطعة و جارتها رباط موضعيّ من أنفسهما، كما يلتقي العَظْمان عند المَفصِل، و من فوقهما تمتدّ شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشّرايين و العروق و الأعصاب، و من وراء ذلك كلّه يسري في جملة السّورة اتّجاه معيّن، و تؤدّي بمجموعها غرضًا خاصًّا. كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، و يتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضويّة.

فياليت شعري إذا كانت كافّة الأجزاء و العناصر الّتي تتألّف منها وحدة السُّوَر منوطةً بأسباب لم تكن كلّها واقعة و لا متوقّعة، و كان لا بدّ لتمام هذه الوحدة من وقوع تلك الأسباب كلّها في عصر نزول القرآن ليتناولها ببيانه، فما الّذي أخضع دورة الفَلَك لنظام هذه الوحدات، و جعل هذه النّوازل تتوارد بأسرها في إبّان التّنزيل؟ لماذا لم يتّفق في حادثة واحدة منها أن تخلّفت عن عالم الوجود يومئذٍ لينخرم هذا النّظام، فتجيء سورة من السُّوَر مبتورة في مُفتتَحها أو في مُختتَمها أو فيما بين ذلك؟ أليست مطاوعة تلك الأحداث الكونيّة، و معاونتها بدقّة دائمًا لنظام هذه الوحدات البيانيّة، شاهدًا واضحًا على أنّ هذا القول و ذاك الفعل كانا يجيئان من طريق واحدة، و أنّ الّذي صدرت هذه الكلمات عن علمه هو نفسه الّذي صدرت تلك الكائنات عن مشيئته[1]؟

بل ليت شعري لو أنّ هذا الإنسان الغريب الّذي جاء القرآن على لسانه كان قد أحصى ما سوف يلده الزّمان من مفاجآت الحوادث المستقبلة صغيرة و كبيرة في مدى دهره، ثمّ قدّر ما سوف تتطلّبه تلك النّوازل من تعاليم الفرقان، فما علّمه بالنّظام البيانيّ الّذي ستوضع عليه

١ـ قل كلّ من عندالله سبحانه، لا معقّب لحكمه، و لا مبدّل لكلمته.

صيغة تلك التّعاليم؟ ثمّ ما علّمه أيّ هذه التّعاليم سيكون قرينة لهذا الجزء أو ذاك؟ ليتأهّب لتلك القرائن قبل ورودها، فيودع في كلّ جزء ساعة نزوله عروة لائقة بقرينته المعيّنة، حتّى إذا قدمت استمسكت بعروتها، فازدوجت بقرينها ذلك الازدواج المحكم. و لماذا حين وردت كلّ قرينة وجدت من قرينتها جارًّا لايجور و لايجار عليه،ووجدت بجانبه المكان الّذي ينتظرها، لاضيّقًا فيزاحمها و يتبرّم بها، ولا واسعًا فتنقطع الصّلة بينهما، بل وجدته مقدّرًا بمقدارها، حتّى لا حاجة إلى الاستدراك على الماضي بمحو حرف، و لا بزيادة حرف، و لا بتبديل وضع، و حتّى لا مجال هناك لقول: «ليت ....»، و لا «لو إنّ ...»؟

بل كيف عرف كلّ جزء من هذه الأجزاء أين مجموعته، و أين مستقرّه بينها في رأس أو صدر أو طَرَف، من قبل أن تتبيّن سائر الآحاد و الفصائل، حتّى إذا تمّ توزيع تلك الأجزاء المتفرّقة، و الأشلاء الممزّقة، إذا السّتار يرتفع في كلّ سورة عن دُمية حَسناء كاملة الأعضاء متناسقة الحُليّ؟

أيّ تدبير محكم، و أيّ تقدير مبرم، و أيّ علم محيط لايضلّ و لاينسى، و لايتردّد و لايتمكّث، كان قد أعدّ لهذه الموادّ المبعثرة نظامها، و هداها في إبّان تشتّتها إلى ما قدّره لها، حتّى صيغ منها ذلك العقد النّظيم، و سرى بينها هذا المزاج العجيب؟

سبحان الله! هل يمتري عاقل في أنّ هذا العلم البشريّ، و أنّ هذا الرّأي الأنف البدائيّ الّذي يقول في الشّيء: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لقلت أو فعلت، و لقدّمت أو أخّرت»، و لم يك أهلًا لأن يتقدّم الزّمان و يسبق الحوادث بعجيب هذا التّدبير؟ أليس ذلك وحده آية بيّنة على أنّ هذا النّظم القرآنيّ ليس من وضع بشر، و إنّما هو صنع العليم الخبير؟ بلى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1].

أمّا إن طلبت شاهدًا من العيان على صحّة ما أصّلناه في هذا الفصل من نظام الوحدات في

١ـ النّساء/ ٨٢.

السُّوَر على كثرة أسباب اختلافها، و أمّا إن أحببت أن نُريك نموذجًا من السُّوَر المنجمعة كيف الْتـأَمَت منها سلسلة واحدة من الفكر تتلاحق فيها الفصول و الحلقات، و نسق واحد من البيان تتعانق فيه الجُمَل و الكلمات، فأيّ شي أكبر شهادةً و أصدق مثالًا من سورة نعرضها عليك هي أطول سُوَر القرآن كافّة، و هي أكثرها جمعًا للمعاني المختلفة، و هي أكثرها في التّنزيل نجومًا، و هي أبعدها في هذا التّنجيم تراخيًا؟

تلك هي سورة البقرة الّتي جمعت بضعًا و ثمانين و مائتي آية، و حَوَت فيما وصل إلينا من أسباب نزولها نيّفًا و ثمانين نجمًا، و كانت الفترات بين نجومها تسع سنين عددًا[١].

و اعلم! أنّه ليس من همّنا الآن أن نكشف لك عن جملة الوشائج اللّفظيّة والمعنويّة الّتي تربط أجزاء هذه السّورة الكريمة بعضها ببعض، فتلك دراسة تفصيليّة لها محلّها من كُتُب التّفسير، ذلك و لو نشاء لأريناك في القطعة الواحدة منها أسبابًا ممدودة عن أيمانها و عن شمائلها تمتّ بها إلى الجار ذي القربى و الجار الجنب، في شبكة من العلائق يحار النّاظر إلى خيوطها مع أيّها يتّجه؟ و لا يدري أيّها هو الّذي قصد بالقصد الأوّل.

و إنّما نريد أن نعرض عليك السّورة عرضًا واحدًا نرسم به خطّ سيرها إلى غايتها، و نبرز به وحدة نظامها المعنويّ في جملتها، لكي ترى في ضوء هذا البيان كيف وقعت كلّ حلقة موقعها من تلك السّلسلة العظمى.

بيد أنّنا قبل أن نأخذ فيها قصدنا إليه نحبّ أن نقول (كلمة) ساق الحديث إليها: و هي أنّ السّياسة الرّشيدة في دراسة النّسق القرآنيّ تقضي بأن يكون هذا النّحو من الدّرس هو الخطوة الأُولى فيه، فلا يتقدّم النّاظر إلى البحث في الصّلات الموضعيّة بين جزء جزء منه ـ و هي تلك

١ـ ففيها ذكر تحويل القبلة، و ذكر صيام رمضان، و ذكر أوّل قتال وقع في الإسلام، فنزل بسببه قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الآية / ٢١٧ و كلّ أولئك كان نزولهنّ في أوائل السّنة الثّانية من الهجرة. و فيها تلك الآية الخاتمة الّتي نزلت في آخر السّنة العاشرة من الهجرة، و هي آخر آية نزلت من القرآن بإطلاق: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ الآية / ٢٨١، و فيها ما بين ذلك.

الصّلات المبثوثة في مثاني الآيات و مطالعها و مقاطعها- إلّا بعد أن يُحكم النّظر في السّورة كلّها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون مِعْوانًا له على السّير في تلك التّفاصيل عن بيّنة، فقديمًا قال الأئمّة[1]: «إنّ السّورة مهما تعدّدت قضاياها فهي كلام واحد يتعلّق آخره بأوّله، و أوّله بآخره، و يترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلّق الجُمَل بعضها ببعض في القضيّة الواحدة، و إنّه لا غنى لمتفهّم نظم السّورة عن استيفاء النّظر في جميعها، كما لايخفى عن ذلك في أجزاء القضيّة».

و بهذا تعرف مبلغ الخطأ الّذي يتعرّض له النّاظرون في المناسبات بين الآيات، حين يعكفون على بحث تلك الصّلات الجزئيّة بينها بنظر قريب إلى القضيّتين أو القضايا المتجاورة، غاضّين أبصارهم عن هذا النّظام الكلّيّ الّذي وضعت عليه السّورة في جملتها، فكم يجلب هذا النّظر القاصر لصاحبه من جور عن القصد؟ و كم ينأى به عن أروع نواحي الجمال في النّظم، و هل يكون مَثَله في ذلك إلّا كمَثَل امرئ عرضت عليه حلّة موشية دقيقة الوشي ليتأمّل نقوشها، فجعل ينظر فيها خيطًا خيطًا و رُقْعةً رُقْعةً، لايجاوزه ببصره موضع كفّه، فلمّا رآها يتجاور فيها الخيط الأبيض و الخيط الأسود و خيوط أُخَر مختلف ألوانها اختلافًا قريبًا أو بعيدًا، لم يجد فيها من حسن الجوار بين اللّون و اللّون ما يروقه و يونقه، و لكنّه لو مدّ بصره أبعد من ذلك إلى طرائف من نقوشها، لرأى من حسن التّشاكل بين الجملة و الجملة، ما لم يره بين الواحد و الواحد، و لتبيّن له من موقع كلّ لون في مجموعته بإزاء كلّ لون في المجموعة الأُخرى ما لم يتبيّن له من قبل، حتّى إذا ألقى على الحلّة كلّها نظرة جامعة تنظيم أطرافها و أوساطها، بدا له من تناسق أشكالها و دقّة صنعتها ما هو أبهى و أبهر؟ فكذلك ينبغي أن يصنع النّاظر في تدبّره لنظم السّورة من سُوَر القرآن.

١- كأبي بكر النّيسابوريّ، و فخر الدّين الرّازيّ، و أبي بكر ابن العربيّ، و برهان الدّين البقاعيّ، و أبي أسحاق الشّاطبيّ في «الموافقات»، في المسألة الثّالثة عشرة من الكلام على الأدبة تفصيلًا، و قد عرض فيها سورة المؤمنون عرضًا إجماليًّا.

و كلمة أُخرى تمسّ إليها حاجة الباحث في النّسق إذا أقبل على تلك المناسبات الموضعيّة بين أجزاء السّورة، و هي أن يعلم أنّ الصّلة بين الجزء و الجزء لاتعني اتّحادهما أو تماثلهما أو تداخلهما أو ما إلى ذلك من الصّلات الجنسيّة حسب، كما ظنّه بعض الباحثين في المناسبات، فجعل فريق منهم يذهب في محاولة هذا النّوع من الاتّصال مذاهب من التّكلّف و التّعسّف، و فريق آخر متى لم يجد هذه الصّلة من وجهٍ قريبٍ أسرع إلى القول بأنّ في الموضع[1] اقتضابًا محضًا، جريًا على عادة العرب في الاقتضاب.

ألا إنّ هذا الرّأي بشعبتيه لأوْغَل في الخطأ من سابقه[2]، و إنّ الأخذ به على عِلّاته في القرآن لغفلة شديدة عن مستوى البلاغة الّتي تميّز بها القرآن عن سائر الكلام.

فلو أنّ ذاهبًا ذهب يمحو تلك الفوارق الطّبيعيّة بين المعاني المختلفة الّتي ينتظمها القرآن في سورة منه، إذًا لجرّده من أُولى خصائصه، و هي أنّه لايسترسل في الحديث عن الجنس الواحد استرسالًا يردّه إلى الإطالة المملّة، كيف و هو الحديث الّذي لايملّ؟

و لو أنّه ـ من أجل المحافظة على استقلال هذه المعاني ـ ذهب يفرّقها. و يقطع أرحامها، و يزيل التّداعي المعنويّ و النّظميّ من بينها، إذًا لجرّده من خاصّته الأُخرى، و هي أنّه لاينتقل في حديثه انتقالًا طفريًّا يخرجه إلى حدّ المفارقات الصّبيانيّة الّتي تجمع شتّى الأحاديث على غير نظام، والّتي لاتدع نفس السّامع تستشرف إلى اختتام كلام و افتتاح كلام، كيف و هو

---

١ ـ بل زعم بعضهم أنّ الاقتضاب هو الأصل في القرآن كلّه. نقل السُّيوطيّ في «الإتقان» في بحث المناسبة بين الآيات و السُّوَر عن أبي العلاء محمّد بن غانم أنّ القرآن إنّما وقع على الاقتضاب الّذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم. و كذلك نقل عن عزّالدّين بن عبد السّلام أنّ النّظر في مناسبة الآي لايحسن إلّا في القضيّة الّتي نزلت على سبب واحد. أمّا إذا اختلفت الأسباب فالرّبط بينها ضرب من التّكلّف، لأنّ القرآن نزل في نيّف و عشرين سنة في أحكام مختلفة لأسباب مختلفة، و ما كان كذلك لايتأتّى ربط بعضه ببعض اهـ، و قد خالفهما الأئمّة و وهّموهما.

٢ ـ و هو تضييق دائرة البحث في المناسبات بالتماسها بين المعاني المتجاورة خاصّة. فإذا أُضيف إلى ذلك التزام طريق معيّن في المناسبة، و هو أن تكون من قبيل التّجانس المعنويّ، زادت المسألة ضيقًا و حرجًا، و لذلك أفضى هذا الرّأي بأصحابه إلى أحد الطّرفين المذمومين: التّكلّف أو الخروج.

القول الرّصين المحكم؟

كلّا، بل الحديث فيه كما علمت ذو شجون، و لكنّه حين يجمع الأجناس المختلفة لا يدعها حتّى يبرزها في صورة مؤتلفة، و حتّى يجعل من اختلافها نفسه قوامًا لائتلافها، و هذا التّأليف بين المختلفات ما زال هو «العقدة» الّتي يطلب حلّها في كلّ فنّ وصنعة جميلة، و هو المقياس الدّقيق الّذي تقاس به مراتب البراعة و دقّة الذّوق في تلك الفنون و الصّناعات، فإنّ تقويم النّسق و تعديل المزاج بين الألوان و العناصر الكثيرة أصعب مراسًا و أشدّ عناءً منه أجزاء اللّون الواحد و العنصر الواحد.

و على هذه القاعدة ترى القرآن يعمد تارةً إلى الأضداد يجاور بينها، فيخرج بذلك محاسنها و مساويها في أجلى مظاهرها، و يعمد تارةً أُخرى إلى الأُمور المختلفة في أنفسها من غير تضادّ، فيجعلها تتعاون في احكامها بسوق بعضها إلى بعض مساق التّنظير أو التّفريع، أو الاستشهاد أو الاستنباط، أو التّكميل أو الاحتراس، إلى غير ذلك. و ربّما جعل اقتران معنيين في الوقوع التّاريخيّ، أو تجاور شيئين في الوضع المكانيّ، دعامة لاقترانهما في النّظم، فيحسبه الجاهل بأسباب النّزول و طبيعة المكان خروجًا و ما هو بخروج، و إنّما هو إجابة لحاجات النّفوس الّتي تتداعى فيها تلك المعاني. فإن لم يكن بين المعنيين نسب و لا صهر بوجهٍ من هذه الوجوه و نحوها، رأيته يتلطّف في الانتقال من أحدهما إلى الآخر؛ إمّا بحُسْن التّخلّص و التّمهيد، و إمّا بإمالة الصِّيَغ التّركيبيّة على وضع يتلاقى فيه المتباعدان، و يتصافح به المتناكران. و هذه كلّها وجوه حسنة لو نظر إليها بين آحاد المعاني لأغنى بعضها عن بعضٍ في إقامة النّسق.

على أنّ روعة النّظم القرآنيّ ـ كما علمت ـ لا تقوم دائمًا على حُسْن التّجاور بين الآحاد، بل ربّما تراه قد أتمّ طائفة من المعاني، ثمّ عاد إلى طائفة أُخرى تقابلها، فيكون حُسْن الموقع في التّجاور بين الطّائفتين موجبًا لحُسْن المقابلة بين الأوائل من كلّ منهما، أو بين الأواخر كذلك، لا بين الأوّل من هذه و الآخر من تلك. و ملاك الأمر في ذلك أن تنظر إلى النّظام المجموعيّ

الّذي وضعت عليه السّورة كلّها، كما وصّيناك به من قبل. و نحن ذاكرون لك الآن نموذجًا منه لو وضعته نصب عينيك و احتذيته في سائر السُّوَر، لكان ذلك نِعْم الدّليل في دراستك. وبالله التّوفيق... [و ذكر «نظام عقد المعاني في سورة البقرة تفصيلًا،وإن شئت فراجع، ثمّ قال:]

تلك هي سورة البقرة أرأيت وحدتها في كثرتها ؟ أعرفت اتّجاه خطوطها في لوحتها ؟ أرأيت كيف التحمت لبناتها من غير ملاطٍ يمسكها، و ارتفعت سماؤها بغير عَمَدٍ تسندها ؟ أرأيت كيف انتظم من رأسها و صدرها و أحشائها و أطرافها، لا أقول أحسن دُمْيَة، بل أجمل صورة حيّة، كلّ ذرّة في خليّتها، و كلّ خليّة في عضوها، و كلّ عضو في جهازه و كلّ جهاز في جسمه، ينادي بأنّه قد أخذ مكانه المقسوم، وِفقًا لخطّ جامع مرسوم، رسمه مربّي النّفوس ومزكّيها، و منوّر العقول و هاديها، و مرشد الأرواح و حاديها. فتالله لو أنّ هذه السّورة رتّبت بعد تمام نزولها، لكان جمع أشتاتها على هذه الصّورة معجزة، فكيف و كلّ نجم منها ـ كسائر النّجوم في سائر السُّوَرـ كان يوضع في رتبته من فور نزوله، وكان يحفظ لغيره مكانًا انتظارًا لحلوله، و هكذا كان ما لم ينزل منها معروف الرّتبة محدّد الموقع قبل أن ينزل ؟. ثمّ كيف و قد اختصّت من بين السُّوَر المنجّمة بأنّها حدّدت مواقع نجومها لا قبل نزولها بعامٍ أو بعض عامٍ، بل بتسعة أعوام ؟ لعمري لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، و في أساليب تربيته معجزات، و في نبوءاته الصّادقة معجزات، و في تشريعاته الخالدة معجزات، و في كلّ ما استخدمه من حقائق العلوم النّفسيّة و الكونيّة (معجزات) و معجزات، لعمري إنّه في ترتيب آية على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات! (١٤٢ـ٢١١)

الفصل السّادس عشر

نصّ الشّيخ معرفة (م: ١٤٢٧) في «تلخيص التّمهيد»

تلاؤم فرائده و تآلف خرائده

التّرابط و التّناسق المعنويّ

لا شكّ أنّ حُسْن الكلام إنّما هو بالتّناسب القائم بين أجزائه، من مفتتحٍ لطيفٍ و ختامٍ مُنيف، و مقاصد شريفة احتضنها الكلام الواحد، و هكذا كان التّناسب بين آيات الذّكر الحكيم أنيقًا، و التّرابط بين جُمَله و تراكيبه وثيقًا.

و هذا التّناسب و التّرابط بين أجزاء كلامه تعالى قد يلحظ في ذات آية واحدة من صدر و ذيل هي فاصلتها، أو في آيات جمعتها مناسبة واحدة هي الّتي استدعت نزولهنّ دفعة واحدة في مجموعة آيات يختلف عددهنّ، خمسًا أو عشرًا أو أقلّ أو أكثر.

و قد يلحظ في مجموعة آيات سورة كاملة، باعتبارها مجموعة واحدة ذات هدف واحد أو أهداف متضامّة بعضها إلى بعض، هي الّتي شكّلت الهيكل العُظمى للسّورة ذات العدد الخاصّ من الآيات ، فإذا ما اكتمل الهدف و تمّ المقصود ، اكتملت السُّورة و تمّت أعداد آيها، الأمر الّذي يرتبط مع الهدف المقصود، و من ثمّ يختلف عدد آيات السُّوَر من قصار و طُوال.

و هناك مناسبة زعموها قائمة بين خاتمة كلّ سورة و فاتحة السّورة التّالية لها، و قد تكلّفها البعض بغير طائل. و لننظر في كلّ هذه المناسبات:

تناسب الآيات مع بعضها

كان القرآن نزل نجومًا، و في فترات لمناسبات قد يختلف بعضها عن بعض و كانت كلّ مجموعة من الآيات تنزل لمناسبة تخصّها تستدعي وجود رابط بينها بالذّات، و هو الّذي يشكّل سياق الآية في مصطلحهم.

و المناسبة القائمة بين كلّ مجموعة من الآيات ممّا لايكاد يخفى، حتّى و لو كانت هي مناسبة التّضادّ، كما أفاده الإمام الزّركشيّ في عدّة من السُّوَر جاء فيها ذلك...قال:وعادة القرآن إذا ذكر أحكامًا .... [وذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

لكن قد يخفى وجه التّناسب، فتقع الحاجة إلى تأمّل و تدقيق للوقوف على الجهة الرّابطة، لأنّه كلام الحكيم، و قد تحدّى به، فلابدّ أنّه عن حكمة بالغة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْاَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِاَنْ تَاْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾[1]، فقد يقال: أيّ رابط بين أحكام الأهلّة و بين حكم إتيان من ظهورها؟

قيل: إنّه من باب الاستطراد ـ و هو الانتقال من قصد إلى آخر لأدنى مناسبة يراه المتكلّم أوْلى بالقصد ـ وكأنّه جعل مبدأ كلامه ذريعة لهذا الانتقال، ولكن بلطف و براعة، و هو من بديع البيان[2].

قال الزّمخشريّ: لمّا ذَكر أنّها مواقيت للحجّ، عَمَد إلى التّعرّض لمسألة كانت أهمّ بالعلاج، و هي عادة جاهليّة كانت بدعة رذيلة، كان أحدهم إذا أجرم لايدخل حائطًا و لا دارًا و لا فُسطاطًا، فإن كان من أهل المَدَر نقب في مؤخّرة بيته فيدخل و يخرج منه، و إن كان من أهل الوَبَر جعل خلف خبائه مدخله و مخرجه، و لم يدخلوا من الباب ... بدعة

١ـ البقرة/ ١٨٩.

٢ـ قال الأمير العلويّ: عليه أكثر القرآن. (الطّراز ٣: ١٤).

جاهليّة مقيتة لامبرّر لها... فلمّا وقع سؤالهم عن الأهلّة ـ و هـي مواقيـت للنّـاس في شـؤون حياتهم، و للحجّ بالذّات، و لم يكن كبير فائدة في مثل هذا السّؤال ـ استغلّه تعالى فرصة مناسبة للتّعرّض لموضع أهمّ، كان الأجدر هو السّؤال عنه، بُغية تركه... على عكس ما كانوا يرونه برًّا، و هو عملٌ تافهٌ مستقبح[1].

وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصٰى﴾ و عقّبه بقوله: ﴿وَ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾[2]، فقد يقال: أيّ رابط بين حادث الإسراء و إتيان موسى الكتاب و التّعرّض لحياة بني إسرائيل!؟

وهو أيضًا من الاستطراد البديع، كأنّ المقصود الأقصى تذكير بني إسرائيل بسوء تصرّفاتهم في الحياة، و هم في أشرف بقاع الأرض، و في متناولهم أفضل وسائل الهداية. فبدأ بالكلام عن الإسراء من مكّة المكرّمة إلى القدس الشّريف، و بذلك ناسب الكلام عن هتك هذا الحريم المقدّس على يد أبنائه و الّذين فضّلوا بالتّشرّف فيه، تأنيبًا و ليتذكّروا. و هو من حُسْن المدخل و لُطف المستهلّ من أروع البديع.

و قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[3]، إذ لا تناسب لها ظاهرًا مع سياق السّورة الواردة في أحوال القيامة و أهوالها؛ قال جلال الدّين السّيوطيّ: وجه مناسبتها لأوّل السّورة و آخرها عسر جدًّا[4].

و في تفسير الرّازيّ وجوه لبيان التّناسب، و قد تعسّف فيها، و بهت قُدَماء الإماميّة أنّهم قالوا: بأنّ القرآن قد غُيّر و بُدّل و زيد فيه و نُقص عنه، و الآية من ذلك[5].

١ـ الكشّاف ١: ٢٣٤ نقلًا بالمعنى.

٢ـ الإسراء/ ١ـ ٢.

٣ـ القيامة/ ١٧.

٤ـ الإتقان ٣: ٣٢٨.

٥ـ التّفسير الكبير ٣٠: ٢٢٢.

لكن نزول القرآن منجّمًا و في فترات متلاحقة يدفع الإشكال برأسه، و لا موجب لارتكاب التّأويل، و لاسيّما مع هذا التعسّف الباهت الّذي ارتكبه شيخ المتشكّكين.

و قوله تعالى: ﴿وَاِنْ خِفْتُمْ اَنْ لَا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامٰى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾[1]

لكن لمّا كانت الآية السّابقة لها حديثًا عن إيتاء اليتامى أموالهم، و النّهي عن تبدّل الخبيث بالطّيّب، و أن لا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنّه كان حُوبًا كبيرًا، فربّما كان المتكفّلون لأمر اليتامى يتحرّجون التّصرّف في أموالهم خشية اختلاطه بأموال أنفسهم، فيكون حيفًا لمال اليتيم أحيانًا. فكانت قضيّة الاحتياط في الدّين التّجنّب عن مقاربة أموال اليتامى رأسًا، الأمر الّذي كان يوجب اختلالًا بشأن اليتامى، فلايتكفّلهم المؤمنون الصّالحون.

هذا إلى جَنْب وَفْرة اليتيم في ظلّ الحروب الّتي شنّتها خصوم الإسلام طول التّاريخ، فكان تكفّل أمر اليتيم ضرورة إيمانيّة. إذًا فما المخرج من هذا المأزق، والآية نزلت لتُري وجهًا من وجوه المخلَص؟ و لأجل هذا التّخرّج جاء السّؤال التّالي: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامٰى﴾[2].

فكان الجواب: ﴿قُلْ اِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَاِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَاَعْنَتَكُمْ﴾ أي هذا واجب فرض، و كلّ أحد يمكنه المواظبة على ترك الحرام. و أخيرًا فلو تعنّتم لأخذناكم بتكليف أشقّ و أعنت، إذًا فاسترسلوا في أمركم و شاركوهم في أموالهم كما تشاركون سائر إخوانكم، مع المواظبة على غبطة مصلحة الشّريك، فهذا هو خير يعود عليكم نفعه أيضًا.

و أمّا إذا كانت اليتامى نسوة فطريق المخلَص بشأن مخالطة أموالهم أسهل: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلٰى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ اَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾[3]

---

١ ـ النّساء/ ٣.

٢ ـ البقرة/ ٢٢٠.

٣ ـ النّساء/ ١٢٧.

ففي الآية السّابقة ترخيص لنكاحهنّ ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ أي يتامى النّساء اللّاتي تحت كفالتكم ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[1]، و الآية بعد ذلك تستطرد في شؤون شتّى، كما هو دأب القرآن.

و على أيّة حال، فالتّزويج بهنّ هي إحدى طُرُق التّخلّص من مأزق التّحرّج في مال اليتيم، إذ المرأة تغضّ طَرْفها عن المداقّة في مالها المختلط مع مال زوجها المرافق لها الكافل لشؤونها. و هذا خامس الوجوه الّتي ذكرها الطَّبرسيّ في توجيه مناسبة الآية[2]، و هو أحسن الوجوه، و أكثر انسجامًا مع سياق الآية، و الله العالم.

و قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[3].

قيل: ما هي المناسبة القريبة بين الأمر باستجابة الرّسول فيما إذا دعاهم إلى الحياة والتّهديد بالحيلولة بين المرء و قلبه؟

و قد أخذت الأشاعرة ـ و في مقدّمتهم شيخ المتشكّكين الإمام الرّازيّ[4] ـ من هذه الآية ـ نظرًا إلى الذّيل ـ دليلًا على القول بالجبر بأنّ الله هو الّذي يجعل المؤمن مؤمنًا و الكافر كافرًا ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[5].

و ذهب عنهم أنّ الدّعوة في صدر الآية دليل على الاختيار، و حاشا القرآن أن يتناقض كلامه في آية واحدة. و حاول العلماء تفسير الآية بوجوه أدقّ و أوفى:

منها: أنّ في القلب نقطة تحوّلات مفاجئة، قديتحوّل الإنسان من حالة إلى أخرى في

---

١ ـ النّساء/٣.

٢ ـ مجمع البيان ٣: ٦.

٣ ـ الأنفال/ ٢٤.

٤ ـ التّفسير الكبير ١٥: ١٤٧ـ١٤٨و ١٨١ـ١٨٢.

٥ ـ النّحل/٩٣ و فاطر/٨.

مصادفة مباغتة، فينقلب الشّقيّ سعيدًا أو السّعيد شقيًّا، لمواجهة غير مترقّبة عارضت مسيرته الّتي كان عليها، زاعمًا عكوفه عليها مدّة حياته، و لكن رغم مزعومه أخذ في التّراجع و الانعطاف إلى خلاف مسيره.

و هذا لخلق الخوف و الرّجاء و طرد اليأس و الغرور، و هذا من أعظم التّربية للنّفوس البشريّة، فلا يأخذها القنوط و اليأس إن هي أسرفت في التّمرّد و العصيان، و لا يسطو عليها العُجْب و الاغترار إن هي بلغت مدارج الكمال.

و منها: أنّ الإسلام دعوة إلى الحياة العُليا و السّعادة القُصوى، كما أنّ في رفضها و التّمرّد عن تعاليمها إماتة للقلوب، و بذلك تموت معالم الإنسانيّة في النّفوس، وتذهب كرامتها أدراج الرّياح، و إذًا بهذا الإنسان دابّة، فبدلًا من أن يمشي على أربع، يمشى على رِجْلين لا أكثر من ذلك، وفي ذلك هبوط من قِمّة الشّموخ إلى حضيض الهمجيّة و الابتذال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[1]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾[2]، و وجوهٌ أُخَر ذكرناها في فصل المتشابهات من الآيات[3]...[ثمّ ذكر قول سيّد قطب في ألوان التّناسق الفنّيّ، كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

و قال الأُستاذ دَرّاز: إنّ هذه النّقطة غفل عنها جميع المستشرقين، فضلًا عن بعض علماء المسلمين، فعندما لاحظ بعضهم بنظرته السّطحيّة عدم توافر التّجانس و الرّبط الطّبيعيّ بين الموادّ الّتي تتناولها السُّوَر، لم ير القرآن إلّا أشتاتًا من الأفكار المتنوّعة، عُولجت بطريقة غير منظّمة، بينما رأى الآخر أنّ علّة هذا التّشتيت المزعوم ترجع إلى الحاجة إلى تخفيف الملل النّاتج من رتابة الأسلوب.وهناك فريق آخر لم ير في الوحدة الأدبيّة لكلّ سورة ـ وما لا يستحيل نقله في أيّة ترجمة ـ إلّا نوعًا من التّعويض لهذا النّقص الجوهريّ في وحدة

١ـ الأعراف/ ١٧٦.

٢ـ الحشر/ ١٩.

٣ـ راجع التّمهيد في علوم القرآن ٣: ٢٣٩ـ ٢٥٢ تحت رقم ٨٠ الطّبعة الثّانية.

المعنى. وفريق آخر ـ يضمّ غالبيّة المستشرقين ـ رأى أنّ هذا العيب يرجع إلى الصّحابة الّذين جمعوا القرآن، و قاموا بهذا الخلط عندما جمعوا أجزاءه و رتّبوها على شكل سُوَر.

قال: إنّ هذه التّفسيرات لا تبدو صالحة للأخذ بها، إذ من المتّفق عليه أنّ السُّوَر كانت بالشّكل الّذي نقرأها به اليوم، وبتركيبها الحاليّ، منذ حياة الرّسول ﷺ.

قال: و لقد اتّضح أنّ هناك تخطيطًا واضحًا و محدّدًا للسّورة، يتكوّن من ديباجة و موضوع و خاتمة، و لا جدال في أنّ طريقة القرآن هذه ليس لها مثيل على الإطلاق في أيّ كتاب في الأدب أو في أيّ مجال آخر، يمكن أن يكون قد تمّ تأليفه على هذا النّحو.

و إذا كانت السُّوَر القرآنيّة من نتاج ظروف النّزول تكون وحدتها المنطقيّة و الأدبيّة معجز المعجزات[1].

التّناسب القائم في كلّ سورة بالذّات

الوحدة الموضوعيّة

و ممّا يسترعي الانتباه ما تشتمل عليه كلّ سورة من أهداف خاصّة تستهدفها لغرض الإيفاء بها و أداء ما فيها من رسالة بالذّات، الأمر الّذي يوجّه مصير انتخابها في كيفيّة لحن الأداء و في كمّيّة عدد الآيات. ينبئك بذلك اختلاف السُّوَر في عدد الآي، قليلها و كثيرها، فما لم تستوف الهدف لم تكتمل السُّورة، قصرت أم طالت. و هكذا اختلاف لهجاتها من شديدة فمعتدلة و إلى ليّنة خفيفة، فلابدّ من حكمة مقتضية لهذا التّنويع في العدد و اللّحن، لأنّه من صُنْع عليمٍ حكيم.

هذا مضافًا إلى ما لكلّ سورة من حُسن مطلع و لطف ختام، فلابدّ أن تحتضن مقاصد هي متلائمة مع هذا البدء و الختام، و بذلك يتمّ حُسْن الائتلاف و الانسجام.

و من ثمّ فمن الضّرورة ـ بمقتضى الحكمة ـ أن تشتمل كلّ سورة على نظام خاصّ

١ـ المدخل إلى القرآن الكريم (أهداف كلّ سورة: عبدالله محمود شحاته: ٥ـ٦).

يستوعب تمام السّورة من مفتتحها حتّى نهاية المطاف، و هذا هو الّذي اصطلحوا عليه من الوحدة الموضوعيّة الّتي تحتضنها كلّ سورة بذاتها.

و لسيّد قطب محاولة موفّقة ـ إلى حدّ ما ـ في سبيل الإحاطة بما تشتمل عليه كلّ سورة من أهداف، يقدّم فكرة عامّة عن السّورة بين يدي تفسيرها، و بيانًا إجماليًّا عن مقاصد السّورة قبل الورود في التّفصيل، ممّا يدلّ على تسلسل طبيعيّ في كلّ سورة تنتقل خلاله من غرض إلى غرض حتّى تنتهي إلى تمام المقصود تناسقًا معنويًّا رتيبًا، تنبّه له المتأخّرون في كلّ سورة بالذّات. و لم يزل العمل مستمرًّا في البلوغ إلى هذا الهدف البلاغيّ البديع في جميع السُّوَر، لكن يجب التّريّث دون التّسرّع، و نحن في بداية المرحلة، فلايكون هناك تكلّف أو تمحّل لا ضرورة إليه.

و قال الأُستاذ المدنيّ: إنّ في كلّ سورة من سُوَر القرآن الكريم روحًا تَسْري في آياتها، و تُسَيطر على مبادئها و أحكامهاو توجيهاتها و أُسلوبها. قال: و من الواضح أنّ سُوَر القرآن ـ مع كون كلّ واحدة منها ذات طابع خاصّ و روح تَسْري في نواحيها ـ لايمكن أن تعدّ فصولًا أو أبوابًا مقسَّمة منسّقة على نمط التّأليف الّتي يؤلّفها النّاس، و من أراد أن يفهمها على ذلك أو أن يفسّرها على ذلك،فإنّه يكون متكلّفًا مشتطًّا ،محاولًا أن يخرج بالقرآن عن أُسلوبه الخاصّ الّذي هو التّنقّل و المراوحة و التّجوّل، و بثّ العظة في تضاعيف القول، و الوقوف عند العبرة لتجليتها، و التّوجّه إلى مغزاها، وانتهاز الفرصة أينما واتت،لِدَعْم العقيدة السّليمة و المبادئ القويمة.

إنّ هناك فرقًا بين من يحاول أن يفعل ذلك، و من يحاول أن يجعل القارئ يلمح الرّوح السّاري و البيئة المعنويّة الخاصّة الّتي تجول فيها السّورة دون أن يخرج التّنزيل الحكيم عن سنّته و أُسلوبه الّذي انفرد به، و كان من أهمّ نواحي الإعجاز فيه.

و هذه الطّريقة في الدّراسة القرآنيّة أجدى على النّاس من تتبّع الآيات آية بعد آية، فإنّ ذلك لايعطي المنظر العامّ، و لايساعد على تصوّر عظمة الصّورة مجتمعة الملامح، منضمّة

التّقاسيم، كاملة الوضع[١].

و بعد فإليك نماذج من محاولات بُذلت للحصول على تلك الوحدات الموضوعيّة الّتي تشتمل عليها كلّ سورة لذاتها، بحيث كادت تقرب من نظم التّأليف من ديباجة و مقاصد و خاتمة في تبويب رتيب، حصولًا على قدر الجهد المبذول، و الله من وراء القصد.

سورة الفاتحة: ما يشتمل عليه هذه السّورة القصيرة من نظم و ترتيب طبيعيّ، هو من أبدع النّظم الّتي تصوّر موقف العبد تجاه ربّه الكريم في ضراعة وخشوع،و مسترحمًا مبتهلًا إيّاه تعالى أن يهديه سواء السّبيل، و ينعم عليه بأفضل نِعَمه وآلائه في أُسلوب جميل و سبك طريف.

إنّ هذه السّورة المباركة انتظمت من ثلاثة مقاطع، كلّ مقطع مرحلة هي مقدّمة للمرحلة التّالية في تدرّج رتيب، و يتمثّل خلالها أدب العبد الماثل بين يدي مولاه، تلك مراحل يجتازها في إناقة يريد مسألته، يمجّده أوّلًا، ثمّ ينقطع إليه كمال الانقطاع، و أخيرًا يعرض حاجته في أُسلوب لطيف، ينتقل من الغيبة إلى الخطاب، وكأنّه كان في حجاب عن وجه سيّده المتفضّل عليه بالإنعام، ثمّ مثّل بين يديه و حُظي بالحضور.

قالوا[٢]:إنّ العبد إذا افتتح حمد مولاه الحقيق بالحمد ـ عن قلب حاضر و نفس ذاكرة لما هو فيه بقوله: ﴿اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ﴾ الدّالّ على اختصاصه بالحمد،وأنّه حقيق به ـ وجد من نفسه لا محالة محرّكًا للإقبال عليه.

فإذا انتقل على نحو الافتتاح إلى قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ـ الدّالّ على أنّه مالك للعالمين، لايخرج منهم شيء عن ملكوته و ربوبيّته ـ قوي ذلك المحرّك.

ثمّ انتقل إلى قوله ﴿اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ الدّالّ على أنّه منعم بأنواع النّعم جلائلها ودقائقها، تضاعفت قوّة ذلك المحرّك.

١ـ المجتمع الإسلاميّ كما تنظّمه سورة النّساء لمحمّد محمّد المدنيّ: ٥ـ ٧ . (الأهداف:٧)

٢ـ الزّمخشريّ في الكشّاف ١: ١٤ .

ثمّ إذا انتقل إلى خاتمة هذه الصّفات العظام، و هي قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الدّالّ على أنّه مالك للأمر كلّه يوم الجزاء، تناهت قوّته، و أوجب الإقبال عليه و خطابه بتخصيصه بغاية الخضوع و الاستعانة في المهمّات: ﴿اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ و هذا كمال الانقطاع بيديه العبد لدى مولاه، يمهّد بها أسباب الشّفاعة، فيردفها مع عرض حاجته، بُغية قضائها و نجاحها، والتّوفيق يرافقه لا محالة.

و سورة البقرة ـ و هي أوّل سورة نزلت بالمدينة، واكتملت لعدّة سنوات، و نزلت خلالها سُوَر وآيات ـ تراها على طولها، منتظمة على أُسلوب رتيب، مقدّمة لابدّ منها، ثمّ دعوة، و أخيرًا تشريع [1].

أمّا المقدّمة، ففي بيان طوائف النّاس و مواقفهم تجاه الدّعوة إمّا متعهّد يخضع للحقّ الصّريح، أو معاند يجحد بآيات الله، أو منافق يراوغ مراوغة الكلاب. أمّا الشّكّ فلامجال له بعد وضوح الحقّ و وفور دلائله، و قد نفاه القرآن الكريم ﴿ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَارَيْبَ فِيهِ﴾.

و قد أعلن الدّعوة بتوجيه نداء عامّ إلى كافّة النّاس: ﴿يَاءَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [2]، و دعمها بدلائل وبراهين نيّرة، مستشهدًا بسابق حياة الإنسان منذ بدء الخلقة، وتصرّفاته الغاشمة في الحياة، ولا سيّما حياة بني إسرائيل السّوداء المليئة بالمخازي و الآثام، و هي الأُمّة الوحيدة الّتي تعرفها العرب، و لهم معها نسب قريب.

ثمّ يأتي دَوْر التّشريع [3] ويتقدّمه الحديث عن الكعبة و تشريفها، و بيان النّسخ و الإنساء في الشّرائع، فيبتدئ بتحويل القبلة [4] و تشريع الحجّ و الجهاد و القتال في سبيل الله،والصّوم والزّكاة والاعتكاف،والنّكاح و الطّلاق و العدد، و المحيض و الرّضاع و الإيمان، و الوصيّة

---

١ ـ المقدّمة في (٢٠) آية، و الدّعوة في قريب من (١٢٤) آية و التّشريع (١٤٢).

٢ ـ البقرة/ ٢١.

٣ ـ من الآية رقم ١٢٥.

٤ ـ الآية رقم ١٤٤.

و الدَّين و الرِّبا، و التّجارة الحاضرة، و بذلك تنتهي السّورة. هذه هي الصّبغة العامّة للسّورة، و في ضمنها الاستطراق إلى عدّة مواضيع بالمناسبة، كما هي طريقة القرآن في جمعه لشتّات الأُمور.

و في ختام السّورة[1] جاء الحديث عن ملكوت السّماوات و الأرض، و علمه تعالى بما في الصُّدور فيحاسب العباد عليه، و عن إيمان الرّسول بما أُنزل إليه، و المؤمنون على أثره، و أن لا تكليف بغير المستطاع، و لابدّ من الاستغفار على الخطايا و طلب فضله تعالى و رحمته في نهاية المطاف.

و المناسبة ظاهرة بعد ذلك التّفصيل عن دلائل الدّعوة و معالم التّشريع. و قد جهد الإمام الرّازيّ في بيان النّظم القائم بين هذه الآيات الثّلاث بالذّات و ما سبقتها من دلائل التّوحيد و تشريع الأحكام، و ذكر في ذلك وجوهًا لا بأس بها نسبيًّا، و عقّبها بقوله...[و ذكر كما تقدّم عن البقاعيّ، ثمّ قال:]

و الآيتان الأخيرتان منها قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَـٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ...﴾[2].

انظر كيف تناسق البدء و الختام، و كيف تجمّعت مواضيع السّورة و أهدافها، ملخّصة في آخر بيان، ليتأكّد أوّلها بآخرها بهذا الشّكل البديع؟!

و لعلّنا في مجال آتٍ نعرض سُوَرًا أُخرى تَكشِف لنا وجه التّناسب القائم فيها في عدد آيها الخاصّ و لحنها الخاصّ إن شاء الله تعالى، ولا تزال المحاولات دائبة في هذا التّكشُّف بوجه عامّ.

تناسب السُّوَر

الثّابت من ضرورة الرّبط و التّناسب المعنويّ هو ما بين آيات نزلن معًا أو القائم على

١ـ الآيات رقم ٢٨٤و ٢٨٥و ٢٨٦.

٢ـ البقرة/ ٢٨٥.

أكتاف السّورة، و هي الوحدة الموضوعيّة الجامعة بين أهدافها و مقاصدها، كما أسلفنا.

أمّا التّناسب بين السُّوَر بعضها مع بعض ـ حسب ترتيبها الرّاهن في المُصْحَف الشّريف ـ فلا ضرورة تدعو إليه، و إن تكلّفه أُناس، إذ هذا النّظم السُّوَريّ القائم شيء صَنَعه أصحاب الجمع بعد وفاة الرّسول ﷺ، ليس مستندًا إلى وحي السّماء، حسبما قدّمنا.

فمن التّكلّف الباهت محاولة اختلاق التّناسب بين خواتيم السُّوَر و مفتتحات السُّوَر التّالية لها، لأنّه التزام بما لا يلزم، فضلًا عن كونه تعسّفًا في الرّأي و الاختيار.

و أوّل من استنكر زعم التّناسب بين السُّوَر ـ فيما نعلم ـ هو سلطان العلماء الشّيخ عِزّ الدّين عبدالعزيزبن عبدالسّلام (توفّي سنة ٦٦٠) قال ... [و ذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ، ثمّ ذكر قول المَلَويّ و توجيه الزّركشيّ لكلامه و عقّب أيضًا تناسب بعض السُّوَر، كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

هذا كلامه المتكلّف فيه تكلّفًا ظاهرًا، و مع ذلك فهو من خير ما قيل في هذا الشّأن. أمّا من تأخّر عنه كجلال الدّين السّيوطيّ و زميله برهان الدّين البِقاعيّ و أضرابهما، فقد زادوا تمحّلًا في تكلّف و أتوا بغرائب الكلام.

هذا جلال الدّين السّيوطيّ مع سعة باعه و كثرة اطّلاعه نراه قد هبط في هذا الاختيار إلى حدّ بعيد، يختار أوّلًا فيما زعم ما قاله البيهقيّ: إنّ ترتيب كلّ السُّوَر توقيفيّ وقع بأمر من الرّسول ﷺ، سوى سورتي الأنفال و التّوبة، فإنّ ترتيبهما ـ حسبما زعم ـ من صُنْع عُثمان بن عفّان، قال: و قد استقرّ التّوقيف في العرضة الأخيرة ـ الّتي عرض القرآن فيها على رسول الله ـ على القراءات العُثمانيّة!

ثمّ يعتمد ما ذكره بعضهم: أنّ لترتيب وضع السُّوَر في المُصْحَف أسرارًا دقيقة و أسبابًا حكيمة، تطلع على أنّه توقيفيّ صادر عن حكيم... [و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

قلت: و لعلّ أذهاننا كلّت عن فهم هذه الأسرار الّتي نقلها عن بعضهم و أعجبته.

و على أيّة حال ،فإنّه يعترض على نفسه باختلاف ما بين مصاحف الأصحاب، كمُصْحَف

ابن مسعود مع مُصْحَف أُبيّ بن كعب، و لو كان توقيفًا لِمَا وقع بينهما اختلاف، كما لم يقع اختلاف في ترتيب الآيات ضمن السُّوَر.

ثمّ يبتهج بما منّ الله عليه بالإلهام بجواب نفيس، و هو أنّ القرآن وقع فيه نَسْخٌ كثيرٌ حتّى لسُوَر كاملة، فلا عجب أن يكون التّرتيب العُثمانيّ هو الّذي استقرّ في العرضة الأخيرة، و لم يبلغ ذلك كبار الصّحابة و حُفّاظ القرآن أمثال عبدالله بن مسعود و أُبيّ بن كعب! (يا لَهُ مِنْ زَعْمٍ فاسِدٍ و رأي كاسِدٍ).

و أخيرًا يأخذ في شرح التّناسب القائم بين السُّوَر في ترتيبها الحاضر سورة سورة من الفاتحة حتّى نهاية القرآن، و أكثره تكلّف و تمحّل و سفاسف فارغة، فممّا قاله بهذا الشّأن: إنّ سورة الحمد تضمّنت الإقرار بالرّبوبيّة، و سورة البقرة تضمّنت قواعد الدّين، و آل عمران مكمّلة لمقصودها. فالبقرة بمنزلة إقامة الدّليل، و آل عمران بمنزل الجواب عن الشّبهات. و أمّا سورة النّساء فتضمّنت أحكام الأسباب (الرّوابط) الّتي بين النّاس، و أمّا سورة المائدة فسورة العقود.

و نُقِل عن الخُوَيّ[1]: أنّ أوائل سورة البقرة مناسبة لأواخر سورة الحمد، قال: فقد ظهر لي بحمدالله وجوهًا من هذه المناسبات، منها: أنّ القاعدة الّتي استقرّ بها القرآن أنّ كلّ سورة لاحقة هي تفصيل لإجمال ما وقع في السّورة قبلها، و شرحٌ له و إطنابٌ لإيجازه، و قد استقرّ معي ذلك في غالب السُّوَر طويلها و قصيرها!

و هكذا يستمرّ في معمعاته مكرّرًا قوله: ظهر لي، ظهر لي، إلى حدّ الإسراف المملّ الخارج عن النّهج السّويّ، و الله العاصم[2].

و هذا معاصره المتقدّم عليه، برهان الدّين إبراهيم بن عمر البِقاعيّ، وضع تفسيره

١ ـ بضمّ الخاء و فتح الواو و تشديد الياء المكسورة، و نسبة إلى (خوي) من أعمال آذربيجان، هو محمّد بن أحمد أبوعبدالله شهاب الدّين، قاضي دمشق (توفّي سنة ٦٩٣).

٢ ـ راجع كتابه: «تناسق الدُّرَر في تناسب السُّوَر» طبع باسم «أسرار ترتيب القرآن».

المـُطْنَب على نفس الأساس، لبيان ما بين الآيات كلّها و السُّوَر من التّناسب و الرّبط المزعوم، و أسماه «نظم الدُّرَر في تناسب الآيات و السُّوَر» و أسهب فيه، و أتى في تكلّفاته بما يفوق الإسراف!

مثلًا يزعم في همزة الاستعاذة أنّها إشارة إلى ابتداء الخلق، و الميم في آخرها من الرّجيم إشارة إلى المعاد. أمّا البَسْمَلة فكلّها إشارة إلى المعاد، لابتدائها بحرف شفويّ (باء) و ختمها بالميم من الرّحيم، قال: و لمـّا افتتح التّعوّذ بالهمزة ـ إشارة إلى ابتداء الخلق ـ و ختم بالميم ـ إيماء إلى المعاد ـ جُعلت البَسْمَلة كلّها للمعاد، لابتدائها بحرف شفويّ[1].

هكذا و بهذا الأُسلوب يفتتح كلامه في بيان وجه التّناسب بين الآيات و السُّوَر!

و من مزاعمه أيضًا قوله بالتّناسب الدَّوْريّ بين السُّوَر، بمعنى أنّ آخر سورة من القرآن أيضًا تتناسب مع الفاتحة، لو وصل القارئ ختم القرآن بالشّروع فيه. و هكذا تتناسب السُّوَر في ترتيبها بلا وقفة و لا انتهاء، فكأنّها حلقة مفرغة يدور فيها القارئ في تلاوته، لا بدء و لا ختم، قال: و به يتّضح أنّه لا وقف تامّ في كتاب الله، ولا على آخر سورة النّاس، بل هي متّصلة ـ مع كونها آخر القرآن ـ بالفاتحة الّتي هي أوّله، كاتّصالها (أي سورة النّاس) بما قبلها، بل أشدّ. و ذكر في وجه الأشدّيّة أنّه كما يتناسب التّعوّذ مع الشّروع في القراءة، كذلك تتناسب المعوّذتان مع الفاتحة، قال: و من هنا تعرف مناسبة المعوّذتين بالفاتحة[2].

هكذا و بهذه العقليّة الهزيلة يسترسل في توهّماته بشأن تناسب السُّوَر و الآيات سورة سورة، و آية آية حتّى نهاية القرآن.

تلك أُمّة قد خلت، لها ما تخرّصت بالغيب، ولكن ما لنا و اتّباع طريقتهم العمياء تقليديًّا ومن غير تحقيق و إمعان؟! هذا الإمام الطّبرسيّ أبو عليّ الفضل بن الحسن صاحب التّفسير

---

١ ـ نظم الدُّرَر ١: ٢٢.

٢ ـ نفس المصدر ١: ١٥.

القيّم «مجمع البيان»، نراه يتّبع خطوات أشياخ أمثال البقاعيّ، فيذكر مناسبات السُّوَر سورة سورة، ويرتكب في ذلك تكلّفات بعيدة لا مبرّر لها و لا ضرورة تدعو إليه...[و ذكر نماذج من تناسب بعض السُّوَر بما قبلها، كما تقدّم عنه،فقال:]

هكذا و بهذا الأُسلوب يحاول ربط خواتيم السُّوَر بفواتح السُّوَر بعدها. والشّيء الغريب الّذي يبدو من كلامه زعم كون التّرتيب الحاضر هو ترتيب النّزول، بأنّه يقول: لمّا ختم الله سورة كذا بكذا، افتتح السّورة بعدها بكذا! الأمر الّذي يخالف إجماع الأُمّة على أنّه ترتيب يخالف ترتيب النّزول قطعًا. و قد تعرّض هو أيضًا لترتيب النّزول وفق المشهور، فلماذا غفل عنه عند اختلاق التّناسبات؟!

ولم نجد من رافقه في مسلكه هذا في تناسب السُّوَر من علماء و محقّقين سوى بعض من راقته الأفكار السّلفيّة إذا ما حُلّيت بثوب قشيب. فقد زعم الأُستاذ «شريعتيّ» أنّ التّرتيب الحاضر في المُصْحَف الشّريف بين سُوَره هو شيء صنعه الرّسول ﷺ، قال: و نحن نعتقد أنّ التّرتيب القائم بهذه الصّورة الحاضرة هو فعله تعالى[1].

و زعم أنّ الرّسول ﷺ هو الّذي كان يعيّن موضع السّورة قبل و بعد أيّة سورة. وعدّ من أدلّته على ذلك التّناسب و التّرابط الّذي بين خاتمة كلّ سورة و فاتحة تاليتها، الأمر الّذي يشتمل على أسرار و رموز لايمكن الإحاطة بها سوى علّام الغيوب، قال: و قد صنّف كلّ من برهان الدّين البقاعيّ، و جلال الدّين السّيوطيّ، كتابًا بهذا الشّأن، كشفا عن كثير من أسرار هذا التّناسب السُّوَريّ، و لايزال تقدّم الزّمان يكشف عن حِكم و أسرار جديدة، ممّا يدلّ على أنّ البشريّة كانت قاصرة عن إمكان القيام بهذه المهمّة الخطيرة، المشتملة على أسرار و حِكَم تنبئك عن صُنْع عليمٍ حكيمٍ، و هو وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم[2].

---

١ ـ تفسير «نُوين»: ٤٢٧.

٢ ـ تفسير «نُوين»: ١٩ ـ ٢٠.

و بالفعل نراه اكتشف أسرارًا جديدة أودعها في تفسيره الحديث «نُوين»[1]، من ذلك قوله ـ بشأن سورة النّاس ـ : ليس في القرآن سورة هي أمسّ بموضعها الخاصّ من هذه السّورة بالذّات، صورةً و معنًى، أمّا الصّورة فلسلاستها على اللّسان و لاسيّما على النّاشئين. وأمّا المعنى فلأنّه كما ينبغي الاستعاذة بالله من شرّ الشّيطان عند تلاوة القرآن و الأخذ بآدابه الكريمة ـ طلبًا للتّوفيق في التّعلّم ـ كذلك ينبغي الاستعاذة بالله من وساوسه بعد الفراغ من القراءة لأجل التّوفيق على العمل به[2].

قلت: ولماذا لم توضع المعوّذتان في فاتحة الكتاب؟ أو لا أقلّ من وضع إحداهما في البدء والأُخرى في الختم؟! و هل ورد في الشّريعة استحباب الاستعاذة بعد الفراغ من قراءة القرآن؟ فيا ترى كيف ابتدعه الأُستاذ شريعتيّ؟! و تخرّصات هذا القبيل كثيرة في كلامه زعمهنّ اكتشافات! (٢: ٢٨٩ـ ٣٣٠)

١ ـ «نُوين»: كلمة فارسيّة ترجمتها «الجديد».

٢ ـ تفسير «نُوين»: ٤٢٧.

الفصل السّابع عشر

نصّ المدرّسيّ (معاصر) في «من هُدى القرآن»

التّدبّر و السّياق القُرآنيّ

للسّياق دَوْرٌ كبيرٌ في بيان الواقع العلميّ للقرآن، و السّبب أنّ القرآن يلاحظ ارتباط آية بأُخرى ملاحظة دقيقة. و لا تتلاحق الآيات و لا الكلمات داخل آية واحدة إلّا بإحدى علاقتين: علاقة علميّة أو تربويّة.

١ ـ العلاقة العلميّة

القرآن يعكّس واقع ارتباط حقيقة بأُخرى فيذكرهما مع بعض، فمثلًا يقول الله سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ اَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[1]. إنّ علاقة الاستغفار من الذّنب بتوحيد الله علاقة واقعيّة تفرضها الحقيقة الرّبّانيّة من جهة، و العبوديّة من جهة ثانية، إذ أنّ العقيدة بأحديّة الله توجب العقيدة بعبوديّة الله، و واضح أنّ العبد يجب أن يخضع لله.

و تمامًا مثل هذه العلاقة موجودة في قوله تعالى: ﴿وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ اِلَّا نُوحِي اِلَيْهِ اَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[2]، فعلاقة عبادة الله بتوحيده أمر واقعيّ من جهة أنّ على العبد مسؤوليّة العبادة لله الواحد.

و كذلك علاقة آيتين ببعضهما في مثل قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي

---

١ ـ محمّد/ ١٩.

٢ ـ الأنبياء/ ٢٥.

الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[1] ، فعلاقة الآية الأولى بالثّانية ناشئة من وجود ارتباط بين صفات المنافقين، فهم من جهة ينمّقون كلامهم، و هم من جهة ثانية يفسدون في الأرض. إنّ القرآن يتحدّث إلينا عن نموذج من النّاس، لذلك يذكر كلّ صفاتهم و لا تنمو صفة فيهم دون وجود أخرى.

إنّ هذه العلاقة نجدها في أواخر الآيات الّتي تنتهي في كثير من الأحيان بذكر صفة أو صفتين لله سبحانه، ترتبط بنوع المضمون المذكور في الآية ، فمثلًا نجد في هذه الآيات الكريمة مدى ارتباط آخر الآية بمضمونها (ارتباطًا واقعيًّا) ؛ يقول الله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[2]، فالوليّ الّذي يُحبّ عباده ينزّل عليهم الغيث، والحميد ينشر عليهم رحمته، فهناك علاقة وثيقة بين الولاية و نزول الغيث و الحمد و نشر الرّحمة.

و كانت العرب ترى وجود هذه العلاقة و تستنبط منها أشياء و أشياء، فمرّة سمع أعرابيّ رجلًا يتلو آية هكذا: (و السّارق و السّارقة فاقطعوا أيديهما جزاءاً بما كسبا نكالًا من الله و الله غفور رحيم)!

فقال له: أخطأت! قال: و كيف؟ قال: إنّ المغفرة و الرّحمة لا تناسبان قطع يد السّارق! فتذكّر الرّجل الآية و قال: ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3]، فقال الأعرابيّ: نعم، بعزّته أخذها وبحكمته قطعها إنّه عرف كيف يجب أن تكون نهاية الآية متناسبة مع بدايتها من ناحية العلاقة الواقعيّة .

٢ـ العلاقة التّربويّة

بما أنّ القرآن كتاب تربيّة، و بما أنّ صفات النّفس ترتبط ببعضها، فإنّ القرآن المجيد يلاحق

١ـ البقرة/ ٢٠٤ـ ٢٠٥.

٢ـ الشّورى/ ٢٨.

٣ـ المائدة/ ٣٨.

النّفس البشريّة بما يصلحها من التّوجيهات، إن طغت ـ إفراطًا صفة عليها، عالجها بحكمة. فإن طغت ـ تفريطًا ـ عالجها بحكمة أُخرى، و لايزال يعدلها حتّى تتحوّل إلى نفس سويّة.

و نستفيد من دراسة علاقة الآيات التّربويّة ببعضها، نستفيد علمًا بخبيئة النّفوس، و معرفة بالقوانين التّربويّة الّتي تتحكّم فيها. وكمثل لهذه العلاقة نذكر قوله سبحانه: ﴿وَاَنْفِقُوا فِى سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِاَيْدِيكُمْ اِلَى التَّهْلُكَةِ وَاَحْسِنُوا اِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] إنّ جُمَل هذه الآية ثلاث: الأُولى في الإنفاق،والثّانية في النّهي عن إلقاء النّفس في التّهلكة،والثّالثة في الإحسان،فما هي علاقتها ببعضها؟

أوّل ما أمر الله بالإنفاق توجّهت النّفوس إليه، فكانت مخافة التّقصير في الإنفاق. فجاءت الجملة الثّانية تنهى عن التّهلكة الّتي تتمّ إذا ترك الإنفاق، و حيث إنّ النّفوس مفطورة على البخل، كان من الضّروريّ ترجيح كفّة الإنفاق، لمقابلة الشّحّ الطّبيعيّ عند البشر، فجاءت الجملة الثّالثة ﴿وَاَحْسِنُوا اِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

و ربّما نستنبط من سياق الآية المباركة أنّ هناك درجتين في الإنفاق: الإنفاق الّذي لولاه يهلك الإنسان و يكون بمثابة الإنفاق على الدّواء، و قد أمر به الجزء الأوّل من الآية، و الإنفاق الإضافيّ الّذي يقوم به المحسنون، وقد أمر به الجزء الثّاني من الآية. (١: ٦٢ـ٦٥)

---

١ ـ البقرة/ ١٩٥.

الفصل الثّامن عشر

نصّ البُستانيّ (معاصر) في «التّفسير البنائيّ للقرآن الكريم»

[وحدة العامّة للسُّوَر القرآنيّة وعلاقاتها]

يُلاحظ أنّ الدّراسات الّتي تناولت القرآن الكريم لم تتوفّر على دراسة سُوَره من حيث العمارة الّتي تنتظم السّورة الكريمة، أي لم تتناول السّورة بصفتها مجموعة من الآيات الّتي ترتبط إحداها مع الأُخرى، مع أنّ المسوّغ لمثل هذه الدّراسة يفرض ضرورته على المعنيين بشؤون القرآن الكريم،نظرًا إلى كون القرآن قد انتظم في (سُوَر)، و لم يكن مجرّد آيات أملتها مناسبات خاصّة، و عندما تنتظم مجموعة من الآيات في سورة خاصّة، فلا بدّ حينئذ من أن تكون لهذه الآيات المجتمعة في سورة دون غيرها من الآيات، لابدّأن تكون لهذه الآيات خصوصيّة من حيث تناسب بعضها مع الآخر، و إلّا لم تكن هناك ضرورة بأن يأمر النّبيّ ﷺ كُتّاب الوحي بأن يضعوا هذه الآية أو تلك في السّورة الفلانيّة أو بجانب الآية الفلانيّة، كلّ ذلك يعني أنّ وضع الآيات في سورة خاصّة و تحديد مكان الآية من السّورة أو الآيات الأُخرى، كلّ ذلك يعني أنّ السّورة هي هيكل أو بناء قد خُطّط له بدقّة و إتقان، و أنّ هذا التّخطيط فلسفته أو نكاته الفكريّة.

و السّرّ في ذلك هو أنّ قراءة النّصّ (أو مواجهة أيّة تجربة) لاتنحصر آثارها على المتلقّي في جزئيّاتها فحسب، بل أنّ الانطباق العامّ أو الأثر العامّ الّذي تتركه القراءة لنصّ له أهمّيّته أيضًا، فكما أنّ البحث العلميّ مثلًا أو الخطبة الجماهيريّة أو التّحليل النّفسيّ يراعي طبيعة

الشّخص و طريقة إدراكه للأمور، و يخضع لقوانين خاصّة في الاستجابة للأشياء مثل إدراكه للمجمل أوّلًا ثمّ للمفصّل أو العكس، و مثل التّدرّج بمشاعره و أفكاره من البسيط إلى المعقّد ... إلخ، كلّ أولئك لها أهميّتها من حيث الهدف الّذي يرسمه النّصّ، فإذا كان هدف هذه السّورة القرآنيّة أو تلك هو تعديل سلوك الإنسان بالنّسبة إلى علاقته مع الآخرين مثلًا، حينئذٍ فإنّ قراءة سورة (كالحُجُرات مثلًا) سوف تترك أثرًا عامًّا بعد الانتهاء من قراءتها بنحو قد لايتحسّسه القارئ، ولكنّ النّصّ نظرًا إلى معرفته بطرائق التّأثير، حينئذٍ فإنّه يسلك أساليب خاصّة من حيث التّقديم و التّأخير لهذه الآية أو تلك أو لهذا الموضوع أو ذاك، و من حيث طرحه وفق أُسلوب الرّغبة أو الرّهبة أو ... إلخ، ليتحقّق من خلال ذلك هدفه الفكريّ في النّصّ.

إنّ هذه الأسباب و غيرها تجعل لمعرفة أو لدراسة السّورة القرآنيّة ــ من حيث كونها عمارة خاصّة ترتبط آياتها و أفكارها و موضوعاتها بعضها مع الآخر ـ أهميّة خاصّة، و من ثمّ فإنّ هذه الأسباب دفعتنا إلى محاولة دراسة القرآن الكريم من خلال العمارات الّتي تنتظم سُوَره. طبيعيًّا أنّ تناول السّورة القرآنيّة الكريمة من حيث عمارتها يتمّ وفق أُسلوبين:

أحدهما ـ الوقوف عند السّمات الفكريّة أو الموضوعيّة الّتي تربط الآيات بعضها مع الآخر.

و الثّاني ـ الوقوف عند السّمات (الفنّيّة) أيضًا، أي ملاحظة مجموع السّورة من حيث بدايتها و وسطها و نهايتها من جانب، ثمّ علاقة كلّ آية بما سبقها و لحقها من جانب ثان، ثمّ (و هذا هو المائز الملحوظ بين الدّراسة الفنّيّة و غيرها) ملاحظة العناصر القصصيّة و اللّفظيّة و الصُّوَريّة و الإيقاعيّة و غيرها من العناصر الّتي تنتظم النّصوص الأدبيّة و تميّزها عن النّصّ العلميّ الصّرف، ملاحظة هذه العناصر و مدى إسهامها في عمليّة الرّبط بين أجزاء السّورة، ثمّ كيفيّة توظيفها من أجل إنارة الفكرة الّتي يتضمّنها النّصّ.

إنّ الدّراسة الّتي توفّرنا عليها تُعني بالسّمات (الفنّيّة) إلى جانب السّمات الفكريّة، حيث

لا ينفصل أحدها عن الآخر، و قد حاولنا ـ ما أمكن ـ أن نبرز (الوحدة العامّة) الّتي تحكم السّورة، حيث يُنظر إليها من زوايا متنوّعة، منها:

١ـ من حيث الموضوعات و الأهداف: فالسُّورة الكريمة تتّخذ أحد الأبنية الآتية من حيث علاقة موضوعاتها بالأفكار المطروحة فيها:

وحدة الفكرة و وحدة الموضوع، وحدة الفكرة و تعدّد الموضوع.

وحدة الموضوع و تعدّد الفكرة، تعدّد الفكرة و تعدّد الموضوع.

٢ـ من حيث الأشكال: تتّخذ السّورة واحدًا من الأبنية التّالية:

البناء الأُفقيّ: و هو أن تبدأ السّورة بموضوع و تختم بالموضوع ذاته عبر سلسلة من الموضوعات المتنوّعة.

البناء الطّوليّ: و هو أن تبدأ السّورة بموضوع تتدرّج في عرضه، بحيث يُختم الموضوع مع نهاية السّورة.

البناء المقطعيّ: وهو أن تطرح السّورة جملة من الموضوعات، تنهي كلّ واحدٍ منها بآية أو أكثر تتكرّر في المقاطع جميعًا، مثل: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[1].

٣ـ من حيث العلاقات: تتّخذ السّورة واحدة من العلاقات الآتية:

السّببيّة: و يُقصد بها أنّ الموضوعات في السّورة يترتّب أحدها على الآخر على نحو (السّببيّة) بحيث يكون الموضوع (سببًا) للاحقه، و (مسبّبًا) عن سابقه.

النّموّ: ويقصد به أنّ الموضوع ينتقل أو يتحوّل أو يتطوّر من مرحلة إلى أُخرى، كما يتنامى النّبات و يقطع مراحل متنوّعة حتّى يصل إلى نهاية نموّه.

التّجانس: و يُقصد به مجانسة كلّ عنصر من عناصر النّصّ مع الآخر، أي مجانسة الموضوعات مع الأفكار بالنّسبة إلى الأدوات الفنّيّة المستخدمة كعنصر القصّة و الصّورة

١ـ الرّحمن/ ١٣.

و الإيقاع، و ... إلخ.

هذه المستويات من (الوحدة) الّتي تنتظم عمارة السّورة الكريمة، حاولنا أن نقف عندها مفصّلًا حسب ما تقتضيه السّورة ذاتها، حيث إنّ كلّ سورة تتّخذ لها شكلًا خاصًّا من العمارة الّتي تتناسب خطوطها مع طبيعة الأفكار الّتي يستهدفها النّصّ.

و هناك مستويات أُخرى من الأبنية الّتي لانجد ضرورة في الإشارة إليها في هذه المقدّمة، بقدر ما يلحظها القارئ في حينه، ويكتشف ما تنطوي عليه من جماليّة وإحكام و إمتاع فنّيٍّ بخاصّة ملاحظة تلك الأساليب الّتي سلكها النّصّ القرآنيّ الكريم في الانتقال من آية إلى أُخرى أو موضوع إلى آخر، أو الأساليب الّتي سلكها في جعل القارئ يكتشف بنفسه كثيرًا من الخطوط الّتي انتظمت عمارة السّورة القرآنيّة الكريمة. (١:٧ـ١٠)

الفصل التّاسع عشر

نصّ الفلّاح (معاصر) في مقدّمة «البرهان في تناسب سُوَر القرآن»[1]

مناسبة آي القرآن و سُوَره

من أجلّ علوم القرآن المناسبة بين الآي و السُّوَر... [ثمّ ذكر معنى المناسبة و مرجعها و أوّل مَنْ أظهر علم المناسبة، كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

و قال ابن الزُّبَير الثّقفيّ في «مقدّمة البرهان»: لم أر في هذا الضّرب الخاصّ... [و ذكر كما تقدّم عنه، فقال:]

و قلّة اعتناء المفسّرين بهذا العلم إنّما يعود أساسًا لدقّته، و لما يستجرّه من التّكلّف فيما خفي من بعض وجوه المناسبة بين الآي أو السُّوَر، و من الّذين اعتنوا به ابن العربيّ... [و ذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ، ثمّ ذكر قول الرّازيّ، كما تقدّم عن البِقاعيّ، فقال:]

ومن أشهر الّذين أفردوه بالتّأليف ... [وذكر كما تقدّم عن السّيوطيّ، فقال:]

والنّاس إزاء علم المناسبة بين منتصر له غلًا[2] في تكلّف المناسبة حتّى فيما لا مناسبة فيه، حجّته في ذلك أنّ ترتيب القرآن في آياته و سُوَره توقيفيّ و لايخلو ذلك من أسرار من أجلّها الإعجاز بالنّظم، فطفق يثبت ذلك بكلّ الوسائل، و بين مقصّر أغفل التّنبيه حتّى إلى ما وضحت و ظهرت مناسبته، مستنده أنّ آي القرآن و سُوَره على حسب الوقائع المتفرّقة

١ـ مؤلّفه هو احمد بن إبراهيم بن الزُّبَير الثّقفيّ (٦٢٧ ـ ٧٠٨ هـ). (م)

٢ ـ غلًا، أي بالغ و تجاوز الحدّ.

و الأزمان المتباعدة، و من التّكلّف المناسبة بينها، و بين معتدل توسّط في ذلك، و نبّه إلى المناسبة في مواطن ظهورها، و رغب عن التّكلّف فيما لا سبيل فيه إلى المقاربة، و دليله في ذلك أنّ المناسبة بين الآيات و السُّوَر ـ و إن سلّمنا بوجودها ـ فهي متردّدة بين الظّهور و الخفاء، فلا داعي إلى ركوب متن التّكلّف و التّمحّل فيما خفي منها ... [و ذكر قول المَلَويّ، كما تقدّم عن الزّركشيّ،و قول الرّازيّ كما تقدّم عن البِقاعيّ،فقال:].

و درءًا للخلاف و إبعادًا للتّكلّف المقيت في المناسبة، عمل بعض العلماء على التّنبيه إلى بعض الضّوابط الّتي ينبغي أن تلتزم في القول بها، كوحدة الموضوع،و وجود رابط من الرّوابط، عامّ أو خاصّ، عقليّ أو حسّيّ أو خياليّ، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التّلازم الذّهنيّ كالسّبب و المسبّب، و العلّة و المعلول، و التّضاد، والتّنظير والاستطراد، والتّخلّص... [ثمّ ذكر قول ابن عبد السّلام، و قول بعض المتأخّرين كما تقدّم عن الزّركشيّ و السّيوطيّ، ثمّ قال:]

فمعيار الطّبع و التّكلّف في إثبات المناسبة بين الآي و السُّوَر إنّما يعود أساسًا إلى مدى التّماثل و التّقارب، أو البُعْد و التّنافر بين الموضوعات، فإن تماثلت و تقاربت، و ارتبطت الأوائل بالأواخر، فالتّناسب معقول مقبول، و إن تنافرت و تباعدت فلا سبيل إلى القول بالتّناسب، و إلّا كان التّكلّف و التّمحّل و الإغراب، و صدق من قال: المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقّته بالقبول[1].

إنّ وجه المناسبة بين الآيات و السُّوَر يخفى تارةً و يظهر أُخرى، و أنّ فُرَص خفائه تقلّ بين الآيات، و فُرَص ظهوره تندر بين السُّوَر، ذلك لأنّ الكلام قلّما يتمّ بآية واحدة، فتتعاقب الآيات في الموضوع الواحد، و لأنّ السّورة ـ كما يدلّ عليه اسمها ـ غالبًا ما تكون مكتملة محيطة بموضوعها، و ليس بالضّرورة أن يكون تشوّف بينها و بين سابقتها و لاحقتها، و لا أن

---

١ ـ البرهان للزّركشيّ ١: ٣٥.

تكون وحدتها الموضوعيّة هي الوحدة الموضوعيّة عينها في السُّوَر جميعها، حتّى و إن سلّمنا بالتّوقيف في ترتيبها.

و لكلّ ما تقدّم كَثُر اشتغال المفسّرين بالمناسبة بين الآيات، و ندر وقوفهم على ما بين السُّوَر، قال ابن الزُّبَير الثّقفيّ: بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات... [و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

و من العلماء من لم يخفِ تحفّظه إزاء المناسبة بين السُّوَر، و لم يتردّد في إظهار تخوّفه من ركوب بعضهم متن التّكلّف و الإغراب، يقول الدّكتور صبحيّ الصّالح: و الحقّ أنّ الّذي ينبغي التّنقيب عنه... [و ذكر كما تقدّم عنه، فقال:]

و يقول في موضع آخر[1]: و ما نظنّ احتفال المفسّرين قليلًا بهذا النّوع لدقّته و حسب، بل لقلّة جدواه و كثرة التّكلّف فيه.

و كيفما تكن مواقف العلماء من المناسبة بين الآي و السُّوَر، و مهما يتّسم به توجيههم للمناسبة من طبعٍ أو تكلّفٍ، فإنّ ما قاموا به قد أثمر فوائد جمّة، فقد ساعد على إبراز ما بين أجزاء القرآن من لحمة متينة، فإنّ بعضه آخذ بأعناق بعض في تأليف محكم، حاله حال البناء المتين، المتلائم الأجزاء، و كالكلمة الواحدة متّسق المعاني منتظم المباني، و من محاسن الكلام عند الأئمّة أن يرتبط بعضه ببعضٍ.

كما أعان على الكشف عن جانب من جوانب الإعجاز القرآنيّ، فالمتأمّل في لطائف نظم سُوَر الكتاب و في بدائع ترتيبها ـ رغم تنجيمها على نيّف و عشرين سنة ـ يتبيّن أنّ القرآن مصدره الحكيم الخبير، و أنّه إلى جانب إعجازه من ناحية فصاحة ألفاظه و شرف معانيه معجز من جهة ترتيبه و نظم آياته و سُوَره، و لعلّ الّذين قالوا: إنّه معجز بسبب أُسلوبه، أرادوا ذلك.

و أنّ لنا في مناسبات ابن الزُّبَير أقوى دليل على ما قلنا، فقد أبانت من جهة لطائف

---

١ ـ مباحث في علوم القرآن لصبحيّ الصّالح: ٥٦.

وأسرار القرآن المودعة في التّرتيبات و الرّوابط، و أثبتت من جهة أُخرى أنّ هذا الكتاب لاتنتهي عجائبه، يُفرّق على نيّف و عشرين سنة و على موضوعات عديدة، متقاربة حينًا ومتباينة أحيانًا، فيأتي سبيكة واحدة متناسج الآيات، متناسب السُّوَر: ﴿كِتَابٌ اُحْكِمَتْ اٰيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[1]، ﴿وَلَوْكَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[2].

إنّ فضيلة هذا العلم لم تقف عند هذا، بل تجاوزته إلى تسديد الفهوم بتجلية المفهوم، فالمناسبة لاتقلّ أهمّيّته عن السّبب في الإعانة على فهم المعنى و تبيّن حدود الأحكام، و لئن جرت عادة المفسّرين البداءة بذكر سبب النّزول، فإنّهم يقدّمون أحيانًا ذكر المناسبة كلّما رأوا فيها المصحّح الحقيقيّ و الّذي لا غنى عنه، لنظم الكلام و إجلاء المعنى، يقول الزّركشيّ: إذا كان وجه المناسبة لايتوقّف على سبب النّزول، فالأولى تقديم وجه المناسبة[3]، من ذلك أنّ قوله تعالى في سورة النّساء: ﴿اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذينَ اُوتُوا نَصيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذينَ كَفَرُوا هٰؤُلَاءِ اَهْدٰى مِنَ الَّذينَ اٰمَنُوا سَبيلًا﴾[4]، قد نزل في كعب بن الأشرف، و كان من أهل الكتاب، قدم مكّة و شاهد قتل بدر، و حرّض الكُفّار على الأخذ بثأرهم و قتال النّبيّ ﷺ فسألوه: من أهدى سبيلًا؟ المؤمنون أم هم؟ فتملّق عواطفهم وقال: بل أنتم أهدى من المؤمنين سبيلًا، و بعد أن تتعاقب الآيات في حقّ هذا الرّجل و حقّ من شاركه في مقالته من أهل الكتاب، يتحوّل السّياق القرآنيّ إلى آية جديدة موضوعها أداء الأمانات إلى أهلها، يقول تعالى: ﴿اِنَّ اللهَ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تُؤَدُّوا الْاَمَانَاتِ اِلٰى اَهْلِهَا﴾[5]، ويذكر المفسّرون أنّ هذه الآية نزلت في عُثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدريّ حاجب الكعبة، لمّا

١ـ هود/ ١.

٢ـ النّساء/ ٨٢.

٣ـ البرهان ١: ٣٤.

٤ـ النّساء/ ٥١.

٥ـ النّساء/ ٥٨.

أخذ منه رسول الله ﷺ مفتاح البيت يوم الفتح ثمّ ردّه عليه[١]،و بين الآية الأُولى الّتي نزلت عقب بدر و الثّانية الّتي نزلت عند الفتح ستّ سنوات،فلِمَ قرنتا؟و لِمَ أُعقب هذا الموضوع بذلك رغم البُعْد الزّمنيّ؟

يجد العلماء بين هذين المقطعين رابطًا مشتركًا رغم السّنوات السّتّ الّتي تفصل بينهما، لأنّ الزّمان إنّما يشترط في سبب النّزول و لايشترط في المناسبة، إذ المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها[٢]، فيجعلون منهما موضوعًا واحدًا، محكم البناء متلاحم الأجزاء، آخذاً بعضه برِقاب بعضٍ، معوّلين على المناسبة، و غير حافلين بالسّبب، فيقولون: إنّ الّذين تملّقوا عواطف المشركين و قالوا لهم: أنتم أهدى من الّذين آمنوا سبيلًا، هم أهل كتاب يجدون عندهم في كتابهم بعث النّبيّ و صفته، و قد أخذت عليهم المواثيق ألّا يكتموا تلك الأمانة، فخانوها و لم يؤدّوها، وكانت حالهم في الخيانة كحال الّذين يحملون الأمانات ثمّ لايحملونها، و ناسب أن يدّعوا و يدّعي معهم كلّ إنسان إلى استشعار معنى الأمانة في كلّ ما كان عنه مسؤولًا.

قال ابن العربيّ:وجه النّظم أنّه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمّدﷺ، و قولهم: «إنّ المشركين أهدى سبيلًا، فكان ذلك خيانة منهم، فانجرّ الكلام إلى ذكر جميع الأمانات»[٣].

ثمّ إنّ المناسبة، و إن تقدّمت أحيانًا على سبب النّزول، و كانت أقرب إلى ترابط المعنى واكتماله، فإنّها كثيرًا ما يُشكل وجهها و يتوقّف فهمها على معرفة السّبب، ولعلّ هذا ما يعنيه مسلك المحقّقين في إيجاب البدء بذكر سبب النّزول، يقول الزّركشيّ: إذا كان وجه المناسبة متوقّفًا على سبب النّزول ... فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السّبب، لأنّه حينئذٍ من باب تقديم

١ـ انظر: تفسير الطّبريّ ٥: ٩١ـ٩٢، و تفسير ابن كثير ١: ٥١٥.

٢ـ البرهان للزّركشيّ ١: ٢٦.

٣ـ نفس المصدر.

الوسائل على المقاصد[1].

و الّذي نخلص إليه أنّ المحقّقين، و إن ذهبوا مرّةً إلى تقديم السّبب حين لا تتّضح المناسبة إلّا به، و ذهبوا أُخرى إلى تقديم المناسبة حين لا يتوقّف وجهها على سبب النّزول، فإنّهم التزموا بهذا و بذاك و جمعوا في تفسير كتاب الله بين السّبب التّاريخيّ و السّياق الأدبيّ، فما أغفلوا حقائق التّاريخ في اشتراط الزّمان لمعرفة سبب النّزول، و لا أغفلوا التّناسق الفنّيّ حين أقصوا فكرة الزّمان لمراعاة السّياق، وما أكثر الآيات الّتي نزلت على الأسباب الخاصّة، و وضعت مع ما يناسبها من الآي رعايةً لنظم القرآن و حُسْن السّياق! و ما أكثر السُّوَر الّتي تأخّر نزولها و تقدّم ترتيبها، و العكس، مراعاة لوجوه المناسبة!

هذه بعض ملامح عن علم المناسبة رأيت من الصّالح التّمهيد بها لمناسبات ابن الزُّبَير، علّها تعطي فكرة عن هذا العلم الجليل الّذي قلّ فيه التّصنيف عامّة، ندر منه المطبوع خاصّة.

(٦٢ـ٦٩)

---

١ ـ البرهان ١: ٣٤.

الفصل العشرون

نصّ بازمول (معاصر) في «علم المناسبات في السُّوَر و الآيات»

علم المناسبات في السُّوَر و الآيات

تشتمل هذه الدّراسة على بيان الأُمور التّالية:

١ـ بداية علم المناسبات

٢ـ تعريف علم المناسبات

٣ـ علم المناسبات توقيفيّ

٤ـ حكم تطلّب المناسبات

٥ـ فضل علم المناسبات

٦ـ مسائل و تنبيهات

٧ـ أهمّ المصنّفات في هذا العلم

١ـ بداية علم المناسبات

إذا عُلِم أنّ ترتيب سُوَر القرآن العظيم و ترتيب آياته إنّما كان بتوقيف من الله اللّطيف الحكيم الخبير، إذا عُلِم ذلك فإنّنا يقينًا نعلم أنّ الله عَزَّ وجَلَّ ما قدّم هذه السّورة على تلك، و ما استفتح بهذه الآية هذه السّورة، و ما ختم تلك السّورة بكذا إلّا لمناسبة، قد تظهر حتّى يعلمها المتدبّر لكتاب الله تبارك و تعالى، و قد تدقّ حتّى لاتكاد تعلم، أو لاتعلم على وجه اليقين أصلًا .

و قد تتلمّس تأييد ذلك، أعني مراعاة مناسبات القرآن في سُوَره و آياتـه، فيمـا ورد عـن جابر ﷺ ... [و ذكر هذه الرّواية و إن شئت فراجع، فقال:]

و الشّاهد في الحديث قوله في الحديث: «فَلَمَّا دَنا مِن الصَّفَا قَرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَـرْوَةَ مِـنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾[1]، أَبْدأُ بِمَا بَدأَ اللهُ بِهِ، فَبَدأَ بالصَّفَا»[2].

فالرّسول ﷺ بدأ بالصّفا لمـّا بدأ الله بها في الآية، و قال: «أبدأ بما بـدأ بـه الله»، فراعـى ﷺ مناسبة البدء بذكر الصّفا في الآية، فبدأ بها في السّعي.

و ممّا يتضمّن إشـارة إلى المناسـبات في القـرآن مـا جـاء عـن عُبـادة بـن الـصّامت أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[3].

ففي هذا الحديث الشّريف بيان مناسبة وعلاقة الفاتحة بالقرآن العظيم، فهي فاتحته، و هي أمّه ... [ثمّ ذكر ذلك الحديث، و إن شئت فراجع، فقال:]

و قد قيل: سُمّيت أمّ القرآن لاشتمالها على المعاني الّتي في القرآن، من الثّناء على الله تعالى و التّعبّد بالأمر و النّهي و الوعد و الوعيد، و على ما فيها من ذكر الذّات و الصّفات و الفعـل، و اشتمالها على ذكر المبدأ و المعاد و المعاش[4].

و هذا النّوع من المناسبات يعرف بمناسبة اسم السّورة لمضمونها، و مقصودها. فبداية علم المناسبات و الإشارة إليه تتلمّس في أحاديث الرّسول ﷺ، بل أنّ الأعرابيّ بـسليقته و فطرتـه يستشعر المناسبات في القرآن العظيم؛ قال الأصمعيّ: «كنت أقرأ سورة المائدة و معي أعرابيّ،

---

١ ـ البقرة/ ١٥٨.

٢ ـ حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحجّ، باب حجّة النّبيّ، حديث رقم ١٢١٨.

٣ ـ حديث صحيح أخرجه البخاريّ في كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام و المأموم في الصّلوات كلّها، حديث رقم (٧٥٦)، و مسلم في كتاب الصّلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كلّ ركعة، حديث رقم (٣٩٤).

٤ ـ فتح الباري ٨: ١٥٦.

فقرأت هذه الآية: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ ...﴾[1] فقلت: «و الله غفور رحيم» سهوًا، ثمّ تنبّهت فقلت: ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال: الآن أصبت! فقلت كيف عرفت؟ قال: يا هذا عزيز حكيم، فأمر بالقطع، فلو غفر و رحم لما أمر بالقطع»[2].

و حُكي أنّ أعرابيًّا سمع قارئًا يقرأ: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ...﴾ «غفور رحيم»، و لم يكن يقرأ القرآن، فقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، و مرّ بهما رجل فقال: كيف تقرأ هذه الآية؟ فقال الرّجل: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال: هكذا ينبغي، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزّلل؛ لأنّه إغراء عليه[3].

و تعرف هذه المناسبات بمناسبة ختم الآية بأسماء الله الحسنى. فالكلام عن المناسبات في البداية كان موجودًا بصورة متناثرة في ثنايا الحديث و التّفسير عمومًا، و لكنّه لمّا يأخذ بعد في تلك المرحلة هيئة جامعة، واضحة المعالم.

و في مرحلة تالية نجد الكلام عن المناسبات أخذ صورة واضحة المعالم، و لكن لم يدوّن تدوينًا جامعًا مستقلًّا، وهذه المرحلة تظهر في كلام بعض العلماء، من ذلك ... [ثمّ ذكر قول ابن العربيّ و أبي الحسن الشّهرابانيّ، كما تقدّم عن الزّركشيّ، فقال:]

و الحال في هذه المرحلة الّتي لم تظهر فيها كُتُب جامعة في المناسبات، سوى شذرات متفرّقة هنا، و هناك... [ثمّ ذكر قول الرّازيّ، كما تقدّم عن البقائيّ، فقال:]

و تأتي بعد هذه المرحلة الثّالثة، حيث أخذ هذا العلم صورة مستقلّة جامعة، و ظهرت كُتُب تفسير تعتني بإبراز المناسبات في جميع سُوَر القرآن العظيم. و لعلّ كتاب «التّفسير الكبير» للرّازيّ يمثّل بداية هذه المرحلة، ثمّ بعده توالت المؤلّفات، فمن ذلك: كتاب «مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل»، لأبي الحسن عليّ بن أحمد الحَرالّيّ (ت ٦٣٧ هـ). و قد أكثر

١ـ المائدة/٣٨.

٢ـ تفسير الرّازيّ ١١: ٢٢٩.

٣ـ الإتقان ٣: ٣٠٣.

البِقاعيّ من النّقل عنه، و ذلك في كتابه «نظم الدُّرَر»؛ يقول البِقاعيّ واصفًا هذا التّفسير: «و انتفعت في هذا الكتاب ...» [و ذكر كما تقدّم عنه، فقال:]

و كتاب «التّحرير والتّحبير لأقوال أئمّة التّفسير في معاني كلام السّميع البصير» المعروف بـ «تفسير ابن النّقيب»، و مصنّفه أبوعبدالله محمّد بن سليمان المقدسيّ الحنفيّ المعروف بـ «ابن النّقيب(ت٦٩٨هـ)» ... [ثمّ ذكر قول البِقاعيّ في وصفه، كما تقدّم عنه]، وكتاب «البرهان في ترتيب سُوَر القرآن» لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير الأنْدَلُسيّ (ت ٧٠٨هـ). و قد ذكر البِقاعيّ ﷺ هذا الكتاب و قال عنه: «و هو لبيان مناسبة تعقيب السّورة بالسّورة فقط، لا يتعرّض فيه للآيات»[1] ... [إلى أن قال:]، ثمّ توالت بعد ذلك المؤلّفات. هذا ما يتعلّق ببداية هذا العلم.

٢ـ تعريف علم المناسبات

... ويقصد بالأُصول الكلّيّة: الأُمور العامّة الّتي يرجع إليها هذا العلم، كقولهم: الأصل أنّ ترتيب سُوَر القرآن العظيم وآياته توقيفيّ.

الأصل أنّه لم يقدّم هذا على هذا، أو لم يأت هذا كذا إلّا لحكمة و سرّ.

الأصل أنّ الرّابط إمّا أن يكون لفظيًّا أو معنويًّا.

الأصل أنّ طلب المناسبة توقيفيّ.

الأصل أنّ مقاصد القرآن ثلاثة: تقرير التّوحيد و العقيدة، و تقرير الأحكام و الحلال و الحرام، و تقرير قصص السّابقين.

و يقصد بالمسائل: الأُمور الجزئيّة المتعلّقة ببيان الرّابط في موضع ما: والعلل هي المعاني الّتي تصلح أن تكون رابطة بين الآية و الآية، و السّورة و السّورة.

و قد تضمّن هذا التّعريف الإشارة إلى أنواع المناسبات، و هي التّالية:

١ـ نظم الدُّرَر ١: ٥.

القسم الأوّل ـ المناسبات الدّاخليّة، و هي الأنواع التّالية:

الأوّل ـ مناسبات ترتيب آيات السّورة الواحدة ،واعتلاق بعضها ببعض، و ارتباطها و تلاحمها و تناسقها .

الثّاني ـ مناسبة مطلع السّورة للمقصد الّذي سيقت له، و ذلك براعة الاستهلال .

الثّالث ـ مناسبة ختام السّورة لمطلعها.

الرّابع ـ مناسبة فواصل الآي للآية الّتي ختمت بها، و منه مناسبة أسماء الله الحسنى للآية الّتي ختمت بها .

القسم الثّاني ـ المناسبات الخارجيّة، و هي الأنواع التّالية:

الأوّل ـ مناسبة السّورة لما قبلها و لما بعدها.

الثّاني ـ مناسبة ختام السّورة لمطلع السّورة التّالية لها.

الثّالث ـ مناسبة مطلع السّورة لمطلع السّورة الّتي تليها.

و هناك نوع يدخل في القسمين، فلاينظر فيه إلى سورة بمفردها مع سورة أُخرى، و لا إلى آية بمفردها مع آية أُخرى، و هو مناسبة موضوع مجموعة من السُّوَر لمجموعة من السُّوَر أو لسورة و مناسبة موضوع مقطع من الآيات في السّورة لمقطع آخر.

فمثلًا الفاتحة أُمّ الكتاب؛ لأنّه يُبدأ بكتابتها في المصاحف و بقراءتها في الصّلاة قبل السّورة، و لأنّ الأُمّ مبدأ الولد، أو لأنّ الفاتحة أصل القرآن، لانطوائها على جميع أغراض القرآن العظيم و ما فيه من العلوم و الحِكَم؛ لأنّ أُمّ الشّيء أصله[1].

و هذا التّقرير فيه إشارة إلى معنًى يربط بين الفاتحة و سائر سُوَر القرآن العظيم، فمنهامناسبة سورة لمجموع سُوَر القرآن.

مثال آخر: ما جاء عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا المنذر أتدري أيّ آية من

١ ـ فتح الباري ٨: ١٥٦.

كتاب الله معك أعظم؟قال قلت: الله و رسوله أعلم!قال: يا أبا المنذر أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟قال: قلت: ﴿اَللّٰهُ لَا إِلٰـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، قال: فضرب في صدري و قال: و الله لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر[1].فهذا الحديث فيه بيان معنًى يربط بين آية واحدة و سائر آي القرآن العظيم.

مثال آخر:الآيات من آية رقم (١)، إلى الآية رقم (٢٠) من سورة البقرة تعتبر المقدّمة بالنّسبة إلى محتوى السّورة، حيث وصف القرآن بما هو أهله، و وصف متّبعيه و مخالفيه كلًّا بما يستحقّه.

ثمّ يأت المقصد الأوّل من آية رقم (٢١ـ ٢٥) في دعوة النّاس كافّة إلى الإسلام.

ثمّ يأت المقصد الثّاني من آية رقم (٤٠ ـ ١٦٢) في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصّة إلى ترك باطلهم و الدّخول في هذا الدّين الحقّ.

ثمّ يأت المقصد الثّالث من آية رقم (١٧٨ـ ٢٨٣) في عرض شرائع هذا الدّين تفصيلًا.

ثم يأت المقصد الرّابع في آية واحدة و هي رقم (٢٨٤) في ذكر الوازع و النّازع الدّينيّ الّذي يبعث على ملازمة تلك الشّرائع و يعصم عن مخالفتها.

ثمّ تأت الخاتمة في آيتين اثنتين هما رقم (٢٨٥ـ٢٨٦) في التّعريف بالّذين استجابوا هذه الدّعوة الشّاملة لتلك المقاصد، وبيان ما يرجى لهم في عاجلهم و آجلهم.

أمّا الآيات من (٢٦ـ ٣٩) الواقعة بين المقصد الأوّل و الثّاني، فقد كان الحديث فيها عودًا على بدء. والآيات من(١٦٣ـ ١٧٧)كانت مدخلًا للمقصد الثّالث.

ها أنت ترى مدى التّناسب بين مقاطع أطول سورة في القرآن العظيم[2]، فهنا مناسبة بين مجموعة آيات و مجموعه أخرى داخل سورة واحدة.

---

١ ـ حديث صحيح أخرجه مسلم في كتاب «صلاة المسافرين و قصرها»، باب فضل سورة الكهف و آية الكرسيّ، حديث رقم(٨١٠).

٢ ـ و قد فصّل في بيان ذلك و تقريره صاحب كتاب«النّبأ العظيم»: ١٦٣ـ ٢١١.

٣ـ علم المناسبات توقيفيّ

لعلّك و قد وصل بك الحديث إلى هذا الحدّ قد أدركت أنّ هذا العلم ليس توقيفيًّا، بل يعتمد على اجتهاد المفسّر،ومبلغ درايته بعلوم العربيّةوالبلاغة والشّريعة،وتذوّقه للأساليب و أوجه بيانها،ومبلغ رهافة حسّه لإعجاز القرآن و أسراره في النّظم واللّفظ والمعنى [١].و ما دام الحال كذلك فما حكم تطلّب المناسبات في السُّوَر و الآيات؟ هذا يقودنا إلى القضيّة التّالية:

٤ـ حكم تطلّب المناسبات بين السُّوَر و الآيات

لمّا لم يكن علم المناسبات توقيفيًّا، و كان مرجعه إلى اجتهاد المفسّر، فقد اختلف العلماء (رحمهم الله) في حكم تطلّب المناسبات في القرآن العظيم.

فذهب بعضهم إلى أنّه لايجوز تطلّب المناسبات في القرآن العظيم؛ لأنّه من التّقوّل على الله بغير علم، و لأنّ الآيات كانت تتنزّل بحسب الوقائع في نيّف و عشرين سنة في أحكام مختلفة، و وقائع متعدّدة، و ما كان كذلك لايتأتّى ربط بعضه ببعض. و ممّن ذهب هذا المذهب عبدالعزيز بن عبدالسّلام [٢] و الشّوكانيّ [٣]،بل ذهب أبوالعلاء محمّد بن غانم إلى أنّ الاقتضاب هو الأصل في القرآن كلّه [و أنّ القرآن إنّما ورد على الاقتضاب الّذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم] [٤]. وذهب آخرون إلى جواز تطلّب المناسبات في سُوَر القرآن العظيم وآياته إلى درجة التّكلّف و الرّجم بالغيب، دون ضابط أو قيد، و كلا طرفي الأُمور ذميم.

١ـ مباحث في علوم القرآن لمنّاع القطّان: ٩٨.

٢ـ البرهان في علوم القرآن ١: ٣٧.

٣ـ فتح القدير الجامع بين علمي الرّواية و الدّراية في التّفسير ١: ٧٢.

٤ـ الفوائد المشوّق: ١٤١، الإتقان ٣: ٣٢٦. وقد ذُكِر في معجم البلاغة العربيّة: ٥٤٦ـ ٥٤٨ أنّ من البلاغيّين من ذهب إلى أنّ الاقتضاب موجود في مواضع من القرآن العظيم، و لكنّهم لم يقولوا كأبي المُطَرّف أنّه هو الأصل في أسلوب القرآن العظيم و نظمه. و مرادهم بالاقتضاب الانتقال من كلام غيره بدون ملاءمة و لا مناسبة بين الكلامين،مأخوذ من قضب بمعنى قطع و يكون الانتقال من باب حسن التّخلّص و نحوه.

و نوقش القائلون بأنّه لايجوز تطلّب المناسبات، بما يلي:

أنّ قولهم: إنّ القرآن لم ينزل على هذا التّرتيب حقّ! و لكن لايلزم من ذلك أن لايكون ترتيبه في المُصْحَف في سُوَره و آياته اجتهاديّ، بل هو في آياته ترتيب توقيفيّ إجماعًا، فترتيب الآيات داخل كلّ سورة بتوقيف من الرّسول ﷺ إجماعًا. أمّا ترتيب سُوَره فإنّه بتوقيف على الصّحيح، وإذا كان الحال كذلك فإنّ طلب المناسبة لايتعارض مع كونه نزل منجّمًا على غير ترتيب المُصْحَف.

و وجود آيات لايظهر فيها وجه قريب للرّبط بين السُّوَر و الآيات، لايعني بطلان تطلّب المناسبات من أصله، و كذا وجود تكلّفات من بعضهم في تقرير المناسبة، إنّما تكون سببًا لردّ قولهم، لا لردّ علم المناسبات من أصله، علمًا بأنّه ليس من شرط المناسبة أن تكون ظاهرة بحيث يعلمها كلّ أحد، و ليس من شرطها أن تكون الآيات متّحدات أو متماثلات أو متداخلات أو ما أشبه ذلك، بل قد تكون كذلك، و قد تكون بأمر آخر غير هذا ... [ثمّ ذكر قول المَلَويّ، كما تقدّم عن الزّركشيّ].

و نوقش المتكلّفون في تطلّب المناسبات[1] بما يلي:

هؤلاء ظنّوا أنّ المناسبة بين الآية و الآية تعني اتّحادهما أو تماثلهما أو تداخلهما أو ما إلى ذلك من الصّلات الجنسيّة...[و ذكر كما تقدّم عن الدّرّاز، فقال:]

و الصّواب ـ إن شاء الله تعالى ـ بعد هذه المناقشة لمذهب المانعين و المطلقين القول بالجواز إلى حدّ التّكلّف: جواز طلب المناسبات بين السُّوَر و الآيات و أنّه علم حسن، و لكن بالشّروط التّالية:

شروط جواز طلب المناسبات في القرآن العظيم:

١ـ أن تكون المناسبة منسجمة مع السّياق و السّباق و اللّحاق.

---

١ ـ مستفادة جميعها مع تصرّف من كتاب النّبأ العظيم: ١٦٠ـ ١٦٣.

٢ـ أن لاتكون المناسبة متعارضة مع الشّرع.

٣ـ أن تكون متوافقة مع تفسير الآية، غير مخالفة له مخالفة تضادّ.

٤ـ أن لاتكون المناسبة متعارضة مع اللّسان العربيّ المبين الّذي نزل به القرآن العظيم.

٥ـ أن لايجزم المفسّر بأنّ هذه المناسبة هي مراد الله تعالى، غاية الأمر أنّ هذا ما أدّاه إليه اجتهاده و نظره و تدبّره.

٦ـ أن يعلم أنّ المناسبة موجودة، و لايلزم أن تكون ظاهرة في كلّ موضع لكلّ أحد.

و على الجملة فإنّه يشترط لجواز طلب المناسبات ما يشترط في قبول التّفسير بالرّ أي؛ إذ هي مرتبطة ارتباط وثيق به، و الله أعلم.

٥ـ فضل علم المناسبات

لعلّ ممّا يؤكّد جواز تطلّب المناسبات في القرآن العظيم الوقوف على فضله و أهمّيّته، و يمكن إيراد ذلك على وجه الاختصار في النّقاط التّالية:

١ـ أنّ في هذا العلم إبراز لجانب من أسرار القرآن العظيم و صُوَره من إعجازه ... [وذكر قول الرّازيّ، كما تقدّم عن البِقاعيّ، ثمّ قال:]

وقال الأصبهانيّ (ت ٧٤٩ هـ): «إنّ القرآن معجز، و الرّكن الأبين للإعجاز يتعلّق بالنّظم و التّرتيب»[١] ...[ثمّ ذكر قول المَلَويّ كما تقدّم عن الزّركشيّ، وقول البِقاعيّ في رسوخ هذا العلم في القلب و كشف طُرُق الإعجاز، كما تقدّم عنه].

٢ـ أنّ في هذا العلم آية من آيات صدق المصطفى (صلوات الله و سلامه عليه و على آله) و أنّ هذا القرآن كتاب الله من لدن لطيف حكيم خبير[٢]؛ إذ من المعلوم أنّ القرآن العظيم كان ينزّل منجّمًا مفرّقًا على مدى ثلاث و عشرين سنة، و قد تلقّى الصّحابة عن رسول الله ﷺ

١ـ نظم الدُّرَر ١: ١٩.

٢ـ تفسير القرطبيّ ١: ٧٥.

ترتيب آيات القرآن العظيم و سُوَره، و معلوم أنّ هذا التّرتيب الحاصل بين سُوَر القرآن العظيم و آياته، ليس في مقدور بشر، مهما كان عقله، و مهما بلغت فصاحته و بيانه، فكان في ذلك آية على ثبوت نبوّة النّبيّ ﷺ[١].

٣ـ أنّ في إظهار المناسبات في السُّوَر و الآيات ما يساعد على فهم النّصّ القرآنيّ و يبيّن معناه. قال الزّركشيّ رحمه الله: «اعلم أنّ المناسبة علم شريف ... [و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ ذكر قول البِقاعيّ في تعريف هذا العلم كما تقدّم عنه].

٤ـ أنّ طلب المناسبات إعانة على الحفظ، و امتثال لأمر الله عزَّ و جَلَّ، حيث قال تبارك و تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٢]، و قال تبارك و تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٣].

٥ـ أنّ طلب المناسبات فيه تحصيل الأجر و الثّواب من الله عزَّ و جَلَّ، إذا تحصل فيه قراءة القرآن العظيم، فيحصل أجر قراءة القرآن العظيم. عن عبدالله بن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، و الحسنة بعشر أمثالها، لاأقول: الٓمٓ حرفٌ، ولكن ألف حرفٌ و لام حرفٌ و ميم حرفٌ»[٤].

٦ـ مسائل و تنبيهات

أورد هنا جملة من المسائل و التّنبيهات المتمّمة للتّعريف بمبادئ علم المناسبات،

---

١ ـ النّبأ العظيم: ١٤٢ـ ١٥٧.

٢ ـ ص / ٢٩.

٣ ـ محمّد / ٢٤.

٤ ـ أخرجه التّرمذيّ في كتاب فضائل القرآن، باب فيمن قرأ حرفًا من القرآن، حديث رقم (٣٠٨٧)، و أخرجه الدّارميّ موقوفًا على عبدالله بن مسعود في كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، حديث رقم (٣٣٠٨). و الحديث قال عنه التّرمذيّ: «حسن صحيح غريب من هذا الوجه»، و صحّحه محقّق جامع الأصول ٨: ٤٩٨، و الألبانيّ في صحيح سنن التّرمذيّ ٣: ٩، تحت رقم ٢٣٢٧.

و هي التّالية:

مسألة: المناسبات تتعلّق بالسُّورة؟ و ما هي الآية؟ السّورة: هي الطّائفة من الآيات المترجمة توقيفيًّا. ويقصد بـ «المترجمة توقيفيًّا» أي المسمّاة باسم خاصّ بتوقيفٍ من النّبيّ ﷺ. والآية: هي العلامة الّتي يعرف بها تمام ما قبلها و ابتداؤها توقيفيًّا.

مسألة: ما الطّريقة الرّشيدة لمعرفة المناسبة؟

إنّ السّياسة الرّشيدة في دراسة النّسق القرآنيّ تقتضي أن تعرض السّورة ... [و ذكر كما تقدّم عن الدّرّاز، ثمّ قال:] و هذا ما يسمّى الآن بـ «الوحدة الموضوعيّة» للسّورة.

قال محمّد بن أحمد الملَوّي: «الّذي ينبغي في كلّ آية ... [وذكر كما تقدّم عن الزّركشيّ، ثمّ ذكر قول البجائيّ المالكيّ كما تقدّم عن البِقاعيّ، فقال:]

قال البِقاعيّ ﵀ متحدّثًا عن المناسبات في القرآن العظيم: «و تتوقّف الإجادة فيه على معرفة مقصود السّورة المطلوب ذلك فيها، و يفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جُمَلها» [1].

مسألة: ما أحوال ارتباط الآي بعضها ببعض؟ ارتباط الآي بعضها ببعض يكون على أحوال:

الأوّل ـ أن يظهر الارتباط بين الآية الأُولى و الآية الثّانية؛ لتعلّق الكلام بعضه ببعضٍ، و عدم تمام معنى الآيه الأُولى و إلّا بالثّانية. فهذه الحال وجه المناسبة فيها بين الآيتين واضح. و كذلك إذا كانت الثّانية للأُولى وجه التّأكيد و التّفسير أو الاعتراض و التّشديد، و هذه الحال لا كلام فيها.

الثّاني ـ أن لا يظهر الارتباط بين الآية و الأُخرى، بل يظهر أنّ كلّ جملة مستقلّة عن الأُخرى، و أنّها خلاف النّوع المبدوء به، فهذه على نوعين:

النّوع الأوّل ـ أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرفٍ من حروف العطف المُشرّكة في الحكم.

١ ـ نظم الدُّرَر ١: ٥.

النّوع الثّاني ـ أن تكون غير معطوفة على ما قبلها. ففي النّوع الأوّل إذا كانت الآية الثّانية معطوفة على الأُولى، لابدّ أن تكون بينهما جهة جامعة إمّا برابطٍ عامٍّ، أو خاصٍّ، و هو من المزج اللّفظيّ بالنّظر إلى العطف.

و من أمثلته: ذكر الرّحمة بعد ذكر العذاب، و الرّغبة بعد الرّهبة، و ذكر الوعد و الوعيد بعد ذكر الأحكام؛ ليكون باعثًا على العمل بها، ثمّ يذكر آيات التّوحيد و التّنزيه، ليعلم عظم الآمر و النّاهي سبحانه و تعالى. و تأمّل سورة البقرة و النّساء و المائدة و غيرها تجدها كذلك.

و في النّوع الثّاني إذا كانت الآية الثّانية غير معطوفة على الأُولى مع عدم ظهور الارتباط بينهما، فلا بدّ من دعامة تُؤْذِن باتّصال الكلام، و هي قرائن معنويّة مُؤْذِنة بالرّبط، و هذا مزج معنويّ، حيث تنزّل الثّانية من الأُولى منزلة جزئها الثّاني ... [ثمّ ذكر أسباب المزج المعنويّ كما تقدّم نحوها عن الزّركشيّ، فقال:]

مسألة: يكفي في الجامع التّعلّق على أيّ وجه كان[1]، ما دامت شروط قبوله متوفّرة.

مسألة: كما أنّ النّكات لاتتزاحم[2]، فكذا المناسبات لاتتزاحم، بمعنى لا مانع أن توجد بين الآية و الآية أكثر من مناسبة.

مسأله: أيّهما أولى البداءة به: المناسبة أو سبب النّزول؟ ...[ثمّ ذكر قول الزّركشيّ في وجه ارتباط المناسبة و سبب النّزول، كما تقدّم عنه، فقال:]

تنبيه: الاهتمام بمعرفة مقاصد السّورة و موضوعاتها يساعد على سداد القول و توفيقه للصّواب و يبعده عن جور القصد[3].

تنبيه: لايشترط في الكلام على مناسبة آية و آية أن يكون وقت نزولهما واحدًا، لأنّ الزّمان إنّما يشترط في سبب النّزول، و لايشترط في المناسبة، لأنّ المقصود منها وضع آية

١ـ الإتقان ٣: ٣٢٥.

٢ـ حاشية الشّهاب على البيضاويّ ١: ٢٩٢.

٣ـ النّبأ العظيم: ١٥٨ـ١٥٩.

موضع يناسبها، و الآيات كانت على أسبابها، و تأخذ ترتيبها في السّورة بتوقيفٍ من الرّسول ﷺ[1].

تنبيه: لا يقصد بالصّلة بين الآية و الآية اتّحادهما أو تماثلهما أو تداخلهما، أو ما إلى ذلك من الصّلات الجنسيّة فحسب، بل الصّلة تكون بذلك و بغيره ممّا مضت الإشارة إليه[2].

تنبيه: تكرّر من بعضهم قوله: «ختم بكذا مراعاة للفاصلة في الآي»، أو قوله: «قدّم و أخّر مراعاة لفواصل الآي»!!

و في هذا بإطلاقه نظر؛ إذ القرآن قائم على مراعاة المعنى مع إعجاز اللّفظ، والظّاهر أنّ ختم الآي بفاصلة معيّنة، و التّقديم و التّأخير فيها ليس لمجرّد مراعاة فواصل الآي، إنّما الأمر معنويّ آخر، فإن أمكن الباحث مراعاتهما (أعني المناسبة المعنويّة و اللّفظيّة) دون إخلال فيها، و إلّا فإنّ إظهار الجانب المعنويّ مقدّم في القرآن العظيم. ألا ترى مثلًا قوله تبارك و تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[3]، لم يقل: «و ما أنت بمصدّق» مع أنّ فيه رعاية للتّجنيس؛ لأنّ في قوله تبارك و تعالى: ﴿بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ من المعنى ما ليس في «بمصدّق»؛ لأنّ معنى «مصدّق» قال لي: أنت صدقت. وأمّا قوله: ﴿بِمُؤْمِنٍ﴾ مصدّق مع إعطاء الأمن والاطمئنان إليه، و هذا مقصود إخوة يوسف (عليه الصّلاة و السّلام) و لذلك جاء به[4].

و مراعاة المناسبات المعنويّة أدخل في أقسام البلاغة، و أثبت في محلّ الإعجاز...

[ثمّ ذكر أهمّ المصنّفات في هذا العلم، كما تقدّم عن الزّركشيّ و السّيوطيّ]. (١٧ـ٥٦)

١ـ البرهان ١: ٢٦، الإتقان ١: ٨٨.

٢ـ النّبأ العظيم: ١٦٠ـ١٦٢.

٣ـ يوسف/ ١٧.

٤ـ انظر: إعجاز القرآن للباقلّانيّ: ٥٧ـ ٦٥، الإتقان ٣: ٢٧٣ـ ٢٧٤ و ٢٩٣ـ ٢٩٤.

الباب الحادي عشر

أجزاء القرآن وأحزابه

وفيه فصول:

الفصل الأوّل

نصّ السِّجستانيّ (م: ٣١٦) في «المصاحف»

باب تجزئة المصاحف

١ـحدّثنا عبدالله، حدّثنا محمود بن آدم المَـرْوَزيّ، حدّثنا بِشْر بن السَّريّ، حدّثنا محمّد بن مسلم، عن إبراهيم بن مَيْسَرة، عن عُثمان بن عبدالله بن أوس، عن المغـيرة بـن شُـعبة قـال: استأذن رجل على رسول الله ﷺوهو بين مكّة والمدينة، فقال: إنّه قد فاتني اللّيلة جزئي من القرآن، فإنّي لا أُؤثر عليه شيئًا.

٢ـحدّثنا عبدالله،حدّثنا يعقوب بن سُفيان، حدّثنا ابن أبي مريم قـال: أخبرنـا يحـيى بـن أيّوب، قال: حدّثني ابن الهاد قال: سألني نافع بن جُبَير فقال: في كم تقرأ القـرآن؟ فقلـت: مـا أُحزّبه، فقال نافع: لاتقل ما أُحزّبه، فإنّ رسول الله ﷺ كان يقول: قـرأت جـزءاً مـن القـرآن، قال:حسبتُ أنّه ذكره عن المغيرة بن شُعبة.

٣ـحدّثنا عبدالله، حدّثنا محمّد بن عبدالملك الدّقيقيّ، حدّثنا يزيـد بـن هـارون، حـدّثنا هُمام، حدّثنا قَتادة قال: أسباع القرآن، السُّبع الأوّل في النّساء/ ٧٦: ﴿إنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَـانَ ضَعِيفًا﴾، والثّـاني في الأنفـال/ ٣٦: ﴿وَالَّـذِينَ كَفَـرُوا الىٰ جَهَـنَّمَ يُحْـشَرُونَ﴾، والثّالـث في الحِجر/ ٤٩: ﴿نَبِّىءْ عِبَادِى انّى اَنَـا الْغَفُـورُ الـرَّحِيمُ﴾، والـرّابـع خاتمـة المـؤمنين/ ١١٨، والخامس خاتمة سبأ/ ٥٤، والسّادس خاتمة الحُجُرات/ ١٨، والسّابع ما بقي من القرآن.

٤ ـ حدّثنا عبدالله، حدّثنا هارون بن سُليمان، حدّثنا عبدالله بن بَكْر، حدّثنا سعيد بن أبي

عَروبة أنّ قَتادة قال: سُبْع القرآن، فأمّا أوّل سُبْع، النّساء/ ٧٦: ﴿فَقَاتِلُوا اَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ اِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، السُّبْع الثّاني في الأنفال/ ٧٤: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا﴾، والثّالث في النّحل/ ٤١: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِى اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ إلى آخر الآية، والرّابع في أربع آيات يعني من الحجّ، أوّلهنّ/٥٢: ﴿وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ اِلَّا اِذَا تَمَنّٰى اَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ إلى آية /٥٥: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ وسقط على هارون آخر الحديث ...

٥ـ قال عمرو: وحدّثني يزيد بن عُلْوان عن المَجاشعيّ [قال يحيى توبة بن علوان عن المجاشعيّ]، قال: وكان من قُرّاء النّاس، عن أبي محمّد الحِمّانيّ قال: وسألنا عن أرباعه، فإذا أوّل ربع خاتمة الأنعام/ ١٦٥، والرُّبع الثّاني الكهف/ ١٩: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ والرُّبع الثّالث خاتمة الزُّمر/٧٥، والرّابع ما بقي من القرآن. قال وقال مُطَهّر بن خالد عن أبي محمّد الحِمّانيّ، قال: علمناه في أربعة أشهر ...

٦ـ حدّثنا عبدالله، حدّثنا محمّد بن عامر بن إبراهيم، عن أبيه، عن الفيض بن موسى، حدّثنا عبدالواحد العَطّار، عن هَلال الورّاق وعاصم الجَحْدَريّ أنّهما قالا: نصف القرآن خاتمة الكهف/ ١١٠ وخاتمة قُلْ اَعُوذُ بِرَبِّ النَّاس وثلث القرآن خاتمة براءة /١٢٩، وخاتمة طسم القصص/٨٨، وآخر القرآن. وربُع القرآن خاتمة الأنعام/ ١٦٥ وخاتمة الكهف/ ١١٠، وخاتمة يس/ ٨٣، وآخر القرآن.

٧ـ حدّثنا عبدالله، حدّثنا محمّد بن عامر بن إبراهيم، عن أبيه، عن الفيض بن موسى، حدّثنا عبدالواحد العَطّار، عن هلال الورّاق وعاصم الجَحْدَريّ أنّهما قالا: وخُمس القرآن خاتمة المائدة/ ١٢٠ وخاتمة يوسف/ ١١١، وخاتمه الفرقان/ ٧٧ وخاتمة حمٓ السّجدة/ ٥٤، وآخر القرآن، وسُدس القرآن خاتمة النّساء/١٧٦، وخاتمة براءة /١٢٩، وخاتمة الكهف/ ١١٠ وخاتمة طسم القصص/٨٨، وخاتمة الدُّخان/ ٥٩، وآخر القرآن. وسُبع القرآن: ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾، في النّساء/٦١، وفي الأعراف/١٧٠: ﴿اِنَّا لَا نُضِيعُ اَجْرَ

الْمُصْلِحِينَ﴾، وفي إبراهيم/٢٥: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، وفي المؤمنين/٥٥: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾، وفي سبأ/٢٠: ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وخاتمة الفتح/٢٩، وآخر القرآن، وثُمن القرآن البقرة وآل عمران وخاتمة الأنعام وخاتمة هود وخاتمة الكهف وخاتمة الشّعراء وخاتمة يس وخاتمة والذّاريات وآخر القرآن، ولم يحفظ التُّسع. وعُشر القرآن البقرة ومائة من آل عمران/١٠٠ وخاتمة المائدة وخاتمة الأنفال وخاتمة يوسف وخاتمة الكهف وخاتمة الفرقان وخاتمة الأحزاب وخاتمة حم السّجدة وخاتمة الواقعة وآخر القرآن وفي قولهم كلّه ستّة آلاف آية ومائتان و أربع آيات، وهو مائة وأربع عشرة سورة مع فاتحة الكتاب.

٨ـ حدّثنا عبدالله، حدّثنا شُعَيب بن أيّوب، حدّثنا يحيى بن آدم قال: أسباع القرآن السُّبْع الأوّل خمسمائة وسبع وأربعين آية، والسُّبْع الثّاني خمسمائة وتسعون آية، والسُّبْع الثّالث ستّمائة آية و واحد وخمسون آية، والسُّبْع الرّابع تسعمائة وثلاث وخمسون آية، والسُّبْع الخامس ثمانمائة آية وثمانٍ و ستّون آية، والسُّبْع السّادس تسعمائة آية و ستّ وثمانون آية، والسُّبْع الآخر ألف آية وستّمائة وأربع وعشرون آية، فجميع آي القرآن ستّة آلاف ومائتا آية وتسع وعشرون آية في الجملة، نقصان ثلاثون آية خطأ في الحساب. وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف واحدٍ وعشرون ألف حرفٍ ومائتا حرفٍ وخمسون حرفًا.

٩ـ قال يحيى بن آدم: حدّثنيه يزيد بن أسحم، قال: أعطانيه حمزة الزّيّات من كتابه، فيصير كلّ سُبْع من أسباع القرآن خمسة وأربعون ألف حرف وثمانمائة حرف واثنان وتسعون حرفًا، يبقى ستّة أحرف. [قال أبوبكر بن أبي داود: القائل حدّثنيه يزيد بن أسحم عن يحيى بن آدم]، وأسباع القرآن، السُّبْع الأوّل في النّساء/٦١: ﴿يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾، والثّاني في الأعراف/١٧٠: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾، والسُّبْع الثّالث في إبراهيم/٢٥: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، والرّابع في المؤمنين قوله/٥٥: ﴿نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾، والخامس في سبأ/٢٠: ﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، والسّادس خاتمة الفتح/ ٢٩، والسّابع بقيّة القرآن. (١٣١ـ١٣٥)

[تقسيم القرآن إلى أرباع والرُّبع إلى أجزاء]

١٠ـ أخبرنا القاضي أبو الفضل محمّد بن عمر بن يوسف الأُرمَويّ قراءةً عليه، قال: أخبرنا الشّيخ الجليل أبو جعفر محمّد بن أحمد بن المُسْلِمة المُعَدَّل، قال: أخبرنا أبو عمرو عُثْمان بن محمّد المعروف بابن الأدميّ، قال: أخبرنا أبو بكر عبدالله بن أبي داود سُليمان بن الأشعث السِّجستانيّ الأزْديّ، حدّثنا يعقوب بن سُفيان، حدّثنا عبدالله بن الزُّبير الحُمَيديّ، حدّثنا أبو الوليد عبدالملك بن عبد الله بن مسعود، عن إسماعيل بن عبدالله بن قُسْطَنطين، [قال ابن أبي داود: وهو أحد القُرّاء عن حُمَيد الأعرج]: أنّه حسب حروف القرآن فوجد النّصف الأوّل من القرآن ينتهي إلى خمس وستّين آية من سورة الكهف عند قوله آية/ ٦٦: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ[١] مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ﴾، وهو الرُّبع الثّاني والسُّدس الثّالث والثُّمن الرّابع والعُشر الخامس، وصارت ﴿مَعِيَ صَبْرًا﴾ من النّصف الآخر إلى أن يتمّ القرآن.

والثُّلث الأوّل ينتهي إلى بعض إحدى وتسعين آية من براءة عند قوله/ ٩٠: ﴿كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ﴾ إلى الباء من ﴿سَيُصِيبُ﴾، وهو السُّدس الثّاني والسُّبع[٢] الثّالث، وصارت الباء من ﴿سَيُصِيبُ﴾ من الثُّلث الثّاني، والثُّلث الأوسط ينتهي إلى بعض ستّ وأربعين آية في سورة العنكبوت عند قوله/ ٤٦: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا﴾ وهو السُّدس الرّابع والسُّبع السّادس، وصارت ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من الثُّلث الآخر والثُّلث الآخر ينتهي إلى أن يختم القرآن.

والرُّبع الأوّل ينتهي إلى أوّل آية من سورة الأعراف إلى/ ٢ ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو الثُّمن الثّاني، وصارت ﴿اتَّبِعُوا﴾ من الرُّبع الثّاني، والرُّبع الثّاني ينتهي إلى/ ٦٧: ﴿إِنَّكَ لَنْ

١ـ تعلّمني: هي في مُصْحَفنا «تعلّمنِ» بلاياء كما قال الدّانيّ في المقنع: ٣٣.

٢ـ السُّبع: كذا في الأصل والصّواب، «التّسع» وكذلك أيضًا في السّطر ١٧ وص: ١٢٦، السّطر ١٨ و ٢٣.

﴿تَسْتَطِيعَ﴾ حيث انتهى النّصف، والرُّبع الثّالث إلى بعض مائة وثمانٍ وأربعين آية من سورة الصّافّات عند ١٤٨: ﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ وهو الثُّمن السّادس، و صارت ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ من الرُّبع الآخر، والرُّبع الآخر إلى أن يختم.

والخُمس الأوّل ينتهي إلى بعض اثنتين وثمانين آية من سورة المائدة عند قوله/٨٠: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وهو العُشر الثّاني ينتهي إلى بعض ستّ وأربعين آية من سورة يوسف عند قوله تعالى/٤٦: ﴿أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾، وهو العُشر الرّابع، و صارت ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ من الخُمس الثّالث، والخُمس الثّالث ينتهي إلى بعض إحدى وعشرين آية من سورة الفرقان عند قوله /٢١: ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾، وهو العُشر السّادس، وصارت ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا﴾ من الخُمس الرّابع، والخُمس الرّابع ينتهي إلى بعض خمس وأربعين آية من سورة حمّ السّجدة عند قوله/٤٦: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ﴾ هو العُشر الثّامن، وصارت ﴿أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ من الخمس الآخر، والخمس الآخر ينتهي إلى أن يختم القرآن.

والسُّدس الأوّل ينتهي إلى بعض إحدى وأربعين ومائة من سورة النّساء عند قوله/١٤٢: ﴿إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا﴾ وصارت ﴿كُسَالَىٰ﴾ من السُّدس الثّاني، و السُّدس الثّاني ينتهي إلى إحدى وتسعين آية من سورة براءة في /٩٠: ﴿سَيُصِيبُ﴾ إلى الباء، وهو الثُّلث الأوّل والسُّبع[1] الثّالث، فصارت الباء من ﴿سَيُصِيبُ﴾ من السُّدس الثّالث، والسُّدس الثّالث ينتهي إلى بعض خمس وستّين آية من سورة الكهف عند/٦٧: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ﴾، وهو الأوّل، يعني النّصف الأوّل والرُّبع الثّاني والثُّمن الرّابع والعُشر الخامس، وصارت ﴿مَعِيَ صَبْرًا﴾ من السُّدس الرّابع، والسُّدس الرّابع ينتهي إلى بعض ستّ و أربعين آية من سورة العنكبوت عند قوله/٤٦ ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا﴾، وهو السُّبع السّادس، فصارت ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من السُّدس الخامس، والسُّدس الخامس ينتهي إلى بعض أربع وثلاثين آية من حم الجاثية عند

---

١ ـ الصّواب والتُّسع، و كذلك في السّطر: ٧.

قوله/٣٥: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾، وصارت ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ من السُّدس الآخر، والسُّدس الآخر ينتهي إلى أن يختم القرآن.

والسُّبع الأوّل ينتهي إلى بعض ستّ وخمسين آية من سورة النّساء عند قوله/ ٧٥: ﴿أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْ﴾، وصارت ﴿خِلُهُمْ﴾ من السُّبع الثّاني، والسُّبع الثّاني ينتهي إلى مائة وتسع و ستّين آية من الأعراف عند قوله/ ٢٦٧: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْ﴾، صارت ﴿عِقَابِ﴾ من السُّبع الثّالث، والسُّبع الثّالث ينتهي إلى بعض أربع و عشرين آية من سورة إبراهيم عند قوله/ ٢٢: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْ﴾ وصارت ﴿كُمْ﴾ من السُّبع الرّابع، والسُّبع الرّابع ينتهي إلى بعض سبع وأربعين آية من سورة المؤمنين عند قوله/٤٩: ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، وصارت ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ من السُّبع الخامس، والسُّبع الخامس ينتهي إلى بعض ثماني عشرة آية من سورة سبأ عند قوله/ ١٨: ﴿قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْ﴾، وصارت ﴿نَا﴾ من السُّبع السّادس، والسُّبع السّادس ينتهي إلى آخر حرف من الآية الثّانية من سورة الحُجُرات/٢: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وصارت ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ﴾ من السُّبع الآخر، والسُّبع الآخر إلى أن يختم القرآن.

والثُّمن الأوّل ينتهي إلى بعض مائة وخمس وتسعين آية من سورة آل عمران عند قوله/١٩٧: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْ﴾، وصارت الواو والياء والهاء والميم الّتي في ﴿مَأْوَاهُمْ﴾ من الثُّمن الثّاني، والثُّمن الثّاني ينتهي إلى انقضاء أوّل آيه من سورة الأعراف عند/٢: ﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وهو الرُّبع الأوّل، وصارت ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ من الثُّمن الثّالث، والثُّمن الثّالث ينتهي إلى بعض سبع وثلاثين آية من سورة هود عند/٤٠: ﴿وَفَارَ﴾، وصار ﴿التَّنُّورُ﴾ من الثُّمن الرّابع، والثُّمن الرّابع ينتهي إلى خمس و ستّين آية من سورة الكهف عند/ ٦٧: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ﴾، حيث انتهى إلى النّصف الأوّل، وهو الرُّبع الثّاني والعُشر الخامس، وصارت ﴿مَعِيَ صَبْرًا﴾ من الثُّمن الخامس، والثُّمن الخامس ينتهي إلى آخر سورة الشّعراء/٢٢٧: ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، الياء من الثُّمن الخامس والنّون والقاف واللّام

والباء والواو والنّون من الثّمن السّادس والثّمن السّادس ينتهي إلى بعض مائة وثمان وأربعين آية من سورة الصّافّات عند/١٤٨: ﴿فَـاٰمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾، وهـو الرّبـع الثّالـث، وصـارت ﴿اِلٰى حِينٍ﴾ من الثمن السّابع، والثّمن السّابع ينتهي إلى أوّل عشرمن سورة النّجم إلى قوله/١٠: ﴿فَاَوْحٰى اِلٰى عَبْدِهِ مَا اَوْحٰى﴾، وصارت ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ من الثّمن الآخر، والثّمن الآخر إلى أن يختم القرآن.

والتّسع الأوّل ينتهي إلى بعض مائة وثلاث وأربعين آيـة مـن سـورة آل عمـران/١٤٣: ﴿فَقَدْ رَاَيْتُمُوهُ وَاَنْتُمْ﴾، قالوا: والألف آخر التّسع الأوّل، وصارت النّون والتّاء والميم من التّسع الثّاني، والتّسع الثّاني ينتهي إلى بعض أربع وخمسين آية من سورة الأنعام عند/٥٣: ﴿لِيَقُولُوا اَهٰؤُلَاءِ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾، وصارت ﴿اَلَيْسَ اللّٰهُ بِـاَعْلَمَ بِالـشَّاكِرِينَ﴾، من التّسع الثّالث، والتّسع الثّالث ينتهي في بعض إحدى وتسعين آية من سورة براءة عند/٩٠: ﴿سَيُصِيبُ﴾ إلى الباء، وهوالثّلث الأوّل والسّدس الثّاني، وصارت الباء من ﴿سَيُصِيبُ﴾ من التّسع الرّابع، والتّسع الرّابع ينتهي إلى بعض إحدى عشرة من سورة النّحل/١١: ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ اِنَّ فِي﴾، وصارت ﴿ذٰلِكَ﴾ من التّسع الخامس، والتّسع الخامس ينتهي في بعض ثمانٍ وعشرين آية من سورة الحجّ عند/٣٠: ﴿وَاُحِلَّتْ لَكُمُ الْاَ﴾، وصارت النّون والعين والألف والميم الّتي في ﴿الْاَنْعَامُ﴾ من التّسع السّادس، و التّسع السّادس ينتهي في بعض ستّ وأربعين آية من سورة العنكبوت/٤٦: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا اَهْلَ الْكِتَابِ اِلَّا بِالَّتِي هِيَ اَحْسَنُ اِلَّا﴾، وهوالثّلث الأوسط والسّدس الرّابع، وصارت ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من التّسع السّابع، و التّسع السّابع ينتهي إلى بعض تسع آيات من أوّل سورة حم المؤمن عند/١٠ ﴿يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللّٰهِ اَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ اَنْ﴾، وصارت الفاء والسّين والكاف والميم من ﴿اَنْفُسَكُمْ﴾، في التّسع الثّامن، والتّسع الثّامن ينتهي إلى بعض سبع عشرة آية من أوّل سورة الواقعة عند/١٥: ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْاٰخِرِينَ عَلٰى﴾، وصارت ﴿سُرُرٍ﴾ من التّسع الآخر، والتّسع الآخر إلى أن يختم القرآن.

والعُشر الأوّل ينتهي إلى بعض إحدى وتسعين آيـة مـن سـورة آل عمـران عنـد/٩٢:

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا﴾، وصارت ﴿تُحِبُّونَ﴾ من العُشر الثّاني، والعُشر الثّاني ينتهي إلى بعض اثنتين وثمانين آية من سورة المائدة عند/ ٨٠: ﴿لَبِئْسَمَا[1] قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾، وهو الخمس الأوّل، وصارت ﴿وَفِي الْعَذَابِ﴾ من العُشر الثّالث، والعُشر الثّالث ينتهي إلى بعض اثنتين وثلاثين آية من سورة الأنفال عند/ ٣٢:، وصارت ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ من العُشر الرّابع، والعُشر الرّابع ينتهي إلى بعض ستّ وأربعين آية من يوسف عند قوله تعالى/ ٤٦: ﴿أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾، وهو الخُمس الثّاني، وصارت ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ من العُشر الخامس، والعُشر الخامس ينتهي إلى بعض خمس وستّين آية من سورة الكهف عند قوله/ ٦٧: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ﴾، وهو النّصف الأوّل والرُّبع الثّاني والسُّدس الثّالث والثُّمن الرّابع، وصارت ﴿مَعِيَ صَبْرًا﴾ من العُشر السّادس، والعُشر السّادس ينتهي إلى بعض إحدى وعشرين آية من سورة الفرقان عند/ ٢١: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾، وهو الخُمس الثّالث، وصارت ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ في العُشر السّابع، والعُشر السّابع ينتهي إلى بعض إحدى وثلاثين آية من سورة الأحزاب/ ٣١: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ﴾، وصارت ﴿صَالِحًا﴾ من العُشر الثّامن، والعُشر الثّامن ينتهي إلى بعض خمس وأربعين آية من سورة حم السّجدة عند/ ٤٦: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ﴾، وهو الخُمس الرّابع، وصارت ﴿أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ من العُشر التّاسع، والعُشر التّاسع ينتهي إلى بعض خمس وعشرين آية من سورة الحديد عند/ ٢٦: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ وصارت ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ في العُشر العاشر، والعُشر العاشر ينتهي إلى آخر القرآن. (١٣٩-١٤٤)

[ثمّ ذكر أخبارًا كثيرة عن بعض الأعلام في التّنقيط والتّعشير وإحصاء الصُّوَر وكتابة الفواتح والعدد والعواشر في المصاحف، وإن شئت فلاحظ]

١- لبئسما: وهي في المصاحف الحديثة (لبئس ما) مقطوعة.

الفصل الثّاني

نصّ الدّانيّ (م: ٤٤٤) في «المحكم في نَقْط المصاحف»

في تعشير المصاحف وتخميسها ومن كره ذلك ومن أجازه

١ـ حدّثنا خَلْف بن إبراهيم قال: حدّثنا أحمد بن محمّد قال: حدّثنا عليّ، قال: حدّثنا القاسم بن سَلّام قال: حدّثنا أبوبكر بن عَيّاش قال: حدّثنا أبو حُصَين عن يحيى بن وَثّاب، عن مسروق عن عبدالله أنّه كره التّعشير[1] في المُصْحَف.

٢ ـ حدّثنا خَلْف بن إبراهيم، قال: حدّثنا أحمد، قال: حدّثنا عليّ، قال: حدّثنا أبو عُبَيد، قال: حدّثنا عبدالرّحمان بن مهديّ عن زائدة بن قُدامَة، عن أبي حُصَين، عن يحيى بن وَثّاب، عن مسروق، عن عبدالله: أنّه كان يحكّ التّعشير من المُصْحَف.

٣ـ حُدِّثتُ عن الحسن بن رَشيق، قال: حدّثنا أبو العلاء، قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبة، قال: حدّثنا أبوبكر بن عَيّاش، عن أبي حُصَين، عن يحيى، عن مسروق، عن عبدالله: أنّه كان يكره التّعشير في المُصْحَف.

٤ ـ وبه عن ابن أبي شَيبة، قال: حدّثنا أبو خالد الأحمر، عن حَجّاج، عن عَطاء أنّه كره التّعشير في المُصْحَف أو يُكتَب فيه شيء من غيره.

٥ـ وبه عن ابن أبي شَيبة، قال: أنا المَحاربيّ، عن ليث، عن مجاهد أنّه كان يكره أن يُكْتَب

---

١ ـ التّعشير: وضع علامة بعد كلّ عشر آيات من القرآن.

في المُصْحَف تعشير أو تفصيل [١] .

٦ـ وبه عن ابن شَيبة [٢]، قال: حدّثنا عَفّان، قال: حدّثنا حَمّاد بن زيد، عن شُعَيب بن الحَبْحاب: أنّ أبا العالية كان يكره العواشر .

٧ـ حدّثنا خَلْف بن إبراهيم، قال: حدّثنا أحمد المكّيّ، قال: حدّثنا عليّ، قال: حدّثنا القاسم، قال حدّثنا، عبد الرّحمان، عن سُفيان، عن ليث، عن مجاهد: أنّه كره التّعشير والطّيب في المُصْحَف . [٣]

٨ـ حدّثنا خَلْف بن إبراهيم، قال: حدّثنا أحمد، قال: حدّثنا عليّ، قال: حدّثنا أبو عُبَيد، قال: حدّثنا يزيد عن هِشام عن ابن سيرين: أنّه كان يكره الفواتح والعواشر الّتي فيها قاف كاف.

٩ـ حدّثني عبد الملك بن الحسين، قال: حدّثنا عبد العزيز بن عليّ، قال: حدّثنا المِقْدام بن تَليد، قال: حدّثنا عبد الله بن عبد الحَكَم، قال: سمعت مالكًا وسُئِل عن العشور الّتي تكون في المُصْحَف بالحُمْرة وغيرها من الألوان، فكَرِه ذلك، وقال: تعشير المُصْحَف بالحِبْر لا بأس به.

١٠ ـ حدّثنا فارس بن أحمد، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد، قال: حدّثنا أبو بكر الرّازيّ، قال: حدّثنا الفضل بن شاذان، قال: حدّثنا أحمد بن يزيد، قال: حدّثنا العبّاس بن الوليد، قال: حدّثنا فُدَيْك، قال: حدّثنا الأوزاعيّ، قال: سمعت قَتادة يقول: بدؤوا فنقّطوا ثمّ خمّسوا ثمّ عشّروا .

قال أبو عمرو: وهذا يدلّ على التّرخّص في ذلك والسّعة فيه. (١٤ـ١٥)

---

١ ـ أي تفصيل ما جاء موجزًا في القرآن، وذلك بإثبات المحذوف إيجازًا بين الكَلِم.

٢ ـ والظّاهر هو ابن أبي شَيبة . (م)

٣ ـ وذلك أنّهم كانوا يطيّبون المصاحف بالطّيب، أو يضعون بين صحائفها أوراق الوَرْد و غيره من الأزهار .

الفصل الثّالث

نصّ العاصميّ (٣٧٨ـ ؟) في «المباني لنظم المعاني»

أجزاء القرآن

وأمّا ذكر أجزاء القرآن فقد ذكرها الشّيخ الأجلّ أبوسهل الأنماريّ رضي الله عنه في كتابه:

فأمّا الأنصاف، فإنّه رُوي عن الحسين بن أحمد الزّعفرانيّ قال: أخبرنا محمّد بن خالد البَزّاز، قال أخبرنا أحمد بن محمّد من ولد القاسم بن أبي بَزّة، قال: حدّثني أبي عن حُمَيد بن عمرو قال: هذا حساب حُمَيد الأعرج: النّصف الأوّل ينتهي إلى بعض خمس وستّين آيةً من سورة الكهف ... [وذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ١٠، ثمّ قال:]

وروى يوسف بن موسى قال: حدّثنا محمّد بن يحيى، قال: حدّثنا يزيد بن النّضر، عن شِهاب بن شُرَيقَة، عن الحِمّانيّ في الأثلاث، الثّلث الأوّل هذه الآية: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ ـ إلى قوله ـ جَهَنَّمَ﴾[1].

و فيما يروي محمّد بن يحيى عن عبدالملك عن محبوب، عن شِهاب ومُطهّر عن الحِمّانيّ رأس مائة من براءة، والثّاني: رأس هذه الآية من طسم القصص: ﴿اَرَاَيْتُمْ اِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا ـ إلى قوله ـ اَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾[2].أومائة وإحدى عشرة من طسم الشّعراء، و الآخر ما بقي ... [ثمّ ذكر الأرباع من أجزاء القرآن، كما تقدّم نحوها عن السِّجستانيّ، الرّقم ١٠ فقال:]

و في رواية الحِمّانيّ: الرّبع الأوّل: البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام. والثّاني:

١ـ التوبة / ٦٨.

٢ـ القصص / ٧١.

في الكهف/١٩: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، والثّالث: خاتمة يس/٨٣ وفي رواية عبد الملك خاتمة الزّمر/٧٥ والرّابع: ما بقي ... [ثمّ ذكر الأخماس من أجزاء القرآن، كما تقدّم نحوها عن السِّجستانيّ، الرّقم ١٠ فقال:]

وفي رواية الحِمّانيّ: الخُمس الأوّل: إلى عشر ومائة من المائدة/١٠٧: ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا اِنَّا اِذَنْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾، والثّاني: إلى تسعين من يوسف/٩٠: ﴿اِنَّا لَا نُضِيعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾. والثّالث: السّجدة من سورة الفرقان/٦٥. والرّابع إلى عشر آيات من عسق/١٢: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ﴾، والخامس: مابقي... [ثمّ ذكر الأسداس من أجزاء القرآن، كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ١٠، فقال:]

وفي رواية الحِمّانيّ: السُّدس الأوّل من البقرة إلى خاتمة النّساء/١٧٦، والثّاني: خاتمة براءة/١٢٩، والثّالث: خاتمة الكهف/١١٠، والرّابع: خاتمة العنكبوت/٦٩، والخامس: خاتمة الأحقاف/٣٥، والسّادس مابقي ... [ثمّ ذكر الأسباع من أجزاء القرآن، كما تقدّم عن السِّجستانيّ، الرّقم ١٠، ثمّ ذكر بعدها رواية قتادة، كما تقدّم أيضًا عنه، فقال:]

وأمّا الأسباع المعروفه عندنا على تأليف أهل الكوفة فأوّل سُبْع: من أوّل فاتحة القرآن إلى قوله: ﴿صُدُودًا﴾[1] والمنصّف قوله: ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾ إلى قوله: ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾[2] والسُّبع الثّاني: إلى قوله: ﴿اِنَّا لَا نُضِيعُ اَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[3] والمنصّف قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. والسُّبع الثّالث قوله: ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الْاَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[4]، والمنصّف قوله: ﴿اِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾[5]، والسُّبع

١ـ النّساء/ ٦١.

٢ـ البقرة/ ٢٦٦.

٣ـ الأعراف/ ١٧٠.

٤ـ إبراهيم/ ٢٥.

٥ـ يونس/ ٦٠.

الرّابع: إلى قوله: ﴿مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾[1]، والمنصّف قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾[2]، والسُّبع الخامس: إلى قوله: ﴿فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، والمنصّف قوله: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[4] والسّادس إلى خاتمة سورة الفتح/٢٩، والمنصّف قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، من سورة المؤمن/٤٠، والسّابع: إلى آخر القرآن، والمنصّف خاتمة التّغابن/١٨.

وفيما أخبرنا الشّيخ محمّد بن الهَيْصَم رحمه الله، قال: أخبرنا أبو النّضْر محمّد بن عليّ، قال: أخبرنا الشّيخ الأجلّ أبو سهل الأنماريّ رحمه الله قال: أخبرنا يوسف بن موسى، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى القُطَعيّ، قال حدّثنا يزيد بن النّصر المَجاشعيّ، قال: حدّثنا شِهاب بن شُرَيْقَة عن راشد أبي محمّد الحِمّانيّ في الأسباع، قال: السُّبع الأوّل: البقرة، وآل عمران إلى هذه الآية من سورة النّساء: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا - إلى - حَكِيمًا﴾، والسُّبع الثّاني: إلى هذه الآية من الأعراف/١٤٧: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ - إلى - يَعْمَلُونَ﴾ والثّالث: إلى هذه الآية من الرّعد/٣٥: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾، والرّابع: إلى هذه الآية من الحجّ/٦٧: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا - إلى - مُسْتَقِيمٍ﴾، والخامس: إلى هذه الآية من الأحزاب/٣٦: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ - إلى - مُبِينًا﴾، والسّادس: إلى هذه الآية من الفتح/٦: ﴿الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ - إلى قوله - مَصِيرًا﴾، والسّابع: آخر القرآن... [ثمّ ذكر رواية عن الحِمّانيّ، كما تقدّم نحوها عن السّجستانيّ الرّقم ٥، وذكر أيضًا الأثمان من أجزاء القرآن، كما تقدّم أيضًا عنه الرّقم ١٠، فقال:]

وفي رواية إبراهيم التّيْميّ الثُّمن الأوّل: من أوّل البقرة إلى قوله من النّساء/٢٠: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾، والثّاني/٥٠: ﴿إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ من

١- المؤمنون/٥٥.

٢- الكهف/٧٤.

٣- سبأ/٢٠.

٤- القصص/٢١.

الأعراف، والثّالث/٧٨: ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ في هود، الرّابع/٩٤: ﴿نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجًا﴾ من سورة الكهف، والخامس في النّمل/١٣: ﴿قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾، والسّادس/٢٣: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ في صٓ، والسّابع/١٨: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ في اقتربت، الثّامن: ما بقي ... [ثمّ ذكر الأتساع من أجزاء القرآن، كما تقدّم عن السِّجستانيّ، فقال:]

وعن الحِمّانيّ التُّسع الأوّل/٦٧: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ في آل عمران، والثّاني في الأنعام/٩٥: ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوٰى﴾، والثّالث في براءة/١٢٢: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، والرّابع في النّحل/٣٦: ﴿عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، والخامس في الحجّ/٣٣: ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾، والسّادس في العنكبوت/٦٢: ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، والسّابع في حمٓ المؤمن/٢٩: ﴿إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾، والثّامن في الواقعة/٨٩: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾، والتّاسع: ما بقي...[ثمّ ذكر الأعشار من أجزاء القرآن، كما تقدّم نحوها عن السِّجستانيّ الرّقم ١١، فقال:]

وفي رواية الأنماريّ عن الحِمّانيّ العُشر الأوّل من البقرة إلى قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ من آل عمران. والعُشر الثّاني إلى قوله/١٠٧: ﴿إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ من المائدة، والثّالث: خاتمة الأنفال/٧٥، والرّابع: إلى قوله/٩٠: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ - إلى - الْمُحْسِنِينَ﴾ من يوسف، والخامس: خاتمة الكهف/١١٠، والسّادس: السّجدة من الفرقان/٦٠: ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ والسّابع: قوله/٦٠: ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ من الأحزاب، والثّامن: قوله/١٢: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، من عسٓقٓ، والتّاسع: خاتمة الحديد/٢٩، والعاشر آخر القرآن...[ثمّ ذكر الأنصاف من أجزاء القرآن، كما تقدّم آنفًا عن حُمَيد بن عمرو، فقال:] فهذه الفصول على ما حسب حُمَيد الأعرج إلّا ما ذكرته عن الحِمّانيّ. ورُوي عن الحِمّانيّ: أنّ النّصف قوله في الكهف/١٩: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في الفاء. (٢٣٥-٢٤٦)

الفصل الرّابع

نصّ ابن الجَوْزيّ (م: ٥٧٩) في «فنون الأفنان في عيون علوم القرآن»

[أجزاء القرآن في الثّلاثين]

...القرآن نصفان، النّصف الأوّل عند قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾[1] فالنّون والكاف من النّصف الأوّل، والرّاء والألف من النّصف الثّاني.

فأمّا الأثلاث، فالثُّلث الأوّل رأس اثنتين وتسعين من التّوبة قوله: ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾، والثُّلث الثّاني رأس خمس وأربعين من العنكبوت: ﴿يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾، والثُّلث الثّالث آخر القرآن.

فأمّا أجزاء الثّلاثين

فالأوّل ـ في البقرة رأس مائة وإحدى وأربعين: ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

والثّاني ـ رأس اثنتين وخمسين ومائتين منها: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

والثّالث ـ في آل عمران رأس تسعين منها: ﴿وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.

والرّابع ـ في النّساء رأس ثلاث وعشرين منها: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

والخامس ـ رأس مائة وسبع وأربعين منها: ﴿شَاكِرًا عَلِيمًا﴾.

والسّادس ـ في المائدة رأس اثنتين وثمانين منها: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وقيل: رأس إحدى

---

١ ـ الكهف/ ٧٤.

وثمانين منها: ﴿فَاسِقُونَ﴾.

السّابع ـ في الأنعام رأس مائة وعشر منها: ﴿يَعْمَهُونَ﴾.

الثّامن ـ في الأعراف رأس ستّ وثمانين منها: ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾، وقيل: رأس سبع وثمانين منها: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

التّاسع ـ في الأنفال رأس أربعين منها: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

العاشر ـ في التّوبة رأس اثنتين وتسعين منها: ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾.

الحادي عشر ـ في هود رأس خمس منها: ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

الثّاني عشر ـ في يوسف رأس اثنتين و خمسين منها: ﴿كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.

الثّالث عشر ـ خاتمة سورة إبراهيم.

الرّابع عشر ـ خاتمة النّحل.

الخامس عشر ـ في الكهف: ﴿شَيْئًا نُكْرًا﴾.

السّادس عشر ـ خاتمة طه.

السّابع عشر ـ خاتمة الحجّ.

الثّامن عشر ـ في الفرقان رأس عشرين منها: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾.

التّاسع عشر ـ في النّمل رأس خمس و خمسين منها: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، وقيل: رأس تسع ﴿تُشْرِكُونَ﴾.

العشرون ـ في العنكبوت رأس خمس وأربعين منها: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

الحادي والعشرون ـ في الأحزاب رأس ثلاث وعشرين منها: ﴿تَبْدِيلًا﴾، وقيل: رأس ثلاثين: ﴿يَسِيرًا﴾.

والثّاني والعشرون ـ في يس رأس إحدى وعشرين: ﴿مُهْتَدُونَ﴾، وقيل: رأس ستّ وعشرين: ﴿يَعْلَمُونَ﴾.

الثّالث والعشرون ـ في الزُّمَر رأس إحدى وعشرين منها: ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، وقيل: رأس

إحدى وثلاثين منها: ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾.

الرّابع والعشرون ـ في حمٓ سجدة رأس ستّ وأربعين منها: ﴿بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

الخامس والعشرون ـ في الجاثية رأس تسع وعشرين منها: ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقيل: رأس اثنتين وثلاثين منها: ﴿بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

السّادس والعشرون ـ في الذّاريات رأس عشر منها: ﴿الْخَرَّاصُونَ﴾، وقيل: بل رأس ثلاثين: ﴿الْعَلِيمُ﴾.

السّابع والعشرون ـ خاتمة الحديد.

الثّامن والعشرون ـ خاتمة التّحريم.

التّاسع والعشرون ـ آخر المرسلات.

الثّلاثون ـ آخر القرآن. (٤٩ ـ ٥٠)

الفصل الخامس

نصّ السّخاويّ (م: ٦٤٣) في «جمال القُرّاء و كمال الإقراء»

تجزئة القرآن

يقال: أجزاء القرآن و الأحزاب و الأوراد بمعنًى واحد. وأظنّ الأحزاب مأخوذاً من قولهم: حِزْب فلان، أي جماعته؛ لأنّ الحزب طائفة من القرآن. والوِرْدُ أظنّه من الوِردُ الّذي هو ضدّ الصّدر؛ لأنّ القرآن يروي ظمأ القلوب.

قال أبو عُبَيد: حدّثنا مروان بن معاوية عن عبدالله بن عبدالرّحمان الطّائفيّ، قال: حدّثني عُثمان بن عبدالله بن أوس الثّقفيّ عن جدّه أنّه كان في الوفد الّذين قدموا على رسول الله ﷺ من بني مالك، فأنزلهم في قبّة له في المسجد قال: فكان يأتينا فيحدّثنا بعد العشاء، وهو قائم حتّى يراوح بين قدميه من طول القيام، وكان أكثر ما يحدّثنا شكايته قريشًا، وما كان يلقى منهم ثمّ قال: «كنّا مستضعفين، فلمّا قدمنا المدينة انتصفنا من القوم، وكانت سجال الحرب بيننا علينا ولنا». قال: فاحتبس عنّا ليلةً، فقلنا: يا رسول الله لبثت عنّا اللّيلة أكثر ممّا كنت تلبث قال: «نعم؛ طرأ عليّ حزبي من القرآن، فكرهت أن أخرج من المسجد حتّى أقضيه»[1].

قال أبو عُبَيد: وحدّثني أبو نُعَيم عن عبدالله بن عبدالرّحمان الطّائفيّ، عن عُثمان بن عبدالله بن أوس، عن جدّه، عن النّبيّ ﷺ مثل ذلك، و زاد في حديثه: قال: فقلنا لأصحاب

---

١ ـ سنن ابن ماجه ١: ٤٢٧ـ٤٢٨، و مسند ابن حنبل ٤: ٩ و سنن أبي داود ٢: ٥٥.

رسول الله ﷺ: إنّه قد حدّثنا أنّه طرأ عليه حزبه من القرآن، فكيف تحزّبون القرآن؟ فقالوا: «نحزّبه ثلاث سُوَر، وخمس سُوَر، وسبع سُوَر، وتسع سُوَر، وإحدى عشرة سورةً، وثلاث عشرة سورةً، وحزب المفصّل فيما بين قاف وأسفل»[١].

وقوله ﷺ: «طرأ عليّ حزبي من القرآن»، هو من قولهم: طرأ علينا يطرأ طرءاً، وطروءاً إذا طلع عليهم من بَلَدٍ آخر[٢]، فلمّا خطر بباله ﷺ حزبه، صار كأنّه طرأ عليه ...
[ثمّ ذكر روايات، كما تقدّم عن السِّجستانيّ الرّقم ١، ٢، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، وذكر أيضًا بعدها الأرباع والأخماس والأسداس والأسباع والأثمان والأتساع والأعشار، كما تقدّم أيضًا عن السِّجستانيّ، الرّقم ١٠].

ذكر أنصاف الأسداس

وهي أجزاء اثني عشر: الأوّل من ذلك خاتمة البقرة، وهذا قول المعلّى بن عيسى الورّاق[٣] وقال محمّد بن الجَهْم السَّمُريّ[٤]: ﴿لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٥] من آل عمران.

وقيل: عند قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٦] منها.

والجزء الثّاني ينتهي إلى السُّدس الأوّل[٧]. والثّالث إلى الرُّبع الأوّل[٨]، والرّابع إلى الثُّلث الأوّل[٩]، والخامس إلى آخر الرّعد.

---

١ ـ سنن ابن ماجه ١: ٤٢٨، و مسند ابن حنبل ٤: ٩ و سنن أبي داود ٢: ٥٦.

٢ ـ الصّحاح: طرأ ١: ٦٠.

٣ ـ أنظر: ترجمته في غاية النّهاية ٢: ٣٠٤.

٤ ـ نفس المصدر ٢: ١١٣.

٥ ـ آل عمران/ ٦.

٦ ـ آل عمران/ ١٦.

٧ ـ النّساء/ ١٤٢.

٨ ـ الأعراف/ ١.

٩ ـ التّوبة/ ٩٠.

وقيل: إلى قوله عزّ وجلّ في الرّعد / ١٨: ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ منها.

والجزء السّادس إلى انتهاء النّصف الأوّل[1]. والسّابع: في النّور / ١٠: ﴿وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، و قيل: إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2]. و الثّامن: آخر القصص/٨٨، وقول الجماعة هوآخرالثّلث الثّاني[3]. والتّاسع: هو الرّبع الثّالث[4]. العاشر: هوالسّدس الخامس[5]. الحادي عشر: آخر الامتحان[6]،وقيل: خاتمة الصّفّ[7]. والثّاني عشر: خاتمة النّاس.

[ذكر أنصاف الأسباع]

وأمّا أنصاف الأسباع، فحدّثني أبوالقاسم شيخنا ﷺ قال: حدّثنا أبوالحسن عليّ بن محمّد بن هُذَيل، حدّثنا أبوداود، حدّثنا أبو عمرو عُثمان بن سعيد الدّانيّ ﷺ قال: رواية الحُلوانيّ عن ابن ذَكْوان: نصف السُّبْع الأوّل من البقرة إلى مائتين و خمس وستّين آية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾، ونصف الثّاني عشرون آيةً من الأنعام: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ونصف الثّالث ستّون آيةً من سورة يونس: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾. ونصف الرّابع عند اثنتين وتسعين آية من الكهف: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾[8] ونصف الخامس عند أربعين آيةً من

١ـ الكهف/٦٧.

٢ـ النّور / ٢٠.

٣ـ العنكبوت/٤٦.

٤ـ الصّافّات/١٤٨.

٥ـ الجاثية / ٣٥.

٦ـ الممتحنة / ١٣.

٧ـ الصّفّ / ١٤.

٨ـ هي الآية /٧٤، و أظنّ أنّه حصل تحريف في (سبعين) حيث حُرّفت إلى تسعين سهوًا من النّاسخ، فيكون نصف السُّبْع الرّابع عند اثنتين و سبعين آية من الكهف بالعدد الشّاميّ.

القصص: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾، وقيل: عند قوله: ﴿نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1] في رواية ابن المنادي[2]، و ليس ممّا رواه أبوعمرو الدّانيّ. ونصف السُّبع السّادس أربعون آيةً من المؤمن: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، ونصف السُّبع السّابع إلى آخر التّغابن. قال ابن ذَكْوان[3]: أخذت هذه الأجزاء عن أصحابنا ومشايخنا أهل الشّام.

وأمّا أجزاء خمسة عشر فداخلة في أجزاء ثلاثين وأجزاء ستّين، سأذكرها إن شاء الله تعالى فتعرف منها أجزاء خمسة عشر.

وأمّا أجزاء ستّة عشر و هي أنصاف الأثمان، فنصف الثُّمن الأوّل: ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[4]، ونصف الثُّمن الثّاني: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[5] في العقود، ونصف الثُّمن الثّالث في التّوبة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾[6]، ونصف الثُّمن الرّابع آخر الحِجر، ونصف الثُّمن الخامس آخر الحجّ، ونصف الثُّمن السّادس آخر لقمان، ونصف الثُّمن السّابع آخر الشّورى، و نصف الثّمن الثّامن آخر المعارج ... [ثمّ ذكر أجزاء أربعة وعشرين، وأجزاء سبعة وعشرين لصلاة القيام وأجزاء ثمانية وعشرين، وأجزاء ستّين، وأرباع أجزاء ستّين، وأقسام القرآن على ثلاثمائة وستّين جزءاً، نحن لم نذكرها هنا لتفصيلها، وإن شئت فراجع]. (١: ٣١١_٣٣٣)

١_القصص/ ٢٥

٢_انظر غاية النّهاية ١: ٤٤

٣_انظر: غاية النهاية ١: ٤٠٤_٤٠٥

٤_البقرة/ ٢٥٠.

٥_المائدة/ ٣٧.

٦_التّوبة/ ١٠.

الفصل السّادس

نصّ ابن تيميّة (م: ٧٢٨) في «دقائق التّفسير»

معنى الحزب وحدوده

و المقصود بهذا الفصل أنّه إذا كان التّحزيب المستحبّ مابين أسبوع إلى شهر ـ وإن كان قد رُوي ما بين ثلاث إلى أربعين ـ فالصّحابة إنّما كانوا يحزّبونه سُورًا تامّة ؛ لايحزّبون السّورة الواحدة، كما روى أوس بن حُذَيفة؛ قال: قَدِمنا على رسول الله ﷺ في وَفْد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شُعبة، و أنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبّة له، قال: وكان كلّ ليلة يأتينا بعد العشاء؛ يحدّثنا قائمًا على رِجْلَيه حتّى يراوح بين رِجْلَيه من طول القيام، وأكثر ما يحدّثنا ما لقي من قومه من قريش، ثمّ يقول : كنّا مستضعفين مستذلّين بمكّة ، فلمّا خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم، ندال عليهم و يدالون علينا، فلمّا كانت ليلة أبطأ عن الوقت الّذي كان يأتينا فيه، فقلنا: لقد أبطأت عنّا اللّيلة؟ قال: «إنّه طرأ عليّ حزبي من القرآن، فكرهت أن أجيء حتّى أتمّه»[١].

---

١ ـ أورد ابن الأثير هذه القصّة بأكملها في ترجمته لأوس بن حُذَيفة، فقال: قال حُذَيفة: «قدمنا وَفْد ثقيف على رسول الله ﷺ، فنزل الأحلافيّون على المغيرة بن شعبة، و أنزل المالكيّين قبّته. و كان رسول الله يأتينا يحدّثنا بعد العشاء الأخيرة حتّى يراوح بين قدميه من طول القيام. و كان أكثر ما يحدّثنا اشتكاء قريش، يقول :« كنّا بمكّة مستذلّين مستضعفين، فلمّا قدمنا المدينة انتصفنا من القوم، فكانت الحرب سجال لنا و علينا». يقول حُذَيفة: احتبس عنّا (الرّسول) ليلة عن الوقت الّذي كان يأتينا فيه، ثمّ أتانا فقلنا: يا رسول الله احتبست عنّا اللّيلة عن الوقت الّذي كنت تأتينا فيه؟ فقال رسول الله ﷺ: إنّه طرأ عليّ حزبي من ←

قال أوس: سألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف تحزّبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة وثلاث عشرة، وحزب المفصّل واحد[1]، رواه أبو داود وهذا لفظه، و أحمد و ابن ماجه، وفي رواية للإمام أحمد قالوا: نحزّبه ثلاث سُوَر، وخمس سُوَر، و سبع سُوَر، وتسع سُوَر، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصّل من (قٓ) حتّى يختم. ورواه الطّبرانيّ في «مُعجَمه»: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ: كيف كان رسول الله ﷺ يحزّب القرآن؟ فقالوا: كان رسول الله ﷺ يحزّبه ثلاثًا، وخمسًا، فذكره.

وهذا الحديث يوافق معنى حديث عبدالله بن عمرو في أنّ المَسْنون كان عندهم قراءته في سبع، ولهذا جعلوه سبعة أحزاب، ولم يجعلوه ثلاثة ولا خمسة. وفيه أنّهم حزّبوه بالسُّوَر، وهذا معلوم بالتّواتر، فإنّه فد علم أنّ أوّل ما جزّئ القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين، وثلاثين، وستّين. هذه الّتي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السّورة، وأثناء القصّة و نحوذلك، كان في زمن الحَجّاج و ما بعده، و رُوي أنّ الحَجّاج أمر بذلك، ومن العراق فشا ذلك، ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك.

وإذا كانت التّجزئة بالحروف مُحْدَثة من عهد الحَجّاج بالعراق، فمعلوم أنّ الصّحابة قبل ذلك على عهد النّبيّ ﷺ وبعده كان لهم تحزيب آخر، فإنّهم كانوا يقدّرون تارةً بالآيات فيقولون: خمسون آية، ستّون آية. و تارةً بالسُّوَر، لكن تسبيعه بالآيات لم يروه أحد، ولا ذكره أحد، فتعيّن التّحزيب بالسُّوَر...

وهذا الّذي كان عليه الصّحابة هو الأحسن، لوجوه:

أحدها ـ أنّ هذه التّحزيبات المُحْدَثة تتضمّن دائمًا الوقوف على بعض الكلام المتّصل بما بعده. حتّى يتضمّن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه، فيحصل القارئ في اليوم الثّاني

← القرآن، فأحببت أخرج حتّى أقضيه». قال حذَيفة: فلمّا أصبحنا سألنا أصحاب رسول الله عن أحزاب القرآن كيف يحزّبونه ... إلخ» انظر بالإضافة إلى أبي داود و ابن ماجة، ابن الأثير في أسد الغابة (١: ١٦٧).

١ ـ حزب المفصّل يبدأ من سورة محمّد إلى آخر القرآن، وانظر: القاموس المحيط مادّة «فصل».

مبتدئًا بمعطوف، كقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[1] و قوله: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[2]، وأمثال ذلك. ويتضمّن الوقف على بعض القصّة دون بعض ـ حتّى كلام المتخاطبين ـ حتّى يحصل الابتداء في اليوم الثّاني بكلام المجيب، كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾[3].

ومثل هذه الوقوف لايسوغ ـ في المجلس الواحد إذا طال ـ الفصل بينها بأجنبيّ، و لهذا لو أُلحق بالكلام عطف أو استثناء أو شرط و نحو ذلك بعد طول الفصل بأجنبيّ، لم يسغ باتّفاق العلماء، و لو تأخّر القبول عن الإيجاب بمثل ذلك بين المتخاطبين، لم يسغ ذلك بلا نزاع، و من حكى عن أحمد خلاف ذلك فقد أخطأ، كما أخطأ من نقل عن ابن عبّاس في الأوّل خلاف ذلك، و ذلك أنّ المنقول عن أحمد أنّه فيما إذا كان المتعاقدان غائبين، أو أحدهما غائب و الآخر حاضرًا، فينقل الإيجاب أحدهما إلى الآخر، فيقبل في المجلس البلاغ و هذا جائز، بخلاف ما إذا كانا حاضرين، و الّذي في القرآن نقل كلام حاضرين متجاوزين، فكيف يسوغ أن يفرّق هذا التّفريق لغير حاجة؟ بخلاف ما إذا فرّق في التّلقين لعدم حفظ المتلقّن و نحو ذلك.

و الثّاني ـ أنّ النّبيّ ﷺ كانت عادته الغالبة و عادة أصحابه أن يقرأ في الصّلاة بسورة (ق) و نحوها، و كما كان عمر يقرأ بـ«يونس» و «يوسف» و «النّحل»، و لمّا قرأ ﷺ بسورة «المؤمنون» في الفجر أدركته سعلة فركع في أثنائها، و قال: «إنّي لأدخل في الصّلاة و أنا أُريد أن أُطيلها، فأسمع بكاء الصّبيّ فأُخفّف، لما أعلم من وجد أُمّه به».

و أمّا «القراءة بأواخر السُّوَر و أوساطها» فلم يكن غالبًا عليهم، و لهذا يتورّع في كراهة ذلك، و فيه النّزاع المشهور في مذهب أحمد و غيره، و من أعدل الأقوال قول من قال: يكره اعتياد ذلك دون فعله أحيانًا، لئلّا يخرج عمّا مضت به السّنّة و عادة السّلف من الصّحابة

---

١ ـ النّساء / ٢٤.

٢ ـ الأحزاب / ٣١.

٣ ـ الكهف / ٧٥.

و التّابعين.

وإذا كان كذلك فمعلوم أنّ هذا التّحزيب و التّجزئة فيه مخالفة للسّنّة أعظم ممّا في قراءة آخر السُّورة و وسطها في الصّلاة، و بكلّ حال فلا ريب أنّ التّجزئة و التّحزيب الموافق لما كان هو الغالب على تلاوتهم أحسن. و المقصود أنّ التّحزيب بالسُّورة التّامّة أوْلى من التّحزيب بالتّجزئة.

الثّالث ـ أن التّجزئة المُحْدَثة لا سبيل ـ فيها ـ إلى التّسوية بين حروف الأجزاء، و ذلك لأنّ الحروف في النّطق تخالف الحروف في الخطّ في الزّيادة و النّقصان، يزيد كلّ منهما على الآخر من وجه دون وجه، و تختلف الحروف من وجه، و بيان ذلك بأُمور:

أحدها ـ أنّ ألفات الوصل ثابتة في الخطّ، و هي في اللّفظ تثبت في القطع و تحذف في الوصل، فالعادُّ إن حسبها انتقض عليه حال القارئ إذا وصل و هو الغالب فيها، و إن أسقطها انتقض عليه بحال القارئ القاطع و بالخطّ.

الثّاني ـ أنّ الحرف المشدّد حرفان في اللّفظ، أوّلهما ساكن، و هذا معروف بالحسّ و اتّفاق النّاس، و هما متماثلان في اللّفظ، و أمّا في الخطّ فقد يكون حرفًا واحدًا مثل (إيّاك) و (إيّاك)، و قد يكونان حرفين مختلفين مثل: ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[1]، و (حينئذٍ) و (قد سمع)، فالعادُّ إن حسب اللّفظ فالإدغام إنّما يكون في حال الوصل دون حال القطع، ويلزمه أن يجعل الأوّل من جنس الثّاني، و هذا مخالف لهذا الحرف المعاد بها. و إن حسب الخطّ كان الأمر أعظم اضطرابًا، فإنّه يلزمه أن يجعل ذلك تارةً حرفًا و تارةً حرفين مختلفين، و هذا و إن كان هو الّذي يتهجّي فالنّطق بخلافه.

الثّالث ـ أنّ تقطيع حروف النّطق من جنس تقطيع العروضيّين، و أمّا حروف الخطّ فيخالف هذا من وجوه كثيرة، و النّاس في العادة إنّما يتهجّون الحروف مكتوبة لا منطوقة،

---

١ ـ الحمد/٦ ـ ٧.

و بينهما فرق عظيم.

الرّابع ـ أنّ النّطق بالحروف ينقسم إلى ترتيل و غير ترتيل، و مقادير المدّات و الأصوات من القُرّاء غير منضبطة، و قد يكون في أحد الحزبين من حروف المدّ أكثر ممّا في الآخر. فلا يمكن مراعاة التّسوية في النّطق، و مراعاة مجرّد الخطّ لا فائدة فيه، فإنّ ذلك لايوجب تسوية زمان القراءة.

وإذا كان تحزيبه بالحروف إنّما هو تقريب لا تحديد، كان ذلك من جنس تجزئته بالسُّوَر هو أيضًا تقريب، فإنّ بعض الأسباع قد يكون أكثر من بعض الحروف، و في ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتّصل بعضه ببعض، و الافتتاح بما فتح الله به السّورة، و الاختتام بما ختم به، و تكميل المقصود من كلّ سورة ما ليس في ذلك التّحزيب. و فيه أيضًا من زوال المفاسد الّذي في ذلك التّحزيب ما تقدّم التّنبيه على بعضها، فصار راجحًا بهذا الاعتبار.

و من المعلوم أنّ طول العبادة و قصرها يتنوّع بتنوّع المصالح، فتستحبّ إطالة القيام تارةً وتخفيفه أُخرى في الفَرْض و النَّفْل بحسب الوجوه الشّرعيّة، من غير أن يكون المشروع هو التّسوية بين مقادير ذلك في جميع الأيّام.

فعلم أنّ التّسوية في مقادير العبادات البدنيّة في الظّاهر لااعتبار به إذا قارنه مصلحة معتبرة، و لايلزم من التّساوي في القدر التّساوي في الفضل، بل قد ثبت في الصّحاح من غير وجه عن النّبيّ ﷺ أنّ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[1] تعدل ثلث القرآن[2]، و ثبت في الصّحيح أنّ فاتحة الكتاب لم ينزل في التّوراة ولا في الإنجيل و لا في القرآن مثلها[3]، و ثبت في الصّحيح أنّ آية

---

١ ـ الإخلاص/ ١.

٢ ـ ورد الحديث في البخاريّ عن أبي سعيد الخُدريّ و لفظه: .... والّذي نفسي بيده أنّها ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ لتعدل ثلث القرآن. انظر: البخاريّ ٦: ٢٣٣ (كتاب فضائل القرآن، فضل قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ).

٣ ـ ورد الحديث في البخاريّ ٦: ٢٠٠ (كتاب التفسير. باب ما جاء في فاتحة الكتاب)، التّرمذيّ (ثواب القرآن)، ابن حنبل ٤: ٣١١.

الكرسيّ أعظم آيةٍ في القرآن[1]، و أمثال ذلك.

فإذا قرأ القارئ في اليوم الأوّل البقرة و آل عمران و النّساء بكمالها، و في اليوم الثّاني إلى آخر براءة، و في اليوم الثّالث إلى آخر النّمل كان ذلك أفضل من أن يقرأ في اليوم الأوّل إلى قوله: ﴿بَلِيغًا﴾[2]، و في اليوم الثّاني إلى قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾[3]، فعلى هذا إذا قرأه كلّ شهر كما أمر به النّبيّ ﷺ عبدالله بن عمرو أوّلًا عملًا على قياس تحزيب الصّحابة، فالسّورة الّتي تكون نحو جزء أو أكثر بنحو نصف أو أقلّ بيسير يجعلها حزبًا كآل عمران، و النّساء و المائدة، و الأنعام، و الأعراف.

و أمّا البقرة فقد يقال: يجعلها حزبًا و إن كانت بقدر حزبين و ثلث، لكنّ الأشبه أنّه يقسمها حزبين للحاجة، لأنّ التّحزيب لابدّ أن يكون متقاربًا، بحيث يكون الحزب مثل الأجزاء و مثله مرّة و دون النّصف، و أمّا إذا كان مرّتين و شيئًا فهذا تضعيف وزيادة.

و على هذا فإلى الأعراف سبعة أجزاء، و الأنفال جزء، و براءة جزء، فإنّ هذا أولى من جعلها جزءًا، لأنّ ذلك يفضي إلى أن يكون نحو الثّلث في ثمانية. و الّذي رجّحناه يقتضي أن يكون نحو الثّلث في تسعة، و هذا أقرب إلى العدل. و تحزيب الصّحابة أوجب أن يكون الحزب الأوّل أكثر، و يكون إلى آخر العنكبوت العُشر الثّاني سورتين سورتين.

و أمّا يونس و هود فجزءان أيضًا أو جزء واحد، لأنّهما أوّل ذوات (الر)، و يكون على هذا الثُّلث الأوّل سورةً سورةً، و الثّاني سورتين سورتين، لكنّ الأوّل أقرب إلى أن يكون قريب الثُّلث الأوّل في العشر الأوّل، فإنّ الزّيادة على الثُّلث بسورة أقرب من الزّيادة بسورتين، و أيضًا فيكون عشرة أحزاب سورةً سورةً، و هذا أشبه بفعل الصّحابة، و يوسف و الرّعد جزء، و كذلك إبراهيم و الحِجر، و كذلك النّحل و سبحان (الإسراء)، و كذلك الكهف و مريم،

---

١ ـ انظر: (فضل آية الكرسيّ) في البخاريّ ٦: ٢٣١ (فضل سورة البقرة).

٢ ـ النّساء/ ٦٣.

٣ ـ الأعراف/ ١٧٠.

و كذلك طه و الأنبياء، و كذلك الحجّ و المؤمنون، و ذلك النّور و الفرقان، و كذلك ذات (طسٓ) الشّعراء و النّمل و القصص، و ذات (الٓمٓ) العنكبوت و الرّوم و لقمان و السّجدة جزء، والأحزاب و سبأ و فاطر جزء، و(يسٓ) و (الصّافّات) و (صٓ) جزء و الزّمر و غافر و(حمٓ) السّجدة جزء، و الخمس البواقي من آل (حمٓ) جزء.

و الثُّلث الأوّل أشبه بتشابه أوائل السُّوَر، و الثّاني أشبه بمقدار جزء من تجزئة الحروف و هو المرجّح. ثمّ «القتال» و «الفتح» و «الحجرات» و «قٓ» و «الذّاريات» جزء، ثمّ الأجزاء الأربعة المعروفة، و هذا تحزيب مناسب مشابه لتحزيب الحروف، و إحدى عشرة سورة حزب حزب، وإذ البقرة كسورتين، فيكون إحدى عشرة سورة، و هي نصيب إحدى عشرة ليلة، و الله أعلم. (١: ٢٤ـ٣١)

الفصل السّابع

نصّ القُرطبيّ (م: ٧٤٩) في «الجامع لأحكام القرآن»

وضع الأعشار

فقال ابن عطيّة: مرّ بي في بعض التّواريخ أنّ المأمون العبّاسيّ أمر بذلك، وقيل: إنّ الحَجّاج فعل ذلك ... [ثمّ ذكر رواية في كراهة تعشير المُصْحَف كما تقدّم عن الدّانيّ الرّقم ١، ٧، ٩].

وسُئِل مالك عن المصاحف يكتب فيها خواتم السُّوَر في كلّ سورة ما فيها من آية، قال: إنّي أكره ذلك في أُمّهات المصاحف أن يكتب فيها شيء أو يشكل، فأمّا ما يتعلّم به الغِلْمان من المصاحف فلا أرى بذلك بأسًا.

قال أشهب: ثمّ أخرج إلينا مُصْحَفًا لجدّه، كتبه إذ كتب عُثمان المصاحف، فرأينا خواتمه من حِبْر على عمل السّلسلة في طول السّطر، ورأيته معجوم الآي بالحِبْر.

وقال قَتادة: بدؤا فنقّطوا ثمّ خمّسوا ثمّ عشّروا.

وقال يحيى بن أبي كثير: كان القرآن مجرّدًا في المصاحف، فأوّل ما أحدثوا فيه النُّقَط على الباء والتّاء والثّاء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له، ثمّ أحدثوا نُقَطًا عند منتهى الآي، ثمّ أحدثوا الفواتح والخواتيم.

وعن أبي حمزة قال: رأى إبراهيم النَّخَعيّ في مُصْحَفي فاتحة سورة كذا وكذا، فقال لي: امْحه، فإنّ عبد الله بن مسعود قال: لا تخلطوا في كتاب الله ما ليس فيه.

وعن أبي بكر السّرّاج قال: قلت لأبي رَزين: أأكتب في مُصْحَفي سورة كذا وكذا؟ قال:

إنّي أخاف أن ينشأ قوم لا يعرفونه، فيظنّونه من القرآن.

قال الدّاني رحمه الله: وهذه الأخبار كلّها تؤذن بأنّ التّعشير والتّخميس وفواتح السُّوَر ورؤوس الآي من عمل الصّحابة رضي الله عنهم، قادهم إلى عمله الاجتهاد، وأرى أنّ من كره ذلك منهم ومن غيرهم إنّما كره أن يعمل بالألوان كالحُمْرة والصُّفْرة وغيرهما، على أنّ المسلمين في سائر الآفاق قد أطبقوا على جواز ذلك واستعماله في الأُمّهات وغيرها، والحرج والخطأ مرتفعان عنهم فيما أطبقوا عليه إن شاء الله. (١: ٦٣ـ ٦٤)

الفصل الثّامن

نصّ ابن كثير (م: ٧٧٤) في «تفسير القرآن العظيم»[١]

[التّحزيب والتّجزئة]

وأمّا «التّحزيب والتّجزئة»، فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الرّبعات بالمدارس وغيرها، وقد ذكرنا فيما تقدّم الحديث الوارد في تحزيب الصّحابة للقرآن والحديث في مسند الإمام أحمد وسُنَن أبي داود وابن ماجة وغيرهم عن أوس بن حُذَيفة أنّه سأل أصحاب رسول الله ﷺ في حياته: كيف تحزّبون القرآن؟ قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وأحد عشرة وثلاث عشرة[٢] وحزب المفصّل من «قٓ» حتّى تختم. (١: ١٤)

١ـ ذكر الزّركشيّ مثل هذا النّصّ في «البرهان في علوم القرآن» ١: ٢٥٠. (م)

٢ـ كذا والقاعدة في المذكّر أحد عشر و ثلاثة عشر، وفي المؤنّث إحدى عشرة و ثلاث عشرة.

الفصل التّاسع

نصّ الزُّرقانيّ (م : ١٣٦٨) في « مناهل العرفان .. »

تجزئة القرآن

كانت المصاحف العُثمانيّة مجرّدةً من التّجزئة الّتي نذكرها ، كما كانت مجـرّدةً مـن الـنَّقْط والشَّكْل . ولـمّـا امتدّ الزّمان بالنّاس جعلوا يفتنون في المـصاحف وتجزئتـها عـدّة تجزئـات ، مختلفة الاعتبارات .

فمنهم من قسّم القرآن ثلاثين قسمًا، وأطلقوا على كلّ قسم منها اسم الجزء، بحيث لايخطر بالبال عند الإطلاق غيره،حتّى إذا قال قائل: قرأتُ جزءًا من القرآن ،تبادر إلى الذّهن أنّه قرأ جزءًا من الثّلاثين جزءًا الّتي قسّموا المُصْحَف إليها. وجرى على ذلك أصحاب الرَّبعات، إذ طبعوا كلّ جزء في نسخة مستقلّة، ومجموع النُّسَخ الجامعة للقرآن كلّـه يـسمّونه « رَبْعـة » . ويوجد من هذا القبيل أجزاء مستقلّة بالطّبع بأيدي صغار التّلاميذ في المدارس وغيرهم .

ومن النّاس من قسّموا الجزء إلى حِزْبين ، ومن قسّموا الحِزْب إلى أربعة أجزاء، سمّوا كـلّ واحد منها رُبْعًا .

ومن النّاس من وضعوا كلمة خمس عند نهاية كلّ خمس آيات من السّورة ، وكلمة عـشر عند نهاية كلّ عشر آيات منها ، فإذا انقضت خمس أُخرى بعد العشر أعادوا كلمة خمس ، فإذا صارت هذه الخمس عشرًا أعادوا كلمة عشر ، وهكذا دَوالَيْك إلى آخر السّورة .

وبعضهم يكتب في موضع الأخماس رأس الخاء بدلًا من كلمـة خمس،ويكتـب في موضـع

الأعشار رأس العين بدلًا من كلمة عشر.

وبعض النّاس يرمز إلى رؤوس الآي برقم عددها من السّورة أو من غير رقم.

وبعضهم يكتب فواتح للسُّوَر كعنوان ينوّه فيه باسم السّورة وما فيها من الآيات المكّيّة والمدنيّة إلى غير ذلك. وللعلماء في ذلك كلام طويل بين الجواز بكراهة والجواز بلا كراهة، ولكنّ الخطب سهل على كلّ حال، ما دام الغرض هو التّيسير والتّسهيل، وما دام الأمر بعيدًا عن اللّبْس والتّزيّد والدّخيل، ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[1]. (١: ٤٠٢-٤٠٣)

١ـ النّحل / ٩.

الفصل العاشر

نصّ صبحيّ الصّالح (م: ١٤٠٧) في «مباحث في علوم القرآن»

[تقسيم القرآن إلى أجزاء والأجزاء إلى أحزاب...]

من المُحْدَثات الّتي كرهها العلماء أوّل الأمر، ثمّ انتهوا إلى إباحتها أواستحبابها أخيرًا، بدعة كتابة العناوين في رأس كلّ سورة، ووضع رموز فاصلة عند رؤوس الآي، وتقسيم القرآن إلى أجزاء، والأجزاء إلى أحزاب، والأحزاب إلى أرباع، والإشارة إلى ذلك كلّه برسوم خاصّة.

والرّموز المشيرة إلى رؤوس الآي سارع النّاس إلى تلقّيها بالقبول قبل سواها، لاحتياجهم إلى معرفة تقسيم الآيات، ولاسيّما بعد أن انعقد الإجماع على أنّ ترتيب الآيات توقيفيّ[1]. قد تباينت طرائق رمزهم إليها، فقد يذكرون عند رأس كلّ آية رقم عددها من السّورة، و قد يُغفلون ذلك. و أحيانًا يضعون كلمة عشر أو رأس «العين» حرفها الأوّل عند نهاية كلّ عشر آيات من السّورة[2]، أو كلمة خمس أو رأس «الخاء» حرفها الأوّل عند نهاية كلّ خمس آيات، ولا يجدون في شيء من ذلك بأسًا.

أمّا العناوين الّتي كانوا يكتبونها في فواتح السُّوَر منوّهين فيها بأسمائها وما فيها من الآيات

١ـ و مع ذلك، اختلف العلماء في عدد الآي، و قد بيّن الزّركشيّ في «البرهان» ١: ٢٥١ ـ ٢٥٢ أنّ سبب هذا الاختلاف «أنّ النّبيّ ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتّوقيف، فإذا علم محلّها وصل التّمام، فيحسب السّامع أنّها ليست فاصلة.

٢ـ و في البرهان: ١: ٢٥١ : «و أمّا وضع الأعشار فقيل: أنّ المأمون العبّاسيّ أمر بذلك، و قيل: إنّ الحجّاج فعل ذلك».

المكّيّة والمدنيّة، فكانت لابدّ أن تثير معارضة عنيفة في الأوساط المحافظة، لأنّ كثيرًا من العلماء بَله! عامّة النّاس، كانوا يعتقدون أنّ هذه الأُمور ليست توقيفيّة، بل للصّحابة فيها نصيب غير قليل من الاجتهاد. وإذا كنّا لم نسلم بأنّ ترتيب السُّوَر اجتهاديّ، بل رجّحنا أنّه كترتيب الآيات توقيفيّ[1]، فإنّنا لانملك دليلًا قويًّا على أنّ أسماء السُّوَر توقيفيّة أيضًا[2]، وليس في وسعنا أن ندّعي الإجماع على مكّيّة بعض السُّوَر ومدنيّة بعضها الآخر بحيث لايكون في السّورة الواحدة إلّا قول واحد متّفق عليه[3]. فهذا الاختلاف هو الّذي أثار تلك المعارضة العنيفة لكتابة العناوين في فواتح السُّوَر.

لكن حدّة العارضة ما لبثت أن خفّت[4]، فلم يقنع النّاس بكتابة تلك العناوين، بل طفقوا يفتنّون في تنميقها وتذهيبها، حتّى أوشك الجُهّال أن يعتقدوا أنّها جزء لايتجزّأ من الوحي القرآنيّ.

ولما أباح النّاس لأنفسهم كتابة الرّموز الفاصلة بين الآيات، ثمّ تجرّؤوا حتّى على كتابة العناوين في رؤوس السُّوَر، لم يَعُد ممكنًا منعهم من الذّهاب في تجويد المصاحف كلّ مذهب، و قد بدا لهم أنّ من تجويدها تجزئتها وتحزيبها، وراحوا يلتمسون على ذلك أدلّة من الرّوايات المأثورة؛ قال الزّركشيّ: وأمّا التّحزيب والتّجزئة فقد اشتهرت... [وذكر كما تقدّم عن ابن كثير]. (٩٧-٩٨)

١-راجع ص: ٦٩ إلى ٧١.

٢-قال الزّركشيّ في البرهان ١: ٢٧٠ «و ينبغي البحث عن تعداد الأسامي هل هو توقيفيّ أو بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثّاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كلّ سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها و هو بعيد».

٣-وانظر: الإتقان ١: ١٨-٢٣، الاختلاف حول مكّيّة بعض السُّوَر ومدنيّة بعضها.

٤- تجد في كتاب المصاحف لابن أبي داود :١٥٨ و ما بعدها وصفًا لموقف المعارضين و المتساهلين في كتابة هذه العناوين و الرّموز.

الفصل الحادي عشر

نصّ الشّيخ معرفة (م: ١٤٢٧) في «التّمهيد في علوم القرآن»

[وضع الأعشار والأخماس]

أمّا وضع الأعشار والأخماس وغيرهما من علائم التّحزيب والتّجزئة ؛ فقيل: إنّ المأمون العبّاسيّ هو الّذي أمر بذلك.

وقيل: إنّ الحَجّاج فعل ذلك، قال أحمد بن الحسين: بعث الحَجّاج إلى قُرّاء البَصْرة، فجمعهم واختار منهم جماعة، وقال: عدّوا حروف القرآن، فجعلوا يعدّونها أربعة أشهر، وإذا هي (٧٧٤٣٩) كلمة، و(٣٢٣٠١٥) حرفًا.

وفي رواية (٣٤٠٧٤٠) حرفًا. وينتصف القرآن على الفاء من قوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾[1].

وعدد آياته في قول عليّ عليه السلام (٦٢١٨) آية.

وقد اشتهر تحزيب القرآن وتجزئته إلى ثلاثين جزءً تسهيلًا لقراءته في المدارس و غيرها.

(١: ٣١٣)

---

١ ـ الكهف/ ١٩.

الفصل الثّاني عشر

نصّ الأبياريّ (معاصر) في «تاريخ القرآن» [1]

تجزئة المُصْحَف

لقد سُقنا لك الحديث عن عدد سُوَر القرآن و عدد كلماته، و عدد حروفه؛ و ما نظنّ هذا كلّه بدأ مع السّنين الأُولى أيّام كان المسلمون مشغولين بجمع القرآن وتدوينه عهد أبي بكر و عمر، ثمّ عهد عُثمان، و ما نظنّه إلّا تخلّف زمنًا بعد هذا على أيّام الحَجّاج.

و لقد كان المسلمون والوحي لايزال متّصلًا يختصّون يومهم بنصيب من القرآن، يَخْلون إلى أنفسهم ساعةً من يومهم هذا يتلون فيها ما تيسّر، يفرض كلّ منهم على نفسه جزءًا بعينه، و إلى هذا يُشير مارُوي عن المغيرة بن شُعبة، قال: استأذن رجل على رسول الله ﷺ، و هو بين مكّة و المدينة، فقال: إنّه قد فاتني اللّيلة جُزئي من القرآن، فإنّي لاأُوثر عليه شيئًا [2].

و ما نشكّ في أنّ هذه التّجزئة كانت فرديّة، أي أنّ مرجعها كان لكلّ فرد على حِدَة، و نكاد نذهب إلى أنّها لم تكن على التّساوي. و هذا التّجزئة الّتي أخذ المسلمون بها أنفسهم مبكّرين، ليجعلوا للقرآن حظًّا من ساعات يومهم، حتّى لايغيبوا عنه فيغيب عنهم، وحتّى يُيسّروا على أنفسهم ليمضوا فيه إلى آخره أُسبوعًا بعد أُسبوع، أو شهرًا بعد شهرٍ، هذه التّجزئة الأُولى غير المضبوطة هي الّتي أمْلَت على المسلمين بعد في أن يأخذوا في تجزئة القرآن تجزئةً تخضع

١ـ طُبع هذا الكتاب ضمن كتاب «الموسوعة القرآنيّة» للمؤلّف، المجلّد الأوّل. (م)

٢ـ المصاحف: ١١٨.

لمعايير مضبوطة، و لم يكن عليهم ضَيْرٌ في أن يفعلوا.

عند هذه و بعد أن استوى المُصْحَف بين أيديهم مكتوبًا، كان عدّ السُّوَر و عدّ الكلمات و عدّ الآيات، و لايعني هذا أنّ المسلمين الأُوَل أيّام الرّسول كانوا بعيدين البُعْد كلّه عن هذا كلّه، بل أنّ ما نعنيه هو الإحصاء المُستوعب الشّامل، و أمّا غيره فما نظنّنا ننكره على المسلمين الأُوَل، و من ذلك ما رُوي عن ابن مسعود أنّه قال: أقرأني رسول الله ﷺ سورة من الثّلاثين من آل حمٓ، يعني الأحقاف.

ويقول السّيوطيّ: كانت السّورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آيةً سُمِّيت الثّلاثين[1].

ولكنّ هذا الاستيعاب الشّامل لم يكن إلّا مع أيّام الحَجّاج، و دليلنا على هذا ما يرويه أبوبكر بن أبي داود، يقول: جمع الحَجّاج بن يوسف الحُفّاظ و القُرّاء ...[و ذكر كما تقدّم عنه، الرّقم ٥، ثمّ قال:]

كانت هذه نظرة الحَجّاج مع القُرّاء و الحُفّاظ، و كانت تجزئته للقرآن بوفق عدد حروفه، و لقد رأيناه كيف جزّأه نصفين، ثمّ أسباعًا، ثمّ أثلاثًا، ثمّ أرباعًا. و ما نظنّ الحَجّاج كان يستملي في هذه التّجزئة إلّا عن تفكير في التّيسير، فجعله نصفين على القارئ المجدّ، ثمّ أثلاثًا على اللّاحق، ثمّ أرباعًا على من يتلو اللّاحق، ثمّ أسباعًا على من يريد أن يتمّه في أُسبوع، و كانت ذلك هي النّهاية الّتي أحبّها الحَجّاج للمسلمين، و كأنّه لم يحبّ لهم أن يتجاوزوها، لذلك لم يمض مع القُرّاء و الحُفّاظ يسألهم عمّا بعدها، و نحن نعلم أنّ الحَجّاج كان يقرأ القرآن كلّه في كلّ ليلة[2]. و حين نظر الحَجّاج في القرآن يجزّئه هذه التّجزئة الّتي تحدّها الحروف ،بدأ غيره من بعده ينظرون في تجزئة القرآن تجزئة تمليها الآيات، فقسّموه أنصافًا، و أثلاثًا، و أرباعًا، و أخماسًا، وأسداسًا، و أسباعًا و أثمانًا، و أتساعًا و أعشارًا.

١ـ الإتقان ١: ٦٦.

٢ـ المصاحف: ١١٩ـ ١٢٠.

و ما نظنّ هؤلاء الّذين جاءوا في إثر الحَجّاج بهذه التّجزئة الّتي تخالف تجزئة الحَجّاج كانوا يستملون إلّا عن مثل ما استملى الحَجّاج عنه، و هو التّيسير، ثمّ الإرخاء في هذا التّيسير، ثمّ تخصيص كلّ يوم بنصيب لايزيد و لاينقص، وكان أقصى ما أرادوه لكلّ مسلم أن يتمّ قراءة القرآن في أيّام لاتعدو العشرة. ولقد مرّ بك قبل ـ عند الكلام على عدّ آيات القرآن ـ ما كان من خلافٍ يسيرٍ علمت سببه، ولكنّ هذا الخلاف اليسير في عدّ الآيات جرّ إلى خلاف يسير في هذه التّجزئة.

و لقد كانت فكرة الحَجّاج و فكرة من جاء بعد الحَجّاج في تجزئة القرآن هي التّيسير على التّالي، ولكنّ الحَجّاج كان مُتشدِّدًا، مُتشدِّدًا على نفسه أوّلًا كما رأيت، فلم يجاوز في تيسيره إلى غير سبعة أيّام، ولكنّ من جاءوا بعد الحَجّاج لم يكونوا على تشدّد الحَجّاج، فأرخوا شيئًا في التّيسير وزادوا الأيّام إلى عشرة. و ما وقف التّيسير عند هذا الحدّ الّذي انتهى إليه الّذين جاءوا الحَجّاج، بل نرى الميسّرين أرخوا للقارئين إلى أن بلغوا بهم الثّلاثين، فإذا القرآن مجزّأ إلى ثلاثين جزءًا.

غير أنّ هذه المراحل الّتي جاءت بعد الحَجّاج لم تتمّ في يوم و ليلة، بل امتدّت بامتداد الأيّام، ولقد كانت وفاة الحَجّاج في العام الخامس و التّسعين من الهجرة، و نرى السِّجستانيّ يروي أخباره في تجزئة القرآن تلك التّجزئة الثّانية عن رُواة تنحصر وفاتهم في القرن الثّاني للهجرة، ثمّ نرى ابن النّديم و هو يتكلّم عن الكُتُب المؤلّفة في أجزاء القرآن يذكر لنا:

١ـ كتاب أسباع القرآن لحمزة بن حبيب بن عُمَارة الزّيّات، ولقد كانت وفاة حمزة سنة ١٥٨ هـ.

٢ـ كتاب أجزاء ثلاثين عن أبي بكر بن عَيّاش، ولقد كانت وفاة أبي بكر بن عَيّاش سنة ١٩٣ هـ[١].

---

١ ـ الفهرست: ٥٥، طبعة مصر.

و ما يَعنينا الكتاب الأوّل، فلقد علمنا أنّ تجزئة القرآن أسباعًا كانت على يد الحَجّاج حُروفًا، وقد تكون على يد حمزة آيات، نقول: لا تُعنينا هذه ولكن تَعنينا الثّانية، فهي تدلّنا على أنّ تجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءاً ـ و هي التّجزئة الّتي عليها مصاحفنا اليوم ـ تجزئة قديمة انتهت إلى أبي بكر بن عَيّاش، بهذا يُشعرنا أُسلوب ابن النّديم، إذ لم يَعْزُ الكتاب لأبي بكر و إنّما قال: عن أبي بكر بن عَيّاش.

إذن فتجزئة القرآن ثلاثين جزءاً لم تغب عن القرن الثّاني الهجريّ، و لا يبعد أن تكون دون منتهاه بكثير، فقد كان مولد أبي بكر بن عَيّاش سنة ستّ وتسعين من الهجرة، و الرّجل يصلح للتّلقّي و الرّواية من الخامسة و العشرين من عمره، أي أنّ أبا بكر بن عيّاش كان رجل رواية و تلقٍّ مع العام العشرين بعد المائة الأُولى من الهجرة.

و هذه التّجزئة الأخيرة، أعني تجزئة القرآن ثلاثين جزءاً هي التّجزئة الّتي غلبت وعاشت، ولعلّ ما ساعد على غلبتها يُسرها، ثمّ ارتباطها بعدد أيّام الشّهر، ونحن نعلم كم تجد هذه التّجزئة إقبالًا عظيمًا في شهر رمضان من كلّ عام، و ما نظنّ الّذين جزّءوا انتهوا إلى هذه التّجزئة الأخيرة في مرحلة واحدة متجاوزين التّجزئة العشريّة إلى التّجزئة الثّلاثينيّة، والّذي نقطع به أنّه كانت ثمّة تجزئات بين هاتين المرحلتين لاندري تدرّجها، ولكن يعنينا أن نقيّد أنّ ثمّة تجزئة تقع في عشرين جزءاً، تحتفظ بها مكتبة دار الكُتُب المصريّة.

و بهذه التّجزئة ـ أي إلى ثلاثين جزءاً ـ أصبح القرآن يُعرض أجزاءً منفصلة كلّ جزء على حِدَة، و أصبحنا نراه في المساجد ـ لاسيّما في شهر رمضان ـ محفوظًا في صناديق بأجزائه الثّلاثين، كلّ مجموعة في صندوق، يقدّمه الرّاغبون في الثّواب إلى المختلفين إلى المساجد رغبة في تلاوة نصيب من القرآن.

وأصبح يُطلق على هذه الأجزاء الثّلاثين اسم رَبْعَة، و الرَّبْعَة في اللّغة: الصّندوق أو الوعاء من جلد، و لعلّ تسمية الأجزاء الثّلاثين بهذا الاسم جاءت من إطلاق المحلّ على الحالّ فيه.

ولكنّ هذا التّيسير الأخير جرّ إلى تيسير آخر يتّصل به، و ما نشكّ في أنّ الدّافع إليه كان

التّيسير هنا على الحافظين، بعدأن كان التّيسير قبل على القارئين، وفرق بين أن تيسّر على قارئ وبين أن تيسّر على حافظ. من أجل هذه فيما نظنّ كان تقسيم الأجزاء الثّلاثين إلى أحزاب، كلّ جزء ينقسم إلى حزبين، ثمّ تقسيم الحزب إلى أرباع، كلّ حزب ينقسم إلى أربعة أرباع.

[عدد الآيات عند قُرّاء الأمصار]

و على هذا التّقسيم الأخير طُبِعت المصاحف، واعتمد هذا التّقسيم على الجانب الرّاجح بين القُرّاء في عدد الآيات، فأنت تعلم هذا الخلاف الّذي بينهم:

فالمدنيّون الأُوَل يعدّون آيات القرآن	٦٠٠٠ آية.
و المدنيّون المتأخّرون يعدّون آيات القرآن	٦١٢٤ آية.
و المكّيّون المتأخّرون يعدّون آيات القرآن	٦٢١٩ آية.
و الكوفيّون يعدّون آيات القرآن	٦٢٣٦ آية.
و البَصْريّون يعدّون آيات القرآن	٦٢٠٤ آية.
و الشّاميّون يعدّون آيات القرآن	٦٢٢٥ آية.

و في هذا الخلاف كان ثمّة ترجيح، وثمّة اتّفاق و ثمّة تغليب. و قد انبرى لهذا «السّفاقسيّ» في كتابه: «غَيْث النّفع». و لقد اعتمد السّفاقسيّ على رجلين سبقاه في هذه الصّناعة، هما: أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أبي بكر القَسْطلانيّ في كتابه: «لطائف الإشارات في علم القراءات»، و القادري محمّد، و كتابه: «مُسْعِف المُقْرِئين ومُعين المشتغلين بمعرفة الوقف و الابتداء»، و انتهى إلى الرّأي الرّاجح أو المتّفق عليه، وبهذا أخذ الّذين أشرفوا على طبع المُصْحَف طبعته الأخيره في مصر، و خرج يحمل الإشارات الجانبيّة الدّالّة على مكان الأجزاء و الأحزاب وأرباع الأحزاب. (١: ٣٧٨ـ ٣٨٠)

الفصل الثّالث عشر

نصّ الزّفزاف (معاصر) في «التّعريف بالقرآن والحديث»

تقسيم القرآن

إنّا نجد القرآن فيما نقرأ من مصاحف اليوم مقسّمًا إلى ثلاثين جزءًا، وكلّ جزء منها مقسّم إلى حزبَيْنِ، و كلّ حزب مقسّم إلى أربعة أقسام، كلّ قسم منها يسمّى رُبعًا.

فهل كان القرآن في عهد الرّسول ﷺ، أو في عصر الصّحابة و من تبعهم على هذا التّقسيم؟ أم ماذا؟

الّذي يمكن القول به أنّ القرآن كان في عهد الرّسول ﷺ مُقسّمًا، ولكنّه ليس على هذا النّحو الّذي نجده الآن، و يدلّ لذلك مارواه أحمد و أبو داود عن أوس بن حُذَيفة الثّقفيّ ... [وذكر كما تقدّم عن ابن تيميّة، ثمّ قال:]

فهذا الحديث يدلّنا على أنّهم كانوا يقسّمون القرآن إلى أحزاب، منها ما هو ثلاث سُوَر، ومنها ما هو خمس ... إلى آخر ما ذكر. كما أنّه يعطينا أنّهم كانوا يجعلون أحزابه أوتارًا، و أنّ عدّة أحزاب القرآن آنئذٍ كانت سبعة. ومعنى «طرأ عليّ حزبي» أنّه تذكرة بعد أن كان قد نسيه... [ثمّ ذكر روايةً عن قَتادة، كما تقدّم عن السِّجستانيّ، الرّقم ٣، فقال:]

ثمّ يحدّثنا أنّ الحَجّاج بن يوسف الثّقفيّ (توفّي ٩٥ هـ) جمع الحُفّاظ و القُرّاء و سألهم أن يخبروه عن عدد حروف القرآن كلّه، و سألهم أن يخبروه عن نصفه، و عن أثلاثه، وعن أرباعه، وعن أسباعه، وعن أعشاره بحسب عدد الحروف؛ و الظّاهر أنّه كان يريد وضع علامات في

المُصْحَف تدلّ على هذه الأقسام، كما نجد في مصاحفنا اليوم علامات تدلّ على الأجزاء، والأحزاب، و الأرباع، و هذا ما يكشف عنه ابن عطيّة إذ يقول: «مرّ بي في بعض التّواريخ أنّ المأمون العبّاسيّ أمر بذلك (يشير إلى وضع الأعشار على المُصْحَف) و قيل: إنّ الحَجّاج فعل ذلك[1]...[ثمّ ذكر روايتين عن ابن مسعود و أشهب، كما تقدّم عن الدّانيّ، الرّقم ١و ٩،فقال:]

ومن كلّ ما تقدّم نأخذ أنّ تقسيم القرآن إلى أقسام كان منذ عهد الرّسول ﷺ، واستمرّ في عهد الصّحابة، كما نأخذ من الرّواية الّتي ذُكِرَت عن عبدالله بن مسعود أنّه كان يكره التّعشير في المصاحف و يحكّه، أنّ كتابة علامات لأقسام القرآن على المصاحف كانت مستعملة في عهده، و لكنّها ربّما كانت قليلة الاستعمال، وكان منهم من ينهى عنها، لأنّهم كانوا يكرهون أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فبالغوا في الحيطة لهذا بكراهة كتابتها في المصاحف و النّهي عنها، و أنّ وضع الأعشار ـ و هي العلامات الدّالّة على كلّ عُشر من القرآن ـ قد استعملت منذ عهد الحَجّاج بن يوسف.

أمّا تقسيمه إلى أجزاء وأحزاب وأرباع على ما هو عليه الآن، و وضع علامات دالّة على ذلك في المصاحف، فالظّاهر أنّه كان في تاريخ متأخّر.

و ممّا يؤنس بهذا أنّي قد طفتُ بمُتْحَف المصاحف في دار الكُتُب المصريّة، و شاهدتُ المصاحف الّتي احتواها في عصور مختلفة، فوجدت ما يأتي:

١ـ مُصْحَفًا يرجع تاريخه إلى القرن الأوّل، وقد عثر عليه بجامع عمرو بن العاص، و يقال: إنّه ربّما كان المُصْحَف الخاصّ بالخليفة عُثمان، و لم أجد في صفحاته علامات تدلّ على التّجزّئ، ولكنّ فيه علامات تدلّ على فواصل الآيات، هي عدّة شرط مائلة من اليمين إلى اليسار، و هو بالخطّ الكوفيّ.

٢ـ مُصْحَفًا آخر يقال: إنّه مُصْحَف الحسن البَصْريّ، ولم أجد به إلّا علامات الآي،

---

١ ـ انظر: تفسير القُرطُبيّ ١: ٥٤.

و علامات للتّعشير على النّحو الّذي ذكرت أنّه كان معروفًا منذ عهد الصّحابة، و كان ابن مسعود و غيره يكرهه، فإذا عرفنا أنّ الحسن البَصْريّ توفّي سنة ١١٠ هـ [١]، نعلم أنّه عاش في القرن الأوّل والثّاني، و قد أدرك في بدء حياته عهد عُثمان، إذا يُروى في ترجمته أنّه حفظ القرآن في عهد عُثمان. و حينئذٍ يكون التّقسيم الّذي نحن عليه الآن غير معروف إلى أوائل القرن الثّاني.

٣ـ مصاحف كُتِبت في القرن الثّاني والثّالث، و كلّها بالخطّ الكوفيّ، و بها تقسيم على طريقة الأعشار الّتي كانت معروفة في القرن الأوّل.

٤ـ وجدت مُصْحَفًا كُتِب في أواسط القرن الرّابع، و وجدت فيه علامات الأجزاء والأحزاب و الأرباع على النّحو الّذي نعرفه الآن.

و من هذا نستنتج أنّ ما يمكن الجزم به هو أنّ التّقسيم المعهود لنا الآن كان موجودًا في أواسط القرن الرّابع، و كان غير موجود إلى القرن الثّالث. أمّا الحقبة الّتي بين هذين العهدين فلم يكشف لنا ما حفظ من الآثار عن حالة التّقسيم فيها، و ربّما كان تقسيمنا معروفًا منذ أوائل القرن الرّابع أو أواخر القرن الثّالث. لأنّ شهرته بين الكاتبين تحتاج إلى زمن حتّى تتّبع كتابته في أواسط القرن الرّابع. هذا ما يمكن استنتاجه الآن حتّى يكشف لنا التّاريخ عن تحقيق وقته بالضّبط. (١٠٦ـ ١٠٩)

---

١ ـ انظر: تهذيب الأسماء و اللّغات للنّوويّ (١: ١٦١) من القسم الأوّل: الطّبعة المنيريّة.

الفصل الرّابع عشر

نصّ الحسينيّ الجلاليّ (١٣٦١ ـ ...) في «دراسة حول القرآن الكريم»

تجزئة المُصْحَف حدود ٢١٨ هـ

قام ابن الجَوْزيّ (ت ٥٩٧) بتجزئة القرآن نصفًا و ثُلثًا وأرباعًا و أخماسًا و أسداسًا وأسباعًا وأثمانًا و أتساعًا و أعشارًا، ثمّ أنصافها وتجزئة ثمانٍ و عشرين والثّلاثين والسّتّين في كتابه: «فنون الأفنان»، و من تجزئته يظهر أنّ مصطلح الحزب لم يكن سائدًا في عصره.

كما لم يظهر السّبب في قفزه في التّجزئة من الأعشار إلى (٢٨) و منه إلى (٣٠) و (٦٠) ...

[ثمّ ذكر قول ابن الجَوزيّ و القُرطبيّ، كما تقدّم عنهما، فقال:]

و هكذا استمرّ في تجزئة القرآن بالأرباع و الأخماس و الأسداس و الأسباع و الأثمان والأتساع و الأعشار، ثمّ أجزاء (٢٨) و أجزاء الثّلاثين، ثمّ أجزاء السّتّين، و نكتفي هنا بما ذكره في أجزاء الثّلاثين، حيث إنّه المتداول في عصرنا ... [ثمّ ذكر قول ابن الجَوزيّ، كما تقدّم عنه، فقال:]

أقول: و من هذه النُّقول يُستفاد أنّ التّجزئة إنّما حصلت على أثر الحاجة في التّعلّم أو الحفظ أو الحصّة اليوميّة من القراءة، و هذا عمل لا بأس به، و لو حصل بالتّجزئة بأيّة صورة كانت، لأنّها من الأغراض المشروعة، و حدّثني المقرئ الشّيخ محمود الحُصَريّ أنّ القدماء اعتادوا على وضع ثلاث نُقَط عند آخر كلّ آية إيذانًا بانتهائها، و كانوا يضعون لفظ خمس عند انقضاء خمس آيات، و نقط عشر عند انتهاء عشر آيات، ومع تكرار العدد يعيدون نقط خمس

و عشر حتّى انتهاء السّورة، و أنّ هذا معنى قول قَتادة: «بدأوا فنقّطوا ثمّ خمّسوا ثمّ عشّروا»، و لم يبق اليوم من هذه التّجزئة سوى الأجزاء الثّلاثين، و كلّ جزء حزبان و كلّ حزب أربعة أرباع، فالمجموع ثلاثون جزء.

كما يظهر أنّ تجزئة القرآن كانت اختياريّة حسب رغبات المسلمين و الظّروف الّتي يتمكّنون فيها من قراءة القرآن من أوّله إلى آخره، و في عصر الإمام الصّادق عليه السلام كانت التّجزئة في خمسة أجزاء و سبعة أجزاء و ١٤ جزءًا، فعن حسين بن خالد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: في كم أقرأ القرآن؟ فقال: «اقرأه أخماسًا، اقرأه أسباعًا، أما إنّ عندي مُصْحَفًا مجزّءًا أربعة عشر جزءًا»[١]. فيظهر أنّ التّجزئة (١٤) مبنيّة على تصنيف القرآن كلّ حزبين في جزء تقريبًا، والتّسبيع على قراءة أربعة أجزاء والتّخميس على قراءة ستّة أجزاء و ذلك بتقسيم ٣٠ على ١٤، لقرائة القرآن في خمسة أيّام أو أُسبوع أو أُسبوعين.

قال الأرجانيّ: قال يحيى بن كثير: ما كانوا يعرفون شيئًا ممّا أحدث في المصاحف إلّا النُّقَط الثّلاث على رؤوس الآيات، أخرجه ابن أبي داود و رُوي عن ابن سيرين أنّه كره النّقط، يعني على رؤوس الآيات و الفواتح و الخواتم. و عن ابن مسعود و مجاهد أنّهما كرها التّعشير. وأخرج ابن أبي داود عن النّخعيّ أنّه كان يكره العواشر و الفواتح و تصغير المُصْحَف، و أن يكتب فيه سورة كذا و كذا[٢].

و يظهر من رواية الزّركشيّ أنّ الحَجّاج كان له عناية خاصّة بتجزئة القرآن بالتّسبيع، فقد جمع القُرّاء و الحُفّاظ و الكُتّاب فقال... [و ذكر كما تقدّم عن السِّجستانيّ، الرّقم ٥، ثمّ قال:]

و المعمول اليوم في تجزئة القرآن إلى ثلاثين جزءًا، و استمرّت العادة في عصرنا للصّالحين من قراءة جزء في كلّ يوم من رمضان إلى ختم القرآن كلّه فيه و منهم من يضاعف العدد يوميًّا.

---

١ ـ الوسائل ٤: ٨٦٢.

٢ ـ كنزالمرجان ١: ١٤.

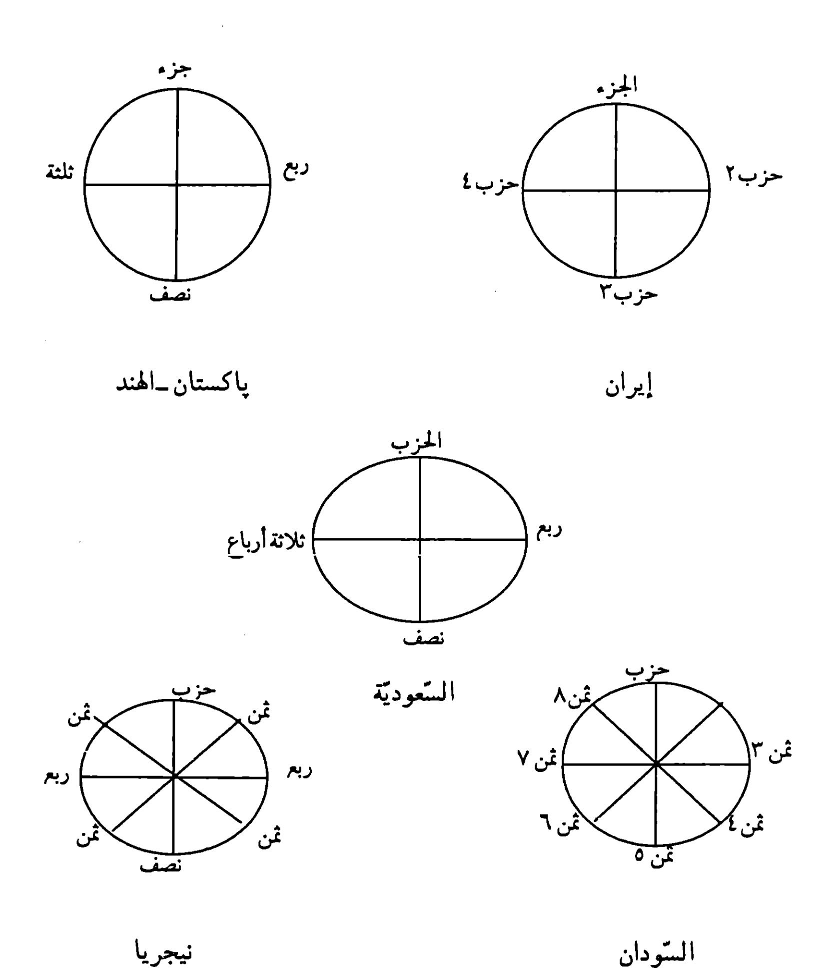
وكذلك توزّع الأجزاء في الوفيات، ليختم القرآن ثوابًا لروح الميّت من المشاركين في العزاء خلال ثلاثة أيّام. وتسهيلًا لهذه المهمّة في التّعليم من خلال الحصّة اليوميّة للتّلاميذ ابتكرت تقاسيم أخرى، أشهرها تقسيم المُصْحَف إلى أجزاء ثلاثين، و كلّ جزء إلى حزبين، فالأحزاب ستّون و كلّ حزب إلى اثنين فهما رُبْعان، فالأرباع ٢٤٠ رُبْعًا. و ظهر من كلام الزّركشيّ ما يفيد بأنّ هذه التّجزئة كانت لغرض التّعليم فقط، حيث قال: «فقد اشتهرت الأجزاء الثّلاثين كما في الرّبعات بالمدارس و غيرها»[1].

و المصاحف في المغرب الإسلاميّ درجت على تربيع القرآن، و هو رواية وَرْش عن نافع المنتشرة بالمغرب الإسلاميّ، فالرُّبع الأوّل ينتهي بالأنعام، والرُّبع الثّاني ينتهي بالأعراف، والرُّبع الثّالث ينتهي بمريم، و الرُّبع الرّابع يبتدئ بسورة ياسين إلى آخر القرآن، و التّربيع هذا غريب على أهل المشرق.

و يعبّرون عن الحصّة اليوميّة للقرآن بالرّكوع. و لا يعرف بالضّبط من اخترع هذه التّقاسيم، ممّا يظهر أنّه كانت محاولات فرديّة للحاجة الشّخصيّة. و المرويّ أنّ أوّل من ابتكر التّعشير هو المأمون العبّاسيّ (١٦٧ـ ٢١٨)، و كان عالمًا من خلفاء العبّاسيّين، بنى بيت الحكمة في بغداد، واهتمّ بثقافة الإغريق. و في عام ٢١٢ للهجرة أعلن مسألة خلق القرآن عقيدة رسميّة للدّولة موافقة للمعتزلة لضرب الأشاعرة، و عُرِفت هذه بـ«المحنة»، و انتهت هذه المحنة بوفاة المأمون في (٢١٨ هـ) بطَرْطوس، حيث يقع قبره اليوم في تركيا، و يعرف قبره بـ(مأمون آغا) و أثر هذا التّعشير لا زال معمولًا به إلى اليوم.

١ـ البرهان: ١: ٢٧٠.

تجزئة المُصْحَف في مختلف الطّبعات:



مقارنة تجزئة القرآن في الطّبعات

طبعة الهند و الباكستان	طبعة إيران	طبعة السّعوديّة	طبعة المغرب
٣٠ جزء (باره)	٣٠ جزء	٣٠جزء	٤٠ جزء
كلّ جزء نصفان	١٢٠ حزبًا	٦٠ حزبًا	٦٠ حزبًا
كلّ نصف رُبْعان	كلّ جزء ٤ أحزاب	كلّ جزء حزبان	كل جزء ١٥

حزب و كلّ حزب يقسم إلى أثمان

طبعة السّودان

طبعة دار المركز الإسلاميّ الأفريقيّ بالخُرْطوم السّودان ط ٢، ١٤١٠ هـ في ٣٠ جزءًا، كلّ جزء على حزبين و المجموع ٦٠ حزبًا، و كلّ حزب ثمانية أثمان، تبدأ بالثُّمْن الأوّل، وتنتهي بالثُّمن الثّامن من ١ إلى ٨.

طبعة نيجيريا

طبعة الحاجّ حسن انوماكنو في ٨١٩ صفحة في أربعة أقسام:

الأوّل ـ من البقرة إلى الأعراف في ١٥ حزبًا.

الثّاني ـ من الأعراف من ص ٢٠٥ في ١٥ حزبًا.

الثّالث ـ مريم من ص ٤٠٨ في ١٥ حزبًا.

الرّابع ـ من ص ٤٠٨ إلى آخر القرآن ص ٨١٩ في ١٥ حزبًا، و كلّ قسم تتخلّله ألوان وفراغات ملوّنة. و علامة (ث) للثُّلث، و (ب) للرُّبع، و (ث) للثُّمن، و (ن) للنّصف و هكذا.

و تمتاز هذه الطّبعة بأنّها تذكر في مفتتح كلّ رُبْعة عدد الوَرَقات لكلّ رُبْعة من الحزب، مستعملًا الحروف الأبجديّة، مثال ذلك في أوّل البقرة، يذكر لفظة: (كافّة: في رُبْعه تسع وعشرون وقفة) و هكذا إلى آخر القرآن. و علامات وقف محدودة و مبيّنة.

[الرّكوعات في بعض مصاحف المطبوعة]

الرّكوع: و قد زادت الطّبعات الباكستانيّة و الهنديّة في آخر مقطع من القرآن علامة (ع) للرّكوع، صورتها هكذا: ع ، مع أرقام في أعلى الحرف و وسطه و أسفله تدلّ على: رقم الرّكوع في السّورة ١، و عدد الآيات في الرّكوع ١٤، و عدد الرّكوع في الجزء ١٢.

و الرّكوع هو الحصّة اليوميّة للقراءة والحفظ في عامين تقريبًا، فيكون مجموع الرّكعات ٥٥٨، وتختلف في عدد الآيات طولًا و قصرًا، فالسُّوَر القصار من عبس رقم ٨٠، و ما بعد منها تحتوي على ركوع واحد. عدد آيات كلّ ركوع تعادل عدد آيات السّورة، أمّا تسلسل أرقام الرّكوعات في الجزء فتختلف.

فالجزء الثّلاثون يحتوي على السُّوَر: النّبأ (عمّ) إلى آخر القرآن.

و رقم ٧٨ سورة النّبأ (عمّ) يحتوي على ركوعين: الرّكوع الأوّل في السُّورة يحتوي على (٣٠) آية، الرّكوع الثّاني في السّورة يحتوي على (١٠) آيات.

ثمّ رقم ٧٩ سورة النّازعات تحتوي على ركوعين: الرّكوع الأوّل في السّورة يحتوي على (٢٦) آية، و الرّكوع الثّاني في السّورة يحتوي على (٢٠) آية.

ثمّ رقم ٨٠ سورة عبس تحتوي على ركوع واحد و هو يحتوي على (٢٢) آية، عدد آيات السّورة. و كلّ سورة بعد ذلك تحتوي على ركوع واحد، فيكون آخر السُّوَر ـ و هي سورة النّاس ـ الرّكوع رقم ٣٩ في الجزء الثّلاثين.

و من الواضح أنّ هذه التّقسيمات في تجزئة القرآن كلّها تقاسيم حادثة، إنّما ظهرت من أجل تسهيلها على من يريد تعلّم القرآن. (١٤٨ـ ١٥٥)

الأعلام والمصادر

التّعريف بمن أُضيف إلى هذا الجزء من الأعلام المؤلّفين

ـ أ ـ

ابن تيميّة (٦٦١ـ٧٢٨)

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام الحَرّانيّ الدّمَشقيّ الحَنبليّ ابن تيميّة، وُلِد في حَرّان بـ«تُركيا»، وانتقل إلى دِمَشق فنبغ واشتهر فيها، وكان يخالف المنطق والفلسفة ويعتقد قِدَم القرآن، وتأثّر محمّد بن عبد الوهّاب ببعض آرائه فابتدع طريقة تُنسَب إليه. ورحل إلى مصر فسُجِن مدّة لما استحدثه في العقيدة، ثمّ عاد إلى دِمَشق، ومات معتقَلًا بقلعة دِمَشق. وله كتب كثيرة منها: «دقائق التّفسير»، [٤ج، ط: دار الأنصار، القاهرة].

ابن الزُّبَير (٦٢٧ـ٧٠٨)

هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الزُّبَير بن الحسن بن الحسين الغَرْناطيّ الأندَلُسيّ المالكيّ، مُحدِّث، مؤرِّخ، مفسِّر، وُلِد في جيّان (شمال غَرْناطة) وأقام بمالَقَة (جنوب الأندَلُس)، فغادرها إلى غَرْناطة

وتوفّي فيها. وله كتب، منها: «البرهان في تناسب سُوَر القرآن»، [ط:جامعة الزّيتونة للشّريعة في تونس ١٤٠٨ ق].

ابن عاشور (١٢٩٦ـ١٣٩٣)

هو الشّيخ الأُستاذ محمّد طاهر بن عاشور، وُلِد ونشأ بتونس، وانتخب عام ١٣٥٠ ق زعيمًا لشيوخ المالكيّة بتونس، وكان عضو مجمع اللّغة العربيّة في مصر والمجمع العلميّ العربيّ في دِمَشق، وكان عالمًا باحثًا في أنواع العلوم الإسلاميّة والقرآنيّة، وله كتب منها: «تفسير التّحرير والتّنوير»، [٣٠ ج، ط: ١ مؤسّسة التّاريخ، ١٤٢٠ ق].

ابن عربيّ (٥٦٠ـ٦٣٨)

هو محمّد بن عليّ محمّد بن أحمد الطّائيّ الأندَلُسيّ الشّهير بـ محي الدّين ابن عربيّ، الملقّب بالشّيخ الأكبر، صاحب الكتابين المعروفين: «فصوص الحكم» و«الفتوحات المكّيّة». ويدّعي أنّه أهل الكشف والإشراقات. وُلِد في مُرسِية بالأندَلُس، ثمّ انتقل إلى إشبيلة، فزار الشّام وبلاد الرّوم والعراق والحجاز، واستقرّ في دِمَشق فتوفّي فيها، وله نحو أربع مائة كتاب ورسالة ومنها: «رحمة من الرّحمان في تفسير وإشارات القرآن»، [٤ج، ط: مطبة نَضْر دِمَشق].

ابن منظور (٦٣٠ـ ٧١١)

هو محمّدبن مُكرِم بن عليّ الأنصاريّ الإفريقيّ، المعروف بـ ابن منظور، وكان عالمًا بالنّحو واللّغة والتّاريخ والكتابة، وُلِد بـ مصر، وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثمّ ولّي القضاء في طرابلُس،

وعاد إلى مصر فتوفّي فيها. و له كتب كثيرة أشهرها: «لسان العرب»، [١٥ ج، ط: دار صادر بيروت].

أبو عُبَيدة (١١٠ـ٢١٠) هو مَعْمَر بن المثنّى التّيميّ البَصْريّ النّحويّ، و كان من أئمّة العلم والأدب واللّغة، مولده ووفاته بالبَصْرة، استقدمه هارون الرّشيد إلى بغداد عام ١٨٨ ق، وكان من الخوارج، ولكنّه يَكتِم عقيدته ولا يُعلِنها. و له كتب كثيرة، منها: «مجاز القرآن»، [٢ ج، ط: ٢ مطبعة الخانجيّ دار الفكر ١٣٩٠].

الأزهريّ (٢٨٢ـ٣٧٠) هو محمّد بن أحمد بن طلحة بن نوح الأزهريّ الهرويّ الشّافعيّ، وكان من أحد الأئمّة في اللّغة والأدب، وُلِد في هراة بخراسان، ثمّ رحل إلى بغداد، ولكن لم يمكث فيها طويلًا، فرجع إلى هراة واشتغل بالفقه على مذهب الشّافعيّ، وتوفّي فيها، وله كتب منها: «تهذيب اللّغة» [١٥ ج، ط: الدّار المصريّة، القاهرة ١٣٨٤ ق].

الأنصاريّ (...ـ ١٣١٠) هو العلّامة محمّد عليّ بن أحمد الأنصاريّ قراجة داغي التّبريزيّ، صاحب الحاشية لـ «قوانين الأُصول» للميرز القمّيّ، وكان عالمًا أُصوليًّا، فقيهًا مفسّرًا.. وله كتب كثيرة منها: «اللّمعة البيضاء في شرح خطبة الزّهراء عليها السّلام»، [المخطوطة: ١٢٩٧ ق].

(ب، ح، خ)

بازمول (معاصر) هو الدّكتور محمّد بن عمر بن سالم بازمول، الأُستاذ بجامعة أُمّ القرى وكلّيّة الدّعوة وأُصول الدّين بمكّة المكرّمة، وله: «علم المناسبات في

السُّوَر والآيات»، [ط: ١ المكتبة المكّيّة، مكّة المكرّمة ١٤٢٣ ق].

البُستانيّ (١٣١٦-...)

هو الدّكتور محمود البُستانيّ، باحثٌ مضطلعٌ في التّفسير والحديث وعلوم القرآن والأدب العربيّ، وُلد في النّجف الأشرف، هُجِّر إلى إيران فسكن قم، واشتغل في مجمع البحوث الإسلاميّة بمشهد الرّضا عليه السلام، ثمّ عاد إلى قم ولا زال فيها. وله كتب كثيرة منها: «التّفسير البنائيّ للقرآن» [ط: ١ مؤسّسة طبع ونشر الأستانة الرّضويّة مشهد ١٤٢٢ ق].

البِقائيّ (٨٠٩-٨٨٥)

هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن عليّ البِقائيّ، مؤرّخٌ، أديبٌ، مفسِّرٌ.. وأصله من البِقاع في لبنان، سكن دِمَشق، ورحل إلى بيت المَقْدِس والقاهرة، وتوفّي بدِمَشق، وله كتب كثيرة، منها: «نظم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر»، [٨ج، ط: ٢ دار الكتب العلميّة، بيروت ١٤٢٤ ق].

الحسينيّ الجلاليّ (١٣٦١-...)

هو السّيّد محمّدحسين الحسينيّ الجلاليّ، عالمٌ باحثٌ ومن تلامذة الشّيخ آغا بزرك الطّهرانيّ وخاصّته. وُلد بكربلا، ويشتغل حاليًا في شيكاغو بـ«أمريكا» بالتّدريس والتّحقيق، وحمل على عاتقه هناك، الاهتمام بأمور الشّيعة، وله كتب بالعربيّة والإنجليزيّة، منها: «دراسةٌ حَول القرآن الكريم»، [ط: مؤسّسة الأعلميّ، بيروت ١٤٢٢ق].

الحَويّ (١٣٥٤ـ١٤٠٩) هو سعيد بن محمّد بن ديب حَويّ ، وُلِد في حماة بسوريا ، وكان من أبرز الدُّعاة الإسلاميّين المنتمين إلى جماعة الإخوان المسلمين ، سُجِن ٥ سنوات ، وتوفّي في عَمّان بالأُردُن . وله كتب منها : «الأساس في التّفسير» قد ألّفه في السِّجْن ، [١١ج ، ط : ٣ دار السّلام للطّباعة والنّشر ، القاهرة] .

حيدر الآملي (٧٢٠ـ٧٩٤) هو السّيّد حيدربن عليّ بن حيدر العلويّ الحسينيّ الآمليّ ، عالمٌ ، مفسّرٌ ، فقيهٌ ، محدّثٌ ، وكان من أجلّة العلماء الإماميّة الصُّوفية ، له كتب ، منها : «المحيط الأعظم والبحر الخضمّ في تأويل كتاب الله العزيز المُحكم» ، [ط: الإرشاد الإسلاميّ ، طهران ١٤١٤ق] .

خليل بن أحمد (١٠٠ـ١٧٥) هوأبوعبد الرّحمان الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ الأزْديّ ، من أئمّة اللّغة والأدب وكان من النُّحاة المتقدّمين الكبار ، وواضع علم العَروض ، وقدصنّف أوّل مُعجم عربيّ ، وكان أُستاذ سيبَوَيه ، وعاش فقيرًا صابرًا ، وُلِد في البَصْرة ، و توفّي بها ، وله كتب كثيرة ، منها : «العَين» في اللّغة ، [٩ج ، ط: الثّانية ، إيران ١٤٠٩ ق] .

(د ، ر ، س ، ش)

الدّامغانيّ (...ـ٤٨٧) هو الشّيخ العلّامة الباحث الماهر ، أبوعبد الله الحسين بن محمّد الدّامغانيّ ، وله : «الوجوه والنّظائر في القرآن» ، صحّحه وحقّقه : الدّكتورأكبر بهروز . [ط : شفق ، تبريز ١٤٠٧ ق] .

الرّاغب الأصفهانيّ هو الحسين بن محمّد بن المفضّل الرّاغب الأصفهانيّ ، أديبٌ ، لغويٌّ ،

(...ـ٥٠٢) شاعرٌ، مفسّرٌ، متكلّمٌ، واختلف في مذهبه، فبعض يقول: إنّه شيعيٌّ، وبعض يقول: إنّه شافعيّ. وُلِد في أصفهان وسُكن في بغداد. وله كتب كثيرة، منها: «المفردات في غريب القرآن»، [ط: المكتبة المرتضويّة، طهران ١٣٧٣ ق].

السَّخاويّ (٥٥٨ـ٦٤٣) هو عليّ بن محمّد بن عبد الصّمد بن عبد الأحد السَّخاويّ المصريّ المالكيّ ثمّ الشّافعيّ، وكان عالـمًا بالقراءات والأُصول واللّغة والتّفسير. وُلِد بـ «سَخا» بمصر، وسكن في دِمَشق وتوفّي فيها، وله كتب، منها: «جَمال القُرّاء وكمال الإقراء»، [٢ج، ط: دار البلاغة، بيروت ١٤١٣ق].

سيبَوَيْه (١٤٨ـ١٨٠) هو أبو بشر عمرو بن عُثمان بن قنبر الحارثيّ، المعروف بـ «سيبَوَيْه»، وكان أوّل من بسط علم النّحو، وُلِد بالبيضاء بـ شيراز، ويقال: إنّ مولده بالأهواز، ثمّ هاجر مع أهله إلى البَصْرة، ورحل إلى بغداد عام: ١٧٠ ثمّ عاد إلى الأهواز فتوفّي بها، وقيل: بشيراز وقبره بها. وله: الكتاب المسمّى «كتاب سيبَوَيه»، [٥ج، ط: ٣ عالم الكتب، مصر ١٤٠٣ق].

الشّوكانيّ (١١٧٣ـ١٢٥٠) هو محمّد بن عليّ بن محمّد عبد الله الشّوكانيّ ثمّ الصّنعانيّ، فقيهٌ مجتهدٌ من كبار اليَمَن، وُلِد بـ هجرة (من قُرى خولان باليمن) ونشأ بصنعاء وتوفّي فيها. وكان يرى تحريم التّقليد. له كتب كثيرة، منها: «فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التّفسير» [٥ج، ط: ٣ دار المعرفة، بيروت ١٤١٧ ق].

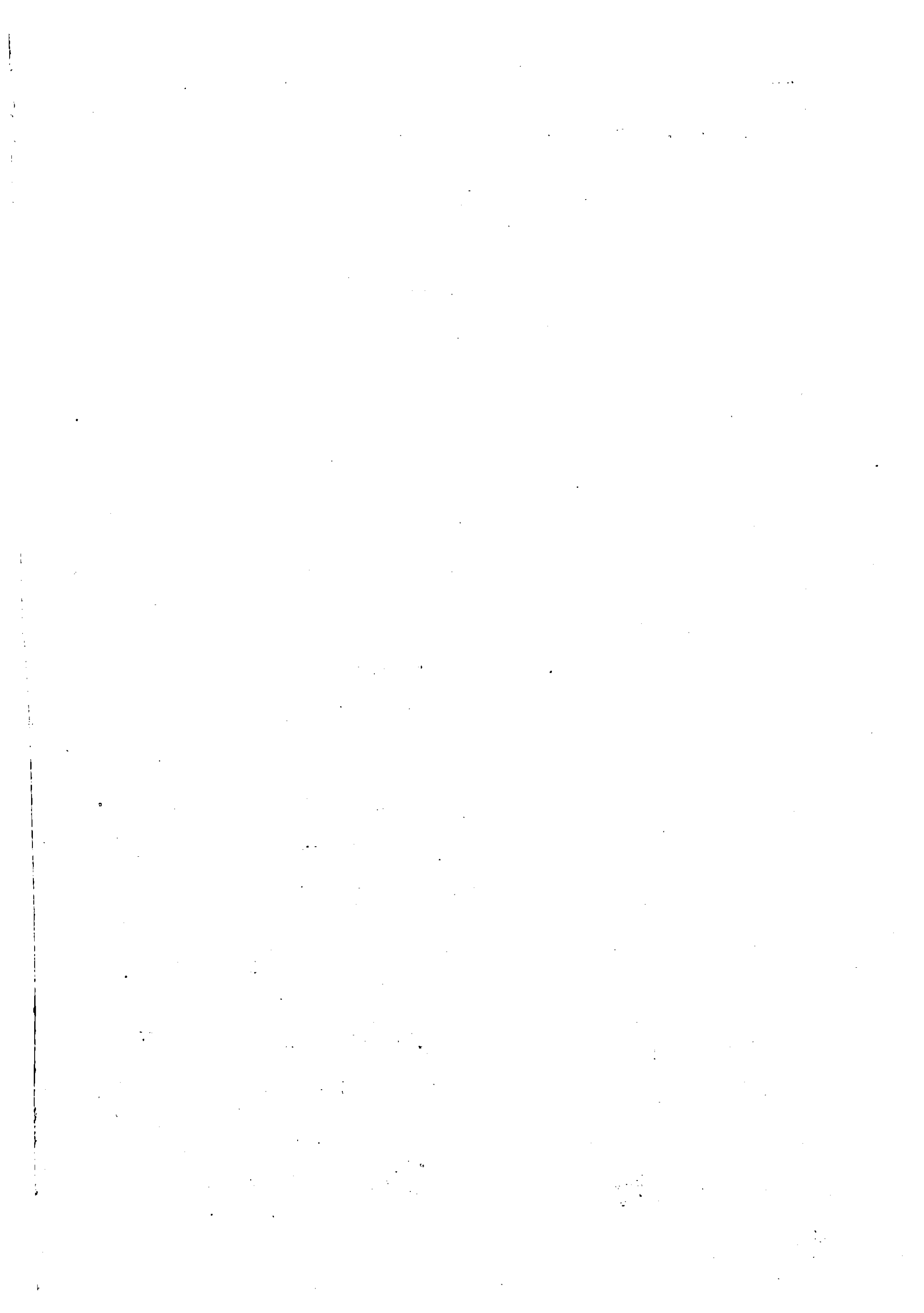
(ف، م، ن)

الفلّاح (معاصر) هو الدّكتور سعيد الفلّاح، الأُستاذ بجامعة الزّيتونة للشّريعة وأُصول الدّين بتونس، حقّق كتاب: «البرهان في تناسب سُوَر القرآن» لابن الزُّبَير وقدّم له، وقد اقتبسنا نصًّا من مقدّمته. [ط: إدارة الثّقافة والنّشر في المملكة السّعوديّة ١٤٠٨ق].

المصطفويّ (١٣٣٤ـ١٣٨٤) هو العلّامة المتتبّع الأُستاذ الميرزا حسن المصطفويّ، وُلِد في تبريز بـ آذر بايجان، ونشأ فيها ورحل إلى قمّ عام ١٣٥٣ق، ثمّ هاجر إلى النّجف عام ١٣٦٢ق، واستفاد من دروس السّيّد أبو الحسن الأصفهانيّ، ورجع إلى إيران ١٣٦٥ق، فأقام في طهران، وأخذ يمارس التّدريس والتّحقيق والتّأليف. له كتب أشهرها: «التّحقيق في كلمات القرآن الكريم»، [١٤ج، ط: آرين ١٣٦٠ش].

المدرّسيّ (معاصر) هو آية الله السّيّد محمّد تقي ابن السّيّد الكاظم المدرّسيّ، العالم الباحث، وُلِد بكربلاء ونشأ فيها، ثمّ هُجِّر إلى إيران وعاد إلى كربلاء بعد سقوط الطّاغية (صدّام). له مقالات وكتب كثيرة، منها: «من هُدى القرآن» في التّفسير، [١٨ج، ط، ن: دار الهُدى ١٤٠٥ق].

نَوْفَل (١٣٣٦ـ١٤٠٤) هو الأُستاذ عبد الرَّزّاق نَوْفَل المصريّ، العالم الباحث الحاذق المفكّر، كان يقوم بإعداد التّفسير العلميّ الشّامل المبسّط للقرآن الكريم، وُلِد ونشأ بالقاهرة وتوفّي فيها. له كتب كثيرة، منها: «الإعجاز العدديّ للقرآن الكريم»، [٣ج، ط: دار الشّعب، القاهرة].



فهرس الموضوعات

الباب السّابع: أسامي القرآن و صفاته و معانيه

الباب الثّامن : أسامي السُّوَر ومعنى السّورة و عددها و معانيها

الباب التّاسع : معنى الآية و الحرف و الكلمة و عددها في القرآن

الباب العاشر : تناسب الآيات و السُّوَر

الباب الحادي عشر: أجزاء القرآن و أحزابه